

تاريخ العباسيين

لابن وادعان

(وأنعمه عمال بني العباس بالفرقة الى آخر الأقاليم)

تقدمه وتحقيق

الدكتور الطنجي زكي



تاريخ العباسيين

لابن وادران

(وبآخره عمال بني العباس بافريقية الى آخر الأغلبة)

کتابخانه

مرکز تحقیقات کلامی و تری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۷۲۴۲

تاریخ ثبت:



مرکز تحقیقات کلامی و تری علوم اسلامی

تقدیم و تحقیق

الدكتور المنجي البعبي



دار الفرب الإسلامي



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

تاریخ العباسيين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

1993

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

دار الغرب الإسلامي

ص.ب : 5787 / 113

بيروت - لبنان

تاريخ العباسيين لابن وادران

أو

دولة الرشيد من بني العباس وبنيه
(وبآخره عمال بني العباس بافريقية الى آخر الاغلبة)

مسودة لمجهول بيضا وزاد فيها
حسين بن محمد وادران (كان حيا سنة 1172هـ)

حققها وقدم لها

الدكتور منجي الكعبي

وقابلها على مخطوط

«المختار من الدر المكنون المنتظم في أخبار

الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمعتصم»

(لمجهول من القرن 12هـ)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

| | |
|-------------------|-----------------|
| 12-9 | تمهيد |
| 66-13 | مقدمة |
| 646-67 | النص |
| 706-648 | التعليق |
| 712-707 | المحتوى |
| 752-713 | إفادات |
| 851-753 | فهارس |
| 853 | تقديم بالفرنسية |



مرکز تحقیقات و پژوهش اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تمهيد

ظهور مخطوط ابن وادران في تاريخ العباسيين

المخطوط التونسي المفقود المنسوب لابن وادران في تاريخ العباسيين ، الذي كان موجوداً بمكتبة جامع الزيتونة في القرن الماضي والذي نشرت منه قطعة مترجمة بالجزائر سنة 1855 ، بعنوان «موجز تاريخي حول إمارة الاغالبة» ، عثرنا عليه أخيراً في دار الكتب الوطنية بتونس ، ضمن مجموع من المخطوطات العتيقة ، أهملتها يد الفهرسة مع الاسف ، أو لم تكن قد شملتها بعد .

هذا المخطوط ، أهميته كبرى من حيث عيّد الكتب والمصادر التي ينقل منها . ومع أن صاحبه يستقي في الأكثر من كتب متأخرة عن تلك الاصول المعتمدة عادة في تدوين أخبار هذه الفترة الممتدة من أواسط القرن الثاني الى أوائل القرن الثالث للهجرة ، إلا أن المفارقة تكمن في أنه من بين الثمانين كتاباً أو تزيد التي رجع اليها يوجد عدد وافر منها لا يفكر الباحثون عادة في الرجوع اليها حول العصر العباسي ، وعدد آخر قلّ من ينتبه من الدارسين الى ما يحتفظ به من روايات مهمة مفقودة من أصولها المعروفة ، أو ضاع بعضها .

والغريب في أمر هذا المخطوط المنسوب على وجه غير صحيح لابن وادران أن مؤلفه الاصيل غير معروف لدينا . وبقي مجهولاً مع الاسف تحت قلم ابن وادران ناقله الينا وصاحب الفضل الكبير في حفظه ؛ عدا ما وصفه به في مقدمته من أنه كان من جيل آبائه المتقدمين . ولكننا نجهل من هو ابن وادران نفسه ، ولا نجد أدنى ترجمة في كتب الفهارس والاعلام تعرّف به أو بكتاب صاحبه . فقط ، علاقة ابن وادران بهذا الكتاب يعرفنا بها هو نفسه في المقدمة ، حيث

يذكر وقوعه عليه في شكل مسودة ؛ فأسفه لأهميته ، فقام بنقلها وتبييضها .
ويبدو أن المؤلف الأصلي قد بذل جهداً كبيراً ، فريداً من نوعه فيما نعلم ،
ليجعل كتابه يستوعب بكل دقة وترتيب كل الاخبار الواردة في المؤلفات
السابقة ذات العلاقة بموضوعه ، دون الوقوع في الإحالة أو التكرار . فقد قام ،
وإن في نطاق ضيق ، بما يشبه ما قام به قبله الطبري في تاريخه ، بل لعله من
بعض الوجوه كان أكمل من الطبري ، إذ جمع كل ما انتهى إليه من مؤلفات
المتقدمين حول الرشيد والعباسيين الخمسة بعده .

وهناك أسئلة كثيرة يثيرها البحث في هذا المخطوط ؛ بعضها قد يجد جواباً
وبعضها الآخر سيقى لغزاً إلى ما شاء الله . من ذلك مواطن الزيادة التي زادها
ابن وادران وحجمها ، ونوع الترتيب الذي رتب به والتنقيح التي أدخله عليه ،
وهي أمور يدعيها لنفسه ابن وادران في هذا الكتاب . وربما تعتبر هذه المسائل
قليلة الأهمية بالقياس إلى أمور أخرى مهمة لا نظفر بإجابات كافية عنها . من
ذلك مثلاً اسم صاحب المسودة ، وما هي علاقة ابن وادران به ، وما هي
ظروف عثوره على مسودته . بل إن أقصى ما نعرفنا به ابن وادران في المقدمة
هو أن مؤلف تلك المسودة أحد أبناء جنسه ممن قارن الآباء . وهذا كلام غامض
قد لا يكون مقصوداً لشيء ، لأننا لا نعرف حقيقة ابن وادران ولا يمكن
التخمين بها . والشيء الوحيد الثابت هو أن ابن وادران كان يعيش في القرن
الثاني عشر للهجرة . وليس صحيحاً ما أثبتته شارنوف ، في مقدمة ترجمته
للكتاب ، دون ذكر المرجع ، من أن ابن وادران كان وزيراً بفاس بعد عصر
الغالبية بقليل . مما يدل على عدم الاطلاع من جانبه على كامل الكتاب ، وعلى
قلة الانتباه - حتى وقته على الأقل - إلى تلك إشارة داخله حول تاريخ تبييضه .
وهذه الإشارة الهامة هي التي قد يكون استند إليها بروكلمان حين ذكر أن ابن
وادران كان يعيش في القرن الثامن عشر للميلاد ، مع أنه لا ينوّه بما سوى تلك
الترجمة التي نشرها المستشرق الفرنسي .

وابن وادران عاش فعلاً في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي . فقد عرض له في الثلث الاخير من كتابه استطراداً كشفَ خلاله عن تاريخ اشتغاله بتبييض المسودة ، وهي سنة 1172هـ/1758-1759م . فهل يكون المؤلف الاصيلي للكتاب غير متقدم جداً عن ابن وادران . من أهل القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري ؟

كما أننا لا نعرف شيئاً عن عنوان كتابه وهو بحاله مسوداً ، ولا نعرف كذلك إن كان كتب له مقدمة أو ختمه بخاتمة .

ومع الاسف لا تملنا كتبُ تراجم القرن الثاني عشر المعروفة بشيء عن ابن وادران ، ولا أيضاً بعض الكتب المخطوطة التي كانت مجال ظننا . ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون ابن وادران من رجال تونس في العهد التركي الاول . بل إننا لم نقف على اسم بصيغة وادران الا علماً على منطقة في تونس الحفصية تدعى وادران ، ذكرها الوزير السراج . علماً أيضاً بأن وادياً يعرف اليوم بهذا الاسم في تونس الوسطى .

ولم نعر كذلك على كتاب بهذا الاسم منسوباً الى أحد في فهارس المخطوطات . وهذا الكشف عنه من جديد لا تنحصر أهميته في ظفرنا بالنص العربي لترجمة شاربنو ، كما كان المؤمل قبل ذلك ، بل أهميته في أن ما نشر منه لا يعدو 20 صفحة من مجموع حوالي 700 صفحة من القطع المتوسط . وما تاريخ الاغالبية إلا خاتمة قصيرة بآخره للابواب الستة الرئيسية في الكتاب . وهي أبواب مطوّلة ، تتعلق بالخلفاء العباسيين الخمسة المشهورين ، الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق .

وعثورنا على هذا المخطوط ليس فقط يصحّح معلوماتنا عن حقيقة هذا الكتاب وعن مؤلفه ، بل يمدنا فضلاً عن ذلك بمعلومات جديدة . فهو ليس لابن وادران كما سبق أن تبادر لأغلب من وقع الكتاب بين أيديهم ، وانما هو لمؤرخ مجهول ، ترك كتابه دون تببيض ووقع عمله بعد زمن قصير في يد ابن

وادران فنهض بمهمة تبييضه ونسبه لنفسه ، لا انتحالا ، ولكن لعدم علمه بصاحبه من ناحية واستحقاقا لفضله في حفظ مسودته مبيضة ومرتبة ومزودة من ناحية ثانية .

وقد لا يكون ابن وادران من المؤرخين ، ولكنه ككل عالم لم يتردد حين وقف على أهمية الكتاب من الناحية التاريخية والأدبية في العناية اللازمة به . خصوصاً وأنه قد أدرك قيمته الكبرى بالنظر في غيره من المصنفات الموضوعة في بابهِ أو القرية منه . والحقيقة أن الكتاب كما يتجلى للقارئ المتخصص وحتى قبل الفحص الدقيق يعتبر نسيجاً وحده . فهو بمثابة «بيليوتيكا» أو جمهرة حضارية عن عصر الرشيد والخلفاء الخمسة المتعاقبين بعده . وذلك لأننا نرى المؤلف يسعى بكل ما في وسعه من جهد الى استخراج جميع الاخبار المتعلقة بحياة هؤلاء الخلفاء الستة الكبار من المؤلفات الكثيرة التي وقعت تحت يده مع تراجم العلماء والكتاب والفنانين الذين كانت لهم بهم صلة . ويشهد كتابه بمدى التوفيق الذي أصابه في ترتيب تلك الاخبار وتحقيق رواياتها ، مشفوعاً بهمة علمية واضحة في تدقيقها وبيان المتفق والمختلف فيه منها ، الى جانب عنايته عناية خاصة بضبط التواريخ والحوادث وتصحيحها .

وقد وجدنا فيه نصوصاً مطوّلة أحياناً تخلو منها الكتب المطبوعة التي بين أيدينا اليوم عن بعض رجالات ذلك العصر وحوادثه وأخباره . وأعثرنا البحث بعد الكشف عنه على مخطوط آخر عجيب ، لأحد المتأخرين ، مجهول المؤلف هو أيضاً وينقل بالحرف أو يكاد عن مسودة ابن وادران أو عن أصل مشابه ، دون توضيح لذلك . مما وفرّ لنا تحقيق الكتّابين معاً «بمحجر واحد» ، وخاصة تصحيح الأخطاء في ابن وادران ، أو مواضع السقم ، أو سوء النسخ في مخطوطته .

المقدمة

- (1) تقديم المخطوط ، ص 13
- (2) صفة المخطوط ، ص 15
- (3) نسبة الكتاب ، ص 17
- (4) عنوان الكتاب ، ص 20
- (5) منهج الكتاب وعمل ابن وادرن عليه ، ص 23
- (6) أهمية الكتاب ، ص 30
- (7) من هو ابن وادرن ، ص 38
- (8) مخطوط الدرّ وعلاقته بالمسودة ، ص 44
- (9) تحقيق النص ، ص 56
- (10) خاتمة ، ص 62

1 - تقديم المخطوط

هذا مخطوط في أخبار ستة من خلفاء بني العباس كان موجودًا بمكتبة جامع الزيتونة بتونس الى أواسط القرن الماضي ، ثم فقد ولم يظهر له اسم في فهارس مخطوطات ولا في دار الكتب الوطنية بتونس التي آلى إليها تراث تلك المكتبة العظيمة . وكان الاسف عليه شديدًا بعد نشر قطعة منه في منتصف القرن الماضي بالجزائر عن أخبار الاغالبه مترجمة بعناية أحد المستشرقين ، لأهميتها في نظره «لتأريخ دول المسلمين والعرب بشمال افريقية» . وهي قطعة صغيرة جدا منه بالقياس الى سائر الكتاب .

واشتدّ الاسف على فقد هذا الكتاب المنسوب لابن وادرن بسبب الحاجة اليه لتدقيق القطعة المترجمة المنشورة منه حين ظهر نقصها برأي بعض الباحثين

في تاريخ الاغالبية . مما يفهم منه أيضاً ضياع نسخة الجزائر المنقولة عن الاصل الموجود بتونس ، أو على الاقل الجزء منها الذي قد يكون انتسخ لغرض تلك الترجمة .

فبقي اسم ابن وادران منذ ذلك الحين مظنة للبحث وكتابه لغزاً محيراً . خاصة وأن المعرفة بالمؤلف وبالمخطوط لم يتناولهما وصف دقيق من خلال مقدمة المترجم لتلك القطعة المنشورة .

فلما كنتُ في السنوات التي اهتمت فيها بتتبع السجلات القديمة لمقتنيات دار الكتب الوطنية في تونس من خزائن المخطوطات الواقعة اليها ، بهدف العثور على ما قد يكون نذراً عن الاحصاء والفهرسة من عناوين مهمة أو أسماء لافتة ، وخصوصاً ضمن المجموعات المجهولة المؤلف أو المجهولة العنوان ، وأيضاً ضمن المجاميع ذات العناوين الكثيرة المدرجة اختصاراً تحت عنوان موحد . وخصصت لذلك وقتاً يندر التوضيح بمثله لاستعراض ما تحويه الدار من تلك الدفاتر والسجلات الرثة المتروكة غالباً للتلف ، أو للتقليب في موضعها أحياناً بين المخطوطات نفسها . كان اسم ابن وادران ، الذي ارتبط في ذهني بتلك القطعة المنشورة له حول أخبار الاغالبية ، بعض من استوقفني دخول كتابه ضمن مقتنيات الدار . فلم يمهلني البحث حتى وقفت عليه تحت عنوان غريب هو تاريخ العبابسة .

وبقيت منطوياً على لذة العثور على كتاب ابن وادران الى أن أذعت خبر الكشف عنه بعد سنوات في مداخلة لي بمؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين بباريس سنة 1973 م . (انظر : ظهور مخطوط ابن وادران في تاريخ العباسيين ، أعمال المؤتمر التاسع والعشرين للمستشرقين بباريس سنة 1975 م . Actes du Congrès international des Orientalistes, Section organisée par Claude Cahen, Etudes arabes et islamiques, Histoire et civilisation, vol. II, p. 97-8) .

2 - صفة المخطوط

يقع كتاب ابن وادران في حجم متوسط ، مقاسه 10 x 20.50 ،
ومسطرته 22 سطرًا بالورقة الواحدة ، وعدد أوراقه 364 ورقة ، جميعها من
نوع واحد مائل الى الصفرة وسميك نوعًا ما . مكتوب بخط مغربي متماثل من
أوله الى آخره وبحبر أسود ، وعناوين أبوابه باللون الاحمر ، وكذا عناوينه الفرعية
ورؤوس فقراته وأسماء من ينقل عنهم من المؤرخين والكتاب وكذا أسماء
كتبهم ، إلا فيما ندر ، وكذا فواصل السجع في المقدمة . ومن مميزات الفنية
كتابة الواو بالحرف الغليظ كلما تعلق الامر بخبر جديد أو رواية أخرى
أو تمييز أسماء متعاطفة . وكذا كتابة القاف بالحرف الغليظ في مثل «قال»
و«قول» ، ونحوهما .

وكتابه غير مشكولة لا في نثرها ولا في شعرها ، وحتى في المستصعب من
الفاظه وأسمائه إلا نادرًا ، مثل «حسين» في الورقة 9أ ، و«الوراد» في الورقة
9ب . وعدا اختلاف قليل في الرسم بين عهده ، قبل قرنين ونصف ، فإن
أخطاء غير قليلة من أخطائه الكثيرة لا تعود الى السهو بقدر ما تعود الى مستوى
عربية الكاتب وثقافته التاريخية ، وخاصة أخطائه في الشعر . فقد كان ينبغي
في أضعف الاحوال أن ينبهه الوزن اليها ، من ذلك مثلا البيت الثاني في شعر
الخنساء الورقة 9ب (وانظر تعليقنا كذلك على جمعه بين الكلمة وتفسيرها في
بيت من الشعر دون انتباه الى ذلك ، ص 75ب) . وحتى من غير التفكير في
شخصية ابن وادران المنسوب اليه هذا المخطوط ومن يكون ، فإن صفة الناسخ
تغلب على صاحبه من خلاله أكثر من صفة العالم المميز لما يقرأ وينقل .

ولا تثير أوراق الكتاب في ترتيبها صعوبة تذكر لأنها متسلسلة بالطريقة
القديمة المعروفة في الكتابة العربية ، عن طريق تدوين الكلمة التالية في ذيل
الورقة التي تسبقها . لكن كان قد دخله شيء من الاضطراب عند ترقيمه

بالاعداد الحسائية بيد متأخرة تاريخيا ، فقفز العدد بالعشرة سهوا منها عند العدد 280 الذي تناسب ورقته في الحقيقة الورقة 270 ، ومع اعتبار خطأ حصل قبل ذلك بالقفز على عدد بين الورقة 275 والورقة التي بعدها - لأن الكلام متسلسل وليس فيه نقص - فإن الورقة 270 هي في الحقيقة 269 . هذا مع الاشارة الى أن التصفيح يبدأ على وجه كل صفحة ابتداء من الثالثة (وهي الورقة الثانية) الى غاية الصفحة السابعة ثم ينقطع ليقصر على ترقيم وجه كل ورقة الى الآخر . ولكن مع ملاحظة أخرى أيضا وهي أن الورقة رقم 8 الحقيقية ضائعة من الكتاب . ويجب أن نقدر احتمال أنها هي النقص الوحيد الموجود بالكتاب ، وإن كان ليس ما يدل على أنها الوحيدة ، لأننا بصدد أخبار متفرقة عن الرشيد . غير أننا تحققنا فيما بعد من أن النقص لا يشمل غيرها بفضل مراجعتنا لكتاب الدرر ، المتفق مع هذه النسخة كما سنشير الى ذلك بعد قليل . وتجدر الاشارة أيضا الى تقديم وتأخير بين ورقتين في الآخر ، هما الورقة 352 التي تقدمت على الورقة 351 ، الموافقتين لـ 362 و 361 بالترقيم الخاطيء للكتاب .

ولا يخلو الكتاب من آثار قراءة عليه من أكثر من قارئ . ونستدل على ثلاثة منهم على الأقل عن طريق خطوطهم المختلفة على الهامش ، فلأحدهم تعليق في ظهر الورقة 22 ، يقلل فيه من أهمية ما سماه اعتذار المؤلف (أو ابن وادران) على حديث الهدية التي جاءت أبا يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة . والثاني سجل عبارة : «قف على دعاء موسى الكاظم» (الورقة 36) ووقفات أخرى لصاحب الخط نفسه في الورقة 225أ ، مكتفياً في الغالب بكلمة «قف» فقط . والثالث توقف عند شرح كلمة غريبة في سياق استئذان مغلّ سيده للغناء بما حضره ، وهي «بدستور مولاي» ، فجاء أمامها في الحاشية وكتب : «أي بإذنه ، كذا نعرفه في خطاب العامة وانظر علّ له أصل لغة» ، ولصاحب هذا الخط نفسه فيما نقلت تعليقات شعرية من حفظه في بعض المواضع (100أ)

و332أ) أشرنا إليها في حاشية التحقيق .

3 - نسبة الكتاب

لا يحمل الغلاف على وجهه عنواناً محدداً لهذا المخطوط ولا اسماً لمؤلفه ، في حين تتزاحم عليه خطوط غير مقصودة لذاتها ، بل تدل على مجرد تجريب ، لأنها تردد عبارة «تجريب قلم لا أفلح من ظلم» ويخط مغاير في أعلاه وفي طرته اليمنى أبيات مضطربة من النظم أولها :

«لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وبت أشكو الى مولاي ما أجد»
ومجموعها خمسة أبيات في الدعاء آخرها :

«ثم الصلاة على المختار سيّدنا ما دامت الشمس في الابراج تنقد»

وفي مواضع أخرى تقييدات ، يميز من بينها هذا التقييد الغريب الذي قد يكون لصاحب تجريب القلم ، وفيه : «الحمد لله سرّحنا ولدنا الحاج محمد بن نور ليسافر الى بر مصر» ، وقريب منها في الاول عبارة «سرّحنا» مرة أخرى ، وتحتها : «الحاج محمد بغزالي» (قراءة مشكوكة) وبعد كلمتين غير واضحتين نقرأ : «على يد ولدنا حمودة» ثم كلمة أخيرة غير واضحة كذلك ؛ الى جانب توقيعات غير واضحة هنا وهناك من الغلاف . ويمكن أن نقرأ في أسفله وفي أعلاه كلمة «شيخ» بالتعريف وبدونه متكررة بكثرة وفي سطور منتظمة أحياناً وكذلك كلمة «فتح» ، وهي بخط صاحب تجريب القلم .

وهناك تسويد واضح بأعلاه على كتابة لم يبق متبينا منها إلا الأطراف ، ولا تبدو قابلة للقراءة إلا باستعمال الاشعة الخاصة ، وتحتها تاريخ «28 محرم 1189» ، وهو أهم ما قد يستوقفنا من العناصر لتأريخ الكتاب كما سنراه فيما بعد . وقبل التاريخ سطران مجزوءان بسبب قصّ طولي في الغلاف نتيين في آخرهما كلمة «ناتج» والاخرى لم نتيين معناها (انظر مصورة الغلاف) ، وأخيراً

نجد رقمين مختلفين أحدهما «BPT 265» إشارة الى تسجيله الاول بالمكتبة العمومية بتونس (اسمها القديم) ، والثاني صورته «n° 1446 mss-or» إشارة الى تضمينه ضمن المخطوطات الشرقية في نطاق ترقيم جديد بالمكتبة نفسها في وقت لاحق . وهو الرقم الذي يحمله في الفهرسة الحالية بدار الكتب الوطنية ، تحت عنوان غريب على مجلدته الخارجية وهو «تاريخ العباسية» .

ويمكن التقدير أن الغلاف لا علاقة بأصل المخطوط لأنه لا يحمل البتة عنواناً ولا اسماً يدل على مؤلف أو إشارة تدل على توثيق للكتاب . ولا يمكن اعتبار الكتاب إلا يبدأ من وجه الورقة الاولى الداخلية المسجل بطالعها بالبسملة والحمدلة وبعدهما بفراغ يسير نص المقدمة . وهي قصيرة ومسجوعة ، يحمّد المؤلف (الذي سنكتشف فيما أنه ليس سوى مبيّض لمسودة مجهولة العنوان والمؤلف معاً) في أولها الله سبحانه وتعالى ويقابل بين قدرته على فناء الامم وتنزّهه بالبقاء وحده ، ويحمّده ثانياً على تأييده الدين بتأييد الدولة العباسية ، ويصف من عظمتها في عهدها ما جعلها تفوق بها جميع ملوك البرية . وبعد الصلاة والسلام على الرسول وعلى آله وأصحابه يعرف المؤلف نفسه بالعبارة التالية : «وبعد ، فيقول العبد الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، المرتجي فيض النوال والغفران ، عبّيد الله ، حسين بن محمد وادران ، قد كنت ظفرت فيما ظفرت به من الاوراق ، بمسودة تاريخ لم يبيّض ويرتب منه السياق ، فجعلت أتصفّح ما فيه ، وأتأمل في معانيه ، فإذا هو في دولة الرشيد من بني العباس وبنيه ، ومع هذا قد أُخِبرت أنه قد جمعه بعض أبناء /3/ جنسنا النجباء ، ممّن تقدّم عصرنا وقارن الآباء ، غير أنه لم يجدد منحاته الشوقية ، وينقّح رشحاته الذوقية ، فبينما أنا في رياض تلك السطور ، أقطف من أزهار ذلك المنشور ، إذ أبهاني شارق أنواره ، وناجاني طارق أخباره ، أن أبيض تلك السطور الجليلة ، وأنقح تلك المعاني السنية ، بأن أميز مراتب ذلك المكتوب ، وأجعل له هيئة وأسلوب (ترك الاعراب لضرورة السجع ، وهو قليل في النشر) ، مع ما أدمجنا فيه من الأنقال ؛

ووشحنا حلته بهواتف الفكر والبال ، ليكون من جالس مصابيح غرره اغتنى
عن كل جليس ، ومن آنس بنفائس ذرره انثنى عن كل أنيس ، اذ تبسم طيب
أخباره يُرقص رؤوس العلماء طربًا ، وتجادبُ نشقَ أريجِه يُزهق نفوس الحكماء
عجبًا ، وها أنا أجمع غرائب المستغزاة للخواطر ، وأؤلف بدائع عجائبه المستلذة
لذوي البصائر ، وقد جاء بحمد الله تعالى نزهة لذوي الألباب ، مرتبًا على
سته أبواب .

فحدّد بذلك صاحب التبييض دون لبس أو ادعاء علاقته بالكتاب وأوضح
ما له ولمؤلفه الاصيل فيه [وان كنا نجده في التأريخ للفراغ منه استعمل عبارة
«مؤلفه» للكناية عن نفسه ، ونعتقد أنه فعل ذلك على سبيل المجاز . ص
353ب] . وربما تطلبنا منه اليوم أكثر من ذلك التوضيح عن حالة الكتاب
وما وجدها عليه أو عن تقديره لمؤلف ذلك الكتاب ومن يكون . ولكن ليس
أمانا ما يسمح بالشك في صدقه .
وإذا كنا اليوم في الجهل بالمؤلف فلسنا في أقل من الجهل بابن وادران ناقله
إلينا . وقد أعجزنا البحث عن العثور له على ترجمة ، أو حتى على مجرد ذكر
في المظان . أقصى ما هنالك تاريخ الفراغ من تبييضه للكتاب ، وإن كان جاء
بشكل ملغز يعجز اليوم غير المختصين عن حله ، وأيضًا تاريخ صريح في أثناء
النص يحقق حياته في بعض السنين ، وتاريخ آخر أيضًا على ظهر الغلاف يطابق
في ظننا نتيجة ذلك التاريخ الملغز في الفراغ منه .

فإذا قدرنا حياة ابن وادران وأنها ابتدأت قبل نحو ثلث قرن من التاريخ الذي
ذكره داخل الكتاب لزمن اشتغاله بتبييضه ، وهو 1172هـ الموافق له
1758-59م ، يكون المؤلف الاصيل الذي قدر معاصرتَه لآبائه ممن عاشوا في
أواسط القرن الحادي عشر . إلا أن يكون قبل ذلك على معنى آبائه الاسبقين ،
ويستبعد ذلك ، على فرض أن السجع لم يضطره الى هذه العبارة الدالة مجازًا
على الاجداد .

وما دمنا لا نملك معلومات عن مكان ابن وادران وجنسه ، فكيف يسمح لنا تعبيره الغامض بالتعرف على المؤلف الحقيقي ، على الاقل من هذه الناحية . أما كونهما كلاهما من أهل هذا القطر أو ذاك من أقطار الاسلام فهذا كان يقفنا على مناسبة وقوع المسودة بيد ابن وادران . وحتى هذه ، أي المسودة لا يطنب ابن وادران في تفصيل ظفره بها ، حين يستعمل هو نفسه كلمة ظفرت بها . وكلامه نفسه يوهم أنه ظفر بأشياء أخرى بمناسبتها قد تكون هي أيضاً من جنس الكتب أو المنقولات .

ونعتقد دائماً مع شيء قليل من حسن الظن أن ابن وادران لا يخفي من شيء هوية المؤلف ، لأنه فيما ذكر في المقدمة أنه قد سأل عنه ولم يظفر بأكثر من كونه من المعاصرين لآبائه من أهل بلده ، ولا يعلم لكتابه أصلاً مبيضاً غير تلك المخطوطة الاولى ، إذا صح التعبير ، أو «المكتوب» كما يقول هو ، والتي يسميها مسودة دون أن يُدري ما الذي شوغ له بالضبط اعتبارها كذلك ، لأن الاحتمال بكونها نسخة لأحد السابقين على الاصل أدخل عليها شيئاً من التسيويد على معنى قولهم «لا يبيض الكتاب حتى يسود» ، أي لا يفهم وتتضح معانيه إلا بعدما يكثر التعليق عليه . ولكن لم تتخلف لنا نسخة ابن وادران التي عمل عليها . لا هي ولا أصلها ، ولا علم لنا بين الكتب المعروفة عن العباسيين بكتاب يطابقه بناء وتركيباً . فبقينا نقرّ بالفضل لابن وادران على توريثه إيانا لهذا الاثر الجليل بالطريقة التي رآها خدمة للعلم وحفظاً لحق العلماء من أمثال صاحب مسودته .

4 - عنوان الكتاب

ونحن أقرب الى الجهل كذلك بعنوان الكتاب الاصيل ، وكذا عنوانه بعد التبييض على يد ابن وادران . فلو لا تقدير ضرورة السجع الذي جاء في سياقه ما يشبه عنوان الكتاب لقلنا إن ذلك عنوانه الاصيل . ولكن كون الكتاب وجده

ابن وادران في حالة مسودة ، لم يخرج بعد على يد مؤلفه للتنظيف أو للتبييض كما يقال ، وكون ابن وادران يقول هو نفسه إنه بالنظر فيه وجدته في أخبار الرشيد من بني العباس وبنيه يدل على عطل الكتاب من كل عنوان أصلا . وربما أيضا - وهو الأقرب - عطله أو خلّوه من كل مقدمة للمؤلف الأصلي أصلا .

ولما كنا نفتقد صفحة الغلاف فلا نعتقد أن ابن وادران تركه بدون عنوان كما وجدته ، بل نظنّ ظنا قويا أن العنوان الذي وضعه قد لا يخرج عن تلك العبارة التي أوردها في سياق التعرف على موضوع الكتاب وهي «أخبار الرشيد من بني العباس وبنيه» ونجده في الأخير أي في خاتمة كتابه يسمى موضوعه اختصاراً بقوله : «في أخبار بني العباس» (الورقة 343أ) . ٣٤٣ = أ

ولم نتحرّج هنا من الإضافة إليه للدلالة على بقية ما فيه : «وعملهم بإفريقية الى آخر الاغالبه» . استناداً الى قوله في الآخر : «وراجعنا فيه ذكر بني الاغلب ، مع ما نقلناه من المسودة بعزو لابن الشباط وابن الشّماع وغيرهما الا أن فيه تخطيط ، فصحيحنا ذلك من المختصر للمؤيد رحمه الله تعالى» (353أ) .

ولا بد أن نقول هنا إن إرداف العباسيين بذكر ولاتهم بإفريقية وآخرهم الاغالبه هو أمر ليس من المسودة بل هو زيادة لابن وادران بدليل قوله في آخر خلافة المتوكل ، وهو الباب السادس : (و343أ) « . . . وهنا ألقى القلم رحله وطوى ، وألقت عصاها الضمير يعود على مقدّر ضرورة ، وهو الراحلة أو القافلة واستقرّ بها النوى ، إذ هذا آخر ما وجدناه مما جمع في أخبار بني العباس ، وقد أوعدنا فيما سبق بتبييضه وتنقيحه لتشنّف الاسماع ، وتروق بأخبارهم الانفاس ، والحمد لله على بلوغ المقاصد والامال ، مما أردنا تنقيح ما أهمل وانخرم وكان في زوايا الاهمال» . وبعده مباشرة عنوان : «خاتمة في ذكر عمال بني العباس بإفريقية ومن دخلها من عملهم . . .» . وفي آخره ، أي آخر الكلام عن الاغالبه يقول ابن وادران : (و361ب) «هذا آخر ما أردناه من غرضنا من هذا الكتاب ، والله أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب ، ولكن حيث

انتهى بنا الكلام الى المقتدر ، وكان هو الثامن عشر ، فينبغي أن نذكرهم أسماءهم ومددهم على سبيل العدّ والتحصيل ، ليحصل العلم بهم من غير إطناب ولا تطويل ، فنقول إن أولهم . . . » ثم يمضي في تعدادهم وعندما يبلغ الرشيد والخلفاء الخمسة بعده يقول : « وقد جعلنا هذه الستة لكل واحد منهم ، باباً يخصّه . فراجع ذلك إن شئت إذ هم المقصودون من هذا الكتاب » . ويتابع سرد أسماء الباقيين ومددهم الى آخرهم ، أي المقتدر ، ويقول عنده : (و364أ) « . . . فكان المقتدر هو آخر الخلفاء من بني العباس بأفريقية . ثم صارت الخلافة لبني العبيد الفواطم بأفريقية ، وقُسموا بالبلاد مع بني العباس الى أن استولوا على مصر وغيرها . انتهى كذا نقلناه من تاريخ المؤيد ، من أماكن منه ، وراجعنا فيه ذكر بني الاغلب مع ما نقلناه من المسودة ، بعزو لابن الشباط وابن الشّماع وغيرهما الا أن فيه تخليط ، فصَحّحنا ذلك من المختصر للمؤيد رحمه الله تعالى . وهذا آخر ما أردناه من هذا الكتاب ، والله الموفق /353ب/ للصواب . . (دعاء) قال مؤلفه الفقير الى الله الديان حسين بن محمد وادران : ووافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب ، الخ » .

ولا لبس في كونه لم يجد في المسودة أخبار ولاية بني العباس والاغلبة الذين ذكرهم وربط ذكرهم بملك العباسيين الثمانية عشر الذين نقل أسماءهم ومددهم من مختصر المؤيد ، وراجع في الوقت نفسه على هذا الكتاب ذكر بني الاغلب وصحح التخليط الذي وجده في كلام من أرخ لهم من أمثال ابن الشّماع وابن الشباط ، ولعله يقصد كتاب صلة السمت للاول والادلة البيّنة للثاني . وسنقف بعد قليل على نسبة ما بين مسودة ابن وادران أو بالأحرى مبيّضته التي بين أيدينا وكتاب آخر غريب الاطوار لأنه أيضاً مجهول المؤلف وإن كان معلوم العنوان إلا أنه يحمل مشابهة كبيرة تكاد تكون الى حد التطابق مع ابن وادران فيما دوّنه بين أيدينا في هذا الكتاب . لأن هذا الكتاب وهو اللزّ ، كما سميناه فيما تقدم ، ينقل أيضاً في آخره مختصراً لأخبار بني الاغلب

وعمال بني العباس من أولهم في إفريقية ؛ وتجري أخباره فيما تقدم على ذلك
مجرى أخبار الرشيد من بني العباس وبنيه مثل ابن وادران الحافر بالحافر .
وعودًا الآن الى ما يشغلنا من أمر مخطوطنا الأصلي لنقول إنه لا شك
كذلك في أن ابن وادران أخذ نفسه بمراجعة المؤيد في الاخبار المنقولة من كتابه
في المسودة للتحقق منها عند تبويبها . وهو - لعمرى - منهج الباحث المحقق
هذا المنهج الذي اتبعه ابن وادران ، رحمه الله .

وعلى هذا التقدير يكون آخر ما وجد في المسودة وهو نهاية الكلام عن
المتوكل في الباب السادس ، والذي يعلن بعده ابن وادران نهاية الكتاب حيث
يقول في العبارة التي تقدمت لنا : (و343) وهنا ألقى القلم رحله وطوى ،
وألقت [الضمير يعود تقديرًا على الراحلة أو القافلة] عصاها واستقر بها
النوى ، إذ هذا آخر ما وجدناه مما جمع في أخبار بني العباس ، وقد أوعدنا فيما
سبق بتبويضه وتنقيحه لتتشف الأسماع ، وتروق بأخبارهم الانفاس ، والحمد
لله على بلوغ المقاصد والآمال ، مما أردنا تنقيح ما أهمل وانخرم وكان في زوايا
الاهمال .

5 - منهج الكتاب وعمل ابن وادران عليه

يبدو أن التبويب الذي اتبعه ابن وادران في مبيّضته هو نفس التبويب الذي
وجده في المسودة ، وهو أبواب ستة وزع عليها أخبار الخلفاء العباسيين المعنيين
بالتأليف في هذا الديوان ، وهم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والوائق
والمتوكل . ولكن ابن وادران لا يقول إنه بنى الكتاب على أصل الترتيب الذي
وجده عليه ، لأنه عدا هذه الابواب لا نستطيع أن نتحقق من نسبة تلك العناوين
الفرعية التي تحدّد الى حدّ ما فقرات كل باب ، وهي عناوين مسجوعة . وأحيانًا
التزام السجع فيها متكلف ولا يدلّ بدقة على موضوعها ، وقد تكرر بعض منها
ربما على سبيل السهو لطول ما بينها وبين ما تقدم (انظر 28ب ، 38ب ،

53أ، 82ب ، 184ب و94ب ، 173ب و29ب ، 200ب في المحتوى) ، وقد تكون من صنع ابن وادران لأنه يشيد بالترتيب الذي أدخله ، ولا نكاد نفهمه إلا تحت هذا التقدير ، حيث يصعب أن يكون الاصل غير خاضع لترتيب أصلا . وإذا كان التبويب هو تبويب المؤلف الاصيل في هذا الكتاب فإن المقدمة محققة لابن وادران وكذلك الخاتمة ، وهي التي يخصصها لذكر عمال بني العباس بإفريقية ومن دخلها من عمالهم . وهو أمر مشير يحفزنا لنسبة ابن وادران التونسية أو الافريقية ، فإن لم تكن فالمغربية عموماً (كما سنرى عند محاولة البحث عن شخصيته) ، دون ما يمنع أن نجده يخطيء في تسمية الرقيق بابن رشيق ، لما قد يكون - كما سنرى - من قلة بضاعته الادبية .

وأردف الخاتمة بسرد ، به أسماء الخلفاء العباسيين الثمانية عشر الذين كانت افريقية تحت حكمهم ، من السفاح الى المقتدر .

ويقول ابن وادران إنه ميز مراتب ذلك المكتوب وجعل له هيئة وأسلوباً وأدمج فيه من الانتقال ووشحه بهواتف الفكر والبال . قال ذلك كله في سجع لا يخطيء في تقديرنا التعبير فيه عن حقيقته . ويظهر جلياً أنه لم يقم بعملية بسيطة إزاء هذا الكتاب الذي وجده في حالة إهمال وانحرام في زوايا النسيان ، لانه يذكر أنه اشتغل فيه ملياً قبل تبليغه حتى كان يؤرقه السهر ويملّ النظر فيه لطول ما يعانيه من جمع وتأليف - كما قال - لغرائبه وبدائعه ، والبارتين له . وقد استعمل مرة لفظة التنقيح للإشارة الى مواضع يده في هذا الكتاب . ولا يمكن أن نضع بالضبط حدوداً لهذه الانتقال والتنقيحات إلا فيما يخص الخاتمة التي يبين في مقدمتها أنها من عمله وزياداته على الكتاب ، وكذلك أسماء العباسيين الثمانية عشر وأطوال مددهم في الحكم . وفيما عدا ذلك يتبين حرصه على الامانة في النقل من المسودة عندما نجده يقول في أكثر من موضع « كذا وجدناه في المسودة » أو ما يقرب من هذا التعبير . وقد حصرنا هذه المواضع (انظر فيما يلي ص 713 وما بعدها) . ولم نجد سبباً لهذا التذكير بمهمته في

النقل سوى أنه قد يكون يريد ردّ المسؤولية في صحة ما يستفاد من تلك النقول على عاتق المؤلف الأصلي ، أو ليميّز بينها وبين ما سيتدخل به بعد في السياق . ولذلك نجده كلما عرضت له بعض الصعوبات في تصحيح بعض الاخبار أو الروايات أو ردّها الى مصادرها المنقولة منها يشير الى ذلك بقوله « كذا في المسودة » ، « كذا وجدناه في المسودة » ، « كذا وجدناه غير معزو » ، « انتهى كله من المسودة » . [ومنه يصعب التعرف على زيادات ابن وادران ما عدا المقدمة والخاتمة التي تحدثنا عنها وبعض الاسطر هنا وهناك التي ليس لها في الكثير من علاقة بما هو تاريخ حقيقة ، من نحو قوله تعليقاً على قول أبي يوسف في الهدية وكيف أصبح الناس يتغالي فيها : « قلت ولعله إنما قال ذلك ليداعب جلّاسه أو ليكنّي لهم أن الشركة لا تكون الا في جنس المأكول لا في غيره مما لا يستهلك ، فإنّ النفس ترغب في ادخاره ولا سيما في النقود » (22ب) . وورود هذا القول بعد عبارة انتهى التي تحدّد نهاية الخبر المنقول توهم أن القول هو قول المؤلف وربما ابن وادران ومثله في 84أ : « قلت وهذا مني على قاعدة فقهية وهي أن العاطس لا يجب تشمّيته إلا إذا حمد الله ، فلقنه - رضي الله عنه - للتحميد وشمّته » ، ووردت عبارة مشابهة بعد عبارة انتهى كذلك تتعلق بالاختلاف في وفاة موسى الكاظم عليه السلام حيث يقول بعدها : « والاصح أنه سنة ثلاث وثمانين في حبس الرشيد » (136أ) ، وانظر كذلك تدقيقه في وفاة الامين (118ب) : « وذكر الملك المؤيد في مختصره والخطيب في تاريخ بغداد وغيرهما أن قتل الأمين كان لستّ بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، قلت : وهنا كلام لمن تأمل في عباراتهم ، فإنهم يقولون إنّ الأمين خرج لخمس بقين من المحرم ثم يقولون وكان قتله لستّ بقين من المحرم ، وهذا شيء سبقته اليه أفهام النساخ وزعموا بذلك الاصلاح حيث وجدوا أنّ خروجه كان لخمس بقين . ومعلوم أنّ ما بعد الخمسة من الأعداد يكون ستّ إذا سرّدت الاعداد ، فجعلوا قتله كان لستّ بقين ، ولم ينظروا الى لفظة « بقين » وما فيها

من معنى الإسقاط ، لأنه إذا بقي عدد من الشهر ثم جاء يوم وأسقطه أيضاً يكون الباقي أقل من العدد الاول كما في هذا ، إن خروجه كان لخمس بقين من الهرم ، فليتبّر وليراجع النقل في ذلك ولا يعول على البحث ، فإنه مقام نقل لا بحث» [ويظهر بالمقارنة مع ما هو موجود في الدر أنه تعليق ابن وادران (أو صاحب المسودة) لأنه غير وارد في الدر]. وفي موضع آخر (128ب) يقول : «وأظن» . ولعل القائل هو ابن وادران . وفي موضع واحد فقط (219ب) نجده يقول : «نقلته من بعض الخطوط» . (وقد جردنا المواضع التي جاء فيها ذكر المسودة ، ص 713) . ومن تحرياته التاريخية ردّ سند الى عبد الله بن المبارك (237أ-237ب) . حيث نجد المؤلف يحقق في حديث رؤية ابن المبارك لزبيدة في المنام (237أ-237ب) .

وطريقة جمع أخبار هذا الكتاب (المسودة) هي المعهودة غالباً في مثله من الكتب وهي : «ذكر ، حكى ، نقل ، روي ، قيل» ، بصيغة المجهول . ونجده يتبع طريقة تأليف الأخبار مع الاشارة المتصلة بها . وكان معظم المؤلفين يأخذون الأخبار عن الحديث الواحد من جملة مصادر يوردونها بأعيانها مراعاة للاختلافات النصية بينهم . وكان هذا شأن الطبري على سبيل المثال ، أما الواقدي وعدد آخر من المصنفين فكانوا يستخدمون للخبر الواحد عدة مصادر غير أنهم كانوا يضمّون الاسانيد في أول الكلام مع عبارة «دخل حديث بعضهم في حديث بعض» .

وليس هناك استطراد كثير في الكتاب ، ولكن وحيثما وقع يعود بنا المؤلف الى ذكر ما كان بصددده ، فيقول مثلاً ولنرجع الى ذكر الرشيد أو الامين أو المأمون . . الخ . انظر 29ب ، 37ب ، 86أ ، 87ب ، 112أ ، 173أ . وربما ندّت عن المؤلف ، أو عن ابن وادران ، بعض الانخطاء الراجعة الى رسم الكلمات ، في 8ب (سدات = سادات) ، 9ب (عمرو بن أبي ربيعة = عمر لمن أبي ربيعة) ، 12ب (العظيمي = العظمي) ، 36ب (الكاسم = الكاظم) ،

131أ (ثم إن أبو السرايا = . أبا السرايا) وأخطاء أخرى أشرنا الى بعضها في هامش التحقيق (انظر الحديث فيما يلي عن تحقيق النص) مثل «هجي» (35أ) وأصله واوي وكذا جرى وجزى ، فقد كتب الاولى بخلاف الثانية . الورقة 39ب ، قد تكون جاءت من صعوبة القراءة في المسودة أو من أخطاء صاحبها وقلة علمه بأسماء من أخطأ في ذكرهم ، من ذلك ايراده شعراً «لعمر بن ثابت» وإنما هو عمرو بن بائة ، و133أ ، ومثله «صریح الغواني» ، في موضع صريح الغواني وهو الشاعر المشهور ، مما يدل على ثقافة المؤلف أو الناسخ المشرقية الضعيفة . وقد لاحظنا عند التحقيق أن جهله بموازين الشعر أوقعه في كثير من الخلط بين الصدور والاعجاز مما كانت تدركه الاذن العروضية لا محالة ، مثل هذا البيت الذي كتبه بصورة واضحة ولكن خفي عليه أنه مكسور وغير متعادل الشطرين :

ناديته من ذا الذي أرجوه لي فرج نادى أنا فرج زن لي كرا بيت
وإنما هو :

ناديتُ من ذا الذي أرجوه لي فرج نادى أنا فرج زن لي كرا البيت

وذكرنا فيما بعد ، في فقرة تحقيق النص أننا صوّبناه وغيره دون إشارة أو تعديد على المؤلف لكي لا نشغل القارئ عن القراءة المسترسلة (195ب) . وربما يرجع الى مميزات الكتابة في عصره رسمه «لاكن» كما تلفظ أو من قبيل الاصطلاحات المخالفة للقواعد ونجدها شائعة في بعض العصور . مثل «عفى» عنده بالالف المقصورة دائماً ، وإنما هو واوي ، و«الغيظ» وما اشتق منه دائماً بالضاد على غير الصحيح في المعاجم ، و«ربيع الاولى» في المرات التي ذكرت فيها (343ب) . وله أحوال غريبة أحياناً في رسم الهمزة مثل هذه الكلمة «سوئني» التي لو لا ورودها في الشعر لعجزها عن التفتن الى أنها ليست غير «سأئني» (61ب) . ووقفنا في هذا الكتاب على أخطاء ربما

عددناها من قبيل كلال الذهن عن التمييز بين الصحة والخطأ والاكتفاء بتصوير ما تراه العين من حروف بعض الكلمات دون فهم ، فلقد أورد شعراً لابراهيم بن المهدي في رثاء الامين والتشنيع على قاتله طاهر بن الحسين هو غاية في جهل المؤلف بما ينقل أو يكتب ، وكذلك في شعر لخزيمة بن الحسين على لسان زبيدة في الموضوع نفسه ، حتى أن اسم زبيدة كتبه ابن وادان «زهرة» (118أ) ونظرا لفقدان هذا الشعر من الدرّ (انظر عن هذا المخطوط فيما سيأتي) تبدّى لنا كأن صاحب الدرّ تلافى نقل هذا الشعر عندما عجز عن قراءته في المصدر الذي ينقل منه .

ولو لا رجوعنا للتحقيق فيما ينقله من الامهات التي يذكرها لأعجزنا سوء تبييضه للمسودة أحياناً عن تصحيح كثير من أخطائه . فهل يستطيع الانسان أن يخمن عن وجه الصحة في قوله نقلاً عن المبرد بأن أبا العتاهية كان استأذن في «أن يطلق له ابن مهدي الى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان . . .» ، وكلمة «ابن مهدي» واضحة تماماً وتدفع الى الصحة ، بينما لا وجود لابن مهدي في الخبر ، وإنما هو : «في أن يطلق له أن يهدي . . . الخ» (182أ) .

ونحن نعتقد على هذا الأساس أن الكتاب لم يراجعه صاحبه بالكامل بعد الفراغ منه ولم يقع بعده بين أيدي قراء متمكنين من التاريخ والعربية ليجروا عليه التصحيحات اللازمة .

وهناك غير قليل من العبارات عنده تسقط من المصادر المطبوعة أو يقفز عليها المؤلفون بسبب غموضها أو بسبب توقفهم عن قراءتها ، ورغم ما تحدّثه أماننا موافقهم من تشكيك وتشبيط ، إلا أننا نوفّق في كثير من الاحيان الى حل لغزها وتوضيحها . وفي المرات القليلة نصوّرها كما وجدناها لعناية القاريء . من ذلك مثلاً ما يضمّره المأمون لطاهر حين قال لمن سأله عن سبب بكائه لمّا دخل عليه ، قال المأمون : إني ذكرت محمداً أخي ، وما أتاله من الذلّة ، فخنقتني العبرة . وأين يفوت طاهر مني . والله لأخذنه بدم أخي وأين تروح الشمس من

القصاصات !» . فلقد سقطت الجملة الأخيرة «والله لأخذنه . . . الخ . بسبب غموض كلمة القصاصات (132أ) ، التي وردت في النص «القصاصات» بينما السياق يدل على أنها القصاصات أي اللائي بقصّرَن الثياب ويطلبين الشمس لذلك . وفي بعض المواطن من الدرّ قراءات مضحكة وتكاد تصدّق بينما المقصود خلافها ، من ذلك قول لقمان لولده : «يا بُني احذر الكذب ، فإنّه شهى كلحم العصفور !» (120أ) وهو تصحيف واضح للعصفور ، وهو ولد البقرة الوحشية أو التيس من الظباء (149أ) .

ولآبن وادران أو للمؤلف ميل الى كتابة فعل «استوسق» بسين ثانية وهو يريد استوثق وقد صححها في بعض المواضع (130ب) . ومن أخطائه الشائعة إضافة ألف الجماعة في الفعل المفرد «يحلوا» وهو يريد المفرد (85ب) . وهناك أخطاء نحوية واضحة قد يكون مردّها إجراء الكلام على عوانه في بعض المخاطبات بدون اعراب ، مثل إثبات لام المعتل الآخر في الامر (أذّي ، 136أ) . ولكن نعجب أحياناً لتكلف الاعراب في «وهو فزعاً مرعوباً» على غير وجه (81أ) . وقد يدل هذا على ضعف عربية الكاتب الأصلي أو لبن وادران نفسه . والاكثر عندنا ابن وادران ، لأن هذا الضعف يظهر بصورة مؤكدة في العبارات القليلة التي تدخل بها بنفسه في سياق المسودة وجاءت على قدر كبير من الاخطاء الكتابية ، والاسلوبية ، وخاصة منها قوله ، دون تصحيح من جانبنا هنا للكلمات المسطورة : «قد كنت ليلة الخميس ، ثالث عشر شهر ربيع الثاني سنة اثنين وسبعين ومائة وألف اشتغلت بالنظر في هذه المسودة قبل تبويبها ، وقد أرقتني السهر ، ومللت النظر ، فأخذت مضجعي ونمت . وقد استغرقت النوم وإذا أنا بهيئة ، لم أشعرها بعد الانتباه ، وكأنّ شخصاً يخاطبني وهو يقول لي : ثلاثة تنزل الرحمة عند ذكرهم ، الحسن والحسين وعبد الله بن المبارك . فاتبعت وأنا أقول ذلك ، واستيقضت عند قولي والحسين ، ولم أذكر الثالث الا يقضة ، ولم أشعر بغير ذلك ولم أتذكر الرجل على أيّ هيئة هو ، وقد سررت

برؤيايا والحمد لله .

ولكن هذا كله لا يقلل من عمله ، بل بالعكس يجد عمله لدينا أكثر من موضع إعجاب وتقدير ، وسنقف بعد قليل على التناظر بينه وبين صاحب الدرّ الذي قلنا فيما تقدم إنه صاغ كتابه على نحو كتاب ابن وادران ، إن لم يكن كان ينقل منه مباشرة أو من أصل مشترك لهما .

6 - أهمية الكتاب

وهذا اللون من التأليف في أخبار الخلفاء ومن عاصرهم من الأمراء والوزراء والعلماء والكتاب والشعراء ، بطريقة انتقائية لأعيان منهم وبشكل متسلسل كان معروفاً قبل مسودة ابن وادران ، ولكن العناية في عصر مجهول هذه المسودة وعناية ابن وادران بها بعده هو الطريف في الامر ، لأن المشروع في حدّ ذاته قد يحمل على أكثر من مجرد الإعجاب بقسم من الخلفاء العباسيين ليصور مدى ما تمثله الخلافة العباسية في أطوار قوتها ونفوذها من اعتزاز بها في زمن تنكّدت فيه الحياة على ذوي النفوس الأبية بسبب العيش تحت حكومات مقطّعة أو منقطّعة عن أمجاد دول الاسلام الكبرى .

كما يشير هذا التأليف لمجرد ضم أخبار الافريقين من ولاية بني العباس اليه أهمية الدولة الاسلامية قبل أن تتوزعها الخلائف وتكون أقصى البلاد كإفريقية تحت حكم سلطة واحدة مركزية وتكون الدولة الكبرى في أوج الترابط مع أقاليمها حتى لا تطمع فيها الاعداء . وإن كان هذا الضم للكتاب للأصلي ترك الانطباع لدينا بإمكانية التفكير في نسبة ابن وادران الافريقية .

وقد لا نجد كتاباً خص عمّال بني العباس في افريقية الى نهاية الاغلبة إلا هذا الكتاب ، لأن الكتب التاريخية الأخرى لم تتحرر هذا التحديد الذي أمّلته مناسبة الكتاب ورغبة الربط فيه بين خلفاء بني العباس وولاتهم في افريقية الى حين خروجها من حكمهم . ورغم أن أهميته من هذه الناحية قد قلّت لظهور

مدونات تاريخية أخرى كالمقطعة المطبوعة من كتاب الرقيق إلا أن اكتشافه في أواسط القرن الماضي قد قدّم خدمة جليلة للدراسات الافريقية في العصر الاموي والعصر العباسي وخاصة لمؤرخي الدولة الأغلبية التي كانت تعوزهم المصادر المتخصصة . ولم يكن كتاب المختصر لأبي الفدا قد طبع أو الكتب التاريخية التونسية المتأخرة التي أخذت عنه كالحلل للوزير السراج قد طبعت . (والمقارنة بينه وبين الكتاب الثالث من «المونس في أخبار افريقية وتونس» لابن أبي دينار القيرواني حملت شربنو على تقدير أن يكون كتاب المونس مجرد تجميع لما في ابن وادران ، ويمكن المقارنة كذلك بالخلاصة النقية في أمراء افريقية للباقي المسعودي المتوفى 1297هـ/1880م) .

وسواء نظرنا اليه من جهة أخبار الخلفاء الذين يستعرضهم ويستعرض الوجوه المشهورة في عصرهم أو من جهة عمالهم بإفريقية فإن المصادر التي رجع اليها المؤلف الاصيل - ويقدر أقل ابن وادران - تضعنا أمام حشد لا مثيل له في المدونات التاريخية السابقة من أسماء الكتب التي استفرغ المؤلف ما فيها في هذا الكتاب ، حتى لنكاد نظن أن مؤلفه ما فرط في الكتاب من شيء يتصل بالعباسيين في تلك المراجع . وقد بلغت لدينا في العدد أكثر من ثمانين إسماً وعنواناً . وورغم أن أكثر هذه المراجع معروفة ولكنها ومن غريب ليست المستعملة عادة في التاريخ العباسي ، ربما لأنها متأخرة كثيراً عن العصر وربما لأنها منشورة دون تحقيق (من ذلك مثلاً كثير مما وقفنا عليه من سوء قراءة فيما نشر من الفرج بعد الشدة وفي بعض الكتب التاريخية . ففي البداية والنهاية في ترجمة مالك بن أنس أنه ابن غيلان ، والصحيح «ابن غيمان» كما ضبطه ابن خلكان) وفهرسة تُيسر استخدامها ، وربما أيضاً لأنها أصبحت في حكم النادرة أو المفقودة . ومن هذه المراجع تاريخ ابراهيم الاشعري وتاريخ العظمي وتاريخ القضاءي وتاريخ البدري وكتاب ابن المتوج في عجائب مصر وكتاب الوزارة لجحظة البرمكي وكتاب الوزارة لابن عبدوس وكتاب مناهج الفكر

للوطواط وغيرها .

وهناك مرجع واحد أثار لدينا عظيم الاستغراب ، وهو نسبة كتاب في التاريخ لابن رشيقي القيرواني ، ويظهر أن هذا الخطأ متواتر في التاريخ ، إن لم يكن حقا لصاحب العمدة كتاب حقيقي في التاريخ وليس فقط ذلك الكتاب المشار اليه غالبًا في ترجمته بعنوان ميزان العمل . والغريب أننا نجد أحد كبار المفهرسين وهو حاجي خليفة يسوق في كتابه كشف الظنون ثبوتا لـ «تواريخ القيروان» ، منها : «تاريخ أبي علي حسن بن رشيقي القيرواني المتوفى 463» وفي موضع آخر يذكر : «ميزان العمل في التاريخ لحسن بن رشيقي القيرواني المتوفى 456 ، اقتصر فيه على عدد الايام من دول الملك» ، واختلاف تاريخي الوفاة لا ينفي كون المقصود بهما واحد ، لأنه بالتاريخ الثاني أي 456 يذكر كتاب العمدة وقراضة الذهب وكلاهما لابن رشيقي كما هو معلوم . ولا ندري إن كان المقصود كتابين في التاريخ أم كتابًا واحدًا . بيد أن أكثر الباحثين يخامرهم الشك في نسبة كتاب في التاريخ لابن رشيقي بالمرّة . لكن من المحقق لدينا أن الموضعين أو أكثر التي ذكر فيها نقل عن ابن رشيقي يتعلق بالتاريخ لا تخص إلا ابن الرقيق أو الرقيق كما يلقب غالبًا ، صاحب تاريخ افريقية والمغرب المشهور .

أما المصدر الذي يأتي في الطليعة وتقع المراجعة عليه في كثير من مواد الكتاب وعند التحقيق في الكثير من مسائله فهو كتاب الملك المؤيد أبي الفدا المعروف بالمختصر في أخبار البشر (أو مختصر تاريخ البشر) ، المطبوع عام 1325هـ ، والباقي الى الآن دون تحقيق وفهرسة (ويتناول مختصر أبي الفدا التاريخ من عهود ما قبل الاسلام الى سنة 729 للهجرة ، وهو من أشهر التواريخ في عصره ، وذيله كثيرون منهم ابن الورش وابن حبيب الدمشقي وابن شحمة الحلبي . (وأبو الفدا هو اسماعيل بن علي ، الملقب بالملك المؤيد ، من ملوك الدولة الايوبية ، وكان صاحب حماة ، عاش بين سنتي 672 و732/

1273-1331م ، ترجم له في الدرر الكامنة 371/1 ، والبداية والنهاية 158/4 ، فوات الوفيات 16/1 ، طبقات السبكي 84/6 وغيرهم) .

وقريب من نصف ما اعتمد عليه أبو الفداء من الكتب مفقود اليوم ، وبعضها أصول جيدة بالنسبة لما هو مطبوع منها اليوم . يقول في المقدمة : « . . فاخترته واختصرته من الكامل لابن الاثير الجزري من ابتداء الزمان الى 628 هجريا ، تجاريب الامم لابن مسكويه ، من تاريخ أبي عيسى أحمد بن المنجم ، من التاريخ المظفري للقاضي شهاب الدين ابن أبي الدم الحموي في ستة مجلدات . من تاريخ القاضي ابن خلكان المسمى وفيات الاعيان ، من تاريخ اليمن للفقير عمارة ، من تاريخ القيروان المسمى بالجمع والبيان للصنهاجي (المعروف بابن شداد القيرواني) ، من تاريخ الدول المنقطعة لابن أبي منصور ، من تاريخ ابن سعيد المغربي ، من تاريخ حمزة الاصفهاني ، من تاريخ خلاط . . الخ » .

ومنه أهمية ابن وادران في هذه الميضية ، لتصحيحه على النسخة التي كانت بين أيدي المؤلف أو تحت يد ابن وادران من خلال ما نقله عنها في هذا التأليف .

وبالباب الآخر من أهمية ابن وادران في هذه الميضية هو احتفاظه لنا بمعلومات هامة وأخبار لا غنى لنا عنها في وقائع غير قليلة من تاريخ العباسيين والمتصلين بهم من العلماء والكتاب والشعراء . ففي غضون هذه المدونة العباسية الهامة التي تضم سير ست من أعظم الخلفاء من بني العباس والتي تصوّر الحياة في عصورهم في أطراف جوانبها وأكثرها اعتباراً ووعبرة نجد أخباراً مهمة لا تكاد تُعرف تفاصيلها ، من ذلك ما يتعلق بالبرامكة وظروف نكبتهم على يد الرشيد ، ومن ذلك أيضاً قيام الدولة الطاهرية في عهد المأمون وما حَفَّ بها من ملاسبات ، نحمد لصاحب هذا التأليف إرادتها وتتبعها . ومن طريف ما تفيدنا به تلك القطعة التي أضافها ابن وادران للكتاب والتي تتعلق بأخبار عمال بني العباس بإفريقية حديثه عن الطنبذي . وهو منصور الطنبذي

الذي ثار بإفريقية على عهد المأمون . فلا نعلم حسب علمنا بأخباره في كتب التاريخ المعروفة من قال لنا من المؤرخين إنه كان مُظهراً للأمين على المأمون وأن ثورته كانت تتغذي بذلك ومن الفتنة التي كانت بين الاخوين في بغداد وخراسان ، يقول (346) : «وكان [منصور الطنبذي] من قواد الجيش وفيه ميل لمحمد الأمين . . واستولى على إفريقية وبرقة والمغرب كله ودام أمره نحو اثنتي عشرة سنة وآخر الأمر انتصر عليه أبو العباس عبد الله [بن ابراهيم بن الأغلب]» . وهنا يلاحظ المترجم (شربنو) أن المؤلف أخطأ في اسم أبي العباس لأن الثورة وقع الانتصار عليها في عهد زيادة الله الاول (قد يكون الأمر مجرد رواية وليس خطأ من المؤلف) . ولا يذكر صاحب كتاب إمارة الاغلبة (ص 170) ميل الطنبذي للأمين (علماً بأن ابن خلدون الذي نجده ضمن مراجعه أشار الى صلة ثورة الطنبذي بالأمين) ولا ينص بالمرّة على ابن وادران في هذا الصدد .

ومثل ذلك أيضاً ذلك الاستجواب الهام للمأمون (129أ) حول مشروعية خلافته غير المعروف في المصادر التي بأيدينا ، اللهم خيراً مشابهاً في ابن بابويه . ومن المهم جداً الإشارة الى آثار مصر الاهرام والخييل في ابن وادران لطرافتها (245ب وما بعدها) .

أما أمتع ما وقعنا عليه من نوادر هذه المسودة التي أحسن ابن وادران صنعاً بتبويبها ، فهو عشرات الفقرات التي تصل الى حد العشرين صفحة (220أ-230ب) من كلام سهل بن هارون الكاتب ، المفقود كثير من تراثه في الفلسفيات والموسيقى . فقد أعثرنا الحظ في هذه المخطوطة الفريدة ، التي أنقذت من الاهمال والنسيان ، على مباحثة طويلة بين سهل والمأمون عن فلاسفة اليونان وعلومهم في الحكمة والطب والموسيقى ، قد وقفنا عجباً لفقدائها في معجم ابن أبي أصيبعة والقفطي ، وكذلك في ابن فاتك ممن ترجموا لأولئك الاعلام من الإغريقين ، الذين ذكرهم سهل في مباحثته مع المأمون ، وإن كان قد يقلل منها قول ابن

وادرنا: «والظاهر أنها ليست جميعها مخاطبة سهل للمأمون وإنما أدخل فيه كلام غيره مع عدم تبينه والله أعلم» (230ب). (وسنجد نص هذه المباحثة وبصورة أكمل من حسن الحظ في الكتاب المنقول عن مصدر مجهول أيضاً - لعله أصل ابن وادران أو مسودته كما قلنا - وهو كتاب الدر).

ويمكن أن نكتشف أشياء أخرى جديدة بالنسبة لمعلوماتنا التاريخية غير ما ذكرنا ، من ذلك نص منقول من الرقيق يؤكد صحة الكتاب المطبوع للرقيق وهو خبر رُوح (تاريخ إفريقية والمغرب ، ص 172 . وقارنه بما في ابن وادران و355ب) . وأخبار عريب التي قد يكون أوردها ابن المعتز في طبقاته ليس منها شيء يذكر في الطبقات المطبوع بالقياس إلى ما هو منقول عنه في هذا الكتاب بل لعله منقول من كتاب آخر لابن المعتز ضائع الآن هو «الجامع في الغناء» .

ومن تحرياته التاريخية ردّ سند إلى عبد الله بن المبارك (حيث نجد المؤلف يحقق في حديث رؤية ابن المبارك لزيدة في المنام 237أ-237ب) .

وهناك نصوص عديدة من الفرج بعد الشدة للتونخي تنقص أو تختلف عن طبعته المعروفة وتتمايز - فيما يظهر من بعض المقارنات - عن نسخته المخطوطة في مكتبة باريس (انظر من ذلك الورقة 133ب وما بعدها وقارن رواية التونخي هنا وفي كتاب سوردا على مخطوط باريس في ص 220 ذكر فيه حكاية ابن عبدوس ، و135ب الخ) .

وأطول حكايات الفرج بعد الشدة (98-102) محشورة بالاختفاء المطبعية مقارنة بنصها هنا .

وهناك قصة طويلة في الفرج بعد الشدة غير موجودة في المطبوع منه (انظرها في 133ب) ، وأخرى كذلك (انظرها في 137ب) ، وأخبار أخرى فيها معنى الفرج بعد الشدة ومنقولة عن التونخي وليست في كتابه المطبوع (انظرها في 149أ و258ب و308أ) .

وعندما ينقل مؤلفنا عن التنوخي يميّز أحياناً بين كونه ينقل من كتابه الفرج بعد الشدة وبين كونه ينقل من كتاب له غيره فيما يظهر في ص 22أ .

ومن المخطوطات التي فقدت بالنسبة لنا الآن والتي كانت بين أيدي مؤلفنا نسخة منها أكمل ، أو بين أيدي من نقل عنه ، كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان . ففي التحقيق الاخير المنشور من هذا الكتاب خطأ عجيب في ترجمة موسى الكاظم : حيث قال له المهدي : «فتوّمّنتي على أن لا تخرج عليّ أو على أحد من أولادي . فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هم من شأنني !» نجدها في التحقيق المذكور للدكتور إحسان عباس بحذف «علي» و«لا» النافية . (انظر أخبار موسى الكاظم في 35ب وما بعدها) .

وهي أكمل أيضاً من المطبوع بدليل ما جاء في ترجمة عبد الله بن المبارك (84أ-84ب . راجع ابن خلكان 629/8) .

وهي أدق من المطبوع كما تبين لنا أيضاً بعض الامثلة ففي حديثه عن مآثر أبي دلف ذكر مدينة الكرج التي أتمها بعد أبيه ، وتهجّى بالعبارة حروفها (بفتح الكاف والراء وبعدها جيم) استناداً الى ابن خلكان بينما هي بالخاء في الوفيات (77/4 ، طبعة د . إحسان عباس) ، في التباس واضح بينها وبين الناحية المسماة الكرخ من بغداد (262أ) .

ومما يلاحظ على مؤلفنا أنه لا ينقل دون تصرف . مثلاً في خبر الفتنة بين اليمينية والمضرية بدمشق قي أول خلافة الرشيد نراه يقدّم السبب على النتيجة ، ص 12أ .

كما يجب التنويه هنا بقدرته على المقارنة بين الروايات التي ينقلها (و136أ مثلاً) وعدم إهمال التباين بينها . وإذا اتحدت روايتان أو أكثر إلا يسيراً من الاختلاف في العبارة ذكر ذلك ووقف عنده . وكذلك التنويه بتصحيحه بعض التواريخ المرجوحة (حيث نراه بعد النقل عن ابن خلكان يأتي بتاريخ مغاير ويقول الاول أصح . 285أ) .

ويمكن أن نفتقد عنصر التاريخ بمعناه الدقيق لرجال هذه الفترة وأحداثها الكبرى والمؤثرة ، ولكننا لسنا في الحقيقة بإزاء كتاب تاريخ ، بقدر ما نحن أمام لون من التأليف الأدبي القريب الى الامتاع والاثارة الفكرية المتنوعة . وهي لوحات ومشاهد مقصودة لذاتها ، أي مقتطفة من سياقها دون تمحيص إخباري دقيق كما يريد ابن خلدون ، لأن الهدف منها ليس التاريخ بقدر ما هو نقل انطباع مستحسن أو مستهجن عن الاشياء والاشخاص . فهو غرض أدبي لوحده . ولا يمكن أن نقلل من أهميته لمجرد خلوه من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي كما نقول اليوم لهؤلاء العباسيين الذين يعنون الكتاب بهم نفسه . فهناك مدونات تاريخية أخرى يمكن أن تكمل الصورة التي نفتقدها في هذا الكتاب عن شخصية الرشيد أو الامين أو المأمون أو المعتصم في جوانب عظمتها الأخرى أو ضعفها الأخرى .

ومطالعة هذا الكتاب اليوم قد لا تفيد تاريخاً كثيراً بالمقاييس الموضوعية ولكنها تفيد بالمقابل أدباً جمياً ولغة ثرية غنية متنوعة استغرقت مختلف ألوان التعبير عن أغراض الحياة والدين ومجتمعات الحكم والسياسة واللهو والطرب والنساء والمرافق العامة في البادية والحضر . وهي مفردات ومصطلحات نفتقد اليوم الكثير منها على لساننا للتعبير بها عن نفس الاغراض أو ما يشبهها أو يقوم مقامها ، بسبب التيات لسانها باللسان الاجنبي وسبقه الى مفرداته دون مفرداتنا العربية الاصلية ، جهلاً منا بها أو لقلة جريانها على مخاطباتنا . ولذلك فقي إحياء هذا الكتاب ونحوه إحياء لها ومقاومة لحركة التغريب التي نعاني منها الى الآن . وتلك الكتب القديمة المؤلفة بأسلوب عربي أصيل ولغة هي لغة الناس في ذلك الوقت ، دون عجمة غالبية ودون حصر في السنة أقوامها بسبب غلبة أجنبية أو هجنة لغوية أو انقطاع عن الأصول والتراث هي الكتب المفتقدة اليوم في مطالعاتنا ، ولكنها هي المفيدة اليوم لإعادة لساننا سليقته القديمة وتركيبته بمواد لغته الجديدة التي بإمكانه أن ينسج أكثر مفرداتها من مدوناتنا القديمة .

فالمطالع لهذا الكتاب يجد هذه المتعة بلغته عندما يصادفها على لسان أكثر المتطبعين بها تجري كالماء الرقاق لا تتعثر في شيء أو تفتقد المعنى لشيء ، أقصد أو تفتقد العبارة لشيء من أغراض حديثها وخطرات بالها ، صغرت ما صغرت أو كبرت ما كبرت .

وهو وإن كان فيه ، كما أشرنا ، من الحكايات والمخاطبات ما يخدش عادة الحياء بين عامة الناس ، إلا أنه ليس مما يمنع تداوله في المقامات الخاصة للطرافة وطلب الضحك . ولم يتأخر قديماً ابن منظور عن تدوين أخبار أبي نواس على منافاة ما فيها للآداب العامة ولا تورّع الشيخ ابن عاشور حديثاً من نشر أشعار بشار على سوء ما فيها على الاخلاق والدين ، ولا تخرج السابقون من المحدثين عن مرويات كثيرة من الاحاديث والآثار التي ربما تأفف بعض الناس اليوم من سماعها فضلاً عن نسبتها اليهم . وربما كان يقال بكل أدب : لا حياء في الدين ولكن ربما كان ينبغي أن يقال كذلك بكل دين : لا حياء في الادب !

ويظهر أن مؤلف الكتاب أو مبيّنه ، لم يكن أحدهما أو كلاهما يتحرّج من هذه الاخبار الشنيعة ، بل ربما أوحى لبعضهما أن يصفها باللطائف ويروقها بالحرير الأحمر والقلم الغليظ ليُعْلِمَها في كتابه (انظر اللطيفة - كما يسميها - في ص 339 ب) .

7 - من هو ابن وادران

سمّى ابن وادران نفسه في هذه المخطوطة مرتين بما لا يزيد عن الاسم واسم الأب واللقب ، وهو حسين بن محمد وادران . جاء ذلك في مقدمة التبييض وجاء ثانية في آخره . غير أننا في غضون الكتاب نجده يذكر نفسه عرضاً في أثناء حديثه عن تنزل الرحمة عند ذكر المحدث الكبير عبدالله بن المبارك ، يقول : (184) : « . . . وروي أنه عند ذكره (يقصد عبدالله بن المبارك) تنزل الرحمة . قال فقير الديان حسين بن محمد بن وادران : قد كت

ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف
اشتغلت بالنظر في هذه المسودة قبل تبويضها وقد أرقني السهر ومللت النظر
فأخذت مضجعي ونمت وقد استفرقت النوم وإذا أنا بهيئة لم أشعرها بعد
الانتباه وكأن شخصاً يخاطبني وهو يقول لي : ثلاثة تنزل الرحمة عند ذكرها ،
الحسن والحسين وعبدالله بن المبارك ، فانتبهت وأنا أقول ذلك واستيقظت عند
قولي والحسين ولم أذكر الثالث الا يقظة ولم أشعر بغير ذلك ولم أتذكر الرجل
على أي هيئة هو ، وقد سررت برؤياي والحمد لله . فهو هنا يتبرك باسمه حسين
دون ما يفيلنا أنه ينزع نزعاً شيعية .

وقد قلنا إنه بتفكيره في إلحاق تراجم عمال بني العباس بإفريقية بالكتاب قد
يدلنا على إفريقيته ؛ وإن كان خلطه في نسبة كتاب قطب السرور لابن رشيق
يشككنا في الأمر ، الا على فرض معرفته غير الدقيقة بعلماء القيروان ، أو على
فرض أن يكون ذلك مجرد وهم منه أو من صاحب المسودة . وقد تكرر . ولم
نستبعد على أساس ذلك عدم سبق اشتغال ابن وادران بالتاريخ قبل هذا
الكتاب ، ولو كان ممن يتعاطون هذه الصناعة نطقاً لكان تجرأ على است فراغ
الكتاب في صياغة نحلها لنفسه دون تعيب أحد عليه كجمل المؤرخين . وربما
تدلنا كلمة قالها في حديث تسميت العاطس وما يجوز فقها في حالة نسيانه
التحميد أنه من أهل الفقه أكثر منه من كتاب التاريخ (184) .

كما قد تدلنا عنايته بالحساب بمناسبة تدقيقه في مقتل الأمين (118ب)
وكذلك تأريخه بطريقة كسرية ملغزة للفراغ من كتابه (353ب) على فطنته
فيه . فإن من يقرأ مثل هذا الكلام يقف على رجل لا يخطئه وجه الصواب في
الاعداد ، فهو يقول : «وذكر الملك المؤيد في مختصره والخطيب في تاريخ
بغداد وغيرهما أن قتل الأمين كان لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين
ومائة ، قلت : وهنا كلام لمن تأمل في عباراتهم ؛ فإنهم يقولون إن الأمين خرج
لخمس بقين من المحرم ثم يقولون وكان قتله لست بقين من المحرم ، وهذا شيء

سبقت اليه أفهام النساخ وزعموا بذلك الاصلاح حيث وجدوا أن خروجه كان لخمس بقين . ومعلوم أن ما بعد الخمسة من الاعداد يكون «ست» إذا سرّدت الاعداد ، فجعلوا قتله كان لست بقين ، ولم ينظروا الى لفظة «بقين» وما فيها من معنى الإسقاط ، لأنه إذا بقي عدد من الشهر ثم جاء يوم وأسقطه أيضًا يكون الباقي أقل من العدد الاول كما في هذا ، إن خروجه كان لخمس بقين من الحرم ، فليتدبر (في الاصل : فلتدبر) وليراجع النقل في ذلك ولا يعول على البحث ، فإنه مقام نقل لا بحث» . والعبارة الاخيرة في هذا الكلام تدل على أن المتكلم هو ابن وادران لا المؤلف الاصيل .

أما تفضيله لطريق الكسور المملوغة لتأريخ الفراغ من تبييض الكتاب ، وهي قوله : (364ب) «ووافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب في أول جزء من نصف السدس الخامس في أول سبع من السبع السابع من الخمس الخامس من السدس الخامس من الربع الثالث من الثلث الثاني وهو ثاني الخمس الاول من العشر الثامن من ثاني السدس السادس من الهجرة النبوية» ، فإنها لا يمكن أن تدل إلا على رجل من الخذاق في عمل الحساب ، وربما رجل من أصحاب التقاويم والرياضيات . وليس بغريب إن كان فقيها أن يكون كأغلب الفقهاء على علم جيد بالحساب للحاجة اليه في الميراث والمقاسمات .

ومن المعلوم أن هذه الطريقة لتأريخ الاشياء قد لا تختلف في الغرض منها عن الطريقة الاخرى القائمة على حساب الجمل وهو ضبط التاريخ بالحروف استنادًا على اعدادها الاصطلاحية في جدول الابدادية . وما عمد اليه ابن وادران قد يكون لجأ اليه لضبط تاريخ لا يريد أن يعتوره التحريف . ونجده على اهتمام ومعرفة دقيقة بأصول التاريخ بالحروف الابدادية في الموضع الذي يقارن فيه بين تاريخ ذكره بعضهم لوفاة الامام مالك والتاريخ الذي ضبطه بالحرف شعرًا الشيخ أبو مهدي الثعالبي الجزيري ، الورقة 18أ .

ولم نقف على أصل لما ذكره شربنو من أن ابن وادران كان يتولى خطة

الوزارة في فاس بُعيد وقت من حكم الاغالبية (انظر مقدمة الترجمة) . ولعل أول من صحّحه هو 'أماري' في المكتبة الصقلية بصدد ما نقل منه عن هذا البلد ، فقد أشار في تعليق له نقلا عن ابن أبي الضياف أن ابن وادران الذي ذكر اسمه بالكامل كان يعيش في منتصف القرن الثامن عشر . وروكلمان الذي أشار الى ما نشره شرينو من ابن وادران اكتفى بوضعه في القرن الثامن عشر (GAL, S. II, 689) دون ذكر المصدر ودون إشارة الى مكان وجود مخطوطه . وهو ما أوقع الاسف لفقدته عند بعض الباحثين المتأخرين (انظر الطالبي ، إمارة الاغالبية ، ص 170) . ولكن كيف غاب عن شرينو أن يفحص سرّ التاريخ الذي ذكره ابن وادران في آخر الكتاب بطريقة ملغزة ، أو كيف لم يهتد الى إشارة المؤلف في موضع داخل الكتاب الى تاريخ تبييضه للمسودة . هل تكون القطعة المتعلقة بأنخبار الاغالبية هي كل ما وقع بيده من الكتاب ؟ ذلك هو الاحتمال الاقرب . (انظر ما تقدم ص 10) .

والطريف في شخصية ابن وادران أنه لم يتعفّف عند تبيض الكتاب مما يتعفّف من ذكره عادة كثير من المتشددّين ، نقصد ما وجدته في المسودة من الاخبار والنوادر والاشعار من جنس تلك التي أقل ما يقال فيها أنها لم تكن لتحرّر تحت قلمه دون تحوير لو كان من أولئك الفقهاء المتزمّتين . وقد أشرنا الى ذلك سابقاً . فيظهر أنه كان من أقلّ أهل زمانه تحرّجاً في رواية الاخبار بنكهتها الاصلية دون تشذيب فيها لتشددات أخلاقية . فقد كان كما يقال عن مثله رجلاً واسع العطن كثير التقبّل للملح القدماء وممازحاتهم الأدبية . ولا يمكننا الا أن ننوه بأمانته في النقل . ولا ندري إن كان ينبغي ردّ هذه الميزة الى صاحب المسودة قبل ابن وادران أم اليهما جميعاً .

ومن جوانب الطرافة الأخرى في الكتاب ، ذلك اللغز المحير عن تاريخ الفراغ منه . فنحن نجد أنفسنا أمام لغز من أشدّ اللغز تعقيداً . وهو مبني على كسور رياضية متعلقة بمجهول . وكان لا بد لمحاولة حل ذلك اللغز من الرجوع

الى المؤلفات التي عالجت هذا الفن . وهو فن يظهر أنه ازدهر في عصر ابن وادران فضلاً عن العصور المتأخرة ، طلباً للتأنق في التأليف أو بحثاً عن الابتداع والتجديد . ونجد أصول هذا الفن مبسطة في كتاب مفتاح السعادة لطاش كبري زاده (المسمى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، طبع حيدر آباد الدكن ، 1329 ، 224/1 - رقم 35) وفي كتاب : تسهيل المجاز الى فن المعنى والالغاز لطاهر بن صالح الجزائري ، دمشق ، مطبعة ولاية سورية 1303 ، ص 128 (ذكر فيه الكتب التي وضعت في هذا الفن بالفارسية والتركية والعربية ، وعليه نقد في المقتطف 18/ (1889) : 253 . وانظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مقال «المعنى» ص 658 ، محمد بن شنب) .

ولما كنا لم نتوصل الى ترجمة لابن وادران في المظان المعروفة ، فقد فضلنا الإشارة فيما يلي الى أكثرها لتجاوزها هنا والبحث فيما عداها ، وهي : الاعلام للزركلي ، معجم المؤلفين لكحالة ، هدية العارفين للبغدادي ، كشف الظنون لحاجي خليفة ، فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، تاريخ المؤلفات الاسلامية لقواد سزكين ، تكميل الصلحاء للكتاني ، المؤرخون التونسيون لعبد السلام ، تراجم أعيان القرن التاسع الى القرن الرابع عشر الهجري لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لابي الفضل محمد خليل المرادي ، طبع القاهرة 1292هـ/1301م .

وتجدر الإشارة أخيراً الى ورود الاسم «وادران» علماً على موضع في العهد الحفصي . وهو الى الآن اسم لأحد الاودية الجارية بتونس الوسطى . ولذلك قدرنا تونسيته اعتماداً على دراسة اسمه وتفسيراً لعنايته بالاغلبة في كتابه .

أما شربنو الذي يعود اليه فضل الكشف أولاً عن أهمية ابن وادران من خلال نشر ترجمة لأخبار الاغلبة فيه ، فنخصّه هنا بكلمة .

ومن عجيب أنه لا أثر اليوم لنسخته التي اعتمد عليها . ولو لا عثورنا على أصل ابن وادرن لكان الأسف عليها وعلى الكتاب مضاعفاً . ويلاحظ أن شربنو نشر هذه القطعة عن الاغلبة من ابن وادرن لأول مرة . وكأنه يشير الى أنها أول نص يظهر عن الاغلبة على غاية من الأهمية مع أنه لا يشير الى سلفه نوال ديفرجي Noel Devergers الذي نشر تاريخاً للأغلبة بباريس 1841 وأعاد نشره أماري في مكتبته العربية الصقلية ص 464 وما بعدها .

وشربنو ، ويدعى جاك أوقست شربنو (1813-1882) ، مستشرق فرنسي عاش قسمًا من حياته في الجزائر ، وشغل أستاذ كرسي العربية بقسنطينة ، من آثاره في المجلة الآسيوية تاريخ العباسيين (ويظهر أنه مختارات من ابن الطُّقْطُقَى) ، باريس 1852 والقطعة المترجمة عن الاغلبة من كتاب ابن وادرن ، منشورة بباريس 1853 (وفي مكتبة أماري نجد ترجمة شربنو للأغلبة واقعة تحت : ابن وادرن ، تاريخ تونس . . . [M. Amari, Biblioteca,] al-bab as-sabi' wa l-hamsun min Tarih Tunis, pp. 540-4; traduit par Cherbonneau sous le titre Précis historique de la dynastie des Aglabites. Paris (s.d.) in 8 (extrait de la Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies. [Déc. 1853 pp. 1-44 .

وانظر (Chauvin, Biblio., I, 112, 111) . نقلا عن نجيب عقيقي ، المستشرقون 198/1 . وانظر عنه آداب شيخو 146/2 مكرر ، ومعجم المطبوعات ، 1108.

وشربنو هو نفسه صاحب ترجمة ابن حماد عبد الله بن محمد بن علي ، بعنوان وثائق لم تنشر عن عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية ، باريس 1855 . وإذا قلنا إن ابن وادرن من صغار المؤرخين أو من أغفاله ، فماذا نقول عندما نفكر في إهمال مخطوطه من كتب الفهارس قبل اقتضاده من مكتبة جامع الزيتونة ؟ فلم تذكر تلك المعاجم اسماً لمخطوط بعنوانه أو قريب من عنوانه يدل

عليه . فهل يكون المؤلف الأصلي هو أيضًا من غير مشاهير الاعلام ، فُنسي ذكره بمناسبة كتابه هذا وهو مسوّد أو ما قد يكون من كتب أخرى له معلومة . الواقع أن الذين نعرفهم ونفتقد كتبهم في التاريخ - وأحيانًا نعرفها بأسماء عامة أو مختصرة - لم نستطع أن نخمن من بينهم من يمكن أن يكون صاحب مسوّد ابن وادران .

8 - مخطوط الدرّ وعلاقته بالمسوّد

ومنذ القرن الثالث ونحن نجد في الواقع أسماء كتب كثيرة متشابهة في صيغتها تشابهًا يصل أحيانًا إلى حدّ انطباق الحافر على الحافر . وإذا كان كتابنا هذا في أخبار الرشيد وولده لمجهول ، فلمجهول آخر كذلك من القرن الثالث كتاب بعنوان «أخبار العباس وولده» (انظر : أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري ، عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة ، بغداد . تحقيق د . عبد العزيز الدوري ود . عبد الجبار المطلبي ، بيروت 1971 . يقول د . الدوري إن مؤلف هذا الكتاب له علاقة بكتاب تاريخ الخلفاء الذي نشره غريازنيويج . وتجدر الإشارة هنا إلى كتاب «الاصطفاء في أخبار الخلفاء» لأبي مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (مخطوط لغاينج M. de Gayanges) ، وكذلك كتاب العمراني ، «مختصر تاريخ الخلفاء» (مخطوط ليدن رقم 595) . وفي فانيان (Fagnan) ، فهرس مخطوطات الجزائر ، إشارة تحت رقم 1587 إلى مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس بعنوان تاريخ العباسيين مجهول المؤلف (Cat. Fagnan) [Ce ms. est décrit dans Diversions, presented to The participants in the 29th Inter. Congress of Orientalists, où sous le n° 23 on lit "unidentified work on the History of The Abbasids, propably part of a bigger Historical text identical . [with ms. Algiers 938-439)

ومضينا في البحث في فهارس المخطوطات المجهولة المؤلف الى أن وقفنا على مخطوط غريب في بلده ، وصفه Roy (روا) في مستخرجاته من دفاتر مخطوطات جامع الزيتونة تحت عدد 4816 (Roy (B), Extraits du catalogue des manuscrits et des imprimés de la Bibliothèque de la Grande Mosquée de Tunis. (Histoire) avec la collaboration de Mhammed bel Khodja et de Mohammed el Hachaichi, Tunis, 1900) ووصفه بأنه : «مخطوط مجهول المؤلف ، في دولة الرشيد وأبنائه الى 247 هـ / 861م أي الى آخر خلافة المتوكل (الذي جعله مخطوطنا المنسوب لابن وادران يتوفى في 248هـ) .

وهو نفس المخطوط المذكور في فهرس مخطوطات الاحمدية ، لعبد الحفيظ منصور ، بيروت 1969 ، ص 395 : «المختار في الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمعتمد» (ذيل كشف الظنون ج 2/447) ، بالرجوع الى هذا المخطوط (المحفوظ في دار الكتب الوطنية تحت رقم 4816 أحمدية أو 13337) للمقابلة بينه وبين ابن وادران ، تبين أنه يكاد يكون نسخة مطابقة للأصل ، أي لابن وادران المبيض ، وإن بقليل من الاختصار وبشيء من التقديم والتأخير واختلاف في التوبيخ والعناوين . فجعلنا هذا التشابه الكبير نفترض عدة افتراضات ، منها وأقربها الى الاحتمال أنه قد يكون مخطوط مجهول ابن وادران وقع في يد بعض المختصرين ، فانتخب منه ما سماه بـ «المختار من الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه . . .» . أو لعل صاحب المختار من الدرّ . . هو الآخر حصل له ما حصل لابن وادران - أو ما سيحصل لابن وادران - من عناية بالمسودة وقيام بتبييضها . وقد تكون وقعت المخطوطة لهما بطرق مختلفة ، ودون علم أحدهما بالآخر ، أي المتأخر منهما بالسابق .

وهو ما جعلنا نتخذ هذا المخطوط الجديد الذي اكشفنا علاقته الحميمة بمسودة ابن وادران ، أو بالأحرى بمبيضته ، أساساً لعملنا في تحقيق الكتاب .

وقد فعلنا ذلك بكل حرص لما كنا نشكوه من توقّفات كثيرة فيه بسبب الخط أو النقص ونحو ذلك . فخرجنا بالنهاية بتحقيق مخطوطين ، مخطوط ابن وادران ومخطوط الدرّ ، كما سنجري في تسميته اختصاراً .

كتاب المختار في الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمعتصم

لقد اعتبرنا هذا المخطوط الذي تقدمت الاشارة اليه بكتابة النسخة الثانية المعتمدة لدينا لتحقيق ابن وادران . ولذلك لزم هنا وصفه بدقة والحديث عن مميزاته .

أولاً : قد يكون عنوان صاحب «المختار» لا علاقة له بالعنوان الاصيلي للمخطوط الذي قد يكون مفقوداً منه أو بدون عنوان . ومؤلف المختار مجهول هو أيضاً مثل مؤلف المسوّدة لابن وادران ، غير أنه بالرجوع الى آخر من يذكرهم في كتابه من المؤلفين ، وهو السيوطي (911هـ) يمكن التقدير بأنه كان يعيش على الاقل في القرن العاشر (لا القرن التاسع ، كما ذكر في الفهرس) . على أنه ليس من المستبعد أن يكون معاصراً لابن وادران أو عاش بعده . وهناك إشارة قد تقرّبنا من عصره على وجه أفضل ، وهي عدّه (ص 18أ) أبا مهدي عيسى الثعالبي الجزيري (المعروف زمنه في القرن الحادي عشر 1020-1080هـ/1611-1669م نشأ في الجزائر ورحل في طلب العلم واستقر بمكة وتوفي بها . انظر ترجمته في الاعلام للزركلي ، ط . 7 ج 5 ص 108) من مشائخ شيوخه ، في حين جاء ذكر هذا الاسم تحت قلم ابن وادران دون تنصيب على المشيخة له عليه (ص 18أ) . لكن هذه الاشارة قد تكون متعلقة بالمؤلف الاصيلي أي بصاحب المسوّدة ولذلك أسقطها ابن وادران تجنباً للبس . وما أكثر ما وقفنا عليه من اللبس هنا وهناك ، وخصوصاً عند كلّ تعبير عندهما بـ «قلت» ونحوها .

والمخطوط لا يحمل تاريخاً بالمرّة ، وكتابه تونسية أو مغربية عموماً ، مقاسه 29 x 19 ، عدد أوراقه 242 ، مسطرته 29 سطراً بالصفحة . ويبدو خلافاً لاسمه أنه أكثر من اختيار من كتاب أصلي . مما يسمح لنا بتقدير كونه أصل مسودة ابن وادرن . ومؤلفه أخرى بصفة الناقل منه بأي اسم آخر وإن كان يسمى نفسه في موضع من كتابه باسم «جامع» : «قال جامع غفر الله عنه» (184) فهل تكون هذه المسودة خضعت لاستغلال مشترك منه ومن ابن وادرن وربما من مؤلفين آخرين متأخرين زمناً .

وحتى الفصل الخاص بعمال إفريقية في العهد العباسي نجده مشتركاً بينهما ، رغم اختلاف قليل في تراجم بعض أمراء الأغالبة ، ومع هذا الفارق الغريب أيضاً وهو أن صاحب المختار ينهى النقل بإشارة الى مصدره ، وهو ابن خلدون خلافاً لابن وادرن الذي نبه الى أنه صحح أخبار ولاية العباسيين بإفريقية من مصادر عديدة (انظر ص 353) . وأظهر نقط الاختلاف بينهما هي خبر منصور الطنبيذ الذي يجعل ابن وادرن الانتصار عليه لأبي العباس ، ويجعل صاحب المختار الانتصار عليه لزيادة الله الأغلب . (انظر التعليق على ذلك في النص ، ص 643) .

ويفتقر المختار الى ذلك الجدول الذي بسطه ابن وادرن في أسماء خلفاء بني العباس ومُددهم اختصاراً . . وتمتاز مخطوطة المختار على ابن وادرن بتشكيل الكثير من كلمات شعرها وعديد الاسماء والمواضع الصعبة ، ولكنها أكثر اختصاراً في بعض المواضع منها ، وخاصة في الشعر .

يبدأ صاحب المختار كتابه بقوله : «هذا كتاب جمعت فيه ما وقفنا عليه من فضائل بعض الخلفاء ومحاسن الظرفاء وفضائل الاولياء والعلماء ووشحته بأشعار غريبة وحكايات عجيبة وسميته المختار من الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمعتصم ورتبته على أربعة أبواب والله المستعان وهو الكريم الوهاب» . لكن الملاحظ أنه بعد الباب الرابع نجده تحت عنوان

«تكميل وإيضاح» (200ب) يقول : «لما تولى الواثق الخلافة أصر أيضاً على ما كان عليه أبوه وعمه المأمون من القول بخلق القرآن ثم إنه توقف حتى جاء الأمر إلى المتوكل فأبطله ورفع المحنة على العلماء من البدعة والقول بخلق القرآن وأظهر السنة ، وسنذكر إن شاء الله نبذة من أخبارهما وما وقع في أيامهما» ويمر مباشرة إلى «ذكر خلافة الواثق . . .» ويستطرد قبل أن يتم الكلام عليه إلى ذكر أخبار ولاية إفريقية في عهد العباسيين بقوله (ص 202أ) «فصل ، ولما آل بنا الغرض إلى هنا نذكر الآن من دخل إفريقية من أمراء بني العباس ونسرد أسماءهم على الولاء من غير إطناب والله الموفق للصواب . . .» ويعود إلى الواثق لذكر وفاته في ص 217 ب ، ويختم كتابه بذكر خلافة المتوكل (219ب-243ب) الذي يجعل وفاته خلافاً لابن وادران - كما قلنا - في سنة 247 (861م) وفي الآخر يقول : «انتهى ما أردنا جمعه من الدر المنتظم في خلافة هارون وأبنائه الأمين والمأمون والمعتصم بحمدته وتوفيقه (ودعاء)» (243ب) .

و«المختار» كما يدل اسمه قد لا يعدو اختصاراً لمصدر مطول ليس ما يدل على أن مجهول ابن وادران عول على النقل منه مكتفياً ، لما تدل عليه نقوله الكثيرة المباشرة من مراجع مختلفة . فإذا كان «المختار» ينقل من أصل ابن وادران ، فالفضل لابن وادران دونه ، لأنه ينقل لنا المخطوطة كاملة ، أو بعبارة أخرى لأنه احتفظ لنا بكامل مسودة المجهول .

وفي التراث كتب كثيرة فقدت أصولها المطولة وبقيت لنا في مختصرات كالتاريخ الكبير لابن عساكر . فليس معروفاً منه إلا أجزاء قليلة وبها نقص لو لا ما نشر من تهذيب الشيخ بدران له ومختصر ابن منظور منه . ويذكرنا صاحب المختار وكذلك ابن وادران بالمقريري (-845) على شهرته ، فإن خطه ليس إلا مسودة الأوحدي (-761) في خطط القاهرة ، نقلها وزاد فيها زوائد غير كثيرة .

ويتميز الدر عن ابن وادران بإبراز تتبعه لذكر ما يقع من حوادث السنين

والوفيات فيها ، ويعنون بفصول لذلك (انظر مثلاً 92 وأ 93) ، وهو أمر لا نجده إلا قليلاً في ابن وادران ، ويكاد يكون عرضاً ، لا انتظاماً مثل ما يفعله الدرّ (وذكر السنين وما حدث فيها من الوفيات جعل الدرّ يحيل عند ذكر زيادة الله (204ب) على ما ذكره في موته في 184أ) . ويتميز كذلك بتكرار بعض الاخبار دون تفتّن لها فيما يظهر . وهو أمر اجتنبه ابن وادران أو وقع فيه استدراكاً أو على سبيل الاحالة . ويتميز كذلك بشيء من التقديم والتأخير في الاشعار في بعض المواضع وباختصار فيها في بعض المواضع ، ونجده في حالة بعض تراجم الصالحين وأخبارهم يعلل ذلك بقوله (في 41أ) : «قلت وقد كان ينبغي لهذا الفصل أن يجب تقديمه ويتوجه تعظيمه لكن جعلناه طبق حلواء ، كتأخير الطيب من الاشياء . . الخ » .

ونجده كذلك يطنب في أخبار بعض أصحاب التراجم الذين يعرض لهم أكثر من ابن وادران . وقد يعلل ذلك كما قال في ترجمة الشافعي : «وفضائله أكثر من أن تعد ومناقبه أجل من أن نحصى رضي الله عنه ، وقد ذكرنا نبذاً منها في هذا الكتاب رجاء بركته وطمئناً بأن يحشرنا في زمرة مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين» (89ب-90أ) .

وقد أطلال الدرّ في ترجمة الشافعي وأصحابه أيضاً (انظر الاقوال الكثيرة فيه لابي يوسف ، و115 و116أ) . ونجد له الاستطرادات الكثيرة الغالبة ، من ذلك بمناسبة ذكر علمي الكلام والنجوم وعناية المأمون بهما ، فقد استطرّد صاحب الدرّ لبيان مفهوم علم الكلام والتوحيد والفرق بينهما وبين علم النجوم ، وسبب النهي عنه وعن علم الكلام . . . (آخر و115ب الى و117ب) .

ولكنه ينه عند نهاية كل استطراد بمثل قوله «ورجع الكلام الى سياق التاريخ» (59أ) ، كما رأينا لابن وادران تردداً لعبارة «على سبيل الاستطراد» في المواضع التي يقع له فيها استطراد .

وفي الدرّ أخبار متعلقة بالحمير لم يذكرها ابن وادران ، وكذا بعض الغرائب نقلا من كتاب النصائح لابن ظفر ، منها خبر راهبين من طليعة ، وخبر في كيفية إحياء الموتى نقلا عن البيهقي (و128أ و129أ وب) ، وسير بني اسرائيل وكيف ارتحل عزيز من بابل على حمار (و131ب) ، وما كتبه قيصر ملك الروم الى عمر بن الخطاب ليعث له شجرة من قبله تخرج له مثل آذان الحمير ثم يشقّ عن مثل اللؤلؤ (132ب) (وأخبار أخرى كثيرة عن الحمار من عدة كتب) . ومثل أخبار الحمير في الدرّ التي يخلو منها ابن وادران أخبار أخرى عن الخيل بشكل مطوّل فيه جدا (161أ-172أ) .

ومما نجده في الدرّ ولا نجده في ابن وادران استعراض طويل للنحو ومسائله . وأردفها بشرح مقتضب لبعض السجعات تتعلق بالصرف والمذاهب ، يمتد من الورقة 208 الى 213 ب . ونجد فيه كذلك أقوالا مفصلة عن علم الكلام لعدد من مشاهير العلماء (أثبتناه في موضعه من نصنا عند التعليق على اهتمام المأمون بعلم الكلام ، الورقة 179أ وما بعدها ، انظر ص 351) . ومن النصوص القليلة التي أوردها الدرّ ولا أثر لها في ابن وادران مع أن منها ما يتعلق بالرشيد ، كذلك الاخبار (49أ-59أ) التي نقلها الكسائي عن هذا الخليفة وفيها حديث عن أول من سنّ في الاسلام الكتابة على الذهب والفضة . وكذلك خبر للكسائي مع المأمون حول الغلط (84أ) ، وخبر الرشيد مع يحيى بن خالد حول الصراع بين الامين والمأمون . وبعد هذا الخبر يقول (85أ) شارحا بعض ألفاظه : «وتفسير ألفاظ تضمنها هذا الخبر . . .» وهو أمر لم يفعله قبل . ويتضمن تفسيره إشارة الى شعر لعمر بن صخر بن الرشيد ، فيأخذ بدوره في تفسير كلمات هذا الشعر . ويورد حكاية عن الرشيد وابنه عبد الله المأمون ، وقد رآه من منظره وهو يكتب على حائط (87أ) . وبعد خبر آخر بين الكسائي والمأمون وقد ضربه الكسائي وحضر جعفر بن يحيى فأخفى المأمون دموعه . . الخ (86أ و86ب) ثم خبر المأمون مع الحسن بن الحسن

اللؤلئي ، ويردف ذلك بقوله : «من مستحسن الاخبار ما قيل في قطر النداء بنت خمارويه (86ب) وخبر وصيفة ملك الفرس التي خرّت ساجدة ضعفاً أمام هية الملك (86ب-187أ) . هذه كلها أخبار غير موجودة في ابن وادران . وبعدها انتقل الى : «فصل في ذكر من توفي في السنة الرابعة بعد المائتين من العلماء والاعيان» . ومن الاخبار القليلة الواردة في الدرّ دون ابن وادران خبر التكبير ثلاثاً بعد الصلاة الذي ابتدعه المأمون سنة 216 هـ (155أ) .

وخص صاحب الدرّ صفحات طويلة من مجموعته لذكر فضائل علي رضي الله عنه وأبنائه ، وجاء في طالع ذلك أنه من كتاب المجالسة (49ب-59أ) قارنه بابن وادران ص 69ب) .

ومن الملاحظات العامة على كتاب الدرّ أنه لا ينقل ولا خبراً واحداً عن الملك المؤيد الذي أغرم به صاحب المسودة ، اللهم مرة واحدة (في الورقة 170أ) . وأنه يذكر المصادر سابقاً ، لا لاحقاً كما هو الغالب على ابن وادران . وأنه يخطئ نفس الخطأ الذي لدى ابن وادران عند تسميته قطب السرور لابن رشيق (171أ) . وهو أمر محير حقاً ، لأن التفكير أيضاً في قلة بضاعة صاحب الدرّ من آدب أهل المغرب أو غلبة صفة الجامع عليه أكثر من المؤرخ المحقق تجعلنا نقدر وحدة الاصل الذي نقلنا منه وجعلنا في الوقت نفسه نشك في شخصية صاحبه لاختلاط ابن رشيق بابن الرقيق على يديه ، ونسبة كتاب قطب السرور اليه ، وهو الكتاب الذي جمع منه جميع أخبار منادات المأمون .

وخلافاً لابن وادران نجده يحكي عن مصدر قيرواني هو ابن سعدون (204ب) . وابن سعدون هو محمد بن سعدون بن علي أبو عبد الله القيرواني ، عالم بالفروع والاصول من فقهاء المالكية ، ولد بالقيروان ورحل الى المشرق وطاف بلاد المغرب والاندلس للتجارة ومات في أغمات من كتبه «تأسي أهل الايمان بما طراً على مدينة القيروان» ومناقب أبي بكر بن عبد الرحمن وأصحابه ، وكان أبو بكر من شيوخه ، وكتاب في الفقه على مذهب مالك ،

(معالم الايمان 245/3) .

وقد راجعنا المواضع التي نسب فيها صاحب الدرّ القول الى نفسه وتلك التي فهمنا من تعليقاته فيها أن القول له ، فتحققنا في موضع منها على الاقل بخلاف ذلك ، حيث يقول ابن وادران في أعقاب نقل له : «انتهى كذا نقلناه من المسودة» (240ب) . مما أوحى لنا بأن ابن وادران أكثر أمانة في نقل كلام غيره ؛ إن كان لم يتفطن الى ذلك حقا ولم يلبس علينا كلامه بكلام غيره ، أو يتحل من كلام غيره ما ليس له .

ولقد توقّفنا بصورة خاصة أمام عبارة «كذا نقلته من بعض الخطوط» (219ب) التي تفرد بها هنا ابن وادران وتساءلنا إن كانت تدل على شيء مهم ، وهو أن صاحب المسودة هو الذي نقل أو أنه ابن وادران نفسه . ففي الحالة الاولى يكون الدرّ وصاحب المسودة أمام مصدر واحد نقلنا منه ، وفي الحالة الثانية يكون ابن وادران نقل من مجهول ، ولذلك قال من بعض الخطوط ؛ وهو ما يقابل لفظ «جامعه» في الدرّ في قوله في أول الخبر نفسه المنقول : «قال جامعه عفا الله عنه وهو أول من تسمى بالمأمون وتسمى به ولد المعتمد بن عباد . . الخ» (84أ-219أ-219ب) .

وفي الموضع الذي يقول فيه صاحب المسودة «قلت في تحقيق مقتل الامين» (118ب) يظهر بالمقارنة مع ما هو موجود في الدرّ أنه تعليق ابن وادران أو صاحب لمسودة ، لأنه غير وارد في الدرّ .

و نجد في الدرّ (114ب) : «قلت ما أحسن ما قاله ابن الرومي . . الخ» . وهذا يوهم أن القول للمؤلف بينما أسقطها هنا ابن وادران (180أ) .

وقد قلنا إن مؤلف الدرّ مجهول . وبقي كذلك لدينا ، رغم محاولات التعرف عليه من داخل نصه . وقد تبين لنا أنه لا يمكن أن يكون من أهل تونس ولا من غيرها من بلاد افريقية والمغرب لما ذكرناه من تخليطه بين ابن رشيق وابن الرقيق ، ولأنه من جهة أخرى لا يعقل أن ينقل اسم رقادة بلفظ رمادة

وهو لا يعرفه (204ب) ، اللهم أن يكون سبق قلم أو لا يكون الخط خطه في الكتاب .

ولعله وهو يذكر كتاب «نزهة الابصار في أخبار ملوك الامصار» ويتأسف على عدم معرفة أسم صاحبه بقوله «وهو كتاب عظيم المقدار ولا أعلم مصنفه» (126ب) لم يكن يدري أنه سيحمل الينا نفس الاسف على كتابه .

ويبدو جانب من شخصيته من خلال بعض تفضيلاته ، فهو يوضح سبب تأخير أخبار الصالحين مع الرشيد بهذه العبارة : «قلت وقد كان ينبغي لهذا الفصل أن يجب تقديمه ويتوجه تعظيمه لكن جعلناه طبق حلواء ، كتأخير الطيب من الاشياء . . الخ» . وقد كاد يعرفنا بنفسه لو أطل قليلا ، لأنه جعل يدعو لنفسه (41أ) . وهذا الميل لديه هو أساس ما لاحظناه عليه من إطناب في أخبار الشافعي وأصحابه . وهو يطنب أكثر من ابن وادرن في ذلك ؛ وفي ترجمة الشافعي نجده يقول : «وفضائله أكثر من أن تعد ومناقبه أجل من أن تحصى رضي الله عنه . وقد ذكرنا نبدأ منها في هذا الكتاب رجاء بركته وطمعا بأن يحشرنا في زمرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (89ب-90أ) . فهل يكون ما خصه به من دعاء عن ورع أو اهتمام به في المذهب .

وهناك إشارة عابرة تعرفنا بأحد مشايخه ، بل بأحد مشايخ مشايخه ، وهو أبو مهدي عيسى الثعالبي الجزيري المتوفى سنة 1080هـ/1669م (18أ-18أ) .

وهناك احتمال بأن يكون مؤلف الدرّ أو مؤلف الكتاب المنقول منه الدرّ ، أصله من اليمن ؛ لأنه يتحدث عن بعض ملوك اليمن حديث عارف بدولتهم ويقول الآن (وسنذكره . . تاريخ 412هـ (80أ-80ب) ، ويراجع النويري ، لعل الكلام له ، لأنه في آخره يقول انتهى ، ولأنه ينفرد بهذا النص دون ابن وادرن ويوليه هذه العناية ، ويضعه تحت عنوان : ذكر ابتداء دولة بني زياد ،

ونجده كذلك يعرض لخروج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عكة في اليمن يدعو الى الرضا من آل محمد عليه السلام . . فلما بلغ أمره المأمون بعث اليه دينار بن عبد الله في جيش (92ب-93أ) .

وهذه جملة من الملاحظات حول الكتاين :

- ذكر السنين وما حدث فيها من الوفيات جعل الدرّ يحيل عند ذكر زيادة الله (204ب) على ما ذكره في موته في الورقة 184أ .

- بعض اختصارات في الدرّ من صفحة 15ب الى صفحة 17ب في ابن وادران . وميله الى الاختصار كذلك في سند الحديث .

- قلة ضبط الدرّ للاسماء التاريخية من نحو بابك الجرمي وإنما هو الخرمي ، ونصر بن شيث ، وإنما هو بن شيث .

- وقوع تكرار بعض الاخبار في الدرّ دون المسودة .

- واستطرادات مطوّلة أحياناً في الدرّ ، كما في 225أ : «حكاية لطيفة أردت أن أذكرها ولو خرجت عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه بعضاً ، وقد رأيت في بعض المجاميع أن عبد الله بن المعتز كان يقول أربعة من الشعراء سارت . . الخ» وبعدها ذكر حكاية لمحمد بن حازم ثم أنعزى لابي الحسن علي بن المنجم ثم ختم بقوله : « . . وهذا كله وإن كان خارجاً عن المقصود لكنه فيه فوائد فأحببت ذكرها» (229أ) .

- بدأ الدرّ يعنون بفصول لاستعراض حوادث السنين بين صفحتي 192 و193أ .

- تختلف العناوين بين الكتاين ، ففي حين نجد العناوين المسجوعة ذات الاشارات العامة مثل «تذكرة أعلام ووفاة إمام» نجد صاحب الدرّ (15أ) يعنون لهذه الفقرة بالذات بقوله : «فصل في وفاة الامام مالك رضي الله عنه» .

- من مميزات خط الدرّ : حركة الحرف المشدد . يضعها سواء كانت فتحة أو كسرة تحت الشدة ، مع وضعهما تحت الحرف إذا كانت كسرة والعكس إذا كانت فتحة . (الرّكي) 18 .

- من أغرب الخط في الدرّ : «كونوا له ولاتا ولحزبه حماة» ، يريد ولاية .. (191) .

- وهذا مثال آخر من تصحيحات ابن وادران : فقدتني ! وصحتها فقرتني 37 ب ، بخط ابن وادران ، والآخرى بخط الدرّ .

- ومن غريب الاخطاء في النقل ما كشفت لنا عنه المقابلة بين المخطوطين ، ففي الدرّ 43أ بيت من الشعر فوق إحدى كلماته تفسير يؤوب ، يرجع . ونجد الكلمة وتفسيرها على أنهما معاً من البيت في المسودة 75ب ، مما يدل على قلة انتباه لوزن الشعر ؛ وإن كنا نستبعد أن يكون ابن وادران على غير ذوق بالشعر .

- «وسياتي إن شاء الله ما وقع من ذلك الامر الفظيع في دولة المعتصم» . هذه العبارة موجودة في الكتالين 161أ/240ب .

وبمخطوطة الدرّ من حيث الشكل قطع جزئي بالورقة 237 . وخطاً في ترقيم الاوراق مثل المسودة ، ولكن بصورة أخف وآثار الرطوبة والماء عليها وبعض النقص في أجزاء من أوراقها بسبب ذلك ، في الاوراق الاولى والاخيرة . ويذكر الدرّ المصادر التي ينقل عنها غالباً عند أول نقله ، في حين يذكرها في الآخر صاحب المسودة .

وينتهي صاحب الدرّ كتابه كما قدمنا بذكر وفاة المتوكل وبعدها يقول : «انتهى ما أردنا جمعه من الدرّ المنتظم في خلافة هارون وأبنائه الامين والمأمون والمعتصم بحمده تعالى وحسن عونه وتوفيقه وشكره المتوجب لمزيده والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وآخر دعوانا

إن الحمد لله رب العالمين . انتهى» (وهو آخر الورقة 243ب) .

9 - تحقيق النص

توخينا في التحقيق قراءة واضحة للنص ، عن طريق شكل المشكل من كلماته وخاصة في الأسماء ، وبالإشارة بقدر ما يتطلب السياق الى الخلافات اللفظية أو المعنوية بين النص والمصادر التي نقل منها أو المراجع التي عدنا إليها . وفي كل مرة ذكر فيها مصدر أو مرجع إلا وأشرنا الى اسمه كاملاً واسم مؤلفه وطبعته ، ومكانه إن كان مخطوطاً . ونكتفي فيما بعد بالإشارة إليه أو الى مؤلفه اختصاراً . ولم نتقصّ ردّ جميع النقول الواردة في الكتاب الى أصولها المنقولة منها نصاً أو تلميحاً والمقابلة بينها ، لأن ذلك كان سيثقل علينا من ناحية ولكنه كان سيخرجنا الى غير غرضنا من تقديم قراءة صحيحة للمخطوط الذي بين أيدينا ، خصوصاً وأنهما أصبحا مخطوطين (المسودة والدرّ) ولأن ذلك كان سيجعلنا نتقصّى الطباعات المختلفة من الكتاب الواحد ونسبتها من التحقيق والنشر التجاري المستعجل . فأضربنا على هذا التقليد الذي يطالب به المبتدئون في التراث عادة وغير العرب أو المستعربون لساناً . وعولنا على تقدّم العصر بكيفية التحقيق والتخريج ، لأن المراجع والمصادر أصبحت في أكثر من طبعة ومعظم ما أعيد صدوره شفع بفهارس مدققة . وأصبح من الإثقال على الكتب المحققة حديثاً استقرار الاختلافات غير ذات الجدوى العلمية والتي هي من قبيل مضیعة الوقت على القارئ والمحقق وتضخيم الكتب . فلم نقف إلا عند الاختلافات المهمة وتخففنا من الإشارة عند إجراء التصحيحات الى هذه الطبعة أو تلك من الكتب المنشورة إلا عند الضرورة أو للتمييز أو بغرض التنويه والتصحيح .

ولم نشرح من ألفاظه الا ما يساورنا الشك في تبين القراءة لمعناه من السياق . وقد وقفنا على نقص يتراوح بين الكلمة والسطر والفقرة الكاملة في بعض

المصادر المطبوعة ، ولم نلتزم بالتنبيه الى ذلك الا في حالات قليلة تجنباً للاطالة والتدخل في تحقيق ما ليس من غرضنا هنا ، وكذلك ما وجدناه في المصادر المطبوعة من تحريفات نصية ، راجعة الى سوء قراءة أو تحقيق ، وهي قراءات خاطئة تعزز من أهمية نصنا . وكمثال من ذلك ، ينظر الى تلك القصة الطويلة التي نقلتها المسودة عن ابراهيم الاشعري في كتابه لبّ اللبيب والتي تعجّ مخطوطة الدرّ بالاختلافات السقيمة في ألفاظها ومعانيها (96ب-100ب) ، وكذلك بالمقارنة مع صفحات أكملها في كتاب الفرج بعد الشدة للتتوخي ، التي قلنا إن إعادة تحقيق ما جاء فيها على ضوء هذا المخطوط يصحّح الكثير من ألفاظه وتعابير الغامضة أو المحرّفة .

ولم نشر في التعليقات الى الاخطاء الواقعة من قبيل السهو أو سبق القلم من صاحب المسودة أو من ابن وادران ، كقوله «عشر الخنساء» في موضع شعر الخنساء أو «الفرسدي» عن الفرزدق (142أ) أو قوله «وتوفي بهي يوم الجمعة» (176ب) وهو سهو محقق ، لأنه غير مكرر ؛ أو الاعجام الخاطيء لبعض الحروف ، كالعين بدل الغين ، ونحو ذلك مما يشغل القارئ لو تتبعناها دون فائدة . (وقد كان المستشرقون أو من تابعوهم عن تقليد يصرفون الجهود المضنية في تتبع الاختلافات بين النصوص . وكنا نعجب بها اعتقاداً منا أنها الموضوعية والتحقيق العلمي . ولكنها تخرج في الاكثر من جانبهم لقلة علمهم بالصحيح من الخطأ في الكثير من كلام العرب ، ولذلك كانوا يصوّرون الاشياء تصويراً أمانة واحتياطاً . ولكننا نحن أرباب اللغة لا يساورنا خطأ في ألفاظ النساخ التي يتصحّفها الخطأ أو فيما يقع لهم من وهم وتخيل فيما ينسخون عن جهل أو قصور) .

وتقيّدنا الى حدّ ما بتميز فقرات الكتاب ، لا بالقلم الغليظ - كما في الاصل عبر استرسال رتيب للاسطر بمقاس واحد - ولكن بالرجوع الى السطر كلما تعلق الأمر بخبر جديد أو فكرة متميزة .

ولم نجد بداً من التخلص من استعمال علامات الوقف الحديثة ، المصطلح عليها ، من فاصلة ونقطة وعلامات تعجب واستفهام ونحوها ، رغم حجمها الذي يزيد في ثقل الكتاب . وإن كنا نعتقد أن اللغة العربية على عكس بعض اللغات الأخرى تسمح بحروف العطف والنسق فيها ويسمح الأعراب بها والتركيب بمختلف وجوهه بتمييز الكلام في حدود ثقافة القارىء ومستواه لفهم المعنى . مع الملاحظ هنا أن القرآن الكريم حظي من علماء العربية بنظام للوقف فيه على غاية من الدقة والاكتمال . ولم يغفل المؤلفون في العصور المتعاقبة من تطوير وسائل اصطلاحات للوقف ولتمييز الكلام من الشعر ، ولتمييز السجع وتحديد فواصل الكلام . وقد عني ابن وادران هنا لهذا الغرض بالمراوحة بين اللون الأسود والاحمر للعناوين ولأسماء الكتب والمؤلفين وباستعمال القلم الغليظ لتعيين أوائل الفقرات ولتطويل الحرف الأول فيها ووضع خط أحمر مواز على امتداده لإبراز مواقف الكلام ، كما أنه يحصر الأشعار بين فواصل منفردة ملونة وفواصل مزدوجة بين شطورها (ولم يختلط عليه الشعر بالنثر إلا مرة واحدة في ص 208 ب) ، مما يجعل القراءة في للمتعود غير صعبة . ولكن التأثير الذي حدث لنا حديثاً بفعل اللغات الأجنبية لم يعد يجعلنا نستغني عن ملء نصوصنا بتلك القوافل المتراسة من الفواصل والنقط لتسهيل القراءة وفهم المعنى ؛ بينما عبقرتنا الأصلية في فهم المعنى هو حسن القراءة . وحسن القراءة لا يكون إلا بالسليقة والمستوى أي وبالارتفاع لفهم المعنى ، وهو ملكة تترى وتكتسب ؛ وإلا فما تغني قراءة سليمة لإنسان جاهل لأصول النحو والبلاغة والاشتقاق والتركيب في العربية أو لإنسان جاهل للمعارف الأساسية ذات العلاقة بما يقرأ أو يكتب ، كمن يهجم على قاموس للعربية ليشطاط فيما بعد لعدم قدرته على البحث فيه مثل «لاروس» أو «روبير» أو غيرها من القواميس الفرنسية !

والكتابة منتظمة جداً في الكتاب ، كما تكون قد كتبت لليلة واحدة ، لا أثر

فيها للتوتر أو التردد ، وكأنه قد كتبه بقلم واحد وسنّ واحد وحبر واحد . وهو أمر يدل على اطمئنان في نفس الكاتب وعلى شغفه بما يقوم به . ونكاد لا نعثر إلا على مواضع قليلة جدا ، بعدد أصابع اليد ، يدرج فيها ابن وادران مُخرَجًا لكلمة نسيها أو عبارة سقطت منه . لا كشط ولا تشطيب ، وما عرض له مرة من ذلك اعتنى بالتسطير فوقه بنقط متتابعة (151ب) حتى لا يحدث تسويدًا واضحًا على ظهر الصفحة . وفي حالات الشك عن فهم بعض الكلمات ترك بياضًا بموضعها ، لعله كان ينوي العودة اليه بعد التحقق (223ب و224ب) .

ولو لا طول هذه المقدمة لبسطنا القول في وصف خطه وخصائصه والتأريخ له لأهمية ذلك والدلالة به على عصور الخط العربي وما حدث في بعض العصور الحديثة عليه من التدهور بسبب الجهل واضطراب التعليم بين المناهج وتزاحم اللغات وفقدان التعصب للغة القومية . فقلنا نجد اليوم مثلاً من يميز عند كتابة الظاء المعجمة بين وضع الإشارة قبلها أو بعدها . فهي على الأصح بعدها حتى لا يلتبس إعجامها بالحرف قبلها أو تتنازع معه ، خصوصاً وأن تلك الإشارة ينبغي أن تكون مائلة الى الراء ميلاً يسمح بوضع الاعجام عليها وانفرادها به . وخصائص أخرى كثيرة تدلّ على مستوى ما ارتقت اليه الكتابة العربية حتى تكون مقروءة دون عسر أو تردد .

ولما كان الكتاب كله يدور حول وقائع وتراجم فقد رأينا تسهيلاً لتصفحه ايراد اسم صاحب الترجمة مختصراً أو عنوان الخبر وموضوعه بأقل لفظ وأوعب عبارة على الجانب المقابل خارج النص (كلما لم يعنون له المؤلف بعنوان فرعي داخل عناوينه الكبرى للموضوعات) .

ووضعنا بين معقوفين الزيادات التي وجدناها في المراجع مما لا يمكن الاستغناء عنها لإقامة النص ، أو مما ارتأيناها للغرض نفسه . على أن الزيادات التي تأتي وجوباً لإقامة البيت من الشعر أو الشطر وتدّل عليها المراجع المعتمدة

فلم نعلق عليها ، لظهور سقوطها عفواً من قلم الكاتب أو الناسخ ، من نحو ما ذكره من شعر لأحمد بن نعيم في هجاء يحيى ابن أكرم القاضي : «فالحمد لله قد ذهب العدل . . وقلّ الوفاء في الناس» وهو ظاهر الكسر في الأول وتمامه : فالحمد لله كيف قد ذهب العدل . . الخ . (176ب)

وقد لاحظنا عند التحقيق أن جهل المؤلف أو المبيّض بموازين الشعر أوقعه في كثير من الخلط بين الصدور والاعجاز والإدخال والإنقاص من ألفاظه ، مما كانت تدركه الأذن العروضية أو المطبّعة بقراءة الشعر الصحيح باللفظ والمعنى . ولو لا أن أسعفتنا بعض تلك المراجع التي تنقل من المصادر التي نقل منها وتعرض بالصحة أو التصحيح للشعر الذي تورده لأعجزنا تقويمه لندرته أو للجهل بقائليه . من ذلك هذا البيت الذي كتبه بصورة واضحة وخفي عليه أنه مكسور وغير متعادل الشطور :

ناديته من ذا الذي أرجوه لي فرج نادى أنا فرج زن لي كرا بيت
وصوابه :

ناديتُ من ذا الذي أرجوه لي فرج نادى أنا فرجُ زن لي كِرا البيتِ

(195ب) فصححنا ذلك ومثله دون إشارة في الهامش .

وأهم الاصطلاحات المستعملة في هذا التحقيق ، المعتادة في أغلب الكتب هي :

المسودة ، الأصل الذي وجدته ابن وادران مسوداً غير معلوم المصنف .

المبيضة ، المخطوط كما وصل إلينا بتبييض ابن وادران وخطه .

الدر ، كتاب المختار من الدر المكنون . . .

١ ، الحدّ بين وجه الورقة وظهرها .

/ ، في الاحالات على الكتب للتمييز بين رقم الجزء والصفحة .

[] ، زيادة يقتضيها السياق ، أو من المراجع المذكورة أو من الدرّ .

(٩) ، كلمة غير مفهومة أو غير واضحة المعنى جيّدًا .

- (مصحوب بعدد ، في التعليق) ، رقم الترجمة في المرجع المذكور .

- (بين عددين) ، تكرّر ذكر المسمّى بين الصفحتين المذكورتين .

- (بعد اسم) ، اختصار لبقية الاسم المتقدم .

1 ، 2 ، 3 . الخ ، أرقام أوراق مخطوط الدرّ .

1 ، 2 ، 3 . الخ ، أرقام أوراق ابن وادرن .

و ، ورقة

أ ، وجه الورقة ، وقد اكتفينا بالرقم دون (أ) إلا في الفهارس .

ب ، ظهر الورقة .

وتخفيفاً على القارئ أخرنا التعليقات المشتملة على المقابلات والتخریجات والتحقيقات التي يطلبها عادة أهل الاختصاص والباحثين الى آخر النص ، كل تعليق وصفحته والفقرة الوارد بها . ولم نحتفظ للنص بأسفله الا بالتعليقات الضرورية أثناء القراءة ، كالأشارة الى ما بالأصل عند غموضه أو شرح بعض كلماته .

وألحقنا بالكتاب فهارس متنوعة عديدة ، وبيننا مصطلحاتها في أسفل كل صفحة منها تسهيلاً للبحث فيها .

والاسماء في الفهرس هي على نحو ما وردت عليه في النص مع إحالات على اختصاراتها أو ما تُطلب به أحياناً .

ويجد القارئ في مقدمة النص صوراً لأوراق من المخطوط للنظر في خطها أو دراسة بعض جوانبه .

خاتمة

وما أنفقناه من جهد في إخراج هذا الأثر إنما أكثره خدمة للتراث الذي أصبحت العناية به لوجهه قليلة وسائره لمدّ الباحثين في تاريخنا وأدبنا وحضارتنا بمادة زاخرة من ذلك عن عصر من أزهى عصورنا ، جديدها كثير ومصححة أفضل في هذا الكتاب ، لعل الهدف من تأليفه والقصد إليه يكون من الوضوح لديهم بقدر ما أمل صاحبه . والله الهادي الى سواء السبيل .

تونس في 18 جوان 1992

م ك



مركز تحقيقات كوكب تونس

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على ما قدرنا به من فضل الامم في كل ان وقت
بالعقاة والعقمة والجمال بلام كما وزنا من السكى كـ

اللهم على ما صنعت عبادك بالاتباع الى غايو السلطنة
واسلاكت عبيرك رشيد الملاحع الشريعة وايرتق
الدين المعتمد الغريم بتاييد الدولة العباسية حتى
داوموا بسلاسلهم دسولة سكرات ملوك البرية فكانوا
خبر الملوك في خلافة قناح جماعهم ابلاد البرية
وبلوا ملاتهم بعواير ابقايتهم باهرز فاضل القلاء بل اللهم
من صلات السناء ما ايكفي كيم العبارة والحبس السناء
ا فلما بغليله فضلا عزاجله والى واسلم على سيرنا
ومرانا فخر الاماد والامية المبعوث لتبيين الحرام من الجمال
يكما الشين وعاء الله خير ما وعاء عبادته ذريتنا ليد
والله ربنا فيقول العبد البغي المعنى جابا لعجنى
والنقص المرتفع بين النوا والغبارة عبيد الله حتى
من محروا رازة ذركت كيم تايمنا كيمت به من الاوراق
بمسودة تارنج لم يبيض ويرتب شمس السلاوي جعلت النجم
ما حبه واتامل في معانيه فاذا هو في دولة الرشيد من
العباس وبنه ومع هذا فراعنا انه في حجب عصرنا

الورقة الثانية من مخطوط دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أحمدك اللهم على ما قدرت به من فناء الأمم في كل آن ، وتنزهت بالبقاء والعظمة والجلال بلا مكان وزمان ، وأشكرك اللهم على ما منحت عبادك باتباع الحقائق السنية ، وأسلكت عبيدك رشيد المناهج الحمديّة ، وأيدت الدين المعتصم القويم ، بتأييد الدولة العباسية حتى قاوموا بشهامتهم صولة سطوات ملوك البريّة ، فكانوا من بين الملوك في ضخامة تناطح جماجمهم الأفلاك الدرّية ، وبذلوا صلاتهم ، بعوائد لفتاتهم ، فأحرزوا من الثناء بما لهم من صفات السناء ، ما لا يكفي كثير العبارة بأقله ، ولا تحيط ألسنة الاقلام بقليله فضلاً عن أجله ، أصلي وأسلم على سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين ، المبعوث لتمييز الحرام من الحلال بكمال التبيين ، وعلى آله خير آل ، وعلى صحابته ذوي التأيد والإفضال .

وبعد ، فيقول العبد الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، المرتجي فيض النوال والغفران ، عبّيد الله حسين بن محمد وادران ، قد كنت ظفرت فيما ظفرت به من الاوراق ، بمسودة تاريخ لم يبيض ويرتب منه السياق ، فجعلت أتصفح ما فيه ، وأتأمل في معانيه ، فإذا هو في دولة الرشيد من بني العباس وبنيه ، ومع هذا قد أُخبرت أنّه قد جمعه بعض أبناء /3/ جنسنا النجباء ، ممّن تقدّم عصرنا وقارن الآباء ، غير أنّه لم يجدد منحاته الشوقية ، وينقح رشحاته الذوقية ، فبينما أنا في رياض تلك السطور ، أقتطف من أزهار ذلك المنشور ، إذ أبهاني شارق أنواره ، وناجاني طارق أخباره ، أن أبيض تلك السطور الجليلة ،

وأنقح تلك المعاني السُّنيّة ، بأن أُميّز مراتب ذلك المكتوب ، وأجعل له هيئة وأسلوب (ترك الاعراب لضرورة السجع ، وهو قليل في النثر) ، مع ما أدمجنا فيه من الانتقال ، ووشحنا حلّته بهواتف الفكر والبال ، ليكون من جالس مصابيح غُرره اغتنى عن كلّ جليس ، ومن آتس بتفائس دُرره انثنى عن كلّ أنيس ، اذ تبسّم طيب أخباره يُرقص رؤوس العلماء طربًا ، وتجلذبُ نشقّ أريجِه يُزهق نفوس الحكماء عجبًا ، وها أنا أجمع غرائبهِ المستفزة للمخاطر ، وأؤلف بدائع عجائبهِ المستلذة لذوي البصائر ، وقد جاء بحمد الله تعالى نزهة لذوي الألباب ، مرتبًا على ستة أبواب .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

الباب الأول

في

دولة أمير المؤمنين المجيد

أبي جعفر هارون الرشيد

هو أمير المؤمنين أبو جعفر هارون الرشيد ، ابن محمد المهدي ، ابن أبي جعفر المنصور الهاشمي العباسي ، خامس خلفاء بني العباس . أمه الخيزران ، وهي أم أخيه الهادي ، وكانت أم ولد . ولي الخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي ، وهي ليلة الجمعة ، منتصف ربيع الأول من سنة سبعين ومائة . كذا ذكره الملك المؤيد رحمه الله . وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة ، لأن مولده بالريّ / 3ب / ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة . وكان المهدي عقد لابنه الهادي والرشيد بولاية العهد من بعده . وأول من بايع الرشيد يحيى بن خالد البرمكي . وسبب ذلك ما حكاه بعضهم ، من أن موسى الهادي قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد ، ليصير له لابنه من بعده ويخرج هارون من الأمر ليؤول لابنه . وكان له ولد صغير عمره عشر سنين ، فلم يُجب هارون إلى ذلك . فأحضر الهادي يحيى بن خالد البرمكي ولطف به وداراه ووعدّه ومنّاه وسأله أن يشير على أخيه هارون بالخلع ، فلم يُجب يحيى إلى ذلك ودافعه عنه ، فتهدّده الهادي وتوعّده ، وجرت بينهما في ذلك خطوب ، وأشرف يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعتة عن صاحبه إلى أن اعتلّ الهادي علته التي مات فيها واشتدت به ، فدعا يحيى وقال له : ليس ينفعني معك شيء ، وقد أفسدت أخي عليّ حتى امتنع مما أريد ،

ووالله لأقتلنك .

ودعا بالسيف والنّطع وأبرك ليضرب عنقه . فقال له ابراهيم بن ذكوان الحرّاني : يا أمير المؤمنين ، إن ليحيى عندي يداً أريد أن أكافيه عنها ، فأحب أن تهبه الليلة لي وأنت في غير أعلا عينا وما تراه في أمره . فقال : وما فائدة ليلة ؟ فقال : إما أن يعود صاحبه الى رضى أمير المؤمنين ، أو يعهد في أمر نفسه وولده ؛ فأجابه .

قال يحيى ، فأقمت من النّطع وقد أيقنت بالموت ، وعلمت أنه لم يبق من أجلي إلا بقية الليلة فما اكنحت غمضاً الى السّحر . ثم سمعت القفل يفتح /5/ ومشيت مع الخادم الى ممر سمعت فيه كلام نساء ، فقلت عزم على قتلي بحجة ، فهو يدخلني دار الحرم ثم يقول من أذن لك في الدخول على حريمي ؛ ويعتلّ بذلك فيقتلني . فوقفت فقال لي الخادم : ادخل ! فقلت : لا ، ولا يجوز أن أدخل ! فقال : ادخل ! فضحكت وقلت : والله لا أدخل ولو ضربت عنقي أو أسمع كلام أمير المؤمنين بالإذن لي بالدخول ! فإذا امرأة تصيح وتقول : ويلك يا هرثمة أنا الخيزران ، وقد حدث أمر عظيم استدعيتك له فادخل ! فورد عليّ ما تحيرت منه ودخلت ، فإذا بستارة ممدودة وقالت من ورائها : إن موسى قد مات ، وأراحك الله والمسلمين منه ، فانظر اليه ! فجمت ، فإذا هو مُسجى على سرير فمسست محبسته وقلبه ومناخره ، فإذا هو ميت لا شك فيه .

فقلت : ما كان خبره ؟ فقالت لي الخيزران : إني كنت بحيث أسمع خطابك معه وخطابه في أمر أبني هارون ، وفي أمر المحبسين الطالبين ، وفي أمر الكوفة ؛ فلما دخل عليّ استعطفته وسأله أن لا يفعل من ذلك شيئاً . وصاح عليّ . ولم أزل أرفق به الى أن كشفت له ثديي وشعري ، فأتتهرني وقال : والله لئن لم تسكني لأضربن عنقك الساعة ! فخفت وقمت فصفقت قدمي في المحراب أصلي وأدعو الله عليه . فلما كان منذ ساعة طرّح نفسه على فراشه لينام . فشرق ، فتداركناه بكوز ماء فشرب منه ، فازداد شرّقه الى أن تلف . فأمض يا

هرثمة الى يحيى بن خالد وعرفه الخبر ، وأمضيا الى هارون وهاتاه قبل أنتشار الخبر ، وجردا له البيعة على الناس . ففعلت ذلك ، فما أصبحنا إلا وقد فرغ الامر وتواطأت الخلافة لهارون ، وكان /5ب/ ذلك سبب اختصاصي به .

وذكر في تاريخ الخميس عن الياضي : أن موسى الهادي أصابته قرحة في جوفه فمات من يومه . وقيل سمته أمه الخيزران لما أجمع على قتل أخيه الرشيد . وقيل إنها سمته لسبب آخر ، وهو أنها كانت حاكمة مستبدة بالامور الكبار ، وكانت المواكب تهتدي الى بابها ، فزجرهم الهادي عن ذلك ، وكلّمها بكلام لحّ ؛ وقال : إن وقف ببابك أحد من الأمراء ضربت عنقه ؛ أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك ؟! وهو لا يعقل من الغضب . فبعثت اليه بطعام مسموم ، وقد أطعمت منه كلبا فانتثر لحمه ، وعمدت الى قتله لَمّا وعك ، بأن غمّت وجهه ببساط جلسوا على جوانبه حتى مات .

قال البكري : كان موسى الهادي طويلا جسيما ، شجاعا أدبيا جوادا ، صعب المرام . اه .

قال بعضهم : وكان غيورا ، وفيه يقول بعض الشعراء :

تَخْفَى الملوكة لموسى عند طلوعته مثل النجوم لقرن الشمس إذ طلعا
وليس خلق يرى موسى وهيئته من البرية إلا ذل أو خضعا

وقال الملك المؤيد : وكان أبيض ، وبشفته العليا نقص ، وله سبعة بنين وبنتان ، ومات وله من العمر ستا وعشرين سنة ، وخلافته سنة وثلاثة أشهر ، ودفن بعيساباذ الكبير في بستانه ؛ فصلى عليه الرشيد وسار الى بغداد . اه .

وذكر في الإحياء عن الخولاني : أن الرشيد لما أن ولي الخلافة /6/ زاره العلماء وهنّوه بما صار اليه ، ففتح بيوت الاموال وأجازهم الجوائز السنّية . وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ويظهر الزهد والتعفف ، وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري . اه .

وذكر نفعطويه في تاريخه : كان الرشيد يصلي كل يوم ليلة مائة ركعة لم يتركها الا لعلّة ، ويتصدق من خالص ماله بألف درهم على الفقراء في كل يوم وكان يحب العلم وأهله ويعظم الاسلام ، ويكي على نفسه وإسرافه وذنوبه ولا سيما إذا وعظ ، ويأتي بنفسه الى الواعظ . وهو أجل وأعظم ملوك بني العباس .

قال بعضهم : وكان أبيض جميلاً ، مليح الشكل طويلاً عنب الجسم ، وكان فصيحاً له نظر ومعرفة جيّدة بالعلوم .

قال الحافظ ابن عساكر : اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره ، فوزاؤه البرامكة . وقد فوّض الامر الى يحيى بن خالد ، وقاضيه أبو يوسف ، وتديمه العباس بن محمد ، ابن عمه ، وحاجبه الفضل بن الربيع ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومغنيه ابراهيم الموصلي ، وزوجته زبيدة ، وفتحت في أيامه فتوحات كثيرة .

مسرة ملوكية واتفاقية وقتية

قيل : ومن غريب الاتفاق ما وقع للرشيد في بداية أمره ، وهو ما حكى الدميري في حياة الحيوان : أن موسى الهادي لماً ولي الخلافة سأل عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه . فبلغه أن أخاه هارون أخذه فطلبه منه فامتنع من إعطائه فألح عليه فيه ، فحنق عليه الرشيد ومرّ على جسر بغداد / 6ب / فرماه في دجلة . فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة أتى الى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص فرماه في ذلك المكان وأمر الغطاسين أن يلتمسوه ففعلوا ، فاستخرجوا الخاتم الاول ، وعدّوا ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه . اهـ .

قال الملك المؤيد : لما أن ولي الرشيد استوزر يحيى بن خالد وألقى اليه مقاليد الامور . ووُلد له ولده محمد الأمين من زبيدة في شوال من سنة ولايته ، وفيها عزل الرشيد الثغور كلّها من الجزيرة وقنسرين ، وجعلها حيزاً واحداً ، فسُميت

العواصم . وفيها أمر الرشيد بعمارة طرسوس على يد فرج الخادم التركي ونزلها
الناس . اهـ .

مبرة ماجدة ووفاة واحدة

في سنة ثلاث وسبعين ومائة توفيت الخيزران ، أم الرشيد ، وخرج الخليفة
ابنها في جنازتها وهو ماسك بقائمة السرير ، حافيًا وعليه جبة وطيلسان أزرق
قد شدّ به وسطه ، ماشيًا في الطين حتى أتى مقابر قریش ، فغسل رجله وصلى
عليها ونزل في قبرها . وفي هذه السنة حجّ الرشيد وأحرم من بغداد ، وسبب
ذلك عليه نثرٌ ، فاستوفاه وبرّ قسّمه في جارية أخيه موسى الهادي كما سيأتي
ذكرها .

وكان الرشيد كثير الحج ، ولذا قال فيه بعض شعرائه :
فمن يطلب لقاءك أو يُرّده ففي الحرمين أو أقصى الثغور
قيل إنه كان يحج سنة ويغزو سنة ، وإذا حج أحجّ معه مائة من الفقهاء ،
وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة من الفقهاء بالنفقة والاحسان اليهم .

وكان الرشيد يقول : إني لأحب أن أحج في كل عام . / 7 . وب . . . /
[وفي الاغانى قال : حدثني اسماعيل بن جامع السهمي : ضمّني الدهر ضمًا
شديدًا بمكة ، فانتقلت منها بعيالي الى المدينة ، فأصبحت يومًا وما أملك إلا
ثلاثة دراهم فهي في كُمّي إذ أنا بجارية على رقبتها جرة ، تريد الركي (الركي ،
جنس للركية وهي البسر) ، تسعى بين يدي وتترنم بصوت شجي ، تقول :

| | |
|------------------------------------|----------------------------------|
| شكونا الى أحبائنا طولَ ليلنا | فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا |
| وذلك لأن النوم يغشى جفونهم | سراعًا وما يغشى لنا النوم أعيننا |
| إذا ما دنا الليل المضيرُ بذي الهوى | جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا |

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا

قال : فأخذ الغناء بقلبي ولم يَدُرْ [لي] حرفٌ منه ، فقلت : يا جارية ! ما أدري ، وجهك أجمل أم غناؤك ، فلو شئتِ أعدتِ ! فقالت : حبًا وكرامة . ثم أسندت ظهرها الى جدار قريب منها ، ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى ووضعت الجرة على ساقها واندفعت تغنيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ! فقلت لها : قد أحسنتِ ، فلو تفضلت فأعدتِه ! فقطبت في وكحلت وقالت : ما أعجبَ أحدكم ، لا يزال يجيء الى جارية عليها الضريبة فيشغلها ! فضربت يدي الى الثلاثة دراهم ، فدفعتها اليها وقلت لها : أقيمى بها وجهك اليوم الى أن تلقى . فأخذتها وهي كالكارهة ، وقالت : إنك تريد الآن أن تأخذ مني صوتًا ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار !

قال ، واندفعت تغني . فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته ، /8ب/ وانصرفت مسرورًا الى أهلي ومنزلي أردده حتى خف على لساني . ثم خرجت أريد بغداد فنزل بي المكاري على الباب المحول لا أدري أين أتوجه ولا أين أقصد وأمشي مع الناس حتى أتيت الجسر ، فعبرت معهم حتى انتهيت الى شارع الميدان ، فرأيت مسجدًا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعًا ، فقلت مسجد قوم سراة ، فدخلت ، وحضرت صلاة المغرب فصليت ، وأقمت بمكاني حتى صليت العشاء على جوع وعطش . وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلي وخلفه جماعة خدم وخول ينتظرون فراغه ، فصلي مليًا ثم انصرف فقال : أحسبك غريبًا ؟ قلت : أجل ! قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آتفًا وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليس صناعتي من الصناعة التي يُتقرب بها الى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : الغناء . فوثب مبادرًا ووكل بي بعض من معه .

فسألت الموكل بي عنه ، فقال هذا سلام الأبرش . وانتهى بي الى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورة ، ثم أدخلني مقصورة في آخر الدهليز

ودعا بطعام . فأوتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلت حتى آمتلأت .
فإني لكذلك إذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ فقيل : هو
ذا ! قال : ادعوا له بغسول وخلعة وطيب . ففعل ذلك ؛ وحملت على دابة الى
دار الخليفة ، وعرفتها بالحرس والتكثير . فجاوزت مقاصير عدة حتى صرت
الى دار قوراء ، فيها أسيرة في وسطها ، قد أضيف بعضها الى بعض ، فصعدت
فإذا رجل جالس وعن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان ، وفي حجر
الرجل عود . فرحب /9/ الرجل بي ، وإذا مجالس حياه كان فيها قوم قد
قاموا عنها ، فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر ، فقال للرجل : تغن !
فاندفع يغني بصوت لي (الكمل ، مفرد كلة ، وهي ستر يخاط كالبيت
(ناموسية) . اليعافير : الظباء . والوهل : الفرع) :

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب . ولم تر الشمس إلا دونها الكلل
مشي الهوينا كأن الشمس توحشها مشي اليعافير في إحنائه الوهل

فغنى بغير إصابة أوتار مختلفة ، ثم عاد الخادم الى الجارية التي تلي الرجل
فقال : تغني ! فغنت في صوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل وهو
(الناشط : حيوان الوحش ، الثور أو الحمار) :

يا دار أضحت خلأ لا أتيس بها إلا الظباء والناشط الفرد
أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا وطار عن قلبي السلوان والكمد

ثم عاد الى الثانية ، وأحسبه أغفلها وما تغنت ، ثم عاد الى الجارية التي
تليهما فاندفعت تغني الصوت لحكم الوادي وهو :

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد وشك البين أم أنا غالبه
فان استطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

ثم عاد الغلام الى الجارية فغنت بصوت لحنين :

مررنا على قَيْسِيَّةَ عامرية لها بشرٌ خافي الأديم هيجان
فقلت وألقت جانبَ السُّر دونها من أية أرض أو من الرُّجُلان
9ب/

فقلت لها أما تميم فأسرني هُديت وأما صاحبي فيماني
رفيقان ضمَّ الشعر بيني وبينه وقد يُجمع الشَّتَى فيقترقان

ثم عاد الرجل فغنى صوتاً فشبه فيه (شبه فيه ، يريد لم يؤده على وجهه) ،
والشعر لعمر بن أبي ربيعة :

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عَيْدًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانِ ذِي نَفَرٍ أَغَارَهَا شَبَّهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا
وَمَشْرِقًا كَشَعَاعِ الشَّمْسِ بِهِجْتِهِ وَمَسْبُطًا عَلَى لَبَاتِهَا سُودَا
ثم عاد الى الجارية فتغنت بصوت حُكَم الوادي وهو :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَأَنَا لِقَوْمٍ مَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسُلُولُ
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالُنَا لَنَا وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وتغنت الثانية :

وَدِدْتُكَ لَمَّا قِيلَ وَدَّكَ خَالِصُ وَلَنْ يَلْبِثَ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ نَظْرُهُ
وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتَ نَهَبًا مُقْسَمًا إِذَا كَثُرَ الْوُرَادُ أَنْ يَتَهَدَّمَا
وتغنت الثالثة بشعر الخنساء :
وما أبصرته الخيلُ إلا اقشعرتِ وما كَرَّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طَاعِنِ

فيدرك ثارًا وهو لم يُخطئه الغنى فمِثْلُ أخِي يومًا به العين قَرَّتْ
/ 10 /

فلست أرزى بعده برزية فأذكره إلا سَلَتْ وتجلَّتْ
وغنى الرجل في الدور الثالث :

لَحَى اللهُ صعلوكًا مناه وهمه من الوفر أن يَلْقَى كُووسًا ومطعمًا
ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى تنبه مسلوب الفؤاد مُورَّمًا
ولكن صعلوكًا يُساور همّه ويمضي على الهيجاء لثًا مصممًا
فذلك إن يلق الكريهة يَلْقَاهَا كريمًا وإن يستغفر يومًا فربمًا
وتغنت الجارية بشعر عمرو بن معدي كرب :

ألم تر لما ضمّني البلدُ القفر سمعتُ نداءً يصدعُ القلبَ يا عمرو
أغشنا فإنا عُصبةٌ مُذْحِجِيَّةٌ تزيد على وفر وليس لنا وفر
وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلّمتُ أسفرت وجوهٌ زهاها الحُسنُ أن تتقنعا
تبًا لهنّ بالعرفان لما عرّفنتي وقلن امرؤ باغ لكلّ وأوضعا
فلما تواضعن الحديثَ وقلن لي أخفيت علينا أن تُغرّ وتخدعا

قال : وتوقفتُ ، فجاء الخادم اليّ فقلت للرجل : بأبي أنت ، خذ العود
وشدّ وتر كذا وآرفع الطبقة وحطّ دُستان كذا ! ففعل ما أمرته ، وخرج خادم
فقال : تغنّ عافاك الله ! فغنيت بصوت الرجل الاول على غير ما غناه ، فإذا
جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا من الأسرة ، قالوا : ويحك لمن هذا
الغناء ؟ قلت : لي . فانصرفوا عني تلك الساعة ، وعاد الخادم فقال : كذبت ،
هذا الغناء لابن جامع .

ودار الدور فلما انتهى اليّ قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود .

فعملت ما أريد ، فسوّت العود على غنائها في الصوت الثاني ، فتغنيت به ، فخرجت الجماعة من الخدم ، وقالت : /10ب/ ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لي . فرجعوا ، وخرج الخادم وقال : كذبت ، هذا لابن جامع ! قلت : فأنا اسماعيل بن جامع ، فما شعرت إلا والرشيد وجعفر بن يحيى قد أقبلوا من وراء السُّر الذي كان يخرج منه الخادم ، فقال لي الفضل بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك .

فلما صعد السرير ، مثلت قائماً . فقال لي : ابن جامع ! قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك متى كنت في هذه المدينة ؟ قلت دخلتها آنفاً في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين . فقال : اجلس ويحك يا ابن جامع . ومضى هارون وجعفر ، فجلسنا في بعض المجالس . فقال : أبشِرْ وأبسُط أَمَلَك . فدعوت له . ثم قال : غنّ يا ابن جامع ! فخطر بقلبي صوت الجارية ؛ فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة ، فعرف ما أردت ، فوزن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الاوتار وأخذت الدساتين مواضعها واندفعت أغني بصوت الجارية الحميراء .

فنظر الرشيد الى جعفر وقال : سمعت كذا قطاً ١٩ قال جعفر : لا والله ما خرق مسامعي قط مثله . ورفع الرشيد رأسه الى خادماً له كان بالقرب منه ، فجاء بكيس فيه ألف دينار فرمى به . فصيّرته تحت فخذني ودعوت لأمر المؤمنين ، فقال : يا ابن جامع ، ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددته وتزّيدت في غنائي . فقال له جعفر : يا سيدي أما تراه كيف يتزّيد في الغناء ، هذا بخلاف ما سمعناه أولاً ، وإن كان في اللحن واحداً . فرفع الرشيد رأسه الى ذلك الخادم ودعا بكيس آخر فيه ألف دينار ، فجاءني به . فصيّرته تحت فخذني ، وقال : تغنّ يا اسماعيل /11/ بما حضرك . فجعلت أقصّد الصوت بعد الصوت مما كان بلغني أنه يشري عليه الجوّاري فأغنيه ، فلم أزل أفعل ذلك الى أن عشمس الليل ، فقال : أتعبناك يا اسماعيل هذه الليلة بغنائك ، فأعدّ على

أمير المؤمنين الصوت ! يعني صوت الجارية ، فتغنيت ، فدعا الخادم بكيس ثالث فيه ألف دينار فجاءني به . فصيرته تحت فخذي ، وتذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسمت ، ولحظني الرشيد فقال : يا ابن الفاعلة ، لم تبسمت ؟ فجنوت على ركبتني وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدق منجاة . فقال لي : القصة 19 فقصصت عليه خبر الجارية .

فلما استوعبه قال : صدقت ، قد يكون هذا . وقام ونزل من السرير ولا أدري أين أقصد ، فأبتدرني فرأشان ، وجازا بي الى دار قد أمر بها أمير المؤمنين ففرشت وأعدت فيها جميع ما يكون في مثلها من آلات جلوس الملوك وندمائهم من الخدم وكل آلة وحول إلي جوار ووصائف ، فدخلتها فقيرا فأصبحت من أجله أهلها ومياسرهم . انتهى .

وذكر التنوخي هذا الخبر بخلاف عن اسماعيل بن جامع ، قال : ضممني الدهر وأنا بمكة ضما شديداً فانتقلت الى المدينة ، فبينما أنا جالس ذات يوم مع بعض أهلها نتحدث إذ قال لي رجل حضرنا : والله لقد بلغنا ، يا ابن جامع ، أن الخليفة ذكرك وأنت في بلد ضائع . فقلت : والله ما بي من نهوض . فأحسب شيئا (حثل شيئا ، يقصد تناول غذاء سيئا . .) وشخصت الى العراق ، فقدمت بغداد ونزلت عن بغل كنت أكثرته ، ثم ذكر في الحديث نحو الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء الذي أخذ الصوت عنها ، فأحسبه غلط في إدخاله تلك الحكاية ها هنا ولتلك خبر آخر . وقال /11ب/ في هذا الخبر : إن الدور دار مرة أخرى حتى صار إلي ، فخرج الخادم فقال : غن أيها الرجل ! فقلت : أما أنتظر ؟ ثم اندفعت أغني بصوت لي وهو :

| | |
|----------------------------|-----------------------------------|
| فلو كان لي قلبان عشت بواحد | وخلفت قلبا في هواك يُعذبُ |
| ولكنما أحيا بقلب مروع | فلا العيش لي يصفو ولا الموت يقربُ |
| ولي ألف وجه قد عزفت مكانه | ولكن بلا قلب الى أين أذهب |

فخرج الرشيد حيثئذ ، الى تمام ما ذكر . انتهى .

ومما يحكى عن فضل الرشيد وحسن تدبيره ، أنه خرج عليه يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وظهر أمره بالديلم ، سنة ست وسبعين ومائة ، كما ذكر الملك المؤيد ، وتحرك هناك واشتدت شوكته ، فأرسل اليه الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف . فكاتبه الفضل وبذل اليه الأمان وما يختاره . فأجاب يحيى بن عبد الله الى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر ، ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد ، فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا . ثم قبض عليه وحجسه فلا زال محبوسا حتى مات الى رحمة الله تعالى .

قال الملك المؤيد : وفي هذه السنة هاجت /12/ الفتنة بدمشق بين المضربة واليمانية ، وسببها أن رجلا من القين أتى رضى باللقاء ، ليطحن فيه ، فمرّ بحائط رجل من لخم أو جذام وفيه بطيخ ، فتناول منه ؛ فشتمه صاحبه وتضاربا ، واجتمع قوم من اليمانيين وضربوا الذي من القين ، فأعانه جماعة [من مضر] ، فقتل رجل من اليمانيين . وكان على دمشق عبد الصمد بن علي ، فجمع الرؤساء وسعوا في الصلح بينهم ، فأتوا الى بني القين وكلموهم في الصلح فأجابوا وأتوا الى اليمانية وكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر ، ثم سارت اليمانية الى بني القين وقتلوا منهم نحو ستمائة ، فاستنجدت بنو القين قبضة وسلحا (في الاغاني «سليحا») فلم ينجدوهم ، فاستنجدوا قيسا فأجابوهم ، وساروا معهم الى العواليك من أرض البلقاء ، فقتلوا من اليمانية ثمانمائة ، وكثر القتال بينهم . ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولّاها ابراهيم بن صالح بن علي ، ودام القتال بين المذكورين نحو سنتين . انتهى .

تمام آجال ووفيات رجال

مات الفرّج بن فضالة وصالح بن بشير القاريء ، وكان ضعيفا في الحديث ؛

ونعيم بن ميسرة النحوي الكوفي . وفيها توفي شريك بن عبد الله ابن أبي شريك ، وهو الحارث بن أوس النخعي ، تولّى القضاء أيام المهدي وعزله الهادي . كان عالماً عادلاً في قضاائه كثير الصواب حاضر الجواب . جرى بينه وبين عبد الله بن مصعب الزبيري كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب : أنت تنقص أبا بكر وعمر ! فقال شريك : والله ما أتقص جدك ، وهو دونهما ! ووصف عنده معاوية بالحلم ، فقال : ليس بحليم من سقّه الحق ، قاتل عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

وخرج /12ب/ شريك يوماً على أصحاب الحديث ليسمعوا عليه فشتوا منه رائحة النبيذ ، فقالوا : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ! فقال له : لا بدّ أن تُجيبني الى خصلة من ثلاث . فقال : وما هي ؟ فقال : إمّا أن تلي القضاء ، أو تحدّث وتُؤدّي وتعلّمهم ، أو تأكل عندي أكلة . ففكّر وقال : الأكلة أخفها على نفسي . فأحضر الأكل وفيه ألواناً من المخ وغيره ، فأكل . فلما فرغ قال الطباخ : والله لا يُفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً ! فوُلّي بعد ذلك القضاء وحدثت أولاد المهدي . وكتب المهدي له الى الصيرفي برزقه ، فقايضه الصيرفي بالنقد ، وقال له : لم تبع به بزاً . فقال له شريك : ويلك ، والله بعث به ديني ! وفيها توفي حماد ، ابن الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان . وكان على مذهب أبيه ، وكان من أهل الصلاح ، وكان ابنه اسماعيل قاضي البصرة ، فعزل منها . كذا حكاه في تاريخ العظمي .

أدبية بارعة ووصمة يانعة

مما يُحكى عن الرشيد في علوّ همته ومزيد نعمته .

ذكر في كتاب الاغانى أن ربيعة الرقي ابن ثابت كان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، وكان ضريراً أشخصه المهدي اليه فمدحه ، فأمر له بشيء كثير ثم مدح العباس بن محمد بقصيدة طويلة يقول فيها :

مَا أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا
وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بِلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَتَبَتْ هَلَالَهَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُودَةٌ حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتِيكَ عِقَالَهَا

وَنَاولَهَا الْعَبَّاسُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ دِينَارَيْنِ فَكَادَتْ أَنْ تَخْرِجَ نَفْسَهُ غَضَبًا /13/ وَقَالَ
لِلرَّسُولِ : خُذِ الدِّينَارَيْنِ ، وَهَمَّا لَكَ عَلَى أَنْ تَرَدَّ الرِّقْعَةُ إِلَيَّ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ الْعَبَّاسُ
لَا لِحَقِّ فِيهَا شَيْئًا . قَالَ : نَعَمْ . وَأَحْضَرَهَا إِلَيْهِ ، فَأَمَرَ مِنْ كَتَبَ فِي ظَهَرِهَا :
مَدَحْتُكَ مِدْحَةَ السَّيْفِ الْمُحَلَّى لَتَجْرِيَ فِي الْكَرَامِ كَمَا جَرِيَتْ
فِيَا لَكَ مِدْحَةُ ذَهَبَتْ ضِيَاءًا كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَافْتَرَيْتُ
فَأَنْتَ الْمَرْءُ لَيْسَ لَهُ وَفَاءٌ كَلَّنِي إِذْ مَدَحْتُكَ قَدْ رَثَيْتُ

ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى الرَّسُولِ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا . فَجَاءَ الْعَبَّاسُ مِنَ الْغَدِ وَنَظَرَ
فِيهَا فَرَأَى الْآيَاتِ فِي ظَهَرِهَا ، فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ وَقْتِهِ فَرَكِبَ إِلَى الرَّشِيدِ وَكَانَ
يُجَلِّهِ ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْطُبَ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ هَجَانِي رِبْعَةُ الرَّقْمِ !
فَأَمَرَ بِأَحْضَارِهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ، أَتَهْجُو عَمِي ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَكَ !
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ مَدَحْتَهُ بِقَصِيدَةٍ مَا قَالَ مِثْلَهَا أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ
فِي أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ ؛ لَئِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ بِأَحْضَارِهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ
كَلَامَهُ سَكَنَ غَضَبَهُ ، وَأَمَرَ الْعَبَّاسَ بِأَحْضَارِ الرِّقْعَةِ ، فَتَلَكَّأَ عَلَيْهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَخْطَأَ
وَعَلَطَ . فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي أَحْضَرُهَا !

فَأَحْضَرَهَا . فَوَقَفَ الرَّشِيدُ عَلَيْهَا وَأَعْجَبَ بِهَا ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقَ ،
فَكَمْ أَثْبَتَهُ عَلَيْهَا ؟ فَسَكَتَ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَجَرَّضَ بَرِيقَهُ ، فَقَالَ رِبْعَةُ : أَثَابَنِي عَلَيْهَا
وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِينَارَيْنِ فَقَالَ : بِحَيَاتِي يَا رَقْمِي بَكُم أَثَابَكَ ؟ قَالَ : وَحَيَاتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَثَابَنِي سِوَى الدِّينَارَيْنِ . فَغَضِبَ الرَّشِيدُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ
لِلْعَبَّاسِ : سَوَاءٌ لَكَ ، أَيُّ حَالَةٍ (أَيَّةِ حَالٍ) قَعَدْتُ بِكَ عَنْ إِثَابَتِهِ ؛ أَقَلَّةَ الْمَالِ ،

فوالله موألتك جُهدي ؛ أم /13ب/ انقطاع المادة عنك ، فوالله ما انقطعت بك ؛ أم أصلك ، فوالله الاصل ما يدانيه شيء ؛ أم نفسك ، فلا ذنب لي ، والله نفسك فعلت بك هذا حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني وفضحت نفسك ، وخلدت الأحدثوة عنك الى الأبد ! فنكس العباس رأسه ولم ينطق بحرف ، فقال الرشيد : يا غلام ، إعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة وأحمله على بغلة ، وقل له بحياتي يا رقي لا تذكره في شعرك تعريضاً ولا تصريحاً . فقال : سمعاً وطاعة ! ثم إن الرشيد فتر عن التزويج اليه وجفاه وأطرحه بعد ذلك .

قال : وكان الرقي يعبت بالعباس بن محمد بعد ما جرى بينهما بحضرة الرشيد ، فجاء العباس يوماً ببرنية (البرنية ، إناء من خزف) فيها غالية ، فوضعها بين يدي الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين هذه غالية صنعتها بيدي ، واخترت عنبرها من بحر عُمان ومسكها من مفاوز التبت وبأنها من قعر تهامة . وأكثر من وصفها ، فقال له ربيعة : ما رأيت أعجب من صفتك لهذه الغالية عند من اليه يُجلب كل موصوف ، ألا أجريت اليه منها نهرًا أم حملت اليه منها وقرًا ، والله إن تعظيمك هذه عن من تجيء اليه خزائن الارض وأموالها من كل بلد وتحفه الملوك بظرائف بلدانها لعجيب ، كأنك قد فقت ما عنده وأبدعت اليه ما لا يعرفه ؛ بالله يا أمير المؤمنين إلا جعلت حظي من جائزة توصلها اليّ هذه الغالية حتى ألقاها بحقها . فقال : ادفعوها اليه . فأخذها وحلّ سراويله وطلّى بها أسته وذكره وتحت إبطيه ، وقال /14/ لغلامه : خذ هذه الغالية وقل لجاريتي طيبي بها حرك وأستك وإبطيك حتى أجيء الساعة أنكحك ! فضحك الرشيد حتى غشي عليه وكاد العباس أن يموت غيظًا ، وأمر له الرشيد بثلاثين ألف درهم . انتهى .

تذكرة اعلام ووفاة إمام

كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه على عهد الرشيد ، فرحل لسماع

الموطأ عليه . وهذا مما يحمّد عليه الرشيد ولم يشاركه فيه غيره من الملوك .
قال القاضي في بعض رسائله : ما أعلم لمالك رحلة في طلب العلم إلا
الرشيد ، لأنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك . وكان
أصل الموطأ سماع الرشيد في خزائن المصريين . قال : ثم رحل لسماعه السلطان
صلاح الدين بن أيوب إلى الاسكندرية ، فسمعه على أبي طاهر بن عوف ولا
أعلم لهما ثالث ، انتهى .

ذكر بعضهم ، أن الرشيد أعطى لمالك ثلاثة آلاف دينار فأخذها ولم ينفقها .
فلما أراد الرشيد الشخص إلى العراق ، قال لمالك : ينبغي أن تخرج معنا فإني
عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على
القرآن . فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ؛ فإن أصحاب
محمد ﷺ اختلفوا بعده في الأمصار فحدثوا ، فعند أهل كل مصر علم ، وقد
قال عليه الصلاة والسلام : اختلاف أمتي رحمة ؛ وأما الخروج معك فلا سبيل
إليه ؛ قال ﷺ : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، تنفي / 1ب / خبثها كما ينفي
الكبير خبث الحديد ، وهذه دنائيرك كما هي ، إن شتتم فخذوها وإن شتتم
فدعوها !

يعني إنما تكلفني الخروج معك ومفارقة المدينة بما اصطنعت له لدي ، فلا
أؤثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ . وهذا يدل على زهده رضي الله تعالى
عنه ، انتهى .

وتوفي مالك رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، وقال الملك
المؤيد سنة ثمان وسبعين ومائة . ومولده سنة خمس وتسعين للهجرة . اهـ .

وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان ،
- بغين معجمة - الأصمعي ، يتصل نسبه إلى سبأ . كان طويلاً ، شديد البياض
إلى شقرة ، وهو إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأعلام ، أخذ القراءة عن نافع
بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافعاً مولى ابن عمر ، وروى عنه الأوزاعي ويحيى

بن سعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأي فكان رضي الله تعالى عنه إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس بوقار وهيبة ، فقليل له في ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ . وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ . وكان يقول : إذا لم يكن للانسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خيرا !

وفي الحلية ، قال مالك رضي الله تعالى عنه : ما بت ليلة إلا ورأيت فيها رسول الله ﷺ . اهـ .

وقد مدحه بعض العلماء (المرجع السابق والدياج ، ص 24 . وروى البيتان باقل بلاغة مما هنا : «يأبى الجواب فلا يراجع . . .» ، «أدب الوقار وعز سلطان التقى ، فهو المطاع» فقال :

يدع الكلام فلا يُراجع هبة والسائلون نواكس الاذقان
سيما الوقار وعز سلطان الوري فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال شيخ الاسلام محيي الدين النووي ، رحمه الله : رويناه بالاسناد الصحيح في جامع الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : يوشك أن يضرب الناس لياط الابل في طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة ! قال الترمذي : حديث حسن صحيح . قال ، وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس رضي الله عنه . اهـ .

والحديث مذكور رواه النسائي والحاكم في أول المستدرک . وروي من حديث سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : يوشك أن يضربوا أكباد الابل فلا يجدوا أعلم من عالم المدينة . قال : صحيح على شرط مسلم . قال : ولم يخرج مسلم ، اهـ .

قال الدميري : إنما لم يخرج مسلم لانه سأل البخاري عنه فقال : له علة ،

وهو أنَّ أبا الزبير لم يسمع من أبي صالح . ولما روى النسائي في السنن الكبرى هذا الحديث من حديث ابن عيينة عن أبي الدرداء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عقبه بقوله : هذا خطأ والصواب أبو الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . وقيل : عالم المدينة عبد الله العمري /15ب/ وهو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم . روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما . وكان من أزهد أهل زمانه وأشدّهم تخلّياً للعبادة ، عاصر مالك بن أنس رضي الله عنهما . وتوفي سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين ، وهو ابن ست وستين سنة . قال عمر بن شبة : حدثنا أبو يحيى الزهري قال : قال عبد الله العمري بعد موته : بنعمة ربي أحدثت ، لو أنَّ الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني عن أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها .

وكتب العمري المذكور إلى مالك وابن دينار وغيرهما بكتب أغلظ لهم فيها ، فجاوبه مالك بجواب .

ففيه قال ابن عبد البر في التمهيد : كتب العمري إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ويرغب به عن الاجتماع إليه في العمل . فكتب إليه مالك : «إن الله عز وجل كتب الأعمال كما كتب الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصيام ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام ، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة . ونشر العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح الله تعالى فيه من ذلك وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير ، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله تعالى له ، والسلام» .

وفي الأخبار ، في الباب السادس من أبواب العلم ، يحكي أن يحيى بن يزيد المتوكل كتب إلى مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه : «أمّا /16أ/ بعد ، فقد بلغني أنك تلبس الرقاق وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطاء ، وتجعل على بابك

حجّاباً ، وقد جلست جلسة المعلم ، وضربت اليك إباط المطي ، وارتحل اليك الناس فاتخذوك إماماً ورضوا بقولك . فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع . كُتبت اليك بالنصيحة مني كتاباً ما أطلع عليه إلا الله تعالى ، والسلام» . فكتب اليه مالك : «بسم الله الرحمن الرحيم . من مالك ابن أنس الى يحيى بن يزيد ، سلام عليك ، أمّا بعد ، فقد وصل اليّ كتابك فوقع مني موقع النصيحة من المشفق ، أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً ، وأسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وأمّا ما ذكرت من أنّي آكل الرقاق وألبس الرقاق فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله العظيم ، وقد قال سبحانه : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» . وإني لا أعلم أن ترك ذلك خيراً من الدخول فيه ، فلا تدعنا من كتابك ، فإنّا لسنا ندعوك من كتابنا ، والسلام» .

وفيه أيضاً أنّ الشافعي رضي الله عنه قال : شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه وقد سئل عن ثمان وثمانين مسألة ، فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري . وهذا يدلّ على أنّه كان يريد بعلمه وجه الله تعالى ، فإنّ من يريد غير وجه الله تعالى بعلمه لا تسمح نفسه بأنّه لا يدري . ولذلك قال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، اهـ .

ونقل المؤيد أنّ الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : قال لي محمد بن الحسن : أيهما أعلم / 16ب/ صاحبنا أم صاحبك ؟ يعني أبا حنيفة ومالكا . قال : قلت : على الأنصاف ؟ قال : نعم ؛ قال فقلت : أنشدك الله ، من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ! قال فقلت : أنشدك الله من أعلم بالسنة ؟ قال : اللهم صاحبكم . قال فقلت : أنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم . قال الشافعي : فلم يبق الا القياس ، والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء .

وروي أنّ أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في الطلاق المكره ثم

دسّ عليه من سألته فروى عن ميلا من الناس : ليس طلاق على مكروه ؛ فضربه بالسياط .

وذكر المؤيد أنّه سُمي بمالك الى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو ابن عم أبي جعفر المنصور ، فقالوا له إنّهُ لا يرى الايمان ببيعتهكم هذه بشيء ، لأنّ يمين المكروه ليست لازمة . فغضب جعفر ، ودعا بمالك وجردّه وضربه بالسياط ، ومُدّت يده حتى انخلعت كتفه ، وآرتكب منه أمراً عظيماً ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علوّ ورفعة ، وكلّ ذلك بفضل العلم أول ما حدّثني به مالك بن أنس حين أتيتهُ طالباً لما ألهمني الله اليه في أوّل يوم جلست اليه ؛ قال لي : ما اسمك ؟ قلت : أكرمك الله ، يحيى . وكنت أخذت أصحابه /17/ سنّاً ، فقال : يا يحيى ، الله الله الجِدّ في هذا الأمر ، وسأحدثك في ذلك بحديث يرغبك فيه ويزهّدك في غيره . قال : قدم المدينة غلام من أهل الشام بحداثة سنّه فكان معنا يطلب ويجهّد حتى نزل به الموت فلقد رأيت على جنازته شيئاً لم أر مثله على أحد من أهل بلدنا الا طالب أو عالم ورأيت جميع العلماء يزدهمون على نعشه . فلما رأى ذلك الأمير أسمك عن الصلاة وقال : قدّموا منكم من أحببتهم . قدّم أهل العلم ربيعة ، فألحده في قبره ، وزيد بن أسلم ويحيى بن سعيد وابن شهاب وأقرب الناس اليهم محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وأبو حازم وأشباههم ، وبني علي لحده ربيعة ، وهؤلاء كلّهم يناولونه اللّين .

قال مالك فلما كان اليوم الثالث من يوم دفنه رآه رجل من خيار أهل بلدنا في أحسن صورة وتحت فرس أشهب نازل من السماء ، فكان يأتيه قاصداً ويسلم عليه ويقول : هذا بلغني اليه العلم ! فقال الرجل : وما الذي بلغك اليه ؟ فيقول : أعطاني الله بكل باب تعلّمته من العلم درجة في الجنة فلم تبلغ لي الدرجات الا درجة أهل العلم ، فقال الله تعالى : زيدوا ورثة أنبيائي ، فقال : حتمت على نفسي أنّه من مات وهو عالم سُتّي أو سنّة أنبيائي أو طالبٌ لذلك أن أجمعهم في درجة واحدة ، فأعطاني ربّي حتى بلغت الى درجة أهل /17ب/

فليس بيني وبين رسول الله ﷺ الا درجتان ، درجة هو فيها جالس وحوله النبيون كلهم ، ودرجة فيها جميع أصحابه وجميع أصحاب النبيين الذين أتبعوهم ، ودرجة من بعدهم فيها جميع أهل العلم وطلبته ، فسيرني حتى استوسطتهم ، فقالوا : مرحبًا مرحبًا ! سوى مالي عند الله من المزيد .

فقال له الرجل : ومالك عند الله من المزيد ؟ قال : وعدني ربي أن يحشر النبيين كلهم كما رأيتهم في زمرة واحدة ، فيقول : يا معشر العلماء هذه جنتي قد أبحثها لكم ، وهذا رضواني قد رضيت عنكم ، فلا تدخلوا الجنة حتى تتمنوا وتشتفعوا ، فأعطيكم ما شئتم وأكفعمكم فيمن استشفعتم له ، ليرى عبادي كرامتكم عليّ ومنزلتكم عندي .

فلما أصبح الرجل حدث أهل العلم وانتشر خبره بالمدينة . قال مالك : كان بالمدينة أقوام بدؤوا معنا في طلب هذا الامر وكفّوا عنه حتى سمعوا هذا الحديث ، فلقد رجعوا اليه وأخذوا بالجد ، هم اليوم من علماء بلدنا ، الله الله ، يا يحيى جدّ في هذا الامر ! انتهى .

وفي مالك ، أن عبد الله بن سلام قال لكعب الأحبار ، رضي الله عنهم : من أرباب العلم الذين هم أهله ؟ قال : الذين يعملون بعلمهم ! قال : صدقت ، فما ينفي العلم من صدور العلماء بعد إذ علموه ؟ قال : الطمع . انتهى .

وقال الواقدي (الدر 7ب) : مات مالك بن أنس وله من العمر تسعون /18/ سنة ، ودفن بالبقيع من المدينة وكان يكره حلق الشارب ويره من المثلة ، ولا يغير شبيهه رضي الله عنه . اهـ .

وفي الحلية : قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : قالت لي عمّتي ونحن بمكة : رأينا في هذه الليلة عجبًا ! فقلت لها : وما هو ؟ قالت : قاتلا يقول لي مات مالك ، أعلم أهل الارض . فحسبنا ذلك . فإذا هي ليلة مات فيها الامام مالك رحمه الله . وقد ضبط الشيخ الامام أبو مهدي عيسى الثعالبي الجزيري المالكي مولد الامام مالك ، وولادته بقوله :

فخرُ الأئمة مالكُ نِعَمِ الإمام السالكُ مولده نجم هدى وفاته فاز مالكُ

تفريج مصاب وزوال اكتئاب

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة عن جبريل بن بختشوع الحكيم ، قال : كنت مع الرشيد بالرقّة ومعه المأمون ومحمد الأمين . وكان رجلاً كثير الأكل والشرب ، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح ، فغشي عليه فيه ، وأخرج وقوي عليه الغشي حتى لم يشك غلمانه في موته ، وحضر ابنه وشاع عند العامة والخاصة خبره وأرسل اليّ فحضرت ، ومسست عرقه ، فوجدت نبضاً خفيفاً ، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاءً في حركة الدم . فقلت لهم : لم يمت والصواب أن يُحجم الساعة ! فقال كوثر الخادم : يقدر من أمر الخلافة وإفضائها إلى صاحبه محمد ، يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلاً ميتاً لا يقبل / 18 ب / قولك ولا كرامتك ! فقال المأمون : الأمر قد وقع ، وليس بضير أن يحجمه أكثر من الموت .

فأحضر الحجام ، وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه ففعلوا وأقعده مُسَاكَةً ، فقلت للحجام : ضع محاجمك ! ففعل . فلما مصّها رأيت الموضع قد احمرّ ، فطابت نفسي بذلك وعلمت أنه حيّ . ثم قلت : إشرط ! فشرط . فأخرج الدم ، فسجدت شكراً لله تعالى ، وجعل كلما خرج ألم يحرك رأسه ويسفر لونه إلى أن تكلم وقال : أين أنا ؟ فطيننا نفسه وغذيناها بصدر درّاج وسقيناه نبيذاً ، وما زلنا بالطيب في أنفه وحوله حتى تراجعت إليه قوّته وأدخل الخاصة والقواد إليه ، فسلموا عليه من بعد ما كان قد شاع خبره . ثم تكاملت قوّته ، ووهب الله عافيته .

فلما خرج من علته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كلّ سنة . فعرفه أنها خمسمائة ألف ألف درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلته . فعرفه أنها خمسمائة ألف درهم ، فقال : يا

جبريل ، كم غلّتك ؟ قلت : خمسون ألف درهم . فقال : ما أنصفناك ، حيث كان غلات هؤلاء وهم يحرسون ويحجبوني عن الناس على ما هي عليه وتكون غلّتك ما ذكرت . وأمر بإقطاعي غلة ألف ألف درهم . فقلت : يا سيدي ، ما لي حاجة الى الاقطاع ، ولكن تهب لي ما أشتري به ضياعاً . ففعل وساعدني حتى صرت صاحب ضياع وعقار ورباع ، حتى صار مدخولي في السنة مقدار خمسين ألف دينار . انتهى .

ومما يندرج في سلك هذا النظام ويوشح به هذا المقام ما /19/ ذكره البسطامي في كتابه مناهج التوسّل الى مباحج الترسّل ، ما نصّه : بينما الموائد قد مدّت بين يدي الرشيد وإذا بجبريل بن بختشوع قد دخل عليه ، فسأله الرشيد عن حال ابراهيم بن صالح المقدّم ذكره في عزله عبد الصمد وتوليته الشام في أيام الفتنة ؛ وذلك أنه عزله عن الشام أيضاً ، وأتى الى العراق فمرض مرضاً شديداً ، وكان طبيبه بختشوع ، فسأله الرشيد عن حاله ، فأخبره أنه في آخر رمق وأنه يقضى عليه وقت صلاة العشاء . فحزن الرشيد وأقبل على البكاء ، وأمر برفع الموائد فرُفعت ، فقال جعفر البرمكي : يا أمير المؤمنين لو أحضرت صالح بن بهلة الهندي ثم وجهته لابراهيم بن صالح لنفهم عنه ما يقول . فأمر بإحضاره وتوجيهه وردّه بعد منصرفه من عنده ، ففعل ذلك جعفر ومضى صالح الى ابراهيم حتى عاينه وجسّ عرقه ، وصار الى جعفر فسأله عما عنده من العلم فقال : لست أخبر بالخبر غير أمير المؤمنين ، فدخل جعفر على الرشيد وخبره ، فأمر بإحضار صالح . فدخل ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أشهدك وأشهد من حضرك على نفسي أن ابراهيم بن صالح إن توفي في هذه الليلة أو في هذه العلة أن أمراته طالق ثلاثاً ! فسُرّي عن الرشيد ما كان يجد ، وطعم وأحضره الشراب فشرب .

فلما كان وقت صلاة العشاء ورد الخبر بموت ابراهيم بن صالح على الرشيد . فاسترجع وأقبل باللوم على جعفر في إرشاده الى صالح بن بهلة . وبكر الى دار ابراهيم وجلس على البساط ووقف صالح بين يدي الرشيد /19ب/ فلم

يُنَاطِقُهُ أَحَدٌ إِلَى أَنْ سَطَعَتْ رَوَائِحُ الْمَجَامِرِ ، فَصَاحَ عِنْدَ ذَلِكَ صَالِحٌ : اللَّهُ ، اللَّهُ ،
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ تَحْكُمَ عَلَيَّ بِطَلَاقِ زَوْجَتِي وَلَمْ يُلْزِمْنِي حَنْثٌ ، اللَّهُ ، اللَّهُ ،
أَنْ تَدْفِنَ ابْنَ عَمِّكَ حَيًّا ، فَوَلَّاهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَاتَ ، فَأَطْلِقْ لِي الدَّخُولَ عَلَيْهِ
وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ . فَأَذِنَ لَهُ بِالدَّخُولِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ .

قَالَ الرَّاوي : فَسَمِعْتُ صَوْتَ ضَرْبٍ بِالْكَفِّ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنَّا ذَلِكَ الصَّوْتُ .
فَخَرَجَ إِلَيْنَا صَالِحٌ ثُمَّ قَالَ : قُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أُرِيكَ عَجَبًا . فَدَخَلَ إِلَيْهِ
الرَّشِيدُ فَأَخْرَجَ صَالِحٌ إِهْرَةً كَانَتْ مَعَهُ فَأَدْخَلَهَا بَيْنَ ظَفَرِ إِهْهَامِ يَدِهِ الْيُسْرَى
وَلَحْمِهِ ، فَجَذَبَ إِبْرَاهِيمَ بِنَ صَالِحٍ يَدَهُ وَرَدَّهَا إِلَى بَدَنِهِ . فَقَالَ (مَنْ هُنَا إِلَى آخِرِ
الْحِكَايَةِ زِيَادَةُ عَمَّا فِي الْمَطْبُوعِ مِنَ الْمَنَاهِجِ) صَالِحٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ يَحْسُ
الْمَيِّتُ بِالْوَجَعِ ؟ فَقَالَ الرَّشِيدُ : لَا ، فَقَالَ لَهُ صَالِحٌ : لَوْ شِئْتُ أَنْ يَكَلِّمَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ السَّاعَةَ لَكَلَّمَهُ ! فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : فَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَفْعَلَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ عَالَجْتَهُ وَأَفَاقَ وَهُوَ فِي كَفْنٍ فِي رَائِحَةِ الْخَنُوطِ أَخَافُ أَنْ يَنْصَدَعَ
قَلْبُهُ فَيَمُوتَ مَوْتًا حَقِيقِيًّا ، فَلَا يَكُونُ لِي فِي إِحْيَائِهِ حِيلَةٌ ؛ وَلَكِنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَرُّ بِتَجْرِيدِهِ مِنَ الْكَفْنِ وَرَدُّهُ إِلَى الْمِفْتَغِ وَإِعَادَةِ الْغَسْلِ عَلَيْهِ حَتَّى يَزُولَ رَائِحَةُ
الْخَنُوطِ عَنْهُ ، ثُمَّ يَلْبَسُ مِثْلَ ثِيَابِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَيَحْوَلُ إِلَى
فِرَاشِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيَنَامُ فِيهِ حَتَّى أَعَالَجَهُ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ
يَكَلِّمُهُ مِنْ سَاعَتِهِ . فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ .

وَصَارَ الرَّشِيدُ إِلَيْهِ ، وَدَعَا صَالِحٌ بِكَنْدُسٍ وَمَنْفَخَةٍ مِنَ الْخَزَانَةِ ، وَنَفَخَ
الْكَنْدُسَ فِي أَنْفِهِ ، فَمَكَثَ مَقْدَارَ سُدُسِ سَاعَةٍ ثُمَّ اضْطَرَبَ /20/ بَدَنُهُ وَعَطَسَ
وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّشِيدِ وَقَبَلَ يَدَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ . فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا نَوْمًا لَا
يَذْكُرُ أَنَّهُ نَامَ مِثْلَهُ قَطَطِيًّا ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَلْبًا قَدْ أَهْوَى إِلَيْهِ فَتَلَقَّاهُ بِيَدِهِ
فَعَضَّ إِهْهَامَ يَدِهِ الْيُسْرَى عَضَّةً انْتَبَهَ وَهُوَ يَحْسُ وَجَعَهَا ، وَأَرَاهُ إِهْهَامَهُ الَّتِي كَانَ
صَالِحٌ أَدْخَلَ فِيهَا الْإِهْرَةَ . فَفَسَّرَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ وَعَاشَ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ هَذَا إِلَى أَنْ تَزَوَّجَ
الْعَبَّاسَةُ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ وَوَلِيَ فِلَسْطِينَ وَمِصْرَ وَتَوَفَّى بِمِصْرَ . انْتَهَى .

تمام مرام وسياق كلام

قد تقدّم ذكر عبد الصّمد بن عليّ ، وهو عمّ ابراهيم بن صالح بن علي المذكور وقريب الرشيد .

ولعبد الصّمد هذا عجائب تذكر ، منها أنه ولد في سنة أربع ومائة ، وولد أخوه محمد بن علي ، والد السفّاح والمنصور، سنة ستين للهجرة ، فكان بينهما في المولد أربع وأربعون سنة . وتوفي محمد بن علي سنة ست وعشرين ومائة ، وتوفي عبد الصّمد بن علي سنة خمس وثمانين ومائة . فكان بينهما في الوفاة تسع وخمسون سنة . فانظر كم كانت بينهما في المولد والوفاة ، مع أنّ الاخوة لا تقتضي بعد هذه المسافة بين الاخوين .

قيل كان عبد الصّمد يوما بمجلس الرشيد فنظر فإذا في المجلس سليمان بن جعفر والعباس ، فقال عبد الصّمد : هذا المجلس فيه أمير المؤمنين وعمّ أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين . وذلك أنّ سليمان بن جعفر عم الرشيد ، والعباس عم سليمان وعبد الصّمد عم العباس . ومنها /20ب/ أنّ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حج بالناس سنة خمسين وحج بالناس عبد الصّمد سنة خمسين أيضًا بعد المائة ، وهما في تعدد النسب إلى عبد مناف سواء ؛ لأن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد الصّمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم . فبين كل منهما إلى عبد مناف خمسة أجداد . ومنها أنه مات بأسنانه التي ولد بها ، وكانت قطعة واحدة . ومنها أنه دخل سرّيًا فطارت رهستان ، فلصقتا بعينه فذهب بصره ، ومات كذلك رحمه الله .

غضب واسعرجاع ووعظ وإقناع

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة ، قال أمر الرشيد بعض محله فقال له : إذا كانت الليلة فسرّ إلى الحجرة الفلانية ، فأفتحها ، وخذ من رأيت فيها ، وآت به موضع كذا من الصحراء فإنّ ثمة قليلاً محفوراً ، فأرم به فيه ، وطمّه بالتراب ،

وليكن معك فلان الحاجب . قال : فجاء الى باب الحجرة ففتحها فإذا فيها غلام كأنه الشمس الطالعة . قال فجذبه اليه جذباً عنيفاً فقال له : أتق الله ، فإنني ابن رسول الله ﷺ ، فאלله ، الله ، أن تلقى جدتي بدمي !

قال ، فلم يلتفت الى ما قاله ، وأخرج الى الموضع . قال ، فلما أشرف الفتى على التلف قال : يا هذا إنك على ردّ ما لم تفعل أقدر منك على ردّ ما فعلت ، فدعني أصلي ركعتين وأمض ما أمرت به ! فقال له : شأنك وما تريد ، فأفعل ! فقام الفتى فصلّى ركعتين . ثم سمعناه يقول : يا خفيّ / 21 / اللطيف ، أعني في وقتي هذا والطف بي بلطفك الخفيّ ! فوالله ما آستم دعاءه حتى هبت ريح وغبرة ، فلم ير بعضنا بعضاً ووقعنا لوجوهنا ، وأشغلنا بأنفسنا عن الفتى ، ثم سكنت الريح والغبرة ، فرأينا الكواكب وطلبنا الفتى فما رأيناه ورأينا قيوده مرمية بحضرتنا .

قال ، فقال الحاجب لمن كان معه : هلكنا ، سيقع لأمر المؤمنين أنا طلقناه فماذا تقول ، لكن نحن كذبتنا لم نأمن أن يبلغه خبر الفتى ، ولئن صدقناه ليجعلنّ المكروه لنا . فقال بعضهم لبعض : لكن كان الكذب يُنجي فالصدق أنجى !

فلما دخلوا على الرشيد قال لهم : ما فعلتم ؟ فقال الحاجب : يا أمير المؤمنين الصدق أولى ، ومثلي لا يتجرأ أن يكذب على أمير المؤمنين وأنه كان من الخير كذا وكذا . فقصّه عليه . فقال الرشيد : والله لقد تداركه اللطف الخفيّ ، والله لأجعلنها من مقدّمات دعائي . آمض لشأنك واكتم ما جرى ! انتهى .

اشتياق وبغية وفصيل وقضية

ذكر النهرواني ، أن أبا يوسف القاضي ، رحمه الله ، قال : دعاني الرشيد ليلاً فدخلت عليه وأنا مرعوب . فقال : يا يعقوب دعوتك لأشهدك على عيسى بن جعفر أن عنده جارية سألته أن يهبها لي أو يبيعها مني فامتنع ، ووالله لكن لم يفعل لأقتلنه . قال أبو يوسف ، فالتفت الى عيسى وقلت له : وما بلغ الله بجارية

تمنعها أمير المؤمنين ، وتنزل نفسك هذه المنزلة ! فقال لي : لا تعجل واسمع عذري ، وهو أن عليّ يمين /21ب/ بالطلاق وصدقة ما أملك أن أبيع هذه الجارية ولا أهبها .

فالتفت إليّ الرشيد وقال : هل له في ذلك مخرج ؟ قلت : نعم ، يهب لك نصفها ويبيع نصفها الآخر ، فيكون لم يهب ولم يبع . فقال عيسى : أبيعك ذلك ؟ قلت : نعم ! قال : فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وأبعته نصفها بمائة ألف دينار . وأتى بالجارية وقبض المال . فقال الرشيد : يا يعقوب ، وبقيت واحدة ، وهي أنها مملوكة ولا بد أن تستبرأ ، والله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني أظن نفسي ستخرج . فقلت : يا أمير المؤمنين ، تعتقها وتزوجها ، فإن الحرية لا تستبرأ . فأعتقها وزوجها إياه على عشرين ألف دينار . ودفع اليها المال ، وأنعم عليّ بمائتي ألف درهم وعشرين نخلاً ثياباً ، وبعثت إليّ الجارية بنصف ما وصلها به الرشيد . انتهى .

فكر ناقب ورأي صائب

قيل إن الرشيد رأى رؤيا في منامه ، كأن ملكاً يخاطبه ، فقال له الرشيد : كم بقي من عمري ؟ فأشار له بخمسة أصابع يده . فتهوّل الرشيد بذلك ، وجمع العلماء لتعبيرها ، وكان فيهم أبو يوسف ، كان جالساً في آخريات الناس فسكتوا كلهم متحيرين فيما يقولون له في تعبیرها ، وأي خمسة ترضيه : أيام أو جمع أو أشهر أو أعوام ، وكل ذلك لا يرضى به الرشيد إذا خلى ونفسه ، فبعد أن أيس من أجوبتهم قال أبو يوسف : أيد الله أمير المؤمنين ، إنك سألته عما بقي من عمرك وهو لا /22/ يعرفه فأشال اليك بخمسة أصابع يده قائلاً بلسان حاله خمسة لا يعلمها الا الله عز وجل ومنها الاجل ؛ قال تعالى : «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري بأي أرض تموت إن الله عليم خبير» ، فقال له

الرشيد: جزاك الله عني خيراً ، لقد أزلت عني شبهة . وكانت هذه سبب تقرّبه وحظوته عنده .

وذكر علي بن الحسن التنوخي عن والده عن جدّه قال ، كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه ، فجاءه بأبي يوسف ، فأفتاه فوهب له دنائير كثيرة وأنزله بالقرب من داره . ثم دخل القائد يوماً على الرشيد فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمّه ، فقال : شيء من أمر الدين قد أحزنني فأطلب لي فقيها يستفتيه . فجاءه بأبي يوسف . قال : أبو يوسف : فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً عليه أثر الملك ، وهو في حجرة محبوس ، فأولماً الى يديه مستغيثاً فلم أفهم إرادته ، وأدخلت على الرشيد ، فلما مثلت بين يديه قال : ما اسمك ؟ قلت : يعقوب ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني ، هل تحدّه ؟ قلت : لا ! فحين قلتها سجد الرشيد ، فوقع لي أنه رأى بعض أهله على ذلك ، وأن الذي استغاث اليّ هو . ثم قال لي : من أين لك هذا ؟ قلت : لأن النبي ﷺ قال : أدروا الحدود بالشبهات وهذه /22ب/ شبهة يسقط الحدّ معها ، فقال : وأي شبهة مع المعايبة ! قلت : ليس يوجب المعايبة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون بالعلم وليس لأحد أخذ حقه بعلمه . فسجد مرة أخرى ، وأمر لي بمال جزيل ، وأن ألزم الدار . ولما خرجت جاءني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته ، وصار ذلك أصلاً للنعمة ، ولم تزل حالي تقوى حتى وليت القضاء . انتهى .

كان أبو يوسف تأتيه الجوائز والصلوات من الرشيد وأهله وحاشيته الى أن بلغ ذلك مبلغاً عظيماً .

قيل في ذلك ، حكى يحيى بن معين قال ، كنت عند أبي يوسف رضي الله تعالى عنه وعنده جماعة من أصحاب الحديث فوافته هدية زبيدة أم جعفر ، احتوت على تخوت دقيقي (الدقيقي ، نسبة الى دبيق قرية بمصر مشهورة

بصناعة الثياب) وشرب مطيب وتمثيل نذ وغيره ، وفي جام دراهم ، وفي آخر دنانير . فذكرني رجل بحديث رسول الله ﷺ وهو : «من أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها» . فسمعه أبو يوسف فقال : إنما قال ذلك النبي ﷺ والهدايا يومئذ الأقط (الأقط ، لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ ، أو يطبخ به) والتمر والزبيب ؛ ولم يكن الهدايا ما ترون . يا غلام أشيل إلى الخزائن ! انتهى .

قلت : ولعله إنما قال ذلك ليداعب جلاسه أو ليكني لهم أن الشركة لا تكون الا في جنس المأكول لا في غيره مما لا يستهلك ، فإن النفس ترغب في ادخاره ولا سيما في النقود . اهـ .

لطيفة :

ذكر في تاريخ بغداد ، كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ولا يتكلم . فقال له أبو يوسف يوماً : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : بل متى يفطر /23/ الصائم ؟ قال : إذا غابت الشمس . قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل كيف يصنع ؟ فضحك أبو يوسف وقال له : أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك . وأنشد :

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلماً
وفي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلماً

انتهى .

كان أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة ، رضي الله تعالى عنهما ، سمع أبا اسحاق الشيباني وسلمان التميمي ، ويحيى بن سعد الانصاري ، والأعمش وهشام بن عروة ، وعطاء بن السائب ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وبشر بن الوليد ، وعلي بن الجعد ، وأحمد بن حنبل . وسكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء ، المهدي والهادي والرشيد ، وهو أول من غير لبس

العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها اليوم . وكان الناس قبل ذلك لا يتميز أحد عن أحد بلباسه .

قال محمد بن جرير الطبري : إن قوماً من أهل الحديث تجافوا حديث أبي يوسف من أجل غلبة الرأي وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة السلطان وتقليده القضاء . وقال هلال بن يحيى : كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ، وكان أقلّ علومه الفقه .

وذكر النهرواني في كتابه الجليس والأنيس عن الشافعي قال : مضى أبو يوسف ليسمع المغازي من محمد بن اسحاق ، ولم يحضر /23ب/ مجلس أبي حنيفة أياماً . فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال له : إنك إمام ، ولم تمسك عن هذا ؛ سألتك الله على رؤوس الملا أيما كان أول وقعت ، بدر أم أحد ؟ فإنك لا تدري أيهما كان قبل . فأمسك عنه .

وذكر التنوخي ، قال حدثني أبي قال : بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة لتعلم العلم على فقر شديد ، وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش ، فيعود الى منزله بفقر وشدة ، وكانت أمه تحتال له ما يقتاتة يوماً فيوماً . فلما طال ذلك عليها خرج الى المجلس يوماً فأقام فيه يومه وعاد ليلاً فطلب ما يأكل فجاءته بغضارة (الغضارة ، آنية من الغضار وهو أو الغضارة وهو الطين اللزج الأخضر الحر ، أو هو تراب طيني كثير الذرات كثير الاندماج والصلابة تتخذ منه الاواني) مغطاة ، فكشفها فإذا فيها دفاتر ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : ما أنت مشغول به نهارك أجمع ، فكل منه ليلاً !

قال ، فبكى وبات جائعاً ، وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال ما أكلوه . فلما جاء الى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره ، فصدقه . فقال : هلاً عرفتنى ، فكنت أمداً ، ولا يجب أن تغتم ، فإنه إن طال عمرك فستأكل بالفقه اللوزينج بالفسدق (والمعاجم تكتبه «فستق» بالتاء ، والتبادل بين الحروف في

مثل هذه الكمات معروف . واللوزينج ، حلوي يشبه القطائف يؤدم بدهن اللوز) المقشر .

قال أبو يوسف ، فلما خدمت الرشيد واختصصت به قُدمت بحضرته يوماً جامات اللوزينج بفسدق مقشر ، فدعاني إليها فحين أكلت منها تذكرت أبا حنيفة ، فبكيت وحمدت الله ، فسألني الرشيد عن السبب في ذلك فأخبرته . انتهى . وروي عنه أنه قال : كنت يتيمًا صغيرًا ، فدفعني أمي الى قصّار (الذي يعنى بحرفة القصارة وهي تبيض الثياب ومعالجته بالتمديد) يعلمني القصارة ، فكنت أهرب وآتي مجلس /24/ أبي حنيفة ، فكان يُعنى بي ، وكانت أمي تنهاني . فلما كثر هربي جاءت أمي الى أبي حنيفة وقالت : ما على ابني فسادٌ غيرك ؛ إنه يتيم فقير ، وإني أعيشه بمغزلي ، ودفعته الى قصّار يعلمه قصارة الثياب ، حيلة على القوت ؛ فإذا به كل يوم يأتيك ويترك معيشته ، إنك سحرته ! فقال لها : إني أعلمه شيئاً سيأكل به الفالودج بدهن الفستق ! فقالت له : إنك شيخ كبير قد خرفت ، إنا لا نخبز الشعير فكيف بالفالودج بدهن الفستق ؟ قال أبو يوسف رحمه الله تعالى ، فلما خالطت الرشيد فكنت يوماً آكل معه فأشار لي الى صحن وقال لي : كل من هذا ، فإنه لا يعمل لنا منه كل مرة فقلت : وما هذا ؟ قال : فالودج بدهن الفستق ؛ فضحكت ، فظنني أهرأ ، فقال : أتهرأ بي ؟ فقلت : لا والله ما هزأت ! وأخبرته خبر أمي مع أبي حنيفة . قال ، فبكي الرشيد وقال رحمه الله : أبا حنيفة كان يرى بعين بصيرته ما لا يرى بعين بصره ، اه .

أخلاق رضية وخلق مرضية

ذكر الزمخشري في ربيع الابرار أنّ الرشيد قال يوماً لأبي يوسف : صف لي أخلاق أبي حنيفة . فقال : إنّ الله تعالى يقول : «ما يلفظ من قول الآ لديه رقيب عتيد» ، فهو عند لسان كل قائل ، كان علمي بأبي حنيفة أنه كان شديد

الذبّ عن محارم الخلق أن تُؤتى ، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم ، يحبّ أن يطاع فلا يعصى ، مجانبًا لأهل الدنيا في دنياهم ، لا ينافس في غيرها ، طويل الصمت دائم الفكر /24ب/ على علم واسع ، لم يكن مهذارًا ولا ثرثارًا إن سئل ، بذولاً للعلم والمال مستغنيًا بنفسه عن جميع الناس ، لا يميل الى طمع ، بعيد الغيبة ، لا يذكر أحدًا إلا بخير . فقال الرشيد للكتاب : أكتب هذه الصفة ، وأدفعها الى أبنّي ينظر فيها .

وعن محمد بن الحسن ، كان أبو حنيفة واحد زمانه ، لو أنشقت عنه الأرض لأنشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمواساة . وعن مسعد ، كان أبو حنيفة ، رضي الله تعالى عنه ، يقعد بعد صلاة الفجر لمذاكرة العلم الى العشاء الآخرة لا يُحدث وضوءًا ولا طعامًا ولا نومًا ، الا هجعة خفيفة قليلة قبل الظهر . فقلت متى يفرغ للعبادة ؟ فتعاهدته بعد العشاء الآخرة ، فلمّا هدأ الناس انتصب في المسجد الليلة كلّها ، فلمّا كان السحر دخل منزله فتهيأ وخرج للصلاة . انتهى .

قال الملك المؤيد : وفي سنة خمسين ومائة توفي أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى مولى تيم الله بن ثعلبة ، وكان زوطى من أهل كابل . وقيل من بابل ، وقيل من أهل الانبار . وهو الذي مسّه الرقّ ، فأعتق ، ووُلد له ثابت على الاسلام .

وقال/اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة المذكور : ما وقع علينا رقّ قط . وروي أنّ ثابتًا ، أبا أبي حنيفة ذهب وهو صغير الى عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته . قيل في نسب أبي حنيفة غير ذلك ، فقيل هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان ، وأنّ جدّه النعمان بن المرزبان أهدى الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم /25/ المهرجان فالودجًا ، فقال له عليّ كرم الله وجهه : مهرجان في كلّ يوم !

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة ، وهم أنس بن مالك ، وعبد الله بن

أبي أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنهم . وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وكان أبو حنيفة عالماً عاملاً زاهداً ورعاً ، راوده أبو جعفر المنصور أن يلي القضاء فامتنع . وكان حسن الوجه ربعة . وقيل طويلاً أحسن الناس منطلقاً . قال الشافعي رضي الله عنه : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته ، وكان يصلي غالب الليل حتى قيل إنه كان صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة .

وحُفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة . وكان يعاب بقلّة العربية . وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وقيل ولد سنة إحدى وستين . وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلة القضاء ، فلم يفعل . وقيل إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي ، وذلك في رجب من هذه السنة ، وقيل في جمادى الأولى . وقبره ببغداد مشهور . وروطى ، بضم الزاي المعجمة وسكون الواو وفتح الطاء المهملة . اهـ تحقيق تكملة تاريخ طبرستان

وروى أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى لما حبسه المنصور على تولية القضاء ، جاءه أبو يوسف إلى السجن فقال له : يا إمام ، إن الخليفة لم يرد بتوليتك /25ب/ القضاء إلا أنه يعرفك لا تأخذك في الله لومة لائم فيكتفي بك أمر العامة ويعطمن بك في باب الدين ، فلائي شيء أمتنت حتى بلغت بنفسك إلى ما ترى ؟ فقال : يا يعقوب لو أتني بك إلى ساحل بحر وأنت تحسن السباحة وقيل لك ادخل من هذا الجانب وأخرج من الجانب الآخر ، أكنت تفعل ؟ فقال : لا ! فقال له : وكذلك أنا لم أفعل وسبتلى . فقال فلما تولى أبو يوسف القضاء بعد ذلك فكان كلما اشتدّ عليه أمر يقول : دعوة شيخى . اهـ .

قال المؤيد : وفي سنة إحدى وثمانين توفي أبو يوسف القاضي واسمه يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن خيثمة . وسعد المذكور صحابي

من الأنصار ، وهو سعد بن بحير واشتهر بأمه خيشمة ، وكان لأبي يوسف ابن اسمه يوسف ، تولّى القضاء في الجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه ، وفيهما يقول أبو يعقوب الخريمي الشاعر ، وقد سمع رجلاً يقول : اليوم مات الفقه ! وذلك يوم مات فيه القاضي أبو يوسف :

يا ناعيَ الفقه الى أهله أن مات يعقوب ولا يدري
لم يمت الفقه ولكنه حوّل من صدر الى صدر
ألقيه يعقوب الى يوسف فزال من طيب الى طهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى حلّ وحلّ الفقه في قبر

قال محمد بن الحسن : مرض أبو يوسف ، فعاده أبو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال : إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من فيها ، وأوماً الى الأرض . /26/ وفي أبي يوسف رضي الله عنه يقول بعضهم (الدر 21 ب) :

به صار فخر العلم عند انتدائه وبالعلم كان الفخر للعلماء
ضياء أضياها الشمس أبدت ضياءها أفاض بضوء فوق كل ضياء

ومن كلامه رضي الله عنه : صعبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة . انتهى .

قصة داهمت وعامة خالفت

قيل إن أبا يوسف كان في أيام القضاء فرغ اليه أن مسلماً قتل ذميًا ، فحكم بالقود ، كما هو رأي أبي حنيفة . فخرج رجل من محبي ذلك القاتل في أسواق بغداد ينادي بهذه الايات :

يا من ببغداد وأرباضها من علماء الناس أو شاعر

قوموا أتدبوا وابكوا على دينكم ضاع من الأول والآخِر
جارَ أبو يوسف في حكمه في قتله المسلم بالكافر

فقامت أهل بغداد على أبي يوسف ، فهرب الى الرشيد يستغيث ويقول :
هذا مذهبي ، فأنظر من يقضي لهم على مذهب مالك !

غضب أمير وغيظ وزير

حكى أن أبا يوسف رحمه الله تعالى كان جالساً يوماً في مجلس القضاء
فدخل عليه رجل في يده وثيقة فيها شهادة جعفر بن يحيى البرمكي ، وكان من
عادة القضاة /26ب/ أن يجعلوا دواتين ، واحدة بالمداد الأحمر والآخرى
بالأسود ، فإذا صحّحوا شيئاً كتبوا عليه بالأحمر ، وإذا أبطلوا شيئاً كتبوا عليه
بالأسود . فلما رأى وثيقة الرجل أخذ المداد الأسود من غير فكر ولا مبالاة (في
الأصل «لامبالاة») والرجل يعرف قاعدتهم في تصحيحهم وإبطالهم ، فلما
راه أخذ القلم الأسود قال له : أتدري شهادة من فيها ؟ قال : شهادة من ؟
قال : شهادة الوزير ! فقال : ولأجل ذلك حكمت بإبطالها . وكتب به عليها
، فتركها الرجل في يده وانطلق ملياً الى جعفر ، وأخبره بمقاله وفعاله . فأغتاظ
لذلك وركب الى الخليفة ، فلما دخل عليه قال : أيد الله أمير المؤمنين ، أنظر
الى وزارتك رجلاً غيّرني ! قال : ولم ؟ قال : فحيث كنت لا أصلح شاهداً ،
فالوزارة عليّ حرام وأخبره الخبر . فأمر بإحضار أبي يوسف من ساعته ، فدخل
عليه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين ؛ فاستشعر خوفاً ، فكان يقول في طريقه
دعوة شيخه ، دعوة شيخه ! يعني بذلك قول أبي حنيفة له «وستبلى» . فلما
دخل على الرشيد قال له : ولم لم تقبل شهادة وزيري ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
سمعت يقول لك يوماً «أنا عبدك يا أمير المؤمنين» فإن كان عبداً حقيقة ، فالعبد
غير مقبول الشهادة ، وإن كان غير ذلك فقد أخبر بما ليس بواقع فلا تقبل
شهادته . قال : فأعجب الرشيد بجوابه الظريف وتخلّصه به ، فقال له : مثلك

من لا تأخذه في الله لومة لائم ، وعظمه غاية التعظيم . انتهى

شارق علم وبارق حلم

حكى أن أبا يوسف كان مع الرشيد في حجة ، فكان في بعض الطريق راكباً معه في محفة ، وكان يوماً شديد الريح ، فبصق أبو يوسف فأطارته الريح على لحية الرشيد ، فأخذه عليه ما يأخذ الخلفاء من العزة ولامه ؛ فقال أبو يوسف أتفخر عني يا أمير المؤمنين مع أنك لو مت الآن لوجد من يقوم مقامك من بني العباس ثلاثون ألف رجلاً ، ولو مت أنا الآن لما وجد رجل واحد يقوم مقامي ! فقال له الرشيد : لك الفخر يا سيدي ، لك الفخر ! انتهى .

وحكى أن عبد الرحمن بن مسهر كان قاضياً على بلدة بين بغداد وواسط ، يقال لها المبارك ، فبلغه خروج الرشيد الى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحراسة ، فقال عبد الرحمن المذكور لأهل المبارك : أثنوا عليّ عندهما ! فأبوا عليه ، فلبس ثيابه وتلقاهما ، وقال : نعم القاضي قاضينا ! ثم مضى الى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول ، فالتفت الرشيد الى أبي يوسف وقال : يا يعقوب ، قاضي في موضع لا يشي عليه إلا رجل واحد ، بش القاضي ! فقال أبو يوسف : والعجب يا أمير المؤمنين أنه القاضي يشي على نفسه ! فضحك الرشيد وقال : هذا أظرف الناس ، هذا لا يُعزل أبداً !

ضحكة سادة وخارق عادة

ذكر في بعض الادبيات أن صاحب شرطة الرشيد قال : /27ب/ بينما أنا أجدول في شوارع بغداد لمزني بعض الاعوان مشيراً الى خراب ، فالتفت متأملاً ، فإذا في الخراب شيء ظننته لصاً ، فقدمت الاعوان وتقفيتهم ، وإذا بامرأة تنكح رجلاً ، فشددت وثاق الرجل ومسكت المرأة ، فإذا معها آلة من كيمخت (في ملحق دوزي للمعاجم العربية 506/2 ، نوع من الجلد) ؛ فقلت : قضية ! وأعلم القاضي . وكان القاضي أبو يوسف ، فذهبت اليه وقرعت الباب وقلت :

صاحب الشرطة يطلب القاضي ! فخرج في ثياب البذلة ، كأن عليه قلماً وهو يقول : الساعة قضينا مجلسَ الحكم ، أيد الله أمير المؤمنين ، فيم كلّفني ؟ فقلت : أصلح الله القاضي ، إنها لغريبة ، وأعلمك بها ، قد دخلت خراباً ، وأنا أجول فيما كلّفت به فوجدنا هذه المرأة تنكح هذا الرجل ! قال أبو يوسف ، فقدّرت أنه غلط ، فقلت : الرجل ينكح المرأة ! فقال : بلى ، المرأة تنكح الرجل وهذه آلة كيّمُخت وجدناه معها ، وسلّمها عن ذلك ؛ وقدّمنا المرأة . فقال لها : قبحك الله ، ما كان أمركا ؟ فقالت : يا سيّدي ، إني أرملة ولي صبية نعولهم يألّمَت بنا السّنة ، فخرجت بغزلي هذا نطلب السوق لأبيعه وأنفقه على صبيتي ، فبلغت السوق وطال وقوفي به فلم يفتح الله بشيء ، ورجعت بغزلي خائبة مفكرة وإذا بهذا الرجل خلفي ، وقد أدركني ولحزني وهو يقول كيت وكيت ، ففكرت في أمري وقلت ضرورة ولا حول ولا قوة الا بالله وسعفته ، فأدخلني ذلك الخراب وناولني /28/ دراهم ، ها هي معي وصار يداعبني وأنا كالكارهة الى أن ظهر له مني شيء وقد تخيل عقله ، فناولني دراهم أخرى وقال : زد هذه وضّمّها الى ما عندك ، وخذ هذا الكيّمُخت وأجعله في وسطك على أن تنكحني ، ولجّه في ! وررع أمامي ؛ فضحكت وفعلت ما قاله ، ولا زلنا على ذلك وهو يتلجلج الى أن دخل صاحب الشرطة ومسيكت بتلك الآلة ومسكوه وأساءوا حاله ، وها نحن بين يديك والأمر إليك . فتبسّم أبو يوسف وقال : والله لأتخفن أمير المؤمنين الساعة بما جرى ولا أتأخر . وذهب من فوره الى الرشيد فاستأذن ودخل عليه فقال الرشيد : أخيرّ دهم القاضي ؟ قلت : خيرّ يا أمير المؤمنين ، أتيتك بخبر غريب ؛ وأحضرتهما وقصصت القصة ، فضحك الرشيد وقال : افعل فيهما برأيتك يا إمام . انتهى

خلق حسان ومجالسة أعيان

ذكر في السّراج أن الرشيد كان ذات يوم جالساً مع أبي يوسف فقال : يا

يعقوب ، ما أحسن حسن الخلق ؟ قال له أبو يوسف : قال رسول الله ﷺ :
 أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وقال معاذ بن جبل : آخر ما أوصاني به
 رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في العرزال (يظهر أن المقصود هنا في
 الركاب) ، قال : حسن خلقك للناس . وقال ﷺ : حسن الخلق يمن وسوء
 الخلق شؤم . ثم قال : يا أمير المؤمنين من ساء خلقه قلّ صديقه . ثم قال :
 يروى عن النبي ﷺ أنه قال : يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس
 بأموالكم فليسع / 28ب / منكم حسن الخلق وآلقوهم بطلاقة الوجه وحسن
 الخلق . قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في قوله تعالى : «وثيابك فطهر» خلقك
 فحسن ؛ ثم قال : أحسن البشر يكسب حسن الذكر ، ثم قال : يا أمير المؤمنين
 لما وفد عقيل بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان أمر له بمائة ألف درهم ،
 فلما أراد الانصراف رأى في الطريق جارية بأربعين ألف درهم ، فرجع الى
 معاوية فأخبره ، فقال له : وما تصنع بها ؟ قال : تلد غلاماً . فإن أغضبتني
 يضرب مفرقك بالسيف ؛ فأمر له بها فأبتاعها ، فولدت له مسلم بن عقيل ،
 ثم قدم مسلم الشام فأبتاع منه معاوية ضيعة ، فبلغ الحسين بن عليّ الخبر فكتب
 الى معاوية : إنا لا نجز بيع مسلم . فأرسل معاوية الى مسلم وقال : هذا كتاب
 الحسين يأمر بردّ المال ، فقال مسلم : أمّا دون أن أضرب مفرقك بالسيف فلا !
 فضحك معاوية وقال : والله لقد تهدّدي بذلك أبوك قبل أن يشتري أملك
 وسوّغه المال ، فقال الحسين حين بلغه ذلك : غلبنا معاوية حلماً وجوداً . انتهى

تكميل مرام وسياق كلام

قال الملك المؤيد في المختصر : ومما يحكى عن حلم معاوية بن أبي سفيان
 رضي الله عنه من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل أن أروى بنت الحارث
 بن عبد المطلب بن هاشم دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة فقال معاوية :
 مرحباً بك يا خالة ، كيف أنت ؟ فقالت : بخير يا ابن أختي ، لقد كفرت

29/ النعمة ، وأسأت لابن عمك ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، وكنا أهل البيت أعظم الناس في هذا الدين بلاء حتى قبض الله نبيه مشكوراً سعيه ، مرفوعاً منزلته ، فوثب علينا بعده تيم وعدي وأمية فأبتزونا حقنا ، ووليتم علينا فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى فقال لما عمرو بن العاصي : كفي أيتها العجوز الضلالة ، وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك ! فقالت : وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بني بمكة وأرخصهن أجرة ، وآدعاك خمسة من قريش ، فسئلت أمك عنهم فقالت : كلهم أتاني ، فأنظروا أشبههم به ! فغلب عليك شبه العاصي بن وائل فألحقوك به . فقال معاوية : عفى الله عما سلف ، هاتي حاجتك ؟ فقالت : أريد ألفي دينار لأشتري بها عينا فؤارة في أرض خحرارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب ، وألفي دينار أخرى أزوج بها فقراء بني الحارث ، وألفي دينار أخرى أستعين بها على شدة الزمان ، فأمر لها معاوية بسنة آلاف دينار ، فقبضتها وأنصرفت .

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يري سماع الأوتار والغناء ، وهو رأي أهل المدينة . وكان معاوية ينكر ذلك عليه ، فدخل ابن جعفر يوماً على معاوية ومعه بُرّيج المغني ، فقال ابن جعفر لبُريج : غن ! فغنى بشعر كان يحبه معاوية ، وهو :

يا لُبَيْنى أوقدي النار إن من تهوين قد حاراً / 29ب/
ربّ نارٍ بتّ أرمقها تقضم الهندي والغاراً
ولها ظبيّ يؤججها عاقداً في الخصر زناراً

فطرب معاوية وتحرك وضرب برجله الأرض ، فقال ابن جعفر: مه يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : إن الكريم طروب .

وقال معاوية : أئمت على علي [بثلاث] ، كان رجلاً ظهره عُلّة ، وكنت

كثومًا لسري ؛ وكان في أحب جند وأشدّه خلافاً ، وكنت في أطوع جند وأقلّه خلافاً ، وأخلى بأصحاب الجمل ، فقلت إن ظفر بهم اعتددت ذلك عليه وهنّا ، وإن ظفروا به كانوا أهون شوكة عليّ منه . وتوفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه سنة ستين في رجب ، وكانت مدّة خلافته تسعة عشر سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، منذ اجتمع له الأمر وبإيعه الحسن بن علي ، وكان عمره خمسمائة وسبعين سنة ، وقيل سبعين وقيل غير ذلك . وهو أوّل خليفة بايع لولده ، وأوّل من وضع البريد ، وأوّل من عمل المقصورة في المسجد ، وأوّل من خطب جالساً ، في قول بعضهم . انتهى ، ولنرجع الى الرشيد .

فطنة ذكية ونباهة زكية

ذكر الدميري في حياة الحيوان أنّ هارون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به ، فأهدى اليه حمام وعنده أبو البخري بن وهب القاضي ، فروى له بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ النبي ﷺ قال : لا سبق الا في خوف أو حافر أو جناح . فزاد «أو جناح» وهي لفظة وضعها /30/ للرشيد ، فأعطاه جائزة سنّية . فلما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت أنّه كذب . وأمر بالحمام أن يذبح فذبحت ؛ فقبل له : وما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كُذِبَ على رسول الله ﷺ ؛ فترك العلماء حديث أبي البخري لذلك ولغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه .

وكان أبو البخري المذكور قاضي مدينة النبي صلى الله عليه وآله بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة . وتوفي أبو البخري بن وهب المذكور سنة مائتين في خلافة المأمون .

والبخري مأخوذ من البخرة التي هي الخيلاء ، وهو يتصحّف على كثير من الناس بالبخري الشعاع المشهور ، فالاول بالخاء المعجمة والثاني بالخاء المهملة . وقال ابن أبي خيثمة والشيخ القشيري في الاقتراح : واضع حديث

الحمام غياث بن ابراهيم وضعه للمهدي لا للرشيد . قال ابن قتيبة : وأبو البختری هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق ، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي غسان الحارث الاصغر والحارث الاعرج بن الحارث الاكبر . اهـ . ومثله في مشاهير المتأخرين محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، أحد أصحاب الدرجة في المذهب .

بهجة وخصال ووهجة وإبطال

قيل : إن الوليد بن طريف الشيباني خرج في أيام الرشيد ببلاد الجزيرة ، وهي ما بين الفرات وشط الموصل ، وكثر جمعه ، فنهض اليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وصاروا /30ب/ الى الديار المصرية وحصروا عبد الملك بن صالح بن علي العباسي . فاستشار الرشيد يحيى بن خالد بن برمك فيمن يوجهه الى الوليد فقال له : وجه موسى بن حازم التميمي ، فإن فرعون كان اسمه الوليد ففرقه موسى عليه السلام . فأعجب الرشيد ، ووجهه في جيش كثيف ، فهزمه الوليد وقتل موسى ، ثم وجه الرشيد اليه معمر بن موسى المعبدي ، فجرى له مع الوليد وقائع بناحية دار ، من بلاد ربيعة ، وكثرت جموع الوليد ، فقال هارون : ليس لهذا الا يزيد بن يزيد ، فوجهه اليه .

وهو يزيد بن يزيد بن زائدة ، وهو ابن أخي معن بن زائدة صاحب الكرم المشهور . وكان يزيد المذكور من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين ، وكان واليًا بأرمينية فعزله الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولاه إياها وضم اليه أذربيجان والموصل لما أن وقع منه الظفر بالوليد المذكور بعد أن قصده في عسكر ضخم وصار الوليد يراوغه ويزيد يتبعه . وكان الوليد ذا مكر ودهاء ، ثم التقوا وشنت الحرب بينهم ونادى يزيد : يا وليد ما حاجتك بالتستر بالرجال ، ابرز لي ! قال : نعم والله ! ووقف العسكران وتطاردا ساعة ، ولم يقدر أحد منهم على قرينه ، ثم أمكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط ،

وصاح يزيد بخيله فاتوه واحتزوا راسه ، وكانت الواقعة بالحديثة ، بالقرب من عانة ، وتعرف بحديثة النورة وبعث برأسه الى الرشيد مع ابنه /31/ أسد بن يزيد .

وحكى الاصفهاني أنه لما أن اشتدت شوكة الوليد بن طريف الشيباني وطالت أيامه ، فوجه الرشيد اليه يزيد المذكور فجعل يحاوله ويمكره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن يزيد ، فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، فوجه اليه الرشيد كتاباً مغضباً ضجر ، يقول : لو وجهت بعض الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، ولئن أخرت مناجزة الوليد لأبعثن اليك من يحمل رأسك الي . فقرأ الكتاب ، ولقي الوليد عشية خمس في شهر رمضان ، وكان الوليد قد جهد عطشاً حتى رمى خاتمه في فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة فأسترها ! ثم قال يزيد لأصحابه : فداكم أبي وأمي ، إنما هي الخوارج ولهم حملة فأثبتوا بها تحت التراس ، فإذا أنقضت حملتهم فاحملوا ، فإنهم إذا أنهزموا لم يرجعوا . فحملوا حملة واحدة فكان كما قال يزيد ، ثم حمل عليهم وانكشفوا فظفر به وأخذ رأسه يزيد ووقع السيف في أصحابه وكان الوليد يقول لما حمل :

أنا الوليد بن يزيد الشاري قسورة لا يصطلي بناري
ظلمكم أخرجني من داري

ثم صبتهم ليلى أخت الوليد مستعدة ، عليها درع وجوشن ، فجعلت تحمل على الناس ، فخرج يزيد اليها وضرب بالرمح قطاعة فرسها وقال : أغربي ، أعرب الله عليك ؛ فلقد فضحت العشيق ! فاستحييت وانصرفت راجعة وهي /31ب/ تقول أبياتاً منها :

فإن يك أزداه يزيد بن مزيد فيا رب خيل فضها وصفوف

فَلْبَدْرُ مِنْ بَيْنِ الْكَوْكَبِ إِذْ هَوَى
فِي شَجَرِ الْخَاهُورِ مَا لَكَ مَوْقَاً
فَتَى لَا يَحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى
فَلَا تَجْزَعَا يَا ابْنَا طَرِيفٍ فَإِنِّي
وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكَسُوفٍ
كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَتَى وَسِيفٍ
أَرَى الْمَوْتَ نَزْلاً بِكُلِّ شَرِيفٍ

ورجع يزيد بالظفر ، فلما بلغ الرشيد حجب عن الوصول اليه برأي
البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه . فقال يزيد : وحق أمير المؤمنين
لأصيفن ولأشتون على فرسي أو أدخل . فارتفع الخبر بذلك الى الرشيد ،
فأذن له ، فلما مثل بين يديه ضحك وسرّ وقال : مرحباً بالاعرابي ! جعل
يكررها حتى توصل اليه ، فأجلسه وأكرمه وعرف ما قصد به ؛ ثم مدحه
الشعراء فكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد الشاعر الانصاري ، كان
مختصاً بيزيد بن يزيد فقال فيه :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ
مُؤَفٍّ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ بِأَجَلٍ يَسْمَى إِلَى أَجَلٍ
يُنَالُ بِالرُّفْقِ مَا يَغْنَى الرِّجَالُ لَهُ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ كَالْبَيْتِ يُفْضِي إِلَيْهِ مُلْتَقَى السَّبِيلِ
تَفْرِى الْمَنِيَةَ أَرْوَاحَ الْعِدَاةِ كَمَا تَقْرِي السِّيفُ شَحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلِ
إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ مَسَالِكُ الْمَوْتِ فِي الْإِبْدَانِ وَالْقُلُلِ
يَكْسُو السِّيفُ نَفُوسَ النَّاكِتِينَ لَهُ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيْجَانِ الْقَنَا اللَّهْلُ
لَا تُكَلِّبَنَّ فَإِنَّ الْمَجْدَ مَعْدَنُهُ وَرِاثَةً فِي بَنِي شَيْبَانَ لَمْ يَزَلِ
إِذَا الشَّرِيكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ تَكَلَّمَ الْفَخْرَ عَنْهُ غَيْرَ مُتَحَلِّ
كَبِيرَهُمْ لَا تَقُومُ الرِّئَاسَاتُ لَهُ حِلْماً وَطِفْلَهُمْ فِي هَذِي مُكْشَلِ
إِسْلَمُ يَزِيدُ بَمَا فِي الْمَلِكِ مِنْ أَوْدٍ إِذَا سَلِمْتَ وَلَا فِي الدِّينِ مِنْ خَلَلِ
وَالْمَارِقُ بْنُ طَرِيفٍ قَدْ دَلَقْتَ لَهُ بَعَارِضَ اللَّمَنَا مُسِيلَ هَطَلِ

ما كان جميعهم لما لقيتهم إلا كرجل جرادٍ ربح مُنجفل
 كم آمن لك نائي الدار ممتنع أنخرجته من حصون الملك والخول
 تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الموت أن يُدعى على عجل
 لا يهتق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
 يأبى لك الذم في يوميك إن ذكرا غضب حُسام وعرض غير مبتدل
 فافخر فمالك في شيان من مثل فافخر كذاك ما لبني شيان من مثل

قوله : تراه في الامن ، البيت ، يريد به ما حكى أن امرأة معن بن زائدة عاتبت «معن» زوجها في يزيد هذا ، الممدوح ؛ وقالت : إنك تقدمه وتؤخر بنيك وتشيد ذكره وتُخمد ذكرهم ، ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا . فقال معن : إن يزيد قريب لم يبعد رحمه ، وله علي حُكم الولد ، إذ كنت عمه ، وأما بني فإنهم ألوط بقلبي وأدبي من نفسي ، ولكن لا أجد عندهم ما أجد عنده ، وسأريك في ليلتي هذه ما يتبين به عذري . والتفت فقال : يا غلام اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً ؛ حتى أتى على أسماء أولاده ، فجاءوا في الغلائل المطيية والنعال السندية ، وذلك بعد هدوء من الليل ، فسلموا وجلسوا ، ثم قال : يا غلام ، ادع لي «يزيد» ؛ ثم أسبل سترًا بينه وبين المرأة فإذا به قد دخل عجلًا وعليه السلاح /32ب/ كله ، فوضع رمحہ بياب المجلس ثم أتى اليه فلما رآه قال : ما هذه الهيئة يا أبا الزبير ؟ وكانت كنيته ؛ فقال : جاءني رسول الأمير فسبق الى نفسي أنه يريدني لأمر ، فقلت إن كان مضيت لم أعر ، وإن كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عليّ أيسر الخطب ، فقال لهم : انصرفوا في حفظ الله ، فقالت المرأة : قد تبين عذرك ! فأنشد معن متمثلاً :

نفس عصام سودت عصاماً وعودته الكر والإقداما
 وصيرته ملكاً هماماً

وروي أن الرشيد أعطى ليزيد لما وجهه الى قتال الوليد ذا الفقار (في الاصل

«الفقار» بتقديم القاف . وظننا أنها زلة قلم ؛ لكن وقد تكررت فيما بعد أصبحنا نشكك في ذلك ، لأن المشهور «ذو الفقار» لا العكس ، سيف النبي ﷺ وقال : خذه يا يزيد ، فإنك ستُنصَر به !

قال في جمهرة النسب : قيل إن منبه ونبيه ، أولاد الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي ، كانا سيدي بني سهم في الجاهلية قُتلا يوم بدر كافرين وكان العاصي بن نبيه مع أبيه قُتل أيضا ، وكان له ذو الفقار فأخذه النبي ﷺ ، قيل ثم أعطاه لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ووصل الى بني العباس ، وهو مجعول من حديدة وجدت عند الكعبة ، من دفن جرهم أو غيرهم ، وكانت صمصامة عمرو بن معدي كرب من تلك الحديدة أيضا .

قال الاصمعي : رأيت هارون الرشيد بطوس متقلدا سيفاً فقال : يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار ؟ فقلت : بلى ، جعلني الله فداك ؛ قال : استل سيفي ! فاستلته فرأيت فيه ثمانية قفارة .

وقال المعري : دخل يزيد بن يزيد على الرشيد يوماً فقال : يا يزيد من الذي /33/ يقول :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح الذيل عينيه من الكحل
قد عود الطير عادات تغر بها فهن يتبعنه في كل مرئحل

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ! فقال : أيقال مثل هذا الشعر فيك ولا تعرف قائله ؟! فخرج من عنده خجلاً ، فلما صار الى منزله دعا بحاجبه وقال له : من بالباب من الشعراء ؟ فقال له : مسلم بن الوليد ؛ فقال : كيف حجبتة ولم تعلمني مكانه . قال : إنك مضيق ، وقد سألته الامساك والمقام أياماً الى أن تتسع ، فأنكر ذلك عليه وقال : أدخله ! فأدخله فاستشده القصيدة المقدم ذكرها ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : اقبضها وأعذر . فخرج الحاجب فقال لمسلم بن الوليد قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف ،

خمسون منها لك وخمسون لنفقته ؛ وقبضه الخمسين فكتب بذلك الى الرشيد ، وعلم الامر فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال : إقض الخمسين ألفاً الذي أخذ الشاعر وزده مثلها ونخذ مائة الف لنفقتك ، فاستفك يزيد ضيعته وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى .

وقيل : يزيد ، لما أن دخل عليه مسلم وأنشده الايات كان على رأس يزيد وصيفة بيدها غراف مرآة ومشط تريد [أن] تسرح لحيته وذوائبه وتطيبه ، وهو يسمع إنشاد مسلم وقد وصل الى قوله : «لا يعبق الطيب خديه ومفرقه» قال للجارية وقد وضع /33ب/ المرأة من يده قد حرّم مسلم علينا الطيب .

وعن أبي فرعون ، مولى يزيد بن يزيد ، قال : ركب يزيد يوماً الى الرشيد وقد تغلف بغالية ثم لم يلبث أن رجع ودعا بطشت فغسل الغالية وقال : كرهت أن أكذب قول مسلم .



ذكر [ابن أبي] عون في كتاب الاجوبة المسكتة أن الرشيد قال ليزيد بن يزيد في لعب الصوالجة : كن مع عيسى بن جعفر ! فأبى يزيد ؛ فغضب الرشيد وقال : تأنف أن تكون معه ؟ فقال : قد حلفت لأمر المؤمنين أن لا أكون عليه في جد ولا هزل ؛ فأعجب الرشيد جوابه .

قال المؤيد في المختصر : وتوفي يزيد بن يزيد الشيباني سنة خمس وثمانين ومائة ، وهو ابن أخي معن بن زائدة . اهـ .

كان ليزيد المذكور ولدان نبيلان نجيبان ، أحدهما محمد بن يزيد بن يزيد وكان موصوفاً بالكرم ، والآخر خالد بن يزيد بن يزيد ، وهو الذي ولاه المأمون الموصل ، فوصل اليها ومعه في صحبته أبو الشمقمق الشاعر ، فلما دخلها نشب لواء خالد في باب المدينة فأنذق ، فتطير خالد من ذلك ، فأنشد أبو الشمقمق ارتجالاً :

ما كان مندقُ اللّواءِ لريّة تُخشى ولا سوء يكون مُعجلاً
لكنّ هذا الرمح أضعفَ منته صغرُ الولاية فاستقلّ الموصل

فسريّ عنه . وبلغ المأمون ما جرى ، فكتب الى خالد : قد زدناك في ولايتك ديار ربيعة كلّها لكون رمحك /34/ استقلّ الموصل ! ففرح بذلك وأجزل جائزة أبي الشمقمق . وخالد المذكور ممدوح أبي تمام الطائي . فذكر صاحب الاغانى عن محمد بن أبي سعيد قال : أهديت الى يزيد بن يزيد جارية وهو يأكل ، فلما رفع الطعام وطعها فلم يُنزل عنها الا ميتاً . وكان بمدينة بردعة من بلد دران :

قبرٌ يبردعة استسرّ ضريحه خطرٌ تقاصر دونه الأخطارُ
أبقى الزمان على ربيعة بعده حزنا لعمر الدهر ليس يُعارُ
سلكت بك العرب السبيل الى العلا حتى إذا بلغوا المدى بك حاروا
فأذهب كما ذهبت غواصي مُزنة أثني عليها السهل والأوعارُ
قلت : إنّ هذا البيت أبلغ شيء قيل في المراثي ! ورثاه أيضا بأبيات منها :

أحقُّ أنه أودى يزيدُ فبين أيها الناعي المشيدُ
أتدري من نعتٍ وكيف فاهت به شفتاك كان بها العصيدُ
أحامي المجد والاسلام أودى فما للارض ويحك لا تميدُ
تأمل هل يرى الاسلام مالت دعائمه وهل يخضرّ عودُ
أما هُدت لمصرعه نزار بلَى وتقوّض المجد المشيدُ
وحلّ ضريحه إذ حلّ فيه طريفُ المجد والحسبُ التليدُ
أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها أبداً تجودُ
أبعد يزيد تختزن الموالى دموعاً أو يسان لها خدودُ

/34ب/

لتبكك قبة الاسلام لما وهت أطنابها ووهى العمود
 ويملك شاعر لم يبق دهر له نسباً وقد كسر القصيد
 فإن يهلك يزيد فكل حي فريس للمنية أو طريد

كان مسلم المذكور من أشعر الشعراء ، فقليل له : أيّ شاعر أحب اليك ؟
 قال : إنّ في شعري بيتاً أخذت معناه من التوراة وهو قولي :

دلت على قولها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر ممّا كان أعطاني

وذكر أحمد بن سعيد المروزي : أنّ أبا تمام أحلف لا يصليّ حتى يحفظ شعر
 مسلم وأبي نواس ! فمكث شهرين كذلك . قال : ودخلت عليه فرأيت شعرهما
 بين يديه فقلت ما هذا ؟ فقال : اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله تعالى !
 ودخل مسلم بن الوليد على الفضل بن [جعفر بن] يحيى وكان قد أتاه خبر
 سرّه ، فأنشد :

أتتك المطايا تهتدي بمطية عليها فتى كالتصل مؤنسهُ التصل
 فتى ترتعي الآمال مرنّة تجوده إذا كان مرعاها الأمانى والمطل
 تساقط يمناه الندى وشماله الردى وعيون القول منطقهُ الفصل
 ألح على الايام يفري خطوبها على منهج ألفى أباه به قبل
 أناف به العلياء يحيى وخالد فليس له مثل ولا لهما مثل
 فروع أصابت مغرساً متمكناً وأصلا أصابت حيث وجهها الاصل
 بكف الى العلياء يستمطر الغنى ويستنزل النعمى ويسترعف الفضل

فأمر له بكل بيت منها بألف درهم . وكانت ثمانين بيتاً .

ومسلم هذا مولى أبي أمامة سعد بن زرارة الخزرجي ، وكان يلقب بصريع
 الغواني ، شاعر مقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة ، وهو
 أول من قال الشعر المعروف بالبديع . وروي أنه اجتمع أصحاب المأمون عنده

يومًا ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء فقال بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين
عن مسلم بن الوليد حيث يقول في رجل قد رثاه :

أرادوا ليُخَفُوا قبره عن عدوّه فطِيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ
وحيث مدح رجلا بالشجاعة :

يجود بالنفس إذ ضنّ الجبان بها والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ
وهجا رجلا بقبح الوجه والاخلاق :

قُبُحَتْ مناظره فحين خَبَرْتَه حُسُنَتْ مناظره لِقُبْحِ المخبرِ
وتغازل في شعره بقوله :

هوى تجرّد وجبين يلعب أنت لقيّ بينهما معذب

فقال المأمون : هذا أشعر من خُضْتُم اليوم في ذكره !

عِبْطَةُ سُلْطَانِيَّةٍ وَنَزْعَةُ شَيْطَانِيَّةٍ

35ب/ قيل لما حج الخليفة الرشيد وأتى قبر النبي ﷺ زائرًا وحوله قريش
ورؤساء القبائل ومعه موسى الكاظم فقال الرشيد : السلام عليك يا رسول الله
يا ابن عمّي ! افتخارًا على من حوله . فقال موسى الكاظم : السلام عليك يا
أبني ! فتغيّر وجه هارون وقال : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقًا . وأخذها في
نفسه الى أن حبسه الرشيد بعد ذلك عند السُندي بن شاهك ، وتولّت خدمته
في الحبس أخت السندي .

وكان قبل ذلك حبسه المهدي والد الرشيد خشية الخروج عليه ، فرأى علي
بن أبي طالب رضي الله عنه في مقامه وهو يقرأ عليه «فهل عسيتم إن توليتم أن
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» (سورة محمد ، الآية 22) . قال
الربيع : فأرسل المهدي اليّ ليلا فراعني ، فجئته فإذا هو واقف يقرأ هذه الآية ،

وكان أحسن الناس صوتاً ، فقال : عليّ بموسى بن جعفر فجثته به ، فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال : يا أبا الحسن ، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، في النوم يقرأ عليّ كذا وكذا ، فتوهمتني على أن لا تخرج عليّ ولا على أحد من ولدي ؟ فقال له : والله لا فعلت ذلك أبداً ولا هو من شأني ! قال : صدقت ، إعطه يا ربيع ثلاثة آلاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة . قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً وجهزته .

وذكر ابن خلكان أن الرشيد حبسه في بغداد ثم دعا صاحب شرطته ذات يوم فقال به : رأيت في منامي حبشياً أتاني /36/ ومعه حربة فقال : إن لم يُخلّ عن ابن جعفر ولا نحرّتك بهذه الحربة ، فأذهب وخلّ عنه وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له إن أحببت المقام عندنا فلك عندنا ما تحب وإن أحببت المضي الى المدينة فامض ! قال صاحب الشرطة : ففعلت ذلك وقلت له : لقد رأيت من دهرك عجباً ! قال : أنا أخبرك ، بينما أنا نائم أتاني رسول الله ﷺ فقال : يا موسى حبست مظلوماً ، فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في السجن ، قل يا سامع كل صوت ، يا سابق كل فوت ، يا كاسي العظام لحماً ومنشئها بعد الموت أسألك بأسمائك العظام وباسمك العظيم الأكبر المخزون المكنون ، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناءة لا يقدر على أناءته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفة أبداً ولا يحصى عدداً أفرج عني ! فكان ما ترى .

وتوفي موسى الكاظم في شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد مسموماً ، رحمه الله تعالى . وقيل إنه توفي في الحبس ، وقيل توفي سنة سبع وثمانين ومائة . انتهى . والاصح أنه سنة ثلاث وثمانين في حبس الرشيد .

وهو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ، أحد الائمة الاثني عشر ، على رأي الامامية . وهو سابعهم ، ولقب بالكاظم لانه كان يحسن

لمن يسيء اليه . وكان عمره أربع وخمسين سنة ، ودفن ببغداد وقبره مشهور بزار . /36ب/ وعليه مشهد عظيم بالجانب الغربي ، وفيه من قناديل الذهب والفضة والفرش وأنواع الآلات ما لا يحصى . وكان الشافعي رضي الله عنه يقول : قبر موسى الكاظم الترياق للجرب . وكان موسى رحمه الله سخياً كريماً ، يبلغه عن الرجل ما يوؤذه فيبعث إليه صرة فيها ذهب كثير . وكان مقامه بالمدينة . حكى عنه أخت السندي التي تولت خدمته في حبسه ، أنه كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه إلى أن يزول الليل ، ثم يقوم فيصلّي إلى أن يطلع الفجر ثم يصلي الصبح ويذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ثم يرقد ، ويقعد من نومه قبل الزوال فيتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ثم يذكر الله تعالى حتى يصلي المغرب والعتمة . وكان هذا دأبه إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه .

فائدة ، قيل إن جعفر الصادق أوصى ابنه موسى هذا فقال : يا بني ، احفظ وصيتي تعيش سعيداً وتمت شهيداً ، يا بني أن من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له آثمهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره ، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلّ سيف البغي قُتل به ، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقّر ، ومن دخل مداخيل السوء آثمهم ، يا بني قل الحق لك وعليك ، وإياك /37/ والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال ، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادته .

وجعفر الصادق بن محمد الباقر ، لقّب بذلك لصدقه في مقاله . وله مقال في صنعة الكيمياء والزجر والفأل والجفر . قال ابن قتيبة : إنه قال في كتاب أدب الكتاب : الجفر جلد جفرة ، كتب عليه أو فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت ما يحتاجون إلى علمه ، وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، وكذا حكاه ابن

خلكان عنه أيضًا وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو وهم ، والصواب أن الذي وضعه جعفر الصادق .

وتوفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع وولد سنة ثمانين ، وأمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حكاه المؤيد .

ذكر ابن خلكان أن جعفر الصادق سأل أبا حنيفة فقال : ما تقول في مُحَرَّم كَسَرَ رُبَاعِيَّةَ ظُهْيٍ ؟ فقال : يا ابن بنت رسول الله ﷺ ، لا أعلم ما فيه . فقال : إن الظبي لا يكون ثَنِيًّا أَبَدًا . كذا حكاه كشاجم في كتاب المصائد والمطارِد ، في مادة سنن في قول الشاعر في وصف الابل :

فجاءت كسَنَ الظبي لم أر مثلها سَنًا قبل أن تحكي حلوبة جائع

أي هي ثنيات ، لأن الثني هو الذي يُلقَى ثنيته ، والظبي لا تنبت له ثنية أَبَدًا ، انتهى .

وروي أنه /37ب/ قيل له : ما بال الناس يزداد جوعهم في الغلاء بخلاف العادة في الرخاء ؟ فقال جعفر الصادق : لانهم خُلِقُوا من الارض وهم بنوها فإذا قَحَطَتْ أَقْحَطُوا ، وإذا أَخْصَبَتْ أَخْصَبُوا . انتهى . ولترجع الى ذكر الرشيد .

قينة جليلة وقنة خليلة

ذكر الأصفهاني في مختار الأغاني : أن يحيى بن خالد البرمكي له جارية من أحسن الناس وجهًا ، وكانت اسمها دنانير ، وكانت مولدة صفراء ظريفة أدبية ، جيدة الغناء . قال ابن شبة : إنها أخذت الغناء عن ابراهيم الموصلي ، فكان ابراهيم يقول ليحيى : متى فقرتني ودنانير باقية ، فما فقرتني ! قال وسمعتها الرشيد فشغف بها في حياة أبيه المهدي وأخيه الهادي . وكان لشدة شغفه بها

يُكثر مصيره الى مولاها يحيى ويقيم عنده ويُبرّها ويُفرط بها حتى شكته زبيدة الى أهله وعمومته ، فعاتبوه على ذلك ؛ فقال لهم : ما لي فيها من أرب ، وإنما أربي في غنائها ، فأسمعوه فإن أعجبكم وإلا فقولوا ما شئتم ! فسمعوها فعذروه وأشاروا على زبيدة ألا تلحّ في أمرها ، فقبلت وأهدت الى الرشيد عشر جوار، منهنّ مازردة أمّ المعتصم ، وفاردة أمّ صالح ، ومراجل أمّ المأمون ، كان أهداها له علي بن عيسى بن ماهان أيام تعريسه بزبيدة ، فوهبها الرشيد الى زبيدة ثم ردّها عليه مع جملة العشرة جوار ، وبقي شغف الرشيد بدنانير ، ولا زال يتردّد عليها . قيل إنه وهب /38/ لدنانير في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار . ولما صدر البرامكة ردّه عليه . وكان لها حظوة عند مولاها يحيى حتى قيل إنها أصابتها العلة الكلبيّة ، فكانت لا تصبر عن الطعام ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كلّ يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنها كانت لا تصومه . وحكى عبّاد النسوي قال : مررت بمنزل من منازل طريق مكة ، فرأيت على حائط مكتوباً : «النّيك أربعة ، فالأول شهوة ، والثاني لذّة ، والثالث شفاء ، والرابع داء . وحرّ الى أمرين أحوج من أني الى حرّين 123 . كتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها» . انتهى

وحكى أنّ الرشيد دعا دنانير بعد مصرع البرامكة وأمرها أن تغني ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبداً ، فغضب الرشيد وأمر بصفعها ، فصفعت وأقيمت وأعطيت العود ، فأخذته باكية وغنت :

لما رأيت الدّيار قد درّستُ أيقنتُ أنّ النّعيم لم يعد

فرقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها ، فأنصرفت .

قيل إنّ عقيداً ، مولى صالح بن الرشيد ، خطب دنانير وأشغف بها ، فردّته ، واستشفع بمولاه صالح فلم تجبه فكتب إليها :

يا دنانير قد تحير عقلي وتحيرت بين وغدي ومطل
شغفي شافعي إليك والآ فأقتليني إن كنت تهوين قتلي

38ب/ فلم يعطفها ذلك ، وما زالت على حالها الى أن ماتت الى رحمة الله تعالى . ومما قيل فيها أبيات :

هذي دنانير تنساني وأذكرها وكيف تنسى محباً ليس ينساها
أعوذ بالله من هجران جارية أصبحت من حبها أهذي بذكرها
قد أكمل الحسن في تركيب صورتها فارتج أسفلها واهتز أعلاها
قامت تمشي فليت الله صبرني ذاك التراب الذي مسته رجلاها
والله والله لو كانت إذا برزت نفس المتيم في كفيه ألقاها

أنفة وإعزاز وألفة واستعزاز

كان للرشيد جارية تُعرف بذات الخال ، وهي من أكمل النساء جمالا وكالا ، ولها خال فوق شفتها العليا ، وكان الرشيد قد اشتراها بستين ألف دينار ، وكان يحبها وقد وعدها يوماً أن يصير إليها ، فلما خرج يريد لها اعترضته جارية وسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها فقالت ذات الخال : والله لأعملن شيئا أغيظه به ، فأخذت مقراضاً وقصّت الخال الذي كان في شفتها ، ولم يكن شيء أحسن منه في موضعه ، فلما بلغ الرشيد ذلك شق عليه وخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع : انظر من الباب من الشعراء ، فأتاه بالعباس بن الاحنف ، فعرفه الخبر ، وأمره أن ينظم /39/ في المعني شيئا فقال :

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة وميت الى من لا يُغيره خال
فإن كان قطع الخال لما تقطعت على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فنهض الرشيد مسرعاً الى ذات الخال واسترضاه ، وأمر للعباس بألفي درهم .

وكانت ذات الخال لبراهيم الموصلي فسألها الرشيد يوماً : هل كان بينك وبين ابراهيم شيء قط ؟ قالت : مرة واحدة ؛ فأبغضها ووهبها لحمويه الوصيف ، ثم بعد مدة اشتاقها الرشيد فقال لحمويه : ويلك ، وهبنا لك جارية على أن تسمع غناءها وحدك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، مرّ فيها بأمرك ! فقال : نحن عندك غداً ، فاستعدّ لذلك ! فاستأجر لها من الجوهرين بدلة وعقوداً قيمتها اثني عشر ألف دينار ، فلما رأى الرشيد ذلك أنكره وقال : ويلك من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ؟ فصدقه عن أمره ، فأمر بابتياعه ووهبه لها وحلف ألا تسأله حاجة إلاّ قضاها ، فسألته أن يوكل حموية الحرب والخراج بفارس سبع سنين . انتهى

تكميل مرام وسياق كلام

قد تقدّم ذكر العباس الشاعر ، وهو العباس بن الأحنف بن الاسود بن طلحة بن عدي بن حفصة اليماني ، كان رقيق الحاشية جميع شعره في الغزل ، فمن رقيق شعره قوله : /39ب/

يا أيها الرّجل المعبّد نفسه اقصر فإنّ شفاءك الإقصارُ
نزف البكاء دموعَ عينك فاستعزْ عينا يُعيرك دمعها المدرارُ
من ذا يُعيرك عينه تبكي بها أرايت عينا للبكاء تُعارُ

وله من جملة أبيات قالها :

أبكي الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستهضوني فلما قمت منتصباً بثقل ما حملوني منهم قعدوا

وله مما أنشده الحرمازي :

لا جزى الله دمعَ عيني خيراً وجزى الله كلّ خير لساني

نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ سِرِّي ورَأَيْتَ اللِّسَانَ ذَا كَيْمَانٍ
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيِّ فاستدلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ
وَأُنْشِدِ الْأَصْمَعِي لِلْعَبَّاسِ قَوْلَهُ :

أَتَأْذَنُونَ لَصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ فعندكم شهوات السمع والبصر
لَا يَفْعَلُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُفُ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ

فَقَالَ الْأَصْمَعِي : مَا زَالَ هَذَا الْفَتَى يَدْخُلُ يَدَهُ إِلَى جِرَابِهِ فَلَا يُخْرِجُ شَيْئًا
حَتَّى أَدْخُلَهَا وَأَخْرِجَ هَذَا ؛ وَمَنْ أَدْمَنَ طَلَبَ /40/ شَيْءَ ظَفَرٍ بِيَعُضِهِ . فَبَلَغَ
هَذَا الْكَلَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ فَقَالَ : أَنَا لَا أَدْرِي مَا قَالَ الْأَصْمَعِي وَلَكِنْ أُنْشِدُ
لِلْعَبَّاسِ بَيْتًا لَا يَدْفَعُ أَحَدٌ فَضْلَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ كَقُلُوبِهَا مَا رَقَّ لِلْوَلَدِ الضَّعِيفِ الْوَالِدُ
[وَقَوْلُهُ] :

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لَجِجَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لَجِجَ الْهَوَى
هَذَا وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ .

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ : كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، فَقَالَ لِحَارِثَةَ لُبْنَى :
غَنِّينِي «أَتَأْذَنُونَ لَصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ ، الْآيَاتُ» فَضَحِكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : فَأَيُّ خَيْرٍ
فِيهِ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَأَيُّ مَعْنَى ؟ فَخَجَلَ الْحَسَنُ مِنْ نَادَرَتِهَا عَلَيْهِ وَعَجَبْنَا مِنْ حَدِّ
جَوَابِهَا وَفَطِنَتِهَا . وَمِنْ كَلَامِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أُرِيدُكَ بِالسَّلَامِ فَاتَّقِيهِمْ فَأَعَنِي بِالسَّلَامِ إِلَى سِوَاكَ
وَأُظْهِرْ بَيْنَهُمْ ضَحْكِي لِتُخْفِي سَنِي ضَاحِكَ وَالْقَلْبُ بِكَ

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : غَضِبَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ كَانَتْ
يَهْوَاهَا وَتَأَخَّرَتْ عَنْ اسْتَرْضَائِهِ فَعَمَهُ ذَلِكَ وَوَجَّهَ إِلَيْهَا يَشْكُو مَا بِهِ ، فَكَبِيتَ إِلَيْهِ :

«أتى لك العزّ والشرف ولأعدائك الذلّ والغمّ ، استحمل قول العباس بن
الاحنف :

تحمل عظيمَ الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالمُ /40ب/
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وقلبك راغمُ

فقال الفضل : صدق والله ، وبعث إليها فترضاها .

وتوفي العباس بن الاحنف سنة تسع وثمانين ومائة .

مكارم أخلاق ومادمة أرفاق

قال ابن الأغرّ : كنّا مع محمد بن الجنيد نشرب ليلة وكان صوته :

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أمّ حكيم
إنها تشرب المدامة صبراً في إناء من الزجّاج عظيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه إلى السحر ، فجاءه رسول الرشيد فركب
إليه فقال له : يا محمد ما هذا الحال ؟ قال : لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب
فشربت ليلتي أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره فقال له : عدّ إلى منزلك
فلا فضل فيك . فرجع إلينا وأخبرنا بما جرى له ، وأدخلنا في شأننا فجاءه خادم
وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول قد بعثنا إليك بكأس أمّ
حكيم ، فاشرب به ، وفيه ألف دينار تنفقها في صبرحك ! فقام محمد وأخذ
الكأس وقبلها وصبّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائماً ، وسقانا مثل ذلك ووهب
للخادم مائتي دينار ، وغسل الكأس وردّها إليه ، وفرّق علينا تلك الدنانير .

قال ابن مجمع : كنّا نخرج ما في خزائن الملوك من الذهب والفضة فنزكّي
عنه . وكان من الجملة كأس أمّ حكيم ، وكان فيه ثمانون مثقالاً . انتهى .

وأمّ حكيم هذه ، كانت هي وأمها من أجمل نساء قريش ، وكانت /41/
قريش تقول لأمّ حكيم الواصلة بنت الواصلة ، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال ،

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولما تزوجها أمر بإدخال الشعراء ليهنئوه بالعقد ويقولون في ذلك أشعاراً ، وأمر لهم بالجوائز . وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس وغيرهم لكل واحد عشرة دنانير ، ولم تزل أم حكيم عنده مكرمة مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمان ، فملكته وأحبها ، فذهبت بعقله ولم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم ، فطلقها . فتزوجها هشام بن عبد الملك ومات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة ، ثم طلقها اقتصاصاً لها منها ، وقال لام حكيم : هل أرضيتك بما فعلت بها ؟ فقالت : نعم ! وولدت له مسلمة ، المكنى أبا شاكر . فكان هشام يدعو باسمه ، وأراد أن يوليّه العهد بعده ، وكتب بذلك الى خالد القسري . فقال خالد : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ! وكانت أم حكيم لا تفارق الشراب ، ولها كأس مشهور توارثه الخلفاء وصار في خزائنها . انتهى .

أدب وشجون ودعب ومجون

ذكر في كتاب لبّ اللبيب في كلام الشعراء مع الأمراء والكبراء : أن الرشيد جلس يوماً على الشراب ، فقال لأصحابه : أريد شاعراً ظريفاً حسن الصوت جميل الوجه . فقالوا بأجمعهم : لا نعرف بيغداد رجلاً على هذه الصفة غير أبي نواس فإنه أجملهم وجهاً ، وأفصحهم لساناً ، وأقربهم جواباً ، وأعذبهم /41ب/ خطاباً ، وأرقهم شعراً ، وأحسنهم صوتاً . فأمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه قال له : يا أبا نواس انشدني من أشعارك ! فقال : أنشدك مما قلته أو مما أقوله في الساعة ؟ قال : بل مما قلته قديماً ؛ قال : أبو نواس : مررت يا أمير المؤمنين يوماً في شارع من شوارع البردان فملت الى باب دار لأستسقي ماء إذا أنا بجارية ممشوقة القد ، صبيحة الخد ، كثيرة المجانة ، عليها أثر الرعانة ، تصلح أميراً لأهل الحانة . وكأني بها سكرانة ، فكلمتني وكلمتها ، وقلت فيما

بيني وبينها من المحاوره شعراً ؛ وقلته والجارية تسمع . فقال الرشيد : وما هو يا أبا الحسن ؟ فأنشأ يقول :

يا نظرة قدحت في القلب نيرانا ويا هوى زادني شوقاً وأحزانا
هيفاءً مهفهفةً أهدت غضارتها اليّ مع صرف الريحان ألوانا
قد كنت أغني جميع الناس كلهم عن شرب مائكم إذ كان ما كانا
قالت فلم قلت أخشى طول هجركم قالت فلا تخشى الدهر هجرانا
أشاعر أنت يا هذا فقلت لها من أحسن الناس كل الناس الحانا
قالت فغنّ لنا صوتاً فقلت لها حلفت ألا أغني الدهر مَجَّانا
قالت فسل ثم لا تُشطط فقلت لها لا شيء أكثر من بُغياك أحياناً
قالت فغن على اسم الله قلت لها تفهمي سَكناً صوتاً لدهمانا
إنّ العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لا يُحِينا قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به وهنّ أضعف خلق الله أركاناً
فمُدمن الخمر يصحو بعد سُكرته وصاحب العشق حتّى الموت سكراناً
قالت فغنّ سوى هذا لقائله واجعله صوتاً إذا غنيت أشجاناً
قلت اسمعي ثانياً ثم انتقيت لها شعراً يوافق في التعريض مَهْجَاناً
ثم اندفعت أغنيها على طربٍ بان الخليط ولو طاوَعَت ما باناً
فاستضحكت ثم قالت هات خيراً ما كان بين عليّ وابن عفّاناً
فقلت هذا حديث لا يوافقني لكنّ حديث جميل وابن عَجَلاناً
قالت فعبر لنا رؤيا فقلت لها ماذا رأيت أراك الله إحساناً
قالت رأيت فتى في النوم ناولني من نرجس عُصْناً عُصْناً وريحاناً
قلت الفتى هو أنا والغصن ودّكم وذاك يا سَكْنِي تأويلُ رؤيانا

فقال الرشيد : أشهد أنّك إمام الظرفاء ، وسيّد الأدباء ، ورأس المجان ! ثم

أمر له بثلاث بدرات . فوضعت بين يدي أبي نواس ، فقسّم بذرتين على من حضر في ذلك الوقت من المغنين . فبلغ الرشيد ذلك ، فعوض له مائة ألف درهم وجارية جميلة . فغاب مدة عن الرشيد ، ثم دخل عليه يوماً فسأله الرشيد عن الجارية وكيف هما ، فقال أبو نواس مجيباً للرشيد : /42ب/

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| وناهدة الثديين من خدم القصر | مروقة الأصداع مضمومة الشعر |
| مكرمة في تربها برمكية معا | طفها قد غبن في نكت الخصر |
| كلفتُ بها إذ راعني حُسن وجهها | زمتنا وما حب الكواعب من أمري |
| فما زلتُ بالأشعار في كل موطن | ألينها والشعر من عقد السحر |
| إلى أن أجابت بالوصل فأقبلت | على غير ميعاد إلى مع العصر |
| وطالبتها شيئاً فقالت بغيره | أمرت إذاً منه وعبرتها تجري |
| فقلت لنفسي حين فكرت خالياً | جؤنرة بكر كذا فرغ البكر |
| فلما تخالينا توسطت لجة | غرقت بها يا قوم في لجاج البحر |
| وصيحت أغني يا غلام فجاءتني | وقد زلقت رجلي وصرت إلى غمر |
| فلو لا صياحي بالغلام وأنه | تداركني بالحبل صرت إلى قعر |
| فألت ألاً أركب البحر غازياً | حياتي ولا سافرت إلا على ظهر |

انتهى .

وأبو نواس ، هو الحسن بن هانيء بن الجراح الحكي الصري ، وكني نسبه لأبي نواس ، لأنه ينتسب إلى قحطان ، وكانت تعجبه كُنْيَ ملوكهم ، مثل ذي رعين وذو نواس ، فأكتنى بأبي نواس . وكان مولده بالأهوار سنة خمس وثلاثين ومائة ، ثم نشأ بالبصرة وتأدب بها على أبي زيد وخلف الأحمر . ونظر في كتاب سيويه ، وقال الشعر الجيد البالغ البارع ، ومدح الخلفاء والأمراء . وكان يقال : هو في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين . وكان العثلي يقول : لو أدرك الخبيث الجاهلية /43/ لم يفضل عليه أحد ! وسئل

المرزباني : أيما أشعر أبو نواس أم الرقاشي ؟ قال : ضراط أبي نواس في جهنم
أشعر من تسبيح الرقاشي !

قال أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

انتهى .

قال : هذا البيت من جملة أبيات قالها في الفضل بن يحيى يخاطب
الرشيد وهي :

قولا لهارون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد

لست على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالواحد

أوجده الله فما مثله لطالب ذاك ولا ناشد

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لمح في هذا المثل السائر من قولهم «كل الصيد في جوف الفرا» .

قال في شرح رسالة ابن زيدون : وإِنَّكَ المَقُولُ فِيهِ كَلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ
الفرا، هذا مثل قديم يضرب في وصف الشيء المرئي على غيره . وأصله أَنَّ
قومًا خرجوا للصيد ، فصاد أحدهم ظبيًا والآخر أرنبًا والآخر فرأ ، وهو الحمار
الوحشي ؛ فقال لأصحابه : كَلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ! يعني أَنَّ جميع ما
صيدتموه ليسير في جنب ما صيدته . وزعم بعضهم أَنَّ الفرا اسم وادي كثير
الصيد ، وهو قول مردود وأما قول الشاعر : «وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ»
فليس من هذا ، وإنما أراد الوادي المعروف بجوف حمار ، والحمار هنا اسم
رجل قديم كان في واد خصيب ، فظلم غيره فأرسل الله تعالى عليه نارًا أحرقت
وأحرقت الوادي فخلي وسكنته الجنّ فقيل في /43ب/ المثل : أُنْخِلَ مِنْ جَوْفِ
حمار ! وحُجِبَ يومًا أبو سفيان بن حرب عن النبي ﷺ ثم أذن له . فقال : يا

رسول الله ما كدت تأذن لي حتى تأذن بحجارة الجهلتين ! فقال النبي ﷺ : يا أبا سفيان ، كل الصيد في جوف الفرا . ولمح أبو نواس لهذا فقال أبياته المتقدمة .

وكان أستاذ أبي نواس والبة بن الحباب .

قال في كتاب الاغاني الكبير : إن والبة بن الحباب أسدي كوفي ، من شعراء الدولة العباسية ، يُكنى أبو أسامة ، وهو أستاذ أبي نواس ، وكان ظريفاً غزّالاً وصافاً للشرب والغلمان المرء . وروي عنه أنه قال : كنت نائماً وأبو نواس غلامي نائم عندي فأتاني آت في المنام . وقال : أتدري من هذا النائم الى جانبك ؟ فقلت : لا ؛ فقال هذا أشعر منك ومن الجن والإنس ، والله لأفتنّ بشعره الثقلين ولأغوين أهل المشرقين ! فعرفت أنه إبليس ؛ فقلت له : فما له عندك ؟ فقال : عصيت ربي في سجدة فأهلكني ولو أمرني أن أسجد له ألف سجدة لسجدت . اهـ .

قال عذبان السلمي الشاعر ، قال لي المهدي : من أرق الناس شعراً ؟ قلت : والبة بن الحباب ، الذي يقول :

ولها ولا ذنب لها حب كأطراف الرماح
في القلب يقدح في الحشا فالقلب مجروح القراح

فقال : ما الذي يمنعك من منادته ؟ قال : قوله :

قلت لساقينا على خلوة أذن كذا رأسك من رأسي
ونم على وجهك لي ساعة إني امرؤ أنكح جلاسي /44/

أفعلى هذا الشرط أنادمه يا أمير المؤمنين ؟ فضحك المهدي . وجرى بين أبي العتاهية وبين والبة كلام فهجاه والبة فقال أبو العتاهية فيه أبياتاً طويلة يقول فيها :

أوالبُ أنت في العَرَبِ كمِثْلُ الشَّيْصِ في الرُّطْبِ
فقل ما شئتَ أقبْلُه وإنْ أطنبت في الكذبِ
أراك ولدتَ بالمريخِ يا ابن سبائك الذهبِ
فجئتَ أقيشيرَ الخدينِ أزرق عارِمِ الذَّنْبِ
فقد أخطأتَ في شصِب فخبّرني ألم أُصِيبِ

ولما مات والبة رثاه علي بن أبي ثابت فقال :

بكتِ البرية قاطبة جزعًا لمصرع والبة
قامت بموت أبي أسامة في الرفاق النادبه

وحُكي أَنَّ والبة كشفت يوماً ثوب أبي نواس فرأى حُمْرة أَلْيَتِيهِ وبياضهما فقبَّلهما ، فضرط عليه أبو نواس . فقال له والبة : لم فعلت هذا ؟ فقال : لئلا يضيع قول القائل ما جزاء من قبل الاست قبيل له ضرطة ! فقال أبو نواس في ذلك :

قَبَّلْتُهَا فَأَنَالَتِ فَاكِ إِذْ شَكَرَا وَأَكْرَمَ النَّاسُ مِنْ أَعْطَاكَ مَا قَدَّرَا
فَإِنْ قَنَعْتَ بِمَا وَلَيْتِكَ فَارْضِ بِهِ وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا نَاوِلْنَاكَ خَرًّا

وقال الدلعجي غلام أبي نواس : أنشدت يوماً بين يدي أبي نواس :

يا شقيق النفس من حَكَمَ نمتَ عن عيني ولم أنم

وكان قد سكر . فقال أخبرك بشيء على أن تكتمه . قلت : نعم . قال :
44ب/ أتدري مَنْ المعنيّ بهذا ؟ قلت : لا والله ! قال : أنا والله ، والشعر لوالبة
قاله فيّ ، وما عليم بهذا غيرك ! فما تحدّثت بذلك حتى مات ، انتهى .
ومما ينسب لأبي نواس يجاذب شريح الحكيم ، وكان فيلسوفًا عارفًا ، فقال
يداعبه :

إفْتِنَا يَا ابْنَ شَرْيَحٍ لَكَ فِي الْعِلْمِ خَوَلٌ
 غَيْرَ أَنْ الطَّبَّ أَوْلَى بِكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ
 فَلَمْ الْأَيْزُ خَفِيفٌ فَإِذَا قَامَ ثَقُلَ
 فَإِذَا أُبْرِزَ مَا أَرْتَحَى ثُمَّ ذُبُلَ
 أَحْدِيثٌ ذَا فِيهِ أَمْ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ

انتهى .

ومن أَمَعْن فليجِبْ ، فالمسألة قوية الاشكال متمكنة السؤال !

قال بعضهم : وأخبار أبي نواس مجموعة ، وفيها الزائد والناقص .

وقال في كتاب لب اللبيب : فمن مستظرف أخباره أنه تخاصم اثنان ، رافضيٌ وسنيٌ ، فيمن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ . فأتيا أبا نواس فسألاه فقال : أفضلهم بعدهم يزيد بن الفضل ، فقالا : ومن يزيد بن الفضل ؟ قال : رجل يعطيني في كل سنة ثلاثة آلاف درهم . وسئل عن الخمر فقال : خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة ، وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين ! فقيل له : وكيف هي أجود ؟ قال : لأنها أنموذج ، والأنموذج خيار الشيء .

وكان يوماً جالساً وفي يده كأس خمر وعن يمينه عنقود عنب وعن يساره زبيب ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : الاب والابن والروح القدس ! /45/ وقيل له : أتشرب الخمر ؟ قال : نعم ، إذا اشتري بضمن خنزير سُرُق ، حتى يكون حراماً ثلاث مرات ! انتهى

وحكى أبو نواس عن نفسه قال : دخلت الى دمشق فخلوت بأمرد ، فدفعت اليه ديناراً فلماً رأى متاعي استعظمه ، فقلت له : إما أن تردّ الدينار ، وإما أن تحمله ، وإما أن تشتم معاوية ! فأذعن ؛ فلماً دفعته فيه سمعته يقول : هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد ! كذا ذكر في شرح رسالة ابن زيدون .

قال الامام أبو الفرج ابن الجوزي ، في الأذكياء ، وغيره روى الحسن بن هانيء الشهير بأبي نواس قال : استقبلتني امرأة في هودج على بعير ، ولم تكن

تعرفني فاسفرت عن وجهها ، فإذا هو غاية الحسن والجمال فقالت : ما اسم ؟
فقلت : وجهك ؛ فقالت : الحسن إذن ! فقلت لها : إذن ما اسمك ؟ قالت :
فاطمة الاسدية . فسكت عنها . فقالت : ما أسكتك ؟ قلت : جمالك البارع
أسكتني ! فأنشدتها :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حبا لذكرك فليلمني اللوم

ثم قلت لها : إن المحبة على الإجمال موافقة المحبوب فيما شاء ، وها أنا قد
واقفتك فوافقيني أنت ! فقالت : يا حسن ، كيف شئت أصنع وأنا على
الإجمال موافقة لك ؛ قال : فقضيت وطري منها .

وحكي عنه أن أبا عبيدة كان يجلس الى /45ب/ اسطوانة في جامع البصرة
فكتب أبو نواس في أعلاها :

صلى الاله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه ، فأمر بعض تلاميذه
بحكه من السارية ، فلم يصل اليه ، فتطامن له أبو عبيدة ، وصعد التلميذ على
ظهره الى أن حكه ، فلما طال عليه الأمر قال له : أفرغت ؟ قال : نعم حككت
الكل إلا حرفاً ، قال : وما هو ؟ قال : لوط ! قال : لقد بقي الكل ! انتهى .

قال المسعودي في مروج الذهب : عن عبد الله بن المعتز أنه قال : أربعة من
الشعراء سارت أشعارهم بخلاف أفعالهم ؛ أبو العتاهية سار شعره بالزهد وكان
على الإلحاد ، وأبو حليمة الكاتب سار شعره بالعفة ، وكان ألعب من تيس !
ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة ، وكان أحرص من كلب . وأبو نواس سار
شعره باللواط ، وكان أزنى من قرد ! انتهى والشاهد فيه .

وأبو نواس أخباره كثيرة وسيأتي إن شاء الله تعالى بعض منها .

فكاهة وأدب ومراقبة وطرب

قال في كتاب لبّ اللبيب ما نصّه الشيخ الامام شهاب الدين الاشعري من حديث أبي جعفر : بينما الرشيد يطوف في قصره فلقيته جارية من جواريه ، وكان يجد بها وجداً شديداً ، وكانت تأتي عليه أن ينال مراده منها تعزّزاً عليه لحسنها ، فراودها فأبت ، وكانت سكرانة وكان يخمسها /46/ ، فأنحلّ الإزار وسقط خمارها فقالت : امهلني الليلة وغداً أصير اليك ! فتركها ومضت . فلما كان من الغد أرسل اليها رسولاً يطلب منها تمام الوعد ، فقالت للرسول : ارجع اليه وقل له : « كلام الليل يمحوه النهار » . فقال الرشيد : من بالباب من الشعراء ؟ فقبل له : الرقاشي ومصعب وأبو نواس قال : يحضرون ، فلما حضروا قال لهم : من قال شعراً يضمن آخره « كلام الليل يمحوه النهار » فله ألف دينار ويضمنه الذي في خاطري ؟ فقال الرقاشي :

متى تصحو وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهماً فتاة لا تزور ولا تزار
إذا وعدتك صدت ثم قالت كلام الليل يمحوه النهار

فوهب له ألف دينار ، وقال له : لم تصب ما في خاطري . ثم قال مصعب :

أما وأبيك لو تجددين وجدي لأذهب بالكرى عنك السهار
فكيف وقد تركت العين عبّري وفي الاحشاء من ذكراك نار
تهلل وجهها عجباً وقالت كلام الليل يمحوه النهار

فوهب له ألف دينار وقال له : لم تصب ما أردته . ثم قال أبو نواس :

وليلة أقبلت في القصر سكري ولكن زين السكر الوقار
وهزّ الريح أردافاً ثقلاً وصدرًا فيه رمان صغار
وقد سقط الرّدا عن منكبيها من التخميش وأنحلّ الإزار

فقل لها عدني منك وعدا فقالت في غد منك المزار
فقلت الوعد سيدتي فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد : سيف ونطع ! فقال : يا أمير المؤمنين ، المال لأصحابي
والسيف والنطع لي ، هل أخطأت فيما قلت ؟ فقال : أظنك البارحة كنت معنا
أو اطلعت علينا ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما بت الآ في داري وإنما استدلت
بالذي على خاطرك كما قال الله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في
كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون» . فقيل منه ، وأمر له ببدرة فيها
ثلاثون ألف درهم . انتهى .

وذكر الخطيب البغدادي في بعض مصنفاته ، أن الرشيد دخل يوماً وقت
الظهيرة الى مقصورة سرية له ، تسمى الخيزران ، على غفلة منها فوجدها
تغتسل ، فلما رآته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيء ، فأعجبه ذلك
الفعل واستحسنه ، ثم عاد الى مجلسه وقال : من بالباب من الشعراء ؟ فقالوا
له : مصعب و أبو نواس ، فقال : يحضران جميعاً . فلما حضرا وأجلسا قال
لهما : ليقل كل منكما أبياتاً توافق ما في نفسي ، فأنشأ مصعب يقول :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| جنبتكم والقلب صاب اليكم | بنفسي ذاك المنزل المتجنب |
| إذا ذكروا عرضت لا عن ملالة | وذكراهم شيء إليّ محبب |
| وقالوا تجنبنا ولا تقربنا | وكيف وأنتم حاجتي أتجنب |
| على أنهم أحلى من المنّ عندنا | وأطيب من ماء الحياة وأعذب |

فقال أحسنت ، ولكن ما أصبت ما في نفسي ؛ فقل يا أبا نواس ، فأنشأ
يقول : /47/

| | |
|--------------------------|------------------------|
| نضت عنها القميص لصبّ ماء | فورّد وجهها قرط الحياء |
| وقابلت الهواء وقد تعرّت | بمعتدل أرقّ من الهواء |

يقول : /47/

نَضَتْ عنها القميص لصب ماء فورّد وجهها قرطُ الحياءِ
وقابلتِ الهواءَ وقد تعرّت بمعتدل أرقّ من الهواءِ
ومدّت راحة كالماء منها الى ماء عتيد في إناءِ
فلما أن قضت وترًا وهمّت على عجل لتأخذ بالرداءِ
رأت شخص الرقيب على التداني فأسبلت الظلام على الضياءِ
وغاب الصبح منها تحت ليل فظل الماء يجري فوق ماءِ
فسبحان الاله وقد براها كأحسن ما تكون من النساءِ

فقال الرشيد : سيف ونطع ! فقال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويلك
أمعنا كنت ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن هو شيء خطر بيالي . فأمر
له بأربعة آلاف درهم وصرفه .

شدة واقتحام وفسق وانتقام

قال في الفرج بعد الشدة : حدّثني عبد الله بن عمر الواسطي السراج
المكفوف عن أبي دريد عن عبد الرحمان ابن أخي الأصمعي عن عمه ، قال :
بعث اليّ الرشيد في وقت لم تكن عادته أن يستدعيني في وقت مثله ، وجاءني
الرسول بوجه منكر معجلاً ، فوجلت وَجَلًّا عظيماً وخِفت وجزعت ،
ودخلت فإذا الرشيد على بساط عظيم وإلى جانبه كرسي خيزران عليه جويرة
خماسية ، فسلمت ، فلم يردّ عليّ ولا رفع رأسه إليّ ، وجعل ينكّب في الارض ،
فاشتدّ بي الخوف ، فقلت سُعيت عنده يبطل يهلكني قبل كشفه ، فأيست
من الحياة ثم رفع رأسه فقال : يا أصمعي ، ألا ترى الدعيّ ابن الدعي ، اليهودي
ابن اليهودي ، عبد بني حنيفة ، مروان بن أبي حفصة /47ب/ يقول لمعن بن
زائدة - وإنما هو عبدٌ من عبيدنا - :

أقمنا بالمدينة إذ يمسننا مقامًا لا نريد به الزوالا
وقلنا أين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا
وكان الناس كلُّهم لمعن الى أن زار حفرتة عيالا

فقال : إنَّ النوالَ ذهب مع بقائنا ؛ فكيف يُصنَّع بنا ، ولم يرض حتى جعلني
وخاصتي عيالا لمعن ، والله لأفعلنَّ ولأصنعنَّ ! فقلت : يا أمير المؤمنين عبد من
عبيدك ، أنت أولى بأدبه والعفو عنه . فقال : عليَّ بمروان بن أبي حفصة !
فأدخل عليه ، فقال : السَّياط ! فأخذ الخدم يضربونه وهو يصيح وهو يقول :
يا أمير المؤمنين ما جرى ، استبقني ! حتى ضُرب أكثر من مائة سوط ، فقال :
يا أمير المؤمنين : أعف عني ، واذكرْ قولي فيك وفي آبائك ! قال : يا غلام ،
كفَّ عنه ! ثم قال : وما قلت يا كلب ؟ فأنشده التي يقول فيها :

هل تطمِسُون من السماء نجومها بأكبادكم أو تسترون هلالها . .

القصيدة . فأمر بإطلاقه وأن يدفع اليه ثلاثون ألف درهم ، فلمَّا خرج قال
لي : يا أصمعي من هذه الصبية ؟ قلت : لا أدري . قال : هذه مؤتسة بنت أمير
المؤمنين . فدعوت الى الرشيد ولها وتأمَّلته وإذا هو شاربٌ قد ثمل ، فقال : قم
يا أصمعي فقبِّل رأسها ؛ فقلت : أفلتُ من واحدة وأوقع في أخرى أشدَّ منها ،
إن أطلعت أدركته الغيرة فقتلني ، وإن عصيته قتلني بمعصيته . فلما أحبَّ الله من
تأخير أجلي أخطر بيالي أن وضعت كمي على رأسها وقبَّلت كمي . فقال : والله
يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك ! اعطوه عشرة آلاف درهم ، والحقْ بدارك !
فخرجت وما أصدَّق /48/ بالسلامة فكيف بالحِباء والكرامة . انتهى .

قال الفضل بن الربيع : رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل المهدي بعد
وفاة معن بن زائدة وأنشده مديحًا فيه . فقال له : من أنت ؟ قال : عبدك
وشاعرك مروان يا أمير المؤمنين ! فقال له المهدي : ألسن القائل :

أقمنا بالمدينة بعد معن مقامًا لا نريد به الزوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهت النوال فلا نوالا
وقال مجيبًا له على شعره ارتجالا :

قد ذهب النوال كما زعمت فلا تطلب لنا أبدا نوالا

فأجروا برجله ! فجروا برجله وأخرجوه ، فلما كان في العام المقبل تلتطف
حتى دخل مع الشعراء . وكانت عادة الشعراء أن يدخلوا على الخلفاء في كل
عام مرة ، فمثل بين يديه وأنشد بعد رابع أو خامس من الشعراء قصيدته التي
يقول فيها :

هل تطميسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الأفعال آخر آية بثرأهم فأردتم أبطالها

قال : فرأيت المهدي وقد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط
إعجابًا بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ فقال : مائة بيت . فأمره / 48 ب/ بمائة
ألف درهم . فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعر في أيام بني العباس . قال :
ومضت الايام ، وولي هارون الرشيد الخلافة ، فدخل اليه مروان وأنشده ،
فقال له مثل ما قال المهدي ، وفعل به مثل فعل المهدي ، ثم تلتف مروان بعد
مدة ودخل عليه وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك ما أنسى غداة المحصب إشارة سليمان بالبنان المخضب

فأعجبته وقال : كم قصيدتك ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعددها
الوفًا . انتهى .

حكى عن مروان بن أبي حفصة أنه قال : طلب المنصور معن بن زائدة طلبًا
شديدًا ، وجعل لمن يأتي به مالا موفورًا . فحدثني معن بن زائدة قال : لما اشتدوا

في طلبي حِرت في أمري ، فوقفت في الشمس حتى لَوَحَتْ في وجهي ثم خَفَقَتْ
 لحيتي ولبست جَبَّة صوف غليظة ، وركبت جملاً وخرجت عليه لأقيم في
 البادية . فلَمَّا خرجت من باب حرب تبعني أسودٌ متقلداً سيفاً ، فلما غبت عن
 الحرس قبض على خِطام الجمل وأناخه وقبض عليّ ، فقلت : ما تريد ؟ فقال :
 أنت طَلبة أمير المؤمنين ! فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال :
 أنت معن بن زائدة . فقلت : يا هذا اتق الله ، أين أنا من معن ؟ فقال : دع
 عنك هذا ، أنا والله أعرف بك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا
 جوهر قيمته أضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذهُ ولا تسفك دمي !
 فقال : هاته . فأخرجته اليه فنظره وقال : صدقت في قيمته ولست قابله حتى
 أسألك عن شيء فإن صدقتني /49/ أطلقك . فقلت : نعم . قال إن الناس قد
 وصفوك بالجلود ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا . قال :
 فنصفه ؟ قلت : لا . قال : فثلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ إلى العشر فقلت : أظنّ
 ذلك . فقال : ما أراك فاعلاً ، وأنا والله رجلٌ رزقي من أجرهم عشرون درهماً ،
 وهذا الجوهر قيمته ألوف من الدنانير ، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك
 وجودك المأثور بين الناس لتعلم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تُعجبك نفسك ،
 واحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا تقعد عن مكرمة . ثم رمى العقد عليّ
 وانصرف ، فقلت : يا هذا ، والله لسفك دمي أهون عليّ مما فعلت . فخذ ما
 دفعته اليك ، فإني عنه غنيّ ! فضحك وقال : أردت أن تكذبني في مقامي هذا ،
 والله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثمناً أبداً ! ومضى . فوالله لقد طلبته بعد ما
 أمّنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً . قال : ولم يزل معن
 مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه
 وثب معن ، وهو مثلثم وانتضى سيفه وردّ عن المنصور ، ثم جاء اليه وهو على
 بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له : تنحّ ، فإني أحقّ بهذا المقام منك في هذا
 الوقت ! فقال له المنصور : صدق ! فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك

الحال ؛ فقال له المنصور : من أنت ، لله درك ؟ فقال : أنا طليبتك يا أمير المؤمنين ، أنا معن بن زائدة . فقال له : أمنتك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصطنع . ثم خلع عليه وأكرمه وقال له : قد وليتكم اليمن ، فابسط السيف /49ب/ فيهم حتى ينقضي خلف ربيعة واليمن ؛ فقال : أبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين . ثم توجه إليها ، وفعل ما أمره . وقام بعد ذلك ، فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغني عنك شيء لو لا مكاتتك عندي لعصيت عليك ؛ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معنُ بن زائدة الذي زيدت به شرقاً الى شرف بنو شيان
إن عُدَّ أيام الفعّال فإنما يوماه يوم ندَى ويوم طِعَانِ

قال : والله ما أعطيته لهذا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيته لقوله :

ضاربت يوم الهاشمية مُغَلِّمًا بالسيف دون خليفة الرَّحْمَانِ
فمنعت حَوَازته وكنت وقاءه من وقع كلّ مُهَنّد وسِنَانِ

فاستحي المنصور فقال معن : والله لو لا مخافة الشُّنعة عنده لأمكنه من مفاتيح بيوت الأموال وأعطيته إياها ؛ فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ما أهون عليك ما يعزّ على الرجال وأهل الحزم ! انتهى .

ويوم الهاشمية ، هو يوم خرجت فيه الراوندية على الخليفة المنصور . والهاشمية ، مدينة بناها بنو احي الكوفة وسكنها ، وبها كانت الوقعة .

قال الملك المؤيد في المختصر : في سنة إحدى وأربعين ومائة كان خروج الراوندية على المنصور . وهم قوم من أهل خراسان على مذهب أبي مسلم الخراساني ، يقولون بالتناسخ ، فيزعمون أنّ روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأنّ ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو الخليفة أبو جعفر المنصور . فلما ظهوروا وأتوا

50/ الى قصر المنصور قالوا : هذا قصر ربنا ! فحبس المنصور رؤساءهم ، وهم مائتان . فغضب أصحابهم وأخذوا نعتاً وحملوه ومشوا به على أنهم ماشون في جنازة حتى بلغوا باب السجن ، فرموا بالنمش وكسروا باب السجن وأخرجوا رؤساءهم ، ثم قصدوا المنصور ، وهم نحو ستمائة رجل ، فنادى الناس وأغلقت أبواب المدينة وخرج المنصور ماشياً ، واجتمع عليه الناس وكان معن بن زادة مستخفياً من المنصور ، فحضر وقاتل الراوندية بين يدي المنصور . فعفي عن معن لذلك . وقُتل في ذلك اليوم الراوندية عن آخرهم .

قال وفي سنة إحدى وخمسين ومائة قُتل معن بن زائدة الشيباني بسجستان في بُست ، وكان المنصور قد استعمله على سجستان . قتله جماعة من الخوارج هجموا عليه في بيته بغتة وهو يحتجم فقتلوه ، وقام بالأمر بعده يزيد ، ابن أخي معن ، وهو يزيد بن مزيد الشيباني . انتهى .



ومما قيل في معن بن زائدة المذكور :

هو البحر من أيّ النواحي أتيتهُ فلجّته المعروف والجود ساحلُهُ
تراه إذ ما جتته متهللاً ككأنتك تُعطيه الذي أنت سائلُهُ
تعود بسط الكفّ حتى لو أنه ثابها لقبض لم تُجبه أناملُهُ
فلو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائلُهُ

تمام مرام سياق كلام

قد تقدم ذكر مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . واسم أبي حفصة يزيد . وذكر أنه كان يهودياً وأسلم على يد مروان بن الحكم ، وقيل إنه كان من سبي 50ب/ اصطخر . وتوفي مروان المذكور سنة إحدى وثمانين ومائة ، وكان مولده سنة خمس ومائة . كذا ذكره المؤيد .

وكان مروان من أبخل الناس ، على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، ولا سيما من وُلد العباس ، فكان رَسْمُهُ أَنْ يُعْطَى بِكُلِّ بَيْتٍ يَمْدَحُهُمْ بِهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ . وكان يلبس فَرْوًا تَنْزَ الرَّائِحَةِ وَكِسَاءً غَلِيظًا . قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ ، بُخْلًا مِنْهُ إِلَّا إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ ، وَإِذَا اشْتَهَاهُ أَرْسَلَ غَلَامَهُ فَاشْتَرَى لَهُ رَأْسًا ، فَقِيلَ لَهُ : نَرَاكَ لَا تَأْكُلُ إِلَّا الرُّؤُوسَ صَيْفًا وَشَتَاءً ! قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ الرُّأْسَ أَعْرِفَ سَعْرَهُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْغَلَامُ أَنْ يَغْنِنِي فِيهِ ، وَلَيْسَ بِلَحْمٍ فَيَقْدِرُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ إِذَا طَبَخَهُ ، وَإِنْ أَخَذَ عَيْنَهُ أَوْ أُذُنَهُ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ أَعْلَمَ بِهِ ، ثُمَّ إِنِّي آكُلُ مِنْهُ أَلْوَانًا ، عَيْنَهُ وَأُذُنَهُ وَخَدَّهُ وَلِسَانَهُ وَدِمَاغَهُ ، وَأَكْفَى مَوْئِنَةً طَبَخَهُ ؛ وَقَدْ اجْتَمَعَتْ لِي فِيهِ مِرَافِقُ . وَأَرْسَلَ غَلَامَهُ لِيَتَنَاحَ لَهُ زَيْتًا بِفِلَسْ ، فَلَمَّا جَاءَهُ بِهِ قَالَ لَهُ : خُتْنَتِي ؟ قَالَ لَهُ : وَكَيْفَ أَخُونُكَ فِي فِلَسْ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ الْفِلَسَ وَاسْتَوْهَيْتُ الزَّيْتَ !

وقال مرة لرجل فقير : إِنَّ وَهْبَ لِي الْإِمِيرَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَهْبَ لَكَ دِرْهَمًا . فَأَعْطَاهُ الْإِمِيرَ سِتِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَوَهَبَ الْفَقِيرَ ثَلَاثِي دِرْهَمٍ .

واشْتَرَى يَوْمًا لَحْمًا بِنِصْفِ دِرْهَمٍ وَوَضَعَهُ فِي الْقِدْرِ ، وَكَادَ أَنْ يَنْضِجَ فَدَعَاهُ صَدِيقٌ لَهُ فَرَفَعَ اللَّحْمَ مِنَ الْقِدْرِ وَأَعَادَهُ إِلَى الْقَصَابِ بِنَقِيصَةٍ دَانِقٍ ، فَأَخَذَهُ الْقَصَابُ وَنَادَى عَلَيْهِ هَذَا لَحْمُ مَرْوَانَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَأْنِفُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا أَنْفَ . وَبَلَغَ الْخَبَرَ إِلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ : لِأَنِّي /51/ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَهُ الْإِسْرَافَ !

وحكى أَنَّ الْمَهْدِيَّ فَرَّقَ عَلَى الشُّعْرَاءِ جَوَازِيْرَهُمْ ، فَأَعْطَى مَرْوَانَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَجَاءَهُ أَبُو الشُّمُقِّ الشَّاعِرُ وَقَالَ لَهُ : اعْطِنِي شَيْئًا . فَقَالَ مَرْوَانُ : أَنَا وَأَنْتَ نَأْخُذُ وَلَا نَعْطِي . فَقَالَ أَبُو الشُّمُقِّ : اسْمَعْ مِنِّي مَا قَالَهُ الصَّبِيَّانُ ! قَالَ لَهُ : هَاتِ ، فَقَالَ :

لَحْيَةُ مَرْوَانَ تَفِي عَنِّي خَالِطُ مِسْكَ خَالِصًا أَذْفَرَا
فَمَا يُقِيمَانِ بِهَا سَاعَةً حَتَّى يَصِيرَانَ جَمِيعًا خَرَا

فأعطاه درهمين وقال له : خذهما ، ولا تكن راوية الصبيان !
 وقال مروان يوماً ما فرحت بشيء قطّ مثل فرحي بمائة ألف درهم وهبها
 لي أمير المؤمنين المهدي ، وزنتها فزادت درهماً فاشتريت به لحماً . اه .
 وحكى الخطيب البغدادي في تاريخه قال : قال مروان بن أبي حفصة :
 وفدّت في ركب الى الرشيد ، فسيرنا في أرض موحشة ليلاً ، فلم نشعر الا بامرأة
 تسوق إبلنا وتحدو ، فإذا هي غول . فلما لاح الفجر عدلتُ عنّا ، وغنّت تقول :
 يا كوكب الصبح اليك عنّي فلست من صُبح وليس منّي
 فما أذكرُ أنّي رُعبت من شيء الا تلك الليلة . انتهى .

وحكي أن مروان بن أبي حفصة فرّ برجل من تيم اللات . قال أبو عبيدة
 إنّ تيمّاً كلّها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم . وتيم صنم كان لهم يعبدونه .
 اه . وسُمّوا تيم اللات بن ثعلبة .
 ومرّ مروان برجل منهم يعرف بالجنبي فقال له مروان : زعموا أنّك تقول
 الشعر ، وما أرى ذلك من طريقك ولا مذهبك ! فقال له الجنبي / 51ب / :
 اجلس واسمع ، ثم أنشده :

ثوى اللؤم في العجلان يوماً وليلة وفي دار مروان ثوى آخر الدهر
 غدا اللؤم يبغي مطرَحاً لرجاله فقلّب في برّ البلاد وفي البحر
 فليس لمروان على العرس غيرة ولكن مروان يغار على القدر

فقال له مروان : ناشدتك الله إلا كفت ! فإنك أشعر الناس . فحلف
 الجنبي بالطلاق ثلاثاً إنه لا يكفّ حتى يصير الى قومه ، رؤساء أهل اليمامة
 ويقول بحضرتهم « قاق قاق » ، في أستي بيضة ! . ففعل ذلك بحضرتهم
 فانصرفوا يضحكون من فعله .

ومن شعر مروان بن أبي حفصة :

سألناه الجزيل فما تلکي وأعطى فوق مُنيتنا وزادا
وأحسنَ ثم أحسن ثم عُدنا فأحسن ثم عُدْتُ له فعادا
مرارا ما رجعتُ اليه الا تبسم ضاحكًا وثني الوسادا

خطاب أديب وخطب مصيب

قال القاضي في كتابه المعروف بالفرج بعد الشدة : إن الاصمعي قال :
لزمت باب الرشيد ، فكنت أقيم عليه طول نهاري ، وأبيت بالليل مع الحرس
أسامرهم وأتوقع بحال سعد حتى كدت أموت ضراً وهزالاً ، وأن أصر إلى
ملالة ، ثم أتذكر ما في عاقبة أمره من الفرج من صلاح حال باتفاق محمود ،
فأصبر . فبينما أنا ذات ليلة قد قاسيت فيها السهاد والأرق إذ خرج بعض
الحجاب /52/ فقال : هل بالباب أحد يُحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ، رب
مضيق وله التيسير ؛ أنا ذاك الرجل ! فأخذ بيدي وقال : ادخل ، فإن ختم لك
بالسعادة والتصويب لرأيي ، فلعلها أن تكون ليلة تعرفني فيها بالفضي . فقلت :
بشرك الله بخير ! فدخلت فوجدت الرشيد في البهو ، وهو البيت المقدم لام
البيوت جالساً والخدم على رأسه والفضل بن يحيى البرمكي جالس الى جنبه .
فوقف بي الحاجب حيث يسمع تسليمي ، فسلمت ثم قال : تنح قليلاً تسكن
إن كنت وجدت الروعة حساً ! فقلت في نفسي فرصة تفوتني آخر الدهر
بعارض فلا أعتاض منها الا كمداً حتى يصفق علي الضريح . وقلت : إضاءة
كرم أمير المؤمنين ، أيده الله فأجيب أو أبتديء فأصيب ؟ فتبسم الفضل وقال :
ما أحسن ما استدعى الاحسان وأحرى به أن يكون محسناً . ثم قال : أشاعر
أنت أم راوية ؟ قلت : راوية . قال : لمن ؟ قلت : لكل ذي جد وهزل بعد أن
يكون محسناً ؟ قال : أنصف الغارة من رامها . ثم قال : ما معنى هذه الكلمة ؟
قلت : لها وجهان ، زعمت السابقة أنه كان لها أي للغارة ، وهي اسم القبيلة
على هذا الوجه ، لها رماة لا يقع سهامها في غير الحدق ، فكانت تكون في

الموكب الذي فيه الملك فخرج فارس معلم بعذبات سمور في قلنسوته فنادى :
 أين رماة الخدق ؟ فقالت العرب «أنصف الغارة من راماه» ؛ والوجه الآخر
 الموضع المرتفع من الارض والجبل الشاهق ، فمن ضاهاه بفعل له قد رماه . وما
 أحسب هذا هو المعنى /52ب/ لان المراماة كالمعاطاة للنديم ، هو أن يأخذ كأساً
 ويعطي كأساً ، كذلك المراماة أن يرميها وترمي . فقال : أصبت . أرويت
 للعجاج ورؤية شيئاً ؟ قلت : الاكثر ! قال : أنشدني قوله «أرقني طارق هم
 طرّقاً» . فمضيت فيها مضي الجواد تهدر أشداقي ، فلما توجه بني أمية ثبثت
 عنان اللسان الى امتداح المنصور فقال : أعن عمد أو غير عمد ؟ قلت : عن
 عمد ، تركت كذبه الى صدقه بما وصف المنصور من مجده . فقال الفضل :
 بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف . ثم التفت الى الرشيد وقال :
 أرويت لعدي بن الرقاع شيئاً ؟ قلت : الاكثر ! قال : أنشدني قوله : «بانت
 سعاد وأخلفت ميعادها» فابتدأت تهدر أشداقي ؛ فقال لي الفضل : يا هذا أنشد
 على مهل ، فلن تنصرف الا غانماً . فقال الرشيد : أما إذا قطعت علي فأقسم
 لتشركني في الجائزة ! قال : قطعت نفسي فقلت : أفلا أليس أردية التيه على
 العرب ، أنا أرى الخليفة والوزير يتشاطران المواهب . فتبسّم ومضيت فيها ،
 ثم قال : أرويت لذي الرمة ؟ قلت : الاكثر ! قال : أنشدني «أمن حذر الهجران
 قلبك يطمح» قلت : عروس شعره ! قال : فأية الحسن ؟ قلت قوله : «ما بال
 عينك منها الماء ينسكب» فقال : امض فيها . ومضيت فيها حتى انتهيت وصفه
 جملة . فقال الفضل بن يحيى : بقي علينا من مسامرة السهر بجمل أجرب .
 فقال الرشيد : اسكت فهي التي سلبتك تاج تملكك وأزعجتك عن قرارك ،
 ثم جعلت /53/ جلودها سياطاً تضرب بها أنت وقومك عند الغضب . فقال
 الفضل : الحمد لله عوقبت من غير ذنب ، قال الرشيد : أخطأت في كلامك
 لو قلت أستعين الله ! قلت : هذا أصوب إنما يحمد الله على النعم ويستعان على
 الشدائد . ثم قال : إني لأجد مللاً ، وهذا الفضل ضيف عندنا فسامره باقي

ليلتك فإذا أصبحت ، فإن رضي ، الخادم يلقاك بثلاثين ألف درهم . ثم قام وقرّبت اليه النعل ، فجعل الخادم يُصْلِح عقب النعل في رجله ، فقال : ارفق ويحك ، أحاسبك قد عقرتني ! فقال الفضل : قاتل الله العجم ، لو كانت سندية ما احتاج أمير المؤمنين الى هذه الكلفة ! قال : نعلي ونعل آبائي ، ما تدع نفسك التعريض لما تكره . فقال الفضل : لو لا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز أن آمر لك بمثل أمره ، لأمرت لك بثلاثين ألف درهم ، ولكن قد أمرت لك بتسعة وعشرين ألف درهم ، فإذا أصبحت فأقبضها وألزم . فما صليت من غدٍ إلا وفي منزلي ما أمرا لي . فأيسرت ولزمتها وزال ما كنت فيه من الضر ، وأتى الإقبال والنعم ، وكسبتُ والله الحمد ، اهـ .

سياق كلام وتصحيح مرام

قد تقدّم ذكر رؤية بن العجاج وعدي بن الرقاع وذوي الرمة ، ولنذكر شيئا من أخبارهم تكميلا للفائدة وتتميمًا للعائدة ، فنقول : قال في كتاب الاغاني : رؤية بن العجاج بدوي من بني تميم ، كان من رُجَز الاسلام وفصحائهم ، أدرك الدولتين ونزل بالبصرة ومات في أيام المنصور . وكان يكنى أبا الحجاج /53ب/ وأبا العجاج . وكان يأكل الفأر، فعوتب على ذلك ، فقال : هي أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القذر، وهل يأكل الفأر الا نقي البرّ ولباب الطعام ؟ !

ودخل يوما السوق ، وعليه برنكان (في الصحاح : البرنكان نوع من الاكسية) أخضر ، فعبث الصبيان به ، وغرزوا الشوك في برنكانه ، وجعلوا يضحكون عليه ويضحون : يا مردوم يا مردوم ! فجاء الى الوالي وقال له : أسألك أن ترسل معي الوزعة ، فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين السوق ، فأرسل معه أعوانا فشده على الصبيان وهو يقول :

أنحني على أملك بالمردوم أعور جعد من بني تميم

شَرَابُ أَلْبَانٍ خَلَا يَا كُومَ

فانهزم الصبيان ودخلوا داراً عند الصيارفة . فقال له الشرطة : أين هم ؟
فقال : دخلوا دار الظالمين ! فسميت بذلك .

قال يونس بن حبيب : كنت جالساً مع أبي عمرو بن العلاء : إذ مرّ بنا
شبل بن عَزْرَةَ الضُّبَعِي ، وكان علامة . فقال يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنِّي سألت
رؤية عن اسمه ، فلم يدر ما هو وما معناه . قال يونس : قلت له والله لرؤية
أفصح من معد بن عدنان ، وأنا غلام رؤية ، أفتعرف أنت رؤية ورؤية ورؤية
ورؤية ورؤية ؟ قال : فضرب بغلته وما تكلم بشيء . قال : والرؤية ، اللبن
الخائر ، والرؤية ماء الفُجُل ، والرؤية الساعة تمضي من الليل ، والرؤية الحاجة ،
والرؤية سعة القدح .

قال المدائني : قدم البصرة راجز من أهل المدينة ، فجلس الى حلقة من
الشعراء وقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول :

مروان يُعْطِي وسعيد يمنعُ مروان نَبَعَ وسعيد خَرَّوعُ

والله أنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بيني وبينه ! قال :
والعجاج ماض وابنه رؤية معه ، فأقبل رؤية على أبيه وقال : قد أنصفك الرجل !
فأقبل العجاج عليه وقال له : ها أنا ذا العجاج فهلّم ! فقال : وأيّ العجاجين
أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الطويل ، وكان يُعرف بذلك . فقال له : ما عنيتك
ولا أردتك . فقال : كيف وقد هتفت باسمي وتمنيت أن تلقاني ؟ قال له : أو
ما في الدنيا عجاج غيرك ؟ قال : ما علمتُ ! قال : لكنني أعلم ، وإياه عنيت .
فقال له : وهذا ابني رؤية . فقال : اللهم غُفراً ، ما بيني وبينكما عمل البتّة ،
وإنما مرادي غيركما ! فضحك أهل الحلقة وكفّ عنه .

لطيفة

حكى أَنَّ رُؤْيَا كَانَ عِنْدَ شَاهِينَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ، وَهُوَ يَلْعَبُ بِالنُّرْدِ .
فَأَتَتْهُ بِالْخِيَانِ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِاللَّعْبِ فَقَالَ رُؤْيَا :

يَا إِخْوَتِي جَاءَ الْخِيَانُ فَأَرْفَعُوا جُمَانَهُ كَيْعَابَهَا تَقَعَّقُ
لَمْ أُدْرِ مَا ثَلَاثُهَا وَالْأَرْبَعُ

فَضَحِكَ وَأَمَرَ بِرَفْعِهَا . وَقَدَّمَ الطَّعَامَ .

قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ : لَقِيتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ يَوْمًا بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ ، دَفَنَّا الشَّعْرَ وَاللِّغَةَ وَالْفَصَاحَةَ الْيَوْمَ ! فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
هَذَا حِينَ انْصَرَفَ مِنْ جَنَازَةِ رُؤْيَا بْنِ الْعَبَّاسِ . اهـ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ .
وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ فَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي أَيْضًا : أَنَّهُ عَدِيُّ
بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ ، مِنْ بَنِي عَامِلَةٍ ، وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ
كَانَ مُقَدِّمًا عَنْدهُمْ / 54 ب / مَذَاحًا خَاصًّا بِالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ
شَاعِرَةٌ يُقَالُ لَهَا سَلْمَى . وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِدِمَشْقَ . قَالَ أَبُو الْعَرَّافِ : دَخَلَ جَرِيرٌ
عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ :
أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : شَرُّ الثِّيَابِ
الرَّقَاعُ ، فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : مِنْ عَامِلَةٍ ! قَالَ جَرِيرٌ : الَّذِينَ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ :
«عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً» ثُمَّ قَالَ :

يُقَصِّرُ بَاعَ الْعَامِلِيِّ عَنِ الْعُلَى وَلَكِنْ أَيْرَ الْعَامِلِيِّ طَوِيلَ

فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ :

أَلَمْ تَكُنْ كَانَتْ خَبَرْتُكَ بِطَوْلِهِ أَمْ أَنْتَ امْرُؤٌ لَمْ تَدْرُ كَيْفَ تَقُولُ

قَالَ : بَلْ أَدْرِي كَيْفَ أَقُولُ ، فَوَثَبَ عَدِيُّ إِلَى رِجْلِ الْوَلِيدِ فَقَبَّلَهَا وَقَالَ :

أجرني منه ! فقال الوليد : والله لئن تعرّضت له لأسرجنك ولألجمنك حتى يركبك ويعيرك الناس بذلك ، فكنتي جرير عن اسمه فقال :

إني إذا الشاعرُ المغرورُ جرّني جار بعيري على مرّانٍ مرفوس
أقصر فإن زاراً لن تُفأخرهم فرع لقيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون إذا ما لَزَّ في قرنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس

قال محمد بن موسى المنجم : ما أحدٌ ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصفعه إلاّ عدي بن زيد ، لانه قال من قصيدة :

وعلمتُ حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدة لكي ازدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مرّ به شيء لا يحسنه /55/ أمرت بصفعه . قال سليمان بن عباس السعدي : ذكر كثير وعدي بن الرقاع في بعض مجالس بني أمية ، فافترقوا فيهما أيهما أشعر ، وفي المجلس جرير . فقال جرير : ما أعجبكم ! فلقد قال جرير بيتاً هو أشعر وأعرف من عدي نفسه ، ثم أنشدهم :

إن زَمَ أحمالٌ وفارقَ جيرة وناح غراب البين أنت حزين

قال : فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من كثير ليسرجن جريراً وليلجمنه وليحملن عدياً على ظهره .

وكتب الى واليه بالمدينة : إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول : «إن زَمَ أحمال وفارق جيرة ، البيت» قال : ففعل ذلك ؛ فابتدروا من كل ناحية : كثير ! كثير ! فقال الوالي : أمرني أن نسأل عن نسب بن الرقاع فقالوا له لا ندري ؛ حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد فقال : هو من عاملة .

قال محمد بن سلام : عزل الوليد عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه للناس ، وقال للموكلين به : من أتاه متوجّعاً وأثنى عليه خيراً

فَاتُونِي بِهِ . فَأَتَاهُ عَدِي بْنُ الرَّقَاعِ ، وَكَانَ عَبِيدُ اللَّهِ مُحْسِنًا إِلَيْهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ :

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقًا وَلَكِنْ إِلَى الْغَايَاتِ سَبَاقًا جَوَادًا
وَكَنتَ أَخِي وَمَا وَلَدْتُكَ أُمِّي وَصُولًا بِأَذَلَا لَا مُسْتَرَادًا
فَقَدْ هَيْضَتَ بِنَكَبَتِكَ الْقُدَامَى كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا أَرَادَا

فَوُثِبَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ وَالزَّمُوهُ وَأُدْخِلُوهُ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى ، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَتَمْدَحُ رَجُلًا قَدْ فَعَلْتُ بِهِ مَا فَعَلْتُ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ السِّيَّ مُحْسِنًا وَلِي مَوْثِرًا ، فَأَيَّ وَقْتٍ / 55ب / كُنْتُ أَكْفِيهِ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ وَكُرُمْتَ ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ وَعَنْهُ ، فَخُذْهُ وَانصَرَفَ . وَكَانَ عَدِي يَقُولُ إِذَا سَمِعَ شَعْرَ كَثِيرٍ : هَذَا شَعْرُ حِجَازِي مَغْرُورٍ إِذَا أَصَابَهُ قَرُّ الشَّامِ جَمَدٌ وَهَلَكَ . انْتَهَى .

وَأَمَّا ذُو الرِّمَّةِ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِهِ مَرْجُوحُ الذَّهَبِ : ذُو الرِّمَّةِ هُوَ غَيْلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَدِي بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ أَدَّ . وَيَكْنَى أَبَا الْحَارِثِ ، وَذُو الرِّمَّةِ لِقَبِّ غَلَبَ عَلَيْهِ لِقَبَّتْهُ بِهِ مَيِّ . وَكَانَ قَدْ اجْتَازَ بِخَبَائِثِهَا وَهِيَ جَالِسَةٌ إِلَى جَنْبِ أُمِّهَا فَوَقَفَ وَاسْتَسْقَاهَا مَاءً ؛ فَقَالَتْ أُمُّهَا : قَوْمِي فَاسْقِيهِ ! وَقِيلَ بَلْ خَرَقَ أَدْوَاتُهُ لَمَّا رَأَاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنْ خَرَزِي لِي هَذِهِ ! فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ ذَلِكَ وَإِنِّي لَخَرَقَاءُ . وَالْخَرَقَاءُ الَّتِي لَا تَعْمَلُ بِيَدِهَا شَيْئًا لِكِرَامَتِهَا عَلَى قَوْمِهَا . فَقَالَ لِأُمِّهَا : مَرِيهَا أَنْ تَسْقِيَنِي مَاءً ، فَقَالَتْ أُمُّهَا : قَوْمِي يَا خَرَقَاءُ فَاسْقِيهِ ! فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ وَكَانَ عَلَى كَتِفِهِ رُمَّةٌ وَقِطْعَةٌ مِنْ حَبْلِ فَقَالَتْ : اشْرَبْ يَا ذَا الرِّمَّةِ فَلَقَّبَ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَصِيْبُهُ فِي صَبَاحِهِ فَرْعٌ ، فَكَتَبَ تَعِيْمَةً ، فَكَانَتْ تَعْلَقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا أَبَا الْخَلِيلِ أَلَا تَسْمَعُ شَعْرَ غَيْلَانَ وَقَوْلَهُ ؟ فَقَالَ : بَلَى . فَتَقَدَّمَ وَأَتَشَدَّ ، فَقَالَ لَهُ الْحَصِينُ : أَحْسَنَ ذُو الرِّمَّةِ ! فَغَلَبَ عَلَيْهِ . وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ كُلُّهُمْ شَعْرَاءُ . وَكَانَ هُوَ كَثِيرًا مَا يَأْتِي الْحَضَرَ وَيَقِيمُ بِالْكُوفَةِ . وَكَانَ طِفْلِيًّا وَوَضَعَ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَحْسَنُ أَنْ يَمْدَحَ وَلَا يَهْجُو . وَلَمَّا مَدَحَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لَصِيدَحَ انْتَجِعِي بِلَالًا

56/ فقال بلال : ولم ينتجعني غير صيدح ؟! يا غلام ، اعطه حَبْلٌ قَتٌ لصيدح ! فخجل من ذلك وقيل : إِنَّ جَرِيرًا وَالْفَرَزْدَقَ اتَّفَقَا عِنْدَ بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَسَأَلَهُمَا عَنِ ذِي الرِّمَّةِ فَقَالَا : أَخَذَ مِنْ ظَرِيفِ الشَّعْرِ وَوَحْشِيَّةٍ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : أَشْهَدُ لَاتَّفَاقِكُمَا عَلَى هَذَا فِيهِ ، إِنَّهُ أَشْعَرُ مِنْكُمَا .

وكان أبو عمرو يقول : شعر ذي الرمة نُقِطَ عُرُوسٍ يَضُمُّحِلٌّ عَنْ قَلِيلٍ ، أَوْ أَبْعَارَ ظُبَاءٍ لَهَا شَمٌّ فِي أَوَّلِ شَمِّهَا ثُمَّ تَعُودُ إِلَى أَرْوَاحِ الْبَعْرِ . وكان جرير والفرزدق يحسدانه على شعره .

قال ذو الرمة : أَوَّلَ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَيِّ أَنَّنِي خَرَجْتُ مَعَ إِخْوَتِي وَبَنِي عَمِّي ، فَوَرَدْنَا عَلَى مَاءٍ وَقَدْ جَهِدْنَا الْعَطَشَ ، فَعَدَلْنَا إِلَى خَبَاءٍ عَظِيمٍ فَقَالَ لِي أَخِي : اسْتَسْقِي لَنَا مَاءً . فَأَتَيْتُ الْخَبَاءَ وَفِيهِ عَجُوزٌ ، فَاسْتَسْقَيْتُهَا فَالْتَفَتَتْ إِلَى وَرَائِهَا وَقَالَتْ : يَا مَيِّ اسْقِي الْغُلَامَ . فَقَامَتْ تَصَلِّبٌ فِي شِكْوَتِي فَلَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فَلَهَوْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَالْمَاءُ يَذْهَبُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : يَا بَنِي أَهْلَتِكَ مَيِّ عَمَّا بَعَثَكَ أَهْلُكَ ، أَمَا تَرَى الْمَاءَ يَذْهَبُ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَيَطُولَنَّ هَيَامِي بِهَا ! ثُمَّ مَلَأْتُ شِكْوَتِي وَأَتَيْتُ إِخْوَتِي ، وَهَمَّتْ بِهَا عَشْرِينَ سَنَةً .

قيل ولما سمعت مَيِّ مَا قَالَ فِيهَا ذُو الرِّمَّةِ مِنَ الْأَشْعَارِ جَعَلَتْ لِلَّهِ عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَرَ بِدَنَّةٍ يَوْمَ تَرَاهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَجُلًا ذَمِيمًا أَسْوَدَ قَالَتْ : وَاسْوِئْتَاهُ ، وَاضْيَعَةَ بَدَنَتَاهُ ! فَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مُسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيًا

فكشفت ثوبها عن 56ب/ جسدها وقالت : أَشَيْنَا تَرَى ، لَا أُمَّ لَكَ !

فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه ولو كان لون الماء أزرق صافياً

فقلت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لا شين فيه ، ولم يبق إلا أن أقول لك : هلمّ حتى تذوق ما وراءه ، فوالله لا ذقت ذلك أبداً ! فقال :

فيا ضيعة الشعر الذي لجّ وانتضى بميّ ولم أملك ضلال فؤادياً

ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك . وقيل إن النوار بُنية ميّ سمعت قول ذي الرمة في أمّها حيث يقول :

هي البرء والأسقام والهّمّ والمنى وموت الهوى في القلب منّي المبرح
إذا غيّر النأي المحيّن لم أجد رسيس الهوى في حبّ مية يّرح

فقلت : قبحه الله ، وهو الذي يقول : «على وجه ميّ مسحة من ملاحه ، البيت» .

قيل : نزل ركبٌ بأبي الخرقاء العامرية فسقامهم لبناً ، وقصر (أي منع) عن شاب منهم ، فأعطته خرقاء صبوحها فشربه ومضوا فقال لها أبوها : أتعرفين الرجل الذي سقيته صبوحك ؟ فقلت : لا والله ! فقال : هو ذو الرمة القائل فيك الاقاويل . فوضعت يدها على رأسها وقالت : واسوءتاه ! ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثاً .

وقال ابن عتبة : شبّ ذو الرمة بخرقاء العامرية لغير هوى ، وإنما كانت كحالة ، فداوت عينيه من رمد ، فقال لها : ما تحبين أن أعطيك ؟ فقلت : لي عشر بنات أيامي فشبّ بي ليرغب / 57 / الناس فيهنّ إذا سمعوا أن في بقية . ففعل وكان لها ثمانون سنة .

وقال عمرو بن تيم : مررت على ميّ وقد أسنت ، فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت : يا ميّ ما أرى ذا الرمة الا قد ضيّع فيك قوله ! فضحكت وقالت : رأيته وقد ولّيت وذهبت محاسني فرحم الله غيلان ، فلقد قال في الأشعار وأنا

أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور ! ثم صاحت : يا أسماء
فاخرجي ! فخرجت جارية كلمهاة ، ما رأيت أحسن منها . فقالت : والله لقد
كنت أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لأزدريت هذه ازدراءك إياي ، فانصرف
راشداً ! فانصرفت .

وكانت خرقاء تقعد ، ويمرّ الحاجّ بها ، فتحدثهم وتهاديهم ، و كانت
تجلس فاطمة بنتها ولم تكن مثلها ، فاجتاز بها محمد بن الحجاج الاسدي فقالت
له : من أين أقبلت ؟ قال : من الحج ؛ قالت : فما لك لم تمرّ بي وأنا أحد
مناسكك ؟ فقال : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك غيلان :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

فقال : يا عمّة ذهب ذلك منك ! قالت : لا تفعل يا بني ، أما سمعت قول
العجيف العقيلي فيّ :

وخرقاء لا تردأ إلا ملاحه ولو عمرت تعمير نوح وظبة

ثم قالت : رحم الله ذا الرمة لقد كان رقيق الشعر ، عذب المنطق حسن
الوصف ، وكانت قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها ، بيضاء شهلاء ،
فسألها عن سنّها ؛ فقالت : لا أدري ، إلا أنّي أذكر شمّر بن ذي الجوشن ، لعنه
الله تعالى حين /57ب/ قتل الحسين رضي الله تعالى عنه ، مرّ بنا وأنا جارية .

قال اسحاق الهاشمي : رأيت ذا الرمة وأنا بسوق المربد وقد عارضه رجل
يهزأ به فقال : أشهد أنّ أباك ناك أملك !

غريبة

حكى أن ذا الرمة قال : أدخلت على بلال بن أبي بردة ، وكان بلال أديباً
فأنشده بلال أبيات حاتم الطائي التي يقول فيها :

لَحَى اللهُ صَعْلوكًا مِنْهُ وَهَمَّه مِنْ الْعِشْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا
يَرَى الْخَمَصَ تَعْذِيًّا وَإِنْ نَالَ شَيْعَهُ يَتِ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ مِنْهُمَا

فأنشده بلال «يرى الخمس» بالسين المهملة ، فقال ذو الرمة : «يرى
الخمص» ، وإنما الخمس للإبل ، وإنما أراد خُمَصُ البطون . فضحك بلال
ضحكًا باردًا ، وكان ضحوكًا ، ثم قال لي : وقتُ حضور المائدة ! وأقعدني
معه ، فأكلت حتى شبعت ثم أمسكت ، فنظر إليّ وتأملني ورفع رأسه الى غلام
واقف بين يديه فأشار اليه إشارة فهمها ولم أفهمها ؛ فمضى الغلام ثم أتى ومعه
قضييب في غلاف كأنه من طين أحور ، فتناوله ثم مسح به على بطني ثلاث
مرات ، فكأن لم يكن في بطني من ذلك الطعام شيء . ثم أكلت حتى شبعت ،
ففعل بي مثل ذلك وكررها فقلت في الرابعة : أيها الملك ، لهذا الطعام بدٌّ أن
يخرج . فقال : لا بد . فقلت : حسبي إذا ! فقال : حسبك إذا أحببت .
فقلت : ما هذا أيها الملك فما ظننت أن الله تعالى خلق مثل هذا . فقال : هذا
مما /58/ تختص به الملوك .

قال ذو الرمة فأخذت جائزته وانصرفت عنه . وأتيت ملك الصين فوجده
على ضفة البحر ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام وقبل هديتي ، وأمرني
بالجلوس . فرأيت في كفه جوهرة في خاتم له قد أضاء ما حولها ، فلما رأي
أحدَ النظر إليها انتزع الخاتم وقذف به في البحر ، فأغتمت لذلك ، وخفت
أن يكون قد حقرها عليّ ، ثم التفت ورفع رأسه الى غلام كان بين يديه وقال :
جئني بذلك السُّفَطَ مختومًا فأثابه به ، ففكّ الختم ثم أخرج من السفط دَرَجًا ،
وأخرج من الدرج حَقًّا ، وأخرج من الحقة سمكة عيناها من زُمَرْد وفي ذنبها
شُرابة . فأمسك الشُرابة بيده وألقى السمكة في البحر ، فما كان الا لحظة حتى
رأيت السمكة قد ظهرت على الماء وإذا الخاتم في فيها . فقلت : أيها الملك ما
هذا ، فما ظننت أن الله تعالى خلق مثل هذا ! ؟ فقال : هذا مما يُختص به
الملوك . فأخذت جائزته وانصرفت .

قال ذو الرمة ثم أتيت بعد ذلك هشام بن عبد الملك بن مروان فلما رأي قال : تأخرت عنا يا برمك ! فحدثته بزيارة ملك الهند ملك الصين وأمرهما . فقال : سِرْ الى خزانة الطبِّ حتّى تأخذ لك من المعجونات مما افدته من السمِّ في بلد الهند والصين ! قال : فمضيت الى خزانته وأبتدأت العمل ، فإذا خادم له قد أقبل وقال : أجب أمير المؤمنين ، فقمّت ودخلت عليه ، فلما وصلت الى الصّحن نظر السيّ وناداني بأعلى صوته : ردّوه ! فردّوني فتوهّمت أنّ ذلك لأمر حدث ، فلما أصبحت دعاني فقال : يا 58ب/ برمك ، دعوناك بالامس ! فقلت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : ما كان لسوء أردناه ولكن في عضدي كبشان من عقيق ، فإذا دخل داري من السم شيء تناطحا ، فأختبرنا ذلك . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يريني إياهما فليفعل ، فحسّر عن ذراعيه الى عضده ، وإذا هما على صفة الكبشين من عقيق ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أن الله خلق مثل هذا ! فقال : هذا مما تختصّ به الملوك . ثم أخذت جائزته وانصرفت .

ثم إنه بعد ذلك استوزره هشام وكان عنده من ذوي الرأي ورفع له وأدناه وبقي وزيره حتى مات ، انتهى .

مزاح شعراء ومصارع أمراء

قيل دخل أبو العتاهية على الرشيد بمكة فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة ستمائة قصيدة ! فقال الرشيد : أدخلوه ! فأدخل وسلم فقال له : ما هذا الذي يقول أبو العتاهية ؟ فقال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ فعرفه ما قال ، فقال : يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول الّا عتبه الساعة أموت ، الساعة الساعة ، لقلت كثيراً ولكني أقول :

إنّ عبد المجيد يوم تولى هذ رُكناً ما كان بالمهدود

ما دَرَى نَعْشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ ما على النّعش من عفاف وجُودٍ

فقال الرشيد : انشدني هذه القصيدة ! فأنشده فقال : ما كان ينبغي أن تكون هذه إلا في خليفة وما عيها إلا أنك قلتها في سوقة . وأمر له بعشرة آلاف درهم . فكاد أبو العتاهية /59/ يموت أسفاً وغماً .

لطيفة

حكى أن ابن منادر نظر الى غلام أمرد حسن الوجه في مسجد البصرة فكتب اليه :

وجدتُ في الاخبار عن بعض ما حدثنا الأشياخ في المُسندِ
فيما روى الاعمش عن جابرٍ وعامرٍ الشعبيّ والأسودِ
وصيةٌ جاءت الى كلّ ذي خدّ خلا من شعرٍ أمردِ
أن يَقبلوا الرَّاغِب في وِصلِهِم فأقبلُ فإني فيكَ لم أزهدي

فلما قرأها ضحك وكتب على ظهرها «لست شاعراً فأجيبك ولا فاتكاً فأسعدك ، وأنا أَعُوذُ بالله منك ومن شرك !» . انتهى .
وكان ابن منادر من شعراء البرامكة ومادحيهم .

حكاية

قيل لَمَّا أن سار الرشيد من الرقة حاجاً الى بيت الحرام ، والفضل بن الربيع معه ، وذلك بعد إيقاعه بالبرامكة ، فلما استقرّ بمكة دخل عليه جماعة ، وفيهم محمد بن منادر المذكور ، فأنشدوا بين يديه . ثم أراد ابن منادر أن ينشد كأصحابه فقال الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحيهم ، فتكنى الرشيد وعبس في وجهه فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم «إنا بنو الاملاك من آل برمك» فقال له : انشدها ! فامتنع فتوعده فأنشدها :

إِنَّا بَنُو الْأَمْلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حَسَنَ مَنْظَرٍ
 إِذَا وَرَدُوا بِطُحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ يَبْحِي وَيَالْفُضْلَ بْنَ يَحْيَى وَجَعْفَرَ
 فَتُظْلَمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى بِمَكَّةَ إِذْ كَانُوا ثَلَاثَةَ أَبْدَرٍ
 فَمَا صَلَحَتْ إِلَّا لَجُودِ أَكْفَهُمْ وَأَقْدَامَهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرٍ
 إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صَعَابُهُ وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ

/59ب/

وهي كثيرة ثم قال له : كانوا أولئك أيام مدحتهم يا أمير المؤمنين في طاعتك
 لم يلحقهم سخطك ، ولم تحل بهم نقمتك ولم أكن في ذلك مبتدعاً ولا خلا
 أحد من نظرائي من مدحهم . فقال الرشيد : يا غلام ، أظلم وجهه ! قال ابن
 منذر فلطمته حتى سدرت وأظلم ما بيني وبين المجلس ؛ ثم قال : اسحبوه
 على وجهه فسحبت وأخرجت وأنا على أسوء حال ، وما معي يومئذ قوت عيالي
 ولا ما أخرجه في عيدهم ، فإذا أنا بشاب قد وقف علي وقال : يَعْزِ وَاللَّهِ عَلَيَّ مَا
 جَرَى عَلَيْكَ ! ودفع إلي صرة فيها مائة دينار ، فقلت : من أنت ، جعلني الله
 فداك ؟ فقال : أنا أخوك أبو نواس ، استعن بهذه الدنانير واعذرني ! فقلت :
 وصلك الله يا أخي وأحسن إليك . انتهى .

وكان الرشيد قد أوقع بالبرامكة سنة سبع وثمانين ومائة ، فقتل جعفر
 بالأنبار ، مستهلاً صفر من هذه السنة عند عودِهِ من الحج ، وحمل رأسه وجيفته
 إلى بغداد ، وأمر بنصب رأسه وقطعة من جيفته على الجسر ، ونصف القطعة
 الأخرى على الجسر الآخر ، ثم أمر من أحاط بيحيى وولده وجميع /60/ أسبابه
 وآخر ما وجد للبرامكة من مال ومتاع وضياع وغير ذلك ، وأرسل إلى سائر البلاد
 بقبض أموالهم ووكلائهم وسائر أسبابهم ، وأمر بحبس يحيى بن خالد والفضل بن
 يحيى ، فحبسا بالرقّة ولم يزالا على ذلك إلى أن مات يحيى المذكور محبوساً بالرقّة ،
 في المحرم سنة تسعين ومائة ، وعمره سبعون سنة ومات الفضل بن يحيى بالمكان
 أيضاً في المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعمره خمس وأربعون سنة . وكان من

محاسن الدنيا ، لم ير في العالم مثله ، ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده . وكان عمر جعفر لما قتل سبعة وثلاثين سنة . وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة . وفي مصرعهم يقول الرقاشي ، وقيل أبو نواس :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا وأمسك من كان يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى وقطع الفيافي فذفداً بعد فدفدي
وقل للمطايا قد ظفرت بجعفر ولم تظفري من بعده بمسود
وقل للمطايا بعد فضل تعطلي وقل للزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً أصيب بسيف هاشمي مهنداً

60ب/ قيل ولما أن حلت النكبة يحيى بن خالد قال : الدنيا دول ،
والمال عارية ، ولنا فيمن قبلنا إساءة وفيمن لمن بعدنا عبرة .

وقد اختلف في السبب الحامل للرشيد على ذلك اختلافاً كثيراً ، والأكثر على أن ذلك لإتيان جعفر عباساً أخت الرشيد ، فإنه زوجه لها ليحلّ النظر إليها وشرط على جعفر زوجها أن لا يقرّبها ، فوطئها وحبلت منه وجاءت بغلام . وقيل بل الرشيد حبس يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند جعفر فأطلقه جعفر . وقيل بل إنه لما عظم أمر البرامكة واشتهر كرمهم وأحبهم الناس ؛ والملوك لا تصبر على مثل ذلك ، فنكّبهم لذلك . وقيل غير ذلك ، ولأمر عظيم . فإنه لم يزل غيظه عنهم حتى قيل إن جثة جعفر بقيت على الجسر مصلوبة الى أن سار الرشيد الى الرمي سنة تسع وثمانين ومائة ، وأقام بها أربعة أشهر ثم رجع الى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة ، وأقام بها ثلاثة أيام ولم يصنف باطنه على جعفر ، وأمر بإحراق جثته ، ومضى من فوره الى الرقة فأصاب الناس من ارتحاله قلق . وقال في ذلك بعض شعرائه :

ما أتخنا حتى ارتحلنا فما نفّر ريق بين المناخ والإرتحال

ساءلونا عن حالنا إذ قَدِمْنَا فقرأنا وداعهم بالسؤال

فقال الرشيد : والله إني أعلم أنه ما في الشرق ولا في الغرب مدينة أيمن ولا أيسر من بغداد ، وأنها دار مملكة بني العباس ، ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق /61/ والبُغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بني أمية ، ولو لا ذلك ما فارقت بغداد . انتهى . كذا نقله المؤيد في المختصر بغير هذا الترتيب .

نادرة ، ذكر ابن خلكان : أن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي كان عنده أبو عبيد الثقفي فقصده خنفساء ، فأمر جعفر بإزالتها فقال أبو عبيد : دعها عسى أن يأتيني بقصدها الذي خير ، فإنهم يزعمون ذلك . فأمر له جعفر بألف دينار وقال : تحقق زعمهم ! وأمر بتنحيتهما ، فتنحّت ثم قصده ثانية فأمر له بألف دينار أخرى . انتهى . وهذا مما يدل على بذله الاحسان ومكارم أخلاقه رحمه الله تعالى .

ومما يندرج في سلك هذا الأسلوب ويوشح به هذا المكتوب ما حكى عن عبد الله بن جعفر وكان على غاية الكرم والجود . قيل في لطائف أخباره إنه جاءه شاعر فقال له : يا أبا جعفر ، أقصّ عليك رؤيا رأيتهما ؟ فقال له : قل ! قال : رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخبز درّاعة ؛ فقال عبد الله : يا غلام ادفع اليه درّاعتي الخبز ، ثم قال له : عجبت كيف لم تر في المنام جبتي المنسوجة بالذهب ! فقال الشاعر : بأبي أنت وأمي دعني أغضي ساعة لعلّي أراها ! فضحك منه وقال : يا غلام ادفعها اليه .

وروي أنه وقف أعرابي على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة يسأله فقال له : ما عندنا ما نصليك ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعه وسيفه ، فخرج عبد الله /61ب/ من داره فقال له الأعرابي :

أبا جعفر إنَّ الحجاج ترحلوا وليس لرحلي فأعلمنَ بعيرُ
أبا جعفر ضنَّ الأمير بحاله وأنت على ما في يدك أميرُ
وأنت امرؤ من هاشم في صميم سمها اليك يصير المجد حيث يصيرُ
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي فلا تترُكني في البلاد أدورُ

فقال : يا أعرابي سار الثقل فعليك بالراحلة وما عليها وإياك أن تخدع عن
السيف فإني أخذته بألف دينار ! فقال الاعرابي أبياتاً منها :

وكلَّ أمرء يرجو نوال ابن جعفر سيجزى له باليمن واليسر طائرهُ
سأُثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكرًا عَرَفًا كمن هو كافرهُ

وقيل إن رجلاً جلب إلى المدينة سكرًا ، فكسَد عليه . فقيل له لو أتيت ابن
جعفر فأهديته إليه لقبيله وأعطاك ثمنه . فأتى به إليه ، فأمر باتباعه وقال للناس :
انتهبوه ! فقال : جُعِلت فداك أأخذ معهم ؟ قال : نعم . ثم قال له : كم ثمنه ؟
فقال أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ؛ فقال الرجل بعد أيام : والله ما يدري
هذا ولا يعقل ، أأخذ أم أعطى ، لأطال به باليمن ثانيًا ، وجاء إليه فقال : أصلحك
الله ، ثمن سكري ! فأطرق مليًا ثم قال : يا غلام اعطه فأعطاه ؛ ثم أتاه الرجل
بعد أيام وقال مثل ذلك فأطرق مليًا ثم قال : يا غلام اعطه أربعة آلاف درهم
ثم التفت وقال : يا أعرابي هذه تمام اثني عشر /62/ ألف درهم !

وكان عبد الله المذكور ما اشترى شيئاً قطّ الأريج فيه . وسببه أن النبي ﷺ
مرَّ به في صباه وهو يصنع شيئاً من طين يلعب به الصبيان ، فقال له : ما تصنع
بهذا ؟ قال : أبتعه ! قال : ما تصنع بثمره ؟ قال : اشترى به رطباً آكله ، قال :
اللهم بارك له في صفقة يمينه ! فكان كلما اشترى شيئاً ربح فيه لذلك .

وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
مناف وأمّ عبد الله أسماء بنت عميس وأُمّها هند بنت عوف بن جريش يقال لها
الجريشية أكرم الناس أحماء ، حموها رسول الله ﷺ وعليّ وجعفر وحمزة

والعباس وأبو بكر ؛ وإنما صار رسول الله ﷺ من أحمائها ، لأنه كان لها أربع بنات ، ميمونة زوجة النبي ﷺ ، وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وأم بنيه ، وسلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبد المطلب ، وأسماء بنت عميس أحبهنّ لأمهّن ، كانت عند جعفر بن أبي طالب ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله عنه ثم خلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهن اللواتي قال فيهن رسول الله ﷺ : إنهن مؤمنات . قال ابن عباس رضي الله عنهما : دخل النبي ﷺ على فاطمة وعلي رضي الله عنهما ليلة بنى بها ، فرأى خيالا من وراء السّتر فقال : من هذا ؟ فقالوا : أسماء . قال : بنت عميس ؟ قالت : أنا التي أحرُسُ بتك ، فإن الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريبا منها إن عرضت لها /62ب/ حاجة أفضت بذلك اليها . فقال رسول الله ﷺ : فإني أسأل الهي أن يحرُسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان . وتوفي عبد الله بن جعفر في خلافة عبد الملك .

قال الاصمعي : لما ولي عبد الملك الخلافة خفي عبد الله بن جعفر ، فراح يوما الى الجمعة وهو يقول : اللهم إني عودتني عادة جريت عليها ، فإن ذلك قد انقضى فأقبضني ! فتوفي في الجمعة الأخرى ، وعمره ثمانون سنة . وكان الوالي يومئذ على المدينة أبان بن عثمان بن عفان ، فصلّى عليه وشهده أهل المدينة كلهم ، وأظهر الناس عليه الجزع ، وكان مأوى المساكين وملجأ الضعفاء والمحتاجين ، ولما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان ووقف على شفير القبر وقال : رحمك الله يا ابا جعفر، والله إنك كنت لرحمك مواصلا ، ولأهل الشر مبغضا ، ولأهل الريّة قاليا ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال أعشى طرود :

رعبتُ الذي كان بيني وبينكم من الودّ حتى غيّبتك المقابرُ

يرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلا ويوم متّ ويوم تبعث حيا ، لكن كانت هاشم أصيبت بك لقد عمّ قريشا كلّها هلكك ، فما نظنّ أن نرى بعدك

مثلك ! فقام عمرو بن سعيد بن العاصي الاشدق فقال : لا اله الا الله الذي يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر وما أقبح ما أصبح بعدك ، والله لو كانت /63/ عيني دامعة لدمعت عليك ؛ كان والله حديثك غير مشوب بكذب وودك غير ممزوج بكدر . فوثب ابن المغيرة بن نوفل وقال : يا عمرو ، بمن تعرض بحزج الود وشوب الحديث ، أفأبني فاطمة فهما والله خير منك ومنه ؟! فقال : على رسلك يا لكع ، أردت أدخلك معهم هيهات ، لست هناك ؛ والله لو مت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذمت ، فتكلم بما شئت فلن تجد مجيباً . فحجز الناس بينهما وانصرفوا .

وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول : إن يُرد الله بهم خيراً يتأدبون . فلم يُنجب فيهم غير معاوية والد عبد الله الذي أخرجه أهل الكوفة على بني أمية ، ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد عليهم السلام ، ولبس الصوف وأظهر سيماء الخير ، وكان من أمره ما كان مع مروان الحمار وعامله ابن ضبارة ، الى أن ظهر أبو مسلم بخراسان ، فأخذ عبد الله بن معاوية وحبيسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع أخباره .

وقد كتب عبد الله بن معاوية الى أبي مسلم رسالة يستعطفه بها يقول فيها : «من الاسير في يديه بلا ذنب اليه ، ولا خوف عليه ، أما بعد : فإنك مستودع ودائع ، ومولى صنائع ؛ وإنّ الودائع رعيّة وإنّ الصنائع عارية ، فأذكر القصاص ، وأذكر الخلاص ، وانبه للفكر قلبك ، واتق الله ربك وآثر فيه ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ، فإنك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلّفت ، وفقك الله لما ينجيك ، وآتاك شكر ما يتليك» . فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : لقد أفسد هذا الرجل علينا أصحابنا وأهل صناعتنا وهو محبوس /63ب/ في أيدينا ، فلو خرج وملك أمره لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله ، ومع هذا قد رفع اليه العين الذي جعله عليه أنه يقول ليس على الارض أحق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن

تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضيت الملائكة من الله تعالى حتى راجعته في أمر آدم ، فقالت : «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال لهم إني أعلم ما تعلمون» . فحصل في نفس أبي مسلم من ذلك ، وقد ورد كتابه فأمر بقتله . وقيل إنه دس إليه سماً ووجه برأسه الى ابن ضبارة فحملة الى مروان .

وكان عبد الله بن معاوية المذكور من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم الا أنه لم يكن محمود المذهب ، وكان يُرمى بالزندقة ، واشتهر أمره فيها هو وأصحاب دولته وكان عبد الله إذا غضب على رجل أمر بضربه ثم يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت ، وفعل مرةً برجل مثل هذا فناده : يا زنديق ، أنت الذي تزعم أنه يوحى اليك ! فما التفت ، وما زال يُضرب حتى مات ، وكان مع هذا يقول شعراً جيّداً فمن شعره :

وعين الرضى عن كل عيب كليلَةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأنت أنحي ما لم يكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
ومن شعره أيضاً :

| | | |
|---------------------------|-----------------------|------|
| فلا تركنْ لصنيع الذي | تلوم أخاك على مثله | /64/ |
| ولا يعجبك قولُ امرئ | يخالف ما قال في فعله | |
| ولا تتبع الطرفَ ما لا ينا | ل لكن سل الله من فضله | |
| فكم مُقِلّ ينال الغنى | ويُحمد في رزقه كَلَه | |

وتزوج بأم زيد بنت علي بن الحسين ، ثم خطب ربيعة بنت محمد بن عبد الله ، وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان فتزوجت بكاراً ، فشمنت بعبد الله امرأته أم زيد ، فقال :

سلا ربّه الخدر ما ساتها ومن أيما شأننا تعجبُ

فلست بأول من فاته على أربه بعض ما يطلبُ

فقلت له : والله ما شمتَ ولكن نفستُ عليك ! فقال لها : لا جرم والله لا سوئتُك أبداً ما حييت . انتهى من الاغاني ، ولنرجع الى ذكر الرشيد .

ثبات جأش وتلقي إيماء

قال التنوخي ، في كتاب الفرج بعد الشدة ، قال منارة صاحب الخلفاء : رُفِعَ الى هارون الرشيد أن رجلاً بدمشق ، من بقايا بني أمية ، عظيم الجاه واسع الدنيا ، كثير المال والاملاك ، مطاعاً في البلد ، له جماعة أولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم ، وأنه سمح جواد كثير البذل والصنائع ، وأنه لا يؤمن عليه ، فثقه قبل أن يتعذر وثقه ، فعظم ذلك على الرشيد . قال ضبارة : وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة لما عاد من الموسم . قال منارة : فدعاني وهو خالٍ ، فقال لي : إني دعوتك لأمر يهمني ، وقد منعني النوم ، فأنظر كيف يكون . وقص علي خبر /64ب/ الأموي وقال : أخرج الساعة فقد أعدت لك الجمارات (الجمازة) ، مركب سريع يتخذه الناس في المدن ، شبه العجلة تجرها الخيل) وأزيحت عليك في الزاد والنفقة والآلات ، وضمت اليك مائة غلام وأسلك البرية ، وهذا كتابي الى أمير دمشق وهذه قيود فأرحل ، فأبدأ فأدخل بالرجل ، فإن سمع وأطاع فقيده بهذا وجئني به ، وإلا فتوكل أنت ومن معك به حتى لا يهرب ، وأنفذ الكتاب الى أمير دمشق ليركب في جيشه ، فأقبضوا عليه وجئني به ، وقد أجلت لذهابك ستاً ولعودك ستاً ويوماً لمقامك ، وهذا حمل يحمل في شقه إذا قيده ، وتقف أنت في الشق الآخر ، ولا تكبل ضبطاً الى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك ، فإذا دخلت داره فتنفقدها وجميع ما فيها وولده وحاشيته وغلمانه وما يقولون ، وقيد النعمة والحال والمحل وأحفظ ما يقوله الرجل حرفاً بحرف من جميع الفاظه من وقوع طرفك عليه الى أن تأتيني به ، وإياك أن يشذ عليك

من أمره ، وانطلق .

قال منارة : فودعته وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي المنازل وأسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفس الناس قليلا ، الى أن وصلت الى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة ، فكرهت طروقها ليلاً ، فنمت بظاهر البلد الى فتح بابه من غد ، فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب دار الرجل ، وعليه ضيف عظيم وحاشية كثيرة ؛ فلم أستأذن ودخلت بغير إذن ، فلما رأى القوم ذلك /65/ سألوا بعض من معي عني ، فقال : هذا منارة رسول أمير المؤمنين الرشيد الى صاحبكم ! فأمسكوا . فلما صرت في صحن الدار ، نزلت ودخلت مجلساً ، فرأيت فيه قومًا جلوسًا وظننت الرجل فيهم ، فقاموا اليّ ورحّبوني وأكرموني فقلت لهم : أفيكم فلان ؟ قالوا : نحن أولاده ، وهو في الحمام . قلت : فاستعجلوه !

فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقّد الدار والأحوال والحاشية ، فوجدتها تموج بأهلها موجًا شديدًا ، فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطلال ، واسترّبت واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى ، إلى أن رأيت شيخًا قد أقبل برّي الحمام يمشي في الصحن ، وحوله جماعة كهول وأحداث وصبيان هم أولاده وغلمان كثيرة فعلمت أنه الرجل ، فجاء جلس ، وسلّم عليّ سلامًا خفيفًا ، وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته . وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطباق فاكهة ، فقال لي : تقدّم يا منارة فكل معنا ! فقلت : ما بي الى ذلك حاجة . فلم يعاودني ، فأقبل يأكل والحاضرون عنده ثم غسل يده ودعا بالطعام ، فجاءوا بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة ؛ فقال : تقدّم يا منارة فساعدنا على الأكل ! ولا يسألني عما جئت له ويأكل وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يديه ، واستدعى البخور فتبخّر ، وقام الى الصلاة فصلّى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال ، ورأيت صلاته حسنة ، فلما /65ب/ انتقل من المحراب أقبل عليّ فقال : ما أقدمك يا منارة ؟ قلت : أمر لك من أمير

المؤمنين ، وأخرجت الكتاب ودفعته اليه ففضّه وقرأه فلما آستمّ قراءته دعا أولاده وحاشيته وآجمع منهم خلق كثير، فلم أشكّ أنه يريد أن يُوقع بي ، فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعِتاق والحج والصدقة والوقف والحبس إن اجتمع منهم اثنان في موضع ، وأن ينصرفوا ويُدخلوا غلمانَه وحاشيته منازلهم ، فلا يظهر أحدٌ منهم الى أن ينكشف أمرٌ يعمل عليه . وقا : هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمصير اليه ، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة ، فاستوصوا بمن ورائي من الحرّم خيراً ، وما بي حاجة أن يصحبني غلام . هات يا منارة قيودك !

فدعوت بها ، وكانت في سَفَط وأحضرتُ حدّاداً ومدّها فيه فقيدته ، وأمرت غلماني بحمله حتى حصل في الحمل وركبت في الشق الآخر ، وسرت من وقتي لم ألق أمير البلد ولا غيره ، وسرت بالرجل ليس معه أحد الى أن انتهينا الى بستان في الغوطة فقال لي : ترى هذا ؟ قلت : نعم ! قال : لي فيه غرائب من الأشجار وكيت وكيت ، ثم انتهينا الى آخر ، فقال فيه مثل ذلك ، ثم انتهينا الى مزارع حسان وقرى سرّية فأقبل يقول هذا لي ، ويصف كل شيء منه . فاشتدّ غيظي منه فقلت له : علمت أنّي شديد التعجب منك ؟ قال : ولم تعجبت ؟ قلت : ألسنت تعلم أن أمير المؤمنين قد أمّه أمرك حتّى أرسل اليك من أزعجك بل انتزعك من بين أهلِكَ وولدك ومالك وأخرجك /66/ عن جميع حالك وحيداً فريداً مقيداً لا تدري الى ما تصير اليه ، ولا كيف يكون ، فأنت فارغ القلب من هذا ، تصف بساتينك وضياعك ؛ هذا بعد أن رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيما جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر ولقد كنت نسياً ، شيخاً فاضلاً . قال لي مجيباً : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أخطأتُ فراستي فيك ، قدرتك رجلاً كامل العقل وأنت ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ الآ بعد أن عرفوك بذلك ، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم ؛ والله المستعان ، أمّا قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه إياي الى بابه على صورتني هذه ،

فإني على ثقة بالله عز وجل ، الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرراً ولا نفعا إلا بإذن الله ومشيئته ، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد فإذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاح ناحيتي وأن الحسدة والاعداء رموني عنده بما لست في طريقه وتقولوا عليّ الاقاويل الكاذبة لم يستحلّ دمي ، وتخرج من إذايتي وإزعاجي فردّني مكرّماً أو أقامني ببابه معظماً ، وإن كان سبق في علم الله جلّ وعلا أنه يدرّ إليّ منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وحن سفك دمي ، فلو اجتهدت الملائكة وأهل الأرض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه ؛ فلم أتعجل الغم وأتلف الفكر فيما قد فرغ منه ، وإني أحسن الظنّ بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وفطر وجبل وأحسن وأجمل ، وأوثر الصبر والرضى والتسليم والتفويض الى من يملك الدنيا /66/ والآخرة ، وقد كنت أخلت أنك تعرف هذا ، فإذا قد عرفت مبلغ فهمك فإني لا أكلمك بكلمة حتى تفرّق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى .

ثم أعرض عني ، فما سمعت منه لفظة بغير القرآن والتسبيح إلا مطلب ماء أو حاجة تجري مجراه ، حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر ، وإذا النجّب استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتحسّسون خبري ، فحين رأوني رجعوا عني متقدّمين لي بالخبر الى الرشيد . فانهيت الى البلد في آخر النهار ، فحططت رحلي ودخلت على الرشيد ، وقبّلت الأرض بين يديه ووقفت فقال : هات ما عندك ، وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة . فسوّت الحديث من أوّله الى أن انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدث به من امتناعه ؛ والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الأموي من الصلاة وانفتاله اليّ ومساءلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ، ومبادرته الى إحصار ولده وأسبابه وأهله وأصحابه وحلفته لهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه إياهم ومدّ رجله حتى قيّدته ، فما زال وجه الرشيد يُسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني عند توبيخي إياه لمّا ركبنا في المحمل قال : صدق

والله ! ما هذا الا رجل محسود على النعمة ، مكذوب عليه ليزال ، ولعمري لقد أزعجناه وروّعناه وروّعنا أهله ! فبادر بنزع قيوده عنه وآتني به .

فخرجت فنزعت قيوده منه وأدخلته الى الرشيد فما هو الا أن رآه حتى رأيت ماء الحياة يجول في وجهه /67/ الرشيد ، فدنا الأمويّ فسلم بالخلافة ووقف فردّ عليه السلام ردّا جميلاً وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيد يسأله عن حاله ثم قال : إنه بلغنا عنك فضل هيئة وأمر أحياناً معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك ، فأذكر حاجتك فأجاب الأموي جواباً جميلاً ، وشكر ودعا وقال : يا أمير المؤمنين ، تردّني الى أهلي وولدي وبلدي ! قال : نحن نفعل ، ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك ! فقال : عمّال أمير المؤمنين مُتصفون ، وقد استغنيت بعدله عن مسألته عن ماله وأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة ، وكذلك أمور أهلي وسائر أهل بلدي بالعدل الشامل في ظلّ دولة أمير المؤمنين ، وما استغنم ماله . فقال الرشيد : انصرف راشداً محفوظاً ، وأكتب إلينا بأمر إن عرض لك . فودّعه الأموي خارجاً . قال الرشيد : يا منارة ، احمله من وقتك وسرّبه راجعاً كما سيرته حتى إذا أوصلته الى المجلس الذي أخذته منه ، فدعه وانصرف ! ففعلت ذلك . انتهى منه .

سخط ورضا واعتراف بالقضا

قال الدّميري في حياة الحيوان : كان الرشيد مع عظيم ملكه يعتريه خوف الله تعالى . فمن ذلك ما نقله الامام العلامة محمد بن ظفر وغيره ، أن خارجاً خرج عليه ، فقتل أبطاله وأتتهب أمواله مراراً ، ثم جهّز اليه مرة جيشاً كثيفاً فقابلوه فغلبوه بعد فأمسكوه ثم أتوا به الى الرشيد فجلس مجلساً /67ب/ عاماً وأمر بإدخاله عليه ، فلمّا مثل بين يديه قال له : يا هذا ما تريد أن أصنع بك ؟ قال : ما تريد أن يصنع بك إذا وقفت بين يديه ! فعفا عنه وأمر بأطلاقه فلما خرج قال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، رجل قتل أبطالك واتتهب أموالك

تُطلقه بكلمة واحدة ؛ تأمل هذا الأمر ، فإنه مما يُجرىء عليك أهل الشر! فقال الرشيد : ردّوه ! فعلم الرجل أنه قد تُكلّم في أمره ؛ فقال : يا أمير المؤمنين لا تُطعهم ، فلو أطاع الله فيك الناس ما ولّاك طُرْفَةَ عَيْن . قال : صدقت ! ثم أمر له بصلة وصرفه آمناً . انتهى .

عبرة لمعتبر وتذكرة لمزدجر

حكى ابن الجوزي : أن الرشيد جلس يوماً لازالة المظالم ، فدخلت اليه امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين أتم الله أمرك ، وفرّحك بما أعطاك ، وزادك رفعة ، لقد عدلت فقصدت ! فالتفت الرشيد الى أهل دولته وقال لهم : أتعلمون ما قالت هذه المرأة ؟ قالوا : ما قالت إلا خيراً يا أمير المؤمنين ؟! قال : لا ، إنما أرادت تدعو عليّ ، أمّا قولها «أتم الله أمرك» أخذته من قول الشاعر :

إذا كنتَ في نعمة فارعها  إن المعاصي تُزيل النعم
إذا تمَّ أمرٌ بدا نقصه  فحاذر زوالاً إذا قيل تمَّ

وقولها «وفرّحك بما أعطاك» أخذته من قول الله تعالى : «حتى إذا فرّحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مُفلسون» وقولها «وزادك رفعة» أخذته أيضاً من قول الشاعر /68/ :

ما طار طيرٌ وارتفع  إلا كما طار وقع

وأما قولها «لقد عدلت فقصدت» أخذته من قول الله عز وجل : «والقاسطون كانوا لجهنم حطباً» ثم قال لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلك آبائي وأخذك أموالهم . قال لها : من تكون ؟ قالت : من آل برمك ! فبكى الرشيد وقال لها : أمّا الرجال فقلّر الله عليهم ، وأمّا من المال فسيعود ذلك . فتعجّب الحاضرون من فصاحتها وفهم أمير المؤمنين الرشيد . انتهى .
وما يندرج تحت هذا الاعتبار ، وينتظم في سلك هذا الاستبصار ، ما حكاه

الملك المؤيد في المختصر عن الخليفة المنصور ، قال : بينما الخليفة المنصور يطوف بالكعبة ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فخرج المنصور الى ناحية من المسجد ودعا القائل وقال له عن قوله فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن أمتني أنباتك بالأمور على أصولها ؛ فأمنته فقال له : إن الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق والباطل هو أنت يا أمير المؤمنين ! فقال له المنصور : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي ؟ فقال الرجل : لأن الله تعالى استرعاك بالمسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبوأنا من حديد ، وحجاباً معهم الأسلحة ، وأمرتهم أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف ولا الجائع والعاري ولا الضعيف والفقير ، وما أحد إلا وله من هذا المال حق ؛ فلما رآك / 68ب / هؤلاء الثفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيته ، تجبى الأموال فلا تعطيها ، وتجمعها فلا تقسمها قالوا هذا قد خان الله تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه ؛ فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمره إلا أفضوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما أنتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم على ظلم رعيته ، ثم فعل ذلك ذو القدرة والثروة من رعيته لينالوا به ظلماً من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع ظلماً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانتك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك ؛ فإن أراد رفع قصته اليك وجدك قد منعت من ذلك ، وجعلت رجلاً ينظر في المظالم ؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليه وهو يدافعه خوفاً من بطانتك ، فإذا صرخ بين يديك ضرب ضرباً شديداً ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تنكر ، فما بقاء الاسلام على هذا ، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله من الطفل يسقط من بطن أمه ، وما له في الأرض مال ،

وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى يُعظم رغبة الناس إليه ، ولست الذي تعطي وإنما الله عز وجل يعطي من يشاء بغير حساب ؛ وإن قلت إنما أجمع المال لتسديد الملك وتقويته ، فقد أراك الله تعالى بني أمية ، ما أغنى عنهم ما /69/ جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى أراد الله تعالى لهم ما أراد ؛ وإن قلت إنما أجمعه لطلب غاية هي أحسن من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة إلا منزلة لا تنال إلا بخلاف ما أنت عليه . إلى هنا كلام المؤيد . ذكر ذلك في حجته التي مات فيها ، سنة ثمان وخمسين ومائة ، فإنه مات لست خلون من ذي الحجة من هذه السنة ، وقد هجس في نفسه أنه يموت في ذلك الشهر وخبر به .

حكى عنه أنه نادى ابنه المهدي وقال له : إني ولدت في ذي الحجة ، ووليت في ذي الحجة ، وهجس في نفسي أنني أموت في ذي الحجة من هذه السنة ، وهو الذي حرّضني على الحج ، فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدي ، ووصاه وصية طويلة ثم ودّعه وسار إلى الحج ، ومات بيثر ميمونة مُحَرَّمًا في التاريخ ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ومدة خلافته اثنان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وكسّر . وكان أسمر نحيفاً ، خفيف العارضين ، ولد بالحُميمة من أرض الشراة ، ودفن بمقابر باب المعلّى ، وكان أحسن الناس خلقاً في الخلوة حتى يخرج إلى الناس . ذكر ذلك كلّهُ المؤيد في مختصره . وهنا ساق الحكاية المتقدمة ولم يذكر جواب المنصور . انتهى ، ولنرجع إلى ذكر الرشيد .

ذكر أخبار ولطائف أخبار

حكى ابن الجوزي قال : قال الرشيد لـ محمد بن الحسن الشيباني : عِظْنِي ! فقال : نعم ، لئن تصحب إصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف ! /69ب/ فقال الرشيد :

فسر لي هذا ! قال : من يقول لك أنتم أهل بيت مغفور لكم ، وأنتم قرابة نبيكم ﷺ . فبكى الرشيد حتى رجمه من كان حوله . انتهى .

محمد بن الحسن هو من أصحاب أبي حنيفة . وأصل والده من أهل قرية جريستا ، من غوطة دمشق ، مولى بني شيان فهو شيباني بالولاء ، وسار الى العراق وأقام بواسط ، فولد له ولده محمد بن الحسين المذكور بواسط ، ونشأ بالكوفة وصحب أبي حنيفة وحضر مجلسه سنين ، وتفقه على أبي يوسف وصنف عدة كتب في فقه أبي حنيفة ، مثل الجامع الكبير والجامع الصغير وغير ذلك ، ونشر علم أبي حنيفة .

قال الشافعي : حَمَلَةٌ من علم محمد بن الحسن وقرُّ بعير ! وقال عنه : ما رأيت سمياً ذكياً إلا محمد بن الحسن ، ويسمى محمد بن أبي حنيفة . قال الملك المؤيد : وفي سنة تسع وثمانين ومائة وقيل سنة احدى وثمانين توفي محمد بن الحسن الشيباني . انتهى .

وقال في ربيع الابرار : وتوفي الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني في يوم واحد ، في مكان واحد ، سنة سبع وثمانين ومائة بالري ، فقال الرشيد : دَفَنَّا ههنا العلم والادب ! اه .

قال : واجتمع الكسائي ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما يوماً في مجلس الرشيد فقال الكسائي : من تبحر في علم العربية اهتدى الى جميع العلوم . فقال له محمد : ما تقول فيمن سها عن سجود السهو ، هل يسجد مرة أخرى ؟ قال : لا . فقال محمد : لم ذا ؟ قال : لأن /70/ النُّحَاة لا تصغر المصغر ! قال محمد رحمه الله تعالى : فما تقول في تعليق التعتيق بالملك ؟ قال : لا يصح . فقال محمد : لم ذا ؟ قال : لأن السيل لا يسبق المطر . اه .

والكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز ، أحد القراء السبعة . وكان إماماً في النحو واللغة . وقيل له الكسائي لانه دخل الكوفة وأتى الى حمزة بن حبيب الزيات ملتقاً بكسائين . وقيل بل حج وأحرم بكسائين ،

كذا ذكر المؤيد في مختصره .

قال ابن خلكان في ترجمته عن أبي جعفر البلخي : أنَّ الرشيد جمع بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه فسأل اليزيدي الكسائي عن إعراب قول الشاعر (المغرب ، الذكر من الحباري ، والغير الذكر من حمار الوحش) :

ما رأينا خرباً نقد سر عنه البيض صقراً
لا يكون الغير مهراً لا يكون المهر مهراً

فقال الكسائي يجب أن يكون «مهر» منصوباً ، على أنه خبر كان ، وفي البيت على هذا إقواء ؛ فقال اليزيدي : الشعر صواب ، لأن الكلام قد تم عند قوله «لا يكون» ثم استأنف ، فقال «المهر مهراً» ، فلم يرض الكسائي . فضرب اليزيدي الأرض بقلنسوته ، وقال : أنا أبو محمد ! فقال له يحيى بن أكرم : أتكنني بحضرة أمير المؤمنين وتسفه على الشيخ ؛ فقال الرشيد : والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحب من صوابك مع قلة أدبك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، فأمر الرشيد بإخراجه .

قال في ربيع الابرار : وتعلم الكسائي النحو على كبر سنه . وسببه أنه مشى يوماً حتى أعيا فجلس وقال : /70ب/ عييت ! فقبل له : قد لحنت ! قال : كيف ؟ قيل له : إن كنت أردت التعب قل أعييت ، وإن أردت انقطاع الحيلة قل عييت . فأنف من قوله لحنت واشتغل بالنحو حتى مهر فيه ، وصار إمام وقته . وكان يؤدب الأمين والمأمون فصارت له بذلك اليد الطولى والوجاهة عند الرشيد ، اهـ .

جمع الرشيد بينه وبين سيويه حين قدم من البصرة الى بغداد فتناظرا في البحث المشهور عنهما ، وهو أنَّ الكسائي زعم أنَّ العرب تقول : كنت أظنَّ أنَّ الزنبور أشدَّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها ! وفي رواية : كنت أظنَّ لسعة

العقرب أشد من لسعة الزنبور، فإذا هو إياها ! فقال سيويه : ليس المثل كذلك ، بل فإذا هو هي ! وتشاجرا طويلا واتفقا على مراجعة عربي خالص . فاستدعى الأمين عربيًا وسأله عما قال سيويه وتعصب للكسائي ، لانه معلّمه وأنتصر الخليفة للكسائي أيضًا ، فتحمل سيويه من ذلك همًا ، وترك العراق وسافر الى جهة شيراز وتوفي بقرية من قراها ، يقال لها البيضاء ، وعمره نيف وأربعون سنة . وكانت وفاته سنة ثمانين ومائة ، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة . كذا حكاها المؤيد .

وسيويه لقبه ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر ، وكنيته أبو بشر . كان أعلم الناس بالنحو ، ولم يوضع فيه مثل كتابه وجميع كتب الناس عليه عيال . وأخذ اللغة عن الاخفش الاكبر ؛ قال ابن الجزي : سمي سيويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان . /71/ وكان في غاية الجمال ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة . قال أبو الفرج ابن الجوزي : توفي سيويه في سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وأنه توفي بمدينة ساوه . وذكر خطيب بغداد عن ابن دريد أنه مات بشيراز وقبره بها ، وكان كثيرًا ما ينشد :

إذا فكّ من داء به ظنّ أنه نجا وبه الداء الذي هو قاتله

وسيويه لقبه ، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح . وقيل إنما لقب بذلك لأنه كان جميل الصورة ، وجنتاه كأنهما تفاحتان . اهـ . نقل ذلك المؤيد رحمه الله تعالى في المختصر . ولنرجع الى ذكر الرشيد .

نجاة صدق ومجال حقّ

قال الحافظ الذهبي : رأيت في شفاء الصدور وتاريخ ابن البخاري ما رواه أبو اليمن الكندي بسنده الى عمر بن حبيب قال : حضرت مجلس هارون الرشيد ، فجرت مسألة الضراط ، فتنازع فيها الخصوم وعلت أصواتهم ،

فأحتج بعضهم بحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه عن النبي ﷺ ، فردّ بعضهم الحديث وقال : أبو هريرة متهم فيما يرويه . ونحنا نحوهم الرشيد ونصر قولهم ، فقلت أنا : الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فيما يرويه ؛ فنظر إليّ الرشيد نظر مُغضب ، فقامت من المجلس الى منزلي ، فلم يستقرّ بي الجلوس ولم ألبث حتى قيل لي صاحب الشرطة بالباب ، / 71 ب / فدخل الي وقال : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول ، وتحنّط وتكفن ! فقلت : اللهم إنك تعلم أنني قد دفعت عن صاحب نبيك ﷺ ، وأجللت نبيك أن يُطعن على أصحابه ، فسلمني منه ! ثم خرجت فادخلت على الرشيد ، فإذا هو جالس على ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع ، فلما رأي قال : يا عمر بن حبيب ، ما تلقاني أحد بالردّ ودفع قولي بمثل ما تلقيتني به ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الذي جادلت عليه فيه إزري على رسول الله ﷺ ما جاء به . فقال : وكيف ويحك ؟ قلت : لانه إذا كان أصحابه كذابين ، فالشريعة باطلة والاحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود كلها مردودة غير مقبولة ، لانهم رؤاؤها ولم تعرف إلا بواسطتهم . فرجع الى نفسه ثم قال : أحيتني يا عمر بن حبيب أحياءك الله ! ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم . انتهى .

حكى أن الرشيد كان بالكوفة ، ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس أمام الرشيد من وجوه قواده ووزرائه وبنو هاشم وخرج الرشيد وهو راكب في محمل والفضل بن الربيع يقود به ، قال في كتاب روض الرياحين : لما أن خرج الرشيد كان البهلول المجنون ، رحمه الله تعالى ، فيمن خرج وجلس بالكُناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هودج هارون فكفّ الصبيان عن الولوع به . فلما / 72 / جاء هارون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ! فكشف هارون السجاف بيده وقال : لبيك يا بهلول ! فقال : يا أمير المؤمنين ، حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري رضي الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ بعني على جمل وتحتة رَحْل رَث ، فلم

يكن ضَرْبٌ ولا طَرْدٌ ولا إِلِيكَ إِلِيكَ ؛ وتواضعُكَ في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خَيْرٌ لك من تكَبُّرك وتَجَبُّرك ! فبكى هارون حتى سقطت الدموع على الأرض ثم قال : يا بهلول زدنا رحمك الله ! فقال : هب أنك ملكت الأرض طُرّاً ، ودان لك العباد ، فكان ماذا ، أليس غداً مصيرك قبرٌ ويحشو التراب هذا ثم هذا ؟ فبكى هارون ثم قال : أحسنت يا بهلول ، هل غيره ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، رجل أتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعفّ في جماله ، كُتِبَ في خالص ديوان الله تعالى من الأبرار فقال : أحسنت يا بهلول مع الجائزة ؛ قال : اردد الجائزة على من أخذتها منه ، فلا حاجة لي فيها . قال : يا بهلول : إن يكن عليك دين فضيناه . فقال : يا أمير المؤمنين لا تقض ديناً بدّين ، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك ، قال : يا بهلول نُجْري عليك ما يكفيك . فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أنا وأنت من عيال الله تعالى ، فمحال أن يذكرك وينساني ! فأسبل هارون السُّجاف ومضى . انتهى .

وسئل البهلول عن مسألة في الفرائض ، وهي : رجل مات وخلف ابناً وبتناً وزوجة ، ولم يخلف من المال شيئاً . /72ب/ فقال : للابن اليُتم ، وللبيت الثُكل ، وللزوجة خرابُ البيت ، وما بقي من الهمّ فللعَصْبة . وحمل عليه الصبيان يوماً فألجؤوه إلى دار مفتوحة ، فولجها فوجد فيها قومًا وبين أيديهم مائدة من الطعام ما تشتهيهِ الانفس وتلذّ الاعين ، فرجع وأغلق الباب ودخل وهو يقرأ : «فَضْرَبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» .

وتبعه الصبيان يوماً آخر فألجؤوه إلى دار بعض الهاشميين ، فرأى رجلاً ضخماً بظفيرتين ، فقال : «يا ذا القرنين ، إن ياجوج وماجوج مُفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً» (الكهف 94) ، فخرج الرجل وأغلق الباب وحماه من الصبيان . ودخل عليه الصبيان

يومًا فآلجؤوه الى مضيق فشده عليهم بقصبة وهو يقول :
إذا تضايق أمرٌ فانتظرُ فرجًا فاضيقُ الأمرُ أدناه الى الفرَج

وقال له الرشيد يومًا : من أحبّ الناس اليك ؟ قال : من أشبعَ بطني ! قال :
أُشبعك ، فهل تُحبّني ؟ فقال : الحبّ لا يكون بالنسيئة . وأحضره الرشيد يومًا
فأجلسه في صحن الدار وجلست أمّ جعفر حيث لا يراها وعيسى بن جعفر
جالس مع الرشيد ، فقال له الرشيد : عدّ لنا المجانين ! فقال له : أولهم أنا
وثانيهم هذه ، وأشار الى أمّ جعفر ؛ فقال له عيسى : أيا ابن الخنا ، تقول هذا
لأختي ! فقال بهلول : وأنت الثالث ، يا صاحب العريضة ! فقال الرشيد :
أُخرجوه ! فقال /73/ بهلول : وأنت الرابع !

وقيل له : أيما أفضل أبو بكر أو عليّ رضي الله عنهما ؟ فقال : أما وأنا في
كندة فعليّ أفضل ، وإذا كنت في بني ضبة فأبو بكر أفضل . وكندة في الكوفة
من غلاة الرافضة ، وبني ضبة أهل نصب ، أصحابُ الجمل . انتهى .

مرآتية كوكب الشرق
لطيفة

حكى ثمامة بن أشرس قال : بعثني الرشيد الى دار المجانين لأصلح ما فسد
من حالهم . فرأيت فيهم شابًا ، حسنَ الزيّ ، كأنه صحيح العقل ، فقال لي :
يا ثمامة إنك تقول إنّ العبد لا ينفك من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب
الصبر لديها ، أرأيت لو سكّرت ونمت وقام اليك غلامك وأولج فيك مثل
ذراع البكر ، فقل لي هذه نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر لديها ؟
قال ثمامة : فلم أدر بماذا أجيبه ؛ فقال : مسألة ؟ فقلت : وما هي ؟ فقال :
متى يجد النائم لذة النوم ، إن قلت في حال نومه فمحالٌ وإن قلت إن استيقظ
فبعيدٌ أن يجد لذة شيء انقضى ومضى . فبهتُ ولم أجد جوابًا . فقال : مسألة
أخرى ؟ قلت : وما هي قال : تزعم أن لكلّ أمة نذيرًا ، فمن نذير الكلاب ؟
قلت : لا أدري الجواب . قال : أمّا الجواب عن السؤال الاول فنقول إنّ

الاقسام ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها ، وبلية يجب الصبر لديها ، وبلية يجب الصبر عنها ، وهذه من القسم الثالث وهي البلية التي يجب الصبر عنها ؛ أمّا المسألة الثانية فالجواب عنها محال لأنّ النوم داء ولا لذة مع وجود الداء ، وأمّا المسألة الثالثة وأخرج من كمّه حَجَرًا وقال : إذا عدا /73ب/ عليك كلبٌ فهذا نذيره . ورماني بالحجر ، فأخطأني وأصاب الاسطوانة فلما رآه قد أخطأني قال : فأتك النذير ، أيها الكلب الحقير ! فعلمت أنه مجنون وأنّ عقله مصاب ، فتركته وانصرفت وقنعت من الغنيمة بالإياب ، انتهى .

وحكى في كتاب بستان الآداب أنّ هارون الرشيد مرّ بدّير في ظاهر الرقة فلما أقبلت مواكبُه أشرف أهل الدّير ينظرون اليه وفيهم مجنونٌ مسلسل ، فلما رأى هارون رمى بنفسه بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات فأنشدك إياها ؟ قال : نعم ، فأنشد :

لحظاتُ طرفك في العدا تُغنيك عن سلّ السيوفِ
وعزيمُ رأيك في النهي يكفيك عاقبة الصُّروفِ
وسُيولُ كفك بالندى بحرٌ يفيض على الضّعيفِ
وضياءُ وجهك في الدُّجى أبهى من البدر المنيفِ

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هات أربعة آلاف درهم أشتري بها كسيًا وتمرًا ! فقال الرشيد : يُدفع له . فحُمِلت إلى أهله . اه .

قال في روض الرياحين : لما خرج الرشيد إلى مكة حاجًا ، فرش له من جوف العراق إلى الحرم لبودٌ مدغرية ، وكان حلف أن لا يحج إلا راجلا ، فاستند يوما إلى ميلٍ وقد تعب وإذا بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول (شعر) :

هب الدنيا تواتيكَا أليس الموتُ يأتيكَا

فما تصنع بالدنيا وظلّ الميل يكفيكا
ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشائكا /74/

كما أضحكك الدهر كذلك الدهر يُكيكا

قال : فشهِق هارون شهقة خراً مغشياً عليه ؛ فاتته ثلاثُ صلوات ، فلما
أفاق طلبه فلم يقع له على أثر ، وبقي متلهّفاً عليه . انتهى .

اجتناب ريب واجلاب رتب

قال في روض الرياحين ، من الحكاية الثانية عشرة أنه كان لهارون الرشيد
ولدٌ ، قد بلغ من العمر ستة عشر سنة ، وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان
يخرج الى المقابر ويقول : قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما أراها
تنجيكم ، وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ! ويكي
بكاء شديداً وكان ينشد :

تروّعني الجنائز كل يوم ويحزنني بكاء النائحات

فلما كان في بعض الأيام مرّ على أبيه وحوله وزرّائه وكبراء دولته وأهل
مملكته ، وعليه جبة صوف ، وعلى رأسه مئزر صوف ؛ فقال بعضهم لبعض :
لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك ، فلو عاتبه لعلّه يرجع عما هو فيه .
قال فكلّمه في ذلك وقال له : يا بني ، لقد فضحتني بما أنت عليه ! فنظر اليه
ولم يجبه ثم نظر الى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال : أيها الطائر بحق
الذي خلقتك الآ جئت على يدي ! فأنقضّ الطائر على كفّ الغلام ثم قال له :
ارجع الى موضعك ! فرجع ثم قال : بحق الذي خلقتك الآ ما سقطت في كف
أمير المؤمنين ! فما نزل فقال له الغلام : أنت الذي فضحتني بحبك /74ب/
الدنيا . وقد عزمتُ على مفارقتك . ففارقه ولم يتزوّد منه بشيء الآ مصحف
وانحدر الى البصرة وكان يعمل مع الفعلة في الطين ، وكان لا يعمل الا يوم

السبت بدرهم ودائق . يتقوّت كلّ يوم دانقاً ، قال أبو عامر البصري : وكان قد وقع من جداري حائط فخرجت لطلب من يعمل لي في الحائط إذ رأيت غلاماً لم أر أحسن منه وجهاً وبين يديه زنبيل وهو يقرأ في مصحف فقلت له : يا غلام أتعلم ؟ قال : ولم لا أعمل وللعمل خلقتُ ، ولكن أخبرني في أي الأعمال تستعملني ؟ قلت في الطين . قال : بدرهم ودائق وأصلي صلاتي . فقلت : لك ذلك . ثم مضيت به الى العمل وتركته يعمل فلما كان المغرب جثته فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال ، فوزنت له درهين فقال : يا أبا عامر ، ما أصنع بهذا ؟ وأبى أن يقبل ، فوزنت درهما ودانقاً . فلما كان الغد خرجت في طلبه فلم أجده ، فسألت عنه فقيل لي إنه لا يعمل الآن يوم السبت ولا تراه الا يوم السبت الثاني ، فأخّرت العمل الى السبت الثاني ، ثم أتيت الى السوق ، فإذا هو على تلك الحالة ، فسلمت عليه ثم عرضت العمل فقال : كمقالته الاولى . فمضيت به الى العمل ووقفت أنظر اليه من بعيد ، وهو لا يراني ، فأخذ كفاً من الطين وتركه على الحجارة وإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض ، فقلت : هكذا أولياء الله معاونون . فلما أراد أن ينصرف ، وزنت له ثلاثة دراهم ، فأبى أن يقبل إلا درهماً ودانقاً ، فوزنت له ذلك . فلما كان السبت الثالث جئت السوق فلم أراه ، فسألت عنه فقيل لي : له ثلاثة أيام وجّع في خراب ، بلا /75/ باب ! فذهبت اليه ، وإذا هو مغشي عليه فسلمت عليه ، وإذا تحت رأسه نصف لبنّة ، وهو في حال الموت ، فسلمت عليه ثانياً فعرفني ، فأخذت رأسه وجعلته في حجرِي ، فمنعني من ذلك وأنشد يقول :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| يا صاحبي لا تغترز بتنعّم | فالعمرُ ينفدُ والنعيم يزولُ |
| وإذا علمت بحال قوم مرّة | فاعلم بأنك عنهم مسؤولُ |
| وإذا حملت الى القبور جنازة | فاعلم بأنك بعدها محمولُ |

ثم قال : يا أبا عامر ، إذا فارقتُ روحي جسدي فغسلني وكفني في جيتي.

هذه ! فقلت : يا حبيبي ، ولم لم أكفئك في ثياب جديدة ؟ فقال : الحى أحوج الى الجديد من الميت ، الثياب تبلى والعمل يبقى ، وخذ ميزري وزنبيلي فأدفعهما للحفار ، وخذ هذا المصحف والخاتم وأمض بهما الى أمير المؤمنين هارون الرشيد ، ولا تدفعهما اليه إلا من يدك الى يده ، وقل له يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب وهو يقول لا تموتنّ على غفلتك !

وعملت جميع ما أوصاني به ، وأخذتُ المصحف والخاتم ودخلت بغداد ، وقصدت قصر هارون الرشيد ، ووقفت على موضع مُشرف ، فخرج في موكب فيه تقدير ألف فارس ثم تبعه عشرة مواكب ، كل موكب ألف فارس . وخرج أمير المؤمنين في الموكب العاشر فنادت : بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين الآ وفت لي قليلا . فلما رأي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، معي وديعة من غلام غريب ! ثم دفعت اليه المصحف والخاتم وقلت له : ما أوصاني به . فنكس /75ب/ رأسه وأسبل دمعته وأوصى عليّ بعض الحجاب وقال : ليكن هذا عندك الى أن أسألك عنه . فلما رجع هو وأصحابه أمر بالسُّتور فُرفعت ثم قال لي الحاجب : يا أبا عامر ، إن أمير المؤمنين مهموم ، فإذا أردت تكلّمه عشر كلمات فأجعلها خمسا . فقلت : نعم ! ودخلت عليه فإذا مجلسه خال ، فلما رأي قال : ادن مني يا أبا عامر ! فدنوت منه فقال : أتعرف ولدي ؟ فقلت : نعم ! قال : في أي شيء كان يعمل ؟ قلت : في الطين والحجارة . فقال لي : استعملته أنت ؟ قلت : نعم ! فقال : استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ . فقلت : المَعذرة الى الله ثم اليك يا أمير المؤمنين ، فإني ما علمت من هو الا عند وفاته . قال : أنت غسّلته بيدك ؟ قلت : نعم ! قال : هات يدك ؛ فأخذها وتركها على صدره ، وهو يقول : بأبي كيف كنت العزيز الغريب ، ثم أنشأ يقول :

يا غريبا عليه قلبي يذوب ولعيني عليه دمعٌ سكوبُ

يا بعيد المكان حزني قريب
كل بذر أعلى قضيب لجين
كدّر الموت كلّ عَشْ يطيب
فهو البدر في الثرى والقضيب

قال : ثم تجهّز وخرج الى البصرة ، واتي معه حتى انتهى الى القبر ، فلما
رآه غُشي عليه ، فلما أفاق أنشد يقول :

يا غائباً لا يؤوب من سفره
يا قرّة العين كنت لي أنساً
عاجله موته على صغره
في طول ليلى نعم في قصره /76/
شربت كأساً أبوك شاربها
لا بدّ من شربها على كبره
اشرب بها والآنام كلهم
من كان من بدوه ومن حضره
والحمد لله لا شريك له
قد كان هذا القضاء من قدره

قال أبو عامر : فلما كان تلك الليلة قضيت وردي ثم اضطجعت وإذا بقبة
من نور عليها سيجاف من نور ، وإذا قد كشف السجاف فإذا الغلام ينادي يا
أبا عامر ، جزاك الله خيراً ، فقلت : يا ولدي ، الى ما ذا صرت ؟ قال : الى ربّ
راض غير غضبان ، أعطاني ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على
قلب بشر ، وآلى على نفسه أنه لا يخرج عبداً من الدنيا مثل خروجي الا أكرمه
مثل كرامتي ، فاستيقظت فرحاً به وبما قال لي ، رحمه الله تعالى .

قال بعضهم : وقد حكيت هذه الحكاية على غير هذه الصفة من طريق آخر
وهو أنّ الرشيد قال لأبي عامر : إنّ هذا الولد ولدي قبل أن أبتلى بالخلافة ،
فنشأ نشوءاً حسناً وتعلم القرآن والعلم ، فلما وليت الخلافة تركني ولم ينل من
دنياه شيئاً ، فدفعته الى أمّه هذا الخاتم ، وهو ياقوت ، يسوى مالا كثيراً
وقلت لها تدفعين هذا اليه ، وكان باراً بأمه رحمه الله تعالى .

قال الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم
الدين عن أبي عمرو الخولاني أنه قال : لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره
العلماء وهنّووه بما صار اليه ، وفتح بيوت الاموال وأجازهم الجوائز السنية .

وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ويُظهر الزهد والتعفف /76ب/ وكان مواخياً لسفيان بن سعيد الثوري قديماً ، فلما صار اليه الامر هجره سفيان ولم يزره . فاشتاق اليه هارون والى مؤانسته وحديثه ، فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه . فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون الرشيد ، أمير المؤمنين ، الى أخيه سفيان بن سعيد الثوري . أما بعد ، يا أخي فقد علمت أن الله تعالى واخى بين المسلمين ، وجعل ذلك فيه وله ، وإني واخيتك مواخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك ، وإني منطو لك على أفضل المودة والإرادة ولو لا هذه القلادة التي قلّدتني الله تعالى بها لأتيتك حبواً لما أجد في قلبي من المحبة والشوق ؛ وأعلم يا أبا عبد الله أنه لم يبق من إخوانك إلا من قد زارني وهنأني بما صرت اليه ، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني ، وأني قد استبطأتك فلم تأتني ، وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً ؛ وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في زيارة المؤمن ؛ فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل !» ثم ختم الكتاب والتفت الى من عنده فإذا هم يعرفون سفيان وخشونته فقال : عليّ برجل من الباب . فأدخل عليه رجلاً يقال له عباد الطالقاني فقال : يا عباد ، خذ كتابي وانطلق به الى الكوفة ، فإذا صرت فيها فاسأل عن قبيلة بني ثور ، فإذا أرشدت فاسأل عن سفيان الثوري ، فإذا لقيت فالتق اليه كتابي /77/ وألق سمعك وقلبك جميعاً ما يقول وربما أنه لا يجيب ، فأحذر عليه دقيق أمرك وجليله ، لتحدثني به .

فأخذ عباد الكتاب وانطلق حتى ورد الكوفة وسأل عن القبيلة ، فأرشد اليها ، ثم سأل عن سفيان الثوري فقبل : هو في المسجد . قال عباد : فأقبلت الى المسجد فلما رأيته قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا إلا بخير ! فلما دنوت قام وأحرم للصلاة ، ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت ، فإذا جلساؤه حوله وقد نكسوا

رؤوسهم ، كأنهم لصوصٌ ورَدَ عليهم أمرُ سلطانٍ وهم خائفون من العقوبة .
 فسلمت فما رفع أحدٌ رأسه الا إشارة برؤوس الأصابع إشارة خفيفة . فبقيت
 واقفاً ما أحدٌ عرض عليّ الجلوسَ وقد غلبتني الرعدة من هيبتهم ، وقد علمت
 أن المصلّي هو سفيان فرميتُ الكتابَ أمامه ، فلمّا رأى الكتاب ارتعد وتباعد
 منه ، كأنه حيّة عرضت له في محرابه ، فركع وسجد وسلّم ثم أدخل يده في
 كمّهِ ولفّها بعباءته ولفظ الكتاب ورماه الى من كان خلفه وقال : يأخذه
 بعضكم ويقرؤه ، فإني استغفر الله أن أسْ شَيْئاً مسّه كفّ ظالم ! قال عبّاد :
 فمدّ بعضهم يده الى الكتاب وحلّه وهو يرتعد كأنه خائف من حيّة تنهشه ، ثم
 فضّه وقرأه ، فأقبل سفيان يتبسّم تبسّم المعجب فلمّا فرغ من قراءته قال : اقبلوا
 الكتاب واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه ، فإن كان اكتسبه من حرام فسوف
 يُصلّى به ، وإن كان من غيره فلا يبقى له عندنا شيء مسّه / 77ب / كفّ ظالم ،
 فيفسد علينا ديننا . فقبل له : ما نكتب ؟ فقال : اكتبوا : «بسم الله الرحمن
 الرحيم ، من العبد الميّت سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الى المفلور
 بالآمال ، هارون الرشيد ، الذي سلب حلاوة الايمان . أمّا بعد ، فقد كتبت
 اليك أعرفك أنّي قد صرمتُ حبلك ، وقطعت ودّك ، وقلّيت موضعك ، وأنك
 قد جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بأنك هجمت على بيت
 مال المسلمين وأنفقته في غير حقّه ، وأنفدته في غير حكمة ثم لم ترض بما فعلته
 وأنت ناء عني حتى كتبت اليّ تشهدني على نفسك ، أمّا أنا فقد شهدت أنا
 وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنوّدي الشهادة عليك بين يدي الله عز
 وجلّ . يا هارون ، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، فهل رضي
 بفعلك المؤلّفة قلوبهم ، والعاملون عليها المجاهدون في سبيل الله ، أم رضي
 بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ فشُدّ يا هارون ميزرك وأعدّ
 للمسألة جواباً وللبلاء جليلاً ، واعلم بأنك ستقف بين يدي الحُكَم العدل ، فإن
 أحسن الله لك فقد فزت والآء العزاء بنفسك إذ قد سلّبت حلاوة العلم والزهد ،

ولذيذ القرآن ، ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً ؛ يا هارون جلست على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجة لرب العالمين ثم أقعدت أجناس الظلمة دون ستر ، يظلمون الناس ولا ينصفون /78/ ويشربون الخمر ويحدّون شاربها ، ويزنون ويحدّون الزاني ، ويسرقون ويقطعون السارق ، أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ! فكيف بك يا هارون إذا نادى المنادي من قبل الله سبحانه وتعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ، أي الظلمة وأعوان الظلمة ؛ فقدّمت بين يدي الله عزّ وجلّ ويداك مغلولتان الى عنقك ، فلا يفكّهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم إماماً وسائقاً الى النار ! كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسيئات غيرك على سيئاتك بلاء على بلاء ، وظلمة على ظلمة ؛ فأحفظ بموعظتي ووصيتي التي أعظك ؛ وأعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيح شيئاً ، فاتق يا هارون في رعبتك وأحفظ محمداً ﷺ في أمته ؛ يا هارون أحسن الخلافة عليهم ، وأعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك ، وهكذا تنتقل الدنيا بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من تزود زاداً لنفسه ومنهم من خسر ديناه وآخرته ، فإياك وإياك أن تكتب الى بعد هذا فلا أجيبك عليه ، والسلام . وألقى الكتاب منشوراً غير مطويّ الى عباد ، فسار به الى الرشيد ووقعت الموعظة في عباد . اهـ .

قال الطرطوشي في سراج الملوك وابن بلبان والقدسي في شرح أسماء الله الحسنی وغيرهم ما نصّه عن /78ب/ الفضل بن الربيع قال : حج الرشيد ، فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعتُ قرع الباب ، فقلت من هذا ؟ قيل : أجب أمير المؤمنين ! فخرجت مسرعاً فوجدت الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت اليّ أتيتك ! قال : ويحك قد حاك في نفسي أمرٌ ، انظر لي رجلاً نسأله ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ههنا سفيان بن عيينة قال : قامض بنا اليه . فأتيناه فقرعنا

عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً وقال :
يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك ! قال : فخذ لما جئناه ، فحادثه ساعة ثم
قال : أعليك دين ؟ قال : نعم ! قال : يا فضل ، اقض دينه .

ثم انصرفنا فقال : ما أغنى عني صاحبك هذا شيئاً ، فانظر لي رجلاً نسأله
فقلت : ههنا عبد الرزاق بن همام واعظ العراق . فقال : امض بنا اليه نسأله .
فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين فخرج
مسرّعاً وقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ أتيتك ! قال : خذ لما جئنا له .
فحادثه ساعة ثم قال : أعليك دين ؟ قال : نعم ! قال : يا عباس ، اقض دينه .

ثم قال : ما أغنى عني صاحبك هذا شيئاً ، انظر لي رجلاً نسأله . قلت :
ههنا الفضيل بن عياض فقال : امض بنا اليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية
من كتاب الله تعالى يردّها ، فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أمير
المؤمنين . فقال : ما لي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعة ،
أو ليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال ليس لمؤمن أن يُذل نفسه . ففتح الباب
ثم رقيّ الى الغرفة مسرعاً /79/ فأطفاً السراج ، والتجأ الى زاوية من زوايا
البيت ، فجعلنا نجوز عليه بأيدينا ، فسبقت كف الرشيد اليه فقال : آوه ، ما
ألينها من يد إن نجت غداً من عذاب الله تعالى ! فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة
بكلام تقيّ من قلب تقيّ ! فقال : خذ لما جئنا له . قال : وفيم جئت ؟ حطّيت
على نفسك وعلى جميع من عندك ، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك
وعنهم أن يحملوا عنك شِقْصاً من ذنب ما فعلوا ، ولكن أشدّهم حباً لك
أشدّهم هرباً منك ! ثم قال : إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي
الخلافة دعا سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة
فقال لهم : إني ابتليت بهذا البلاء فاشيروا عليّ ؛ فأعدّ الخلافة بلاء ، وعددتها
أنت وأصحابك نعمة ! فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من
عذاب الله تعالى فصمّ عن الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت . وقال محمد بن

كعب : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك أباً وأوسطهم أخاً ، وأصغرهم ولداً . فبِرَّ أباك وارحم أخاك ، واحسن على ولدك . وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم إذا شئت مت وإني لا أقول لك هذا وإني لأخاف عليك أشدَّ الخوف يوم تزول الأقدام ، فهل معك - رحمك الله - مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه فقلت : ارفق بأمر المؤمنين ! فقال : يا ابن الربيع ، قتلته أنت وأصحابك /79ب/ وأرفق أنا به ! ثم أفاق فقال : زدني ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني أن عاملان لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - شكى إليه السهر فكتب إليه عمر : «افتكر يا أخي سهر أهل النار في النار ، وخلود الأبدان فيها ، فإن ذلك يطردك إلى ربك نائماً ويقظاناً ، وإياك إن نزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك وينقطع الرجاء منك والسلام» . فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل ! فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال : زدني فقال : يا أمير المؤمنين إن جدك العباس رضي الله تعالى عنه عم المصطفى ﷺ جاء فقال : يا رسول الله ، أمرني على إمارة ! فقال النبي ﷺ : يا عباس ، يا عم النبي ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت ألا تكون أميراً فافعل ! فبكى هارون بكاء شديداً ، ثم قال : زدني رحمك الله ! قال : يا حسن الوجه ، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك ؛ فقد قال النبي ﷺ من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة ! فبكى هارون بكاء شديداً ثم قال : أعليك دين ؟ قال : نعم ، دين لربي ، فالويل لي إن سألتني والويل لي إن لم يلهمني حجتني . فقال هارون : إنما أعني دين العباد . فقال :

إنما رَبِّي لم يأمرني /80/ بهذا ، أمرني أن أُصدِّق وعده وأطيع أمره ، فقال تعالى : «وما خلقت الجنَّ والانسَ الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين» فقال له الرشيد : هذه ألف دينار ، خذها فانفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك ! فقال فضيل : سبحان الله ، أنا أدلك على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلّمك الله ! ثم صمّت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده فقال لي الرشيد : إذا دللتني على رجل فدلتني على مثل هذا . هذا سيّد المسلمين اليوم ! انتهى .

وروي أن امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلتَ المال لأفرحتنا به ! فقال : إن مثلي ومثلكم كمثّل قوم كان لهم بعيّر يأكلون من كسبه ، فلما كُبر نخروه وأكلوا لحمه . موتوا أهلي جوعاً ولا تنحروا فضيلاً ! فلما سمع الرشيد ذلك قال : ادخل بنا فعسى أن يقبل المال . فدخلنا فلما علّم بنا الفضيل خرج الى السطح فجلس على التراب ، فجاء هارون فجلس الى جنبه ، فكلّمه فلم يردّ عليه . فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا ، قد آذيت الشيخ منذ الليلة . فانصرف رحمك الله راشداً ! فانصرفنا .

وقال القاضي ابن خلكان ، في ترجمة الفضيل رضي الله تعالى عنه ، فبلغ ذلك سفيان الثوري فجاء اليه وقال له : يا أبا علي أخطأت في ردك البدر (البدر ، كيس من المال) ، هلاً أخذتها وصرفتها في وجوه البر ؛ فأخذ بلحيته وقال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد ، وأنت المنظور اليه وتغلط في هذا الغلط ، لو طابت لأولئك لطابت لي . انتهى /80ب/ ويقال : إن المذكور سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري ، والله أعلم .

ويقال إن الرشيد قال لفضيل : رحمك الله ما أزهدك في الآخرة ، والدنيا فانية والآخرة باقية ! انتهى .

قال في كتاب لبّ اللبيب : كان الفضيل بن عياض رأس اللصوص ، وكانت

بدء توبته ، أنه كان في موضع كامناً وهو لابس الصوف ، ومعه مصحف يقرأ فيه ، فوجه أصحابه الى الطريق ، وقعد مكانه . فمرّ به رجل فرآه على تلك الحالة فقال له : إني أسمع أن في هذا الطريق لصوصاً ، وقد توسّمت فيك سيمة الخير والوفاء ، فهل عندك أمانة للوديعة ؟ قال : نعم ، إن شاء الله . فأودع عنده كيساً فيه عشرة آلاف درهم ، التي كانت معه خوفاً من اللصوص . فلم يمكث عنده الا قليلا حتى اجتمع عند الفضيل أصحابه ، فعلم صاحب الدراهم أنه رئيسهم ، فندم على ما صنع وتفكّر في نفسه وقال : لو سلّيت مني قهراً كان أهون على قلبي مما عملت يدي ! فدنا من الفضيل وهو فزعّ مرعوب ، فعلم الفضيل ذلك منه فقال له الفضيل : يا هذا لا تغتم ، وداعتك عندي كما هي ، والامانة مؤداة اليك ؛ ظننت بي ظناً وظننت بالله ظناً فأوفيت ظنك ، وأرجو الله تعالى أن يوفيني ظني . فرجع الفضيل وتاب عما كان فيه .

ثم جعل يجول بين السكك متفكراً ، فمرّ به رجل يقرأ القرآن ويتلو قوله تعالى : «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» /81/ فعملت الآية في قلبه ، ففرع الباب على القاريء ، وكان ذلك الوقت ليلاً ، فظن القاريء أنه سارق . فقال : من أنت ؟ فقال له : أعد عليّ الآية ! فأعادها ، فبكى بكاء شديداً حتى صلى الصبح ، ثم قال له الفضيل : لي اليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريد أن تشدّ يديّ الى عنقي وتذهب بي الى السلطان وتقول هذا لصّ أصبناه البارحة ، ليُجرى في حكم الله تعالى ، لاني مستوجب للحدّ . ففعل به ذلك . فلما رآه السلطان وعلم أمره هاله ذلك ، وأطلقه فذهب الى امرأته وقال لها : إن كنت تريدن أن أسرحك سرحتك ، وإن كنت توافيني على الخروج الى مكة فشأنك ، فمشياً جميعاً الى مكة ومعهما ابنتان ، فبقيا في مكة سنين . وكان يجلس كلّ يوم واعظاً للعامة . فلما اقترب أجله أوصى امرأته وابنتيه وقال : إذا أنا مت فانهضي بي [الى] الجبل مع ابنتيك وقولي : يا ربّ إن عبدك فضيلاً أودى وقال يا ربّ إني ما أحيتني كنت راعيك فيما تكلفت ، فالآن إذ

توفيتني في سجنك فهذه الوديعة قد رددتها اليك ا .

فلما مات فعلت . فبينما هي على رأس الجبل إذ مر بها أمير من أمراء اليمن ، فرأى الجنازة وضجيج الناس وعجيجهم والمرأة وابنتيها ، فقال : من هذا ؟ فقصّوا عليه القصة . وكان لهذا الأمير ابنان له لم يتزوجا ، فقال لهما : تزوجاهما ! وجعل صدّاق كلّ واحدة منهما عشرة آلاف درهم ؛ وحملهما في هَواذج من ديباج ، وخرج بهما الى اليمن ، وجعل لهما الأمير وليمة عظيمة ، وجعل يغسل قدمي /81ب/ كلّ واحدة بماء الورد . وكان اسم أحدهما عزيزة ، فقالت : والذي سمّاني عزيزة ما أظنه إلا كان علماً أني أصبح الى هذه العزة . والله أعلم . انتهى .

وتوفي الفضيل ، رحمه الله ، في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة . وكان قد غادر بمكة وأقام بها ، كذا قاله النووي . وقال المؤيد : سنة سبع وثمانين ومائة ، فيها توفي الفضيل بن عياض الزاهد ، وكان مولده بسمرقند وانتقل الى مكة ومات بها . انتهى

من تجميع تكملة تاريخ الإسلام

حكى أنّ الفضيل كانت له بُنية صغيرة ، فوجع كفها ، فسألها أبوها وقال : يا بنتي ما حال كفك ؟ فقالت : يا أبت بخير ، والله لئن كان الله ابتلى مني قليلا فلقد عافى مني كثيرا ، ابتلى كفي وعافى سائر بدني ، فله الحمد على ذلك . فقال : يا بنتي ، أرني كفك ؟ فأرته ، فقبله فقالت : يا أبت أنشدك الله ، هل تحبني ؟ قال : اللهم نعم ! فقالت : سوءة من أب ، والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواه ! فصاح الفضيل رضي الله عنه وقال : سيدي صبية صغيرة تعاتبني في حبي لغيرك ، وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك !

وشكى رجل الى الفضيل حاله فقال : يا أخي هل من مدبر غير الله عز وجل ؟ قال : لا ا قال : فأرض به مدبرا .

وقال : إني لا أعصي الله تعالى ، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي !

وقال : إذا أحبَّ الله تعالى عبداً كثرَ غمُّه ، وإذا أبغضه وسَّعَ عليه دنياه .
قال النَّوَوِي في أذكاره ، قال السيد الجليل الفضيل بن عياض رضي الله
عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس /82/ شرك ،
والاخلاص أن يعافيك الله منهما !

وسئل الفضيل رضي الله عنه عن المحبة قال : أن تؤثر الله عزَّ وجلَّ
على ما سواه .

وقال رضي الله تعالى عنه : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها الا للإمام ؛
لأن الله تعالى إذا أصلحَ الإمامَ أَمِنَ العباد .

وقال رضي الله تعالى عنه : لأنَّ يُلاطف الرجل أهل مجلسه وَيُحَسِّنَ خلقه
مَعَهُم خيرٌ له من قيام ليلة وصيام نهاره ! .

وقال : رضي الله عنه : ربما قال الرجل لا إله الا الله ، فأخشى عليه النار .
ف قيل له : كيف ذلك ؟ قال : يُغْتَاب بين يديه أحدٌ فيعجبه ذلك ، فيقول لا إله
الا الله أو سبحان الله ، وليس بهذا موضعهما ، إنما هو أن ينصح له في نفسه
ويقول : اتق !

وبلغه رضي الله عنه أنَّ ابنه عليا قال : وددت أن أكون بمكان أرى فيه
الناس ولا يروني فقال : ويحَ عليّ ، لو أتمَّها فقال بمكان لا أرى فيه الناس ولا
يروني !

وروي أنَّ الرشيد لما خرج الى مكة وصار بها قال لسفيان بن عيينة إني
أحبُّ أن ألقى الفضيل بن عياض بالنهار وأرى زيَّه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين إنه
إن علم بمكانك لم يظهر لك ، ولكن سرَّ معي فاستأذن عليه ، فإن أذن لي
فأدخل أنت معي حتى تراه . قال : فأتينا باب الفضيل . فلما استأذن سفيان
أذن له فقال سفيان : ومن معي ! فسكت ساعة ثم قال : ومن معك ؟ فقال :
رجل من بني هاشم . فأحسن الفضيل وسكت . فقال له سفيان : هذا أمير

المؤمنين . فقال له الفضيل : يا جميل الوجه ، قد ملكت الدنيا بأسرها فأستر نفسك ببعضها ! فقال /82ب/ له الرشيد : عِظْني ! فقال الفضيل : حَدِّثْني عبد الحميد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : «وَقُطِّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» قال الرسائل والمودّات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكى هارون الرشيد وقال : أنت زاهد حقاً ! فقال الفضيل : أنت أزهد ! فقال الرشيد : ما أدري ما زهدي وأنا فيما تراني ! قال : أنا زاهد فيما يَفْنَى وأنت زهدك فيما يَبْقَى ، فأنت أزهد مني ! كذا حكاه السيّد الجليل ابراهيم الاشعري في كتابه لبّ اللبيب . انتهى .

سياق كلام وتمام مرام بذكر همام

قد تقدّم ذكر سفيان الثوري رحمه الله وما هو عليه من المرتبة العليا . ومع هذا قد ذكر ابن خلكان في تاريخه : أن بعض الهاشميين حكى للرشيد عن سفيان الثوري أنه كان بمكة فبلغه (في الاصل : أن مقدم) مقدم الاوزاعي ، فخرج الى ملّقه ، فلقه بذي طوى . فحلّ سفيان خطام بعيره من القطار (في الاصل القطان . والقطار من الابل ، عدد منها بعضه خلف بعض على نسق) ووضعه على رقبته ، وكان إذا مرّ بجماعة قال : الطريق ، الشيخ الاوزاعي !

والشيخ الاوزاعي كان من الفضلاء ، واسمه عبد الرحمان بن عمرو بن محمد بن عمر الاوزاعي ، إمام أهل الشام . قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة . وكان يسكن بيروت ويُحمّد ، بضمّ الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة . وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات : بضمّ الياء المثناة تحت ، وكسر الميم والاوزاعي من تابع التابعين .

قال الاوزاعي رحمه الله تعالى : رأيت ربّ العزة في المنام ، فقال لي يا عبد الرحمن /83/ أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . [فقلت] : بفضلك يا ربّ أمتني على الاسلام . فقال : وعلى السنة أيضاً .

وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين ومائة وكان سبب

موته أنه دخل حمام بيروت ، وكان لصاحب الحمام شُغل ، فأغلق الباب عليه وذهب . ثم جاء وفتح الباب فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خدّه وهو مستقبل . وقيل إن امرأته فعلت به ذلك ولم تكن عامدة لذلك .

والاوزاع ، قرية بدمشق . ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم وهو سبي اليمن . كذا قال بعضهم . وقال المؤيد : والاوزاعي منسوب الى أوزاع ، وهي بطن من ذى كلاع ، وقيل بطن من همدان سكن بيروت ، وتوفي بها . وكانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة ، مات وعمره سبعون سنة . وكان يخضب بالحناء وهو إمام أهل الشام . قال النووي وهو مدفون في قبلة مسجد قرية جبنوس وهي على باب بيروت . وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون ههنا قبر رجل صالح ينزل عليه النور ولا يعرفه منا الا الخواص . انتهى . وكذا ذكر المؤيد رحمه الله تعالى .

ذكر ابن خلكان : أن الرشيد قدم الى الرقة في حقله ، وقد انجفلت الناس وطقطقت البغال وارتفعت الغيرة وانحفلت الناس خلف عبد الله بن المبارك ، فأشرفت أمّ وليد الرشيد من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : من هذا ؟ /83ب/ قالوا : عالم من أهل خراسان ، يقال له عبد الله بن المبارك ! فقالت : هذا والله الملك ، لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشرطٍ وأعوان !

وكان عبد الله المذكور من الفضلاء الاعلام ، رضي الله عنه . حكى عنه أنه كان يتجر سنة ويغزو سنة ويقرأ سنة . وذكر ابن خلكان أنه كان يتجر ويقول : لو لا خمسة ما اتجرت ، السفينتان وفضيل وابن السمّاك وابن عليّة . أي ليصلهم . فقدم سنة قد ولي ابن عليّة القضاء ، فلم يأتّه ولم يصله بشيء ، فأتى اليه ابن عليّة فلم يرفع رأسه اليه ، ثم كتب له ابن المبارك :

يا جاعل العلم له بازيا يصطادُ أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذتها بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواء للمجانين
 أين رواياتك في سردها لترك أبواب السلاطين
 أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرين
 إن قلت أكرهت فذا باطل زل حمار العلم في الطين

فلما وقف اسماعيل بن عليّة على الأبيات ذهب الى الرشيد ، ولم يزل به الى أن استعفاه من القضاء فأعفاه .

وكان ابن المبارك إماماً جليلاً زاهداً ، جمع بين العلم والعمل .
 قيل إنه استعار قلماً من الشام ، وأنه عرض له سفر ، فسافر الى أنطاكية ، وكان قد نسي القلم ، فتذكره هناك ، فرجع من أنطاكية الى الشام ماشياً حتى ردّ القلم الى صاحبه وعاد .

وحكى أن رجلاً عطس عند عبد الله بن المبارك /84/ ، فلم يُحمد الله عزّ وجلّ فقال ابن المبارك له : أي شيء يقول العاطس إذا عطس ؟ قال : يقول الحمد لله . فقال ابن المبارك : يرحمك الله ! فعجب الحاضرون من حسن أدبه . قلت (راجع ما تقدم في المقدمة ، حول شخصية المؤلف) : وهذا منّي على قاعدة فقهية ، وهي أن العاطس لا يجب تسميته ، إلا إذا حمد الله ؛ فلقنه - رضي الله عنه - للتحميد وشمته .

قال الملك المؤيد : وفي سنة إحدى وثمانين ومائة توفي عبد الله بن المبارك ، في رمضان ، وعمره ثلاث وستون سنة ، اهـ .

قال بعضهم : وروي أن عند ذكره تنزل الرحمة ، رضي الله تعالى عنه .

قال فقير الديان حسين بن محمد بن وادران : قد كنت ليلة الخميس ، ثالث عشر شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف اشتغلت بالنظر في هذه المسودة قبل تبويبها ، وقد أرقني السهر ، ومللت النظر ، فأخذت مضجعي ونمت . وقد استغرقت النوم وإذا أنا بهيعة ، لم أشعرها بعد الانتباه ، وكأنّ

شخصاً يخاطبني وهو يقول لي : ثلاثة تنزل الرحمة عند ذكرهم ، الحسن والحسين وعبد الله بن المبارك . فانتبهت وأنا أقول ذلك ، واستيقظت عند قولي والحسين ، ولم أذكر الثالث الا يقظة ، ولم أشعر بغير ذلك ولم أتذكر الرجل على أي هيئة هو ، وقد سررت برويائي والحمد لله ، انتهى (راجع ما تقدم في المقدمة حول ابن وادران) .

حكى ابن الجوزي في الاذكياء : أن الرشيد نام ليلة في فراشه وقد أُسبلت الستور فسمع قائلاً يقول /84ب/ :

يا راقداً الليل انتبه إن الخطوب لها سرى
ثقة الفتى من نفسه ثقة محللة العرى

فاستيقظ الرشيد فوجد المصابيح طفئت ، فأمر بالشموع فأوقدت ، وتنظر فإذا هو بحية تسعى بقرب فراشه فقتلها وحمد الله . انتهى .

ومما حكى في هذا المعنى من أشعار المنامات ما ذكره في كتاب النصائح لابن ظفر عن عبد الحق الاشبيلي في العاقبة أن مما ابتلى الله به الهادي من المحبة أنه كان مغرمًا بغادر . وكانت جارية من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم غناء ، اشتراها بعشرة آلاف دينار . فبينما هو بين ندمائه إذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب . فقيل له : ما بال أمير المؤمنين ؟ فقال : قد وقع في فكري أنني أموت ، وأن أخي هارون يرث الخلافة بعدي ويتزوج غادراً ، فأمضوا وآتوني برأسه . ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره ، فجعل هارون يترفق له ، فلم يقنع بذلك وقال : لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به ، أنني إذا مت لا تتزوج بها ! فرضي بذلك ، وحلف أيماناً عظيمة ، منها المشي راجلاً الى بيت الله الحرام . ثم بعدما استحلف أخاه هارون قام الى الجارية وحلفها أيضاً على مثل ذلك ، وطابت نفسه . فلم يلبث بعد ذلك الا أشهراً حتى مات وولي الخلافة هارون ، فطلب الجارية فذكرته الايمان وقالت : كيف تصنع يا أمير المؤمنين

في الايمان التي حلفناها ؟ فقال : قد كَفَرْتُ عَنِّي وعنك ! ومشى راجلاً الى /85/ بيت الله الحرام ، ثم تزوّج بها ووقعت من قلبه موقعاً عظيماً ، وأفنتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره ، فلا يتحرك حتى تنبّه ؛ فبينما هي في بعض الليالي في حجره إذ انتبعت فزعة مُرْعَبَةٌ فقال لها : ما بالكَ ، فديتك ! قالت : رأيت أخاك الهادي في منامي وأنشدني :

أخلفتِ وعدي بعدما جاورتُ سكّان المقابر
ونسيتني وحنثت في أيمانك الكذبِ الفواجر
ونكحتِ غادرة أخِي صدق الذي سمّاك غادر
لا يهنّك إلاّلف الجدي د ولا تدُر عنك الدوائر
فلحقتني قبل الصبا ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت : ثم ولّى عَنِّي وكان الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها الرشيد : هذه أضغاث أحلام من قِبَل الشيطان . فقالت : كلا ، والله يا أمير المؤمنين . ثم اضطربت بين يديه ، ومالت في تلك الساعة . فلا تسأل ما لقي هارون بعدها . انتهى .

ومن هذا ما ذكره صاحب كتاب الإخبار على ما في المنامات من الأشعار ، قال : رأيت في مجموع أنه لمّا ظهر أمر بني العباس واختفى بنو أمية أمّنوهم ليظهروا عليهم . فظهر منهم جمع كبير بالحيرة . فحكى عن واحد منهم سمّاه أنه كان له ولد صغير وبنت جميلة ، فحين أمر بقتلهم أسلم بنته لرجل من أهل الحيرة ، وكان للرجل أربعة بنين ، كالأسود يربطون في /85ب/ الثغور . فدلّ بنو العباس على البنت المذكورة فراودوا المودّع في تسليمها اليهم ، فأبى فهدّوه بإلقاء أكبر أولاده في غيطة مُسْبَعَةٌ لا يُنْجَى منها من يُلقَى فيها . فاستمرّ على منعه ، فألقى الأكبر منهم ؛ ثم أغفل مدة ووُشي به أن البنت عنده ، فأنكر ذلك فهدّوه بإلقاء ولده الآخر . فقال : ما شتتم أفعلوا ! فألقى الولد الثاني ولم يزلوا

الى أن ألقوا الأربعة ، أولاده ، ولم يسلم البنت وحفظ أمانته . فدخل بعض الايام فوجد البنت تبكي فقال : ما يبكيها ؟ فقالت أم الأولاد : إنني سرحتها فأوجعتها أسنان المشط ، فبكت ! فقال : لا إله الا الله أنت من هذا تبكين ، وأنا لا أبكي من فقد الأولاد ! ثم بكى وتألم . ثم نام فرأى في النوم والد البنت ، فأنشده والد البنين مناماً :

صبرت على فقد البنين وذقتها مرارة صبر فيه تحلو منيتي
فيا مقلتي جودي عليهم بأدمعي ويا كبدي الحرى عليهم تفتي
ويا صاحبي قاسيت في طلب الوفا مواقف أهوال بها النعل زلت
ليعلم أني قد وفيت وقلما وفى من جميع الناس حي لميت

فأنشده والد البنت :

صبرت جزاك الله خيراً ونلتها مراقب أجر أشرقت وتعلت /86/
فدونك غيطان الجزيرة عندها بنوك تجدهم عند سبع ولبوة
ودونك أصل السرو كثر أذفتته تجده وقسم في البنين مع ابنتي

فانتبه فرعاً ودخل الغيطة فوجد أولاده الأربعة وأسدًا ولبوة يحرسانهم . فتفرقا عنهم ، واجتمع بهم وحفر في أصل السرو فأخرج كثرًا وقسمه بين أولاده الأربعة ، وزوج البنت من الأكبر منهم وصلاح الحال . انتهى . ولنرجع الى ذكر الرشيد .

ذكروا أن الرشيد كان بالرّي ثم أتى حلوان ، فنزل فيه أيامًا واستطاب المكان وقد هاج عليه الدم ، فأشار عليه الطيب بأكل جُمار النخيل . فطلب ذلك ، فلم يجده فقالوا : لا يوجد نخل هنا إلا الذي على العقبة . وكان هناك نخلتان لهما منظرٌ حسن ، فأمر الرشيد بقطع نخلة منهما ولم يكن يراها قبل . فقطعت وأوتي بجُمارها فأكل منه . وراح ، فلما انتهى العقبة نظر إحدى

النخلتين مقطوعةً والاخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب هذه الايات :

أسعداني نخلتني حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفد رُق بين الاحباب والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفرقة أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحسًا سوف يلقاكما فتفترقان
كم رميتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والمخلان
غير أن لم تلق نفسي كما لا قيتُ فرقة ابنة الدهقان

/86ب/

فلما قرأ الرشيد هذه الايات وتأمل في قوله «إن نحسًا سوف يأتيكما فتفترقان» اغتم لذلك ، وقال : يعز علي أن أكون نحسكما ، والله لو سمعت هذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الروم !

وروي أن المهدي اجتاز بعقبة حلوان ، فاستطاب الموضع ، ونزل فتغذى ودعا بحسنة وقال لها : أما ترين طيب هذا الموضع ، بحياتي غنيتني حتى أشرب ، فغنت :

أيا نخلتني وادي جوانة حبذا إذا نام حُرَّاس النخيل جناكما

قال : أحسنت ، لقد هممت بقطع هاتين النخلتين فمنعني هذا الصوت ! قالت : أعينك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرقَ بينهما ! فقال : وما ذاك ؟ فأنشدته بشعر مطيع بن إلياس ، وللشعر حكاية .

قال في كتاب الاغاني : إن مطيع بن إلياس كان بالري ، فتعشق امرأة من بنات الدهاقين كان نازلا الى جنبها ، فلما ترحل عن الري بقي في نفسه علاقة منها ، فلما نزل عقبة حلوان جلس مستندًا الى إحدى النخلتين التي على العقبة وكتب الأبيات على احدهما ، وحكت حسناء له ذلك فقال لها المهدي : والله يا حسناء لأوكلن بهما من يحفظهما أبدًا ويسقيهما ما حييت . ثم أمر بذلك

حكى في كتاب الفرج بعد الشدة عن محمد بن عبدوس قال : لما صار الرشيد بطوس ، واشتد عليه المرض اتصل خبره بابنه الأمين فوجه اليه بكر بن المعتز ودفع اليه كتاباً الى الفضل بن الربيع واسماعيل بن صالح وغيرهما يأمرهم بالقول الى بغداد إن حدثت الحادثة بالرشيد والاحاطة على ما في الخزان وحمله اليه . وقد كان الرشيد جدّد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخدم وكراع وغير ذلك ، فلما ورد بكر بن المعتز على الرشيد أوصل اليه كتباً ظاهرة كانت معه بعبادة الرشيد وكتب الكتب الباطنة فحجدها مخافة . وهي مخفأة عنده . فاتصل خبرها الى الرشيد ، فأحضره وطالبه بالكتب الباطنة فحجدها . قال ، فذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : حدّثني أبي قال : كنت مع الرشيد بطوس لما ثقل في علته وقد ورد بكر بن المعتز والمأمون حينئذ بمرور ، وقد ظفر الرشيد بأخ رافع بن الليث فأحضر في ذلك اليوم ومعه قرابة له ، فخلع الرشيد على بكر وصوّته الى منزله ، ثم أمر بإحضاره ومطالبتة بالكتب فحجدها فأمر بحبسه ، ثم جلس الرشيد جلوساً عاماً في مضرب خزر أسود استدارته أربع مائة ذراع ، أركانه أربع قباب مغطاة بخزر أسود ، وهو جالس في ماوة خزر أسود في وسط المضرب ، والعُمد كلها سود ، وقد جعل مكان الحديد فضة والاورتاد والحبال /87ب/ كلها سود ، وعليه جبة خزر سوداء وعليه فروات سمور ، لما هو فيه من البرد وفوقهما دراعة خزر أسود مبطنة بالسمور أيضاً ، وقلنسوة طويلة وعمامة خزر سوداء ، وهو عليل لما به وخلف الرشيد خادماً يمسكه لئلا يميل يديه ، والفضل بن الربيع جالس بين يديه ؛ فقال للفضل بن الربيع : مر بكرةً بإحضار ما معه من الكتب السرية ! فأنكرها وقال : ما معي الا الكتب الي أوصلتها . فقال للفضل : توعدّه واعلمه إن لم يفعل قتلتّه ؛ فأقام بكر على الإنكار فقال الرشيد بصوت خفي : قنبوه ! فجيء به وجيء بالقنب فقنب من قرنه الى قدمه . قال بكر : فأيقنت بالقتل ، وأيست من

نفسى ، وعملت على الإقرار ، فأنا على ذلك حتى أحضر الرشيد أخ رافع وقرابته الذي كان معه فقال الرشيد : يتوهم رافع أنه يقتلني ، والله لو كان معه عدد نجوم السماء لنلقطنهم واحداً بعد واحد حتى أقتلهم عن آخرهم ! فقال الرجل : الله الله يا أمير المؤمنين ، فإن الله يعلم وأهل خراسان آتي بريء منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله في وفي هذا ! فقال له : قطع الله لسانك ، أنا والله منذ كذا وكذا أدعو الله بالشهادة فلما رزقتها على يدي شر خلقه أخذت لي الاعتذار . فأغتاظ الرشيد وقال : عليّ بجزارين ! فقال له قرابة هارون : افعل ما شئت ، فإننا نرجو أن نزرور نحن وأنت بين يدي الله تعالى في أقرب مدة ، فتعلم كيف يكون حالك عند الله . فلم يسمع لهما وأمر بهما فقطعا عضواً عضواً ، فوالله ما فرغ منهما /88/ حتى توفي الرشيد . فقال بكر بن المعتمر : وأنا أتوقع القتل بعدهما حتى أتاني غلام لأبي العتاهية ، قد بعث به مولاه وكتب في راحته شيئاً أرانيه فإذا هو :

هي الايام والغير وأمر الله ينتظر
أتأس أن ترى قرجاً قافين الله والقدر

فوثقت بالله وقويت نفسي ثم سمعت وافية لا أفهم معناها ، فإذا الفضل بن الربيع أقبل إلي وقال : حلوا أبا حامد فقلت : ليس هذا بكنتي . فحللت ودعا لي بخلع فخلعت علي ثم قال : عظم الله أجرك في أمير المؤمنين هارون الرشيد ! ثم أخذني وأدخلني بيتاً ، فإذا الرشيد مسجى فيه ؛ وكشفت عن وجهه فلما رأيته ميتاً سكنت روعتي ثم قال : هات الكتب الباطنة التي معك ! فطلبت صندوقاً للمطبخ قد نفقت قوائمه وجعلت الكتب فيها وجعل الجلد فوقها فشق الجلد وكسرت القوائم ، وسلمت الكتب إلى أصحابها وأخذت الاجوبة وانصرفت إلى بغداد ، انتهى .

وقد ذكر أبو الحسن القاضي هذين البيتين لابي العتاهية وزاد بينهما بيتاً

ثالثاً وهو :

ولا تجزع وإن عظم الـ جلاء ومسك الضرر

قال في كتاب النصائح لابن ظفر : إنه لما اشتد مرض الرشيد بطوس أحضر طبيباً طوسياً ، وأمر أن يُعرض عليه ماؤه مع مياه كثيرة لمرضى . وأضحى فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصي ، فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته ! فأقيم وأمر بالذهاب /88ب/ فذهب ويثس الرشيد من نفسه فتمثل قائلاً :

إنَّ الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نخبٍ قد أتى
يا للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يرىء مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس أرجفوا لموته ، فاستدعى حماراً ، وأمر أن يُحمل عليه فاسترخت فخذه ، فقال : انزلوني ، صدق المرجفون ! ثم دعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشق له قبراً أمام فراشه ثم إنه اطلع فيه ثم قال : «ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه» (الحاقة 29) ! فتوفي رحمه الله تعالى من يومه . انتهى .

قال اليافعي في تاريخه : لما مرض الرشيد واشتد عليه البرد حتى أنه يفرش له الرماد السخن فينام عليه ويغطوه بأربعة عشر لحاف سمور وهو يطير من البرد ويقول : يا من لا يزول ملكه ، ألطف بعبد زال ملكه ! وهو يكررها حتى قضى عليه الى رحمة الله . انتهى .

قال ابن عبدوس في كتاب الوزارة : غلط جبريل بن بختشوع في علته في علاج عالجه به كان سبباً منيته ؛ فهم أن يفصل أعضائه فقال : انظروني غداً ، فإنك تصبح في عافية ، فمات ذلك اليوم ، انتهى . وقيل إنه رأى مناماً أنه يوم بطوس فبكى وقال : احفروا لي قبراً ، فحفروا له . وكان سبب ذهابه الى طوس

أنه كان غازيًا الى بلاد الترك .

قال الملك المؤيد في المختصر : في سنة اثنتين وتسعين ومائة سار الرشيد من الرقة الى خراسان فنزل بغداد ورحل عنها الى النهروان ، لخمس خلون من شعبان ، واستخلف على بغداد ابنه الأمين . ثم دخلت سنة /89/ ثلاث وتسعين ومائة ، فيها مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة . وكان به مرض من حين ابتداء بسفره ، اشتد عليه بجرجان في صفر ، فسار الى طوس فمات بها في التاريخ المذكور . وكان قد سير ابنه المأمون الى مرو . وحفر الرشيد قبره في موضع الدار التي كان فيها ، وأنزل فيها قومًا ختموا فيه القرآن وهو في محفة على شفير القبر . وكان يقول في تلك الحالة : واسوءتاه من رسول الله ﷺ ! ولما دنت منه الوفاة غشي عليه ، ثم أفاق فرأى الفضل بن الربيع على رأسه فقال : يا فضل !

أحين دنا ما كنتُ أخشى دنوه رمّني عيون الناس من كلّ جانب
فأصبحتُ مرحومًا وكنتُ محسبًا فصيرًا على مكروه مرّ العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا وأندبُ أيام السرور الذواهب

ثم مات رحمه الله وصلى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح ومسرور وحسين . وكانت خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يومًا . وعمره سبع وأربعون سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وكان جميلًا أبيض قد خطّه الشيب . انتهى

قال الصولي : خلف الرشيد مائة ألف ألف وخمسمائة وعشرون ألف دينار . كذا /89ب/ حكاها الحافظ السيوطي في كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء .

قال الملك المؤيد : وكان الرشيد يتصدّق من صُلب ماله في كلّ يوم بألف درهم . انتهى . ركان محبًا للغزو ، له صولة وفتكات في الكفرة ، وفتح هرقله

والصفصاف في بلاد الروم ، وأخذ الخراج عن قيصر ملك الروم . وسبب ذلك ما حكاه المؤيد أن في سنة سبع وثمانين ومائة خلع الروم ملكتهم ، وكانت امرأة ، تدعى رُمَي ، وملكوا عليهم نقفور . فكتب الى الرشيد : «من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب . أمّا بعد ، فإنّ الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرُّخ وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه اليها ، لكن ذلك من ضعف النساء وحمقهن . فإذا قرأت كتابي هذا اردّد ما حصل لك من أموالها والآل سيف بيننا وبينك !» .

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب ، وكتب على ظهر الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم . وقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه !» . ثم سار الرشيد من يومه حتّى نزل على هرقله ففتح وغنم وخرب ، فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابه . ثم بعد هذا سار الرشيد سنة تسعين ومائة في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الأتباع والمتطوعة حتّى نزل على هرقله وحصرها ثلاثين يوماً ، ثم متجهاً في شوال من سنة 90/ تسعين المذكورة وسبى أهلها ، وبث عساكره في بلاد الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا . وبث نقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضاً ورأس ولده وبطارقه وغزا قبرس في هذه السنة بعد نقضهم الصلح . وكان الغزو على يد معتوق بن يحيى عامله على سواحل مصر والشام . ثم قصد غزو الترك في سنة اثنتين وتسعين كما قدمنا ، وسار الى أن بلغ طوس ومات بها ، رحمه الله . كذا حكاه المؤيد .

قال أبو الشيص يرثي الرشيد رحمه الله تعالى :

غُرِبَتْ في الشرق شمس فلها عينان تدمع
ما رأينا قط شمساً غُرِبَتْ من حيث تطلع

وكانت له ، رحمه الله ، رواية في الحديث . قال الصولي : حدثنا عبد الله بن خلف قال : حدثني جدّي الحصين بن سليمان الضبي قال : سمعت الرشيد يخطب فقال في خطبته : « حدثني مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة . حدثني محمد بن علي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال قال النبي ﷺ : نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن » . انتهى .

قال المؤيد وكان له من البنين الأمين من زبيدة ، والمأمون من أم ولد اسمها مراجل ، والقاسم والمؤمن ، والمعتصم محمد ، وصالح ، وأبو عيسى محمد ، وأبو يعقوب ، وأبو العباس محمد ، وأبو سليمان محمد ، وأبو علي محمد ، وأبو محمد وهو اسمه ، وأبو أحمد محمد ، كلهم لأمهات أولاد وخمس عشرة /90ب/ بتّا . وعهد بالخلافة الى الأمين ثم من بعده الى المأمون . وكتب بينهما عهداً بذلك ، وجعله في الكعبة وجعل ولده القاسم ولقبه المؤمن ولي العهد بعد المأمون ، وجعل أمر استقراره وعزله الى المأمون ، إن شاء استمره وإن شاء عزله . ولما مات الرشيد كان ولده الأمين ببغداد وولده المأمون بمرو ، فقام بجنازته ولده صالح . وبويع للأمين في العسكر وهو ببغداد ، واستتاب الامر أخوه صالح ، وكتب لآخيه الأمين بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم ، وأرسل معه خاتم الخليفة والبردة والقضيب ، وسار حتى قدم بغداد في اثني عشر يوماً ودخلها في نصف جمادى الأخير وسلّم ذلك للأمين ، وأخذت له البيعة ببغداد .

قال أبو نواس :

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| جرت جوار بالسعد والنّحس | فنحن في مأثم وفي عرس |
| أقبلت تبكي والعين ضاحكة | فنحن في وحشة وفي أنس |
| يضحكننا القائم الأمين ويـد | كينا وفاة الإمام بالامس |

بدران بذّر أضحى ببغداد في الـ خلد وبذر بطوس في الرّمس
وبقي صالح والفضل بن الربيع في العسكر .

قال ابن عبدوس في كتاب الوزارة : لمّا مات الرشيد جمع الفضل بن
الربيع وجوه دولة الرشيد من القواد والجند ، وأغواهم على كلّ ما أوصى به
الرشيد للمأمون من المال والسلاح ، كما قدمنا وساقه كله الى الامين . وكان
المأمون بخراسان والفضل بن الربيع لم يلتفت اليه ، فبلغ المأمون /91/ ذلك
فعزم على إرسال طائفة من عسكره ليتعرضوا له في طريقه لمّا انفصل عن
موضع وفاة الرشيد من طوس وهو يريد نحو العراق ، فأشار الفضل بن سهل
على المأمون بأن لا يتعرض له ، وخاف عاقبة الامر وأن يكون سبباً للخلاف بين
الامين والمأمون ، فاستصوب المأمون رأيه وترك ما قد كان عزم عليه من
التعرض للفضل بن الربيع . وقدم الفضل ببغداد ، ففرح به الامين وأسرّه بما
فعل من مخالفة كلام الرشيد بما أوصى به للمأمون . وتمكّن الامر للامين
وخلع على الفضل بن الربيع وقرّره على وزارته الى أن تمكّن من الامين ، فصار
يفريه على خلع المأمون من ولاية العهد خوفاً على نفسه مما فعله ، وكان هو سبب
الفتنة بينهما على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الثاني

في

دولة أمير المؤمنين

أبي عبد الله محمد الأمين

وهو الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي الهاشمي . ولي الخلافة بعهد من أبيه ، وبويع له بالخلافة في عسكر الرشيد في صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد وهو إذ ذاك ببغداد وكان المأمون بمرور . فكتب له أخوه صالح بالوفاء والبيعة وأرسل له الخاتم والبردة والقضيب فجددت له البيعة العامة ببغداد حين بلغه رجاء الخادم بذلك وصلى بالناس الجمعة ، فخطب خطبة بليغة . وتحوّل إلى قصر الأمانة ثم قدمت عليه /91ب/ أمه زبيدة من الرقة ، ومعها خزائن الرشيد ، فتلقاها ابناها الأمين بالأنبار ومعه جميع وجوه بغداد . كذا قال المؤيد .

وكان الأمين من أحسن الشباب صورة ، أبيضاً طويلاً جميلاً ، ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة ، وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة ، لكن كان سيء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرأي أرعن ، لا يصلح للامارة . فأول ما بويع للخلافة أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب الكرة .

وذكر ابن المظفر تقي الدين بن عمر بن شاهنشاه في تاريخه المسمى بالمضمار أن الأمين كان صغير العينين ، شديداً في بدنه ، قبيح السيرة ، سفاكاً للدماء ، ضعيف الرأي ، سخياً بالمال ، بخيلاً على الطعام . انتهى .

وذكر الملك المؤيد في المختصر أنه كان سبطاً أنزع ، صغير العينين أقنى

جميلاً طويلاً ، وكان منهمكاً في اللذات وشرب الخمر ، حتى أرسل الى جميع البلاد في طلب الملهمين وضمهم اليه ، وأجرى عليهم الارزاق واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقسم الأموال والجواهر في خواصه وفي الخصيان والنساء . وعمل خمس حراقات في دجلة على صورة الأسد وعلى صورة الفيل وعلى صورة العقاب وعلى صورة الحية وعلى صورة الفرس ؛ وأنفق عليها مالا عظيماً وفي ذلك يقول أبو نواس شعراً :

سخر الله للامين المطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سار براً سار في الماء راكباً ليث غاب
عجب الناس اذ رأوك عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب /92/
ذات سور ومنسر وجناح من تشق العباب بعد العباب
انتهى . وكذا ذكر الخطيب في تاريخ بغداد .

ذكر ابن رشيقي القيرواني (وصحته : الرقيق . انظر في المقدمة في المصادر حول هذا اللبس) في كتاب قطب السرور عن اسحاق الموصلي قال : اجتمعت في محمد الامين خصال لم تكن في غيره من الملوك ، كان أحسن الناس وجهاً ، وأسخاهم على دينار ودرهم وأشرف الخلفاء أباً وأماً ، وكان حسن الأدب عالماً بالشعر ، وكان يقول لي : يا اسحاق انشدني محاسن الشعر ! فأنشده ؛ فيطرب ويشرب ويقول : أنا والله أطرب على جيد الشعر كما أطرب على جيد الغناء !

قال الفضل بن الربيع : قعد محمد الامين يوماً ينظر في المظالم على فرش لبود ، وعليه مبطنة وقلنسوة وشي وطيلسان أزرق . فأمر ونهى ووقع في نحو ثمانية وأربعين نوقياً بأجزل الكلام . وقيل إنه وقع في ثمانمائة نوقياً . قال : فوالله لقد أصاب فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ . ولقد عرضت على أولي الدواوين والفقهاء فما وجدوه خالف حكماً في قضية واحدة منها . فلما انقضى المجلس قال للفضل بن الربيع : أتراني لا أحسن الأمر والنهي ؟! قال ، فقلت : يا أمير

المؤمنين ، والله رأيت من بلاغتك ومعرفتك بالاحكام ما لا رأيته في أمير المؤمنين الرشيد فقال : صدقت ، ولكني رأيت شرب الكاس ، وشم الآس ، والاستلقاء من غير نعاس ، أعود وأحب إلي !

وكان قد هان عليه القبيح فاتبع هواه ولم ينظر في شيء من غفلته ، وكان مع سخائه بالمال أبخل الناس على الطعام /92ب/. وكان لا يبالي أين قعد ولا مع من شرب .

قال عبد الله بن أيوب التميمي أنشدت الى محمد الامين أول ما ولي الخلافة :

لا بدّ من سكرة على طربٍ لعلّ رَوْحًا بذاك من كربٍ
فعاطينها صهباء صافية تضحك في لؤلؤ على ذهبٍ
خليفة الله أنت منتخبٌ بخير أُم من هاشم وأبٍ

قال فأمر لي بمائة ألف درهم . انتهى .

قال المسعودي في مروج الذهب : ما ولي الخلافة الى وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى علي بن أبي طالب وابنه الحسين رضي الله تعالى عنهما والامين بن الرشيد ، فإن أمه زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور واسمها أمة العزيز وزبيدة لقب غلب عليها . انتهى .

قال الثعالبي في لطائف المعارف كان أبو العيناء يقول : لو نشرت زبيدة ظفائرها ما تعلقت الا الخليفة أو ولي عهد ، فإن المنصور جدّها ، السفاح أخو جدّها ، المهدي عمها ، الرشيد زوجها ، الامين ابنها ، المأمون والمعتصم أبناء زوجها ، الواثق والمتوكل كلّ أبناء ابن زوجها . ونظيرتها من بني أمية عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فإن يزيد أبوها ، معاوية جدّها ، معاوية بن يزيد أخوها ، مروان بن الحكم حموها ، عبد الملك زوجها ، يزيد ابنها الوليد ابن ابنها ، الوليد وهشام ابني زوجها ، يزيد وابراهيم أبناء الوليد ابني ابن زوجها . انتهى .

ذكر ابن رشيقي القيرواني (وصحته : الرقيق ، كما تقدم بيانه) عن اسحاق الموصلي قال : شرب /93/ الامين على بساط نرجس ، وخادمه كوثر يسقيه ، ونظر الى البدر قد طلع فقال هذا الشعر :

وصَفَ البدرَ حُسْنَ وجهك حتَّى خِلْتُ أَنِّي وما أراك أراكَ
وَإِذَا ما تنفَسُ النُّرجسُ الغَضُّ توهمته يتنَسَّمُ شذاكَ
خُدَعٌ لِلْمَنَى تُعلِّلُنِي فيكَ فإِشراقُ ذا وتَهْتِكُ ذاكَ
لأَقِمنَ ما حَيَّيتُ على السُّكْرِ ر أَهَذَا وَذاك إِذْ حَكَاكَ
انتهى .

وكان له حبّ وشعف بكوثر هذا ، وفيه يقول أيضًا :

ما يُريدُ النَّاسُ من طَبِّ بَمَنْ يَهْوَى كَثِيبُ كُوثرَ ديني
ودنيائي وسُقْمِي وطَبِيبِ

أعجزُ الناسُ الذي يلحِي بِحَبِّكَ في جِيبِي

قال الصولي : حدّثنا أبو العيناء قال حدّثنا محمد بن عمر الرومي قال خرج كوثر خادم الأمين ليرى ، فأصابته رَجْمَةٌ في وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ثم قال :

ضربوا قَرَّةَ عيني ومن أَجَلِي ضربه
أُخذَ اللهُ لِقَلْبِي من أَناسِ حَرَقوه

ولم يقدر على زيادة . فأحضر عبد الله بن أيوب التميمي الشاعر ، فقال له : قل عليها ! فقال :

ما لِمَن أَهْوَى شِيبَةً فيهِ الدنيا تَبِيه
وصله حلوه ولكن

مذ رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثلما قد حسد القائم بالملك أخوه

فأَوْقَرَ له ثلاثة نعال دراهم . فلما قتل الأمين جاء التميمي الى المأمون
وامتدحه فلم يأذن له ؛ فالتجأ الى الفضل بن سهل /93ب/ فأوصله الى المأمون
فلما سلّم عليه قال : هيه يا سميّ «مثلما حسد القائم أخوه» فقال التميمي :

فضُرُّ عبد الله لما آتاهم قد ظلموه
نقض العهد الذي قد كان قدّما أكدوه
لم يعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

فعفا عنه وأمر له بعشرة آلاف درهم . انتهى .

ذكر ابن رشيّق عن الفضل قال : قال الفضل بن الربيع لما خلع الأمين
أخاه المأمون ، وبعث عليّ بن عيسى بن ماهان لمحاربتة فلقية طاهر بن الحسين
وهرثمة بن أعين فقتله وهزم عسكره ووجوه قوّاده واحتوى على الاموال
الجليلة التي جمعها ؛ فدخلت على محمد الأمين فوجدته جالساً على البركة ومعه
كوثر الخادم وبيد كلّ واحد منهما قصبة وهم يصطادون السمك . انتهى .

قال بعضهم إنّ الأمين قال للمخبر الذي أخبره بخبر عليّ بن عيسى بن
ماهان وما كان منه : أني لم أصد إلا سمكتين بخلاف كوثر فإنه صاد أكثر مني !
وهذا غاية اللهو وعدم الاعتناء بالامور ، ولذا قال فيه بعضهم :

إذا غدا ملكٌ باللّهُ مُشْتَغلاً فاحكم على ملكه بالويل والخربِ
أما ترى الشمس في الميزان هابطة ما غدا وهو يربح اللّهُ والطربِ

قال الدميري : وكان محمد الأمين لعاباً لا يصلح للخلافة ، مشغلاً باللّهُ
واللذات ، مبدراً للأموال .

قيل إنه أعطى /94/ لاسحاق بن ابراهيم الموصلّي ألف ألف درهم في لحته

الذي صنعه فيه ، وهو :

يا أيها القائم الأمين فدت نفسك نفسي بالمال والولد
بسطت للناس إذ وليتهم يدا من الجود فوق كل يد

قالت شهوات الصناجة التي أهداها اسحاق الى الواثق : إن اسحاق لمّا غنى هذا اللحن لمحمد الأمين أمر له بهذا المال رأيتَه قد دخل دارنا يحمله مائة فراش . كذا حكاه صاحب الاغاني .

قينة لطيفة وقنة ظريفة

ذكر في كتاب الاغاني أن الأمين كانت محبوبته بذل ، وله شغف بها ، وهي جارية من مولدات المدينة ، رُبِّيت بالبصرة . كانت حلوة الوجه موصوفة بكثرة الرواية . قيل إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت ، ولها كتاب في الاغاني يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، عملته لعلّ بن هشام . وكانت لجعفر بن موسى الهادي ، فوصفت لمحمد الأمين ، فبعث الى جعفر يسأله أن يريه إياها ، فأبى فقال له : بعني إياها ! فقال : مثلي لا يبيع جارية . قال : فهبها لي قال : إنها مدبرة . فاحتال عليه يوماً حتى أسكره ، وأمر ببذل فحُمِلت الى حراقتة وانصرف بها . فلما انتبه جعفر سأل عنها فأخبر بخبرها . فسكت فبعث اليه الأمين من الغد فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئاً ، فلماً أراد الانصراف قال الأمين : أوقروا حراقة ابن عمي دراهم ! فأوقرت ، فقيل إن المال كان عشرين ألف ألف درهم .

وبقيت بذل عند الأمين حتى قُتل ، فخرجت /94ب/ ومعها من الجواهر ما لم يملكه أحد مثلها . فرغب اليها وجوه القواد والكتاب في التزويج ، فأبت وأقامت على حالها تباع من ذلك وتنفقه حتى ماتت .

وكان ابراهيم بن المهدي يعظمها ثم تغير ذلك ، فصارت اليه ودعت بعود

فغنت في طريقة واحدة وإيقاع واحد وإصبع واحدة مائة صوت ، لم يعرف منها
ابراهيم صوتاً . ثم انصرفت فلم يدخل ابراهيم داره حتى طال طلبه لها وتضرعه
اليها في الرجوع اليه .

وغنت يوماً بين يدي المأمون :

إن ترني ناحِلَ البدنِ فلطولِ الهمِّ والحزنِ
كان ما قد كان واخزني ليتهُ والله لم يكنِ

فطرب وقال : أحسنت ! ووصلها بمال طائل ، ثم شرب أقداحاً وقال لها :
غني ! فغنت : «ألا لا أرى شيئاً ألدَّ من الوعد» فجعلته «ألا لا أرى شيئاً ألدَّ
من السَّحق» فوضع المأمون القدح من يده وقال : بلى والله يا بذل النيك ألدَّ من
السحق ! فخافت غضبه وتشوّرت ، فأخذ القدح وقال : أتمّي صوتك وغني
! فغنت وقالت :

ألا لا أرى شيئاً ألدَّ من الوعد ومن أملِي فيه وإن كان لا يُجدي
فقال : زيدي فيه :

ومن غفلة الواشي إذا ما انتباهنا ومن زورتي إتيانها خالياً وخدي
ومن ضحكة في الملتقى ثم سكتة وكلتاها عندي الذّ من الخلدِ

سِمة سنية وشِمة رضية

95/ حكى الحافظ جلال الدين السيوطي في فاكهة الخلفاء عن اسحاق
الموصللي قال : في الأمين خصائل لم تكن في غيره ، كان أحسن الناس وجهاً ،
وأسخاهم ، وأشرف الخلفاء أباً وأماً ، حسن الأدب عالماً بالشعر . وقال
أبو الحسن الاحمر : ما رأيت في أولاد الملوك أركى منه ومن المأمون . انتهى .
قال الصولي : حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال : رأيت عند الحسين بن

الضحاك جماعة من بني هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل فسأله عن الامين وأدبه ، فوصف الحسين أدباً كثيراً قيل : فالفقه ؟ قال : كان المأمون أفقه منه . قيل : فالحديث ؟ قال : ما سمعت منه حديثاً إلا مرة ، فإنه نعى اليه غلام له مات بمكة فقال : حدثني أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول من مات مُحَرِّمًا حُشِرَ مَلَبِيًّا . انتهى .

قال الدميري في حياة الحيوان عن الأصمعي أنه قال : دخلت على الرشيد ، وكنت قد غيت عنه بالبصرة حوّلين ، فسلمت عليه بالخلافة فأوماً السّي أن اجلس . فجلست حتى خفّ الناس ثم قال لي : يا أصمعي ، ألا تحب أن ترى محمداً وعبد الله ابني ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، لأحبّ ذلك ، وما أردت القصد الا اليهما لأسلم عليهما . فقال : لك ذلك . ثم قال : عليّ بمحمد وعبد الله ! فانطلق الرسول وقال : أجيئاً أمير المؤمنين . فأقبلا كأنهما قمرًا أفق قد قاربا خطاهما ورَميا ببصرهما الارض حتى وقفا على /95ب/ أيهما فسلما عليه بالخلافة ، فأوماً اليهما بالجلوس ، فجلس محمد عن يمينه وجلس عبد الله عن يساره . ثم أمرني بمطارحتهما الأدب ، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الادب الا أجابا فيه وأصابا . فقال : كيف ترى أديهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما ، فأطال الله بقاءهما ورزق الامة رأفتهم ومِعْطَتَهُمَا ! فضتّهما الى صدره وسبقت عبرته ، فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته . ثم أذن لهما في القيام ، فنهضا حتى إذ خرجا قال لي : يا أصمعي ، بهما إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويودّ كثيرٌ أنهم لو كانوا موتى ! قلت : يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما أو شيء أخبر به العلماء في أمرهما ؟ قال : لا ، شيء أخبر به العلماء عن الأولياء عن الأنبياء في أمرهما . انتهى .

وكان المأمون يقول في خلافته : كان الرشيد سمع جميع ما يجري بيننا من

موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فلذلك قال ما قال . انتهى
 وكان الامين له نظم جيد ، دقيق المعنى ، سلس العبارة ، من ذلك ما خاطب
 به أخاه المأمون وعيَّره بأُمِّه لما بلغه عنه أنه يعدّ مثالبه ويفضل نفسه عليه :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| لا تفخرنَّ عليك بعد بقية | والفخر يكمل للفتى المتكامل |
| وإذا تطاولت الرجال بفضلها | فارجع فإنك لست بالمتطاول |
| أعطاك جدُّك ما هوئت وإنما | تلقى خلاف هواك منه مراجل /96/ |
| تعلو المنابر كل يوم آملا | ما لست من بعدي اليه يواصل |
| مُتَعَيِّب من يعلو عليك بفضله | وتعيد في حقي مقالَ الباطل |

يشير بذلك الى أنه ابن أمة ، وأنه لا يلقى إلا مرتبتها التي هي مرتبة الموالي .
 وكان اسمها مراجل ؛ قيل أهداها للرشيـد علي بن عيسى بن ماهان فوهبها الى
 زبيدة ثم ردتها عليه في عشرة جوارى ، منهنَّ فاردة أم المعتصم ومراجل هذه
 أم المأمون . وقد تقدّم ذلك عند ذكر دنائير في الباب الأول في خلافة الرشيد .
 وذكر صاحب عيون التواريخ وغيره أن المأمون مرَّ يوماً على زبيدة أم
 الامين بعد قتل الامين ابنها فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه ، فقال لها : يا
 أمّاه ، أتدعين عليّ ، كوني قتلتُ ابنك وسلبتك ملكه ؟ قالت : لا والله يا أمير
 المؤمنين ! قال : فما الذي قلته ؟ قالت : تعفيني يا أمير المؤمنين ! فألحَّ عليها
 وقال : لا بدّ أن تقولي . قالت : قبح الله الملاححة ! قال : وكيف ذلك ؟
 قالت : لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد الشطرنج على الحكم
 والرّضى . فغلبنى . فأمرني أن أتجرّد من أثوابي وأطوف القصر عريانة ؛
 فاستعفيتها فلم يعفني ، فتجرّدت من أثوابي وطُفت القصر عريانة ، وأنا متنفّذة
 عليه . ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقبح جارية
 وأشوهها فيه ! فاستعفاني من ذلك ، فلم أعفه . فبذل لي خراج مصر والعراق
 فأبنت وقلت : /96ب/ والله لتفعلنّ ذلك ! فأبى فلححت عليه وأخذت بيده

وجئت به المطبخ فلم أر جارية أقبح ولا أقدر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فعليقت منه بك ، فكان سبيًا لقتل ولدي وسلبه ملكه . فولّى المأمون وهو يقول : لعن الله الملاححة ، [أنا] الذي لححت عليها حتى أخبرتني بهذا الخبر . ولقد بلغني على خلاف هذه الرواية . انتهى .

مؤانسة إخوان ومسامرة خلان

قال في كتاب لب اللبيب لابراهيم الأشعري إن محمدًا الأمين قال يومًا للحسن بن هانيء : حدثني بأغرب ما رأيته أو سمعته ؛ فقال : يا أمير المؤمنين حججت سنة ، أنا والفضل بن الربيع ، في أيام الرشيد حتى صرنا ببلاد بني فزارة في أوائل أيام الربيع ، فنزلنا منزلاً ذا روض أتيق ، ونبت رشيق ، وتراب كالكاפור ، وقد حل بنواحيها النور ، وذلك حين اكتست الأرض عميم نبتها الزاهر ، وألححت بأنواع حسناتها الباهر ، وقصّر عن حسناتها ووصفها النمارق المصفوفة والزراعي المبثوثة ، فزانت بزهرتها الابصار ، وترادفت بيهجتها الانوار ، وارتاحت القلوب والافكار ، وابتهجت بنسيمها بهجة الاطيار وطابت بنسماتها مجامع النفوس والاورطار ، فلم تلبث أن أقبلت السماء فأنهلت ، وانشقت ثرياتها وتدلت ، وتداني من الأرض ركام سحبها وأخضلت ، كما قال عبيد بن الأبرص :

دار منيف فوق الأرض مشرفة / يكاد يرفعها من قام بالراح

ثم هملت السماء بردًا هاطلاً ورشًا وابلاً ، حتى تركت بقاع الأرض كالوهاد ثم أقلمت والغدران مترعة تندفق ، والقيعان مفضلة تتألق ، والرياح عيقة والرياح مغدقة ، والحدائق مؤنقة والاشجار مورقة ، فسرحت طرفي منها في أحسن منظر ، واستنشقت من رياضها أطيّب من المسك الأذفر ، ثم قلت لزميلي : امض بنا الى هذه الخيام ، لعلنا نجد من عندها خبراً نرجع به الى بغداد . فسرنا جميعاً حتى انتهينا الى أولها وإذا بخيلاء على بابه جارية متبرقة ، وهي

ترنو بطرف مريض وسنان ، قد حُشي فتوراً وامتلا سحرًا ، فقلت لزيملي : والله إن هذه لترنو بمقلة لا رُقِيَةَ لسليمها ، ولا براء لسقيمها ، فهل لك أن تستنطقها ولو استسقيناه ماء حتى يكون سببًا لكلامها ؟ ثم بلغنا ، فاستسقيناه ماء فقالت : نعم حبًا وكرامة ، وإن نزلتما فعلى الرّحب والسلام ! ثم قامت تتهادى كأنها غصنُ بانٍ ، أو قضيب خيزران ، يتمايل من خلفها كِفْلٌ رجراج يترك قلب ناظره مهتاج . فراعني ما رأيته منها ثم أتت بالماء فشربت ثم صبيت فضيلته على رجلي ، ثم قلت لصاحبي : هل لك أن تتعرض الى كشف وجهها ! فقال : ومن لي بذلك ؟ فلما عادت بالماء الى صاحبي وشرب قلت له : أفهمت يا أخي وسمعت معنى الذي يقول :

إذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع / 97ب/
تريك بها أعينا للمها وتكشف عن منظر أشنع
فخلّيه عنك ولا تلبسيه فبئس المصاحب في المضجع

قال : فمضت مسرعة ، وأقبلت راجعة وقد أماطت البرقع ، ولبست خماراً أسود وهي تقول :

ألا حيُّ ركبني معشر قد أراهما أطلا ولمّا يعرفَا مُنتهاهما
هما استسقى ماء على غير ظمية ليستمتعا باللحظ ممن سقاها
يذمّان إلباسَ البراقع دائماً كما ذمّ شخصٌ سلعتين اشتراها

قال الحسن بن هانيء : فشبهت كلامها بعقود لها نظيمة ، وهي كالدارة اليتيمة ، ولها نعمة عذبة رخيمة ، لو خوطب بها الصمّ الصلاد الصلاد لأنبجس ماء الجلامد الصعاد ، لعذوبة منطقتها وحسن وجهها ورونقها ، وجهها مضىء ، فيه حسن تنصرف اليه القلوب ، وتتألف اليه مُهَج النفوس من ذات الشمال والجنوب ، ويعزّب عن إدراكه فهم الألباب ، ويحار في نهاية صفته

أفكار الشيوخ والشباب ، فلم أتمالك أن خررت لله ساجداً ، وأطلت السجود من غير تسبيح ولا تقديس للمعبود . فقالت لي : أيها الانسان ارفع رأسك غير مأجور ، وأمض بحجك غير مبرور ، ولا تدم بعدها برقعاً ، فلربما آنكشف البرقع عما يصرف الكرى ، ويحلّ القوى ، ويطيّل العناء من غير بلوغ إرادة ولا إدراك طلبية ولا قضاء وطر ، فإنما يكون الخطب المجلوب والقدّر المكتوب والأمل المكذوب . قال : فبقيت معتقلاً اللسان عن الجواب ولم اهتد طريق الصواب . فالتفت إلي صاحبي لما رأى كثرة /98/ هلّعي ، وطول جزعي ، وقال لي كالمسلي لي عما رآه : ما هذه الخفة من أجل بارقة وجهه منه برقعته حسن لا تدري ما تحته ، أما سمعت قول ذي الرمة :

على الوجه منها مسحة من ملاحه وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

فقلت : قاتلك الله ، ما أنا ممن ذهبت إليها هذا المعنى ، ولكني كما قال الشاعر :

منعمة حوزاء يجري وشاؤها على وكشج مرتج الروادف أهضم
لها بشر صاف وناهيك حسنه ويا حسن أوصاف بأحسن مفضم
كتانية الاطراف سعدية الحشا حجازية العينين طلبية الفم
وكوفية في الحسن قد تم حسننها ورومية في اللون ظاهرة الدّم
لها حكم لقمان وصورة يوسف ونعمة داود وعفة مريم

ثم رفعت ثيابها حتى بلغت منكبيها وجاوزت نحرها ، فإذا بقضيب فضة قد رُشّ بماء الذهب ، يهترّ على مثل نقاء الرمل ، وصدر كالوديلة عليه كعبان كالرمانتين ، وخصر لو رُمّت عقده لانعقد على كفل رجراج يقصر فهمي عن نعته وبلوغ صفته ، من تحته هنّ كأنه أرنب جائم أو جبهة ليث نائم ، وفخذين لقاوين وساقين خدلجين عرسان الحجلين ، وقدمين مخصرين كأنهما لسانين ؛

ثم قالت : ثكلتك أمك ، أعارَ على ما ترى ا قلت : لا ، ولكنه سبب للقضاء
 المناخ والموت الذباح ! فما أتممت كلامي حتى خرجتُ اليها عجوز من
 الخباء وقالت امضيا لشأنكما ، فإن قتيل هذه مطلول /98ب/ لا يؤدى ،
 وأسيرها مكبول لا يفدى ! فقالت الجارية : دعيهما ، فمثلهما كمثل
 غيلان حيث يقول :

فإن لم يكن الآ تعلل ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها
 فأنصرفت العجوز وهي تقول :

فما لك منها غير أنك نايلك بعينيك عينيها وهل ذاك ينفعُ

فبينما نحن كذلك إذ ضرب الطبل بالرحيل ، فأنصرفنا وفي من الكمد
 القاتل ، والكرب الداخل ، والحزن الدائم ، والبلاء الملازم ، ما لا أجد له صفة
 ولا أقفُ له على باب معرفة ، فأنشدت يقول :

يا حسرتي فما يحن فؤادي أرف الرحيل لفرقتي وسهادي
 من قبل أن أقضي الذي أملت يا شقوتي ولبيتي ورشادي
 من ذا تحمّل بعض ما حمّله قد ذاب مني مهجتي وفؤادي

قال أبو نواس : فارتحلنا ، فلما قضينا حجنا وأنصرفنا وما تهنأت بعيش في
 حجتي ، ولا خلا قلبي عن ذكرها ، فلما بلغنا الموضع بعينه حططنا رواحلنا ،
 وقد تضاعف حسنه ، وزهرت بهجته ، فالتفت الى زميلي وقلت له : يا صاح
 هل لك في أن تمضي الى صاحبتنا بالأمس وتجلّد عهدا بها ١٩ فساعدني الى
 ذلك وأجابني الى ما هنالك . فمشينا ، فما كان بأسرع من أن أشرفنا على الخيام
 فصعدنا ربوة يَمَمنا الخباء فلم نرها ، فصعدنا ربوة أخرى خضيرة نظيرة فإذا
 الجارية بين خمس جوار لا تميّزها من بينهن في الحسن والجمال ، وهن يجتنبن
 من نوار الزهر . فسلمنا عليهن فرددن /99/ علينا السلام ، فلما رأتنى الجارية

قالت : أأست صاحبتنا بالأمس ؟ قلت : أنا هو . فقلن لها : أهذا الذي وصفته
 لنا ؟ قالت : نعم ! فقلن لها : هل زودتيه شيئاً ؟ فقالت : نعم ، لحداً ضامراً
 وموتاً حاضراً ! فأنتهرتها أنظرهن وجهها ، وأشرقهن قداً ، وأسحرهن طرفاً
 وقالت : ما أحسنن إليه ندباً ولا أوليته سباً ، ولقد أسأت في الرد ، ولم تكافيه
 بالود ، فماذا عليك لو أسعفته بطلبته ، وأسرعته الى قضاء حاجته ، والآن
 المكان خال ، وليس معكما من ينم عليكم ! فقالت : والله لا أفعل ذلك أبداً
 أو تشركنني في حلوه ومره ! فقالت لها : تلك إذا قسمة ضيزى ، تتعشقين أنت
 ويفعل بي أنا ! فقالت لمن أخرى : لقد أطلتن الخطاب في غير رشد ولا
 صواب ، بل اسألوا الرجل أولاً عن بغيته ، فلعل ما أتن فيه ليس بقصده ولا
 طلبته . فقلت لها : بل إياه قصدت وعليه اعتمدت . فقالت : والله ما قصدك
 سواه ولا طلبتك غيره ؟ قلت : أي والله ، وقد علم الله مني ذلك . فقالت :
 حيّاك الله وقربك ، وزادك في حبك ، فمن يكون الرجل وما اسمك ؟ قلت :
 أما الاسم فالحسن بن هانيء ، وأما البلد فالعراق ، وأما ممن فمن سعد العشيرة ،
 وأحد شعراء السلطان الأعظم هارون الرشيد ، وممن يقرب مجلسه ويشغل
 به لسانه وجنانه ، وقد أحرقت صاحبك هذه كبدي ، وأذابت جسدي ،
 وسلبت عقلي وأذهلت لبي ، ومنعتني القرار حتى وصلت الليل بالنهار .
 فقالت : أصبت يا أبا الحسن النطق وحسن اللهجة والصدق ، /99ب/ وأرجو
 أن تبلغ أميتك ، وتعطى طلبتك إن شاء الله تعالى . ثم أقبلت اليهن وقالت لمن :
 عن هذا يرغب ، فتعالين نشترك أونقترع عليه ! ثم قالت لي : أريد أن أسألك .
 فقلت لها : قل لي ما بدا لك ، وأوجزي في سؤالك . قالت : في صبتك بي
 وحبك لي أقلت في شيئاً من الشعر ؟ فقلت : نعم ! قالت : فبالله إلا ما أنشدتنا .
 فأنشدت أقول :

حججت رجاء العفو والأجر قاصداً لخط ذنوبي من ركوب الكبائر

فأبت كما آب الشقي بخفه حين لم أعقل بتلك المشاعر
فلما رجعنا قلت سؤلي لقاءها وإن لم تزرني زرت أهل المقابر

فقلت : وأيم الله لقد أحسنت ! ثم قالت واحدة منهن : بالله لا خالفت
ما قال . وقالت أخرى : قد سمعتن مقالة صاحبنا ، وقد نزل به من الأمر ما
ترين . ثم قالت أخرى : والله لقد حملتموها على خطة دهياء ، وأشرفتن بها على
خبطة عشواء ، بل أجيئوها الى ما دعتكن اليه من الشركة معها فيه ، فيكون
أمركن في الحال سواء . قال الحسن بن هانيء : فلما سمعت منهن ذلك طابت
نفسي وزاد فيهن أنسي ، فقلت لمن : يكون حديثكن هذا ليس شبيهاً بالحال ،
وقد أنصف الغارة من قطعها في الحال ، وقد أطلتن الخطاب فقصرن في الجواب
وإذا اتفقتن على شيء فاتحجوه (كذا في الاصل) قبل أن ينشر في الناس ، فأجمع
رأيهن على ذلك وظننت أن الأمر كذلك / 100 / فقلت إحداهن : تقوم منكن
واحدة . وضربت ثوباً كان معها على باب غار كان قريباً منا . ثم قلن : بمن
يبدأ ؟ فقلت واحدة : بهذه ! فقلت : لا ، إلا بك أولاً ، ولا تحاورن في
الكلام ؛ فقلن لها : لا تكثرن الخصومة ، ولكن يقارعن ، فمن وقعت عليها
القرعة بدأ بها ، وذلك أربي أن تقرعن ولا تحزن . فتقارعن فوقعت القرعة عن
أنظرن وجهها ، وأنعمهن خذاً وأرحمهن ذلاً ، وأحسنهن شكلاً . فقلن لي :
أدخل الغار حتى نصلح من شأنها وندخلها عليك ! فدخلت انتظر دخول
الجارية علي ، وقد حمي جسدي وصار ذكري في يدي وانتفخ حتى صار
كالوذي ، وأصابني القلق الشديد والشوق العتيد . فبينما أنا كذلك إذ دخل
علي عبدٌ أسود ، عظيم جسيم ، فلم يكده يسعه الغار وهو يتشقق كشقيق
الحمار ، وكأنه سارية سدت بالغار ويده شيء كأنه هراوة بغل بحرة ساوّه !
وقد أنعص ، وجعل يمتد ، فقلت له : ما تريد يا شر العبيد ؟ فقال : أريد منك
ما تريد من هؤلاء الجوارى ، ولا بد من ذلك ! فحملني وطرحني على الأرض ،
وجعل يعالجني ولو على إدخال البعض ، فلما رأيت الدين دين سوء صبحت

الى صاحبي بأعلى صوتي ، وأنا والعبد في أعظم جهد ، وهو جالس على صدري . فوصل الي زميلي فخلّصني منه بالوفاء . وخرجت من الغار وإذا بهنّ يتهازلن ويتضحكن ، فمضيت والله ولم أتلّ منهنّ منالا بعد أن كاد العبد يذيقني وبالاً . فقلت لصاحبي : من أين أقبل العبد ؟ قال : كان تحت الرّوبة يرعى /100ب/ غنماً ، فنزلن اليه وجئن به حتى دخل عليك ، ولا علم لي بأمره حتى سمعتُ صياحك ، فأقسمت على صاحبي أن لا يديه على أحد من الناس إلا أن يكون الخليفة من بني العباس . فكنت لا أذكر هذه في جد ولا في هزل إلا استصعبته ولا أحضر شرباً ولا لعباً إلا خطر بيالي فأضحك منه بيني وبين نفسي ، وهذا أعجب ما جرى لي يا أمير المؤمنين ، والله يكفي بكل إنسان سوءاً ! فضحك الأمين من كلامه وقال له : أنت فصيح الأدباء ، وسيد الظرفاء ، وجامع محاسن الشعراء والخطباء ! ثم أمر له بعشرة آلاف دينار . انتهى .



روضة أنيق ورياض رشيق

كان الحسن بن هانيء من ندماء الأمين وجلسائه ومادحيه ، وله فيه مدائح وأشعار ، منها قوله :

تضحك الدنيا الى ملك قام بالآثار والسنن
سنّ للناس الندى فندوا فكأنّ البخل لم يكن

وقوله :

علقتُ بجبل من جبال محمد أمنتُ به من طارق الحدّثان
تغطيت من دهرى فطلّ صباحه فعميني ترى دهرى وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقوله :

أنت الذي تاء الأيدي بحجرته إذا الزمان على أنبائه كلحا

قال الخطيب : مدح أبو نواس محمد الأمين واختص به وصار من ندمائه ،
وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه /101/ ويقول : كيف هذا للخلافة
وجليسه أبو نواس القائل في مجلسه كذا وكذا من الأشعار المطوية على الفسق
والكفر !

وكان أبو نواس قد انفرد في زمانه بإتقان الشعر وإفراط المجون والتهتك .
وقال أبو العتاهية : عيبته على المجون ، فقال :

أتراني يا عتاهي تاركا تلك الملاهي
أتراني مُفسداً بالنسك عند القوم جاهي
فلما ألححت عليه قال :

لا ترجع الأنفس عن عيها ما لم يكن منها لها زاجرُ

فوددت أن هذا البيت لي بجميع ما قلته ، وعلمت أنه لا يُصنفي الى عدل ،
ولم يزل على حاله في مجونه الى أن توفي رحمه الله تعالى . انتهى .

قال الخطيب وذكر ابن رشيق القيرواني (وصحته : الرقيق ، كما تقدم بيانه)
في كتاب قطب السرور قال : رُفع الى محمد الأمين أن أبا نواس زنديق ،
وأشده من قوله أشعاراً يدل على ما قُذف به فأحضره وبرّ بقتله فقال : ما ذنبي
يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولك :

ألا فأسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ
ولا تسقني سيراً إذا أمكن الجهرُ

قال : يا أمير المؤمنين ، أسقاني ؟ قال : كذا أظن ! قال : أفتقتلني على ظنّ ،

وقد قال الله عز وجل : «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» ! ثم قال له : أفأنت الذي تقول :
ما جاءنا أحدٌ يُخبر أنه في جنةٍ قد مات أو في نارٍ

قال : أفجاءه أحدٌ يخبر بذلك ؟ قال : لا ! قال : أفقتلني على الصدق !
فسكت ثم قال له : أفأنت الذي تقول : /101ب/

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصر جبار السماوات

قال : أفقام يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أدري ! قال : أفقتلني على أن لا
تدري ! فقال الأمين : أطلقوه ، فلو أوجب عليه القتل ما كان في حق المروءة
أن يُقتل مثله . ثم نادى بعد ذلك وحظي عنده وكان لا يصبر عليه . انتهى .
كان أبو نواس يقول :

يقولون في الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقار
إذا كنت لا أنفك من أريحية إلى رشاء يسعى بكأس عقار

وكان يقول أيضاً : *مركز تحقيقات كويت*

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| ظلت حُمياً الحب مُستبطناً | حتى تهتك بيننا السُترُ |
| في مجلس ضحك السرور به | عن ماجدية وحلت الخمرُ |
| ولقد تجوَّب في الفلاة إذا | صام النهار وقالت العفرُ |
| سندية رعت الحمى فانت | ملا الحبال كأنها قصرُ |
| تسعى اليك بها بنو أمل | عتبوا فأعتبهم بك الدهرُ |
| أنت الخصيب وهذه مصر | فتدققا فكيلا كما بحرُ |

ذكر بعض العلماء أن في قوله «وحلت الخمر» أربعة أوجه ، الأول أن
طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضياً شرب الخمر ومُلجأ إلى تناولها
ودافعاً لا يُخرج فقيها على مذهب الشعراء في المبالغة ، وفائدة وصفها بأنها

حلّت المبالغة في وصف الحال الحسن ؛ والثاني أن يكون آلى على نفسه أن لا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع بمحبوبه ، وكأن /102/ الاجتماع باء ، فخرج على عادة العرب ، وعلى ذلك قول امرئ القيس :

حلّت لي الخمر وكنت امرءاً عن شربها في شغل شاغل

والثالث يريد بحلّت ، نزلت من الحلول لا من الحلال ، كأنه وصف بلوغ آرائه وأنها تكاملت بحضور الخمر ؛ والرابع أننا استحللنا الخمر بسكرنا وذهولنا .

وكان يقول أيضاً :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسّها حجرٌ مسته سراء
دارت على فتية ذلّ الزمان لهم فلا يصيبهم الا بما شاءوا
لتلك أبكي ولا أبكي المنزلة كانت تحلّ بها هند وأسماء
فقل لمن يدعي في الحب معرفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وكان يقول أيضاً :

فللراح ما زرت عليه جُيوبهم وللماء ما دارت عليه القلانسُ

وكان يقول أيضاً :

كيف التزوع عن الصبا والكأس قسم ذا لنا يا عاذلي بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت بذوي عن أن تجيء الى فمي بالكاس

فكان الجاحظ يقول : وجدنا الشعراء يجاذبون المعاني الآ قول عنتره في

وصف الدبابة :

هَزَجًا يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَذَحَ الْمَكْبَ عَلَى الزُّنَادِ الْأَجْذَمِ

وقول أبي نواس يصف الكأس يعني هذه الايات السينية ؛ فإنَّ أحدًا من الشعراء لا يجسر على التعريض لهما . انتهى . /102ب/

وذكر ابن خلكان في ترجمة أبي نواس قال قال المأمون : لو وصفت الدنيا نفسًا لما وصفت بمثل قول أبي نواس :

أَلَا كُلَّ حَيٍّ هَالِكٍ وَلَبَنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٍ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشِفُ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال : ومن أحسن ما أتى به من المعاني وأغربها ويدلّ على حسن ظنه بالله عزّ وجلّ قوله :

فَكثُرَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنَ الْخَطَايَا فَإِنَّكَ يَا غَفُورًا
سَتُبَصِّرُ إِنِ وُردَتْ عَلَيْهِ غَفُورًا وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلِكًا كَبِيرًا
تَعْضُ نَدَامَةً كَفَيْكَ مِمَّا تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّارِ الشَّرُورَا
انتهى .

وكان أبو نواس يقول أيضًا :

لَقَدْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَجَاهَدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جَهْدِ الْمُتَّقِي
وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الْتِي لَمْ تَخْلُقِ

فاحتج له بعض العلماء في هذين البيتين بأنَّ الانسان إذا خاف شيئاً خافه لحمه ودمه وكأنَّ الاعداء خافته ونطفها في ذلك الوقت دم ، فخافته . وقال آخر خافته ذرية آدم عليه السلام ، منذ أخذ الله تعالى عليهما الميثاق وهي في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام . انتهى .

وحكى بعضهم أن سليمان بن المنصور دخل على الأمين فرفع له أنَّ أبا نواس هجاه ، وأنه زنديق ، وأشار عليه بقتله فقال له : يا عمّ كيف أقتله

وهو القائل :

صدق الثناء على الأمين محمد
فإذا بنو المنصور عُدَّ حِصَاؤُهُمْ
ومن الثناء تكذُّبٌ وتخرُّصٌ
فمحمد ياقوتها المتخلَّصُ

فغضب سليمان وانقطع عن الأمين ، فأمر الأمين بحبس أبي نواس فكتب
إليه أبو نواس من السجن :

تذكر أمين الله والعهد يُذكر
ونثري عليك الدرّ يا درّ هاشم
مقامي وإنشاديك والناس حُضُرُ
فيا من رآك أعلى الدرّ ينثُرُ
ومن ذا الذي يرمي بسهمك في العلى
فإن أك لم أذنب فقيم عقوبتي
وعبد مناف والداك وحميرُ
وإن كان لي ذنب فغفوك أكبرُ

فلما قرأ الأمين الايات قال : **أخرجوه** ولو غضب وُلد المنصور كلهم !

انتهى .

ولأبي نواس أشعار في الغزل والمدح والهجاء منها قوله في الغزل :

مرّ بنا والعيون ترمقه
أفرغ في قالب الجمال فما
يخرج منه مواقع القبل
يصلح الا لذاك العمل

وقوله في الهجاء :

ما أنت بالحرّ فتلحى ولا
فرحة الله على آدم
بالبعد يُرجى نفعه بالعصا
لو كان يدري أنه خارج
رحمة من عمّ ومن خصصا
مثلك من إخليله لأختصى

ومن شعره :

أيها العاتب في الخمـ
رمتي كنت ساقبها / 103ب/

ومن شعره ، يعني ابراهيم النظام :

فقل لمن يدّعي في العلم فلسفة حسبت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو إن كنت امرءاً فطناً فإنّ حظركه بالدين إزراء
ومن شعره في الزهد :

ألا ربّ وجه في التراب عتيق ويا ربّ حسن في التراب دقيق
إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديق

قلت وقد تقدمت هذه البيت الأخيرة على غير هذه الرواية ، ولعلهما روايتان فيراجع ويحرر .

ومن شعره أيضاً :

ذريني أكبر حاسد بك برجله الى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر أرض الخصيب ركبنا والا فإني عاذر وشكور
ومن شعره :

قالوا ظفرت بمن تهوى فقلت لهم الآن أطول ما كانت صباباتي
لا عذر للصبّ إن تهوى جوارحه وقد تطعم قوة بالمواتات
ومن شعره أيضاً :

ألم ترني أفنيتُ عمري بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيئا اليها يغرمني وأعيتني الأمور
حجبت وقلت ورحجت جنان سيجمعني وأياها المسير
ومنه :

يا كبير الروح في الدّمن لا عليها بل على السّكن /104/

سنة العاشق واحدة فإذا أُحِببت فاستتر
ظنّ لي مرقد كلفتُ به وهو يجفوني على الظننّ

قال الملك المؤيد في المختصر : ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة
وفيها مات أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر . وكان عمره تسعاً
وخمسين سنة . انتهى .

ونقل الخطيب البغدادي أنه توفي ببغداد سنة مائتين . والظاهر أن الثاني هو
الصواب ، لأن أبا نواس يحكي أنه أدرك مقتل الأمين ، ورثاه بقوله :

طوى الدهر ما بيني وبين محمد وليس لما طوى المنية ناشر
وكنيت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

ومقتل الأمين كان سنة ثمان وتسعين ، كما حكاها المؤيد ؛ فلا يتصور وفاة
أبي نواس قبل ذلك ، والحال أنه رثى الأمين ، والله أعلم .

ونقل الخطيب أن أبا نواس مات هو ومعروف الكرخي في يوم واحد .
فخرج مع جنازة معروف نحو ثلاثمائة ألف ، ولم يخرج مع جنازة أبي نواس
غير رجل واحد ! فلما دفن معروف قال قائل : أليس جمعنا وأبا نواس
الاسلام ؟! فرجع الناس فصلّوا على أبي نواس ، انتهى .

قال المؤيد ثم دخلت سنة مائتين وفيها أمر المأمون أن يحصى ولد العباس
فبلغوا ثلاثاً وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكر وأنثى . وفيها توفي معروف الكرخي
الزاهد ، صاحب الكرامات ، وكان أبو معروف نصرانياً ، انتهى .

وحكى بعضهم أن أبا نواس رثى في المنام فقيلاً له : /104ب/ ما فعل الله
بك ؟ قال : غفر لي بصلاة الذين صلوا على معروف وعليّ !

ووصى أبو نواس أن يكتب على قبره :

وغطتكم أجداث صمت ونعتك أزمنة حتف

يا ذا المنى يا ذا المنى عش ما بدا لك ثم مت

وحكى ابن رشيح القيرواني أن محمداً بن رافع قال : رأيت أبا نواس في المنام بعد موته ، فقلت له : يا أبا نواس ؟ قال : لات حينَ كُنيتَه ! قلت : الحسن بن هانئ ! قال : نعم ! قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بأبيات قلتهن في علتي قبل موتي ، هي تحت الوسادة . فأتيت أهله فقلت : هل قال أخي شعراً قبل موته ؟ قالوا : لا نعلم ، إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو . فدخلت ورفعت وسادته فإذا برقعة مكتوب فيها :

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء وجميل عفوك ثم إني مسلم

قال : وسئل أبو نواس عن نسبه فقال : أغناني أدبي عن نسبي . وتوفي رحمه الله سنة أربع وتسعين ومائة ، انتهى وهذا مخالف لما تقدّم عن المؤيد والخطيب .

ذكر في تاريخ العسقلاني عن ابراهيم بن المهدي أنه قال : غضب عليّ محمد الأمين وسلّمني الى كوثر الخادم ، فحبسني /105/ في سرداب . فقمّت فيه ليلتي فخرج اليّ شيخ من زاوية السرداب وقدم بين يديّ وسطاً وقال : كل ! فأكلت . ثم أخرج قنينة شراب ، وقال : اشرب ! فشربت ثم قال : غنّ !

لي مدة لا بدّ أبلغها معلومة فإذا انقضت مُتُ
لو ساورتني الأسد ضارية لغلبتها مالم يجي الوقتُ

فغنّيته ، فسمعني كوثر . فمضى الى الأمين وقال له : قد جُنّ عمك ، وقد غنى بكيت وكيت ! فأمر بإحضاري فأخبرته بالقصة ، فعجب من ذلك وأمر

لي بسبعمائة ألف درهم ورضي عني . انتهى .

وقالت أسماء بنت المهدي : حلف لي أخي ابراهيم وأغلظ في اليمين ، وقال :
ظهر لي إبليس وعلمني النغم والنقر وصافحني وقال : اذهب فأنت مني وأنا
منك ! انتهى .

وقال محمد بن موسى المنجم : كنت أرى ابراهيم بن المهدي إذا غنى في
مجالس الخلفاء لم يبق من الغلمان الصغار والكبار أحدًا إلا ترك ما في يده وقرب
إليه يسمعه ، ولا يزال مصغيًا إليه لاهيًا عما كان فيه إلى أن يسكت ، فيرجع
كل واحد إلى شغله ولا يلتفت إلى غناء غيره . وكان (ويذكره فيما بعد ص
274) الناس يقولون لم نر في جاهلية ولا في اسلام أخًا وأختًا أحسن غناء من
ابراهيم بن المهدي وأخته علية ! انتهى .

وكان إذا ابتداء يغني صغت الوحوش إليه ، ومدت أعناقها ، ولم تزل تدنو
إليه حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الصفة التي يكون عليها ، فإذا سكت
نفرت وبعدت حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التبعاد عن الناس .

وكان حاذقًا /105ب/ في الغناء ، واشتهر بذلك ، وبذل نفسه وما تحاشى
ولا تستر . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا على حال تصان عنه ؛ وعند
الرشيد في خلوة والأمين بعده . فلما أئمنه المأمون تهتك بالغناء وشرب في
حضرته .

وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات مع حسن الصوت . وكان
إذا عيب عليه ذلك قال : أنا ملك بن ملك ، إنما أغني كما أشتهي !
ودخل يومًا مع جماعة المغنين إلى الأمين وهو مخمور فغناه :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فاستوى الأمين جالسًا وطرب طربًا شديدًا ، ودعا برطل فشربه ، وامتد في
شربه ولم يسمع مثل غناء ابراهيم يومئذ قط ؛ ولقد رأى الناس منه عجبًا لو

حَدَّثُوا بِهِ لَمَّا صَدَّقُوا (وَأُورِدَ الدَّرْ هُنَا قِصَّةَ الْوَحْشِ الَّذِي يُصْغِي إِلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ) ، وَبَقِيَ الْأَمِينُ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمْرٌ لِلنَّاسِ بِالْجَوَائِزِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا لَمْ يُرْ مِثْلُهُ قَطْ . كَذَا حَكَاهُ الْأَصْفَهَانِي .

وَذَكَرَ الْعَلَامَةُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي رَبِيعِ الْأَبْرَارِ رَوْضَةَ الْإِخْيَارِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الصَّوْلِي قَالَ : رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَعْنِي دَارَ الْخِلَافَةِ فِي خَمْسِ طَبَقَاتٍ ، رَأَيْتُهُ فِي أَيَّامِ الْهَادِي وَالرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ فِي طَبَقَةِ الْخُلَفَاءِ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ خَلِيفَةً ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي مَرْتَبَةِ الْعَامَةِ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي مَرْتَبَةِ النَّدْمَاءِ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ فِي مَشَايِخِ بَنِي هَاشِمٍ . انْتَهَى .

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَتِهِ : أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، يَكْنَى /106/ أَبُو إِسْحَاقَ وَأُمُّهُ شَكْلَةٌ ، كَانَ أَبُوهَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَازِيَارِ ، قُتِلَ وَسَبِّتَ بَنَتُهُ ، وَحُمِلَتْ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَوَهَبَهَا لَأُمِّ وَلَدٍ لَهُ . فَلَمَّا كَبُرَتْ رَأَاهَا الْمَهْدِيُّ فَأَعْجَبَتْهُ فَطَلَبَهَا مِنْهَا فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا فَاسْتَوْلَدَهَا ، وَجَاءَتْ بِإِبْرَاهِيمَ هَذَا . وَشَكْلَةٌ يَفْتَحُ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةَ وَكَسَرَهَا وَسَكُونُ الْكَافِ وَفَتْحُ اللَّامِ وَكَانَتْ جَارِيَةً سُودَاءَ ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُهَا أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، وَيَسْمَوْنَهُ غُرَابَ بَنِي الْعَبَّاسِ ! وَكَانَ مَعَ سَوَادِهِ عَظِيمِ الْجَنَّةِ وَلِهَذَا قِيلَ لَهُ التَّيْنُ . انْتَهَى .

وَفِي تَارِيخِ الْعَسْقَلَانِيِّ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ طَوِيلًا ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ ذُو جِسْمَانٍ . وَسَمِيَ نَفْسَهُ الْمُبَارَكَ وَالْمَرْضِيَّ ، وَسَمَّاهُ الْمَأْمُونُ الْمَخْذُولَ وَالنَّاكثَ ، وَتَلَقَّبَ بِالْحَسَّانِ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حَدِيثًا . انْتَهَى .

وَفِي الْأَغَانِي أَيْضًا قَالَ الْبَدْرِيُّ : وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَافِرَ الْعَقْلِ ، غَزِيرَ الْإِدْبِ وَاسِعَ النَّفْسِ ، سَخِيَّ الْكَفِّ . وَلَمْ يَرِ فِي الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ أَفْصَحَ مِنْهُ لِسَانًا وَلَا أَحْسَنَ شَعْرًا . انْتَهَى .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ شَدِيدَ الْانْحِرَافِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

عنهما ، فما عندك في ذلك ؟ فقال لي : إحصه ! ولم يزدني على ذلك .
وقال ابراهيم يوماً للمؤمنون : إني رأيت في النوم علياً رضي الله تعالى عنه ،
فقلت له من أنت فأخبرني أنه علي ، /106ب/ قال فمشينا حتى أتينا قنطرة ،
فذهب يتقدمني لعبورها فأمسكته وقلت له : إنما أنت رجل تدعي هذا الامر
بأمرأة ونحن أحق به منك ! فما رأيت في الجواب بلاغة كما يوصف عنه . فقال
له المؤمنون : فأَي شيء قال لك ؟ قال : مازادني على أن قال «سلاماً سلاماً» ؛
فقال له : قد والله أجابك أبلغ جواب ! قال : وكيف ؟ فقال له : عرفك أنك
جاهل ، لا يجاب مثلك ؛ قال الله عز وجل : «إذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاماً» . فقام ابراهيم وقعد وقال : ليتني لم أحدثك بهذا ! فضحك المؤمنون منه
ومن انزعاجه . انتهى .

وكان الأمين له حباً مفرطاً بأصحابه وجلاسه ، ولا سيما ابراهيم بن
المهدي . قال ابراهيم : إني كنت عند الأمين فقلت له : جعلني الله فداك يا أمير
المؤمنين ! فقال : بل جعلني الله فداك ! فأعظمت ذلك منه فقال : لا تعظمه ،
فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص ، فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرعي فقدهم ،
وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم .

وجرى بين محمد الأمين وبين ابراهيم بن المهدي كلام على النبيذ فوجد
عليه محمد ، فلمّا كان بعد أيام بعث اليه ابراهيم بالطاف ، فلم يقبلها ،
فوجه اليه وصيفة مغنية ، معها عود من عود والقى عليها صوتاً وقال لها :
غنيه به ! فوقفت بين يديه وقالت : عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يقول
لك ، واندفعت تغنيه :

| | |
|-------------------------|------------------------|
| هتكت الضمير برد اللطف | وكشفت هجرك لي فأنكشفت |
| فإن كنت تُنكر شيئاً جرى | فهب للخلافة ما قد سلف |
| وجذ لي بفضلك عن زلتي | فبالفضل يأخذ أهل الشرف |

فقال لها : أحسنت يا صبية ، فما اسمك ؟ قالت : هدية ! قال فأنت كاسمك
أم عارية ؟ فقالت : بل أنا كاسمي ، وبه سماني آتفاً . فسرّ بذلك الأمين وبعث
الى ابراهيم ، فحضر وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمّ يومه معه . انتهى كذا
في تاريخ العسقلاني .

وذكر الأصفهاني أنّ ابراهيم بن المهدي لمّا استتر من المأمون ، عند بعض
أهله من النساء وُكّلت بخدمته جارية جميلة ، وقالت لها : إن أرادك لشيء فلا
تمنعه ! فكانت تُوفيه حقه من الخدمة والتعظيم ، ولم تُعلمه بما قالت لها
مولاتها ؛ فجلّ مقدارها في نفسه الى أن قبّل يدها يوماً فقبّلت الجارية الارض
بين يديه فقال :

يا غزالا لي إليه شافع من مُقلتيه
والذي أحللت حدّه به فقبّلت يديه
بأبي وجهك ما أكثر حُسادي عليه
إنني ضيف وحق الضيف إكرام اليه

انتهى .

وذكر في ربيع الأبرار وتحفة الأخبار أنّ اسحاق الموصلي أنشد ابراهيم بن
المهدي حين حبس :

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبرٌ على حالٍ
يوماً ترى نحسّيس الحال ترفعه الى السماء ويوماً تخفّض العالي

قال : فما أمسى حتى وردت عليه الخلع من المأمون ورضي عنه . انتهى .
وقال علي بن الحسين الشيباني : دخل محمّد / 107ب / بن سحازم على ابراهيم
بن المهدي ، وقد نسك وترك الشراب ، فأمره أن يشرب معه فأبى وأنشد :
أبعد خمسين أصبو والشيب للمرء حربُ

سنّ وشيب وجهل أمرٌ لعمرِكَ صعبُ
يا ابن الامام فهلاً أيامَ عودي رطبُ
وشيبُ رأسي قليل ومنهلُ الحبِّ عذبُ
وإذا شفاء الغواني مني حديثٌ وقربُ
فالآنَ لما رأيَني عواذلي ما أحبُّوا
واقصر الحمل مني وساعد الشيب لبُ
آليت ما أشرب كأساً ما حج لله ركبُ

انتهى .

لطيفة

قال ابراهيم بن المهدي : كنت مع الرشيد في سفينة والشطرنج بيننا وهو يريد الموصل ، فقال لي : ما أحسن الأسماء عندك ؟ فقلت : محمد ، اسم النبي ﷺ . قال : ثم أي شيء ؟ قلت : هارون ، اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسمى الأسماء ؟ قلت : ابراهيم ! فزجرني وقال : ويحك ، كيف تقول هذا وابراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : لشؤم هذا الاسم لقي من نمرود ما لقي وطرح في النار ! قال : وابراهيم ، ابن النبي ﷺ . قلت : لا جرم ، إنه لم يعمر ! قال : فابراهيم الامام . قلت : تحرفه اسمه ، قتله مروان في جراب النورة ! وأزيدك يا أمير المؤمنين : ابراهيم بن الوليد خلع ، وابراهيم بن عبد الله بن حسن قتل ، وابراهيم ابن عمه سقط عليه السجن فمات ، /108/ وما رأيت والله أحداً اسمه ابراهيم إلا قُتل أو نُكب أو رأته مضروباً أو مقدوفاً أو مظلوماً ! فصاح ملاحٌ ونحن في الحديث : ويلك يا ابراهيم مدّ ! ثم كرّر عليه القول . فقلت له : بقي شيء بعد هذا ، والله ما في الدنيا اسم أشأم من ابراهيم ! فضحك الرشيد حتى استلقى . انتهى ، كذا في تاريخ العسقلاني .

مسامرة إخوان ومسامرة خلان

قال ابن جرير : لما ملك الأمين اتباع الخصيان وغالى بهم ، وصيرهم لجلوسه ، ورفض النساء والجواري ، ومحق ما في بيوت الاموال وضيع الجواهر والنفائس ، وبنى عدة قصور للهو في أماكن . انتهى .

قال ابراهيم بن المهدي وجه اليّ الأمين عند محاصرة طاهر بن الحسين بغداد ، فصرت اليه ، وهو في قصره ، مشرفاً منه على دجلة ، وكانت ليلة أربعة عشرة . فقال لي : يا عم ، أما ترى طيب هذه الليلة وصفاء الجو وحسن القمر في دجلة ! فقلت : يا أمير المؤمنين طيب الله عيشك ، وأعزّ دولتك وأكبر عدوك ! ثم اندفعت أغنيه لما أعرف من سوء خلقه فقال : هل لك يا عم من يضرب عليك ؟ فقلت : ما أكره ذلك ! فأحضر جارية تسمى ضُعب ، فتطير من اسمها ، فقال لها : غني ! فكان أول ما غنت :

بني هاشم ردوا صلاح أخيكُم ولا تنهبوه لا يحلّ مناهبه

/108ب/

بني هاشم ألا تركوا قاتلنا ^{سواء} علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي سيفه ونجائبه

فقال لها : ويحك ، إنما دعوتك لأسرّ بك مع عمّي ، فقد زدني غماً !
فاندفعت تغني هذه الايات :

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| أما وربّ السكون والحركة | إن المنايا سريعة الدرك |
| ما أخلف الليل والنهار ولا | دارت نجوم السماء في فلك |
| ألا بنقل النعيم عن ملك | قد انقضى ملكه الى ملك |
| وملك ذي العرش دائماً أبداً | ليس بفان ولا بمشترِك |

فقال لها : يا مشؤومة ، أما تحسنين غير هذا ! فقالت يا سيدي والله ما طلبت إلا سرورك ، ولكن ما جرى على لساني غير هذا ! فقال : ويحك غني !

فقالت :

أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للعشاق بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفتانوا وريب الدهر عدا
فقال لها : ويحك ، غني في غير هذا المعنى ! فاندفعت تغني :
هذا مقام مُطرد هُدمت منازل دوره

فقطع عليها ورمها بعمود ، كان بين يديه ، فوقع على قدح بلور كان معجباً به ، وكان يسميه الأمين باسمه ، لاستحسانه إياه فاندق القدح وقامت الجارية فأنصرفت ؛ فقال : يا عم ، والله فنيّت الايام وانتقضت المدة . فهو يكلمني وإذا بقائل يقول من وراء دجلة : «قضي الامر الذي فيه تستفتيان» فقال : سمعت يا عم ! فقلت : يا سيدي ما سمعت شيئاً ! وأعاد الهاتف القول /109/ مراراً فما خرجت الجمعة حتى قتل الأمين ، رحمه الله تعالى .

عاقبة زهو وعاقبة هوى

قيل إن الأمين كان يلقب بالقائم بالملك ، ويلقب بالمخلوع أيضاً ، ولذلك يقول فيه طاهر بن الحسين أبياتاً فيه حين قتله :
حصرت المترف المخلوع حتى تسحب بالدماء منه إزاراً

وأصل هذا اللقب ما حكاه التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة قال : حدثني علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطرق قال : أخبرني أحمد بن يوسف التنوخي عنه في كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم وعما شاهد أحمد بن يوسف ؛ من ذلك جماعة حدثني معن شاهد الحال منهم : أن الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان لما توجه الى بغداد ومكث بها أياماً لم يشعر به محمد الأمين ، لما هو عليه من الانهماك واللهو . وكان الحسن بن علي المذكور يأتي كل يوم

الى باب الأمين فلا يتصل اليه ، فداخلته الحمية فوثب على الأمين وخلعه من الخلافة وحبسه هو وأمه في دار محمد بن صالح ، وعزم على أن يُنفذ الى المأمون بما هو راغب فيه ، ثم إن الجيش طالبه بأرزاقهم ، فلم يكن معه ما يعجّله لهم ، فوعدهم ، فشغبوا ولم يرتضوا بالوعد ، وأخرجوا الأمين من حبسه ، فبايعوه ثانياً ، وردوه للخلافة وهرب الحسين بن علي المذكور ، وزالت الشدة على الأمين . وهذا سبب اللقب والقصة مشهورة ، رواها أصحاب التواريخ بما يطول /109ب/ اقتصاصها هنا الا أنه لم يجلس على سريره آخر غيره . انتهى .

ومما يناسب هذا المقام ، ويندرج في سياق هذا الكلام ما وقع لأبي الفضل جعفر المقتدر بن المعتض بالله ، الثامن عشر من خلفاء بني العباس ، فإنه قد أصابه شدتان وفرجتا عنه . وكان في ذلك شبيهاً بالأمين في خلعه . وذلك أن المقتدر لما ولي الخلافة أهل أحوالها وحكم الوزراء . وكان يتصرف على مقتضى إشارة النساء والخدم ، فغاظ القواد والحاشية ذلك ، واجتمعوا على أن قتلوا العباس بن الحسن الوزير وخلعوا المقتدر من الخلافة ، الخلع الاول ، وبايعوا ابن المعتز ، وأحضروه من داره الى دار سليمان بن وهب الموسومة إذ ذاك بالزوراء ، وجلس يأخذ البيعة على القضاة والاشراف والكافة ويدبر الأمور ، ووزيره محمد بن داود بن الجراح يكاتب أهل الاطراف والعمال بخبر تقليدها . وقد تلقب بالمستنصر . وقال المؤيد : تلقب بالراضي بالله وخوطف بالخلافة ، وأمره في غاية القوة ، وعزم على أن يسير الى دار الخلافة فيجلس بها ويقبض على المقتدر ، إلا أنه أخر ذلك لتكامل له البيعة ويُنفذ الكتب ويسير من غد . وكان سوسن حاجب المقتدر والمتولي لأمر الغلمان الموسومين بحمايتها ممن وافق ابن المعتز ودخل مع القواد فيما دخلوا فيه وشرط أن يقرّر ما في يديه ويزاد شرطة بغداد . فلما جلس ابن المعتز في اليوم الاول جلس له من تولى ايصال الناس /110/ والخدام لحضرته فيما يخدم فيه

الحجاب أحد الخدم غيره . فبلغ سوسن وشقّ عليه وتوهم أن ذلك غدراً به ورجوع عمّا وافق عليه ، فدعى الخدمَ وغلّمان الدار الى نصرة المقتدر فأجابوه الى ذلك وأغلق الأبواب ، وأخذ أهبة الحرب ، وأصبح ابن المعتز في اليوم الثاني من بيعته ، وهو يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين عاملاً على المسير الى الدار . فحضر محمد بن داود وعرفه رجوع سوسن عمّا كان وافق عليه . وصغّر القواد ذلك في نفسه فلم يتشاغل بتلافيه ، وأشاروا عليه بالركوب الى دار الخلافة ، وهم لا يشكّون في تمام الامر . فركب وهم معه ، وانقلبت العامة مع المقتدر ، ورموا ابن المعتز بالشتم وحاربوه مع شذمة أنفذهم سوسن لحربه ممن أطاعه على نصرة المقتدر . قال المؤيد : وجرت بين غلمان الدار المؤيدين للمقتدر والمؤيدين لابن المعتز حروب ، آخرها أن عبد الله بن المعتز انهزم واختفى وتفرّق أصحابه . وكانت مدة ابن المعتز من ظهر يوم السبت الى قريب من ظهر يوم الأحد . وعاد الامر مستقيماً للمقتدر ، وانفرجت له تلك الشدة ، ثم طلب ابن المعتز ، فأُمسك وحُبس ليلتين ، وقُتل خنقاً ، وأظهر أنه مات حتف أنفه ، وأُخرج الى أهله .

وكان عبد الله بن المعتز فاضلاً شاعراً ، وتشبيهاته وأشعاره مشهورة أخذ العلم عن المبرد وتعلب وتولّى الخلافة يوماً واحداً . وقال حين تولّى : قد آن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح . وله / 110 ب / الكلام البديع ، فمن ذلك قوله : أنفاسُ ألحيّ خطاه الى أجله . ربّما أورد الطمع ولم يُصدر . يشفيك من الحاسد أنه يفتّم وقت سرورك .

وكان ابن المعتز آمناً في سيره ، معتكفاً على طلب العلم والشعر . وقد اشتهر عند الخلافة عنه أنه لم يؤهل نفسه ، وكان مستريحاً الى أن حمّله على تولّي الخلافة القوم الذين خذلوه بعد بيعته .

وُلد لسبع بقين من شعبان سنة تسعين كما تقدم . وروي عنه أنه يقول : إن ولّاني الله الخلافة لأفنين جميع بني أبي طالب - رضي الله عنه - ! فبلغ ذلك

وُلد عليّ ، كرم الله وجهه ، فكانوا يدعون عليه . وقد رثاه أبو بكر العلاف
الضريّر النهرواني الآ أنه لم يقدر يذكره في شعره خوفاً من المقتدر ، فورى بقطّ
حيث يقول :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| يا هِرّ فارقتنا ولم تُعد | وكنت منا بمنزلة الولد |
| وكان قلبي عليك مُرتعدا | وأنت تنساب غير مرتعد |
| تدخلُ برج الحمام مقيدا | وتبلغ الفرخ غير متئد |
| صادوك غيظا عليك وانتقموا | منك وزادوا ومن يصدّ يُصد |
| ولم تزل للحمام مُرتصدا | حتى سُقيت الحمام بالرصد |
| يا من لذيذ الفراخ أوقعه | ويحك هلاّ قنعت بالقدر |
| لا بارك الله في الطعام إذا | كان هلاك النفوس في المعد |
| كم دخلتُ لقمة حشا شره | فأخرجت روحه من الجسد |
| ما كان أغناك عن تسلُّك | البرج ولو كان جنة الخلد |

وهي قصيدة طويلة مشهورة . وقيل إنها لم تكن في ابن /111/ المعتز بل
فعلها في قط حقيقة ، قتله الجيران فرثاه بها . وقيل بل هويتُ جاريةً لعليّ
بن عيسى غلاماً لأبي بكر بن العلاف المذكور ففطن بهما عليّ بن عيسى
فقتلها جميعاً ، فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه ، وكنتى عنه بالهرّ .
كذا ذكر المؤيد .

ثم إن المقتدر لا زالت متغلبة عليه الوزراء ، وقد انهمك في الإهمال ،
واستوزر أبا عليّ بن مقلّة وعليّ بن عيسى وأبا الحسن بن الغراب وأبا عليّ بن
يحيى الخاقاني ، وكلهم تحكموا عليه ، وكان الخاقاني ضجوراً ، فتحكمت عليه
أولاده أيضاً ، وصار كل منهم يسعى لمن يرثي منه ، فكان أبوهم بسبب ذلك
يوليّ العمل الواحد عدة من العمّال في الايام القليلة ، حتى إنه وليّ إمارة الكوفة
في عشرين يوماً سبعة من العمّال ، فقليل فيه :

وزيرٌ قد تكامل في الرقاعة يؤلى ثم يُعزل بعد ساعة
إذا أهل الرُّشا اجتمعوا عليه فخير القوم أوفرهم بضاعة

ومع هذا لا زال الخليفة المقتدر يتصرف على رأي النساء ومقتضى إشارة الخدم ، ويرجع الى رأيهم ؛ فخُوِّفَت المسالك وطمع العمال في الأطراف ، فأنكر الجند والقواد عليه ذلك ، من استيلاء النساء والخدم على الأمور وكثرة ما أخذوه من الأموال والضياع ، وانضم الى ذلك وحشة مؤنس الخادم من المقتدر ، فاجتمعت العساكر الى مؤنس وقصدوا دار الخلافة مؤيدين عزله ، فأخرجوا المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه وأولاده من دار الخلافة ، وحملوه الى /111ب/ دار مؤنس واعتقلوه بها ، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد وبايعوه ، ولقبوه القاهر بالله بعد أن الزموا المقتدر بأن يشهد عليه بالخلع ، فأشهد عليه القاضي أبو عمرو بأنه خلع نفسه . ونُهيت دار الخلافة ، واستخرجوا من قبر في تربة بنتها أم المقتدر ستمائة ألف دينار . ثم لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم ، ثالث يوم خلع المقتدر ، باكر الناس الى دار الخلافة حتى امتلأت الرُّحاب ، لأنه يوم موكب . ولم يحضر مؤنس المظفر لذلك اليوم ، وحضرت الرجالة المُصافية بالسلاح يطالبون بحق البيعة وارتفع رعنائهم ؛ فخرج من عند القاهر فاروك ليطيّب خاطرهم . فرأى في أيديهم السيوف المسلولة فخافهم ورجع ، ف تبعوه وقتلوه في دار الخلافة وصرخوا «مقتدر يا منصور!». وهجموا على القاهر ، فهرب واختفى وتفرق عنه الناس ، ولم يبق بدار الخلافة أحد . ثم قصد الرجالة دار مؤنس الخادم وطلبوا المقتدر منه ، فأخرجه وسلمه اليهم ، فحمله الرجالة على رقابهم حتي أدخلوه الى دار الخلافة ، وبايعوه وهي البيعة الثالثة له . ثم أرسل المقتدر خلف القاهر بالأمان وأحضره وقال له : علمت أنه لا ذنب لك ! وقبله بين عينيه وأمنه وشكر إحسانه ، ثم حبسه عند والدته المقتدر . فأحسنن اليه ووسعت عليه واستقر

المقتدر في الخلافة . وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة . وبقي المقتدر خليفة الى سنة عشرين وثلاثمائة ، فخرج عليه مؤنس /112/ الخادم ، واجتمعت عليه المساكر . وقُتل المقتدر في حرب مؤنس ، وحُزَّ رأسه في تلك السنة . واستُخلف أخوه القاهر . وكانت خلافته أربعًا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وستة عشر يومًا ، وعمره ثمان وثلاثون سنة . انتهى ما حكاه الملك المؤيد على غير هذا المنوال . ولنرجع الى ذكر الأمين .

نزغ شيطانية وزيف سلطانية

قيل لما أن استقرَّ ملك الأمين ، وتعاضم سلطانه ، وتاه به زمانه ، داخلته الشحنةاء ، وعزم على إخراج العهد من أخيه المأمون . وكان الفضل بن الربيع يفره على ذلك ، لخوفه من المأمون إذا انتهى الامر اليه ، فزَيَّن للأمين أن يخلع أخاه من ولاية العهد .

قال في شرح منظومة ابن عبدون : لما أن أراد الأمين أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد ، ويجعلها لابنه موسى جعل يفتل عليه بأنواع العِلل ، ويُظهر للناس أنه يخالف فيما لا ينبغي خلافه ، وتشاجر الأمر بينهما ، فتكلم الأمين مع قواده في أن يرسل الجيش الى أخيه المأمون . فكلَّهم أبوا أن يقود اليه عسكريًا وقالوا له : نتعاهد وقد أخذ أبوك علينا البيعة له بعدك ، فكيف تنكث بيعته ؟! الى أن جاء علي بن عيسى بن ماهان من خراسان . انتهى .

وذكر العلامة ابن ظفر في سلوان المطاع : أن الأمين لما عزم على إخراج عهد الخلافة من أخيه المأمون وهو إذ ذاك مقيم بخراسان كتب اليه الأمين كتابًا يذكر فيه حاجته الى لقائه ومفاوضته في مهمَّ حدث ، وسأله أن يستيب /112ب/ بخراسان من يضبطها ويعجِّل الشخصَّ اليه الى بغداد . وكتب الى المأمون عيونه الذين ببغداد أن الأمين يريد خلعه ونقلَ العهد الى ابنه موسى . فلما وقف المأمون على ما كتب به أخوه وعيونه اليه شاور وزراءه ، فأشاروا

عليه بالتثبت والتعلل والاعتذار بتشعب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها ، وأنه لا يجد من يثق بكفايته لأمرها ، فكتب المأمون الى الأمين بذلك . فعاد الأمين مكاتباً الى أخيه المأمون ، يستحثه وأنه لو قدم عليه لقلّ لبثه ببغداد حتى يرجع ، وإنما يريد له ليفاوضه في خطب عظيم جسيم لا تؤدع مثله الكتب . فحين انتهى كتابه الى المأمون أطلع وزراءه عليه واستشارهم ، فأشاروا عليه بمثل رأيه الأول ، فكتب اليه الأمين ما كتب اليه أولاً .

وكتب الى الأمين عيونه الذين بخراسان أنّ المأمون فظن لما يُراد منه ، وأنه ممتنع شافق ، وأنّ وزراءه قد أجمعوا على أمره بالامتناع . فيئس الأمين من تمام مكيدته لأخيه ، وأمر بالقبض على من ببغداد من حشم المأمون وحرمة وبطانته وما ظهر عليه من أمواله . وبلغ ذلك المأمون فخامره الجزع وشاور وزراءه ، فثبّثوا على رأيهم وحفظوه على التثبيت والتعلل وانتظار الفرج ، ففعل .

ولما رأى الأمين إصرار أخيه المأمون على الامتناع دعا الناس لابنه موسى بالبيعة ، وهو طفل ، فأجابوه الى ذلك وبايعه الناس . وسمّاه الناطق بالحق واستكفل له عليّ /113/ بن عيسى بن ماهان ، فجعله في حجره .

وذكر الملك المؤيد أنّ في سنة خمس وتسعين ومائة أبطل الأمين اسم المأمون من الخطبة ، وخطب لابنه موسى ، ولقبه الناطق بالحق ، وكان طفلاً صغيراً . وقال غيره : في سنة أربع وتسعين ومائة عزل أخاه القاسم ، وقطع البريدة عن المأمون ، وأسقط اسمه من الطرّز والضرب ، ثم أرسل اليه يطلب منه أن يقدم موسى على نفسه ، ويذكر أنه قد سمّاه الناطق بالحق . فردّ المأمون ذلك وأباه . وخامر الرسل . . . (لم يتبيّن لنا المعنى مع طمس في كلمة بعد الرسل) وبايعه بالخلافة سرّاً ، ثم صار يكتب اليه بالأخبار ويناصحه من العزل . فلما رجع وأخبر الأمين بامتناع المأمون أسقط اسمه من ولاية العهد وطلب الكتاب الذي كتبه الرشيد وجعله بالكعبة ، فأحضر ومزقه . وقويت الوحشة .

ونصح الأمين أولو الرأي ، وقال له حازم بن خزيمة : يا أمير المؤمنين ، لن

ينصحك من كذبيك ، ولن يغشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع
 فيخلعونك ، ولا تحملهم على نكث العهد ، فينكثوا عليك في بيعتك وعهدك ،
 فإن الغادر مغلول ، والناكث مخذول ! فلم يتصح ، وأخذ يستميل القواد
 بالعطاء ويبيع بالولاية لأبنة موسى ، ولقبه الناطق بالحق ، وهو إذاك طفل
 رضيع . وكل ذلك برأي الفضل بن الربيع وما زين له هو وبكر . وقد قيل
 في ذلك :

أضاع الخلافة غشّ الوزير وفسق الأمين وجهل المشير
 ففضل وزير وبكر مشير يريدان ما فيه حتف الأمير
 لواط الخليفة أعجوبة وأعجب منه خلاق الوزير
 فهذا يدوس وهذا يُداس كذاك لعمرى خلاف الأمير
 فلو يستعفان هذا بذاك لكان بعرضه أمر سثير
 وأعجب من ذا وذا أنا نباع ملكا لطفل صغير
 ومن ليس يُحسِنُ غسل أسنانه ولم يخل من بوله حجر ظفير
 وما ذاك الا بفضل وبكر يريدان طمس الكتاب المنير

انتهى .

وقال في شرح منظومة ابن عبدون : وكان المأمون قد ولاه أبوه على الرّي ،
 وقال للأمين : لا سبيل لك الى أخيك ، ولا الى هذا الموضع الذي هو فيه ، بل
 يكون واليا عليه طول حياته ولا تُزلّه عنه . فخالف الأمين ذلك وبعث الى
 المأمون : تنح عن الرّي حتى أولي عليها من شئت ! فأبى عليه المأمون ، فبعث
 اليه علي بن عيسى وكتب اليه كتابا يقول فيه : « لا يُحصي عدد جنودي الآ
 هذا الجراب ا » . وبعث اليه بجراب قد ملأه سيمسما . فيقال إنّ طاهر بن
 الحسين قال للمأمون : اكتب له « إنّ عندي ديكا أعور يلتقطه حبة حبة ا » .
 وكان طاهر أعور . ويقال إنه كان بعث اليه قفيزا من جاورس وكتب

اليه : « من يحصي عدد هذا يحصي عدد جنودي ! » فلما قرأه المأمون على أصحابه قال له الحسن : أما إحصاؤه فلا ، وإنما عندك ديك أعور يلتقطه في يوم واحد ! اه .

وكان الأمين لما أن عزم على هذا الامر أقدم على بن عيسى من خراسان فوسّع له في صدر المجلس وأمر أن ييسط له ببساط مجلسه على عوائد الملوك مع من كانوا يريدون /114/ أن يُظهروا ترفعه وإظهار النعمة عليه حتى يمتاز بها عن غيره ممن لا ينتهي الى تلك الدرجة ، وقال له : أنت كبير القواد وشيخهم ، وقد أردت لك لأمر لم أجِد أحداً يشتغل به سواك ولا ينهض به أحد غيرك ! فقال : أنا عند ظنّ أمير المؤمنين ومُستنقذ من مرضاته جهد غايتي وطاقتي . فقال : إن أخي قد خالفني في أمور ضاق بها صدري ، وقد أقسمت لا بدّ أن يساق إليّ في قيود ، وقد صنعت قيّداً من فضة أجعله فيه ، لأبرّ قسمي ، فتسير اليه بالجيوش حتى تأتيني به . قال : نعم يا أمير المؤمنين ! وتوجّه علي بن عيسى في مائة ألف فارس الى الموضع الذي كان أخوه ، وبعث معه قيّداً من فضة وقال : قيّده به . كذا حكاه في شرح منظومة ابن عبدون .

وقال ابن ظفر في السلوان : وكان علي بن عيسى قد ولي خراسان مدة طويلة ، واصطنع بها الرجال وطوّق المنن في الاعناق . وكان شأنه بخراسان عظيماً ، فاستشاره الأمين في أمر خراسان فضمّن له أمرها وأخبره أنه لو وصل خراسان لم يتخلّف عليه اثنان ممن بها . فجوّزه الأمين إليها وولّاه على كل من تغلب عليها ، وأعطاه أموالاً جزيلة وجهّز معه جمهور جنوده وعسكره وأصحبه من السلاح والكراع ما شاء .

قال في شرح المنظومة : ولما توجّه علي بن عيسى بالجيوش نحو المأمون ، وأخرج اليه المأمون هرثمة بن أعين وطاهر بن الحسين في نحو ثلاثة عشر ألفاً . وسار علي بن عيسى وقد قال له ولده يا أبي تحرّس من طاهر إذا وقعت عينه

عليك /114ب/ على أن يأتي مستأمنًا ! فذهب وقد تجمع مع أصحاب المأمون في أرض واحدة ، خرج طاهر في جُملة خيل ، ووقف في موضع يشرف منه على عسكر علي ابن ماهان ، فرأى ما ملأ الأرض وهاله كثرة . فالتفت الى هرثمة وقال له : ما ترى ، هذا جمع لا قبل لنا به ؟! قال هرثمة : الرأي ما تراه . قال : أمّا أنا ، فوالله لا رجعتُ الى صاحبي حتى أموت ، ولا أرجع منهزمًا ، ولكن أجعلُها خارجيّة ، أضرب في عسكرهم بمن معي من أصحابي حتى أموت أو يفتح الله لنا ! فقال هرثمة : وأنا أفعل مثل ذلك . فرجعا الى عسكرهما وانتخبا من أصحابهما نحوًا من تسعمائة فارس ، أكثرهم من الخوارزمية ، ثم اقتحما بهم في عسكر ابن ماهان ، وجعل يشقّ الناس حتى وصل الى عسكر علي ومضربه . فخرج اليه عبد أسود ، وكان عبدًا لعلي ، من أنجاد الرجال ، كالمُدافع عن علي ، فجمع طاهر يده على قائم سيفه وضرب الأسود ، فقسّمه قسمين بذوي اليمين ، ثم اقتحم على علي بن عيسى فقتله . ومن ذلك اليوم سمي طاهر بن الحسين بذوي اليمين (المشهور أنه لقّب بذوي اليمين . انظر الدولة الطاهرية في العراق وخراسان) . ولما قتله وأنفضّ عسكر علي منهزمًا اتبعه هو وأصحابه نحو ستة أيام يقتلهم في كل موضع . ومشى طاهر وهرثمة من حينهما حتى نزلا على الأمين فحاصراه ببغداد . انتهى .

وذكر الحافظ السيوطي في فاكهة الخلفاء : ولما وليّ الأمين علي بن عيسى على بلاد الجبال ونهاوند وقم وأصفهان ، في سنة خمس وتسعين ، فخرج علي بن عيسى لقتال المأمون في نصف جمادى الاخير ومعه من /115/ الجيش في هيئة لم يُر مثلها ، وأخذ معه قيّدًا من فضة ليقيد به المأمون بزعمه ، فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين في آل من أربعة آلاف وهرثمة بن أعين في تسعة آلاف . فكانت الغلبة له ، وذبح علي بن عيسى ، وهزم جيشه وحملت رأسه الى المأمون ، فطيف به في خراسان ، وسلّم على المأمون بالخلافة .

لعيفة

قيل لما أن خرج طاهر بن الحسين في هذه الواقعة جعل ذات يوم دراهم في كُمه ، ليفرقها على الفقراء ، ثم أسبل كُمه ناسياً فانتفضت الدراهم ، فتطير من ذلك واغتم ، فانتصب له شاعر يقول :

هذا تفرّق جمعهم لغيره وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم بعض حروفه لا خير في إمساكه في الكُم

فسلمى به وأمر له بثلاثين ألف درهم . انتهى .

وذكر في فاكهة الخلفاء عن عبد الله بن صالح الجرمي قال : لما قُتل علي بن عيسى أرجف الناس ببغداد إرجافاً وندم الأمين على خلعه أخاه ، وطمع الأمراء فيه وشعّبوا جندهم فطلب الأرزاق من الأمين ، واستمر القتال بينه وبين أخيه . وبقي أمر الأمين كل يوم في إديار لانهماكه في اللعب والجهل ، وأمر المأمون في ازدياد الى أن بايعه أهل الحرمين وأكثر بلاد العراق . وفسد الحال على الأمين جداً ، وتلف أمر العسكر ، ونفدت خزائنه ، وساءت حال الناس بسبب ذلك ، وعظم الشر وكثر الخراب والهدم من القتال ، وعمِلت فيه المواشي ورُمي المنجنيق والنفط حتى درست محاسن بغداد /115ب/ وفي ذلك يقول بعضهم :

بكيت دماً على بغداد لَمّا فقدت غضارة العيش الأنيق
أصابتها من الحساد عينٌ فأنت أهلها بالمنجنيق

انتهى .

قال بعضهم : ودام حصار بغداد خمسة عشر شهراً ، ولحق غالب العباسيين وأركان الدولة بجند المأمون ، ولم يبق مع الأمين من يقاتل الا غوغاء بغداد ؛ الى أن استهلّت سنة ثمان وتسعين فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قهراً ، فخرج الأمين بأهله وأهله من القصر الى مدينة المنصور ، وتحصّن بها وقد ضيق عليه طاهر . ولما تحقّق خلعه وبس من الملك تسمّى بإمام المؤمنين

وكتب بذلك الى الآفاق ، وحين علا عليه طاهر وضائق أمره جعل يقول :

يا نفس قد حَقَّ الحذر أين المفر من القدر
كل امرء مما يخاف ويرتجيه على خطر
من يرتشِف صفو الزمان يغصّ يوماً بالكدر

ثم إنه كتب اليه : «الحمد لله الذي يرفع من يشاء بقدرته ، ويضع من يشاء بحكمته ، الذي يمنع ويعطي ويقبض ويسط ؛ أحمدته على نوائب الزمان وتشتيت الاحوال ، وصلى الله على نبيه محمدا وآله الطيبين الطاهرين . أما بعد ، فإني رأيت من الصلاح الخروج من هذا السلطان ، فإني أرى له حظا دوني وهو المحكم في أمري . فاعطني الأمان على نفسي وأمي وولدي وحاشيتي حتى أخرج اليك على حكم أخي ، راضيا بجوره دون عدله وانتقامه دون عفوه» .

فكتب اليه طاهر /116/ وقال له : «هيهات ! هلا كان هذا قبل ضيق الخناق ، وتفرق الساق . ولا تفعل ذلك حتى تنزل على حكمي» .

فلما أيس الأمين من طاهر كتب اليه : «اعلم يا طاهر ، أنه ما قام لنا قائم قط بحق قيمته لأحدنا الا كان السيف جزاءه . فانظر لنفسك ودع . وقد علمت ما فعل أبو سلمة الخلال في أول هذا الأمر ، والى ما كان من أبي العباس ومن أبي مسلم صاحب الدعوة ، وعلى أي شيء انقضى أمره !» . انتهى

وقال محمد بن علي الخراساني : كان طاهر يضعفونه عند الأمين ، ويقولون إنه مضعف . فقال طاهر : والله لقد قدح في قلبي نارا من الحذر لا يطفئها أمر أبدا . وكان يقرأ كتابه على أهل خراسان ويقول : ليس بمضعوف بل هو بطل قاصف لكل جبار عسوف ! انتهى .

وذكر الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين شاهنشاه ، صاحب حماء ، في تاريخه المسمى بالمضمار : إنه أشاروا على محمد الأمين ، جماعة من

خواصه ، أنه يخرج الى طاهر بن الحسين وقالوا له : إن طاهراً قد بذل لك الامان ، وإنما غايتك اليوم السلامة واللهم ، وليس يمنعك أخوك المأمون من ذلك . فأجابهم الى الخروج الى هرثمة بن أعين دون طاهر ، وقال لهم : إني أكره طاهراً ، فإني رأيت في منامي كأنني قائم على حائط من آجر شاهق في السماء ، عريض الاساس ، لم أر حائطا يشبهه ، وعليّ سَوادي ومنطقتي وسيفي وقلنسوتي ، وكان طاهراً في أصل الحائط ، فما زال يضرب أصله حتى سقط وسقطت . فأنا أتطير منه . وهرثمة مولانا وهو /116ب/ بمنزلة الوالد وأنا به أشد ثقة . وخرج الى هرثمة ، فعظم ذلك على طاهر وفعل ما فعل . انتهى

وقال الحافظ بن عساكر بسنده عن الصولي : إن الأمين قال لكتابه ، اكتب : «من عبد الله محمد الأمين ، أمير المؤمنين الى طاهر بن الحسين ، سلام عليك . أما بعد ، فإن الأمر قد خرج بيني وبين أخي الى هتك الستور وكشف الحرم ، ولست أؤمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد بشتات ألفتنا واختلاف كلمتنا . وقد رضيت أن يكتب الي أماناً لأخرج الى أخي . فإن تفضل عليّ فهو أهل لذلك ، وإن قتلتني فمروءة كسرت مروءة ، وصمصامة قطعت صمصامة (في الاصل : صمصامة قطعت زمان صمصامة . وأثبتنا ما في الدرر . ولئن يفترسني السبع أحب اليّ من أن ينبحنني الكلب !» . فأبى طاهر عليه .

ولما يئس من طاهر خاطب هرثمة يطلب منه الامان ، فأعطاه الامان . ودخل هرثمة بغداد وخرج الأمين لخمسة بقين من المحرم ، فأرصد له طاهر الرصائد . وكان خروج الأمين من بغداد في حراقة ، فلما حصل فيها بمن معه دخل اليه أصحاب طاهر في الزوارق ، ففرقوا الحراقة وقبضوا على الأمين ، وسبق الى طاهر فحبسه في دار . انتهى .

وذكر في نزهة النفوس وسلوة المنفوس أن في سنة ثمان وتسعين ومائة استولى طاهر على بغداد وهجم عليها بعد قتال شديد ، ونادى مناديه من لزم

بيته فهو آمن . وأخذ الأمين أمه وولده وتحصن بمدينة المنصور ، فحصره طاهر هناك وأخذ عليه الابواب . وقد تسلم طاهر الجانب الشرقي من بغداد ، وضايق على الأمين بقصر المنصور ورماه بالمنجنيق /117/ . وتفرق عامة جند الأمين عنه وأشرف طاهر على أخذه . فطلب الأمين الأمان من هرثمة وأن يطالع اليه ، فراجع في الطلوع الى طاهر ، فأبى ذلك .

ولما كانت ليلة الاحد ، لخمس بقين من محرم السنة المذكورة ، خرج الأمين بعد العشاء الأخير وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود ، وأراد أن يسير الى هرثمة فأرسل اليه يقول : إني غير مستعد لحفظك وأخشى أن أغلب عنك ، فأقم الى الليلة القابلة ! فأبى الأمين ، ودعا بأبيه وضمهما اليه وقبلهما وبكى ، ثم جاء راكباً الى الشط فوجد حراقة هرمة فصعد اليها ، فاحتضنه هرثمة وضمه اليه وقبل يديه ورجليه . فجاء أصحاب طاهر وشدوا على حراقة هرثمة حتى غرقوها ؛ فأخرج الملاح هرثمة من الماء ، وسقط الأمين في الماء فشق ثيابه وأراد النجاة ، فأخذه أصحاب طاهر وهو غريان ، عليه سراويل وعمامة . فأمر به طاهر فحبس .

قال أحمد بن سالم ، صاحب المظالم ببغداد : قد كنت مع من كان مع الأمين في الحراقة فأخذت وأدخلت بيتاً ، فلما مضى علي ساعة من الليل أدخل الأمين علي غريباً . فعرفني ولم أعرفه فكلمني فقلت : من أنت ؟ فحسر العمامة عن وجهه ، فإذا هو الأمين فبكيت وقلت : سيدي ، مولاك أحمد بن سالم ! قال : انضم إلي يا أحمد ، وآدن مني وضممني اليك ، فإني أجد وحشة شديدة . فضممته إلي ، فإذا قلبه يخفق حتى يكاد يطير من صدره ، ثم قال : يا أحمد ، ما فعل أخي ؟ قلت : هو حي ؟ قال : قبح الله أصحاب بُردك الذين كتبوا أنه مات ! قلت : بل قبح الله وزراءك ! فقال : لا تقل ذلك ، فإن الذنب لي في ذلك /117ب/ أكثر . ثم قال : يا أحمد ، ما تراهم يصنعون بي - وكان قد حبس في دار ابراهيم بن جعفر البلخي بباب الشام - أتراهم يقتلونني أو يفون

إليّ بآمانهم ؟ وجعل يضمّ على جسده بخيرقة كانت على كتفه . وكان البرد شديداً وهو غريان . فبينما نحن كذلك إذ دخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف ، فلما رآهم الأمين قام قائماً وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهبت والله نفسي ، أمّا من حيلة ، أمّا من مُغيث ! فقامت أنا وصرت خلف حُصْر مدروجة ، وقام الأمين وأخذ بيده وسادة وجعل يقول : ويحكم ، إني ابن عمّ النبي ﷺ وابن هارون وأخو المأمون ، الله الله في دمي ! فبدره مولى لطاهر ، فضربه بالسيف على مُقدّم رأسه ، وضربه الأمين بالوسادة ، فنخسه واحد منهم في خاصرته ، وركبوه فذبّحوه من قفاه ، واحترّوا رأسه ومضوا به الى طاهر ، فنصبه على برج من أبرجة بغداد ليراه الناس ، وجعل طاهر يقول : هذا رأس المخلوع ! وأنشد :

ملكْتُ الناس قهراً واقتداراً وقتلت الجبيرة الكباراً
ووجهت الخلافة نحو مرو الى المأمون تبتدر ابتداراً
حصرت المترف المخلوع جني تسحب بالدماء منه إزاراً
فتكتُ به برغم أتوف قوم ولو نطقوا لساووا حيث ساراً
وقد غاض الناس مقتل الأمين ، وقيل فيه المراثي .
وقد قال ابراهيم بن المهدي في قتله :

[عوجا بمغنى ظلل دائر بالخلد ذات الصخر والآجر]
والمرمر المسنون يطلى به والباب ، باب الذهب الناضر
وأبلغنا عني مقالاً الى المـ حوى عن المأمور والآمر
قولاً له يا ابن ولي الهدى طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه أن حزّ أوداجه ذبح الهدى يا هدى الحاذر
حتى أتى يسحب أوصاله في شطن يُفني مدى الشابر

قد برد الموت على جفنه فطرّفه مُنكسر الناظر

ولخزيمة بن الحسين على لسان زبيدة قصيدة يقول فيها :

أتى طاهر لا طهر الله طاهراً فما طاهرٌ فيما أتى بمطهرٍ
فأخرجني مكشوفةً الوجه حاسراً وأتعب أموالى وأحرق أدوري
يعزّ على هارون ما قد لقيته وما مرّ بي من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتي فديتك من ذي حرمة متذكر

ثم إن طاهر بعث برأس الأمين الى أخيه المأمون بخراسان مع مصعب ابن عم طاهر ، وبعث معه الخاتم والقضيب والبردة والمصلّى ، وهي من سعف النخل مبطنّة وكتب الى المأمون : «إني وجهت اليك بالدنيا والآخرة مع مصعب» . فأمرله بألف ألف درهم ، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة وصلى بالناس ، وخطب للمأمون . انتهى ما حكاه في نزهة النفوس ، وكذا حكاه المؤيد وغيره بزيادات يسيرة بين العبارتين ، فنقلنا الاعم منها .

قال بعضهم : وكان طاهر قد أرسل الى المأمون فى أمر أخيه يستأذنه إن هو ظفر به ما يصنع . فبعث اليه المأمون بقميص غير مقوّر . فعلم بذلك /118ب/ أنه يريد قتله وتجهيز رأسه . فعلى هذا يكون قتله كان بإذن المأمون .

وعلى ما ذكره السيوطي أن قتله كان دون علم المأمون ، قال : ولأجل ذلك حقد المأمون على طاهر وأطرده ، وبقي نسياً منسياً الى أن مات ؛ وقتل هرثمة بن أعين . وقد اشتد على المأمون قتل أخيه الأمين ، وكان يحبّ أن يرسل اليه حياً ليرى فيه رأيه ، قال : وصدق الأمين في قوله «ما قام لنا قائم الآ كان السيف جزاءه !» انتهى ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

وذكر الملك المؤيد في مختصره والخطيب في تاريخ بغداد (3/337) . وفيه : قتل الامين «ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم» وغيرهما أن قتل الأمين كان لستّ بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (أورد الدرّ ، 96 ، الخبر

عن الخطيب في تاريخ بغداد ولم يعلق عليه ، ولذلك يظهر أن عبارة قلت التالية هي لابن وادران) . قلت : وهنا كلام لمن تأمل في عباراتهم ، فإنهم يقولون إن الأمين خرج لخمس بقين من المحرم ثم يقولون وكان قتله لست بقين من المحرم ، وهذا شيء سبقت إليه أفهام النساخ وزعموا بذلك الاصلاح حيث وجدوا أن خروجه كان لخمس بقين . ومعلوم أن ما بعد الخمسة من الاعداد يكون ست إذا سردت الاعداد ، فجعلوا قتله كان لست بقين ، ولم ينظروا الى لفظة «بقين» وما فيها من معنى الإسقاط ، لأنه إذا بقي عدد من الشهر ثم جاء يوم وأسقطه أيضاً يكون الباقي أقل من العدد الاول كما في هذا ، إن خروجه كان لخمس بقين من المحرم ؛ فليتدبر وليراجع النقل في ذلك ولا يعول على البحث ، فإنه مقام نقل لا بحث .

119/ قال المؤيد وغيره : وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسراً ، وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة ، وكان سبطاً ، أنزع ، صغير العينين ، أفتى جميلاً طويلاً . وزاد البكري سميناً . وقال الملك المظفر : شديداً في بدنه قبيح السيرة ، سفاكاً للدماء ، ضعيف الرأي سخياً بالمال ، بخيلاً بالطعام . وقال المؤيد : وكان منهما في اللذات وشرب الخمر ، حتى أرسل في جميع البلاد في طلب الملهمين وضمهم اليه وأجرى عليهم الارزاق .

وذكر ابن رشيقي القيرواني (وصحته الرقيق القيرواني ، صاحب كتاب قطب السرور في الانبذة والخمر الذي ذكر فيه أخبار السكر) : أن ملوك الاوائل من بني أمية وبني العباس كانوا يحتجبون عن الندماء ، حتى جاء محمد الأمين فإنه قد تهتك مع الندماء ، وكان أحسن الناس خلقاً قبل أن يسكر ، وأوسع الناس عطاءً وأسمحهم بالمال ، وأبخلهم على الطعام ، فإذا شرب تناول مناديه بلسانه وحمل عليهم من الشراب ما لا يطيقون . انتهى .

وكان لطيفاً ظريفاً حسن الادب ، عالماً بالشعر وكان يقول : أنا والله أطرب على جيد الشعر . وكان إذا لم يشرب يأمر وينهى ويوقع بأجلز الكلام

فيصيب فما يخطيء ، ويسرع فما يبطيء ، حتى قيل إنه وقع في ثمانمائة توقيع (في الاصل : توقيعاً) في مجلس ، فأسرع وما أخطأ في واحد منها .

قال الجلال السيوطي في الاكتفاء ، قال الامام أحمد بن حنبل : إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على اسماعيل بن عليّة . فإنه دخل عليه فقال له : يا ابن الفاعلة ، أنت الذي تقول كلام الله مخلوق ! وزجره عن ذلك وتوعّده إن قاله مرة أخرى وسمعه أخرج لسانه /119ب/ من قفاه . انتهى .

وكان الأمين أشرف الخلفاء أباً وأماً ، وهو أول من دُعي له بلقبه على المنابر ، كذا حكاه العسكري في الاوائل .

وقال النوفلي وغيره : لم يُذع للسفاح ولا للمنصور ولا للمهدي ولا للهادي ولا للرشيد على المنابر بأوصافهم ، ولا كُتب في كتبهم ، حتى ولي الأمين فدُعي له على المنابر ، وكتب عنه من عبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين ، الى أن مات رحمه الله .

ولمّا مات رثاه جماعة ، منهم الحسين بن الضحّاك المعروف بالخليع فقال :

سألونا أن كيف نحن فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حادث الدهر ر فظللنا لرئيسه نستكين
نتمنى من الأمين إياباً لهف نفسي وأين مني الأمين

وقال أيضاً :

أعينيّ جوداً وابكياً لي محمّداً ولا تدخرأ دمعاً عليه وأسعداً
فلا تمت الاشياء بعد محمّد ولا زال في الدنيا طريداً مُشرّداً

وكانت له قضية مع المأمون في قوله هذا ، ولقوله :

وما شجى قلبي وكفكف عثرتي محارم من آل النبي استحلّت

وهي طويلة ، وستأتي في محلها إن شاء الله تعالى عند ذكر القصة مع
المؤمن .

وقال بعضهم يرثي الأمين أيضاً :

طوى الدهر ما بيني وبين محمد وليس لما طوى المنية ناشرُ
وكنت عليه أحاذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذرُ /120/

وقيل إن قائل ذلك أبو نواس ، على القول بأن وفاته تأخرت عن وفاة
الأمين . وقد قدّمنا ذلك عند ذكره ، والله أعلم .



مركز تحقيقات كتب و تاريخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الثالث

في

دولة أمير المؤمنين

أبي جعفر عبد الله المأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور الهاشمي العباسي ، وأمه أم ولد ، اسمها مراحيل ، توفيت في ولادتها . ومولده في ربيع الاول سنة سبعين ومائة ، ليلة وفاة عمه الهادي واستخلاف أبيه الرشيد . وكان أبيض تعلوه صفرة ، أعين أنقى الأنف طويل اللحية دقيقها ، ضيق الجبين ، بخذه خال أسود ، كامل الفضل جوادا ، عظيم العفو . كذا حكاه البكري .

وكان من رجال بني العباس حزما وعزما وجلما وعلما ورأيا وهداء وهيبة وشجاعة وسؤددا وسماحة . وله محاسن وسيرة ، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه . وكان فصيحاً مفوهاً ، قرأ العلم في صغره وسمع الحديث من أبيه وهشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير واسماعيل بن عليه وحجاج الاعور . وأدبه اليزيدي وجمع له الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس . ولما كبر عباً بالفلسفة وعلوم الاوائل . وروى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكرم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي والامير عبد الله بن طاهر وأحمد بن الحارث ودعبل الخزاعي /120ب/ وآخرون . وكان يقول : معاوية بعمره ، وعبد الملك بحجّاجه ، وأنا بنفسي ! وكان يقال : لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة ، فالفاتحة السفاح ، والواسطة المأمون ، والخاتمة

المعتضد .

وكان المأمون معروفًا بالتشيع ، وقد حمّله على ذلك خلّع أخيه المؤمن والعهد بالخلافة الى عليّ الرضا ؛ ومع هذا قيل إنه ختم في بعض الرضانات ثلاثًا وثلاثين ختمة ! وله رأي وشجاعة وفطنة ودهاء . بويع له قبل موت أخيه وأطاعه جميع العمال في حال محاصرة أخيه ، ولم يتخلّف عنه الا بغداد ، و(في نزهة النفوس وسلوة المنفوس : ولما استقر له الامر . والمعنى في استوسق الامر له جُمع له) استوسق الأمر له في الشرق والغرب بعد قتل أخيه ، وسلّم عليه بالخلافة من سنة خمس وتسعين ومائة ، حين انهزم جيش الأمين وقُتل عليّ بن عيسى بن ماهان وحُمِل رأسه الى المأمون بخراسان فسَلّم عليه بالخلافة إذ ذاك ، وكان بدء استخلافه .

نزهة نفوس وسلوة منفوس

ذكر التّوخّي في الفرج بعد الشدة قال : قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزارة عن جبريل بن بختيشوع الطيّب أنه سمع المأمون يقول : كان بخراسان يوم عجيب ، فأولى الله بإحسانه فيه جميلًا ، لمّا توجه طاهر بن الحسين الى عليّ بن عيسى بن ماهان ، كما قد عرفتموه من ضَعْف طاهر وقوة عليّ وقع في نفوس عسكري جميعًا أن طاهرًا ذاهبٌ . ولحق أصحابي إضاقة شديدة ، وظهرت فيهم خلّة عجيبة ، ونفد ما كان عندي ولم يبق منه قليل ولا كثير ، وأفضيت الى حال كان أصلح . فلم أدر /121/ الى أين أهرب ولا كيف آخذ ، فبقيت متحيّرًا مفكرًا . وأنا والله كذلك نازلا في دار أبوابها حديدٌ ، ولي مستشرفات أجلس فيها إذا شئت ، وعدّة غلماني ستّة عشر غلامًا لا أملك غيرهم ، إذ أنا بالقوادر والجيش جميعًا قد شَعَبوا عليّ ، وطلبوا أرزاقهم وولعوا جميعًا يشتمون ، وتكلّموا بكلّ قبيح . وكان الفضل بن سهل بين يديّ ، فأمر بإغلاق الابواب وقال لي : قم ، فأصعد الى المجلس الذي تستشرف فيه ! إشفاقًا

عليّ من دخولهم . وسرعة أخذهم إياي وتعليلًا بالصعود . فقلت له : ويحك ، ما يعني الصعود والقوم يدخلون الساعة ليأخذوني ، فلأن أكون بموضع أصلح ! فقال : يا سيدي ، اصعد فوالله لا تنزل الا خليفة ! فجعلت أهرأ به وأعجب منه وأحسب أنه قال ما قال لي شجّعني ، وأردت الهرب من بعض أبواب الدار ، فلم يكن الى ذلك سبيل ، لإحاطة القوم بالدار والابواب كلها ، فألح عليّ الى أن صعدت وأنا وجلّ ، فجلست في المستشرفات وأنا أرى العسكر . فلما علم الجندُ بصعودي اشتدّ كلبهم وشتّمهم وضجيجهم ، ونادوني بالوعيد والشتّم ؛ فغلّظتُ على الفضل بن سهل وقلت له : إنك جاهل غرّ وأبله ، غررتني ولم تدعني أعمل برأيي ، وليس العجب الا بمن قبل منك ! وهو في هذا يحلف أنني لا أنزل الا خليفة . وغيظي عليه وتعجّبي من حقه ومواصلة الايمان مع ما نشاهده من الحال يزيد . وكان ما أقاسيه منه أشدّ مما أنا فيه من مقاساة الجند . ثم وضع / 121 ب / القوم النار في شوك جمعوه وأذنوه من الدار ، ونقبوا في سورها عدة نقوب ، وثلموا فيه قطعة . فذهبت نفسي جزعًا وعلمت أنني بين أن أحرق وبين أن يصلوا اليّ ويقتلوني ، فهَمَمْتُ بأن ألقى نفسي اليهم وقَدَرْتُ أنهم إذا رأوني استحيوا وقصّروا . وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني أن لا أفعل ، وحلف أنني لا أنزل الا خليفة . وفي يده الأضطراب ينظر فيه ، في الوقت بعد الوقت . فلما اشتدّ عليّ الامر واستحكم الناس ، قال : يا سيدي ، قد والله أذاك البشري والفرج ، أرى شيئًا في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا ! فازددت من قوله غيظًا ، وأمرت غلماني بتأمل الصحراء فلم يروا شيئًا ، وجدّ القوم في الهدم والحريق حتى هممتُ لما دخلني أن ألقى الفضل بن سهل اليهم . فقال الغلمان : يا سيدي ، إنا نرى في الصحراء شيئًا قد أقبل يلوح ! فنظرت فإذا بشيء جعل يزيد تبيينًا الى أن تبينوا رجلا على بغل ، ثم قرّب ، فإذا هو يلوح . وقرّب من العسكر وقويت له قلوبنا ، ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم ، فإذا هو يقول : البشري ، هذا

رأس علي بن عيسى بن ماهان معي في المخلاة ! فلما رأوا ذلك أمسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء اليّ والسرور بالظفر والفتح . فلما علم ذلك قال لي الفضل : إذن في إدخال بعضهم ! فأذنت بشرط عليهم ، لا يدخل الآ من نريد ! فأجابوا الى ذلك ، وسمي قوماً من القواد ، يعدّه واحداً بعد واحد . ففعلوا مثل ذلك ، فأطفاً الله تعالى /122/ الثائرة ، ووهب السلامة ، وقلدني الخلافة ، وظفرت من أموال علي بن عيسى وما في عسكره ما أصلحنا به أمور جندنا واستقام الامر . انتهى . وكان الفضل بن سهل عالماً بالنجوم وسياسة الملك ، ذا رأي وحزم .

تدبير قسيس وشورى رئيس

قال في نزهة النفوس : لما خرج طاهر بن الحسين لقتال الأمين اختار له الفضل بن سهل وقتاً ، فعقد فيه لواءه ، وسلمه اليه ثم قال له : قد عقدت لك لواء لا يُحلّ خمساً وستين سنة فكان بين خروج طاهر الى وجه علي بن عيسى وقبض يعقوب بن الليث الصفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بمدينة نيسابور خمساً وستين سنة . قال : وكان المأمون لما عزم على إرسال طاهر فأخبر المأمون بأنه يظفر بالأمين ، فتعجب المأمون من إصابته وأولع بالنظر في علم النجوم . انتهى .

وكان الفضل بن سهل مع علمه وإصابته ، له رأي وتدبير ومعرفة بالأمر . قال في محاسن البلاغة للترمذي : لما خشي المأمون انتفاض بيعته مع أهل خراسان في فتنته مع أخيه الأمين استشار وزيره الفضل بن سهل ، فقال له الفضل : قد قرأت القرآن وحديث الرسول ﷺ ، والرأي عندي أن تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به ، وإحياء السنن وبسط العدل ، وتواصل النظر في المظالم ، وتكرم القواد والملوك ، وتعدّهم بالمواعد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة . ففعل ذلك وحطّ عن أهل خراسان ربع الخراج ،

فمالت وجوه الخلائق إليه وصاروا يقولون : ابن أخينا وابن عمّ رسول الله ﷺ ! وانقاد اليه رافع بن المهلب وكان من عظماء الملوك بخراسان . انتهى .

قال بعضهم : ويدخل تحت هذه الترجمة أمرٌ اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند ، وهو أن يصطنع وجوه كل قبيلة والمقدمين من كل عشيرة ، فيحسن إلى حملة العلم وحفاظ الشريعة ، ويزين مجالسهم ، ويقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين ، وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل نمط ، فهولاء أئمة الخلق وبهم يملك من سواهم . فمن كمال السياسة والرئاسة أن يُبقي على كل ذي رئاسة رياسته وعلى كل ذي عزّ عزّه ، وعلى كل ذي منزلة منزلته ؛ فحيثئذ تكون الرؤساء أعوانا له ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فأخلق به أن يدوم سلطانه ؛ فإن العامة والأتباع دون مقدّمهم وساداتهم أجساد بلا رؤوس ، وأشباه بلا أرواح ! انتهى كلامه .

وكان المأمون قد فعل بمقتضى الرأي وما استشار فيه وزيره الفضل فنجح أمره ، وقوي سلطانه ، ودانت له البلاد ، وانقادت له العباد . وكان المأمون في ابتداء هذا الامر قد عظم عليه ما دهمه من /123/ قبل أخيه الأمين ، فركن إلى الاستشارة والتدبير في هذا الأمر والتقاط كلام الحكماء والتصفّح لأراء العلماء ومن له خبرة بالأمور ، فنجح مقصده وتم طلبه .

حكم رابحة وأمثال ناجحة

ذكر العلامة ابن ظفر في سلوانه : أن المأمون لما بلغه خروج علي بن عيسى بن ماهان لقتاله اضطرب أمره ، وعلم عجزه عن مقاومته ، فركب المنتزه له لينظر وزراءه في تدبير أمره . فعارضه شيخ هرم من الفرس مستغيثاً به من مظلمة نالته . فلما نظر المأمون إلى هرمه رقّ له ، وأمر أن يُحمل على دابة ويلحقه إلى الموضع الذي قصده ويدخل عليه من غير استئذان . وسار إلى أن استقرّ

المأمون ووزراءه في ذلك الموضع الذي قصده ، فدخل عليه الشيخ الفارسي فأمره بالجلوس في حاشية المجلس ، ثم أقبل على حجّته فأخبرهم بما صنعه أخوه الأمين من القبض على حاشيته وماله وتجهيز ابن ماهان ، وهو يظنّ الشيخ لا يحسن لسان العربية ، وأنّ ما به من الهرم شاغلّ له عن الإصغاء الى ما هم فيه مما حمله من القلق والاضطراب . فلما رأى القوم المأمون لم يتحفّظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له ، وطالت مناظرتهم الى أن قال أحدهم : الرأي أن تنتظر الفرّج . فقال غيره : الرأي أن تدخل بعض المعامل تتحصّن به . وقال آخر : الصواب أن تُعسكر عسكرًا من القوم الذين لا يعرفون علي بن عيسى فنلقاهم بهم . وقال آخر : الرأي أن نبادر بالارسال الى الأمين بطلب الصّفّح /122ب/ وبذل الانقياد الى أمره . وقال آخر : الرأي أن نجتمع أهل النخوة ونزيح عليهم ونقصد بهم بعض هذه الممالك المجاورة لنا من ممالك الكفار ونجدّ فيهم القتال ، فلعلّ الله سبحانه وتعالى أن يُظفرنا بهم فيصيروا الى مملكتنا فتأمّننا ، ويسير اليّنا من هو على رأيّنا فتمتّع ونجاهد في سبيل الله عز وجلّ حتى يقضي الله أمره . وقال آخر : الرأي عندي أن نستجير بملك الترك ونستعين به على أخيك الغادر الظالم ، فهذا أمر لم تزل الملوك تفعله إذا دهمها ما لا قيل لها به . فلما سمع المأمون هذه المقالة ركن اليها وعول عليها ثم فكّر وقال : أنجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ؟! وقال لأصحابه : قوموا عني ! فنهضوا كلهم . ونظر الى حاشية المجلس فرأى الشيخ الفارسيّ ، فقرّبه ورفق به وسأله عن أمره وما قصّد له ، على لسان ترجمان أقامه . فقال الشيخ بلسان عربيّ : أيها الأمير إني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو آكدّ منها وأولى بالعناية اليها . فقال المأمون : قل ما أحببت . فقال الشيخ : أيها الأمير ، إني دخلت عليك وأنا غير متّصف بالهبة لك ، ثم قد ألقى الله تعالى في قلبي من الهبة للأمير ما كفى وملاً . وقد قالت الاولون الرّق ثلاثة أنواع ، فأولها وأشدّها الاستعناء (من قوله تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم . أي خضعت وذلت) بالباطن

والظاهر، وهو رَقّ الاختراع ، وهو الرَقّ لله ، صانع الاشياء ومخترعها ؛
وثانيها رَقّ الأتباع ، وهو صنفان : أحدهما رَقّ الحبّ ، وهو أقرب الى رَقّ
الاختراع ، لأن له سلطاناً مبسوطاً على الظاهر /124/ والباطن ، والثاني رَقّ
الرعيّة لراعيها والعبيد لساداتها ؛ والثالث رَقّ الاصطناع . فإن رأى الأمير -
أعزه الله تعالى - أن أخبره بأنه قد تظافرت له عليّ ثلاث قوى من الرَقّ ، رَقّ
الحبّة ، ورقّ الاصطناع ، ورقّ الأتباع . فإن رأى الأمير يُوصِل وسيلتي ،
ويُصدّق أُملي ، ويسعف طلييتي فيُلحِقني برداء اختصاصه ، ويُكرمني بمكاثرة
أولياّه ونصحائه فعَل ذلك متطوّلاً به غير محتاج اليه ، فإن عبده ليرجو أن
يصادف الصنيعة منه شاكراً واختصاصه منه ناصحاً . فقال له المأمون : ما دينك
أيها الشيخ ؟ فقال : مجوسي ، ولا يصدّق الأمير عني حقارة قدرتي ؛ وقد قيل
لا تحقرن من الأتباع أحداً ، فإنك تتفع به كائناً ما كان ؛ وهو أحد رجلين ،
إما شريف فتتجمل به ، أو وضع فتجني عرضك وتصون به مرتبتك ؛ وعلى
أني لست أعني حقارة قدرتي عند الأمير حقارة أخلاق ولا حقارة أعراق . فأما
أخلاقِي فامتحناتها بيد الأمير ، وأما أعراقي فإني بُرهمي من ولد البرهمان ، سيّد
ملوك الفرس المتوسطة بينها وبين أول الاوائل ، وإنما أعني حقارة ديني عند
الأمير وكوني في عقر ذمته وصغار جزيته . فقال له المأمون : ما بنا عنك رغبة
أيها الشيخ وإن انقلبت من ذمتنا الى ملئتنا ألحقناك شِعاراً (الشعار ما ولي الجسد
من الثياب ، أي ألحقناك بمكان الشعار من الثياب بالجسد) . فقال الشيخ : إن
الباعث من نفسي الى ما دعاني الأمير اليه لشديد ؛ ولكني لم تفعله نفسي في
مقامي هذا ، ولعليّ أن أفعله فيما بعده . ثم قال : أياذن لي الأمير أن أتكلّم فيما
فاوَض الآن وزراءه فيه . فقال له المأمون : /124ب/ قل ! فقال الشيخ : سمعت
ما أشار به وزراء الأمير ، وكل منهم مجتهد في الإصاّبة ، ولست أرضى شيئاً
مما ذهبوا اليه . فقال المأمون : أطلّعنا على رأيك أيها الشيخ ! فقال : إني أجد في
الحِكم التي ورثها آبائي عن آبائهم أنه ينبغي للعاقل إذا دهّمه ما لا قبل له به أن

يلزم الصبر والتسليم لحكم قاسم الحظوظ ، ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته ، فإنه إن لم يحصل على الظفر حصل على العذر . فقال له المأمون : أيها الشيخ ، إنه كان يقال لا رأي للكذوب ، وقد سمحت أنفسنا لك بالثقة من غير امتحان ، وما ذلك لاختبارنا لإضاعة الحزم ، ولكننا أحببنا أن نذيقه ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول ، وما نحن نخبرك أن هذا المتوجه إلينا - يعني علي بن عيسى بن ماهان - هو أملك للبلد منا ، ثم لا يمكننا مقاومته ، ولو أردنا ذلك لتعذر الأمر دوننا . فقال الشيخ : أيها الأمير ، ينبغي أن تمحو هذا الأمر من قلبك بالجملة ، ولا تصغي الى من ينطق به ؛ وقد قيل : ما كبر من كبره البغي ، ولا قوي من قواه الظلم ، ولا ملك من ملكه الغضب . وما أنا أحدثك عمّن إن حذوت مثاله نلت مثاله . فقال له المأمون : هات !

فقال الشيخ : إن الخنشوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس وأراد إطلاقه أخذ عليه عهداً ألا يغزوه ولا يقصده بمكره ؛ ووضع في أقصى تخوم أرض الهياطلة صخرة وأخذ عليه من العهد والمواثيق ما شدد عليه ألا يتجاوز تلك الصخرة . ولما استوثق /125/ الخنشوار من فيروز بما أخذه عليه من العهد أطلقه . فحين خرج فيروز الى بلاده ودار سكناه داخلته الحمية والإفاقة ، فعزم على غزو الخنشوار ؛ واطلع وزراءه على ذلك فحذروه وخوفوه عاقبة البغي . فما ذرعه ذلك عما هم به ، فأذكروه العهد والمواثيق التي أخذ عليه الخنشوار . فقال لهم : إني ما حلفت إلا أن أتجاوز تلك الصخرة ؛ وأنا أمر بحملها أمامي على فيل ، فتكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها أحد منهم . فلما رأوا أن الهوى قد وقف على حد الرضى بهذا القول علموا يقينا انقياد عقله الى شهوته . فسكتوا عنه واعتقدوا أن لا يراجعوه في ذلك .

وقد قالت الحكماء : الهوى صدى يعلو العقل ، فلا تنطبع فيه صورة الحقائق . ومتى لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشأة السكر ، فإذا بلغ اللجاج فذلك ري السكر وقوة سلطانه . ولا يرشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة

أو الغضب عليه . فلا يزال العقل ناظرًا الى الهوى ، قاهرًا له ما لم يحجبه غضب أو شهوة ، فحينئذ ينشط سلطان الهوى وينفذ حكمه ، لأنها حال احتجاب عقله . وذلك أن الهوى أملك بالنفس لتقدم سلطانه عليها ، فأما سلطان العقل فطارىء مستفاد . وللعقل حاجبان وهما الشهوة والغضب .

قال : فجمع فيروزُ مرازيته ، وهم أربعة يتبع كل واحد منهم خمسون ألفًا من المقاتلة ، وكل واحد منهم ضابط لربيع من أرباع المملكة ، وأمرهم أن يتجهزوا لقتال الهياطلة . /125ب/ ففعلوا . وسار فيروز نحو الخنشوار بجيوش يظن أنه لا غالب له . وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة فيروز ، بل عن مقاومة أميرين من أمرائه ، وإنما كان ظفـره به أولًا بمكيدة ليس هذا موضع ذكرها .

وقد كان موبدان قال لفيروز لما رأى عزمه على هزم الخنشوار : لا تفعل أيها الملك ، فإن ربّ العالم يمهّل الملوك على الجور ما لم يهدموا أركان الشريعة ولا يتعرّضوا لها بسوء ، فإذا أخذوا في ذلك لم يمهّلهم ، وإن العهود والمواثيق ركن من أركان الشريعة ؛ فلا تتعرّض له بسوء ! فلم يلتفت فيروز الى هذه المقالة ، وركب رأيه في معصية نصّاحاته .

وقد قالت الحكماء : يُستدلّ على إدبار الملك بخمسة فصول ، أحدها أن يستكفي بالأحداث من لا خبرة له بالعواقب في الامور ؛ الثاني أن يقصد أهل محبته ومودته بالأذى ؛ الثالث أن يكون مستغلّ ببلاده وخراجه أقل من كفاية جهاز أجناده ؛ فيفسد ملـكه ، ويطمع فيه عدوه ، بل يعد في رعيته بعمارة بـلاده فيكثر مالها وتستقيم دولته ؛ الرابع أن يكون تقريه لأهل الهوى وإبعاده لأهل الرأي ؛ الخامس استهائته بنصّاحه العلّا وذوي الرأي الصائب وذوي الحكمة والعفة . ومن عصى نصّاحه فقد استفاد أعداء . وإنما يكون قبول الصواب وردّه بحسب التخيل الفكري وضعفه ، فمن قويّ تخيل فكره فهو في سلطان الهوى مغلوب . وعلى هذا القانون فقس ؛ فمن عُدِمَ الفكرة بالأمور التحق بالبهائم .

ثم /126/ قال الشيخ الفارسي : وإن فيروزاً سار قاصداً نحو الخنشوار حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخنشوار واستحلف فيروزاً ألا يتعداها . فأمر فيروز بنقلها وحملها على فيل ، وأمر أن يكون الفيل الذي يحملها بين يدي عسكره ، ونهوا أن لا أحد من عسكره يتجاوز ذلك الفيل . فلما أبعد عن ذلك الموضع الذي كانت الصخرة فيه جاءه رجل من ثقات أصحابه وأخبره أن أسواراً من أساورته قتل رجلاً مسكيناً ظلماً وعدواناً ؛ وجاء أخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيزوز ، وتظلم من الأسوار قاتل أخيه . فأمر فيروز بمال عظيم يرضيه به من دم أخيه ، فأبى قبول المال وقال : لا يرضيني الا دم قاتل أخي ! فأمر فيروز بطرده . فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل أخاه فشد عليه بخنجر في يده ، فلما رآه الاسوار تحرك هارباً بفرسه بين يديه . وانتهى الخبر الى فيروز ، فتعجب من ذلك . فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته وتقدم بين يديه ، فسأله عن أمره فسجد له وذكر أنه يريد الخلوة معه في أمر مهم عرض له . فأمر فيروز فضرب له قسطاً ونزل فيه ، وأذن له بالدخول فدخل عليه ، وأمر له بذكر ما عنده . فقال : أيها السعيد ، ملكت الاقاليم السبعة ، وعمرت عمر بني راسف في عزتهم وقوتهم ، ولقد ظهرت عناية أول الاوائل بك بما ضرب لك من المثل في أمر هذا الأسوار إذ كان نجداً هرب بين يدي رجل مسكين في يده خنجر وما ذلك الا لبغية وتعدية . فقال فيروز : إنه لن يفر منه لعجزه ولكن لخوفه مني ، /126ب/ وإلا فلم يكن يفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يضم اليها مثلها ! فقال الوزير : أيها الملك ، أرأيت إن دعوته الى مبارزة ذلك المسكين الثائر بأخيه ، فأمنت من سطوتك ، فظهر ذلك المسكين عليه ، أما تعلم أن هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لك ! فقال الملك : لأفعلن ذلك . ثم إنه أحضر الأسوار وأمنه وأمره بمبارزة ذلك المسكين . فأجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه . وأتى بذلك المسكين ، فعرضت عليه مبارزة الاسوار ، فأظهر الرغبة فيها والحرص عليها . فخوف من الهلاك ، فلم

يخف . فقيل له : أما ترى درعه وسلاحه وفرسه ، أما سمعت بفروسيته وعُدته ونخوته وإقدامه ، إنك مُهلك نفسك ومستमित ، ولا إثم علينا فيك ! قال لهم المسكين : دعوني وإياه ، فإنه على فرس الغرور وأنا على فرس البصيرة ، وهو لابس درع الشك ، وأنا لابس درع اليقين والثقة ، وهو مقاتل بسيف البغي ، وأنا مقاتل بسيف الحق ! فقال الوزير : أيها الملك إن كلام المسكين أبلغ من الموعظة من ظفرك بهذا الأسوار ، فصن أسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه للمهلكة بلقاء هذا المسكين ، واعمل في رضى هذا المسكين بالاحسان اليه ، فإن لم يرضه الا القصاص فاقصص له بالعدل المألوف منك ، واستدم عناية قيم العالم الاول والآخر بعد أثيك بالحق الذي يرضيه العمل به ، ولا تسخطه لأحقارك ! فقال فيروز : لا بد أن أخلي بينهما ، وأنظر ما يكون منهما إن كان المسكين يختار ذلك ويرغب /127/ فيه . فأعادوا عرض مبارزته على المسكين ، فأصر على الرغبة فيها والحرس عليها ، وخوفوه الهلاك فلم يخف ، ولم يزد تخويفهم الا جرأة وإقداماً . فقيل للأسوار : ألقه ولا تخف ولا تحذ عنه . فحمل كل منهما على صاحبه فالتقيا وقبض المسكين شكيمة فرس الأسوار ، فضربه الأسوار ضربة فطأطأ المسكين لها ، فأصاب ذهاب السيف أليته فأثر فيها أثراً ليس بالكثير ، ثم ثار المسكين فضربه بالخنجر في عنقه وجذبه فصصره ، وضربه بالخنجر ضربة أخرى ، فأدخل حلقات من الدرع في جوفه وقضى عليه . فبات فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك مفكراً فيما يأتيه . ثم استعاد لهواه وسار لطريقه بوجهه .

وقد قالت الحكماء : الهوى هوّن ، وأخذ هوان . وللهوى طاغية ، فمن ملكه أهلكه . والهوى كالنار إذا استحكمت إيقادها عسر إخمادها ، وكالسيول إذا اتصل مدّها تعذر صدها ، وليس الأسير من أسرّه وأوثقه أعداؤه أسرا ، إنما الأسير من أوثقه هواه قهراً وأرهقه حسراً .

قال الشيخ : ولما علم الخنشوار قصد فيروز لحربه حمل نفسه على التثبت

ووكّل الأمر على الأول الآخر ، وسأله أن يقضي لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقّها ، ولا خاف تبعة نكثها ؛ وأخذ بعد ذلك لحظة (في الاصل : لحظة) من الحزم ومن العزم والجيش والسلاح ، فسدّ ثغوره وجمع اليه جنوده وأعدّ للقاء فيروز غداة ، وأمهلته حتى وطىء /127ب/ كثيراً من بلاده وتوسّط مملكته وعاث فيها وساء على الرعية أثره ، فنهض اليه فأجابه وصدقه الجلال . فانكشف فيروز منهزماً وأسلم ما كان في يده . فقتل الخنشوار رجاله ونهب أمواله وأجدّ في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله وآسر أهل بيته ؛ وحمل أصحابه وكانت العاقبة له .

فلما سمع المأمون ذلك وما أظهره الشيخ من ضرب الأمثال أقبل عليه مستبشراً ، وقال له : قد سمعنا مقاتلك ، فصادف منا قبولاً لها وشكراً عليها وسروراً بها ، فماذا ترى فيما دعوتك اليه من توحيد الله تعالى الذي أخذك من العقل حظك ، وفتق بالمعرفة فكرك ، وأنطق بالحكمة لسانك ، وقطع بمحمد ﷺ عُذرك ؟ فقال : أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ! فسرّ المأمون بذلك ، وأجزل صلته ، وقرب منزلته ، وألحقه بحجته وأمره بملازمته . فما لبث الا أياماً قلائل حتى لحق بربه رحمة الله تعالى عليه . وعمل المأمون برأيه ، فأنجح الله سبحانه وتعالى عمله ، وبلغه من الخلافة أمله . انتهى ما ذكر صاحب السلوان .

وكان المأمون قد قد تثبّت في أمره مع أخيه ، ولم يبادر الى شيء مما كان بينه وبين أخيه الا بعد النظر والتفكير والشورى والتدبر ؛ فكان أول ما ابتدأ به أن جهز طاهر بن الحسين الى قتال ابن ماهان ، القادم من قبل أخيه ، فسار طاهر لقتاله وهزمه وبعث برأسه للمأمون ، على حسب ما قدّمناه غير مرة (113 وما بعدها) . قال طاهر بن الحسين : وكان /128/ قتال علي بن عيسى عند رأي ذوبان . وكان ذوبان هذا من رجال ملك تلمسان ، كان قد وجهه ملكه هدية الى المأمون ، وكتب له : «إني وجهت لك بهدية ليس في الارض أسنى منها ، ولا

أرفع ، ولا أنبل ، ولا أفخر منها» . فعجب المأمون وقال للفضل بن سهل : سل الشيخ . يعني ذوبان ، وكان هذا الذي ساق الكتاب الى المأمون من ملك تلمسان . فسأله الفضل بن سهل فيما أتى به من الهدية . فقال : ما معي شيء أكثر من علمي ! فقال الفضل : أي شيء هو علمك ؟ فقال : رأي ينفع ، وتدبير يقطع ، ودلالة تجمع ! فرد ذلك على المأمون وعلمه . الى أن أجمع على أن يوجه طاهراً الى لقاء علي بن عيسى ، فدعا ذوبان وقال له : ما ترى في التوجه الى ابن ماهان والى العراق ؟ فقال ذوبان : رأي وثيق ، وأمر وفيق ، وحزم مصيب ، ومُلك قريب ، واليسر ماض ، فاقض ما أنت قاض ! قال : فمن توجه ؟ قال : الفتى الأعور . الطاهري الأطهر . يسير ولا يفتر . قوي مرهوب . مقاتل غير مغلوب ! قال : وكم توجه معه من الجند ؟ قال : أربعة آلاف من الأسياف ، لا تنقص من العدد ، ولا يحتاج الى مدد ! فوجه بطاهر بن الحسين . ثم قال : وفي أي وقت يخرج ؟ قال : مع طلوع الفجر ، يجتمع له الأمر ، ويصير له النصر ؛ نصر سريع ، وقتل ذريع ، والنصر له لا عليه ، ثم يُرفع الامر لك واليه .

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

فعمل المأمون برأيه ، فظفر طاهر وقتل ابن ماهان قائد الامين ووزيره ، واستولى على عسكره وأمواله . فأمر المأمون لذوبان بمائة ألف . فلم يقبلها وقال : أيها الملك ، إن ملكي لم يوجهني لأنقصك من مالك ، فلا تجعل ردي لنعمتك سخطاً ؛ وسأقبل ما /128ب/ يفني هذا المال ويزيد . قال : ما هو ؟ فقال : كتاب يوجد بالعراق ، فيه مكارم الاخلاق ، وعلوم الآفاق ، وهو من كتب عظيم الفرس ، فيه شفاء للنفس ؛ به من صنوف الآداب ، ما ليس يوجد في كتاب عند عاقل لبيب ، ولا فطن أريب ، يوجد في خزائن الإيوان ، لا زائد عليه ولا نقصان ؛ فأحفر المدر ، وأقلع الحجر ، فإذا وصلت الى الساحة فاقلمعها تجد الحاجة ، ولا تقصد غيرها ، فيلزمك ضميرها .

فأرسل المأمون الى ايوان كسرى ، فحفر في وسطه ، فوجد صندوقاً صغيراً

من زجاج أسود عليه قفل منه . فحُمِلَ الى المأمون فقال لذويان : هذه بغيتك ١٢
قال : نعم ، أيها الملك . قال : خذه . فأخذه ذويان وتكلم بلسانه ، ونفخ على
القفل ، فانفتح فأخرج منه سَرَقَة (في الدرّ ، قطعة . والسَرَقَة من السرّ وهو
شقّ الحرير . وهو تعريب «سَرَه» بمعنى جيّد في الفارسية) ديباج ، فنشرها
فسقط منها أوراق عددها مائة ورقة ، ولم يكن في الصندوق شيء غيرها . فأخذ
الأوراق وأنصرف الى منزله .

قال الفضل بن سهل فجثته فسألته عنها فقال : هذا كتاب جاوند بن جرد
تأليف مهجور وزير أنو شروان . فطلبت منه شيئا فأعطاني ورقات منه ،
فترجمها عليّ الحضرميّ فحملتها الى المأمون فقرأها فقال : هذا كلام والله ما
نحن عليه من منزلة ألسنتنا ، وبحوله تشادقنا ، ولو لا أنّ العهد حَبَل طرفه بيده
وطرفه بأيدينا لأخذته منه . انتهى كذا حكاة بعضهم وأظنّ أنّ ذلك منقول من
شرح منظومة ابن عبدون ، والله تعالى أعلم .

ثم إنّ المأمون لا زال في قتال أخيه الأمين ومحاصرة بغداد الى أن قتل
الأمين واستوسق الأمر للمأمون والثقت نحوه الساق ، /129/ وتمت
بيعته في سائر الآفاق .

قال في نزهة النفوس : لما استقرّ الأمر للمأمون بعد قتل أخيه سنة ثمان
وتسعين ومائة اكننى بأبي جعفر . قال الصولي : وكانوا يحبّون هذه الكنية لأنها
كنية المنصور ، وكان لهم في نفوسهم جلاله وتفاوتاً بطول عمر من اكننى بها
كالمنصور والرشيد . ولما طابت له الخلافة ، وانقاد له الناس وأشراف بني
هاشم أولى طاهر بن الحسين العراق ، وسمّاه بذِي اليمين واستوزر الفضل بن
سهل ، وفوض الأمر اليه حتى غلب عليه ؛ فكان إذا جاء الى باب الخليفة ينزل
في محفة معدّة اليه ، فيجلس فيها ، وتحمله القوادر على أعناق الرجال حتى
يجلسوه مع الخليفة المأمون على السرير ، وسمّاه بذِي الرئاستين ، وكانت له
مرتبة عنده لا يُشارك فيها ولا يعارض فيما يتصرّفه بوجه . انتهى .

فحص جراب وفصح خطاب

ذكر في الشهب اللامعة في السياسة الجامعة قال : لما استقرّ الامر لعبد الله المأمون جلس يوماً في مجلس مُذاكرته إذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب . فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل واقف بالباب ، عليه ثياب غلاظ مشمّرة ، يطلب الدخول ؛ فعلمتُ أنه بعض الصوفية فأردت أن أُشير بأن لا يؤذن له . فبدأ المأمون فقال : إئذن له ! فدخل رجل عليه ثياب قد شمّرها ، ونعله في يده . فوقف على طرف البساط ثم قال له : أتأذن في الدنو منك ؟ فقال المأمون : تكلم بما تعلم أن لله فيه رضى . قال : أخبرك عن هذا المجلس الذي أنت فيه ، /129ب/ جلستَه بإجماع من المسلمين عليك ورضى بك أم بالغلبة لهم والقوة عليهم بسلطانك ؟ قال : لم أجلسه بإجماع منهم ولا مغالبة لهم ، بل كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلي ، احتمله المسلمون إمّا على رضى وإمّا على كره ، فعقد لي ولآخر معي ولاية هذا الامر في أعناق من حضر من المسلمين ، وأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لي ولآخر معي ، فأعطوه ذلك إمّا طائعين وإمّا كارهين ؛ فمضى الذي عُقد له معي على السبيل التي مضى عليها . فلما صار الأمر لي علمت أني احتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها على الرضى بي ، ثم نظرت فرأيت أنّي متى خلّيتُ على المسلمين أمورهم اضطرب حبل الاسلام ، وخرج عهدهم ، وانتقضت أطرافهم ، وغلب على الناس الهرج والفتنة ، ووقع التنازع ، فبطلت أحكام الله ، ولم يحجّ أحد بيت الله الحرام ، ولم يجاهد الناس في سبيله ، ولم يكن لهم سلطان يسوسهم ويجمعهم ، وانتقضت السُّبل ، ولم يؤخذ لعدوهم . وضابطاً لسبيلهم وآخذاً على أيديهم قصداً أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضى به (الجملة من قوله : وضابطاً لسبيلهم . . الخ غير واضحة المعنى ، ربّما بسبب نقص فيها) . فأسلم الأمر اليه وأكون كرجل من المسلمين فمتى

اجتمعوا على رجل من المسلمين ورضوا به خرجت اليه عن هذا الأمر . فقال : السلام عليكم ورحمة الله . وقام ، فأمر المأمون علي بن صالح الحاجب أن يوجه من يتبعه حتى يعلم أين يقصد .

ف فعل ذلك ثم رجع اليه فقال : يا أمير المؤمنين ، وجهت من اتبع /130/ الرجل فمضى الى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً في مثل هيئته وزيه فقالوا : لقيت الرجل ؟ قال : نعم ! قالوا له : فما قاله ؟ قال : ما قال الأخير ، ذكر أنه ضبط أمر المسلمين حتى تأمن سبلهم ، ويقوم الحج ، ويجاهد في سبيل الله ، ويؤخذ للمظلوم من الظالم ، ولا تتعطل الاحكام ، فإذا رضي المسلمون بإمام وأجمعوا عليه سلم الأمر اليه ، وخرج اليه منه . فقالوا : لسنا نرى بهذا الأمر بأساً ، وافترقوا . قال يحيى بن أكتم : فأقبل علي المأمون وقال : يا أبا محمد ، كفيينا مؤنة هؤلاء بأيسر خطب ! فقلت : الحمد لله على ما أهلك من السداد والصواب في القول والفعل . انتهى كلام صاحب الشهب .

قيل لما أن غلب الفضل بن سهل على المأمون ، وصار الرأي له دبر في استيلاء أخيه الحسن بن سهل على العراق وعزل طاهر عنها . وكان طاهر نائب العراق وخراسان بكماهما . فكتب اليه المأمون سنة تسع وتسعين أن يتنحى عن العراق ويسلم ما افتتحه من البلاد الى الحسن بن سهل ، وأن يتوجه طاهر الى الرقة ؛ وقد وليه الموصل والشام والجزيرة والمغرب .

فأنزل طاهر عن العراق وسار الى الموصل ، فكان ذلك سبب ظهور المارقين على المأمون مع ما تحدثت الناس بينهم ، من أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وحجبه عن الناس وتبرم الأمور على هواه . فهاجت بسبب ذلك الفتن بالعراق ، وكثرت القيام ، وعمّ البلاء بالعيارين والشطّار والفساق ببغداد /130ب/ وما حولها من القرى . فكانوا يأتون الرجل فيسألونه مالا يُقرضهم ، فيمتنع عليهم فيأخذون جميع ما في يده ؛ وربما يعترضون للنسوان والصبيان علانية . وقطعوا الطريق ، ونهبوا القرى مكابرة . ويأتون أهل القرية فيأكلون

ما فيها من الانعام ويأخذون ما شاءوا مع ذلك من الغلمان والنسوان ، وانتهبوا أهل قصر ، فلم يدعوا لهم شيئاً أصلاً . وبقي الناس معهم في بلاء عظيم ، فتجمع أهل بعض المحال من بغداد مع رجل انتدبوه ، يقال له خالد بن درويش وآخر يقال له أبو حاتم سهل بن سلامة الانصاري ، من أهل خراسان ، فكان سهل المذكور قد علّق مُصحف في عنقه ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ؛ فقبل الناس منه والتفت عليهما جماعة من العامة فرّدوا شرّ الفساق ، وشدوا على من يليهم من المفسدين ، وقاتلوهم وانتصروا عليهم ، ومنعواهم من العبث في الارض ، واستقرت الأمور كما كانت .

وكان قيام سهل المذكور لأربع خلون من رمضان وقيام ابن درويش قبله بثلاثة أيام . كذا حكى ذلك الملك المؤيد .

وكان قبل ذلك قد قام ابن طباطبا العلوي سنة مائتين ، وهو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه . قام بالكوفة يدعو الناس الى الرضا من آل محمد ، وكان القائم بأمره السريّ ، وكنيته أبو السرايا بن منصور . فبايعه أهل الكوفة واستوسق أمره ، فأرسل اليه الحسن بن سهل زهير بن /131/ المسيّب الضبيّ في عشرة آلاف مقاتل ، فهزمهم ابن طباطبا واستولى على ما معهم . وكانت الواقعة في جمادى الأخيرة من السنة المذكورة . ثم إن أبا السرايا سمّ ابن طباطبا ومات فجأة في مستهلّ رجب ، وأقام غلاماً مكانه من وُلد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، يقال له زيد ، جعله أبو السرايا صورة ليستبد بالأمر ، وقد علّم أنه لا حكم له مع ابن طباطبا .

وقد قوي أمر أبي السرايا واستولى على البصرة وواسط فأرسل اليه المأمون عسكرياً ، وجرى بين الفريقين عدة وقائع يطول شرحها . فوجه المأمون في آخر هذه السنة الى أبي السرايا هرثمة بن أعين ؛ فحاصره في الكوفة في عسكر قليل ، وسار الى حلوان وتفرّق عنه أصحابه . فظفر به الكندغوس وبعث به ومن معه

الى الحسن بن سهل ، وهو بالنهرवान ، فقتله وبعث برأسه الى المأمون .
واستقرت الفتن بالعراق ، فرجع هرثمة بن أعين من الكوفة الى جهة المأمون
بعد فراغه من أبي السرايا ، فوردت عليه مكاتبات المأمون بأن يسير الى الشام
والحجاز ، وقد ظهر هناك ابراهيم الجزار . سُمي بذلك لكثرة من قتل . وهو
ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه . قام وسار الى اليمن وأزعج منها اسحاق بن موسى
العباسي ، عامل المأمون ، واستولى ابراهيم المذكور على اليمن . فبعث المأمون
الى هرثمة وهو قادم اليه أن يرجع ويسير الى الحجاز .

فحملت هرثمة /131ب/ الدالة ، وكثرت مناصحته على القدوم على
المأمون ومخالفة مرسومه . وكان بين هرثمة وبين الحسن بن سهل عداوة ،
فدس الحسن الى أصحاب المأمون بالخط على هرثمة . وكان هرثمة يظن أن قوله
هو المقبول في حق الحسن بن سهل . فلما قدم هرثمة على المأمون بمرور ضربه
وحبسه ودس اليه من قتله ، وهو بالحبس ، وقالوا مات . انتهى كذا ذكر هذا
المؤيد وغيره . فكانت وفاته سنة مائتين ، وانتقم الله منه للأمين بمحاصرته إياه
وإعانة طاهر على هلكه ، وكذا ينتقم الله من طاهر .

ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أن طاهر بن الحسين دخل يوماً على
المأمون في حاجة ، فلما رآه المأمون بكى حتى أغرقت عيناه بالدموع . فقال له
طاهر : يا أمير المؤمنين ، لم تبكي ، لا أبكي الله عينك (أسقط الاعراب إما على
لغة أو على سبيل المخاطبات) ، وقد دانت لك الدنيا ، وبلغت الأماني ؟ فقال :
أبكي لا عن ذل ولا عن حزن ، ولكن لا يخلو نفس عن شجن . فاغتم طاهر
لذلك غمًا شديدًا ، وفكر في اطلاعه على بكاء المأمون ، فأتى الى حسين
الخادم ، وكان يحجب المأمون في خلواته فقال له طاهر : أريد أن تسأل المأمون
عن موجب بكائه عندما رأي ، ولك مني مائة ألف دينار ! فلما كان المأمون في
بعض خلواته ، وهو طيب خاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لم

بكيت لِمَا دخل عليك طاهر ؟ فقال له : ما لك ولهذا ويلك ؟ قال : غمّني
بكأوك ! قال : هو أمر إن خرج من سِرِّكَ أخذته ! فقال : يا سيدي ، ومتى
أبحث لك سرّاً ؟! فقال : /132/ إني ذكرت محمداً أخي ، وما أنا له من الذِّلة ،
فخنقتني العبرة ، وأين يفوت طاهر مني ، والله لآخذنه بدم أخي ، وأين تروح
الشمس من القصّارات ! (في الاصل : القصّرات ، وهو من تقصير الثياب) .

فأخبر حسين المذكور طاهراً بذلك ، فركب طاهر الى أحمد بن أبي خالد
فقال له : إن الثناء مني ليس برخيص ، وإنّ المعروف عندي ليس بضائع ! قال :
وما ذاك ؟ قال له : تُغَيِّبني عن المأمون ! قال : سأفعل . فبكر إلى غد . وركب
أحمد بن خالد الى المأمون فقال له : أمير المؤمنين ، لم أنم البارحة ! فقال : ولم ؟
قال : لأنك وليت خراسان غسان ، وهو ومن معه أكلت رأساً ، وأخاف أن
يصطلمه مُصْطَلَم . فقال : فمن ترى تولي ؟ قال : طاهر . فقال : هو خالع !
قال أحمد : أنا ضامن . فدعا به وعقد له على خراسان من ساعته ، وأهدى له
خادماً كان رباه ، وأمره إن رأى ما يريه أن يسّمه .

فلما تمكّن طاهر من الولاية صعد يوم الجمعة المنبر وخطب ، فلما بلغ ذكر
الخلافة ، أمسك . فكتب صاحب البريد الى المأمون بذلك . فأصبح طاهر يوم
السبت ميّتاً . فكتب صاحب البريد أيضاً يخبره بموت طاهر يوم السبت .
فوصلت الخريطة الأولى بخلعه الخلافة . فدعا المأمون أحمد بن أبي خالد وقال
له : إشخص الآن وآت به كما ضمنت . وأكرهه على المسير في يومه ، ثم بعد
شدائد أذن له في المبيت ليلته . فوافت الخريطة الثانية في يومه بموته . انتهى .
قال النويري في تاريخه : توفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة
سنة سبع ومائتين بمدينة مرو ، وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة .
/132ب/ قال : وهو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزّيق بن ماهان ، وكنيته
أبو الطيّب . وقيل إن جدّه رزّيق بن أسعد بن راوية . وقيل أسعد بن زاذان ،
وقيل مصعب بن طلحة بن رزّيق الخزاعي بالولاء . كان جدّه رزّيق بن ماهان

مولى طلحة الطَّلَحَات الخزاعي المشهور بالجلود والكرم المفرط . وكان طلحة أحد نُقباء الدولة العباسية من أصحاب أبي مسلم الخراساني ، وكان يلقب أمير آل محمد . وكان طاهر من أكابر أعوان المأمون ، وكان نائب العراق بكما لها وخراسان بكما لها . ويقال إنه خلع طاعة المأمون ، فبلغ المأمون ذلك ، فقلق منه قلقاً شديداً . ثم جاءته كتب البريد في ثاني يوم أنه أصابته عَقِب خلعه له حُمى فوجد في فراشه ميتاً . وقيل إنه أصابته في جفن عينه حادثة فسقط ميتاً . انتهى . وقال ابن كثير : وُجد في فراشه ميتاً ، بعدما صَلَّى العشاء الآخرة والتفَّ في الفراش ، فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر . فدخل عليه أخوه وعمه فوجداه ميتاً . فلما بلغ المأمون موته قال : لليدين والفم ! وذلك أنه بلغه أنه خطب يوماً فلم يدعو له فوق المنبر . انتهى .

وقال بعضهم : وقيل إن المأمون دسَّ له من سمِّه . وقال الجلال السيوطي : إنَّ المأمون طرده فبقي نسياً منسياً . انتهى .

قال ابن خلكان : وكان طاهر يلقب بذي اليمينين . واختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى كان ، فقيل لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع ابن ماهان فقدَّه نصفين ، وكانت الضربة بيساره ، فقال فيه بعض الشعراء : /133/ «كلتا يديك يمين حميني (؟) بضربة» ، فلقبه المأمون لذلك بذي اليمينين .

قال ابن كثير : ويحتمل أنه لقب بذلك لأنه ولي العراق وخراسان .

وقال بعضهم : يحتمل أنه لقب بذلك ، لأنه صاحب يمين أحدهما الجارحة والأخرى العهد الثابت الذي هو عليه .

وكان طاهر أعور ، له عين واحدة ؛ فقال فيه عمرو بن ثابت :

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائده

وكان شجاعاً كريماً أديباً ممدحاً . يحب الشعر ويجزل عليه الجزيل . حكى عنه أنه ركب يوماً ببغداد في حرَّاقته فاعترضه مقدس الخلوقي الشاعر ، وقد

أذنت الحراقه من الشط ليخرج ، فقال : أيها الامير ، إن رأيت أن تسمع مني أبياتا ؟ فقال له : قل ! فأنشأ يقول (والبيت الاخير في رواية «تورق») :

عجبتُ لحراقه ابن الحسين لا غرقتُ كيف لا تغرقُ
وبخران من فوقها واحدٌ وآخر من تحتها مطبقُ
وأعجب من ذاك أعوادها وقد مسّها كيف لا تغرقُ

فقال طاهر : أعطوه ثلاثة آلاف دينار ! فقال له : زدنا حتى نزيدك . فقال : حسبي ! وفي رواية قال طاهر : إن زدتنا زدناك . انتهى .

والخلوقي بضم الخاء المعجمة واللام وسكون الواو وبعدها قاف ، نسبة الى خلوق وأخلوقة ، وهي قبيلة من العرب مشهورة . ومقلّس ، بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وبعدها سين مهملة . انتهى منه .
/133ب/

قد تقدّم ذكر أحمد ابن أبي خالد . وله قضية في سبب وصوله الى المأمون واستخدامه إياه ، فلندكرها . قال في كتاب الفرج بعد الشدة ، قال أحمد بن أبي خالد الأحول : كان يحيى بن خالد البرمكي قد أشركني هو وولده الفضل وجعفر في نعمتهم . وكان أول ما تولّيت لهم جند الأردن . وانصرفت الى مدينة السلام وقد سخط الرشيد على يحيى ، ومعى من المال ستة آلاف دينار ، فتوصّلت الى أن دخلت اليه في الحبس ، فتوجّعت عليه وعرضت عليه المال . فقال : لست أجحف بك ، إحمل اليّنا منه ثلاثة آلاف دينار . وكتب رقعة بخط لا أعرفه ، ثم أثربها وقطّعها نصفين . فجعل أحدهما معه ودفع الى الآخر وقال : أمرنا قد ولى ، ودولتنا قد انقضت ، وهذا الخليفة سيموت وستقع فتنة يطول فيها الأمر بين خليفتين ، يكون الظاهر منهما صاحب المشرق ، وسيكون لبلاد يقال له الفضل بن سهل معه حال ؛ فإذا بلغك ذلك ، فادفع اليه هذا النصف من الرقعة ، فإنك ستبلغ ما تحبّ عنده .

قال أحمد : فخرجت من عنده ، وأنا أندم الناس على إخراجي ثلاثة آلاف دينار من يدي الى رجل قد نعى نفسه إليّ . واحتفظت بالنصف من الرقعة ، ومضيت الايام ، وولي محمد المخلوع ، ووقعت الفتن . ولزمتني عطلة ودامت حتى رزحت حالي واشتدّ اختلالي ، ودخل طاهر مدينة السلام ، فإني ذات ليلة مفكر في أمري متحيراً فيما أعمله ، إذ سمعت قرع الباب عليّ فقلت لزوجتي : اخرجني الى /134/ الدهليز وأعرفني الخبر ولا تتكلمي ولا تفتحي ! فمضت وجاءت مدعورة وقالت : ما أدري ، جماعة من الشرط على الباب ، والمسودة ونفاضات (النفاضات ، والنفضة جماعة يعثون متجسسين) ! فخرجت ووقفت خلف الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا منزل أحمد بن أبي خالد الأحول ؟ قلت : نعم ! قالوا : نحن رسل الأمير طاهر بن الحسين اليه . فقلت : لعلكم غلطتم ، ما يريد الأمير من مثله ؟ فقال بعضهم : يا هذا إنما جئنا في أمر يسره ، فأعلمه ، إنه لا بأس عليه . قال ، وظنني غلاماً له . وسكنت الى هذا القول ورجعت الى منزلي من الدار ، وأنفذت سوداء كانت لي حتى فتحت الباب . فدخل قائد جليل وبرك بين يدي ، وقال : أنت - أعزك الله - أحمد بن أبي خالد ؟ قلت : نعم ! قال : الأمير يسألك أن تسير اليه الساعة . قال ، فأردت أبين الأمر الذي دعيت له أخيراً أم شر ، قلت : أدخل وألبس ثيابي . قال : افعل ! قال فدخلت وأوصيت زوجتي بما أحتاج اليه وعلمت أنه لا بأس عليّ ، ولبست مبطتي وطيلساني وشاشيتي وخفيّ ثم خرجت . فقلت : ليس مركوب ؟ قال : اركب من نجائي .

فركبت دابة قدّمت اليّ وسرت الى طاهر . فسلمت عليه ، فساعة رأياني قال : أنت أحمد بن أبي خالد الأحول ؟ قلت : نعم ! فألقى اليّ كتاباً في نصف قرطاس بخط الفضل بن سهل ، وكان أول كتاب رأيته لأبي فلان بن فلان ، فإذا عنوانه «لأبي الطيب - أعزه الله . من ذي الرئاستين الفضل بن سهل وصدره - أعزه الله . أطال بقاؤك ، أمر أمير المؤمنين بأن تتقدم ساعة تقرأ كتابي

لَطَلَبَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ /134ب/ الْأَحُولَ ، الْكَاتِبَ ، حَيْثُ كَانَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ . فَتَحَضَّرَهُ مَجْلِسُكَ ، وَتَصَلَّاهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَتَحْمَلُهُ عَلَى عَشْرِينَ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّ الْبَرِيدِ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مَصُونًا ، وَلَا تَرْخُصْ لَهُ فِي التَّأْخِيرِ .

قال : فلما قرأت الكتاب اشتدَّ سروري وقلت : آخذ فيما أحتاج إليه وأنهض ! فقال : مالي إلى ذلك وتأخرك سبيلٌ . هذا المال وهذه الدواب وتخرج الساعة ! فقلت اكتب إلى منزلي بما أحتاج إليه وأخذت المال وحملتُ أكثره إليهم وكاتبتهُم بما أريده ؛ وذكرت في الرقعة حمل النصف من الرقعة التي من يحيى بن خالد بن برمك وحملها إليّ مع قماشات قليلة مما لا يدّ منه . وعاد الجواب بوصول المال وانفذوا النصف من الرقعة وما طلبتُ من القماش وشخصت من دار طاهر سحر تلك الليلة . فما مررت بمدينة الآخذت فيها أتم خدمة ، إلى أن وافيت الريّ ، فلقيني رجل ذكر أن ذا الرئاستين أنفذه للتلقي والقيام بمصالحني ، إلى أن وافيت حضرته . فلم يزل قائمًا بما أحتاج إليه ، يحضّر كل من اجتاز به على تفقدي وخدمتي ، إلى أن وافيت باب الفضل بمرور ومعني صاحبه وصاحب طاهر .

فوقفت بباب الفضل طويلاً إلى أن تفرّغ ودعاني . ودخلتُ وهو في قبة آدم وعليه سوادٌ ، وحوله السلاح كله ، وبين يديه حُجُفٌ فيها كُتُبٌ . فلما مثلت بين يديه قال لي : أنت أحمد بن أبي خالد الكاتب ؟ قلت : نعم ! قال : إلى منزلك ؛ وارجع بعد ثلاثة في سواد لأدخلك على أمير المؤمنين . فولّيت من بين /135/ يديه وأنا لا أدري أين أمضي . فإذا خادم قد لحقني وأخذ بيدي وخرج معي حتى سار بي إلى دار قد أعدت لي ، وفيها كل ما أحتاج إليه من فرش وآلة وكسوة وغلمان ودواب وقماش وغير ذلك من الاطعمة والاشربة . فجعل يعرفني ما تحت يد كل غلام ثم قال : هذا كله لك ! وانصرف . فأقيمت في كلّ نعمة وسرور ثلاثة أيام ، ثم غدوت في اليوم الرابع في سواد ،

فألقيت ذا الرئاستين خارجاً من داره ، فترجّلت ودنوت منه ، وأعطاني طرف كعّمه فقبلته . ثم أمرني بالركوب فركبت وسرت في موكبه حتى وافى دار المأمون . فثنى رجله فنزل في محفة معدّة له ، فجلس فيها فحمّله القواد على أعناقهم حتى أجلسوه مع المأمون على السرير . فمكثتُ غير بعيد ؛ فجاء خادم ودعاني ، فدخلت والفضل والمأمون على السرير ، كلّ واحد منهما مقبل على صاحبه . فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ، هذا أحمد بن أبي خالده الذي كانت كتبه ترد علينا من مدينة السلام بأخبار المخلوع في وقت كذا ، وقد رأى أمير المؤمنين ، وهو من اليسار وحسن الحال على أمر يقصّر عنه الوصف ، وهو يعرض نفسه وماله على أمير المؤمنين ، يريد بذلك لديّ متى خلا . فسألني عن كلّ شيء كنت عرفته . قال أحمد ، فشيعت كلامه بما حضرني . فقال المأمون : بل قد وفرّ الله تعالى عليه ماله ويضيف إليه أمثاله ! قال : يا أمير المؤمنين ، يُشرك بينه وبين خدّم أمير المؤمنين ومن تقلّد الأعمال ؟ قال : نعم ، نولّيه ديوان التوقيع وديوان الفصّ والخاتم . قال : إفعل ! قال : تخلع عليه خلعة /135ب/ بهذه الأعمال . قال : نعم !

قال أحمد : فما برحت حتى أنجز لي ذلك ، وانصرفْتُ .

فلما كان بعد عشرين يوماً بعث إليّ في الليل ، فعلمت أنه لم يُخضرنِي في هذا الوقت الا ليسألني عن الرقعة . فجعلتها في خفيّ ، وسرت إليه وهو جالس والحسن أخوه الى جانبه . فقال لي : يا أبا العباس ، كان بينك وبين شيخنا أبي عليّ حرّمة ؟ قلت : نعم ، وأيّ حرمة ! قال : ما هي ؟ فقصصت إليه قصة لي كانت معه ، ثم وصلت ذلك بخبري ، الى أن انتهيت الى حديث الدنانير ونصف الرقعة . فقال : أين هي ؟ فأخرجتها من خفيّ ودفعتها إليه فرفع مصلاه ، فإذا النصف الذي بخط يحيى بن خالد جعله تحت مصلاه ، فقرّن بينهما والتفت الى أخيه وقد دمعت عيناه . فقال : هذا خط أبي عليّ ! وقال لي : أقرأت ما فيها ؟ قلت : لا . قال : فيها «امتعني الله بك ، أعطاني أحمد بن

أبي خالد الكاتب في الحال التي أنا فيها ما قد أثقلني وأعجزني عن مكافاته ، الى غير ذلك مما اعتدّ به لسلفه . ونجمنا قد أفل ، وأمرنا قد انقضى ، ودولتك قد حضرت ، وجِدك قد علا ، فأحبّ أن تقضي عني حقّ هذا الفتى إن شاء الله تعالى .

قال أحمد بن أبي خالد : ولم أزل مع الفضل يترقى حالي فأخصّ بخدمة المأمون الى أن دارت الايام ، فاستكتبني المأمون ثم صلح حالي معه الى الآن . انتهى منه .

وكذا ذكر ابن عبدوس هذه الحكاية في كتاب الوزارة الا أنه ذكرها على خلاف هذه العبارة ، غير أنه قال في الدنانير أربعة آلاف دينار ، وقال إن أحمد قال ليحيى بن خالد : يا سيدي وولائي ، تقبل مني هذه /136/ الدنانير ، وتنفقها . وقد صدقته عن حالي . فقال لي : يا أحمد بارك الله فيك ورحم الله أباك ، فإنه كان أحياني لما أملكته ، وأنت أحييتني لما نكبت ! ثم قال : هات ! فوضعتها بين يديه ، فأخذ ألفين وترك لي ألفين دينار ، وقال : أنفقهم أنت على عيالك ! فقلت : خذهم يا سيدي ، واستغن بهم على دهرك ! فأبى إلا ألفين ، وكتب لي كتاباً ، وقال لي : إذا ظهر رجل بخراسان يقال له الفضل بن سهل فأدّي اليه هذا الكتاب ، الى آخره . وتتمّ الحكاية على ما نقلناه سابقاً باختلاف يسير في العبارة .

وهذا السبب في ظهور أحمد بن أبي خالد وتقربه الى المأمون واستخدامه إياه ، وكان ذلك بواسطة الفضل بن سهل . وكان الفضل بن سهل خدّم الفضل بن يحيى البرمكي ، فأنّجه وعرفه الأمور ، فرعى له حقّ النعمة .

ذكر الجهشيارى في أخبار الوزراء ، عند ذكر البرامكة ، أن الفضل بن سهل بن زاذان فروخ ، من قرية من التبت الأعلى . وكان له عم يدعى ييقا ، فوكلّ بجارية لعاصم بن صبيح ، فاتهمه عاصم بها فضربه بالسيف وهو سكران ضربة مات منها . فصار سهل ، والد الفضل المذكور ، الى يحيى بن

خالد البرمكي طالب دم أخيه ، وهو مجوسي ؛ فاتصل بسلام بن الفرّج ، مولى يحيى ، مستغيثاً به . فحمّاه وأعانه .

ثم أسلم الفضل والحسن أخيه . فاتصل الفضل بن سهل بالفضل بن يحيى البرمكي ، واتصل أخوه الحسن بالعباس بن الفضل . فخدماهما . وعرفهما /136ب/ يحيى فرعاهما يحيى . وترقيا بإشرافه الى أن تقلّد الفضل بن سهل الوزارة والسيف ، ولقب بذي الرئاستين . وكانت فيه فضائل .

وقال البدرى في تاريخه : إن الفضل بن سهل وأخوه الحسن أصلهما من سرّخس ، وكانا مجوسيين أسلما على يد المأمون ، سنة تسعين ومائة ؛ وأنّ أباهما سهلاً أسلم على يد المهدي . انتهى .

وقال ابن خلّكان : ولما ثقل الفضل بن سهل على المأمون دسّ عليه غالب ، خال المأمون . فدخل غالب السعدي على الفضل ، وهو بالحمام في سرّخس ومعه جماعة ، فقتلوه مغافصة . وذلك يوم الخميس ثاني شعبان سنة اثنتين ومائتين . وقيل ثلاث ومائتين ، وعمره ثمان وأربعون سنة .

وذكر الطبري في تاريخه أنّ عمره كان ستين سنة . ومات والده سهل سنة اثنتين أيضاً ، بعد مقتل ابنه بقليل . وعاشت أمه وأمّ أخيه الحسن بن سهل حتى أدركت عرس بُوران على المأمون . انتهى .

وكان الفضل بن سهل عالماً بسياسة الملك . وكان أديباً كريماً . وله حزم وعزم ورأي وعقل وشجاعة ، إلا أنّه مغرورٌ ، لم يقدر أحدًا من أكابر المأمون وأمّرائه وأعيان الدولة ، ولا يعتبر أحدًا . وغلب على المأمون حتى حجّبه على الناس . وتبرّمت الأمور على هواه . وكان من أخبار الناس في علم النجوم وأكثرهم إصابة في أحكامه . فمن ذلك ما حكم به على نفسه ، وهو ما قيل إنّ المأمون طالب أم الفضل بعد موته بما خلّفه ابنها ، فحملت اليه سلّة مختومة مقفلة ، ففتح قفلها ، فإذا فيها صندوق صغير مختوم ، وإذا فيه درّج ، /137/ وفي الدرّج رقعة في حرير مكتوب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما قضى

به الفضل بن سهل على نفسه ، قضى أنه يعيش 'ثمان وأربعون' سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار» . فعاش هذه المدة ، وقتله غالب السعودي الأسود ، خال المأمون في حمام سرخس .

وقيل فيه القصائد ، فمن ذلك ما قاله ابراهيم الصولي :

| | |
|-----------------|--------------------|
| لفضل بن سهل يدّ | تقاصرَ فيها المثلُ |
| فنائلهما للغنى | وسطوتها للأجلُ |
| ويأطنها للندى | وظاهرها للقبَلُ |

وما قاله ابن أيوب التميمي :

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة وإن عظموا للفضل الا صنائعُ
ترى عظماء الناس للفضل خضعًا إذا ما بدا والفضل لله خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعة وكلّ جليل عنده متواضعُ

وما قاله مسلم بن الوليد من قصيدة في أبيه

أقمتَ خلافة وأزلت أخرى جليلٌ ما أقمتَ وما أزلتَ

وكان سبب قتله أن عليّ بن موسى ، الملقب بالرّضا ، لما عهد اليه المأمون وتقرّب اليه صار يُنصحه ويخبره بما عمي عليه . فأتى الى المأمون وأخبره بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بأرض العراق ، وأن الهاشميين سمّوا المأمون مسحورًا ومجنونًا لبيعتة لعليّ الرّضا من بعده ، وأنهم ينتقمون منه لفعله ذلك ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين ابراهيم بن المهدي . وكان الحسن نائب العراق .

فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وقراباته /137ب/ فسألهم عما أخبره عليّ الرّضا . فصدقوه من بعد أخذهم الأمان ، وقالوا له : إن الفضل بن سهل

حسن لك قتل هرثمة ، وقد كان ناصحاً لك ، فعالجه وقتله ؛ وإن طاهر بن الحسين مهّد لك الأمور حتى قاد لك الخلافة فطرده الى الرقة ، وقعد لا عمل له ؛ وإن الارض قد تصدّعت من أقطارها وكثرت الفتن ، وانتشرت الشرور بين الناس !

فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل الى بغداد ، ليقاتل من نكث بيعته وبايع لابراهيم بن المهدي .

وقد فطّن الفضل بن سهل بما تمألى عليه أولئك الناصحون للمأمون . فضرب قوماً ونسف لحاء آخرين ، واغتاض لذلك .

وسار المأمون الى بغداد ، فلما كان بسرخس عدّى قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون ، وهو بالحمام ، فدخلوا عليه بالسيوف وقتلوه ، يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة . فبعث المأمون خلفهم وجيء بهم ، وهم أربعة من المماليك ، فقتلهم . وكتب الى أخيه الحسن بن سهل يعزّيه فيه ، وولاه مكانه وظائفه الواردة .

وارتحل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر نحو العراق ، وابراهيم بن المهدي بالمدائن ، وفي مقاتلته جيش يقاتلون من جهة المأمون . انتهى ، كذا ذكر ابن عساكر .

وذكر في كتاب الفرج بعد الشدة (غير موجود في المطبوع) عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن محمد بن سعيد قال : حدثني محمد بن صالح النطّاح ، قال : لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، ندّب له عبد العزيز بن عمران الطائي وموثساً البصري وخلفاً المصري وعليّ بن أبي سعيد ، ذا القلمين ، وسراجاً /138/ الخادم . ثم نسي الخبر الى الفضل ، فأظهر للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتل الفضل ، وقتل المأمون قتله ، سأل من أين سقط الخبر الى الفضل . فعرف أنّه من جهة ابراهيم بن العباس الصولي ، فطلبه واستتر . وكان ابراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران . فإن الفضل كان

استكتب ابراهيم لعيد العزيز فعلم ذلك منه ، وأخبر به الفضل ، ودار الى أن بلغ المأمون وافتضح ابراهيم فاستتر . ثم ظهر فيما بعد وعفا عنه المأمون .

وقال ابن خلكان : لما توجه المأمون الى العراق ، استخلف على خراسان غسان بن عباد ، وأقبل الى سرخس ، فدرس المأمون على الفضل بن سهل خاله غالباً السعودي الأسود ، فدخل الفضل الى الحمام ، فدخل عليه غالب المذكور في جماعة فقتلوه ، وهو يغسل . انتهى .

فكان قتله برأي المأمون . وعلى رواية ابن الجوزي والبذري ، أن المأمون لم يأمر بقتله ، وإنما قتلوه من تلقاء أنفسهم . فبعث في طلبهم ، واقتصر له منهم . وكان ذلك بسرخس ، وهي مدينة بين مرو ونيسابور .

وقال الذهبي : لما قتل الفضل ، قامت قيامة المأمون وبعث في طلب غرمائه . فأمسكهم العباس بن الهيثم وأحضرهم اليه . فقالوا للمأمون : أنت أمرتنا بقتله ! فضرَب أعناقهم . ومضى المأمون الى والدته الفضل ليعزيها وقال : لا تأسي عليه ، ولا تحزني بفقده . فإن الله تعالى قد أخلف عليك مني ولداً ، يقوم مقامه ، فمهما كنت تنسطين فلا تنقبضي عني منه ! فبكت وقالت : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولداً مثلك ! انتهى . /138ب/

ذكر الأشعري في كتابه لب اللبيب ، أن المأمون قال : ما عيّيت بجواب أحد قط مثل ما عيّيت بجواب ثلاثة ! فقال بعض أصحابه : ومن أولئك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما أحدهم ، فإن أهل بلدة رفعوا قصة يشكون فيها عاملاً عليهم ، فقعدت لهم يوماً ، وقلت لهم : إن نطقتموني كلكم ملئت ، ولكن اختاروا رجلاً منكم أتولى مناظرته ، ويقوم مقامكم ! فقالوا : قد اخترنا رجلاً غير أنه أصم ، فإن احتملته يا أمير المؤمنين فهو لساننا ! فقلت : أحتمله . فأحضره ، فلما مثل بين يدي قلت له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وليت علينا رجلاً ثلاث سنين ، فاستأصل أموالنا ، ويريد أرواحنا ؛ ففي السنة الأولى نفذت أموالنا ، وفي الثانية بعنا ضياعنا ، وفي الثالثة خرجنا من أوطاننا

للشّر الذي نالنا ، والمسكنة التي حلت بنا ! فقال المأمون : كذبت وأفكت ، وأنت أهل لذلك ، بل ولّيت عليكم ثقةً عندي على أنفسكم وأموالكم ، مؤتمناً فاضلاً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، صدقت وبررت ، وأنا كذبت وأفكت . وأنت خليفة الله في بلاده وأمينه على عبادته ، فكيف خصصتنا بهذا العادل المؤتمن الفاضل ثلاث سنين ، ولم تولّه غير بلادنا فينشر عدله في البلاد وتحبّي به العباد كما انتشر علينا ، ويُفيض على رعيتك من عدله ما مثل ما أفاض علينا ! قال ، فضحكت وقلت : قم - أعاذك الله - قد عزلته عنكم !

وأما الثانية ، فإني أتيت برجل يدّعي /139/ النبوة ، فأمرت بحبسه ، ثم تفرّغت من شغلي فأمرت بإحضاره ، وقلت له : زعمت أنك نبي ؟ قال : نعم ! قلت : إلى من بُعثت ؟ قال : أو تركموني أبعث إلى أحد ، بُعثت الغداة وحُبست نصفَ النهار ! قلت له : من أنت من الأنبياء ؟ قال : موسى بن عمران ! قلت : إن موسى كانت له دلائل وبراهين . قال : وما كانت براهينه ؟ قلت : كان إذا ضمّ يده إلى جنبه أخرجها بيضاء ، وإذا ألقى عصاه صارت حية ! قال : نعم ، إنما ذلك لأجل فرعون لما قال أنا ربكم الأعلى ؛ فإن شئت أن ترى ذلك فقل كما قال حتى أظهر لك الآيات ! فضحكت من كلامه ووهبت له ألف دينار واستتبته .

وأما الثالثة ، فإني دخلت على أم الفضل بن سهل حين كثر بكاؤها وحزنها على الفضل ، فقلت : يا أمّ ، لا تكثري البكاء والجزع على ذي الرئاستين ، فأنا لك ولدٌ مكانه ! فاشتدّ بكاؤها . فأعدت لها القول ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولداً مثلك ! فلم أجد لها كلاماً بعده . انتهى . ومن ظرائف ما وقع للمأمون من حُسن الخطاب ولطائف الجواب ، قال بعضهم : وصّف بعضُ البلغاء عاملاً للمأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك فضةً إلا فضّتها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا علفاً إلا علفه ، ولا ضيعةً إلا ضيعها ، ولا غلةً إلا غلّها ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا ماشيةً إلا آمنشها ،

ولا جليلا إلا أجلاه ، ولا دقيقا إلا دقه ، ولا رقيقا إلا رقه ! فضحك منه المأمون ، وصرف العامل عن أهل ناحيته . انتهى .

قال هذبة بن خالد : حضرت مائدة المأمون ، ثم /139ب/ رفعت المائدة فجعلت ألتقط ما في الأرض . فنظر اليّ المأمون وقال : ما شيعت يا شيخ ؟ فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «من أكل ما تحت مائدة أمن من الفقر» . فنظر المأمون الى خادما واقف بين يديه وأشار اليه ، فما شعرت أن جاءني ومعه مندبل فيه ألف دينار . فناولني إياه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهذا من ذلك . انتهى ، كذا ذكر في بستان الآداب .

وقال غرس النعمة : لما كان المأمون بمرور دخل يوما الى الديوان ، فمر بغلام جميل فأعجبه حسنه . فقال : من الشاب ؟ فقال : الناشيء في دولتك ، والمؤمل لخدمتك ، والمتقلب في نعمتك ، الحسن بن رجاء . فاستحسن المأمون كلامه ، وأمر له بألف درهم . انتهى .

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون فسلم عليه فقال : من أنت ؟ فقال : سليل نعمتك ، وابن دولتك ، وغصن من أغصان دوحتك . فأعجبه وسأل عن حاجته فقضاها له . انتهى .

وقال المأمون يوما لعلی بن موسى الكاظم : ما يقول بنو أليك - يعني العلويين - في جدنا العباس بن عبد المطلب ؟ فقال : ما يقول في رجل فرّض الله طاعة نبيه على خلقه ، وفرّض طاعته على نبيه ! فأعجب المأمون ، وأمر له بألف ألف درهم . انتهى .

قيل إن المأمون قد اشتهر عنه التشيع والحب لآل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، ورأى علي بن موسى هذا خيرا /140/ أهل البيت ، وليس في بني العباس مثله ، من علمه ودينه . فجعله ولي عهده من بعده . ولما أن همّ المأمون على ذلك وشاع الخبر به صعب الأمر على بني العباس ، فراود أهل بغداد

منصور بن المهدي على الخلافة ، فامتنع من ذلك . فراودوه على أن يكون نائباً للمأمون ، يدعوه له في الخطبة فأجابهم الى ذلك . وذلك بعد إخراج أهل بغداد عليّ ابن هشام ، نائب الحسن بن سهل ، من بين أظهرهم . وجرت حروب كثيرة بسبب ذلك ، واضطرب الأمر .

ولمّا أن بايع المأمون عليّ بن موسى الكاظم ، وجعله ولي العهد من بعده ، ولقبه الرضا من آل محمد ﷺ ، وأمر جنده بطرح السواد وثبس الخضره ، وألزمهم ذلك ، وكتب به الى الآفاق والاقاليم ، وبلغ الخبر الى بغداد ، بايعوا لابراهيم بن المهدي وخلعوا طاعة المأمون .

ذكر في تاريخ النوري : أن بيعة المأمون لعلي الرضا كانت لليلتين خلّتا من رمضان ، يوم الثلاثاء سنة إحدى ومائتين ؛ وذلك أن المأمون رأى عليّ الرضا خير أهل البيت ، فجعله ولي عهده من بعده . انتهى ، كذا حكاه البدر في تاريخه . قال ابن الجوري : لمّا جاء الخبر الى بغداد بأنّ المأمون بايع عليّ الرضا بولاية العهد من بعده اختلفوا فيما بينهم ، فمن مجيب ومن مانع ، وجمهور العباسيين على الامتناع . وكان الباعث لهم في ذلك وأشدّهم تحرقاً ابراهيم ومنصور أبناء المهدي .

فلمّا كان يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة ، أظهر العباسيون البيعة لابراهيم بن 140ب/ المهدي ولقبوه المبارك ، وكان أسود اللون ، ومن بعده لابن أخيه اسحاق بن موسى الهادي وخلعوا المأمون . فلمّا كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لابراهيم ، فقالت العامة لا نرضى الا بابراهيم فقط . واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم وتمت الجمعة وصلى الناس فرادى أربع ركعات . انتهى .

ولمّا كان أوّل يوم من المحرم من سنة اثنتين ومائتين بويع لابراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون . فلمّا كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد ابراهيم المنبر ، فبايعه الناس ، وكان المتولي لبيعته المطلب بن عبد الله بن

مالك . وغلب ابراهيم على الكوفة وأرض السواد ، وعسكرَ بالمدائن واستعمل على الجانب الشرقي من بغداد اسحاق بن موسى الهادي ، وعلى الجانب الغربي العباس بن موسى الهادي ، وطلب الجندُ أرزاقهم ، فمأطلهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بتعويض من أرض السواد ، فخرجوا لا يملكون بشيء الا انتهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان .

وخرج على ابراهيم في تلك الأيام خارجي يقال له مهدي بن علوان ، فبعث اليه جيشاً عليهم أبو اسحاق المعتصم بن الرشيد في جماعة من القواد ، فكسره وردّ كيده .

وخرج عليه أيضاً بالكوفة أخو أبي السرايا ، المقدم ذكره . فبعث اليه من قاتله وظفر به وبعث برأسه الى ابراهيم بن المهدي . وظفر أيضاً بسهل بن سلامة المقدم /141/ ذكره . وكان سهل قد ألقت عليه جماعة من الناس يقومون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن قد جاوز الحد ، وأنكر على السلطان ، ودعا الى القيام بالكتاب والسنة الى أن صار باب داره كأنه باب سلطان ، عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أبهة الملك . فقاتله الجند وكسروا أصحابه ، فألقى السلاح وصار بين النساء واختفى في بعض الدروب ، فأخذ وجيء به الى ابراهيم بن المهدي فسجنه .

وظهرت على ابراهيم شيم الخلافة ، وجرت بين أصحابه وأصحاب المأمون بالكوفة حروب واقتتلوا قتالا شديداً . وكان على المأمونية الخضره وعلى الابراهيمية السواد . واستمر القتال بينهم الى أواخر رجب من السنة المذكورة ، وكان المأمون بخرسان فتجهز وقصد العراق فبلغ ابراهيم بن المهدي والمطلب الذي أخذ له البيعة وغيرهما قدوم المأمون ، فتحيروا . فتمارض المطلب وراح الى بغداد وسعى في الباطن في أخذ البيعة للمأمون وخلع ابراهيم . فبلغ ابراهيم ذلك ، وهو بالمدائن ، فقصد بغداد وأرسل يطلب المطلب ، فأمتنع عليه فأمر بنهيه . فنهبت دور أهله ولم يُظفر به ، وذلك في صفر من هذه السنة . انتهى

كذا ذكر المؤيد وغيره .

وقال ابن الأثير في تاريخه : وصل المأمون في السنة الثالثة بعد المائتين الى العراق ، الى مدينة طوس ، فأقام عند قبر أبيه أيامًا من شهر صفر . فلما كان أواخر الشهر مات عليّ الرضا بن موسى الكاظم الذي /141ب/ أولاه المأمون عهد الخلافة . فصلّى عليه المأمون ودفنه الى جانب قبر أبيه الرشيد ، وكتب الى الحسن بن سهل يعزّيه في عليّ الرضا .

وكان الحسن قد غلبت عليه السّوداء حتى قيّد في حديد وأودع في بيت . فكتب أمراؤه بذلك الى المأمون ، فردّ لهم «إني واصل اليكم إثر كتابي هذا» . وكتب أيضًا الى بني العباس بموت عليّ الرضا وأن يردهم لطاعته . فلم يدعنوا وأغلظوا له الجواب . انتهى .

قال الملك المؤيد في المختصر : مات عليّ الرضا سنة ثلاث ومائتين ، بأن أكل عنبًا فأكثر منه ، فمات فجأة بطوس . وصلى عليه المأمون ودفنه عند قبر أبيه الرشيد . وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وهو ثامن الاثمة الإثني عشر على رأي الامامية ، ووالد محمد الجواد ، تاسع الاثمة . انتهى .

وقال بعضهم كانت ولادة عليّ الرضا يوم الجمعة ، في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة . وتوفي آخر يوم من صفر سنة ثلاث ومائتين . وقيل خامس ذي الحجة ، وقيل عاشر ذي الحجة بمدينة طوس . وكان سبب موته أنه أكل عنبًا فأكثر منه ، وقيل مسمومًا ، فأعتلّ منه ومات رضي الله تعالى عنه . قال ابن خلكان : قيل لأبي نواس ما رأيت أوقح منك ، ما تركت خمرًا ولا رطبًا ولا معني الآ قلت فيه شيئًا ! فقال : والله ما /142/ تركت ذلك إلا إعظامًا له ، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله . ثم أنشد بعد ساعة هذه الايات :

قيل لي أنت أحسنُ الناس طُرا في فنون من المقال النبِيهِ
لك من عند القريض مدح يُشمر الدرّ في يدي مجتنيهِ

فعلی ما ترکْتَ مدح ابن موسی والخصال التي تجتمع فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريلُ خادماً لأبيه
انتهى . وكان فاضلاً ، رحمه الله .

قال ابن كثير : وروى علي بن موسى الحديث عن أبيه وغيره . وعنه جماعة
المؤمن وأبو الصلت وأبو عثمان المازني النحوي ، قال سمعته يقول : الله أعدل
أن يكلف العباد ما لا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . انتهى .
ومن شعره رحمه الله :

كلنا يأمل الأجل والمنايا هي آفات الأمل
لا يغرّنك أباطيلُ المنى وآلزم القصد ودع عنك العِللُ
إنما الدنيا كظلل زائل حلّ فيه راكبٌ ثم ارتحلُ
كذا في كتاب ابن الأثير .

وعليّ الرضا هذا هو أبو الحسن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر
الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه ، كذا نسبه المؤيد وغيره .

قال الاصمعي : لم يكن للحسين رضي الله تعالى عنه عقب إلا من ابنه زين
العابدين ، ولم يكن لزين العابدين نسل إلا من ابنة عمّه الحسن رضي الله تعالى
عنه ، فجميع الحسينيين من نسله . انتهى

وزين العابدين هذا هو الذي مدحه الفرزدق بقصيدته المشهورة .
142ب/ وقصته : لما أن حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة أبيه طاف بالبيت ،
وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه ، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام ؛
فجعله رجال الشام على كرسي وحملوه فيه على أعناقهم ؛ فبينما هم يطوفون به
وهو ينظر الناس إذ دخل شاب ، وعليه مئزر وإزار ، وفي جبهته كأنها رُكبة
عُتر ، كأنها الشمس تطلع من بين حاجبيه ، فبدأ بالطواف ، فلما أتى الحجر

فَرَجَ النَّاسَ عَنْهُ هَيْبَةً وَاجْلَالًا . فَأَغَظَ ذَلِكَ هِشَامٌ ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ : مَنْ هَذَا يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : لَا أَعْرِفُهُ ! مَخَافَةً أَنْ يَرِغَبَ فِيهِ أَهْلُ الشَّامِ وَيَفْتَتِنُونَهُ بِهِ ؛ وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَاضِرًا فَقَالَ : أَنَا أَعْرِفُهُ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ هِشَامٌ : قُلْ ، يَا أَبَا فِرَاسٍ ! فَقَالَ :

| | |
|---|---|
| هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِهِ | وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ |
| هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ | هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ |
| إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا | إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ |
| يَنْمَى إِلَى ذِرْوَةِ الْمَجْدِ الَّتِي قَصَرَتْ | عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ |
| يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ | رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ |
| فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانُ رِيحِهِ عَيْقُ | مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ |
| يُغْضِي حَيَاءً وَيَغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ | فَمَا يَكْلُمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ |
| يَنْجَابُ ثَوْبُ الدَّجَى عَنْ نَوْرِ عُرَّتِهِ | كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ أَقْطَارِهَا الْعَتَمُ |
| مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَاتُهُ | طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشِّيمُ |
| هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ | بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا |
| هَذَا سَلِيلُ حُسَيْنٍ وَابْنُ فَاطِمَةَ | بَنَتِ الرَّسُولِ الَّذِي انْجَابَتْ بِهِ الظُّلُ |
| وَلَيْسَ قَوْلُكَ لَا أُدْرِي بِضَائِرِهِ | الْعُرْبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ |
| اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ | جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ |
| مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ | وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ |
| عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ | عَنْهَا الْغَيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ |
| كَلَّمَا يَدِيهِ جَمِيعًا عَمَّ نَفْعُهُمَا | يَسْتَوْكِفَانِ فَلَا يَعْرُوهُمَا الْعَدَمُ |
| لَا يُخْلَفُ الْوَعْدُ مِمَّنْ نَقِيصَتُهُ | رَحِبَ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزُمُ |
| سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ | يَزِينُهُ خَلَّتَانِ الْخُلُقِ وَالْكَرَمُ |

حَمَالٌ أَثْقَالٌ أَقْوَامٌ إِذَا فُدِحُوا
 مَقْدَمٌ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذَكَرَهُمْ
 إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَثْمَتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بُعْدِ غَايَتِهِمْ
 هُمُ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أُزِمَتْ أُزِمَتْ
 لَا يُنْقَصُ الْعُسْرُ بِيَضًا مِنْ أَكْفِهِمْ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الضَّيْمُ سَاحَتِهِمْ
 أَيْ الْخَلَائِقُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا
 حُلُوَ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ النَّعْمُ
 فِي كُلِّ أَمْرٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ
 وَقِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ هُمْ
 وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
 سَيِّانِ ذَاكَ إِنْ أَثَرُوا أَوْ عُدِمُوا
 خَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْأُنْدَا خُضْمُ
 لِأَوْلِيَّةِ هَذَا مِنْهُمْ نَعْمُ
 وَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

ولما تمّ القصيدة اغتاض هشام لما قاله الفرزدق ، وأمر بحجسه . فحُجِسَ
 بعسْفان . فبلغ ذلك عليّ بن الحسين ، فبعث إليه بأربعة آلاف درهم ، فردّها
 عليه الفرزدق وكتب إليه : «إنما مدحتك بما أنت أهله» . فردّها ابن الحسين
 وكتب إليه : «خذها وتعاون / 143ب / بها على دهرك ، واعذر ؛ وإنا أهلُ
 البيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده . والله عز وجل يعلم نيّتك ويُشيك عليها ،
 وشكّر الله سعيك ا» . فقبلها الفرزدق وجعل يهجو هشاماً وهو في السجن ،
 فبلغه ذلك فأخرجه . انتهى .

قال ابن خلكان : وأم زين العابدين سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس .
 قال جابر الله صاحب الكشف ، في ربيع الابرار : إن يزدجرد كان له ثلاث
 بنات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فحصلت واحدة منهن
 لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، فأولدها سالماً ، والأخرى لمحمد بن
 أبي بكر رضي الله تعالى عنهما فأولدها قاسماً ، والأخرى للحسين بن علي رضي
 الله تعالى عنهما فأولدها علياً زين العابدين . فكلهم بنو خاله .
 وكان زين العابدين مع أبيه بكرلاء فاستبقي لصغر سنّه ، لأنهم قتلوا كل

من أثبت ، كما يفعل بالكفار . قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ! وكان عبيد الله بن زياد قد همّ بقتله ، ثم صرفه الله عنه وأشار بعض الفجرة بقتله على يزيد بن معاوية فحماه الله تعالى منه . ثم إن يزيد بن معاوية صار يُكرّمه ويعظّمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده . ثم بعثه الى المدينة ، فكان بها معظماً مكرماً محترماً .

قال ابن عساكر : ومسجده بدمشق معروف ، وهو الذي يقال له مشهد عليّ بجوامع دمشق . قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه . وقال محمد بن سعيد : كان زين العابدين ثقة مأموناً ، كثير الحديث عن رسول الله ﷺ ، عالماً ولم يكن في أهل البيت /144/ مثله . وقال الأصمعي : وكان زين العابدين إذا توضأ يصفرّ لونه ، فإذا قام الى الصلاة أرعد من الفرق ، أي الخوف . فقليل له في ذلك فقال : أتدرون بين يدي من أقوم ، ولمن أناجي ؟ ! وروي أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قيل له : ما بالك لم تنصرف حين وقعت النار ؟ قال : إني اشتغلتُ من هذه النار بالنار الاخرى !

ويروى أنه لما حجّ أراد أن يُلبّي إرْعَدَ واصفرّ وخرّ مغشياً عليه حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وكان كثير الصدقات بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفيء غضب الربّ جلّ جلاله . وكان كثير البكاء ، فقليل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى أبيضت عيناه ولم يتحقق بموته ، فكيف لا أبكي وقد رأيت بضعة عشر رجلاً من أهلي يُذبحون في غداة واحدة ! انتهى .

وكان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني أتصدق أو أهب عرضي اليوم لمن يفتاني !

قال الحافظ ابن عساكر : بلغني أن رجلاً من أهل الشام دخل المدينة فرأى رجلاً راكباً على بغلة ، لم أر أحسن وجهاً ولا سِمة ولا ثوباً ولا دابة منه . قال

فمال قلبي اليه ، فسألت عنه فقيل لي : هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! فقال لي : بل أنا ابن ابنته عليها السلام ! فقلت : بك وأبيك أسب عليا /144ب/ . فلما انقضى كلامي قال : أحسبك غريبا ! قلت : أجل . قال : فمِلْ بنا الى الدار ، فإن احتجت الى منزل أنزلناك ، أو الى مال واسيناك ، أو الى حاجة عاوناك على قضائها . قال : فما انصرف من عنده الا وما على وجه الأرض أحب اليّ منه . انتهى .

قيل إن رجلا مات له ولد مُسْرَف على نفسه ، فجزع عليه أبوه فقال له زين العابدين : لا تجزع فإن وراء ولدك ثلاثة ، شهادة أن لا إله الا الله ، و شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورحمة الله . انتهى .

وأخباره كثيرة رضي الله تعالى عنه . واختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها زين العابدين رضي الله تعالى عنه . والمشهور عن الجمهور أنه توفي سنة أربع وتسعين في أولها . قال المؤيد ، في سنة أربع وقيل خمس وتسعين . وسمي زين العابدين ، لانه كان كثير الصلاة . انتهى .

وقال ابن الفلاس : وفيها - أعني سنة أربع - مات سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمان . رضي الله تعالى عنهم . انتهى .

وقال بعضهم : توفي زين العابدين سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين . وقيل سنة مائة وقيل سنة تسع وتسعين وعمره ثمانية وخمسون سنة . مات بالمدينة ودفن بالبقيع . في قبره عمّه الحسن ، رضي الله تعالى عنهما . وخلف ولده محمد الباقر .

قال المؤيد : سمي الباقر لتبقره في العلم ، أي توسعه فيه . ولد سنة سبع وخمسين . وكان عمره لما قُتل جدّه الحسين ثلاث سنين . وكانت وفاته سنة ستة عشرة ومائة . /145/ وقيل في غيرها وعمره ثلاث وسبعون سنة . ومات بالحميمة ودفن بالبقيع . وهو جدّ موسى الكاظم بن جعفر الصادق وقد تقدّم

وفاة جعفر الصادق ووفاة ابنه موسى الكاظم ، والد علي الرضا المحدث عنه .
وكان المأمون قد عهد له بالخلافة من بعده ، وأصهره بأن زوجه ابنته أم حبيب ، في سنة اثنتين ومائتين . ولما عزم على إخراج الخلافة من بني العباس الى علي الرضا استعظم الأمر فأمر أن تُخصى بنو العباس ، فكان مبلغهم في تلك السنة ثلاث وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكر وأنثى . فلم يلتفت المأمون الى كثرتهم وأخرج الخلافة منهم ، وعهد بها الى علي الرضا وباع له وضرب اسمه على الدراهم والدنانير .

قال بعضهم : وكان همّ المأمون أن ينزل له عن الخلافة ، فأبى عليه ذلك . فجعله وليّ العهد من بعده الا أنه لم يتم له الغرض وعاجله حِمَامِه . فمات علي الرضا ، وليّ العهد ، في أوائل سنة ثلاث ، على ما تقدّم .

قال ابن الأثير : ولما مات علي الرضا كتب المأمون الى بني العباس ببغداد يقول لهم : «إنما نقيمتم عليّ بسبب توليتي العهد من بعدي لعلي الرضا . وها هو قد مات ، فأرجعوا الى السمع والطاعة ا» . فأجابوه بأغلظ جواب - قال : ما كُتِبَ به الى أحد من قبله - وأبوا طاعته . فاستعاض المأمون غيظاً شديداً ووجهه الى بغداد حميد بن عبد الحميد ، أحد قواده في جيش عظيم .

وقد خافت المأمون أهل بغداد ، فتنكروا على ابراهيم /145ب/ وأبغضوه . وجرت لذلك حروب كثيرة بين ابراهيم وأهل بغداد . وظهرت الفتن والشُّطَار والفساق ببغداد وتفاقم الحال . وصلّوا يوم الجمعة ظهراً . أمهم المؤذن ، من غير خطبة ، بأربع ركعات . واشتدّ الأمر واختلف الناس فيما بينهم في ابراهيم والمأمون .

ثم غلب المأمونية . ولما كان يوم الجمعة المقبلة ، دعا الناسُ للمأمون وخلعوا ابراهيم . وبلغ حميد المذكور بغداداً ، فحاصرها وأطمع جندها . فطاوعوه على السمع والطاعة للمأمون . وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة ابراهيم بن المهدي ، ثم انخذل عيسى حتى صار في أيدي

المأمونية أسيراً . وآل الحال إلى أن اختفى إبراهيم ، فكانت أيامه سنة وإحدى عشر شهراً وأثنى عشرة يوماً .

وقد وصل المأمون من خراسان إلى همدان آخر ذي الحجة من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث . وجيوشه قد استعادوا بغداد إلى طاعته . انتهى ، وكذا ذكر المؤيد .

وفي تاريخ النوري : لما خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعوا للمأمون وتخلّى عن إبراهيم أصحابه فارق مكانه ، واختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، وأحرق حميد بدار إبراهيم . فلم يجده فيها واختفى ولم يزل مختفياً إلى أن قدم المأمون بغداد . وكانت في هذه السنة بخراسان وما وراء النهر زلازل عظيمة ، دامت مقدار سبعين يوماً ، فخرت البلاد وهلك فيها خلق كثير . وكان معظمها يبلغ والجورجان والفارياب والطالقان . انتهى ما ذكر النوري /146/ ، وكذا ذكره الملك المؤيد .

قال بعضهم : وقدم المأمون بغداد في السنة الرابعة بعد المائتين بعد أن مرّ بجرجان ، فأقام بها شهراً ثم سار منها ، ينزل في المنزل يوماً ويومين ، إلى أن بلغ النهروان ، فأقام بها ثمانية أيام . ثم سار إلى بغداد ووصلها بعد ارتفاع النهار لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر ، في أتبّه عظمى وجيش عظيم وقد انقطعت الفتن بقدمه . وكان لباسه ولباس أصحابه الخضرة . فلبس بنو هاشم وأهل بغداد الخضرة . فكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضراء ويحرقون كل ملبوس يروونه من السواد . ودام ذلك ثمانية أيام .

ونزل المأمون بالرصافة ثم تحوّل إلى قصره على دجلة . وجعل الأمراء ووجوه الدولة يتردّدون إلى داره على العادة . وتحول لبس بغداد إلى الخضرة . فتكلّم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك . فبلغ المأمون . فلما كان يوم السبت ، الثالث والعشرين من صفر ، جلس للناس وعليه الخضرة واستعرض حوائج طاهر بن الحسين . فكان أوّل حاجة سأها منه أن يرجع إلى لباس السواد ، لأنه

لباس آباءه من قبله وزنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فأمر بخِلة سوداء فلبسها طاهر بن الحسين ، ثم ألبسه جماعة من الأمراء . فلبس الناس السواد وأعادهم الى ذلك بعدما علم منهم الطاعة والموافقة .

وقد قيل إن المأمون مكث بلبس الخضرة بعد قدومه بغداد تسعا وعشرين يوماً ، ثم عاد الى السواد . وقد سكنت الفتنة وأزاحت الشرور وتمهد الأمر . وشرع المأمون في بناء قصور /146ب/ على دجلة الى جانب قصره وأمر بمقاسمة أهل سواد العراق على الخمسين . وكانو يقاسمون على النصف . واتخذ القفيز الملحم ، وهو عشرة مكاكي ، بالموك الأهوازي ، ووضع شيئاً كثيراً من خراج بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضع كثيرة ، وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، وولى أخاه صالحاً البصرة ، وولى عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن أبي طالب رضي الله عنه نيابة الحرمين . وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، كذا حكاه البدرى . انتهى .

قال الياضي في تاريخه : حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه مخلد بن زردي المدائني الكاتب قال : كان مخلد يلقب لبْد ، لطول عمره . فحدثني أن المأمون أول ما قدم العراق خطر له أن يقلد الأعمال الشيعة الذين قدموا معه من خراسان ، فطال عطلة كتاب السواد دون عماله . وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت أحوال أكثرهم . فخرج يوماً بعض مشايخ الشيعة ، وكان مغفلاً ، فتأمل وجوههم فلم ير فيهم أسن من مخلد بن زردي ، فجلس اليه وقال له : إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أتخير ناحية من نواحي الخراج ، صالحة المرفق ليوقع بتقليدي إياها ، فأختر لي ناحية ! فقال : لا أعرف لك عملاً أولى بك من بربرات (جمع برية وهي الصحراء) وصدقات الوحش . فقال له : اكتبها لي ! فكتب له فعرض الشيعي الورقة على المأمون ، وسأله تقليده ذلك العمل . فقال له المأمون : من كتب هذه الرقعة ؟ قال : شيخ من /147/ أهل الكتاب ، يحضر الدار في كل يوم . قال : هلمه ! فلما حضر قال له المأمون :

ما هذا يا جاهل ، تفرغت لأصحابي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أصحابنا هؤلاء ثقة يصلحون لحفظ ما يحصل بأيديهم من الخزائن والأموال ، وأما شروطه وحكمه ، وما يجب تعجيل استخراجه ، وما يجب تأخيرره ، وما يجب إطلاقه ، وما يجب منعه ، وما يجب الاحتساب به فلا يعرفونه ؛ وتقليدهم يعود بذهاب الانتفاع ، فإن كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا فمُرْ بأن يُضَمَّ إلى كل رجل منهم رجل منّا ، فيكون الشيعي يحفظ المال ، ونحن نجمله . فاستصوب المأمون كلامه ، وأمر بتقليد عمال السواد وكتابه ، وأن يُضَمَّ إلى كل واحد من الشيعة رجل منهم . وضَمَّ مخلد إلى ذلك الشيخ ، فقلّده ناحية جليلة . انتهى .

لطيفة

قيل إن المأمون قال لبعض عماله : إياك أن تُصَنِّفَنِي لاستماع قول الساعية فيك ، فإنه ما سعى لي رجل برجل إلا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبداً . انتهى .

و مما يناسب هذا المقام ويندرج في سلك هذا النظام ما حكاه في مناهج الترسّل ومباهج التوسّل ، من أن الصاحب بن عباد رَفَعَ إليه إنساناً رقعة يحثّه فيها عن أخذ مال يتيم . وكان مالا كثيراً فكتب الصاحب على ظهر الرقعة : «النميمة قبيحة ، وإن كانت صحيحة . والميت رحمه الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله» . انتهى .

ذكر في كتاب الفرّج بعد الشدة أن المأمون أمر محمد بن يزيد / 147ب / والوزير أحمد بن أبي خالد أن يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الأهواز . فناظراه فتحصّل عليه ستة عشر ألف ألف درهم . فأعلما المأمون بذلك فقال لهما المأمون : أقبلّا كلّ حجة له وكلّ ادعاء وكلّ تعلق . فقال ابن يزيد : قد فعلت ! فقال له المأمون : عُدْ لذلك . فعاد ، فتعلّق عمرو بأشياء لا أصل لها ، فسقط

من المال عشرة آلاف ألف درهم لا حجة له فيها ، وقد وجبت عليه . فأخذ المأمون الرقعة ثم أخبر عمروا بعد خروج محمد بن يزيد ، فقال : هذه رقعتك ؟ قال : نعم ! فقال : خذ رقعتك ، قد وهبناه لك . قال : إذا تفضلت يا أمير المؤمنين ، فإنه واجب لو أخذت به على أحمد بن عروة عامل الاهواز وهو مقر به ؛ وأشهدك أنني قد وهبته له . فأغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطأه فيما عمله . فلجأ الى أحمد بن أبي خالد . فأخبره وكان أحمد يخصه فقال : لا عليك ! ودخل الى المأمون ، فلما رآه قال : ألا تعجب يا أحمد من عمرو ، وهبنا له ستة آلاف الف درهم بعد أن تجافينا له عن أضعافها ، فوهبها بين يدي لأحمد بن عروة ، كأنه أراد أن يباريني ويصغر معروفي عنده ! قال أحمد : أو فعل يا أمير المؤمنين ؟ فقال : نعم ! قال أحمد : لو لم يفعل هذا ، يا أمير المؤمنين ، لوجب أن يسقط حاله عندك . قال : وكيف ؟ قال : لانه لو استأثر به على أحمد بن عروة يأداء المال اليه كان قد أخرجه معروفك صفرًا ، ولما كانت نعمتك على عمرو ونعمته على أحمد ، وهما خدماك ، وكان الأجمل أن يتضاعف /148/ معروفك عندهما ؛ فقصده عمرو لذلك فصار المال تفضلا منك على عمرو وعلى أحمد بن عروة . ومع ذلك فأنت سيد عمرو ولا يعرف سيدًا غيرك ، وعمرو سيد أحمد ، فأقتدى في أمر أحمد بما فعلته في أمره ؛ وأراد أيضًا أن ينتشر في ملوك الأمم أن خادماً من خدامك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل إحسانك اليه ، فيزيد فذلك في جلالة المملكة وجلالة قيمتها ، فيكسر ذلك الأعداء الذين يكاثرونك ! قال فسر المأمون بذلك ، وزال ما بقلبه على عمرو بن مسعدة . انتهى .

ذكر التنوخي أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في شيء . وكان ذلك بحضرة أحمد بن أبي خالد . فأخبر أحمد عمروا . فدخل عمرو الى المأمون ، ورمى بنفسه وقال : أنا عايد بالله من سخطك يا أمير المؤمنين ، أنا أقل من يشكو أمير المؤمنين الى أحد ، أو ينشر علي ضيقنا يظهر منه لمكانه ما أظهر .

فقال له : ما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه . فقال : لم يكن الامر كذلك ، وإنما جرى معنى أوجب ذكر ما ذكرته فقلّمته قبل أن أخبرك به ، وكان ذلك عزمي ، وما لك عندي الا ما تحبّ فليُفرج روعك ، وليحسن ظنك ! وسكن منه سكونا حتى سكن ، وجعل ماء الحياة يدور في وجهه .

فلما دخل أحمد بن أبي خالد قال له : أشكو اليك من يحضرني من أهلي وخدمي ، أفعما لمجلسي حرمة حتى يؤدّي ما يجري فيه الى عمرو بن مسعدة ؛ قد أبلغ شيئا قلته فيه واتهمت فيه بعض بني هاشم ممن كان حاضرا ، وذلك أن عمروا دخل عليّ فأعاد ما كان /148ب/ واعتذر ، فجعلت اعتذاري اليه بعذر لم يند الحق نسجه ولم يتسق القول منه ؛ وإن لسان الباطل يُعني للظاهر والباطن ! فقال له أحمد : لا يتهمن أمير المؤمنين أحدا ، أنا أخبرت عمروا . فقال : وما دعاك الى ذلك ؟ فقال الشكر - والله - لأصطناعك ، والنصح لآل ، والمحبة لتمام نعمك على أوليائك وتخلّصك ، وقد علمت أن أمير المؤمنين يحبّ استبطاح الأعداء والبُعداء ، فكيف بالأولياء والقريبى ، ولا سيما مثل عمرو في موضعه من الدولة ، وموقعه من الخدمة ، ومكانه من أمير المؤمنين ، فخبرته بما أتكرته عليه ليقوم من أود نفسه ويتلافى ما فرط منه ؛ وإنما العيب لو أشعت سرا فيه قدح على ملك أو نقص تديير ؟ فقال المأمون : أحسنت والله يا أحمد ، إذ أجرتني مخاضة الظنّ وصدقتني عن نفسك . انتهى .

فكانت نجاته في الصدق .

قال بعضهم : لا يخفى على كلّ ذي لبّ أن الصّدق زين ، والكذب شين ، وأن أفضل الناس أصدقهم حديثا ، وأنجزهم موعدا ، وأوفاهم عهدا ، وأتمهم أمانة وأنداهم راحة ، وأن المؤمن من كانت هذه خصاله .

قال سعد : كلّ الخصال قد تكون في المؤمن والمنافق الا الخيانة والكذب ، فإنهما لا يصحبان الإيمان وهما عمات المنافق ، كما أن الدين والحياء لا يفارقان العقل .

قال علي رضي الله تعالى عنه : من كانت فيه ثلاثة وجبت له على الناس ثلاثة ، إذا حدثتهم صدقهم ، وإذا أئتمنوه لم يخنهم ، وإذا وعدهم وفى لهم ؛ وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم ، وأن يجلوا مكانه ، وأن تنطق بالثناء عليه ألسنتهم . /149/

وقال الشاعر في ذلك :

أصدق حديثك إن في الصدق الخلاص من الدنس
ودع الكذب لشأنه خير من الكذب الخرس

وقال غيره :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس

قيل : إن لقمان قال لولده : يا بني احذر الكذب ، فإنه شهى كلحم اليعفور (في الأصل : العفور . وقد قرينا المقصود ، ولم نعتمد القراءة في التنوخي التي تقول «العصفور» . واليعفور هو ولد البقرة الوحشية . وقال بعضهم اليعافير هي تيوس الطباء) ، من أكل منه شيئا لم يصبر عليه .

وذكر القاضي التنوخي عن أبي عباد قال : دعاني المأمون يوما ودفع إلى كتابا مختوما بخاتمه ، وأمرني أن آتي عمرو بن مسعدة فأنظره على باب مما تضمن ، وأخذ خطه في كل باب بحجته وأختمه بخاتمي وخاتم عمرو ، وأحتفظ به إلى أن يسألني عنه ولا أذكره ابتداء به ، وأكد علي في ترك ابتدائي بذكره . فعلمت أنها رُقعة ، وقد كنت شاركت عمروا في أشياء صارت إلينا أموال ، فخفت أن يكون ذكرها في الكتاب .

فقصدت عمروا فوجدته في بستان لأحمد بن يوسف ، يلعب بالشطرنج مع بعض أصحابه . فعرفته أني محتاج إلى الخلوة معه ، فقال : دعني فقد استوى لي هذا الدُس ! فضايق صدري ، فقلبت الشطرنج ، فضجر وقال : أسأت والله

بي ! فقلت : قد سال بنا السَّيل ، وأنت لا تعلم وهلكنا ! ثم قرأت الكتاب وطالبته بأن يكتب تحت كل فصل بحجة . فضحك وقال : ويحك ، أما تستحي من رجل طول هذه المدة تخدمه ، ولا تعرف خلقه ولا مذهبه ! فقلت : يا هذا /149ب/ أنخبرني إن قدمت على جحد ما في هذا الكتاب أتقبل أن تجحد ما شاركك فيه ؛ أما أنا فوالله ما أجحد ، ولكن أصير لأمر الله . فقال لي : أتريد أن أطلعك على ما هو أشد عليك من هذا ؟ قلت : وما هو ؟ فقال لي : كتاب دفعه أمير المؤمنين إلي منذ سنة ، وأمرني فيه بمثل ما أمرك به في هذا الكتاب ؛ فعرفت ضيق صدرك ، فلم أذكره لك ! فكذبت أموت الى أن فرغ من كلامه ، فقلت له : فأين هو ؟ فقال : في منزلي . فسأله إحضاره . فوجّه فجاءني به فقرأته وأنا انتفض وعمرى يضحك . فلما فرغت منه قلت : عند الله أحسب نفسي ونقمتي ! فقال : والله أنت مجنون ! فقلت : دعنا من هذا ، ووقع تحت كل فصل بحجته ! فنظر في جملة ما نسب اليه في هذا الكتاب فوجده أربعين ألف ألف درهم ، فوقع في آخره : «لو اقتصرت بنا همتنا على هذا المقدار وأضعافه لو سيعتنا منازلنا ، وما بقي هذا بدخله في برد أو تهجير في حرّ (الزيادة من الدر /221ب/ . وفي الاصل بياض بمقدار ذلك) ، وأرجو أن يعطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، ويبلغنا ما نوّله به وعلى يديه» .

وكان جملة ما رفع عليّ سبعة وعشرين ألف ألف درهم . فقلت له : قد والله قتلت نفسك وقتلني ، أترى أمير المؤمنين يصفح عن سبعة وعشرين ألف ألف درهم ! فقال : يا هذا إن صاحبك - أطال الله بقاءه - ليس ببخيل لكنه يكره أن يُعَيّن معروفه ، وإنما أراد أن يعلمنا أنه قد علم ما صار إلينا فأمسك عنه على علم . ثم ختم الكتاب بخاتمه وخاتمي . وانصرفت وأنا في الموت ، فلم أبت حتى كتبت وصيتي وأحكمت أمري فمكثت /150/ بذلك سنة قلقاً مغموماً قد هجرت مطعمي ومشربي وملأذي كلها إلا ما يقيم الرّمق . فقُلّيت ونجّلت وضئيت بدني فقال لي المأمون عشية وقد دخلت اليه وهو وحده : يا أبا

ثابت ، أنا منكر لحالك ، أفتشكو علة ؟ قلت : لا ، ولكنني منذ مدة حيي
كميت ، للكتاب الذي دفعه اليّ أمير المؤمنين أن أناظر به عمرو بن مسعدة .
فقال : أمسك حتى أعيد ما جرى بينكما !

ثم اندفع فحدثني بأمرنا كلّهُ ، وما دار بيننا حتى كأنه كان ثالثنا . فقلت
له : قد استقصى لك يا أمير المؤمنين الذي وكلته بخبرنا ، والله ما خرج منه
حرفاً ! قال : والله ما وكلت بكما أحداً ، ولكنني ظننت ظناً وعلمت أنه لا
يدور بينكما غيره ، ولقد عجبت من عجب ، لأن عقول الرجال يدرك بعضها
بعضاً . ولا ينفعل يقين لا ينفعل ظنّه . وعمرو أعرف بنا منك وأوسع صدراً ،
وأبعد همة ، وما أردت بما فعلت إلا لتعلما أني قد عرفت ما صار اليكما ، فيزول
الغبن . وعلمت أنكما تتوقيان إظهار ما صار اليكما وتستكثرانه ، فأحييت أن
أزيل عنكما غمّ الستارة وثقل المراقبة ، وإني لمتذمّم منكما خجلاً من ضعف
أثري عندكما ! . فسررت وصرت كأنّي أطلقت من عقال ، وشكرت له
ودعوت ، ثم قلت له : ما أصنع بذلك ؟ فقال : خرّقه في لعنة الله تعالى ، وامض
مصوناً في ستر الله آمناً .

مركز تحقيق مكتبة مصر

قلت : وهذا مما يُعرف به فضل المأمون وحسن سياسته . انتهى .

لطيفة

ذكرها التنوخي عن عمرو بن مسعدة ، قال : بلغني عن عمرو بن مسعدة
أنه قال كنت مع المأمون عند قدومه /150ب/ من بلاد الروم حتى إذ نزل الرقة
قال لي : يا عمرو أما ترى الرخجي قد احتوى على الأهواز ، وهي سلّة الخبز ،
وجميعه قبّله . وطمع فيها ؛ وكتبي متصلة به في حملها ، وهو يتعلّل ويتريّص
الدوائر ! فقلت : أنا أكفي أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطرّه الى حمل ما
عليه . فقال : ما يقنعني هذا ؟ قلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ! قال : تخرج
اليه بنفسك حتى تُصفّده بالحديد وتحمله اليّ ، بعد أن تقبض جميع ما في يده

من أمولنا ، وتنظر في ذلك وترتب فيه عاملا . فقلت : السمع والطاعة !
فلما كان من غد دخلت اليه . قال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت : أنا
على ذلك . قال : أريد أن تجيئي في غد مودعا . قلت : السمع والطاعة !
وجئته من غد مودعا . فقال : أريد أن تحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما
واحدا . فاضطربت من ذلك الى أن حض علي واستحلفني ألا أقيم فيها أكثر
من ثلاثة أيام . فخرجت وأنا مضطرب مغموم ، وقلت في نفسي : أنا في موضع
الوزارة ، وقد جعلني مستحيا الى عامل ومستخرجا ؛ ولكن أمر الخليفة لا بد
من سماعه وامثال مرسومه .

فخرجت حتى قدمت ببغداد ، ولم أقم بها إلا ثلاثة أيام . وانحدرت منها في
زلال أريد البصرة ، وجعل لي فيه خيش لشدة الحر . فلما صرت بين جرجريا
وجيل سمعت صائحا من الشط يصيح : يا ملاح ! فرفعت سجع الزلال ، فإذا
شيخ كبير السن حاسر الرأس حافي القدمين خالق القميص ، فقلت للغلام :
أجبه ! فأجابه فقال : يا غلام إني شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى
/151/ وقد أحرقتني الشمس وكادت تُتلفني وأريد جيل ، فاحملوني معكم ،
فإن الله جلّت عظمتة يُحسن أجر صاحبكم . قال ، فشتمه الملاح وأنتهره .
فأدركني رقة عليه وقلت للغلام : خذه معنا ! فقدم الى الشط وصاح به
فحملناه .

فلما صار معنا في الزلال وانحدرنا تقدّمت اليه فدفعت له قميصا ومنديلا ،
فغسل وجهه واستراح ، وكأنه كان ميتا عاد الى الدنيا . ثم حضر وقت الغداء
فتدّمت وقلت للغلام : هاته يأكل معنا ! فجاء وقعد معي على الطعام ، فأكل
أكل أديب نظيف ، غير أن الجوع أثر فيه . فلما رُفعت المائدة أردت أن يقوم
ويغسل يده ناحية كما يفعل العامة في مجلس الخاصة . فلم يفعل . فغسل يدي
وتدّمت أن أمر بقيامه ، فقلت : قدّموا له الطشت ! فغسل يديه . وأردت بعدها
أن يقوم لأنام . فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أي شيء صناعتك ؟ قال :

حائك ، أصلحك الله ! فقلت في نفسي الحياكة أعلمته سوء الأدب . فتناومت عليه ومددت رجلي . فقال : قد سألتني عن صناعتي ، فأنت - أعزك الله - ما صناعتك ؟

فأكبرت ذلك وقلت : أنا الجاني على نفسي هذه الجناية ، ولا بد من احتمالها ، أترأه الأحق لا يرى زلالي وغلماي ونعمتي ، وأن مثلي لا يقال له مثل هذا ! فقلت ليس غير التهنك بهذا ، والتفت إليه فقلت : صناعتي كاتب ! فقال : كاتب كامل أم ناقص ، فإن الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد علي قول الحايك مورداً عظيماً ، وسمعت كلاماً أكبرته ، وكنت متكئاً فجلست ثم قلت : فصل لنا الخمسة / 151ب/ قال : نعم ، كاتب خراج ، يحتاج أن يكون عالماً بالشروط والطسوق والحساب والمساحة والثبوت والفتوق والرتوق ؛ وكاتب أحكام ، يحتاج أن يكون عالماً بالحلل والحرام والاختلاف والاحتجاج والاجماع والاصول والفروع ؛ وكاتب معونة ، يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمؤسسات والسياسات ؛ وكاتب جيش ، يحتاج أن يكون عالماً بحلي الرجال وشيات الدواب ومدارة الاولياء وبشيء من العلم والحساب ؛ وكاتب رسائل ، يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحسن البلاغة والخط . فقلت : أني كاتب رسائل .

قال : فسؤالك عن بعضها ؟ قلت : سل . قال لي : أصلحك الله ، لو أن رجلاً من إخوانك تزوجت أمه ، فأردت أن تكاتبه ، فكيف كنت تكاتبه ؟ ففكرت في الحال ، فلم يخطر ببالي شيء ، وما أرى للتهنئة وجهاً . فقلت : إعفني ! قال : قد فعلت ، ولكنك لست بكاتب رسائل !

فقلت : أنا كاتب خراج . قال : لا بأس ، لو أن أمير المؤمنين ولأك ناحية ، وأمرك فيها بالعدل والانصاف ، وتقضي حق السلطان ، فيتظلم اليك بعضهم من مسأحك ، وأحضرتهم للنظر بينك وبين رعيتك ، فحلف المسأح بالله

العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله لقد جاروا وظلموا ،
وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه ، وانظر الصادق من الكاذب !
فخرجت لتقف عليه . فوقفوا بك على قراح (القراح ، الزرعة التي ليس عليها
بناء ولا فيها شيء) شكّله قاتل قشا ، كيف كنت تمسحه ؟ قلت : /152/
أخذ طوله على انعراجة وأخذ عرضه ثم أضربه في مثله . قال : إن شكل
قاتل قشا يكون رأساه محدودان وفي تحديده تقويس . قلت : أخذ الوسط ،
فأضربه في العرض . قال : إذا يثنني عليك العمود . فأسكتني ، وقلت : لست
بكاتب خراج !

قال : فإذا ؟ قلت : أنا كاتب قاض . قال : لا نبالي ، أفرأيت لو أن رجلاً
توفي وخلف امرأتين حاملتين ، إحداهما حرة والآخرى سريّة . وولدت السرية
غلاماً والحرة جارية فعمدت الحرة الى ولد السرية فأخذته وتركت بذله
الجارية ، واختصما في ذلك ، كيف الحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري ! قال :
فلست بكاتب قاض .

قلت : فأنّا كاتب جيش ! قال : لا بأس ، أرايت لو أن رجلين جاءا اليك
لتحلّيهما ، وكلّ واحد منهما اسمه واسم أبيه كاسم الآخر واسم أبيه ، إلا أن
أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ، كيف كنت
تحلّيهما وكلّ واحد منهما يجيء إذا دعوت الآخر ؟ قلت : لا أدري ! قال :
فلست بكاتب جيش .

قلت : أنا كاتب معونة . قال : لا نبالي . لو أن رجلين رفعوا اليك أنه قد
شجّ أحدهما شجرة موضحة ، وشجّ الآخر شجرة موميّة ، كيف كنت تفصل
بينهما ؟ قلت : لا أدري . قال : إذا ، لست بكاتب معونة ؛ اطلب لنفسك
أيها الرجل شغلاً غير هذا !

فعند ذلك صغرت اليّ نفسي وغاضني الأمر ، فقلت : قد سألت عن هذه
الامور ويجوز أن لا يكون عندك جوابها ، كما لم يكن عندي . فإن كنت عالماً

بالجواب فقل . قال : نعم ، أمّا الذي تزوجت أمّه فتكتب اليه «أمّا بعد ، فإن الأمور تجري من عند الله بغير /152ب/ محبة عباده ، ولا اختيارهم ، بل تعالى مختار لهم ما أحبّ . وقد بلغني تزويج الوالدة ، خار الله في قبضها ، فإن القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب . والسلام» .

وأمّا قراح قاتل قشا ، فيمسح العمود حتى إذا صار عددًا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه ، فما خرج فهو مساحته .

وأمّا الجارية والغلام ، فيوزن اللّبنان ، فأيهما خفّ فالجارية له .

وأمّا المرتزقان المتوافقان الإسمين ، فإذا كان الشقّ في الشفة العليا كتبت «فلان الأعلم» وإذا كان في الشفة السفلى كتبت «فلان الأفلح» .

وأمّا صاحب الشجّتين ، فلصاحب الموضحة ثلث الدية ولصاحب المومية نصف الدية .

فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه ، وامتحنته بأشياء غيرها كثيرة ، فوجدته ماهرًا في جميعها حاذقًا بليغًا . فقلت : استدعيتك حائك ، وليس الحائك كما رأينا ؟ فقال : أصلحك الله ، حائك كلام ولست حائك نساجة ! ثم أنشأ يقول :

ما مرّ بوؤس ولا نعيم الآ ولي فيهما نصيبُ
نوائب الدهر أدبتي إذ ما يوعظ الأديبُ
قد ذقت حلوا وذقت مرًا كذاك عيش الفتى ضروبُ

قلت : فما الذي بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجل كاتب ، دامت عطفتي وكثرت علّتي ، وتواصلت محنتي ، وقلّت حيلتي . فخرجت أطلب تصرفًا ، فقطّعت عليّ ، فتركت كما ترى ، فجئت على وجهي فلما لاح لي الزلال استعنت بك . فقلت له : ها أنا خرجت إلى تصرّف جليل ، احتاج فيه إلى جماعة مثلك . وقد أمرت لك /153/ بخلعة حسنة تصلح لمثلك ، وخمسة آلاف

درهم تُصلح بها أُمرك وتنفد منها الى عيالك ، وتقوي نفسك بياقيها ، وتسير معي الى عملي فأوليك أجله . فقال : أحسن الله اليك ، وجازاك خيراً ، إذا تجلّني بحيث يسرك ، ولا أقوم مقام معتذر اليك إن شاء الله تعالى .

وأمرتُ بتقبيض ما رسمت له من المال ، فقبضه وانحدر معي الى الأهواز ، فجعلته المناظرَ للرّحجي والمحاسبَ له بحضرتي والمستخرجَ لِمَا عليه ؛ فقام بذلك أحسن قيام وأوفاه وعظمت حاله معي ، وعادت نعمته الى أحسن ما كانت عليه . ورجعت الى المأمون . انتهى .

وكان فرج الرّحجيّ هذا عاملاً على فارس والأهواز ، عقد له المأمون بذلك .

نادرة غريبة : قيل إنّ المأمون غضب على فرج الرّحجيّ المذكور وسجنه . فكلّم عبد الله بن طاهر المأمون في إطلاقه ، وأعانه مسرور الخادم على ذلك . قال فرج : فبتَ ليلتي مفكراً في أمرِي وأغتممت إذ أتاني آت فقال لي :

ما أتى فرجاً من ربّه فرجٌ جئنا الى فرج نبغي به الفرّجا

فلما أصبحت لم أشعر إلا واللواء عقد لي على ولاية فارس والاهواز ، وأطلق لي معونة خمسمائة ألف درهم ، وإذا أبو البقاء الشاعر قائماً على باب داري وكتب هذا البيت في رقعة . فقلت له : متى قلت هذا البيت ؟ قال : في الوقت الذي رضي عنك فيه ! فأمرت له بعشرة آلاف درهم . انتهى .

153ب/ ذكر الياضي في تاريخه عن يحيى ابن خاقان قال : كنت كاتباً للحسن بن سهل ، فقدم المأمون مدينة السلام فقال لي : يا يحيى ، خلوت بالسوداء ولعبت في أموالِي ، واحتججتها ، فأقطعتها . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنما أنا كاتب الرجل ، والمناظرة في الأموال والأعمال مع صاحبي لا معي . قال : ما أطلبُ غيرك ، ولا أعرف سواك ، فصالحني على مائة ألف ألف ! قال يحيى : فضحكت لِمَا أعلم من ضعفي . فقال : أجِدْ وتهزّل يا يحيى ! فقلت :

يا أمير المؤمنين ، إنما ضحككت تعجباً ، وبالله ، ما أملك الا سبعمائة ألف درهم . فكيف أصالح على مائة ألف ألف درهم ؟ قال : دع ذا عنك ، واعطني خمسين ألف ألف .

فما زلت أجاذبه ويجاذبني الى أن بلغ اثني عشر ألف ألف درهم . فلما بلغ اليها قال : نَفَيْتُ من الرَّشِيدِ إِنْ تَنْقِصَكَ شَيْئاً مِنْهَا ! قلت : السمع والطاعة ! فقال : أَقِمْ لي كفيلاً إِنْ لم تف به طابته . قلت : صاحبي يا أمير المؤمنين يُضْمِنُنِي . قال : أتراني أَنِي دافعت الأذى عنه ، أَطالِبُ الحسنَ بن سهل عنك ؛ هذا ما لا يكون . فقلت : عبد الله بن طاهر . فقال : عبد الله سبيله سبيل صاحبك . قلت : حُميد . قال : هذه سبيله . فقلت : فرج ، مولاك يا أمير المؤمنين . قال : بلى والله ، ثقة . ثم التفت الى فرج وقال : تَضْمَنهُ يا فرج ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد ضمنت . فقال : والله إِنِّي محرجه بالبح عليه في المطالبة حتى يهرَبَ أو يَسْتُرَ فتُؤَدِّيهِ عنه ، فَإِنَّكَ مِلِّي . فقال فرج : صاحبي ثقة ، ولا يجفوني إِنْ شاء الله !

قال يحيى : فبكِيت الى الحسن بن 154/ سهل وعبد الله بن طاهر وحُميد ودينار بن عبد الله وغسان ورجال المأمون أسألهم إعانتني في المال . فحملوه اليَّ كلَّه عن آخره ؛ حمل كل إنسان منهم على قدره . فكتبت رقعة الى المأمون أعرفه أن المال قد حضر ، وأسأله أن يأمر من يقبضه .

فأحضرني اليه ، فلما وقعت عينه عليَّ قال : يا خائن ، الحمد لله الذي بيَّن لي خيانتك ، وأظهر لي كذبك ؛ ألم تذكر أنك قلت لا أملك الا سبعمائة ألف درهم ، فكيف تهياً لك أن حملت في عشرة أيام اثني عشر ألف ألف درهم ؟ فتلطَّفت وقلت له : حملته يا أمير المؤمنين من هذه الجريدة ! ودفعت اليه جريدة بأسماء من حمل الى المال ، ومبلغ ما حمل كل واحد منهم .

قال يحيى : فقرأ الجريدة ، ثم أطرق ملياً ورفع رأسه فقال : لا يكون أصحابنا أجود منا بهذا المال . قد وهبناه لك ، وأبرأنا ضميتك . قال يحيى

فسررت وخرجت من عنده فرحاً . ورددت المال الى أصحابه ، فأبوا أن يقبلوه وقالوا : قد وهبناه لك ، فأصنع به ما أحببت ! فقلت لهم : أخذته في وقت حاجتي ورددته عند استغنائي عنه . وحلفت ألا أقبل منه درهماً ، ورددته عليهم . انتهى .

ذكر الخطيب أن علي بن عيسى القمي كان ضامناً لأعمال الخراج والضيايع ببلده ، فقُبِضت عليه أربعون ألف دينار . وألح المأمون في مطالبته بها ، حتى قال لعلي بن صالح حاجبه : طالبه بالمال ، وأنظره ثلاثة أيام ، فإن أحضر المال قبل انقضائها وإلا فأضره بالسياط حتى يؤديها أو يتلف !

وكانت /154ب/ بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة . فاتصرف من دار المأمون آيساً من نفسه ، لا يقدر على شيء من المال . فقال له كاتبه : لو عرّجت على غسان وأخبرته بخبرك ، أن يعينك على أمرك ! فحملته حاله على قبول ذلك من كاتبه .

ودخل الى غسان فتلقاه بجميل ووفاه حقه وقصّ كاتبه قصته . فقال غسان : أرجو أن يكفيه الله تعالى . ونهض علي بن عيسى آيساً من نفسه ، كاشف البال نادماً على قصده ، والتفت الى كاتبه بعد الانصراف فقال له : ما أفدتنا بقصد غسان إلا تعجيل المهانة والذل . وتشاغل في طريقه بقاء بعض إخوانه وعاد الى داره فوجد على بابه بغلاً عليها أربعون ألف دينار مع رسول غسان بن عباد . فبلغه سلامه ، وعرفه غمّه بما دفع اليه ، وسلم اليه المال .

وتقدّم غسان بحضور دار المأمون من غد ذلك اليوم ، وبكر علي بن عيسى أيضاً . فلما وصل الناس الى المأمون تمثل غسان بين الصفيين وقال : يا أمير المؤمنين ، إن لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف أصل ، ولأمر المؤمنين عليه سالف إحسان هو أولى به ؛ وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس ، وجرى عليه من حدة المطالبة وشدتها ، والوعيد بضرب السياط الى أن يتلف ما حيّره وقطّعه عن احتيال ما عليه ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يسعفني

ببعض ما عليه ، ويَضَعُه عنه !

ولم يزل به غَسَّان الى أن حط المأمون عنه التَّصَف ، واقتصر منه على عشرين ألف دينار . فقال غسان : على أن يجدد عليه الضمان ويُسْرِفُ أمير المؤمنين /155/ بخِلعة . فأجابه المأمون الى ذلك ووقع ذلك له ، وخلع عليه وانصرف الناس .

فلما وصل علي بن عيسى الى داره ردَّ العشرين الالف دينار الى غسان وشكره ، فردّها غسان وقال له : إني لم أستحطّطها لنفسي ، وإنما أحبيت توفيرها عليك واستحططتها لك ؛ والله ليس يعود شيء من المال الى ملكي ! انتهى .

قيل إنّ المأمون كان كثير العطاء والتعظيم لحاشيته ، وأنه كان وهب مالا لم يُر أكثر منه إطلاقاً . وذلك أنه ثار عليه رجلان بمصر ، وهما عبد السلام وابن جليس ، فخلعا طاعته واستحوذا على الدّيار المصرية ، وبايعهما طائفة من القيسية واليمانية . فندب أخاه اسحاق وولاه نيابة الشام ومصر ، وولّى ابنه العباس نيابة الجزيرة والثغور والعواصم ، وأطلق لكل منهما خمسمائة ألف دينار . وذلك سنة ثلاثة عشرة ومائتين ، وأطلق في ذلك اليوم لعبد الله بن طاهر خمسمائة ألف دينار . فكان جملة ما أطلقه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . قال بعضهم وهذا شيء لم ير أكثر منه إطلاقاً . وكان قد سوّغ خراج مصر لعبد الله بن طاهر ، سنة عشرة ومائتين حين أركبه اليها واستنقذها من يدي عُبيد بن السّري بن الحكم ، المغلب عليها . فاستعادها منه بعد حروب طويلة .

قال أبو الفرج الاصفهاني في مختاره : كان عبد الله بن طاهر في علو المنزلة ، وعظيم القدر عند الخلفاء في أعلى مرتبة . وأمره مشهور عند الخاصة والعامة ، /155ب/ وله في السماحة والجود والشجاعة ما لا يقارن في ذلك أحد . ولما افتتح مصر سوّغه المأمون خراجها . فصعد المنبر ولم ينزل منه حتى أجاز بثلاثة

آلاف ألف دينار أو نحوها . فأتاه مُعلًى الطائي ، وكان واجداً عليه ، فوقف بين يديه تحت المنبر وقال : أصليح الله الأمير ، أنا مُعلًى الطائي قد بلغ مني ما كان إليّ من جفاء وغلط ، فلا يُغلظنّ على قلبك ، ولا يَسْتَخْفِكَ الحفيظة ، فأنّا الذي أقول :

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة وأظلم الناس عند الجود للمال
لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً لما أشرتُ الى خزنٍ بمشقال
إن كنتُ منك على بالٍ مننتُ به فإن شكرك من قلبي على بالٍ

فضحك عبد الله وسرّ بما كان منه ، وقال : يا أبا السّمراء ، أقرضني عشرة آلاف دينار ، فما أُمسيْتُ أملكها ! فأقرضه إياها ، فدفعها إليه . انتهى .

خبر غريب وحلم عجيب

روى محمد الخراساني ، أنّ عبد الله بن طاهر المذكور لما قال قصيدة أبيه ، يفتخر بها عن مآثر أبيه وقتله المخلوع ، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحِصني ، وكان من وُلد مسلمة بن عبد الملك ؛ فأفرط في السبِّ ، وتجاوز الحدّ في قُبْح الردِّ . وكان فيما قال من قصيدته التي أولّها :

قاتلُ المخلوع مقتول ودمُ المقتول مطلولُ /156/

الى أن قال :

يا ابن بيت النار مُوقِدها ما لحاذيه سراويلُ
مَنْ حسينُ ومن أبوه ومن مصعبُ غالتُمُ غولُ
نسبُ في الناس مؤتشب وأبواتُ أراذيلُ

فلما وليَ عبد الله مصرَ والشام عليم الحِصني أنه لا يفلتُ منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلَّ . فثَبَّتَ في موضعه ، وأحرَزَ حرْمَه ، وفتح باب حصنه ،

وجلس عليه ؛ وترك دوابه وأمواله وكل ما يملكه في موضعه . وتوقع من عبد الله أنه يُوقع به .

قال محمد الخراساني : فلما شارفنا بلدَه ، وكنا على أن نصبحه دعاني عبد الله في الليل ، وقال لي : بيتٌ عندي ، وليكن فرسك مُعدًا عندك . ففعلت ، فلما كان السحر أمر أصحابه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس . وركب وركبتُ معه أنا وخمسة من خواص غلمانه ، فسار حتى صبح الحصني ، فرأى بابه مفتوحًا وهو جالس مسترسل . فقصده وسلم عليه ونزل عنده ، وقال له : ما أجلسك ههنا ، وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش الثقيل المقيبل ، ولم تنتج عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك ؟ فقال : إن ما قلته لم يذهب عني ، ولكني تأملتُ أمري ، وعلمتُ أنني أخطأت خطية حملني عليها ترف الشباب وغيرة الحداثة ، وإني إن هربتُ منه لم أفتّه ؛ فباعدتُ الحرم ، واستسلمتُ نفسي وكل ما أملك . ولي ممن مضى أسوة ، وإني أثق أن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ، ولم يتجاوز ذلك الى الحرم ، ولا له فيهنّ أرب ، ولا يوجب جرّمي أكثر مما بذلته ! فوالله ما تلقى عبد الله الكلام إلا بدموعه تجري على لحيته /156ب/ . وقال له : أتعرفني ؟ قال : لا ، والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر . وقد آمن الله تعالى روعك ، وحقق دمك ، وصان حُرّمك ، وحرس نعمتك ، وعفا عن ذنبك ؛ وما تعجّلتُ اليك وحدي إلا لتأمن قبل هجوم الجيش ، ولئلا يخالط عَفْوِي عنك روعة تلحقك ! فبكى الحصني وقام . فضمّه اليه عبد الله ، وقبل رأسه وقال له : أمّا الآن فلا بدّ من عتاب ، يا أخي - جعلني الله فداك - قلتُ شعراً في قومي ، أفخر بهم ، ولم أطعن على حسبك فيه ، ولا أدعيتُ فضلاً عليك ، وفخرتُ بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهو من القوم الذين ثأرك عندهم ، وكان قد يَسَعُكَ السكوت وإن لم تسكت لا تُفرّق وتُسرف ! فقال : أيها الأمير ، قد عفوت ؛ فأجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب ! قال :

قد فعلتُ ، قم بنا ندخل منزلك حتى تُوجب علينا حقاً بالضيافة .

فقام مسروراً ، فأدخلنا منزله وأتى بطعام ، فأكلنا وجلسنا نشرب في مُستَشْرِفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أقول لهم لا ينزل أحد منهم الا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ . فقلت لهم ذلك ، وأقام عنده الى العصر ، وكتب له بتسوية خراج ثلاث سنين ، وقال له : إن نشِطتَ فالحق بنا وإلا فاقم بمكانك ! فقال : أتجهز وألحق بالأمير ، أعزه الله !

ففعل وجاء الى مصر ، ولم يزل مع عبد الله حتى دخل العراق ، فودعه وانصرف . انتهى .

ذكر ابن الأثير : أن المأمون لما قدم العراق ، كان الفضل بن الربيع مستتراً /157/ لخوفه من المأمون . وقد طال عليه الأمر ، فضايق صدره لذلك ، وشق عليه [تنقله] من منزل الى منزل ، وتغير لباسه ، حتى كان يلبس في تسطيره لباس النساء وتزئى بزهن . ولذلك قال فيه الكُميت :

لِيسْتَ لباسَ الغانيات وتحتها عزيمة رأي أشبهت سلة النصل

قال ابن الأثير : وكان الفضل مستتراً بناحية الخربة ، من الجانب الغربي . فخرج في بعض الايام من المنزل الذي كان فيه ليلاً ، وهو يمشي الى الجسر ، ولا يعلم الى أين يقصد ، لخوفه وحيرته وبعد عهده بالطريق . فأداه المشي الى الجسر وقد أسفر الصبح ، فأيقن بالعطب ، فتذكر منزلاً لرجل كانت بينهما مودة ، فقصده .

وكان المنزل بسوق مصر . فلما صار في بعض الشوارع رأى جمعاً وسمع نداء عليه بيذل ألف دينار لمن دلّ عليه . فاستخفى حتى جاوز النداء . ومشى فرآه رجل فعرفه ، وقال له : فضل ! وكان الرجل في أحد جانبي الطريق الذي فيه الفضل بن الربيع . فقصده ليقبض عليه ، فأعرضه حمير وجمالاً عليها جص ، فنظر الفضل يميناً وشمالاً فلم يجد مذهباً ، وقد حالت الجمال بينه

وبين الرجل ، فعمد الى درّب هناك وكان غير نافذ ، وفي صدره بابٌ منزل مفتوح ، فدخل المنزل . فوجد فيه امرأة فاستجار بها ، وناشدها الله وسألها أن تسترّه الى الليل . فأمرته بالصعود الى غرفة لها . فصعد الغرفة ولم يستقرّ به الجلوس حتى دقّ الباب . وفتح ودخل ذلك الرجل ، الذي رآه وعرفه . وإذا المنزل له ، فقال لزوجته : فأنني اليوم ألف دينار ! قالت : وكيف ذلك ؟ /157ب/ قال لها : مرّ بي الفضل بن الربيع ، فمددتُ يدي لأقبضه فأبتلعتة الأرض ! فقالت امرأته : احمّد الله تعالى الذي كفّك أمره ، وبقي عليك دينك ، ولم تكن سبباً لسفك دمه ، أو لمكروه يلحقه حتى يحصل لك شيء من حطام الدنيا ! فخرج عنها .

وصعدت المرأة وقالت لي : قد سمعت ما قد قال ، وما هذا لك بمنزل ! قال الفضل ، فضاق صدري ، وتذكّرت منزلاً لبعض مُعالملي ، فخرجتُ اليه . فلما صرت فيه ، دلّ عليّ وأسلمني إلى طالبي . فحُمِلت الى المأمون ، وأدخلت عليه ، وأنا غريان ، لا طيلسان ولا قلنسوة .

فلما وقعت عينه عليّ رقّ لي ، ووثب الى مُصلاه وصلى ركعتين ، ثم عفا عني ، وقال لي : إنما صليتها شكراً لله تعالى ، إذ وهبني العفو عنك ! قال ، ثم سأله عن خبره وما كان من أمره . فشرح له ما كان منه فعجب المأمون من المرأة ، وأمر لها بثلاثين ألف درهم . وقال للرسول : قل لها هذا جزاؤك على ما فعلته بالفضل بن الربيع من الجميل ! فردّت المال وقالت للرسول : لست آخذ على شيء فعلته لله تعالى جزاء إلاّ منه . انتهى .

وقال اليافعي : وكان خلاصه على يد طاهر بن الحسين ، وذلك أنه سأل المأمون الرضى عليه ، ومثله بين يديه ، فقال له المأمون : يا فضل ، هذا جزاء الرشيد عليك ، وما حقّ لك من النعم ، وما فعل عمّي الهادي ، وجدّي المهدي والمنصور مع أبيك ، وما تعلم . مع أن الرشيد قد أوصاك بأمر كلّها تذهب الشّحناء بيني وبين أخي ، فأغرّيته حتى أدّيته لما أدّيته . وكنت تحب تراني كيف

رأيته . أُنحِبَ أن ترى كيف كنت نَحِبَ تراني ١٩ لكني قد عفوت /158/
عليك ، لأجل خدمتكم في آبائي وأجدادي . وعفى عنه وقيل إنه لم يزل بطالا
الى أن مات ولم يكن له في دولة المأمون حظ . انتهى .

قال نِفْطَوْنِه : كان الربيع بن يونس استوزره المنصور والمهدي والهادي .
فلما آل الأمر الى الرشيد استوزر البرامكة ، وولّى الفضل بن الربيع الحجابة .
فكان يحجُب عليه ، وكان يروم التشبّه بالبرامكة ويُعارضهم ، ولم يكن له من
القدرة ما يدرك اللّحاق بهم . فكان في نفسه منهم إحنٌ وشحناء . ويحكى أنه
دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي وقد جلس لقضاء حوائج الناس ، وبين
يديه ولده الفضلُ يوقّع . فعرض عليه الفضلُ بن الربيع عشر رقايع للناس فتعلّل
يحيى في كل رقعة ، وانتهر الفضلُ بن يحيى الفضلُ بن الربيع ولم يوقع له في شيء
منها . فجمع الفضلُ بن الربيع الرقايع وقال : إرجعن خائبات خاسشات ! ثم
خرج وهو يقول هذين البيتين :

عسى وعسى يُبْثِي الزَّمانُ عَيْنَانِي بتصرف حال الزَّمان غيُورُ
فَتُقْضَى لُبَّائَاتٌ وتُشْفَى حَسَائِفُ ويحدث من بعد الأمور أمورُ

فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك ، فقال له : عزمت عليك يا أبا العباس إلّا
رجعت . فرجع ، فوقع له في جميع الرقايع . ثم ما كان إلّا قليل حتى نُكِبوا
على يديه ، وتولّى بعدهم وزارة الرشيد . والفضل مستمر على وزارته وكان في
صحبة الرشيد عند موته ، فقرّر الأمور للأمين وعرّج عن المأمون وزين للأمين
خلعه من /158ب/ ولاية العهد . فكان سبب الفتنة بينهما الى أن جرى من
الأمر ما جرى ، وظهر المأمون على الامين . فخاف الفضل بن الربيع شوكة
المأمون ، واستتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة . ثم ظهر لابراهيم بن
المهدي ، حين ادّعى الخلافة وثار على المأمون ، واتصل به . وكان معه الى أن
احتل أمره ، وتفرّق جمعه ، فاستتر الفضل بن الربيع ثانياً ، وبقي مختفياً الى

أن عفا عنه المأمون وأهمله ، الى أن مات في ذي القعدة سنة ثمان ومائتين ، وقيل في ربيع الأول . ومنه ثمان وستون سنة .

وفي ترجمته ، هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ، واسمه كيسان ، مولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . والفضل هذا هو أبو العباس الحاجب .

وقيل إن الربيع بن يونس كان لقيطاً .

يُحكى في ذلك أن شاباً دخل على أبي جعفر المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه فقال الشاب : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رحمه الله كذا ، وخلف رحمه الله من المال كذا . وكان الربيع حاضراً ، فأنتهر الشاب وقال له : ما تستحي ، كم تُكثر من الرحمة على أبيك . بين يدي أمير المؤمنين تقول هذا ! فقال الشاب : لا ألومك على انتھاري ، فإنك لا تعرف حلاوة الآباء ! فضحك المنصور ، وما علم منه ضحك كضحكك يومئذ . انتهى ، كذا ذكر الامام ابن الجوزي في الاجوبة المسكينة .

مركز حجة تكملة بزم

لطيفة

حكى عن الفضل بن الربيع أنه قال : كنت يوماً أقرأ كتاباً ورد علي وإلى جانبي رجلٌ مدني ينظر فيه ، فقلت له : ويحك ما تصنع ؟ قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال من /159/ نظر في كتاب أخيه المؤمن بغير إذنه فكأنما تطلع في النار . ولنا أشياخ تقدموا ، فأردت أن أعرف مكانهم منها ! قال الفضل : فشغلني الضحك منه على الإنكار عليه . انتهى ، كذا ذكر في بستان الآداب حكاية نقلت عن الفضل بن الربيع .

قال الفضل : سمعت من أبي ، قال سمعت من زينب بنت سليمان بن علي بن عباس ، قالت : كنت عند الخيزران ، زوجة المهدي ، وكان من عاداتها إذا كنت عندها أن تجلس في عتبة باب الرواق مقابل الإيوان ، وأجلس أنا بإزائها

في الصدر ، في مجلس كان المهدي يجلس فيه ، وهو يدخل علينا كل وقت ،
يقعد ساعة وينهض . فبينما نحن كذلك إذ دخلت علينا جارية من جواري
الخيزران فقالت : أعز الله السيّدة ، إنّ بالباب امرأة ذات جمال وخلقة ، وهي
على غاية من سوء الحال ، تستأذن عليك ؛ فسألتها عن اسمها فأمتنعت من ذلك !
فأشارت الخيزران اليّ وقالت : ما ترين ؟ قلت : ما يضرّك من ذلك ، ففي
دخولها لا بدّ من فائدة أو ثواب .

فأذنت لها بالدخول . فدخلت امرأة أجمل ما تكون النساء . فوقفت الى
جانب الباب وسلّمت وقالت : مريّة بنت مروان بن محمّد الأموي . قالت
زينب ، وكنت متّكة فجلستُ وقلت : مريّة ، قاتلك الله ، ولا حيّاك ولا
رعاك ، ولا سلّم عليك ، أتذكّرين يا عدوة الله حين أتاك نساء بني العباس
يسألنك في أن تكلمي أباك في الإذن في دفن إبراهيم ، فوثبت عليهنّ وأسمعتهنّ
أخشن الكلام وأغلظ القول ، وخرجن على الحالة التي علمتيها ! قالت زينب ،
فلما سمعت /159ب/ كلامي ضحككت ؛ فوالله ما أنسى حسن ثغرها ، وعلوّ
صوتها بالقهقهة ، ثم قالت : أي بنية عني ، أي شيء أعجبك من حسن صنيع
الله تعالى بي حتى أردت أن تتساوي بي ، وولم الله لقد فعلتُ بنساء أهللك ما
قد ذكرت ، ولكن كان حقاً على الله تعالى أن يسلمني اليك ذليلة جائعة غريانة
شعثة خاضعة ، فكان هذا شكرك لله على ما أولاك في . ثم قالت : سلام
عليكم ! وولّت خارجة .

قالت ، فالتفتُ الى الخيزران فإذا هي تبكي ، ونادت : يا مريّة ، دخلتِ
بإذن ولا تخرجي إلّا بإذن ! وصاحت بجواربها : ردّوها !

فرجعت تقول : والله ما ساقني اليك إلّا الضرّ والجهد وسوء الحال .
فنهضت الخيزران وعانقتها وقالت لجواربها : اذهبوا بها الى الحمام . ولم تبرح
حتى وافتها الخلع المذهب والطيب . وخرجت فأقبلت على الخيزران فقامت لها
وعانقتها ، وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه المهدي ، وقدمت اليها

الموائد ، وجعلت تأكل وتلقمها الى أن اكتفت وغسلت يديها ؛ فقالت لها الخيزران : هل وراءك أحد ؟ فقالت : ما لي أحد ! فقالت لها : قومي فأختاري لك مقصورة من مقاصيري ، فأسكنني عندي ، ولا يفرق بيننا إلا الموت . فقامت وطافت واختارت لها مقصورة ، وهي أنزه المقاصير وأحسنهم وأوسعهم . ثم حوكت اليها جميع ما تحتاج من المفروش والكساوي والرفيق ثم تركناها وخرجنا من عندها ، فقالت الخيزران : هذه امرأة مسها الضر ما لا مزيد عليه ، ولا يغسل ما في قلبها إلا المال ؛ إحملوا اليها /160/ خمسمائة ألف درهم .

فحملت اليها . ودخل المهدي في آخر الأمر فقال : ما لكم ؟ فنهضت اليه وأعلمته بجميع ما جرى وما قلت لها حين دخلت وما ردته علي . فغضب غضباً شديداً وقال : والله لولا لك خادمة ، لأحلفن ألا أكلّمك أبداً ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد طاب قلبها واعتذرنا اليها وفعلت معها السيّدة الخيزران كذا وكذا . فسرّه ذلك ، وقال : إحملوا اليها من عندي مائة ألف درهم . وقال لخدام كان على رأسه : ابلغنيها منّي السلام ، وقولي لها إني ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ، فلا تدّعي في نفسك حاجة إلا ذكرتها لنا ، ولولا أكره أن أحشّمك لصيرت إليك مسلماً عليك وقاضياً بحقك .

فمضى الخدام بالرسالة اليها ؛ فجاءت مريّة الى المهدي ، فسلمت عليه وقالت : ما عليّ من أمير المؤمنين حشيمة ، فإني عدت من بعض جواره ! فقال : لا والله ، بل أعزّ من ولدي ! ولم تزل عند الخيزران حتى ماتت الى رحمة الله تعالى . انتهى كذا ذكر في بستان الآداب .

ولنرجع الى أخبار المأمون .

فضل حلم وفضول جزم

قال حماد بن اسحاق كنت بين يدي المأمون يوماً فدخل اليه ابن البواب الحاجب ، وبيده رقعة فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن في إنشادها ! فظنها له وقال : هات ! فأنشده : ﴿

أَجْرَنِي فَأَتَيْتُ قَدْ ضَمِيتُ إِلَى الْوَعْدِ مَتَى تَنْجِزُ الْوَعْدَ الْمَوْكِدَ بِالْعَهْدِ
أَعِيدُكَ مِنْ خَلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى تَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
أَرَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلِكُهُ وَاللَّهُ أَعْرَفُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصَمَةٌ مُمَيَّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنتَ والله يا عبد الله ! فقال : يا أمير المؤمنين بل أحسن قائلها . قال : من هو ؟ قال : عبدك ، الحسين بن الضحاك . فغضب ثم قال : لا حيى الله من ذكرت ، ولا أبقاه ولا قرّبه ، ولا أنعم به عيناً ، أليس القائل «أعيني جوداً وابكياً لي محمداً» وسرد القصيدة . وقد تقدّمت في وفاة الأمين ، ثم قال : هذا بذاك ، ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البواب : فأين فضل إحسان أمير المؤمنين ، وسعة حلمه وعادته في العفو ؟ فأمر بإحضاره .

فلما مثل بين يديه وسلّم ، ردّ عليه سلاماً خفياً ثم أقبل عليه وقال له : أخبرني عنك ، هل عرفتَ يوم قُتل أخى محمد - رحمه الله - هاشمية قُتِلت أم هُتكت ؟ قال : لا ! فقال : له فما معنى قولك :

وَمِمَّا شَجَى قَلْبِي وَكَفَكَفَ عَثْرَتِي مَحَارِمُ مِنْ آلِ النَّبِيِّ اسْتَحَلَّتْ -
وَمَهْتُوكَةٌ بِالْخُلْدِ عَنْهَا سُجُوفُهَا كَعَابٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَبَدَّتْ -
إِذَا خَفَرَتْهَا رَوْعَةٌ مِنْ مَنَازِعِ لَهَا الْمِرْطُ عَادَتْ بِالْخَضُوعِ وَوَسَتْ -
وَسَرَبُ ظِلْيَاءٍ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمِ هَتَفَنَ بِدَعْوَى خَيْرِ حَيٍّ وَمَيَّتِ -
أَرَدَدَ يَدًا مَنَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَلَى كَبِدِ حَرَى وَقَلْبِ مُفْتَتِرٍ -

كرر فلا يأت ليل الشامتين بغيطة ولا بلغت آمالها ما تمنّت

فقال : يا /161/ أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني . فدمعت عين المأمون ، وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بردّ رزقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك . انتهى . كذا في تاريخ العظمي . وقال اسحاق الموصلي : لما ظاهر المأمون بشرب النبيذ طلب قوماً من أهل البلد البيّات ليجالسونه ، فاجتمع بجماعة من أعيان بغداد ثم بالحسين بن الضحّاك الخليع ، فقال : لا أنعم الله بالحسين عينا ، أليس القائل في محمّد :

هلاً بقيت لسدّ فاقبنا أبداً وكان لغيرك التلّف
فلقد خلّفت خلائفاً سلفوا ولسوف يغير غيرك الخلف

لا يراني أبداً ! فتلطّف عبد الله بن طاهر في شأنه ، ولم يزل به حتى رضي عنه المأمون ، وصار من ندمائه . انتهى .

ومن ذلك ما نقل عن ابن النطّاح ، أنه قال : لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، ندب لذلك جماعة منهم عبد العزيز بن عمران الطائي . فسمى الخبر الى الفضل . فأظهره للمأمون وعاتبه عليه ، فلما قُتل الفضل ، وقتل المأمون قتله سأل من أين سقط الخبر . فعُرف أنه من جهة ابراهيم بن العباس . وكان الفضل استكتب ابراهيم لعبد العزيز المذكور . وكان ابراهيم قد عرف الخبر من جهة عبد العزيز ، فأخبر به الفضل .

فطلب المأمون ابراهيم بن العباس فاستتر خوفاً من المأمون . فتحمل عليه بجماعة وجرّد في أمره هشام الخطيب المعروف /161ب/ بالعباسي ، وكان جريئاً على المأمون ، لأنه رآه . فلم يجب المأمون الى ما سأله . فلقية ابراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته ، فقال له : قد وعدني في أمرك بما تحب . فقال له : أظنّ الأمر على غير هذا . قال : وما تظنّ ؟ قال : محلك من أمير

المؤمنين أجل من أن يعدك شيئا وترضى بتأخيرته ، وهو أكرم من أن يعدك شيئا فيؤخره ، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تعلمني به ؛ فأحسن الله - على كل الاحوال - جزاءك ! فمضى هشام الى المأمون وعرفه ذلك . فعجب من فطنته وعفا عنه . فقال ابراهيم :

من كانت الاموال ذخراً له فإن ذخري أُملي في هشام
فتى نفى اللامة عن عرضه وأذهب المال قضاء الذمام

انتهى من الاغاني .

شيء من أخبار ابراهيم بن العباس المذكور وشعره :

قيل إن محمد بن عبد الملك وجّه بأبي الجهم أحمد بن سيف الى الأهواز ، ليكشف ابراهيم بن العباس فتحامل عليه تحاملاً قبيحاً . فكتب ابراهيم الى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكو اليه ويقول : «إن أبا الجهم كافر ، لا يبالي بما عمل ، وهو القاتل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت في غلامه :

تركت عييد بني طاهر كغيري وقد ملأوا الأرض عرضاً وطولا
وأقبلت تسعى الى واحدي ضياراً كأنني قتلتُ الرسولا
فسوف أدين بترك الصلاة وأصطبغُ الخمر صيرفاً شمولاً»

فكان محمد لتعصبه على ابراهيم وقصده له يقول ليس هذا /162/ الشعر

لأبي الجهم وإنما ابراهيم قاله ونسبه اليه .

وكتب ابراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك يستعطفه ويقول له : «قد بلغت المذبة المحز ، وكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك ، وبادر اليّ العدو تقرباً اليك ، ولو أمنت وذك لقلت ، ولكني أخاف منك عتياً لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها معي . وما قدّر فهو كائن . وعن كل حادثة أحوثة :

وكنْتَ أخِي ما أَخافُ الزمانَ فلما نَبأ صيرتَ حربًا عَوًا
وكنْتَ أعدُّكَ للنائباتِ فها أنا أطلبُ منك الأمانًا
فكتبَ إليه أيضًا :

أرى في الأيامِ مثلَ أخ لي كان عَوْنِي على الزَّمانِ وخِلِّي
رَفَعْتُ حاله فحاولَ حطِّي وأبى أن يُعزَّزَ إلا بِذُلِّي

وسبب ذلك ، أن محمد بن عبد الملك الزيات كان صديق إبراهيم ، فلما ولي الوزارة صادر إبراهيم بألف ألف درهم ، ونال منه . وبقي على ذلك معه الى أن قبض المتوكل على ابن الزيات وقتله . فقال فيه إبراهيم وقد استراح منه : « لما أتاني خبر الزيات ، بأنه قد صار في الأموات ، أيقنت أن موته حياتي » .

وكان إبراهيم رقيق الحاشية . قال أبو العيناء : كنت عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب ، فنقطت من القلم نقطة مُفسِدة ، فمسحها بشو به . فتعجبتُ منه ، فقال : لا تعجب ، فإن المال فرع ، والقلم أصل ، ومن هذا السواد جاءت هذه الشيايب ، والأصل أحوج الى المراجعة من الفرع !

وجاء يوماً الى الحسن بن وهب /162ب/ فوجده سكراناً نائماً ، فكتب رقعة وجعلها عند رأسه ، فلما استيقظ رآها ، فإذا فيها :

رُحْنَا اليكَ وقد راحتْ بك الرَّاح وأسرعتْ فيكَ أوتارُ وأقداحُ
فدعاه وتمَّ يومه معه وكان من شعره :

لو قيل لي خذْ أماناً من طارقِ الحِذَّانِ لما أخذتُ أماناً الا من الخِلانِ
ومن شعره :

إن امرءاً ظنَّ بِمعروفه عندي لمبذولٌ له عُذْري
ما أنا بالراغبِ في عُرْفه إن كان لا يرغَبُ في شُكري

وقيل : كان لبراهيم ولد قد كبر وترعرع ، وكان به معجبًا ، فاعتل علة لم تطل ومات ، فقال فيه مراث كثيرة منها قوله :

من شاء بعدك فليمتْ فعليك كنتُ أحاذرُ
كنت السواد لناظري واليوم بان الناظر

وكان أخوه عبد الله لما عرف برقة حال أخيه ابراهيم وما صار اليه وهب له ثلث ماله ووهب لأخيه الآخر الثلث وصار مساويًا لهما في الحال . فقال ابراهيم في ذلك :

ولكنَّ عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين أخوته مالُ
رأى خلة منهم تسدّ بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحالُ
انتهى ، كذا ذكر الأغاني .

وكان ابراهيم لطيفًا أديبًا ، فعفا عنه المأمون وانضم اليه . وكان المأمون يميل الى من رقت حاشيته .

ذكر في نزهة الألبصار في أخبار ملوك الأمصار (الدر 126 ب : «وهو كتاب عظيم المقدار ولا أعلم مصنفه» ، أن المأمون /163/ مرّ بغلام يسوق حمارًا غير مُسَعَف ، وقد عَنَف عليه في السُّوق . فقال له المأمون : يا غلام ، إرفق به ! فقال : يا أمير المؤمنين في الرفق به مضرةٌ عليه ! قال : كيف ذلك ؟ قال : يخِفُ جِملُه ، ويطول أكلُه ! فعجب المأمون من كلامه وقال : قد أمرت لك بألف درهم . فقال له : رزقٌ مقدور ، وواهبٌ مشكور ! قال المأمون : قد أمرت بإثبات اسمك في حَشَمي . فقال : كُفيتُ مؤونة ورُزقتُ معونة ! فقال له المأمون : عِضْنِي ، فَإِنِّي أراك حَكِيمًا . فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا استولت بك السلامة فجرّد ذكر العطب ، وإذا أهنتك العافية فحدّث نفسك بالبلاء ، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف ، وإذا بلغت نهاية العمل فأذكر الموت ، وإذا أحببت نفسك فلا تجعل لها في الاساءة اليها نصيبًا .

فأعجب المأمون بكلامه وقال : لولا أنك حديث السن لاستوزرتك ! فقال : لم يَعدَم الفضل من رُزق العقل . فقال : هل تصلح لذلك ؟ قال : إنما يكون الحمد والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يلوها . فاستوزره فوجده ذا رأي صائب ، وفهم ثاقب ، ومشورة تقع مواقع التوفيق . وكان يجعله المأمون أمام عسكره عند غزواته بلاد الروم ، فكان يدبر حروب المأمون أمامه . انتهى .

فائدة

روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة ، بسنده الى أبي سيرة النخعي . قال ، أقبل رجل من اليمن ، فلما كان في أثناء الطريق نهق حمارة فمات . فقام وتوضأ وصلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت في سبيلك مجاهداً ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور ألا تجعل لأحد اليوم عليّ مِقةً ، أطلب اليك اليوم أن / 163ب / تبعث لي حماري . فقام الحمار ينفض ذنبه .

قال البيهقي : هذا سند صحيح ؛ ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة ﷺ ، حيث يكون في أمته من يحيي الله تعالى له الموتى . والرجل المذكور اسمه نبالة بن يزيد النخعي . قال الشعبي : أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك في السوق ! فقيل للرجل : أتبيع حمارة أحياه الله لك ! قال : كيف أصنع ؟ وقال رجل من رهطه فيه ثلاث أبياب ، منها :

ومن الذي أحيا الاله له حمارة وقد مات منه كل عضو ومفصل انتهى .

فائدة : قال ابن ظفر في كتاب خير البشر : اسم الحمارة في اللغة أم محمود ، وأم مولب ، وأم جحش ، وأم نافع ، وأم وهب ، وكنية الحمار أبو جابر ، وأبو زياد . وليس في الحيوان ما ينزو على غير جنسه ويلقح إلا الحمار والفرس . وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهراً ، ومنه نوع يصلح لحمل الاثقال ، ونوع لين

الأعصاب سريع العدو يسبق براذين الخيل . ومن عادته إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف . يريد بذلك الفرار منه !
قال حبيب بن أرتاس الطائي يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه :
قَدِمْتَ ويحك من هَجَوِي على خطر والعير تَقْدِم من خوف على الأسدِ
ويوصف الحمار بالهداية الى سلك الطرقات التي يمشي فيها ولو مرة واحدة ، وبحدة السمع .

وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض . وكان ابن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين /164/ .

فلقي بعض الأشراف خالد بن صفوان بالبصرة على حمار فقال : ما هذا يا صفوان ؟ فقال : غير من نسل كراذ ، تحمل الوحلة ، وتبلغني العقبة ، ويقل داؤه ، ويخف دواؤه ، ويمتدني من أن أكون جباراً في الأرض ، وأن أكون من المفسدين .

وسئل الفضل بن عيسى عن ركوب الحمار فقال : إنه أقل الدواب مؤونة ، وأكثرها معونة ، وأحفظها مهوى ، وأقربها مرتقى . فتسمع أعرابي كلامه فعارضه بقوله : الحمار شئار ، والغير عار ، منكّر الصوت ، لا ترقى به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، وصوته أنكر الأصوات . انتهى

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا سمعتم نباح الحمير ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً ؛ وإذا سمعتم صياح الديك ، فاسألوا الله تعالى من فضله ، فإنها رأت ملكاً» . انتهى .

وروى النسائي والحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال : «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمار من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فإنها ترى ما لا ترون ، وأقلوا الخروج إذا جرت ، فإن الله

تعالى ينبت في الليل من خلقه ما شاء» . صحيح على شرط مسلم . انتهى .
وفي تاريخ نيسابور ، من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي
ﷺ قال : « شرّ الحمير الأسود القصير ! » انتهى .

وقد يُعشّر الحمار بنهيقه . قال الجوهري : تعشير الحمار ، نهيقه عشرة
أصوات في طلق واحد ، قال الشاعر :

لعمري لئن عَشَرْتُ من خيفة الرّدى [نُهاق] حمارٍ إِنِّي لَجَزَّوعٌ / 164ب/

وذاك أنهم إذا خافوا من وباء ببلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوها .
وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم . انتهى .

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى : الحمار مثلٌ في الذمّ الشنيع والشتمة .
ومن استحشامهم ذكرَ اسمه أنهم يَكُونُ عنه ، ويرَغَبُونَ عن التصريح به ،
فيقولون الطويل الاذنين ، كما يَكْنَى عن الشيء المستقذر .

وقد عُدَّ من مساوئ الأدب أن يجري ذكرُ الحمار في مجلس قوم أهل
مروءة . والمروءة باللّغز وتركه تكميلاً لمعنى مروءة .

قال الجوهري : المروءة هي الإنسانية .

وقال ابن فارس : الرجولية .

وقيل : إن ذا المروءة من يصون نفسه عن الإذناس ولا يشينها عند الناس .

وقيل : من يسير بسيرة أمثاله في زمانه ومكانه .

قال الدارمي : قيل المروءة في الحِرْفة ، وقيل : في أدب الدين كالأكل ،
والصباح في الجَمِّ الغفير ، وانتهاز السائل ، وقلة فعل الخير مع المقدرة عليه ،
وكثرة الاستهزاء والضحك ونحو ذلك . اهـ .

قيل : ومن المروءة أن لا يركب الحمار استنكافاً ، وإن بلغت به الراجلة
الجهد . انتهى .

قال العلامة ابن ظفر في كتاب خير البشر : أهدى ملك الصين الى أمير المؤمنين عبد الله المأمون حماراً . وكان من عَجَب العُجَاب ، لم ير مثله . كان لو يره شعاع كشعاع ماء الأحجار الياقوتية ؛ فتعجَّب الحاضرون منه وقالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا الحمار تركبه في القصر أو في البساتين ؟ قال : لا أركبه في قصر ولا بستان ! وأنشد :

زيادُ لست أدري [ما الحمارُ] ولكن الحمار أبو زيادٍ

وكنية الحمار أبو زياد ، ثم قال : لقد ذمّه صاحب ليلى الأَخْيَلِيَّة /165/ وهذه من مروءته ، رحمه الله تعالى . انتهى .

ذكر الخطيب البغدادي أن المأمون أشرف يوماً من قصره ، فرأى رجلاً قائماً ويده فحمة ، وهويكتب على حائط القصر . فقال المأمون لأحد غلمانه : إنزل الى ذلك الرجل ، وأمسك يده ، وأقرأ ما كتب ، وأتني به !

فنزل الغلام وأدرك الرجلَ فقبض على يده ونظر الحائط فوجده قد كتب :
يا قصر جُمِعَ فيك الشؤم واللؤم متى يعيش في أركانك اليوم
يوم يعيش فيك اليوم من فرحي أكون أول من ينعاك مغروم

فقال له الغلام : أجب أمير المؤمنين ! فقال : سألتك بالله لا تذهب بي اليه ! قال : أنه يراك ، ولا بدّ من حضورك بين يديه .

ثم قبض عليه وأتى به ، وقال : وجدته كتب كذا وكذا . فقال له المأمون : ويحك ، ما حملك على هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يخفَ عليك ما حواه هذا القصر من خزائن الأموال والحلي والطعام والشراب والفرش والجواري والخدم وغير ذلك ، وإنني مررت عليه ، وأنا في غاية من سوء الحال من الجوع والعطش ، ولي يومان ما استطعت بطعام ، فوقفت ساعة مفكراً ، وقلت : هذا القصر عامر وأنا جائع ، فلا فائدة لي فيه ؛ ولو كان خراباً ومررت عليه لم

أعدم منه رُخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت به ؛ أو ما عليم أمير المؤمنين
قول الشاعر حيث يقول :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيبٌ ولا حظٌ دعا بزوالها
وما ذاك عن بُغض وما ذاك عن قُلَى ولكن يُرَجَى نفعه في انتقالها /165ب/

فقال المأمون : يا غلام ، اعطه ألف دينار ! ثم قال : يا هذا ، هي لك في
كل سنة ما دام قصرنا عامراً بنا . رحم الله المأمون ومحاسنه . انتهى .

قال غرس النعمة ، محمد بن المحسن بن أبي سحاق الصايي ، في كتاب
الهفوات : كان المأمون إذا تبخر لا يستقصي البخور ، ويُخرج المجرمة بما بقي
فيها ، فتوضع تحت الرجل والرجلين من الجلساء ، إكراماً لهم واعتناء بهم .
فجاءت النوبة يوماً لأحمد بن يوسف . وكان كثير السقطات ، فقال : هاتوا
المردودة ! فسمعه المأمون ، فقال : ألنا تقول هذا ، ونحن نجيز رجلاً واحداً من
خدمنا بعشرة آلاف ومائة ألف وأكثر ؛ وإنما قصدناك لإكرامك ، وأن أكون
أنا وأنت اقتسمنا بخوراً واحداً ؛ ولا يأبى الكرامة إلا اللئيم !

ثم إن المأمون أمر أن يُطرح في المجرمة مثقالٌ عنبر ، ليُخَرَّ بها أحمدُ ،
ويُدخل رأسه في طوقه حتى ينفد ريقها . ففعل ذلك ، وهو يستغيث ولا
يغاث ، حتى احترق دماغه ، وقام من المجلس الى منزله ، فمات من ليلته .

وفي أثناء ذلك كان المأمون يقول : والله لئن أموت طالباً لأدب ، خيرٌ من
أعيش قانعاً بالجهل ! وقال : ذكُّ قلبك بالأدب كما تُذكِّي النار بالحطب . وقال
أيضاً : من لم يكتسب بالأدب مالاً اكتسب به جمالا . انتهى .

وكان المأمون كثير الأدب ، محباً لمن تحلى به . وكان النضر بن شميل صاحب
المأمون وحظي عنده . فكان يوماً عنده ، فقال المأمون : حدثنا هشام عن مجاهد
عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه /166/ قال ، قال رسول الله ﷺ :
«إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» وفتح السين .

فَأَعَادَ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ الْحَدِيثَ ، وَكَسَرَ السِّينَ . فَاسْتَوَى الْمَأْمُونُ جَالِسًا وَقَالَ تَلَحُّنْتَنِي يَا نَضْرُ !؟ فَقَالَ : إِنَّمَا لَحَنَ هِشَامٌ ، وَكَانَ لِحَانَةً ، فَتَبَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَفْظَهُ ! قَالَ : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ السَّدَادُ ، بِالْفَتْحِ ، الْقَصْدُ فِي الدِّينِ وَالسَّبِيلِ ؛ وَالسَّدَادُ بِالْكَسْرِ الْبُلْغَةُ ؛ وَكُلٌّ مَا سَدَدَتْ بِهِ ، فَهُوَ سِدَادٌ بِالْكَسْرِ . وَأَنْشَدَ مِنْ أَيْيَاتِ عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ الْمَعْرُوفِ بِالْعَرَجِيِّ الشَّاعِرَ :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعَا لِيَوْمِ كَرْيَهَةِ وَسِدَادِ ثَغْرِ

انتهى .

ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي مَخْتَارِ الْأَغَانِي قَالَ : رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ النَّضْرَ بْنَ شَمِيلٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ بِمَرٍ ، فَتَجَارَيْنَا فِي الْأَحَادِيثِ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : سَمِعْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا (كَذَا فِي الْأَصْلِ) أَنَّهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً لَدَيْنَهَا وَجَمَالُهَا كَانَ فِيهِ سَدَادٌ مِنْ عِزٍّ» . وَقَالَ سَدَادًا بِالْفَتْحِ ، فَقُلْتُ : صَدَقَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدَّثَنِي عَوْفُ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ، وَأُورِدَتْ الْخَبَرُ بِكَسْرِ السِّينِ مِنْ سِدَادٍ . وَكَانَ مَتَكِّمَا فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ : السَّدَادُ ، لَحْنٌ عِنْدَكَ يَا نَضْرُ ! قُلْتُ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا لَحَنَ هِشَامٌ ، وَكَانَ لِحَانَةً ؛ فَقَالَ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ قُلْتُ السَّدَادُ بِالْفَتْحِ الْقَصْدُ فِي الدِّينِ وَالطَّرِيقَةِ وَالسَّبِيلِ ، وَالسَّدَادُ بِالْكَسْرِ الْبُلْغَةُ ، وَكُلٌّ مَا سَدَدَتْ بِهِ شَيْئًا فَهُوَ سَدَادٌ ، وَقَدْ قَالَ الْعَرَجِيُّ «أَضَاعُونِي . . .» الْبَيْتَ . قَالَ ، فَاطْرَقَ الْمَأْمُونُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ ! /166ب/

ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَخْلَبُ بْنُ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ ، فَأَنْشَدْتَهُ قَوْلَ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضَ :

| | |
|--|---|
| تَقُولُ لِي وَالْعَيْنُونَ هَاجِمَةً | أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْمًا فَلَمْ أَقِمْ |
| أَيُّ الْوُجُوهِ اتَّجَعَتْ قُلْتُ لَهَا | لَأَيِّ وَجْهِ الْأَى إِلَى الْحُلُمِ |
| مَتَى تَقُلْ حَاجِبَاهُ سُرَادِقَهُ | هَذَا ابْنُ بَيْضَ بِالْبَابِ يَتَسَمُّ |

فقال : لله درك ، كأنما شقّ لك على قلبي ؛ فأنشدني أنصف بيت للعرب .
فأنشدته قول ابن عروة المدني :

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| إني وإن كان ابن عمي غائباً | لمزاحم من خلفه وورائه |
| ومفيده بصري وإن كنت امرءاً | مترخراً في أرضه وسمائه |
| وأكون والى سره وأصونه | حتى يحين عليّ وقت أدائه |
| وإذا أتى من وجهه بطريقه | لم أطلع فيما وراء خبائه |
| وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل | يا ليت كان عليّ حسن ردائه |

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدني أفنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن
عبدة الأسدي :

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| إني امرؤ لم أزل وذلك | من الله قديماً أعلم الأديبا |
| لا أحتوي خلة الصديق ولا | أتبع نفسي شيئاً إذا ذهباً |
| أطلب ما يطلب الكريم من | الرزق لنفسي وأحمل الطلبة |
| إني رأيت الفتى الكريم إذا | رغبته في صنعة رغباً |
| والعبد لا يطلب العلاء ولا | يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا |
| ولم أجد عروّة الخلائق إلا | الدين لما اعتبرت والحسبا |
| وقد يرزق الخابص المقيم وما | شدّ لعيش رَحْلاً ولا قَتَباً |
| ويحرم الرزق ذا المطايا ومن | لا يزال لاكتساب العيش مغترباً |

فقال : أحسنت يا نضر ! وكتب لي رقعة الى الحسن بن سهل /167/
بخمسين ألف درهم . فمضيت اليه ، فلما قرأ الرقعة ضحك وقال : يا نضر
أنت المَلْحَنُ لأمر المؤمنين ! قلت : بل هشيم ! فأطلق لي خمسين ألفاً ، وأعطاني
من ماله ثلاثين ألفاً . انتهى .

والنضر بن شميل أحد أئمة اللغة .

قال المؤيد : النضر بن شميل بن خرشة البصري النحوي . سار الى خراسان من البصرة ؛ ولما خرج من البصرة مسافراً طلع لوداعه نحو ثلاثة آلاف رجل ، من أعيان أهل البصرة . فقال النضر : والله لو وجدت كل يوم كَيْلَجَةً باقلي ما فارتكم !

فلم يكن فيهم أحد يتكلف ذلك له .

وأقام بمرو ، من خراسان ، وصار ذا مال جليل . وصحب الخليفة المأمون وحظي عنده . وكان من أصحاب الخليل بن أحمد . ومات سنة أربع ومائتين وقيل سنة ثلاث .

وقال ابن الأثير : كان إماماً في الفقه والنحو وسائر فنون الأدب ، روى عن هشام بن عروة وابن جريج واسماعيل بن أبي خالد وعبد الله بن عون وعوف الاعرابي وسليمان بن المغيرة والخليل بن أحمد ، وصحبه بضع عشرة سنة ، وسكن مرو ، ومات بها سنة ثلاث ومائتين .

وفي الكشف : النضر بن شميل النحوي ، شيخ مرو . أخذ عن حميد وهشام . وعنه ابن معين واسحاق والدارمي . ثقة ، إمام ، صاحب سنة . مات في سلخ ربيع الثاني سنة أربع ومائتين . انتهى .

فائدة : مات في هذه السنة ، أعني سنة أربع ومائتين الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، الفقيه الحنفي أكبر أصحاب أبي حنيفة . حدث عن أبي حنيفة وروى عنه محمد بن سماعة القاضي ومحمد بن شجاع . كذا ذكر المؤيد وغيره . وقال ابن الأثير : وهو كوفي نزل بغداد . وقال : كتبت عن ابن جريج أثنى عشر / 167 ب / ألف حديث كلها يحتاج اليها الفقهاء . انتهى .

وفيهما مات أيضاً اسحاق بن الفرات التجيبي ، قاضي مصر . ومات أيضاً فيها ابن داود سليمان بن داود ابن الجارود الطيالسي ، صاحب المسند ، أحد الحفاظ . .

قال ابن الأثير : أبو داود مولى قريش ، أصله فارسي ، سكن البصرة . وهو أحد الحفاظ للحديث الكثيرين منه سماعًا وجمعًا ورواية . ويقال : إنه مولى لآل الزبير بن العوام . ويقال : كتب سبع آلاف حديث وتسعمائة حديث .
قال ابن سبّة - بفتح السين - : كتبتُ عن أبي داود بأصبهان أربعين ألف حديث وليس معه كتاب !

وقال ابن مهدي أبو داود : أصدق الناس .
وفي الكشف ، قال : أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر ! ومع ثقته فقد قال ابراهيم بن سعد الجوهري : أخطأ في ألف حديث . انتهى .
وقال المؤيد : ولد أبو داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ومات سنة أربع ومائتين . وفيها أيضًا مات أشهب صاحب مالك .

قال ابن خلكان : أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي الجعفري الفقيه المالكي المصري ، تفقه على الامام مالك ، ثم على المدنيين والمصريين . وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم ، وانتهت الرئاسة اليه بمصر بعد ابن القاسم . مات بعد الشافعي بثمانية عشر يومًا وقيل بشهر ، ودفن بالقرافة الصغرى ، فجاور قبر ابن القاسم . ويقال إن اسمه مسكين ، وأشهب لقب غلب عليه ، والاول أصح . وكان رضي الله عنه ثقة فيما يروي عن مالك ، وكان له رئاسة في البلد ومال جزيل . وقال الشافعي : /168/ ما ناظرت أحدًا من المصريين مثله لولا ضيق فيه . ولم يدرك الشافعي بمصر من أصحاب مالك سوى أشهب وابن عبد الحكم . قال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت . وقد ذكر ذلك الى الشافعي فقال متمثلاً :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بواحد
فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تزود لأخرى غيرها فكأن قد

قال : فمات الشافعي فاشترى أشهب من تركته عبدًا ، ثم مات أشهب

فاشتريتُ أنا ذلك العبد من تركه أشهب !

قال أبو عمرو : ولد أشهب سنة أربعين ومائة . ومات في مصر ، سنة أربع ومائتين ، بعد الشافعي بشهر . وقد اتفق هو والشافعي في سنة المولد والوفاة . انتهى .

وفيهما مات الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه . وترجمته ، هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف . والسائب أسلم يوم بدر ، وكان صاحب راية بني هاشم ، فأسير وفدى نفسه ثم أسلم ، ف قيل له : أتسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرّم المؤمنين طعمًا لهم !

وأبنته الشافعة من صغار الصحابة ، لقي النبي ﷺ وهو مترعر . واليه /168ب/ ينسب الامام محمد بن إدريس الشافعي . فالشافعي شقيق النبي ﷺ في نسبه يجتمع معه في عبد مناف . فإن لعبد مناف أربعة أولاد ، هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس . فهاشم جدّ رسول الله ﷺ ، والمطلب جدّ الشافعي رضي الله تعالى عنه .

وكانت زوجة هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابنة عمته الشفاء ابنة هاشم بن عبد مناف ، فولد له منها عبد يزيد ، جدّ الشافعي ، سنة خمسين ومائة بغزة . وقيل بعسقلان وقيل باليمن . والاول أصح . وقيل إنه ولد في يوم توفي فيه أبو حنيفة رحمه الله تعالى . ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه الى مكة ، وهو ابن ستين لثلا يضيع نسبه . فنشأ بها .

وذكر السّافي ، قال : أخبرني أبو عبد الله محمد ابن بنت الشافعي قال : كان الشافعي مَطْلَبِيًا وأمه أزدية من الأزد . وكان يسكن مكة وينزل بها بالثنية بأسفل مكة . وكانت امرأته أمّ ولده حمدة ابنة نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . انتهى .

قال ابن الأثير : وأمه أزدية ، وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ووقع في كل بلدة منه شظية . فتأول أصحاب الرؤيا ذلك بأنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان انتهى .

وقال المؤيد : قال : /169/ حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر ، وقدمت على مالك وأنا ابن خمس عشرة . وقال : رأيت على بن أبي طالب في منامي ، فسلم علي وصافحني وجعل خاتمه في إصبعي . ففسر لي أن مصافحته لي أمان من العذاب وجعله الخاتم في إصبعي أنه سيبلغ اسمي ما بلغ اسم علي في المشرق والمغرب . انتهى .

قال ابن كثير : وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة . وقيل ابن ثمان عشرة سنة ، أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي . وعُني باللغة والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشرة وقيل عشرين سنة ، فتعلم منها لغات العرب وفصاحتها . وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه وأعجبه قراءته ، وأخذ عنه عليم الحجازين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي . وقرأ القرآن على اسماعيل بن علية . وأخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي . وقال ابن الأثير : وسمع مالك بن أنس وسفيان بن عيينة . وعدّ جماعة من الأفاضل غيرهما .

وفي تاريخ النويري : أخذ عن مالك بن أنس ومسلم بن خالد وسفيان بن عيينة . وسمع الحديث من اسماعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ومحمد بن الحسن الشيباني ، صاحب أبي حنيفة وغيرهم . انتهى .

وقال ابن الأثير : حدث عنه سليمان بن داود الهاشمي وأحمد بن حنبل وأبرزهم خالد والحسن بن علي الكرابيسي والحسن بن محمد الزعفراني وأبو ابراهيم المزني والربيع بن سليمان المرادي ، وخلق كثير غيرهم . انتهى /169ب/

وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدولامي بسنده الى الشافعي ، أنه وليَ الحكمَ بنجران ، من أرض اليمن . ووُشيَ به الى هارون الرشيد أنه يروم الخلافة ، فحُمِلَ على بغل في قيد الى بغداد . فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد . فناظره محمد بن الحسن بين يديه وأحسن القول فيه محمد بن الحسن . وتبيّن للرشيد براءته مما نسب اليه ، فأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بستين وأكرمه محمد بن الحسن ، وكتب عنه الشافعي وقرّ به . ثم أطلق له الرشيد خمسة آلاف دينار . وعاد الشافعي الى مكة ففرّق عامة ما حصل له في أهله وذوي رحمه من بني عمّه .

ثم عاد الشافعي الى بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع به في هذه المدة جماعة من العلماء ، منهم أحمد بن حنبل وأبو بدر والحسن بن علي الكرايسي والحرث بن شريح البقال وأبو عبد الرحمان الشافعي والزعفراني وغيرهم . ثم رجع الى مكة ورجع الى بغداد أيضاً سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها الى مصر فأقام بها الى أن مات .

قال الزعفراني : لما أراد الشافعي الخروج من العراق الى مصر أنشدني لنفسه :

أخي أرى نفسي تتوق الى ملء ومن دونها قطع المفاوز والقفر
فوالله ما أدري ألخفص أم للغنى أساقُ اليها أم أساق الى قبر
انتهى .

وذكر المؤيد أن الشافعي قدم بغداد مرتين ، وهما الأخيرتين . ولم يذكر المرة الاولى .

وللشافعي فضائل كثيرة . فعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : لو لا الشافعي ما عرفت كيف أُرِدَّ على أحد ، /170/ وبه عرفت ما عرفت ، وهو

الذي علمني القياس ، فقد كان صاحب سُنَّة وأثر وفضل وخير ، مع لسان فصيح طويل ، وعقل صحيح رزين .

وكان أحمد بن حنبل يقول : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي .

وعن أبي اسحاق قال : كنّا نأتي الشافعي ، فنجد أحمد بن حنبل عنده قد سبقنا إليه وما زال يسمع معنا كتب الشافعي كلّها .

وقال أبو الحسن بن عبد الله الحزمي ، قال صالح بن أحمد بن حنبل : لقيني يحيى بن معين فقال لي : أما يستحي أبوك ممّا يفعل ؟ قلت : وما يفعل ؟ قال : رأيته مع الشافعي والشافعي راكبًا وهو راجل ، ورأيته أخذ بركابه ! فقلت لأبي ، فقال لي : قل له ، إذا لقيته ، إن أردت أن تتفقّه ، فتعال فخذ بركابه الآخر !

وعن محمد بن فزارة المرادي قال ، قلت لأحمد بن حنبل : إني كتبت الحديث وأكثرته منه ، لا بدّ لي من النظر في الرأي . فقال : لا تفعل ! قلت : لا بدّ أكتب رأي الأوزاعي ورأي الثوري ورأي مالك ، فقال : إن كنت لا بدّ كاتبًا للرأي فأكتب رأي الشافعي وعليك بالبويطي فأسمعه منه ، فإن فاتك فأبو الوليد بن أبي الحارث بمكة .

وقال ابن راهوية : الشافعي عندنا إمام .

وسئل محمد بن اسحاق بن خزيمة : هل سُنّة لم تبلغ الشافعي ؟ قال : لا . وعن أبي زرعة : ما عند الشافعي حديث غلط فيه .

وقال الزعفراني : مارأيت أحدًا قطّ أفصح ولا أعلم من الشافعي . كان أعلم الناس وأفصح الناس .

وكان يتعمّم بعمامة كبيرة كأنه أعرابي ، وكان إذا سمع اللّغَط في مجلسه نهى عنه وقال : إنّنا لسنا أصحاب كلام !

وكان بمصر ابن هشام ، صاحب المغازي ، وكان عالمٌ مصر /170ب/

بالغريب والشعر ، فقيل له : لو أثبت الشافعي ! فأبى . ثم أتاه بعد ذلك ، فذاكره أنساب العرب ، فقال له الشافعي بعد أن تذاكرا طويلا : دع عنك أنساب الرجال ، فإنها لا تذهب لا عنا ولا عنك وحدئنا في أنساب النساء . فلما أخذ فيها بقي ابن هشام باهتا ، فكان يقول ابن هشام : ما ظننت أن الله عز وجل خلق مثل هذا ! وكان يقول : قول الشافعي حجة في اللغة .

وكان رضي الله تعالى عنه صاحب مروءة وكرم عظيم وبلاغة بارعة . قال الحزني : كنت عند الشافعي يوما ودخل عليه جار له خياط فأمره بإصلاح إزاره . فأصلحه ، فأعطاه الشافعي دنائير ، فنظر اليه الخياط وضحك . فقال له الشافعي : خذه ، فلو حضرنا أكثر منه ما رضينا لك به ! فقال الخياط : إنما دخلت اليك لأسلم عليك . فقال الشافعي : فأنت إذن زائر وضيف ، وليس في المروءة أن يُستخدَم بالزائر ولا بالضيف !

وعن الربيع بن سليمان أن الشافعي مر يوما ببعض الأسواق فسقط سوطه من يده . فقام رجل منهم فأخذ السوط ومسحه بيده ودفعه اليه . فقال له : مه ، أي شيء عملت ، أثرتني على نفسك ؟ كنت أودّي شكرك ! ثم تنحى ، فضرب بيده الى كمه أو جيبه فأخرج منها دنائير ، لا أدري خمسة أو عشرة ، وأكثر ظني عشرة ، وقال لي : ادفعها اليه واعتذر عني ، فإني لم يحضرني غيرها في هذا الوقت !

وعن الحميد ، خرج الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة ، ثم انصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم ، فضرب خياء خارج مكة . فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها . /171/

وحدث الربيع بن سليمان ، قال سمعت الشافعي يقول : لو علمت أن الماء البارد إذا شربته أذهب مروءتي ما شربت الماء إلا حاراً .

وكان رضي الله حافظاً للشعر . قال الأصمعي : قرأت ديوان الشنفرى على

الشافعي بمكة . ومن شعره الفائق :

وأحق خلق الله بالهمّ امرؤ ذو همّة يُبلى بعيش ضيقٍ

ومن شعره أيضاً :

رعت النُسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشَّهْد وهو ضعيفُ

كذا نقل المؤيد .

قال ابن خلكان : وللشافعي أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله :

إن الذي رُزق اليسار ولم يُصِب حمداً ولا أجراً لغير موفّق

الجِدّ يدني كل أمر شاسع والجِدّ يفتح كل باب مغلقٍ

وإذا سمعت بأنّ مجدوداً حوى عوداً فائِمر في يديه فصدّق

وإذا سمعت بأنّ محروماً أتى ماءً يشربه فغاص فحقّق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلّقني

لكنّ من رزق الحِجَى حُرّم الغنى ضدّان مفترقان أيّ تفرّق

ومن الدليل على القضاء وكونه بوُسّ اللبيب وطيبُ عيش الأحق

وهو القائل رحمه الله تعالى :

ولو لا الشعر بالعلماء يُزري لكنتُ اليوم أشعر من لبيدٍ

وقال رضي الله تعالى عنه : تزوّجت امرأة من قريش بمكة وكنت أمازحها

فأقول :

ومن البليّة أن تُحبّ فلا يُحبّك من تحبّه/171ب/

فتقول هي :

وتصدّ عنك بوجهها وتلحّ أنت فلا تعبّه

وقال بعضهم : ومن شعره الذي لا يُختلف فيه ، وهو أصح شيء عنه :

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| ما شئتَ كان وإن لم أشأْ | وما شئتَ إن لم تشأْ لم يكنْ |
| خلقتَ العباد على ما علمتَ | وفي العلم يجري العيا والمسنْ |
| على ذا مننت وهذا خذلتَ | وهذا أعنت وذا لم تُعِنْ |
| فمنهم شقي ومنهم سعيد | ومنهم قبيح ومنهم حسنْ |

انتهى .

ومن شعره أيضًا :

كلّ العلوم سوى القرآن مشغلةُ الا الحديثُ والأُ الفقه في الدينِ
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطينِ

وعن الربيع بن سليمان قال : حججت مع الشافعي الى مكة ، فما كان يصعد شرقاً ولا يهبط وادياً إلا أنشأ يقول :

يا راكباً قفْ بالمحصَّب مني ^{واهتمت} بساكن صفها والناهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج الى مني قصاً كملتقط الفرات القابضِ
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان إني رافضي

وذلك أنه قيل له : إن فيك بعض التشيع ! قال : وكيف ذلك ؟ قالوا :
لأنك تظهر حبّ آل محمد . فقال : يا قوم ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحبّ اليه من والده وولده والناس أجمعين » .

وعن إسماعيل بن يحيى المزني ، قال : سمعت الشافعي يقول : القرآن كلام
الله غير مخلوق . وناظر بشر المريسي المعتزلي ببغداد ، وناظر حفص القرظي
بمصر . فقال حفص : القرآن مخلوق . واستدل عليه . فتحاربا في الكلام ،
حتى /172/ كفره الشافعي .

ومما استدلّ به الشافعي ، وقد رواه أبو يعقوب البويطي ، قال : سمعت

الشافعي يقول : إنما خلق الله الخلق بكن ، فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق !

قال ابن بنت الشافعي ، حدثنا أبي ، قال : كان الشافعي ينظر في النجوم وهو حدث ، وما نظر في شيء إلا فاق فيه . فجلس يوماً وامرأته تطلق ، فحسب وقال : تلد جارية عوراء ، على فرجها خال أسود ، تموت كذا وكذا ! فكان كما قال . فجعل على نفسه ألا ينظر فيه بعدها . ودفن الكتب التي كانت عنده في النجوم .

وكان الشافعي ينكر علم الكلام وعلى من يشتغل فيه . قال ابن عبد الأعلى سمعت الشافعي يوماً ناظر حفص القرد ، وكان من متكلمي المعتزلة يقول : لأن يلقي العبدُ الله تعالى بكلّ ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام .

وقال أيضاً : قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط . ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله تعالى عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وقال أيضاً : حكى في أهل الكلام ، أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزء من ترك السنة وأخذ في الكلام .

وحكى الكرايسي أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام ، فغضب وقال : سئل عن هذا حفص القرد وأصحابه ، أنزاهم الله تعالى !

لما مرض الشافعي دخل عليه حفص القرد ، فقال له : من أنا ؟ قال : أنت حفص القرد ، لا حفظك الله ولا رعاك حتى / 172ب / تتوب مما أنت فيه ! وقال أيضاً : إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى ، فأشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له .

وقال أيضاً : لو علم الناس ما في علم الكلام لفروا منه فرارهم من الأسد . انتهى .

وتوفي رضي الله تعالى عنه ليلة الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين. وصلى عليه ابن الحكم أمير مصر. ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى. وقبره يزار بها بالقرب من المقطم. وعمره لما مات خمس وخمسون سنة، وقيل ثمان وخمسون. كذا ذكر غير واحد.

وقال ابن كثير: وكان الشافعي أبيض جميلاً طويلاً مهيباً، يخضب بالحناء. مخالف للشيعة. وقال أبو عمرو: كان خفيف العارضين. وقال الربيع بن سليمان المؤذن: كان يخضب رأسه ولحيته بالحناء أحمر قانياً. انتهى.

وقال الربيع: رأيت الشافعي في المنام بعد وفاته، فقلت: يا عبد الله ما صنع الله بك؟ فقال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر علي اللؤلؤ الرطب! وعن أبي جعفر الكرماني، يقول: رأيت كأن القيامة قد قامت، فأمر بي إلى الجنة، وفي يدي مختصر الشافعي. فقال لي رضوان: دعه وادخل! فقلت: لا أدخل إلا بما معي، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: دعه يدخل بما معه! وهذه مزية له رضي الله تعالى عنه، وقد رثاه خلق كثير. ورثاه أيضاً أبو بكر بن محمد بن دريد، وإن لم يدركه بقصيدة طويلة منها قوله:

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| ألم تر أبا وابن إدريس بعده | دلائلهما في المشكلات لوامع |
| مناهج فيها للهدى متصرف | موارد فيها للرشاد شرائع |
| ظواهرها حِكَمٌ ومستنبطها | تأمل علم التفريق فيه جوامع |
| لرأي ابن إدريس بن عم محمد | ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع |
| أبى الله إلا رفعه وعلوه | وليس لما يُعليه ذو العرش واضع |
| فمن بك علم الشافعي إمامه | فمرتعه في ساحة العلم واسع |
| سلام على قبر تضمن جسمه | وجادت عليه الموعات الموامع |
| فأحكامه فينا بدور زواهر | وآثاره فينا نجوم طوالع |

قال بعضهم: وقد رأيت تمامه، وهو عشرون بيتاً. انتهى ذكر الامام

الشافعي رضي الله تعالى عنه ، وذكر من مات في سنة مات فيها ، ولنرجع الى ذكر المأمون ، عفا الله عنه .

شيم سنية وخلق رضية

ذكر في كتاب المستطرف عن يحيى بن أكرم القاضي أنه قال : ما رأيت أحسن من أخلاق المأمون وظُرفه وأدبه ، قال : كنت نائماً ذات ليلة عنده فعطش ، فامتنع أن يصبح بغلام ليسقيَه وأنا نائم ، فبنغص عليّ نومي ؛ فرأيت أنه قد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء ، وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو ثلاثمائة خطوة . فأخذ منها كوزاً ، فشرب ، ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه ، حتى قرب الفرش الذي أنا عليه ، فخطا خطوات خائفاً لئلا ينبهني ، حتى صار الى فراشه . ثم رأيت أنه آخر الليل قام يبول . وكان يقوم في أول الليل وآخره . ففقد طويلاً ، يحاول أن أتحرّك ليصبح بالغلام . فلما تحرّكت وثب قائماً وصاح /173ب/ بالغلام وتأهب للصلاة ، فقال : كيف أصبحت يا أبا محمد ، وكيف كان مبيتك ؟ قلت : خيرٌ مبيت ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . فقال : استيقظت للصلاة ، فكرهتُ أن أصبح بالغلام فأزعجك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد خصّك الله تعالى بأخلاق الأنبياء ، وأوجب لك سيرتهم فهناك الله بهذه النعمة وأتمّها عليك . فأمر لي بعشرة آلاف درهم وانصرفت . انتهى .

وقال في سراج الملوك ، عن سيّط ابن الجوزي قال ، قال يحيى بن أكرم : وبّت عنده ذات ليلة فأنّبه وقد عرض له سُعال حتى غلبه ، فسعل وأكبّ على الأرض لئلا يعلوّ صوته فأنّبه . انتهى .

وقال فيه أيضاً ، قال يحيى : وكنت معه يوماً في بستان ندور فيه ، فجعلنا نأخذ من غرائب الرياحين ، ونقول للقيّم : أصلح هذا الحوض ، وأغرس هذا المنثور فيه ولا تغرس في هذا الحوض من الباقول ! قال يحيى : ومشينا في البستان

من أوله الى آخره . وكنت أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل ، وكان تارة يجذبني أتحوّل الى الظلّ ويكون هو في الشمس وتارة يكون في الشمس وأكون في الظل وأنا مع ذلك امتنع ، فقال : والله يا يحيى لتكونن مكاني وأكون مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس ، كما أخذت أنت ! فقلت : والله ، يا أمير المؤمنين ، لو أقدرت أن أقبل من هؤل المطلع بنفسى لفعلت ! ولم يزل بي حتى حوّلني الى الظلّ وتحوّل هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال : وحياتى عليك إلا ما وضعت يدك على عاتقي ، فإنه لا خير في صُحبة من لا يُنصِف . انتهى .

وقال /174/ في كتاب مرآة الزّمان ، إنّ المأمون وقف بين يدي يحيى بن أكرم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار . فطُرح للمأمون مُصلى يجلس عليه ، فقال له يحيى : لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ! ولم يكن للرجل بيّنة ، فأراد أن يحلف المأمون . فدفع المأمون اليه ثلاثين ألف دينار ، وقال : والله ما دفعتُ اليه هذا المال إلا خشية أن تقول العامة إنى قدّرتُ عليك وظلمتك ، وإلا قد حلفتُ لك لأنى على الحق !

ثم أمر ليحيى بثلاثين ألف دينار ، وتصدّق بمثلهم . انتهى .
وكان يحيى قاضياً قلّده المأمون القضاء . وسبب ذلك أن المأمون أراد أن يلي القضاء رجلاً ، فوصف له يحيى بن أكرم . فاستحضره ودخل عليه ؛ وكان يحيى ذميم الخلقة ، فأحتقره المأمون . فعلم ذلك يحيى فقال : يا أمير المؤمنين سلّني إن كان القصد علمي لا خلقي ! فسأله عن مسألة في الفرائض ، وهي أبوان وبتان ، وكانت واقعة حال ، فلم تُقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين . وهي مسألة مشهورة ، تعرف بالمأمونية لذلك . وكان المأمون قد سأل عنها يحيى فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة ؟ فعلم المأمون أنه علم المسألة ، فقلّده القضاء .

وهذه المسألة ، إن كان الميت الأول رجل تصحّ المسألتان من أربعة

وخمسين ، وإن كان امرأة لم يرث الجد في المسألة الثانية لأنه أب أم ، فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهماً . كذا ذكر عبد العزيز ، في كتاب الفرائض .

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ، أن يحيى بن أكرم ولي القضاء /174ب/ بالبصرة ، وسنه عشرون سنة أو نحوها ، فاستصغره أهل البصرة ، فقالوا : كم سن القاضي ؟ فعلم أنهم قد استصغروه ، فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على اليمن ، وأنا أكبر من كعب بن سوار الذي وجه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاضياً على أهل البصرة ! فجعل جوابه احتجاجاً . فأمسك عنه أهل البصرة وعلموا أنه من فحول العلماء . انتهى .

قال الدميري في حياة الحيوان ، كان ليحيى بن أكرم يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله . وهو أن المأمون كان في طريق الشام ، فأمر فتودى بتحليل المتعة . ولم يستطع أحد أن يحتج عليه في تحريمها غير يحيى بن أكرم ، فقرر عنده تحريم المتعة ! فقال المأمون : استغفر الله ! ونادى بتحريم نكاح المتعة . انتهى .

قال الملك المؤيد : وابن أكرم هو الذي رد المأمون على القول بتحليل المتعة . فقال ابن أكرم لبعض الفضلاء الذين يعاشرون المأمون ، ومنهم أبو العيناء : بكرؤا غداً إليه ، فإن وجدتم للقول وجهاً فقولوا ، وإلا فأسكتوا حتى أدخل . قال أبو العيناء : فدخلنا على المأمون وهو يسأل ويقول وهو مختاظ : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأنا أنهي عنهما ؛ ومن أنت يا جُعَل حتى تنهى عما فعله رسول الله ﷺ ! فأوجم أولئك ، حتى دخل ابن أكرم /175/ فقال له المأمون : أراك متغيراً ! فقال يحيى : هو غم لما حدث من النداء بتحليل الزنا يا أمير المؤمنين ! فقال المأمون : الزنا ؟ قال : نعم ، المتعة زنا ! قال : ومن أين قلت هذا ؟ قال : من كتاب الله تعالى وحديث رسوله ﷺ ، قال الله تعالى : «قد أفلح المؤمنون» الى قوله تعالى :

«فأولئك هم العادون» يا أمير المؤمنين ، زوجة المتعة ملك يمين . قال : لا !
 قال : فهي الزوجة التي تراث وتورث . قال لا ! قال : وهذا الزهري روى عن
 عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي
 الله تعالى عنه ، قال : «أمرني رسول الله ﷺ أنأدي بالنهي عن المتعة وتحريمها
 بعد أن كان أمر بها» . فقال المأمون : محفوظ هذا عن الزهري ؟ قال : نعم ،
 رواه عنه جماعة ، منهم مالك رضي الله تعالى عنه . فقال المأمون : استغفر الله .
 فبادروا بتحريم المتعة والنهي عنها . اهـ .

وذكر ابن حجة ، في كتابه ثمرات الاوراق أن ابن أكرم قال لشيخ من أهل
 البصرة : بمن اقتديت في تحليل المتعة ؟ قال : بعمر ، رضي الله تعالى عنه . قال
 يحيى : وكيف هذا ، وعمر أشد الناس تحريماً لها ؟ قال : لأن الخبر الصحيح
 أتى عنه أنه صعد المنبر ، فقال : «إن الله ورسوله أحلاّ متعتين وإني محرمهما
 عليكم وأعاقب من فعلهما» ؛ فنحن نقبل شهادته ولا نقبل تحريمه . فقال له
 يحيى : إن سمعت أنك تذكر هذا والله لأمرت بقطع لسائك . اهـ .

ويحيى بن أكرم ، هو يحيى بن محمد بن قطن بن سمعان بن مصلح التميمي
 الأسدي المروزي ، من ولد أكرم بن صيفي التميمي / 175 ب / حاكم العرب .
 كان عالماً بالفقه ، بصيراً بالاحكام ، إماماً في عدة فنون . ذكره الدارقطني في
 أصحاب الشافعي . كذا ذكر المؤيد .

وذكر الخطيب أن ابن أكرم كان سليماً من البدعة ، فانتحل مذهب أهل
 السنة . سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وروى عنه أبو عيسى
 الترمذي وغيره .

قال ابن خلكان : كان على مذهب أهل العراق ، يعني مذهب أبي حنيفة .
 وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب ، فتركها الناس لطولها . وله كتب في
 الأصول . وله كتاب أورده على العراقيين سماه التنبيه . وبينه وبين داوود بن علي
 مناظرات كثيرة .

وفي الكشف : كان من محور العلم لو لا دُعابة فيه وتكلم فيه .
وقال محمد بن طلحة في حقّه : يحيى بن أكرم أحد أعلام الدنيا ، ومن قد
اشتهر أمره وعُرف خيره ، ولم يستتر عن الصغير والكبير من الناس فضله وعلمه
ورئاسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك . واسع العلم
بالفقه ، كثير الأدب ، حسن المعرفة ، قائم لكل معضلة (في الاصل : كل) .
وغلب على المأمون حتى لم يتقدّمه أحد عنده من الناس جميعاً ، حتى قلّده
قضاء القضاة وتدير أهل مملكته ؛ فكانت الوزراء لا تعمل في التدبير للملك
(في الاصل : الملك) شيئاً الا بعد مطالعة يحيى بن أكرم ، ولا نعلم أحداً غلب
على سلطانه في زمانه الا يحيى بن أكرم وأحمد بن أبي دؤاد . انتهى .

قال ابن خلكان : لما توجه المأمون الى مصر حكّم بها القاضي يحيى بن
أكرم ثلاثة أيام ، ثم عزله في محنة الناس بالقول بخلق القرآن . ولم تزل الأحوال
تختلف عليه /176/ وتتقلب به الأيام الى أيام المتوكل على الله . فلما عزل محمد
بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد عن القضاء فوّض الولاية الى يحيى بن أكرم وخلع
عليه خمس خلعات . ثم عُزل في سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله وولى رتبته
جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي . فجاء
كاتبه الى القاضي يحيى فقال له : سلّم الديوان ! فقال : شاهدان عدلان على
أمير المؤمنين أنه أمر بذلك ! فأُخذ منه الديوان قهراً ، وغضب عليه المتوكل ،
فأمر بقبض أملاكه وألزم منزله .

ثم حجّ وحمل أخته معه وعزم على أن يجاور ، فاتّصل له رجوع المتوكل له
بدأته في المجاورة ؛ ورجع يريد العراق . فلما وصل الى الرّيدة توفي بها يوم
الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وقيل غرة سنة ثلاث .
ودفن هناك وعمره ثلاث وثمانون سنة . انتهى .

وأكرم بالثاء المثناة ، ويقال بالثاء المثناة فوق ، ومعناها واحد وهو الرجل
العظيم البطن . وقطن بفتح القاف . ومُهَنْج بضم الميم وفتح النون المشددة وفي

آخره جيم ، والرَّيدة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها هاء ساكنة ، قرية من قرى المدينة على طريق الحاج . ينزلون بها عند عبورهم عليها ، وهي التي نفى اليها عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه ، وأقام بها حتى مات . وقبره هناك ظاهرٌ يزار . انتهى منه .

وذكر في تاريخ العظمي : ولم يكن في يحيى بن أكرم ما يُعاب به سوى ما كان متهمًا به من محبة الصبيان .

وقال الخطيب في تاريخ /176ب/ بغداد : كان الناس يحسدونه على العلم حسدًا شديدًا . وكان متفننًا ، فكان إذا نظر الى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث ، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو ، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه ويُخجله . فدخل اليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ ؛ فناظره فرآه متفننًا ، فقال : نظرت في الحديث ؟ قال : نعم . قال : ما تحفظ من الأصول ؟ قال : احفظ عن شريك عن أبي اسحاق عن الحارث أن عليًا رضي الله تعالى رجّم لوطيًا . فأمسك ولم يتكلم .

وكان يُرمى بذلك ، وقد قيل فيه أشعار بسبب ذلك . نقل ابن خلكان لأبي حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب قوله فيه :

وكنّا نرجى أن نرى العدل ظاهرًا فأعقبنا بعد الرجاء قنوطُ
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوطُ

وذكر الخطيب لأحمد بن نعيم في ذلك :

أنطقني الدهر بعد إخراسٍ لنائبٍ أطلنّ وسواسي
لا أفلحت أمة وحق لها بطول نكس وطول إتعاسٍ
ترضى بيحيى يكون سائسها وليس يحيى لها بسواسٍ
قاض يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باسٍ

يُحْكَمُ الْأَمْرُ الْغَرِيرَ عَلَى مِثْلٍ جَرِيرٍ وَمِثْلٍ عَسْبَاسٍ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَيْفَ قَدْ ذَهَبَ الـ عَدْلُ وَقَلَّ الْوَفَاءُ فِي النَّاسِ
أَمِيرَنَا يَرْتَشِي وَحَاكِمُنَا يُلُوطُ وَالرَّأْسُ شَرٌّ يُرَاسِي
لَا أَحْسَبُ الْجَوْرَ يَنْقُضِي وَعَلَى الْأَمَةِ وَالْإِثْمِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ

واشتهر ذلك ، فقال المأمون ليحيى : من الذي يقول «قاض يرى الحد في الزنا ، البيت» ؟ فقال : أو ما تعرف يا أمير المؤمنين من القائل ؟ قال : لا ! قال يقوله أحمد بن نعيم الذي يقول «لا أحسب الجور ينقضي ، البيت» . فأفجم المأمون خجلا .

وذكر أيضا ، أن ابنا مسعدة دخلا على ابن أكنم وكنا على نهاية الجمال . فلما رآهما يمشيان في الصحن أنشأ يقول :

يَا زَائِرُنَا مِنَ الْخِيَامِ حَيَّاكُمَا اللَّهُ بِالسَّلَامِ
لَمْ يَأْتِيَانِي وَبِي نَهْوَضُ إِلَى حَلَالٍ أَوْ حَرَامِ
يُمْرِضُنِي إِنْ وَقَفْتُمَا بِي وَلَيْسَ عِنْدِي سِوَى الْكَلَامِ

ثم أجلسهما بين يديه ، وجعل يمازحهما حتى انصرفا . ويقال إنه عزل عن الحكم بسبب هذه الأبيات . انتهى .

وقال ابن خلكان : رأيت في بعض المجامع أن يحيى بن أكنم مازح الحسن بن وهب ، وهو يومئذ صبي فلاعبه ثم ختمته ، فغضب الحسن بن وهب . فأنشد يحيى :

أَيَا قَمَرًا خَمَشْتَهُ فَتَغَضُّبَا وَأَصْبَحَ لِي فِي تَيْهَةٍ مَتَحِبًّا
إِذَا كُنْتَ لِلتَّخْمِيشِ وَالْعَضِّ كَا رَهًا فَكُنْ أَهْدَا يَا سَيِّدِي مَتَنَقِّبَا
وَلَا تَظْهَرِ الْأَصْدَاغَ لِلنَّاسِ فَتَنَّةً وَتَجْعَلْ مِنْهَا فَوْقَ خَدَّيْكَ عَقْرَبَا
فَتَقْتُلَ مَسْكِينًا وَتَفْتَنَ نَاسِكَا وَتَتْرِكَ قَاضِيَ الْمُسْلِمِينَ مَعَذَبَا

قال أحمد بن يونس الضبي : كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن أكرم ، وكان غلاماً جميلاً متباهياً الجمال ، فقرض القاضي خذله . فخرج الغلام واستحى وطرح القلم من يده . فقال له يحيى : /177ب/ خذ العلم واكتب ما أملي عليك . ثم أملى عليه الآيات المذكورة .

وفي أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، أن القاضي ابن أكرم قال لرجل يأتس به ويمارحه : ما تسمع الناس يقولون فيّ ؟ قال : ما أسمع الا خيراً ! قال : لم أسألك لتزكّيني ! قال : أسمعهم يرمون القاضي بالأبنة ! فضحك ، وقال : اللهم اغفر ، المشهور عنا غير هذا .

وحكى الإصفهاني في الأغاني ، أن المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه ، فأخلى له مجلساً واستدعاه ، وأوصى مملوكاً خزرياً يقف عندهما وحده ، وإذا خرج المأمون يقف المملوك ولا ينصرف .

وكان المملوك في غاية الحسن والجمال ، فلما اجتمعا في المجلس وتحادثا قام المأمون كأنه يقضي حاجة . فوقف المملوك . وتجنّس المأمون عليهما . فجعل ابن أكرم ينظر تارة الى المملوك وتارة الى الأرض ، ولم يتجاسر خوفاً من المأمون . فعبث به المملوك بوصاية من المأمون . فلما كثر عبث المملوك به سمعه المأمون وهو يقول : «لو لا أنتم لكنّا مؤمنين» فدخل المأمون وهو ينشد : «وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً ، البيتين المقدمين» فخرج يحيى . انتهى .

قال في بستان الآداب : كان يحيى بن أكرم من أحسن الناس خلقاً وأكملهم ظرفاً وأحلامهم معنى ، وكان يتناول المشروب في أوقات الخلوة ، ويكتم أمره . فعلم ذلك المأمون منه ، وأراد الشرب معه وأن ينادمه لحلاوته . فراوده على ذلك فمنعته الحشمة من أن يفعل . فقال المأمون لعبد الله بن طاهر : تحيل حتى تأتيني /178/ بالقاضي سكران ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . ولم يزل يترقب ذلك ويرصده حتى أتاه من أخبره أنه على شرايه ، وكان القاضي لا يحتجب منه . فدخل عليه بغير مشورة ، فوجده على الحال فشرب معه وسقاه حتى أسكره ،

ولفّه في الرياحين التي كان يشرب عليها ، وأمر بحمله الى المأمون .
 فلما حضر بين يديه فتح عنه الرياحين ، فوجده لا يعلم أين هو من السكر ،
 فصنع المأمون فيه شعراً ، وأمر جارية قينة حسنة جلست عند رأسه وحركت
 العود وغنت بهذه الأبيات :

وصاحب ماجد محض خلأثقه صبّ الفؤاد بحبّ الراح مفتون
 ناديته ورواق الليل منسدل تحت الظلام دفيناً في الرياحين

فلما انتبه لرنة العود وصوت الجارية وعلم أين هو ، أنشد :

يا سيدي وأمير الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني
 إني غفلت عن الساقى فصيرني كما تراني قليل العقل والدين
 لا أستطيع نهوضاً من ضنى جسدي ولا أجيب الداعي حين يدعوني
 فانظر لنفسك قاض إني راجل الراح يقتلني والراح يحييني

ثم جلس وسأل من المأمون العفو فعفا عنه على شرط المنادمة . فلم يزل
 يشرب معه في أوقاب الشرب حتى فرّق الموت بينهما . انتهى .

لطيفة

قال ابو الفرج معافى بن زكريا النهوراني ، في كتاب الجليس والأنيس ،
 عن محمد بن مسلم الشعري ، قال : وجه السيّ يحيى بن أكرم ، فإذا عن يمينه
 قمطرة مُجلّدة . فجلست ، فقال : افتح هذه القمطرة . ففتحتها /178ب/
 فإذا فيها شيء قد خرج السيّ منها ، رأسه رأس إنسان وهو من أسفله الى سرته
 زاغ (الزاغ ، من أنواع الغربان) في صدره سلعتان (السلعة ، بالفتح والكسر ،
 زيادة تحدث في الجسد تتحرك) . فكبرت وهللت وفزعّت ، ويحيى يضحك ،
 فقال بلسان طلق ، ذلك :

أنا الزاغ أبو عَجْوَة أنا ابن اللَّيْث واللَّبْوَة
 أحب الرّاح والرّيحَا ن والنّشوات والقوّة
 فلا ممّن يدي تُخشى ولا تحذّر لي السّطوّة
 ولي أشياء تُستظرفُ يوم العرس والدّدوّة
 فمنها سلعة الظهر ما تُستر لها الفروّة
 وأما السلعة الأخرى فلو كانت لها عروّة
 فما شكّت جميع النّا س فيها إنها ركّوّة

ثم قال : يا كهّل ، أنشدني شعراً غزّلاً ! فقال يحيى : قد أنشدك هو ،
 فأنشده أنت . فأنشدته :

أغرّ إذا أذنبتُ ثم تتابعت ذنوبٌ على آثارهنّ ذنوبُ
 وأكثرتُ حتى قلت ليس بصارمي وقد يُصرم الإنسان وهو حبيبُ

فصاح : زاغ زاغ زاغ ! ثم طار وسقط في القمطرة . فقلت ليحيى : أعزّ
 الله القاضي ، وعاشق أيضاً ! فضحك ، فقلت أيها القاضي : ما هذا ؟ فقال :
 ما ترى ؟ وجّه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ، وما رآه ، وكتب كتاباً لم
 أفضّضه ، وأظنّ أنّه ذكر شيئاً من شأنه وحاله وهذا من العجائب . انتهى .

روض أنيق وأدب رشيق

ذكر الخطيب البغدادي ، أنّ المأمون كان بين جلسائه ، وفيهم يحيى بن
 أكرم ، فقال له : يا أبا محمد ، ما العشق ؟ فقال : /179/ سواخ تسنخ (من
 الدر 113 ب ، وفي الاصل : سواخ تسنخ) للمرء فيهم بها قلبه ويؤثر بها
 نفسه . فقال له ثمامة : اسكت يا يحيى ، إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق
 أو مُحْرِم صَاد صَيْدًا ؛ وأمّا هذا ، فمن مسائلنا نحن ! فقال المأمون : قل يا
 ثمامة ! فقال : العشق جليس ممتع (في الاصل : ممتنع . الدر 111 أ) ، وأليف

مؤنس ، وصاحب ملك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جارية ، ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها ؛ قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها ، وتوارى عن الأمصار مدخله وعمي [عن] الأبصار مسكله . وأمر له بألف دينار .

فقال عبد الله بن طاهر : يا أمير المؤمنين ، قد سألت أعرابياً عن العشق فقال : إن لم يكن طرْقاً من الجنون ، فهو عصارة من السُّحر ! وقالت أعرابية : هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك ! فقال القاضي يحيى : أحسنت يا عبد الله في هذا الكلام !

قال الخطيب : فبينما هم كذلك إذ دخل الأصمعي فقال : بينما أنا أسير في البادية ، إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت (في الدر 111 أ : إذا حلّ عشق بالفتى) :

أيا معشر العشاق بالله سجدوا إذا اشتدَّ عشق الفتى كيف يصنعُ

ثم قال : العشق ، يا أمير المؤمنين ، قوة غريزية ، متولدة من وسواس الطمع وأشباح التخيل ، قام بفصال الهيكل الطبيعي يحدث للشجاع جبناً وللجبان شجاعة ، يكسو كل إنسان عكس طباعه ، حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الى الداء العضال .

فقال المأمون : قال أرسطاطاليس ، الآخذ / 179 ب / للحكمة عن أفلاطون : العشق عِيُ العاشق عن عيوب المعشوق ! قال الشاعر :

ولست براء عيب ذي الودّ كلّهُ ولا بعضُ ما فيه إذا كان راضياً

ثم التفت الى القاضي وقال : إني أراك ساكتاً يا أبا محمد ! فقال : يا أمير المؤمنين ، العشق مرض وسواسي ، شبيه بالمالخوليا ، يجعله المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل ؛ وقد يكون معه شهوة

جماع ، وقد لا يكون . وأخبرني بعض العارفين ، يا أمير المؤمنين ، أنَّ العشق ألفة رحمانية ، وإلهام شوقي ، أوجبهما كرمُ الله تعالى عن كل ذي روح ليحصل باللذة العظمى التي لا يُقدَّر عليها الا بتلك الألفة . وهي موجودة في الانفس ، مقدَّرة مراتبها عند أربابها ، فما أحدٌ الا عاشقٌ لأمر يُستدلُّ به على قدر طبقة من الخلق . ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتبُ الذين أزهَّدوا فيها مع كونها معانيَّة ، ومالوا الى الأخرى مع كونها مُخبرًا لهم عنها بصورة لفظ .

فقال الأصمعي : سألت ، يا أمير المؤمنين ، اعرابية عن العشق ، فقالت جلَّ - والله - عن أن يُرى وخفيَّ عن أنظار الورى ، فهو في الصدور كامنٌ كمنون النار في الحجر ؛ إن قدحته أوزى ، وإن تركته توارى .

وقال بعضهم : الجنون فنون . والعشق فنٌّ من فنونه . واحتج بقول امرئ القيس :

قالوا جُنِنْتُ بمن تهوى فقلت لهم العشقُ أعظم ممَّا بالمجانين
العشق لا يستفيق الدَّهرَ صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين

فقال المأمون للقاضي يحيى : يا أبا محمد ، قد علمنا كيفية العشق ؛ وكيفية الشوق وسفر القلب الى المحبوب ، ما هي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قال في الصُّحاح ' الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء ' . وقد جاء في الخبر عن النبي : «وَأَسْأَلُكَ النَّظَرَ الى وجهك والشوق الى لقائك» . واختلفوا في الشوق هل يزول بالوصول أو يزيد فقالت طائفة يزيد ، لأنه سفر القلب الى المحبوب ، فإذا وصل اليه انتهت السفرة . قال الشاعر :

وأَلَقْتُ عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

فقال المأمون : بل يزيد ! . واستدلَّ بهذا البيت :

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

فقال ثمامة : الشوق ، يا أمير المؤمنين ، هو حُرقة المحبة وآلتهاؤها في قلب المحب ، وذلك ممّا يزيد المواصله . والصّواب أنّ الشوق الحادث عند اللقاء والمواصله عند الفزع الذي كان عند الغيبة عن المحب . انتهى .

وما أحسن ما قاله ابن الرومي في المعنى ، في هذه الأبيات :

أعانقها والنفسُ بعدُ مشوّقة إليها وهل بعد العناق تدان
والثّم فاها كي تزول صبابتي فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأنّ فؤادي ليس يُشفى غليله سوى أن يرى الجسمين ممتزجان

قال بعضهم ، سأل المأمون ابن أكرم عن أمر ، فقال : لا ، وأيد الله 180ب/ أمير المؤمنين ! قال الناقل : فقال الصاحب بن عباد ، حين سمع هذه الحكاية وبلغته : والله لهذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في حدود المرد الملاح ! انتهى .

وقال بعضهم : كان القاضي ابن أكرم مع المأمون يُحاوران الكلام . فبلغ بهم أن ذكّر النحو ، فقال المأمون : يا يحيى ، أعلمت أن علم النحو قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بني هاشم في شرفهم ؛ يا يحيى من قعد به نسبه نهض به أدبه ، قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يُغنيك مأثورة عن الحسب
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا وليس الفتى من يقول كان أبي

قال يحيى بن أكرم : صدقت يا أمير المؤمنين ، أيد الله بك العالم . انتهى .
وكان المأمون أجلاً من أن يُذكر عرفانه ويُزبر أدبه وفضله وإحسانه ، على ما فيه من التشجيع . انتهى .

غرر أخبار وأنباء حُبار

قيل ، كان بين يدي المأمون جماعة من جلسائه وفيهم ثمامة بن أشرس وأبو العتاهية . قال الجاحظ ، فقال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون : أسألك عن مسألة . وكان كثيرًا ما يعارضه بقوله من الإخبار . فقال له المأمون : عليك بشعرك يا أبا العتاهية ! فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره في إجابتي ! فقال : أجبه إذا سأل يا ثمامة . قال : أنا أقول إن ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ؛ فمن حرّك يدي /181/ هذه ؟ فقال له ثمامة : حرّكها ابن أمة زانية ! فقال : شتمني يا أمير المؤمنين ! فقال ثمامة : ناقض الماضي بظن أمه ! فضحك المأمون ، وقال : ألم أقل لك اشتغل بشعرك ودع ما ليس من علمك !

قال ثمامة ، ثم لقيني فقال لي : أبا معن ، أما أغناك الجواب عن السّعة ؟ فقلت : إن أتم الكلام ما قطع الحجّة ، وعاقب على الإساءة ، وشفى الغيظ ، وانتصر من الجاهل .

قال أحمد بن الحارث : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأن الله تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم إن الله تعالى بنى العالم هذه البنية منهما ، وأن العالم حديث العين والصفة لا مُحَدِّث له إلا الله تعالى . وكان يزعم أن الله تعالى سيعيد كل شيء إلى الجوهرين المتصلين قبل أن تفنى الأعيان جميعًا . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيع على مذهب الزندقيّة . ولا ينتقص أحدًا ، ولا يرى الخروج على السلطان ، وكان مُجْبِرًا . وحدث أبو شعيب صاحب أبي داود قال ، قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق ؟ قال : سألتني عن الله تعالى أو عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله . فأمسك . فأعدت عليه ، فأجابني هذا الجواب حتى فعل ذلك مرارًا فقلت : ما لك لا تجيبني ؟ قال : قد فعلت ، ولكنك حمار !

وكان أن أبو العتاهية شاعراً مفلحاً ، من الشعراء المشهورين ، ومن مقدّمي المولّدين .

وهو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي ، نسبة الى عنزة بن أسد بن ربيعة ، وذلك بالولاء . ويقال له العيني ، لأنه ولد بعين التمر ، وهي بلدة بالحجاز قرب /181ب/ المدينة . وقيل إنها من سقي الفرات ، وقيل إنها قرب الأنبار . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار . وكان اشتهر بالبخل . قال ثمامة : كان أبو العتاهية شديد البخل . وقد أنشدني ذات يوم أبياتاً في ذم البخل ، يقول فيها :

ألا إنما مالى الذي أنا مُنْفِقٌ وليس لي المال الذي أنا تاركُهُ

فقلت له : من أين أخذت هذا القول ؟ قال : من قول رسول الله ﷺ : «ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفقيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت» . فقلت له : أتؤمن بهذا القول أنه الحق ؟ قال : نعم ! قلت : فلم تجبسُ عندك أكثر من عشرين بذرة (البذرة ، كيس من المال) ، لا تأكل منها ولا تنفقها على فافتك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله إن ما تقوله هو الحق ، ولكني أخاف الفقر والحاجة الى الناس . قلت : وبم يزيد حال من افتقر على حالك ، وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك ، لا تشري اللحم إلا من العيد الى العيد ؟ فترك جواب كلامي كله وقال : والله ، لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بأربعة دراهم ! وأذهلني كلامه وأضحكني ، وعلمت أنه ليس ممن شرح صدره للاسلام .

ومن محاسن شعره :

جرى البخيل على صالحة عني لخفته على فكري
ما فاتني خير امرئ حملت عني يداه مؤونة الشكر

ومن شعره ما قاله بين يدي المأمون ، وهو قوله :

عذيري من الإنسان لا إن جفوته صفا لي ولا إن كنت طوعَ يديه
وإنني لاحتاجُ إلى ظلِّ صاحبِ يروق ويقفو إن كدَّرت عليه /182/

فكان المأمون يقول : خذوا مني الخلافة واعطوني هذا الصاحب .
وكان أبو العتاهية قد اشتهر بمحبة عُتْبَة ، جارية المهدي . وأكثر تشبيهه
فيها ، فمن ذلك قوله :

أُعلِمتِ عُتْبَةَ أَنِّي منها على سِرِّبٍ مُطْلٍ
وشكوتُ ما أُلقي اليها والمدامع تستهلُ
حتى إذا برمت بما أشكو كما يشكي الأقلُ
قالت فأَيُّ الناسِ يَعْلَمُ ما تقول فقلت كُلُّ

وقال فيها أيضًا :

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فأنشروا الأكفان من عاجلٍ
ولا تلوموا في اتباع الهوى فأنني في شغلٍ شاغلٍ
عيني على عُتْبَةَ مُنْهَلَةٍ بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلي قتيلًا بكى من شدة الوجد على القاتل
بسطتُ كفي نحوكم سائلًا متى تردون مني السائل
إن لم تُبيلوه فقولوا له قولا جميلا بدل النَّائل
أو كنتم العام منه على غيرة فهنوه إلى القابل

وقال أيضًا :

ولقد صبوتُ اليك حتى صيرت من فرط التصابي
يجد الجليس إذا دنا ربح التصابي في ثيابي

قال أبو العباس المبرد ، في كتابه الكامل : إن أبا العتاهية كان قد استأذن في

أن يُطلق له الى أمير المؤمنين في التبروز والمهرجان فأهدى اليه في أحدهما برنية
(البرنية ، إناء من خزف) ضخمة ، فيها ثوب ناعم مطيب ، وقد كتب في
حواشيه هذين البيتين /182ب/

نفسي لشيء من الدنيا معلقة والله والقائم المهدي يكفيها
إني لأياس منها ثم يُطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع عتبة اليه . فجزعت ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، حرمتي
وخدمتي ، أتدفعني الى قبيح المنظر ، بائع جرار ، ومكتسب بالعشق !
فأعفاها ، ثم قال : املؤوا له البرنية مالا ! فقال للكاتب : أمر لي بدنانير !
فقالوا : ما ندفع اليك ذلك ؛ ولكن إن شئت أعطيناك دراهم الى أن يُفصح بما
أراد ! فآختلف لذلك حولا . فقالت عتبة : لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن
يختلف بعد حول في التمييز بين الدراهم والدنانير ، ولقد أعرض عن ذكرى
صفحا .

ويحكى أنه لقي يوما أبا نواس فقال له : كم تعمل في يومك من الشعر ؟
فقال : البيت والبيتين . فقال أبو العتاهية : لكني أعمل المائة والمائتين في اليوم !
فقال أبو نواس : لأنك تعمل مثل قولك :

يا عتبَ مالي ولك يا ليتني لم أرك

ولو أردتُ مثل هذا الألف والألفين لقدرتُ عليه ؛ وأنا أعمل مثل قولي :
من كف ذات حر في زي ذي ذكر لها محبان لوطي وزناه
ولو أردتُ مثل هذا ، يا أبا العتاهية ، لأعجزك الدهر !
ولأبي العتاهية أشعار كثيرة ، واشتهر شعره بالزهد ولم يكن فيه ذلك .
وله مدح من ذلك ما مدح به عمرو بن العلاء ، بقوله :

إني آمنت من الزمان وصرفه لما علقت من الأمين حالا
لو يستطيع الناس من إجلاله اتخذوا حُر الخدود نعالا
إن المطايا تشتك مهابة قطعت اليك فدفدا وربالا
فإذا وردن بنا وردنا خفا وإذا صدرن صدرن وليس ثقلا

فأعطاه عمرو سبعين ألفا وخلع عليه حتى لا يقدر أن يقوم . فغار منه الشعراء .

وقد اتفق له في بعض الأيام أن المهدي استدعى الشعراء الى مجلسه فاجتمعوا . وكان فيهم بشار بن برد الأعمى ، فسمع صوت أبي العتاهية فقال لجليسه : أأنت هنا أبو العتاهية ؟ قال : نعم ! فوجم له بشار . ثم استنشد المهدي أبا العتاهية ، فانطلق ينشده قصيدته التي يقول في أولها :

ألا ما لسيّدتني ما لها أدلت فأحمل إدلاها

فقال بشار : لجليسه ما رأيت أجسر من هذا ! حتى انتهى أبو العتاهية الى قوله :

أنته الخلافة منقادة اليه تجرّ أذيالها
فلم تكن تصلح الآله ولم يكن يصلح الآله
ولو أنّ أمها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطفه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه : انظر ، ويحك ، أطار الخليفة عن فرشه ؟ ! لما وقع له من الغيرة . ولم يخرج يومئذ أحد من الشعراء بجائزة غير أبي العتاهية . وكان أبو العتاهية من شعراء الخلفاء الى المأمون . ومات في أيامه .

قال بعضهم مات أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني النحوي في يوم واحد . وليس بصحيح ، لأن إبراهيم مات بعده بستين ، وأبو عمرو

مات سنة ست ومائتين .

وهو أبو عمرو اسحاق بن مِرَار ، بكسر الميم ، الشيباني /183ب/ النحوي اللغوي ، وهو من الموالي . جاور شيان ليتأدب فيها فنُسب اليها ، ونزل بغداد وكان من الأئمة الأعلام في فنونه ، وهي اللغة والشعر . وكان كثير الحديث كثير السماع ، ثقة . وهو عند العامة والخاصة من أهل العلم والرواية مشهوراً معروفاً ، والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ . وأخذ عنه جماعة كبار ، منهم أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن السكيت . وقال في حقه عاش مائة وثمانين عشرة سنة وكان يكتب بيده الى أن مات ، وكان ربما استعار الكتب مني وأنا إذ ذاك صبي أخذ عنه وأكتب من كتبه . وله من الكتب كتاب الخيل ، وكتاب اللغات وهو المعروف بالجيم ، ويعرف أيضاً بكتاب الحروف ، وكتاب النوادر الكبير ثلاث نسخ ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب النخلة ، وكتاب الإبل ، وكتاب خلق الإنسان . والأصح أنه مات سنة ست ومائتين ببغداد ، وعمره مائة وعشر سنين . ولم يمت في سنة مات فيها أبو العتاهية .

قال المؤيد ، في المختصر : في سنة أحد عشر ومائتين ، أمر المأمون أن يُنادى بُرئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ .

وفيهما توفي أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش النحوي البصري . والأخفش ، الصغير العينين مع سوء بصرهما . وكان من أئمة العربية البصريين ، وأخذ النحو عن سيويه . وكان أكبر من سيويه . وكان يقول : ما وضع سيويه في كتابه /184/ شيئا إلا بعد أن عرضه عليّ .

وللأخفش المذكور عدة مصنفات ، وهو الذي زاد في العروض بحر الخَبَب . والذين يُسمّون بالأخفش ثلاثة ، أولهم الأخفش الأكبر ، وهو أبو الخطاب عبد الحميد ، من أهل هَجَرَ ، وكان نحويًا أيضًا ؛ ثم الأخفش

الأوسط ، سعيد بن مسعدة الامام المذكور ؛ ثم الأخفش الأصغر المتأخر ، وهو علي بن سليمان بن الفضل ، وكان نحوياً أيضاً ، توفي سنة خمس عشرة ، وقيل سنة ست عشرة وثلاثمائة . وفيها توفي أبو العتاهية الشاعر . انتهى .

قال ابن خلكان : كانت ولادة أبي العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل سنة ثلاث عشرة بغداد ، وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين رحمه الله تعالى . ولما حضرته الوفاة قال : اشتهي أن يجيء مخلوف المغني ، ويغنيَ عند رأسي هذين البيتين :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن عزاء الباقيات قليل
ستعرض عن ذكرى وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

وأوصى أن يكتب على قبره :
إن عيشاً يكون آخره الموت لمعيشة مُعجل التنفيس

قال : وكان من مقدمي المولدين . شعره كثير . وهو في طبقة أبي نواس وبشار بن برد وحماد عجرد وتلك الطائفة . انتهى .

تمام كلام وتكميل مرام

قد تقدم ذكر أبي نواس ، وسنذكر شيئاً من أخبار بشار وحماد . /184ب/
قال صاحب الأغاني : وحماد عجرد هو حماد بن يحيى مولى بني عامر بن صعصعة أصله . ومنشؤه بالكوفة ، وهو من مخضرمي الدولتين ، خلیع ماجن ، وكان يُتهم في دينه بالزندقة . وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون ، حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان ، يتنادمون على الشراب ويتعاشرون معاشرة جميلة كأنهم نفس واحدة . وكانوا جميعاً يُرمون بالزندقة ، وأشهرهم بها حماد عجرد . وسبب تلقيته بعجرد أن أعرايياً مرّ به يوماً ، شديد البرد ،

وهو يلعب مع الصبيان فقال له : تعجرت يا غلام ! فسمي عجرد . وهو مأخوذ من التعجرد ، وهو التعري في اللغة ، يقال تعجرد الرجل ، إذا تعرى وعجرت الرجل إذا عريته وكان بينه وبين بشار مهاجرة عظيمة والشر بينهما مُنْتَشِب ، ولكل منهما في صاحبه أقوال . قال بشار في حماد عجرد :

ما لمتُ حمادَ على فسقه يلومه الجاهل والمبايقُ
ما بات الآ فوقه فاسقُ ينيكه أو تحته فاسقُ

وقال فيه أيضاً :

نهاره أحيثُ من ليله ويومه أحيثُ من أمسه
وليس بالمقلع عن غيه حتى يوارى في رسمه

وقال فيه أيضاً :

لو طليت جلده عنبراً لأفسدت جلده العنبراً
أو طليت مسكاً ذكياً إذا تحول المسكُ عليه خراً /185/
وكان بشار بن برد أعمى ، فقال فيه حماد عجرد :

ألا من مبلغ عني الذي والده بردُ
إذا ما نسب الناس فلا قبلُ ولا بعدُ
شبيه الوجه بالقرد إذا ما عمي القردُ
دنيء لم يرح يوماً الى مجد ولم يغدُ
ولم يُخشَ له ذم ولم يرج له حمدُ
جرى بالنخس مذ كان ولم يجر له سعدُ
هو الكلب إذا ما مات لم يوجد له فقدُ

وبلغ ذلك بشاراً فبكى فقبل له : أتبكي من هجاء حماد ! فقال : والله ما

أبكي من هجائه ، ولكنني أبكي لأنه يراني فيصنفي وأنا لا أراه فأصفه . ثم قال :
لا إله الا الله ، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ عشرين سنة ، فما نطقت به
خوفا من أن يُسمع فأهجي به حتى وقع عليه النبطي ابن الزانية .

قال علي بن مهدي : أجمع العلماء بالبصرة على أنه ليس في هجاء حماد
عجود لبشار شيء جيد سوى أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه أكثر من ألف
بيت جيد . قال : وكان كل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة
وأظهرها عليه ، فسقط حماد بقول بشار فيه ، لفضل بلاغته وجودة معانيه وبقي
بشار على حاله لم يسقط وعُرف مذهبه الزندقة فقتل بها . قال يحيى بن الجون
العبدى ، راوية بشار : أنشدت بشاراً يوماً قول حماد عجود :

ألا قل لعبد الله إنك واحدٌ ومثلك في هذا الأنام كثيرُ / 185ب/
قطعت إخواني ظلماً وهجرتهى وليس أخ في الإخاء يجورُ
أديم لأهل الودّ ودّي وإتسى لمن رام هجري ظلماً لهجورُ
ولو أنّ بغضي رابني لتركته وإنّي بقطع الرأي منك جديرُ
فلا تحسبنّ منحي لك الودّ مخلصاً لضرّ ولا أني اليك فقيرُ

فقال : ما قال حماد شعراً أشدّ عليّ من هذا ! فقلت : كيف ، ولم يهجمك
فيه ؟ فقال : هذا شعر جيد ، ومثله يُروى !
وأنشد بشاراً راويته قول حماد عجود :

دُعيتَ الى برِّدٍ وأنت لغيره وهبك لبرِّدٍ نكتُ أملك من برِّدٍ

فقال بشار لراويته : ههنا أحدٌ ؟ قال : لا ! قال : جوّد ابن الزانية ما أنشأ ؛
ولقد تهيأ له في هذا البيت خمس معانٍ من الهجاء ، قوله «دُعيت الى برِّدٍ»
معنى ، وقوله «وأنت لغيره [معنى]» ، وقوله «وهبك لبرِّدٍ» معنى ، وقوله
«نكت أملك» معنى ، شتم مفرد واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ، ثم ختم

بقوله «من برد» ، فأتى بالطلبة . ولقد طلب جرير في هجائه الفرزدق تكثير المعاني ، ونحا هذا النحو ، فما تم له أكثر من ثلاث معان في قوله :
لما وضعتُ على الفرزدق مقسمي وضعا للبعيث جدعت أنف الاخطل
وكان حماد يأتي في شعره بالمعاني الجيدة والكلام اللطيف ، فمن ذلك قوله :

كم من أخ لك لست تنكره ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والشكر
فإذا عدى والدهر ذو غير دهر عليك عدى مع الدهر
فأرفض بإجمال مودة من يقلب المقل ويعشق المشري /186/
وعليك من حالاته واحدة في العسر إما كنت واليسر

وقال ابن النطاح : أنشدت أخي يوماً شعراً ، لحماذ يهجو فيه بشار بن برد فقال :

ما يضر البحر أمسى زائراً إن رمى فيه غلام بحجر

وكان رجل من أهل البصرة ، يدخل إلى بشار وحماد على اتفاق منهما ، روضي بأن ينقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر . فدخل يوماً إلى بشار ، فقال له : ايه يا فلان ، ما قال ابن الزانية في ؟ فأنشده :

إن تاة بشار عليكم فقد أمكنتُ بشاراً من التيه

فقال بشار : بأي شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذا سميت باسمه ولم يكن حر يُسميه

فقال بشار : سَخُنْتُ عينه ، فبأي شيء كنتُ أعرف ؟ فقال :

فصار إنساناً بذكري له ما ينبغي من بعد ذكره

فقال : ما صنع شيئاً إيه ويحك ؟ فقال :

لم أهجُ بشاراً ولكنتي هجوت نفسي بهجائي

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حام .

وكان حماد عجرد يهوى غلاماً ، يقال له أبو بشر ، فلامه على حبه بعض

إخوانه ، فقال يجيبه :

أخي كُفَّ عن لومي فإنك لا تدري بما فعل الحب المبرح في صدري

أخي أنت تلحاني وقلبك فارغ وقلبي مشغول الجوانح بالفكر

أخي إن دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند خلي أبو بشر

فأقسيم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري

186ب/

ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنت لا تدري بأنك لا تدري

قال يعقوب الخريمي : أهدى مطيع بن إلياس إلى حماد عجرد غلاماً ،

وكتب إليه : «قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ !» .

وحضر يوماً حماد عجرد ومطيع بن إلياس في مجلس محمد بن خالد ، وهو

أمير الكوفة فتمازحا ، فقال حماد في مطيع :

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رقيق

وعن الخير بطيء وإلى الشر سريع

فقال مطيع :

إن حماداً لثيم سيفلة الأصل عديم

لا تراه الدهر إلا بهنو الغير يهيم

فقال حماد : ويلك ، أترميني بدائك ، والله لو لا كراحتي للشرّ لقلت لك
قولاً يبقى ، ولكني لا أفسد مودّتك !

وقال الحسن بن عمار : نزل حماد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه الطعام ،
واشتدّ جوعه فقال :

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| زرتُ أمراء في بيته مرّة | لا له حياة ولا له خير |
| يكره أن يتخّم أضيافه | إن أدّى التخمّة محذور |
| ويشتهي أن يؤخر وعده | بالصوم والصائم مأجور |

فلما سمعه محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على هجائي ؟
قال : الجوع وحياتك حملني عليه ، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول .
فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

وكان ابن أبي الصلّ صديقاً لحماد عجرد ، وكان يعاتبه على البخل ، فقال
فيه :

تخوف تخمة أصحابه ^{فعودهم} أكلة واحدة

وقال أبو دهمان : كان أبو حنيفة الفقيه رضي الله تعالى /187/ عنه صديقاً
لحماد عجرد ، فلما نسك وطلب الفقه رفض حماداً وبسط لسانه فيه ؛ فجعل
حماد يلاطفه حتى يكف عنه وهو مُصِرّ على ذكره ، فكتب إليه حماد أبياتاً
يقول فيها :

| | |
|----------------------|-------------------------|
| إن كان نسكك لا يت | سم بغير شتمي وانتقاصي |
| فاقعد وقم بي كيف شئت | ت مع الأداني والأقاصي |
| فلطالما زكّيتني | وأنا المقيم على المعاصي |
| أيام تأخذها وتعطي | في أباريق الرصاص |

وأنا وأنت على ارتكابِ الموبقات من الحُرّاصِ

فأمسك أبو حنيفة ، رحمه الله تعالى ، عن ذكره بعد ذلك ، خوفاً من لسانه .

وروي أن يحيى بن زياد كان صديقاً لحَمَّاد أيضاً ، وكانا يتنادمان على الشراب ، فأظهر يحيى تورعاً وتبرعاً عما كان عليه ، وهجر حمّاداً وغيره من أشباهه ، وصار إذا ذكر حمّاد عنده يذكر يحيى تهتكه وفعله . فقال فيه حمّاد هذه الأبيات ، وبلغت يحيى ، فنُسب حمّاد الى الزندقة ، فقال فيه حمّاد :

لا مؤمن يُعرف إيمانه وليس يخشى بالفتى الكافرِ
منافقٌ ظاهره ناسكٌ مخالفُ الباطن للظاهرِ

وكان محمد بن أبي العباس كثير الطُيب ، يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه ؛ فلقبوه أبا الدُّبُس . وكان قوياً شديداً ، يلوي العمود من شدته . فقال فيه :

صيرنا من الرِّيح الى الوُكُشِ إذا ولي المصّر أبو الدُّبُسِ / 187ب/
ما شئت من لؤم على نفسه وجنسه من أكرم الجنسِ

وكان محمد قد قدم البصرة أميراً عليها ، فهوى زينب بنت سليمان بن علي ، فخطبها ، فلم يزوجه إياها لشيء كان في عقله . فقال لحمّاد : قل فيها شعراً ! فقال حمّاد على لسان محمد بن أبي العباس فيها أشعاراً كثيرة ، منها :

زينب ما لي عنك من صبر وليس لي منك سيوى الهجرِ
وجهك والله وإن شقني أحسن من شمس ومن بدرِ

واشتهرت زينبُ في البصرة ، وهي التي يُنسب اليها الزينبيون من آل العباس . فطلب محمد بن سليمان حمّاد عجرد . فهرب منه واستجار بقرابته ، يعني قرابة سليمان ، وقال فيه أشعاراً كثيرة فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبلى قبر

أبي من دمه ! فهرب الى بغداد ، وعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره وقال له :
أهج محمد بن سليمان ! فهجاه بقوله :

قل لوجه الخصي ذي العار آني سوف أهدي لزنب الأشعارا
كنت عند استجارتي بأبي أيوب أبغي ضلالة وخسارا
فلم يُجرني ولم أجذ فيه حظا أضرم الله ذاك القبر نارا

وبلغ ذلك محمد بن سليمان ، فأرسل اليه من قتله غيلة . فلما مات وبلغ
بشار موته قال :

لو عاش حماد لهُونا به لكنه صار الى النار

ولما قتل المهدي بشارا بالبطينة ، حُمل الى منزله ودفن عند حماد . فمر
بهما أبو هشام الباهلي الشاعر فوقف على /188/ قبريهما وقال فيهما :

قد تبع الأعمى قفا عجرد فأصبحا جارين في دار
قالت بقاع الأرض لا مرجأ بقرب حماد وبشار
جاورا بعد تناءيهما ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا في يدي مالك في النار والكافر في النار

انتهى .

وقتل بشار على الزندقة سنة ست وستين ومائة ، لأنه كان يصوب رأس
إبليس - لعنة الله عليه - في امتناعه من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام .
وكان يفضل النار على الأرض . ولما قُتل كان قد نيف على التسعين ، وكان
أعمى ممسوح العينين .

وبشار هو القائل في يعقوب بن طهمان وزير المهدي :

بني أمة هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النأي والعود

قال ذلك حين غلب على المهدي وتمكن عنده وصارت الأمور اليه ، وضيق على المهدي في الشرب ، فسعت به ندماءؤه . وحبسَه في هذه السنة ، وبقي محبوساً الى خلافة الرشيد . ذكر ذلك كله المؤيد في المختصر .

وكان بشار قد سعى بحمّاد الى الربيع بن يونس بأبيات قالها فيه . وذلك أنّ حمّاد عجرد كان يؤدّب ولد الربيع بن يونس ، فكتب اليه بشار بن برد :

يا أيها الفضل لا تنم وقع الذيب في الغنم
إن حمّاد عجرد إن رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة في غلاف من الأدم
إن خلا البيت ساعة يجمجم الميم بالقلم

188ب/ فلما قرأ الربيع الأبيات طرده . قال أبو ذؤمان فأوجع حمّاداً ما فعله بشار ، فقال فيه هذه الأبيات :

لقد صار بشار بصيراً بدبره وناظره بين الأنام ضرير
له مقلّة عمياً وأست بصيرة الى الأير من تحت الثياب تُشير
ومن وده أن الحمير تنيكه وأن جميع العالمين حمير

وقد فعل مثل هذا بعينه حمّاد عجرد بقطرب ، فجازاه الله بمثله . وذلك أن قطرب دُعي لتأديب بعض ولد المهدي . وكان حمّاد يطمع في ذلك ، فلم يتم له لشهرته في الناس بما قاله بشار . ولما تمكّن قطرب في موضعه كتب حمّاد فيه الى المهدي أبياتاً يقول فيها :

قلّ للامام جزاك الله صالحة لا تجعل الدهر بين السخل والذيب
السخل غرّ وهم الذيب غفلته والذيب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأ المهدي الرقعة قال : أنفوه عن الدّار ! فأخرج وجيء بمؤدّب
غيره . ووكل به سبعين خادماً يحفظون الصبي . وخرج قطرب هارباً مما شهّر
به الى أن أتى أبو دلف ، فأقام عنده بالكّرّخ الى أن مات .

وقطرب بضم القاف وسكون الطاء ، وهو لقب غلب على أبي عبد الله
محمد بن المُستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري ، مولى سلم بن زياد .
ويقال إن اسمه أحمد ، وقيل الحسن ؛ والأول أصح . أخذ الأدب عن سيويه
وعن جماعة من البصريين ، وكان حريصاً على النظم والاشتغال . فكان يكرّر
الى سيويه قبل حضور أحد من التلاميذ . فقال له يوماً : /189/ ما أنت
إلا قطربُ ليل ! فبقي عليه هذا اللقب . وقطرب ، اسم دويبة لا تزال تدبّ
ولا تغير .

قال المؤيد : توفي قطرب النحوي سنة ست ومائتين . اهـ .
وكان من أئمة عصره ، وله من التصانيف كتاب القرآن ، وكتاب
الاشتقاق ، وكتاب القوافي وكتاب النوادر ، وكتاب فعل وافعل ، وكتاب الردّ
على الملحدّين في تشابه القرآن ، وغير ذلك . وهو أول من وضع المثلث في اللغة ،
وكتابه وإن كان صغيراً لكن له فضيلة سبق ، وبه اقتدى أبو محمد عبد الله
السيد البطليوسي وكتابه كبير . وكان قطرب معلم أولاد أبي دلف العجّلي .
وكان أبو دلف من أصحاب الأمين ، فغضب عليه المأمون وبقي على ذلك الى
أن صلح حاله مع المأمون سنة أربع عشرة ومائتين . قدم على المأمون وهو شديد
الخوف فأكرمه وأعلى منزلته .

وأبو دلف ، هو ممدوح العكوك الشاعر ، حيث يقول فيه :

| | |
|---------------------|-----------------------|
| إنما الدنيا أبو دلف | بين بادية ومحتضره |
| فإذا ولّى أبو دلف | ولّت الدنيا على أثره |
| كلّ من في الارض من | عرب من بادية الى حضره |

مستعيرٌ منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

وهي قصيدة طويلة ، ثمانية وخمسون بيتاً ، عارضه فيها أبو نواس وردّ على العكوك ، وبلغت القصيدة المأمون فغضب على العكوك ، وطلبه فهرب منه كل مهرب ، ثم أحضر بين يديه فقال : فضلت القاسم بن عيسى العجلي علينا يا عكوك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت /189ب/ اصطفاكم الله من بين عباده وأتاكم ملكاً عظيماً ، وإنما مدحته على آله وأمرائه . فقال : والله ما أبقيت أحداً ، ولقد أدخلتنا في الكلّ ، حيث تقول «كلّ من في الأرض من» وسرد البيتين ؛ ومع هذا فلا أستحلّ قتلك بهذا ، ولكن بكُفرك وشركك ، حيث تقول في عبد ذليل :

أنت الذي تُنزل الأيام منزهاً وتُنقلُ الدَّهر من حال الى حال
وما مددت مدى طرفٍ الى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ

ذلك الله ، تفعله ؛ أخرجوا لسانه من قفاه ! فأخرجوا لسانه من قفاه ، فمات في سنة ثلاثة عشر ومائتين ببغداد .
وكان مولده سنة ستين ومائة ، وهو أبو الحسن عليّ بن جبلة بن المسلم بن عبد الرحمان الخراساني . ولقب بالعكوك لقصره وسمته . وكان من الموالي ، وهو بصير ، وُلد أعمى . وقيل أصابه جُدري وهو ابن تسع سنين فعمي . وكان أسود أبرص . وكان شاعراً مُطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى عليه في الشعر الجاحظ ، فمن بعده .

قال الجاحظ : ما رأيت بدوياً ولا حضرياً أحسن إنشاداً منه ؛ فمن قوله :

| | |
|------------------------|---------------------------|
| يا من زارني مُكتَبِماً | حذراً من كلّ شيء جزعاً |
| طارق نمّ عليه حسنة | كيف يُخفي الليل بدرّ طلعا |
| رصد الغفلة حتى أمكنت | ورعى السامر حتى هجعاً |

ركب الأهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودَّعَا

انتهى ، كذا ذكر في تاريخ العظمي .

190/ ذكر الخطيب : أنَّ أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء كان يؤدب ولدي المأمون ، وليَّ العهد . فقام الفراء يوماً فابتدراه ، أيهما يقدِّم نعليه ، فتنازعا في ذلك ثم اصطلحا على أن يقدِّم كل واحد نعلًا ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار وللـفراء عشرة آلاف درهم ، وقال له : لا جرم ، إذ يقدِّم نعليك وليَّ العهد !

وكان الفراء شيخ النحاة واللغويين . والفراء وكان يقال له أمير المؤمنين في النحو . وكان ثقة إمامًا .

قال ابن خلكان : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، المعروف بالفراء الأسلمي الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد وقيل مولى بني منقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ، وكان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . حكى عن ثعلب أنه قال : لو لا الفراء لسقطت العربية ، لأنها كانت يُتنازع فيها ويدَّعيها كل من أراد ، وتكلم الناس فيها على قدر عقولهم وقرائحهم فتذهب .

وكان الفراء أخذ النحو عن الحسن الكسائي وهو والأحمر من أشهر أصحابه وأخصمهم . انتهى .

وكان المأمون أمره بوضع كتاب في النحو وأملاه وكتب عنه وأمر المأمون بكتِّبه في الخزائن ، كذا ذكر الخطيب .

وروى أيضًا أنَّ الفراء كان ابن خالة محمد بن الحسن الفقيه ، وكان يوماً جالسًا عنده فقال الفراء : كلَّ رجل أتقن النظر في باب من العلم وأراد غيره إلاَّ سهَّل عليه ! فقال محمد : يا أبا زكريا قد أُمعنتَ النظر في العربية ، فنسألك عن باب من الفقه ؟ فقال : هات على بركة الله ! فقال : ما تقول في رجل صلَّى فسها فسجد 190ب/ سجدة السهو ، فسها فيهما ، فهل يسجد للسهو

ثانيًا ؟ ففكر الفراء ساعة ثم قال : لا شيء عليه . فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأن التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنما السجدةتان تمامٌ للصلاة ، فليس لكل تمام تمام ! فقال محمد : ما ظننت امرأة تلد مثلك !

وقال ابن خلكان : كان الفراء يميل الى الاعتزال . وعن ثعلب أن الفراء كان يجلس للناس في مسجد الى جانب ، وكان يتفلسف في قضائه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة . وقال الجاحظ : دخلت بغداد سنة أربع ومائتين حين قدمها المؤمنون ، وكان الفراء يُحبني وأشتهى أن يتعلم شيئاً من علم الكلام ، فلم يكن له طبع .

وحكى سلمة بن عاصم أن الفراء قال : كنت أنا وبشر المريسي في بيت واحد عشرين سنة ما تعلم مني شيئاً وما تعلمتُ منه شيئاً ! وكان بشر معتزلياً . انتهى .

ولد الفراء بالكوفة وانتقل الى بغداد وجعل أكثر مقامه بها ، وتوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة . وعمره ثلاث وستون سنة . وسمي الفراء لأنه كان يفري الكلام فرياً ، وله مصنفات منها كتاب الحدود ، وكتاب المعاني ، وكتابان في المشكل ، وكتاب النهي وغير ذلك . انتهى ، كذا ذكر المؤيد وغيره .

شيم سنية وأخلاق رضية

حكى الخطيب ، عن العباس صاحب شرطة المؤمن أنه قال : دخلت الى مجلس أمير المؤمنين بخران ، من عجل دمشق الشام ، فوجدت رجلاً بين يديه مكبلاً بالحديد . فقال لي : يا عباس ! قلت : لبيك ، يا أمير المؤمنين . فقال : خذ هذا اليك واستوثق منه /191/ واحتفظ به ، وبكر اليّ به في غدٍ ، واحترز عليه كل الاحتراز .

قال العباس ، فدعوت جماعة حملوه ، ولم يقدّر أن يتحرك . فقلت في نفسي

مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به لا يكون إلا معي في بيتي . وجعلته في مجلس في داري ، ثم أخذت أسأله عن قضيته وحاله ومن أين هو . فقال : أنا من دمشق . فقلت : جزى الله دمشق وأهلها خيراً ، فمن أنت من أهلها ؟ قال : وعمّن تسأل ؟ قلت : فلاناً . قال : ومن أين تعرفه ؟ قلت : وقع لي معه قضية . فقال : ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تُعرفني قضيتك معه .

قلت : كنت مع بعض الولاة بدمشق ، فخرج علينا أهلها حتى أن الوالي تدلّى في زنبيل من قصر حجاج ، وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم ، فبينما أنا هارب في بعض الدروب وإذا بجماعة يعدّون خلفي ، فما زلت أغدو أمامهم حتى فتّهم ، فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره ، فقلت له : أغثني أغاثك الله تعالى ! فقال : لا بأس عليك ، أدخل الدار . فدخلت فقالت زوجته : أدخل تلك المقصورة فدخلتها ، ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت به إلا وقد دخل ومعه رجال يقولون : هو والله عندك ! فقال لهم : دونكم الدار ، ففتشوها ! فداروا فيها حتى لم يبق لهم إلا تلك المقصورة وامراته معي فيها ، فقالوا : هو هنا ! فصاحت بهم المرأة ونهرتهم ، فانصرفوا . وخرج الرجل ، فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف وما حملتني رجلاي من شدة الخوف . فقالت المرأة : اجلس لا بأس عليك . /191ب/ فجلست ، فلم ألبث حتى دخل الرجل ، فقال : لا تخف ، قد صرف الله عنك شرهم وصيرت إلى الأمن إن شاء الله تعالى . فقلت : جزاك الله خيراً !

وما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها ، وأفرد لي مكاناً من داره ولم يحوجني إلى شيء ، ولم يفتر عن تفقّد أحوالي . فأقمت عنده أربعة أشهر في أتم عيش وأرفعه إلى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال شرّها ، فقلت له : أتأذن لي في الخروج حتى أتفقّد حال غلماني ، فلعلّي أقف منهم على خبر . فأخذ عليّ الموائيق

بالرجوع اليه . فخرجت وطلبت غلماني ، فلم أقف لهم على خبر فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني إلا بالكنية ، فقال لي : على ما تعزم ؟ فقلت : قد عزمْتُ على التوجه الى بغداد ، فإن القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج ، وقد تفضلتُ عليّ هذه المرأة ولك عليّ عهد الله أني لا أنسى لك هذا الفضل ، ولا أوفيك مهما استطعت ! فدعا بـغلام أسود ، وقال له : انعل الفرس الفلاني ، ثم جهّز له الفرس ! فقلت في نفسي ما أشك أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي ؛ فأقاموا يومهم ذلك في كدّ وتعَب .

فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السَّحَر وقال : يا فلان ، قم ، فإن القافلة تخرج الساعة ! فتحيّرتُ وقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزوّد به ولا ما أكرّي به مركوباً . ثم قمتُ ، فإذا هو وامرأته يحملان من أفخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ، ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما /192/ في وسطي ، ثم قدّم بغلا وحمل عليه صندوقان فوقهما فرش ، ودفع اليّ نسخة ما في الصندوقين ، وفيهما خمسة آلاف درهم ، وقدم اليّ الفرس الذي أنعله بسرّجه ولجامه وقال : إركبْ ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك ! وأقبل هو وامرأته يعتذران اليّ من التقصير في أمري ، وركب معي وشيئني وانصرفتُ الى بغداد وأنا أتوقّع خبره ومكافأته .

واشتغلنا مع أمير المؤمنين ، ولم أتفرغ اليه لكي أرسل اليه وأكافيه على صنيعه وإحسانه اليّ . فقال له الرجل : قرب الله تعبك ، أنا ذلك الرجل ، وإنما الضُرّ الذي أنا فيه غير عليك حالي ، وما كنت تعرفه مني .

ثم لم يذكر لي تفاصيل الأسباب حتى أثبت لي معرفته . فما تمالكتُ أن قمت وقبّلت رأسه ، ثم قلت له : فما الذي أسرك اليّ ما أرى ؟ قال : هاجت فتنة بدمشق ، مثل الفتنة التي كانت في أيامك ، فنسبتُ إليّ . وقد بعث أمير المؤمنين الجيوش فأصلحوا بين الناس وأخذتُ أنا وضربتُ الى أن أشرفتُ على

الموت . ثم إنهم قيّدوني وبعثوا بي الى أمير المؤمنين وأمرني عنده عظيم ، وهو قاتلي لا محالة وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية ، وقد تبعني بعض من غلماني ، من ينصرف الى أهلي بخبري ، وهو نازل عند فلان ؛ فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد ؛ فإن أنت فعلت ذلك ، فقد جاوزت حدّ المكافأة وقمت بوفاء عهدك !

قال العباس ، فقلت : يصنع الله خيراً ! ثم أحضرت حدّاداً في تلك الليل ، وقلت له : فكّ / 192 ب / قيوده ، وأزل ما كان عليه من الأنكال ! وأدخلته حمام داري ، وألبسته من الثياب ما يحتاج اليه ، ثم سيّرت من يحضر اليه غلامه .

فأحضر ، فجعل يكي حين رآه ويوصيه . ثم دعيتُ (كذا في الاصل . وتركتها لعاميتها على لفظ «دعوت» المقصود) نائبني وقلت : عليّ بفرسي والفرس الفلاني والبغلة الفلانية والفلانية ، الى أن ذكرت عشرة أبغال وعشرة صناديق وما يحتاج اليه من الكسوة والطعام وآلات السفر . ثم أحضرت بكرة فيه عشرة آلاف درهم ، وكيس فيه خمسة آلاف دينار ، وقلت لنائبني في الشرطة : خذ هذا الرجل وشيّعهُ الى حدّ بيسان . فقال الرجل : إن ذنبي عظيم ، وخطيبي جسيم عند أمير المؤمنين ، وأنت إن احتججت بآتي هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي ، وأئن أفنته (أفوته ، عربية) ، وربما عاقبك لأجلي ! فقلت له : أئج أنت بنفسك ، ودعني أنا أدبر أمري ! فقال : والله ما أبرح من حرّان حتى أعلم ما يكون من خبرك ؛ فإن احتجت الى حضوري أحضرتني .

فقلت لنائب شرطي : إن كان الأمر على ما يقول ، فليكن مقامك في موضع كذا ، فإن أنا سلّمت في غداة غد أعلمته ، وإن أنا قُتلتُ وقبّته بنفسي كما وقاني بنفسه ، وأنشيدك الله الا يذهب من ماله درهم ، وتجتهد في إخراجه من هذه البلدان ، لأن دمشق قريب من هنا .

ثم توضّيت وصلّيت ما شاء الله تعالى وأقبلت على الدّعاء والتضرّع الى الله

سبحانه ، الى أن بَسَقَ الفجرُ فصلَّيت صلاة الصبح ، فما استتمت صلاتي إلا
ورسول المأمون يقول : أجب أمير المؤمنين ، وهات الرجل معك !

قال العباس : فتوجَّهت /193/ الى دار أمير المؤمنين وإذا هو جالس وعليه
ثيابه ، فقال : أين الرجل ؟ فسكت . فقال : ويحك ما فعل الرجل ؟ فقلت :
يا أمير المؤمنين ، إسمع مني ! فقال : لله علي عهد ، لئن ذكرت أنه هرب لأضربن
عنقك ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هرب ، ولكن اسمع حديثي . وحدثته
من أول الأمر الى آخره ، ثم قلت له : شأنك يا أمير المؤمنين وما تريد أن تفعله
في أمري !

فلما سمع المأمون الحديث قال : وبلك لا جزاك الله خيراً عن نفسك ، إنه
فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة والعهد بهذا ، لا غير ؛ هلاً
عرَّفَني خبره فكنا نكافيه عنك ولا نقصُرُ في وفائك له ؟ فقلت : يا أمير
المؤمنين ، إنه ههنا وقد حلف ألا يرح حتى يعرف سلامتي ، فإن احتجت الى
حضوره حضر . فقال المأمون : وهذه منة أعظم من الاولى ؛ اذهب الآن اليه
وطيب نفسه وسكِّن روعه ، وأتني به حتى أتولي مكافأته بنفسي .

قال : فأتيت اليه وقلت له : ليزول خوفك ، أمير المؤمنين قال كيت
وكيت ! فقال : الحمد لله الذي لا يُحمد على الضراء والسراء سواه . ثم قام
وصلى ركعتين ، ثم ركب نجياً وأمثل بين يدي المأمون . فأقبل عليه المأمون
وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضرَ الغداء ، وأكل معه وخلع عليه وعرض
عليه أعمال دمشق ، فاستعفاه . فأمر له المأمون بعشرة أفراس مشرجة ، وعشرة
أبغال بالاتها ، وعشرة ممالك بدوابهم ، وعشرة بَدَر ، وعشرة آلاف دينار ،
وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به وإطلاق خراجهِ ، وقال له : انصرف
/193ب/ آمناً ، واكتب لنا بأحوال دمشق . فصارت كتبه تصل الى المأمون
وكلما وصلت خريطة البريد فيها كتابه يقول لي : يا عباس هذا كتاب
صديقك . انتهى .

ذكر في كتاب لبّ اللبيب : روى بعض أهل الأدب أن فتى من أهل الكوفة كان قد فاق أهل زمانه في الأدب والبيان والفصاحة واللسان ، نافذاً في صناعته حاذقاً في براعته ، حسن الخط ، جيد الضبط ، بليغاً في الترسل ، فطناً في التأمل ، حافظاً للأخبار ، راوياً للشعار ، خبيراً بسير الملوك في الأيام السالفة ، بصيراً بالتحدث على أمورهم في الأيام الخالفة ، حاذقاً في التصنيف ، فائقاً في التأليف ، صبيح الوجه ، مقبول الشهادة ، حسن السمائل ، وكان مع ذلك محروماً ، لا يتوجه إلى وجه من العمل إلا عاقه عائق وحال دونه حائل وإلا قد رأى سابقاً .

فبقي على ذلك حيناً من الدهر ، وقد برز عليه في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة عاجزاً متأخراً ، فضاق صدره وضلت مقاليدُه ، فخرج إلى بغداد . واكثرى في بعض خاناتها منزلاً ، وأجمع أمره على أن يُقحم نفسه على خطة هائلة يكون فيها هلكه أو ملكه . وتربص بذلك وقتاً إلى أن عزم أمير المؤمنين على أن يشرب يوماً هو وأخوه المعتصم . وأمره المأمون بالاستعداد ليوم يخلون فيه مع الجوّاري متفردين عن سائر الندماء .

وظهر خبرهما بذلك وعرف الناس أمرهما واليوم الذي عزموا عليه . وبلغ الفتى /194/ الأديب ذلك ، فعزم على أن يتطفل عليهما في ذلك اليوم . ومضى إلى إخوانه وأصدقائه واستعار من أحدهم قباء وجبة ومن آخر منطقة وسيفاً وخفّاً ، ومن آخر برذوناً ، ومن آخر ما سيحتاج إليه من الطيب . واستعدّ لذا ، ودخل الحمام سحرّاً ، وتطيّب ولبس وركب عند طلوع الشمس وقال لحاجب المعتصم : عرف الأمير أنني رسول أمير المؤمنين ! فاستأذن عليه ومثل بين يدي المعتصم ، فقال له : يا سيدي ، إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام ويقول لك أتسييت الوعد ، أم أتقدم إليك في الركوب لنخلو ونستريح يوماً هذا ؟ قال : لا والله ، ما نسيت ذلك ، ولكنني تربصت ساعة ، ونمت نومة لأتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار . فقال الفتى : عجّل أيها الأمير ، فإنه أمرني ألا أفارقك

حتى آتیه بك !

فأمر المعتصم بإسراج مركوبه ، وأسرع في التأهب ولبس ثيابه وتطيب .
ثم ركب وركبت معه ، والمعتصم لا ينكر شيئاً من كلامي ، ويتأمل في نظائفي
وهيئتي ويتوهم أنني بعض خواص المأمون . ثم إن الفتى أخذ يحدث المعتصم
بالأخبار النادرة والأمثال السائرة حتى خلى بقلب المعتصم وأقبل عليه بكلّيته ،
ولم يتمكن من سؤاله شهوةً لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة ، فألقى
نفسه عن دابته وجعل يسعى بين يدي المعتصم والحُجّاب لا يُنكرون منه
شيئاً ، ويظنون أنه من بعض خدام المعتصم . وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس
معه ، فلما استقرّ المعتصم في مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو /194ب/
منهمك في حديثه وأخباره والمعتصم مصغ اليه متعجباً مما يسمع من حسن
كلامه .

وبلغ المأمون قدوم المعتصم وأن معه فتى ، لا يُعرف من هو ، فقال المأمون :
قد عُرف أن هذا المجلس الذي اتفقنا عليه لا يتحمّل أن يحضره أحدٌ من الناس
إلا من هو يعدّل النفس ؛ وقد أحسن أخي الذي جعل لنا ثالثاً ، فإن المجلس إذا
لم يحضره أكثر من اثنين بطل ، لقيام أحدهما الى الصلاة أو الى ما لا بد منه .
وخرج المأمون من ساعته فرحاً ليس همّه إلا تصفّح وجه الغلام واستنطاقه
واعتبار قدره . فلما استقرّ على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المأمون ،
فتمكّن قائماً ، فقبل يده وعاد الى مجلسه وأخذ في حديثه ونوادره وعجائبه
وظرائف مضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره ، كأنه يغترف من بحر (في
الاصل : يغرر بحر . والاصلاح من الدرّ 109أ) . ومع ذلك يوهّم المأمون أنه
من خواص المعتصم ، فساعة يُكنّيه وساعة يسمّيه حتى غلب على قلب المأمون
وأظهر الحسد لأخيه في صحبته لمثل هذا الغلام .

وأمر المأمون بإحضار المائدة ، فنصبت بأنواع الطعام والشراب ، فأكلوا
وغسلوا أيديهم ، ثم انتقلوا الى مجلس الشراب ، فأمر المأمون بإحضار

الجواري من غير ستارة ، فحَضَرْنَ وأخذن في الغناء . فما من صوت يمرّ إلّا والفتى عارف به وبقائله وبالمعنى فيه ، ومتى قيل ، وفيمن قيل . فعلا في نفس المأمون حتى ملأ عينيه ، وتزايد حسده لأخيه المعتصم في صحبة مثله . حتى مسّ الفتى بُول ، ولم يجد للمدافعة سبيل ، وهو مستيقنٌ أنهما سيذكُرانه /195/ ويتواصفان أمره وحاله إذا خلا المجلس لهما .

فما هو إلّا أن غاب بين أيديهما ، فقال المأمون لأخيه المعتصم : يا أبا اسحاق ، من صاحبك هذا ، فوالله ما رأيتُ رجلاً أكثر منه أدباً ، ولا أنظف منه هيئة ، ولا أظرف من شمائله ؟ فقال المعتصم : والله ما أعرف من هو ، بل جاءنا برسالة أمير المؤمنين ! فقال المأمون : سألتك بالله يا أخي ، هل هو كذلك ؟ قال : أي ، والذي لا إله إلّا هو ! فقال المأمون : طُفيلي وربّ الكعبة ! وغضب وأوماً الى الجواري بالنهوض ، فنهضن .

وأقبل الفتى راجعاً ، فلما نظر إلى خلوة المجلس من الجواري ورأى تغير وجه المأمون ؛ فوقف على باب المجلس وأقبل بوجهه على المعتصم وقال : يا أبا اسحاق ، كأني بك وقد أحدثت في نوع من الزور والبّهت . هذا المجلس من المجالس التي لا تتحمّل المزاح ، وما هكذا وعدتني ! ثم قال : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما بُليتُ بأحدٍ من الناس مثل ما بُليتُ به من هذا ، لأنه لا بدّ يُعرضني لمثل هذا وأشباهه ، ويُغري بي ويوقعني في كلّ ورطة . ثم أقبل على المعتصم وقال : يا أبا اسحاق ، سألتك بالله وبحقّ أمير المؤمنين إلّا ما عفيتني من مُداعبتك التي لا تحتمل ، وتؤدّي الى مَوْحِشَةِ أمير المؤمنين في أمرٍ !

فقال المأمون الى أخيه المعتصم : سألتك بالله يا أخي وبجياتي عليك إلّا ما عرّفنتني وأعلمتني بحقيقة أمره ! فقال المعتصم : برئتُ من الله ورسوله ومن حياتك إن كنتُ أعرفه أو رأيته قطّ /195ب/ إلّا يومي هذا ! فقال الفتى : كذب والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد كنت معه دهري الأطول في مصرٍ كذا ، وبموضع كذا ويوم كذا ؛ وإنّ هذا يفعله في أبداً !

فاستضحك المأمون تعجباً وقال : أدخل ! فدخل وأمره بالجلوس ، فجلس
ثم قال له : لك الأمان إن صدقتني ! فصَدَّقَه الحديث على وجهه . فعجب
المأمون من حسن منطقهِ ولُطف مدخله ودقيق تصرفه ، وأمر بإعادة الجواري
إلى مجلسهم ، فطربوا سائرَ يومهم . ثم قال له المأمون : أخبرني بأعجب ما
لحقك في قدومك من الكوفة إلى بغداد ، واجعله نظماً ونثراً ولا تكتم منه شيئاً ،
فقال : نعم . وأنشأ يقول :

| | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| بيناً أنا راقداً في البيت مكتئبٌ | مفكراً في أمور اللؤ واللئيت |
| وليس في البيت من شيء أَلُمُّ به | وبى من الجوع ما يُدْني إلى الموت |
| إذا بصوت يباب الدار أسمعُه | والاذن مصغية مني إلى الصوت |
| ناديتُ من ذا الذي أرجوه لي فرجٌ | نادى أنا فرج زن لي كيراً البيت |

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه ، ثم ضرب برجله الأرض من
شدة إعجابه ، ثم التفت إلى الفتى وقال له : ثم ماذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
فإذا هو صاحب الخان يطلُبني بالكراء ، فوعده يَرجعُ إليّ مرة أخرى ومضيتُ
على وجهي لا أعلم أين أتوجه ؛ فسألت كل من لقيته عن صديق لي كنت آنس
به وربما استقضيت منه الحاجة ، فما لقيت في ذلك الطريق أحداً يخبرني عنه
فخطر عليّ بيتان من الشعر ، فأنشأت أقول :

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| غريبُ الدار ليس له طريق | جميع سؤاله أين الطريق /196/ |
| تعلق بالسؤال لكل شخص | كما يتعلق الرجل الغريق |

فأشرفت على جارية ، يا أمير المؤمنين ، بوجه كأنه البدر ليلة كماله وهي
تقول :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| ترفق يا غريب فكل حرٌّ | تمرّ بحاله سعة وضيق |
| وكل مُلّمة إن أنتَ فيها | صبرت لها ، لها أنتج طريق |

وَرَمَتْ الى صدرِي بقرطاس ، ثم قالت : خُذْهُ ، فادفع به فاقتك ! فوالله ما هي إلا مؤاساة من قوت ؛ ففتحتُه فإذا فيه عشرة دراهم فقط ، فرجعتُ من فوري فوجدتُ صاحب الخان قائماً على الباب فدفعْتُ اليه خمسة دراهم واستمتعتُ بالباقي الى أن وقعتُ هذه القصة ، وهذا الأمر الذي كلّفني على ما فعلته . ثم أنشأ يقول :

لم آت فعلاً غير مستحسن جهلاً بفعل الأحسن الأصلح
لكنني قد حالتي أوجبت ضرورة إتيان مستقبح

فاعجب المأمون أمره وأستحسنه ، وأمر له بألف دينار يُصلح بها شأنه ، وألحقه بمراتب الخاصة ، ورُفعت منزله عنده ، وكان أقرب الناس اليه ، وآخر خارج من عنده ، وأول داخل عليه . وسَمِي طفيلي المعتصم .

وأنشد للمأمون بعد ذلك هذه الأبيات :

كانت لقلبي أهواء مفترقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهواي
وصار يحسّدي من كنت أحسده وصرت مولى الورى إذ صرت مولاي
تركتُ للناس دنياهم ودينهم شغلا بك عن ديني ودنياي

فاستحسنها المأمون وأمر الفتى بإلقائها على الستارة . /196ب/ فكان الفتى ، إذا حضر يوم سرور لم يكن له هم إلا اقتراح هذه الأبيات الى أن ينقضي المجلس . ثم إن الفتى لما حسنت حاله خرج يسأل عن الدار التي أشرفت عليه الجارية منها . فإذا هي لرجل من أهل بغداد ، من كبار مياسيرها ؛ وكان قد مات ولم يخلف سوى تلك الجارية ، ولم يمت حتى تضعضع حاله . فأعلم المأمون بذلك . فأمر المأمون من يخطبها للفتى . فزوجه إياها ، ودفع المهر من عنده ، وحسنت حال الفتى وصار الى نعمة كبيرة وزال ما كان به من الفاقة . انتهى .

لطيفة تزهّر ومُيفة تُذكر

ذُكر في شرح قصيدة ابن عبدون ، أن أبا اسحاق بن ميمون الموصلي قال : قال لي المأمون يوماً : هذا يوم سرور ! ثم التفت للغلمان وقال : خذوا علينا الباب ! وأحضِر الشراب ، فبقينا بقية يومنا في أنس وشُرب الى الليل . فقال المأمون : يا أبا اسحاق ، إني أريد الصُّبح ، فكن بمكانك حتى أدخل الى الحَرَم وأُخرجَ اليك .

فلما استبطلتُ خروجه قلت اشتغلَ وغَلَبَ عليه النُبُذ ونسِني . وكانت عندي صبية بِكر ، كنت اشتريتها ، فتطلعتُ لها نفسي . فخرجتُ . فقال لي العبيد : قد أنصرفَ عبدُك بدابك ! فتمشيتُ على رجلي ، فلما صرت ببعض الطريق أحسستُ بالبول ، فعدلتُ عن الطريق وقضيتُ أربي ، وأردت أن أتمسح ببعض الحيطان ، فإذا بشيء معلق من حائط ، وإذا بزنبيل كبير معلق قد لبس بالدجاج وفيه أربع حبال إبريسم . فقلت إنَّ له أمراً وتجاوزتُ فجلستُ فيه .

فلما أحسَّ بثقله جُذِب . وإذا بأربعة /197/ يقلن : بالرحب والسَّعة ، أصدق أم جديد ؟ قلت : جديد ! فسارت إحداهنَّ بين يدي حتى أدخلتني الى مجلس لم أر مثله . فجلست في أدنى مجالسة ، وإذا بوصائف بأيديهن الشمع والمجاير يسجُر فيها العود والندُّ وبينهنَّ جارية كالبدْر الطالع ذات دَلَّ وشكل . فنهضتُ لدخولها ، فقالت مرحباً بالضيف ! ثم رفعتني وقالت : ما السَّبب في قدومك إلينا ؟ قلت : إنصرفتُ من عند بعض الأصحاب ، فلما رأيت ذلك الزنبيل حملني النُبُذ على الدَّخول فيه . قالت : فما صناعتك ؟ قلت : يرَّاز . قالت : ومولدك ؟ قلت : في بغداد . قالت : من فقراء الناس أنت ؟ قلت : من أوسعهم . قالت : حيَّاك الله ، هل رويتَ من الأشعار شيئاً ؟ قلت : شيئاً ضعيفاً . قالت : فذاكرني ! قلت : إن للداخل دهشة ؛ ولكنَّ أبدوئي فالشيء

بالمذاكرة . قالت : لعمري هل تحفظ قصيدة فلان التي يقول فيها كذا وكذا .
ثم أنشدتني لجماعة من الشعراء القدماء والمحدثين ، وأنا مستمع أنظر من أي
أحوالها أعجب ، أمن حُسْنها أم من حسن إنشادها ، أو حُسْن أدبها ، أو من
ضبطها للغريب من النحو واللغة .

وأنا على ذلك ، إذ قالت : ذهب عنك بعض الحُصْر !؟ قلت : إن شاء
الله ، لقد كان ذلك . قالت : فأنشدني ! فأنشدتها . فجعلت تسألني عن أشياء ،
وهي تمر في الشعر كالمختبرة ، ثم قالت : والله ما قصرت ولا توهمت فيك
هذا ، ولا رأيت في أبناء التجار مثلك ، فكيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس ؟
قلت : نظرت في شيء من ذلك .

ثم أمرت فأحضر الطعام وأكلنا ، ثم أحضرت النبيذ فشربت قدحًا وقالت :
هذا / 197ب/ أو ان المذاكرة ، فأندفت أخذتها وقلت : بلغني كذا وكذا ،
وكان رجل من قصته كذا وكذا . فسرت بذلك وقالت : ليس هذا من أمر
التجار ، وإنما هي من أحاديث الملوك ! قلت : كان لي جار ينادم بعض الملك ،
وكنت أدعوه في بعض الأوقات إلى منزلي فيحدثني ما يسمعه ، فمن عنده
أخذته . قالت : يمكن هذا . ثم قالت : لو كان عندك شيء واحد لكنت
كاملاً ! قلت : ما هو ؟ قالت : تحرك بعض الملاحى أو تترنم ؟ قلت : لا أحسن
من هذا شيئاً ، على أنى مولى بسماعه ! قالت : عوداً يا جارية ! فأحضر وغنت
غناء بديعاً ثم قالت : هذا الغناء لإسحاق ، وقد كنت كتمت لها نفسي ، فلم
تزل على ذلك حتى إذا كان عند الفجر قالت : المجالس بالامانات ! ثم
انصرفت . وأخذت فأخرجت إلى باب صغير فأنتهيت إلى داري .

فأرسل المأمون يطلبني . فذهبت إلى عنده وبقيت إلى وقت البارحة . ودخل
المأمون إلى حرمة ، فخرجت إلى ذلك الموضع ودخلت في الزبيل فقالت :
ضيفنا ؟ فقلت : وما أظن أنى ثقلت ؟ قالت : ماح نفسه يقريك السلام !
قلت : هفوة ، فمنى بالصفح ! قالت : فعلنا ، ولا تعد . فلما كان الصباح

صنعتُ صنيعها البارحة ، وأُخرجتُ فذهبتُ الى المأمون فقال : أين كنت ؟ فاعتذرت اليه . فلما كان عند الليل صنعتُ كالبارحة ، ودخلت الزنبيل ووصلت اليها فقالت ضيفنا ؟ قلت : أي والله ! قالت : أجعلتها دار مقام ؟ قلت : الضيافة ثلاث ، فإن رجعتُ فأنتِ من دمي في حلٍّ ! قالت : وهذا ! ثم إني فكرتُ في المأمون في ذلك الوقت وعلمتُ أنه لا يخلصني إلا أني أخبره بالخبر ، ومما نعلم من /198/ شغفه بالنساء أنه يطالبني بالمشي اليها . فقلت لها : جعلتُ فداك ، أتأذنين في ذكر شيءٍ خطَرَ ؟ قالت : قل ! قلت : أرك ممن تحبُّ الأدب والغناء ، ولي ابن عمٍّ هو من أهل الحسن والأدب والغناء ، وهو أعرف خلق الله بغناء اسحاق ، الذي سمعتُك تُثني عليه . وكانت إذا غنت تقول هذا غناء اسحاق . فقالت : طفيلي ويقترح ! قلت : إنما ذكرتُ ذلك لك وأنت المحكِّمة ، قالت : فإن كان كما ذكرتُ فلا بأس ! قلت : فإليّة ؟ قالت : نعم .

ثم انصرفت على عادتي فلما وصلت داري حتى أتاني رسول المأمون فذهبت اليه ، وهو حنقٌ عليّ فقال : يا اسحاق ، أمرك بشيءٍ ثم لا تقف عنده ! وكان لا يدخل الى حرّمه حتى يأمرني بانتظاره ، فأتذكرُ مجالسةَ تلك الجارية وأنسى عقوبته . فقلت له : لي قصةٌ أحتاج الى خلوة . فأومأ الى من كان واقفاً ، فتتحوّلوا . فقلت : كان من خبري كيت وكيت . فلما فرغت من كلامي قال : أتدري ما تقول ؟ قلت : نعم . قال : كيف لي بمشاهدة ذلك الموضع ؟ قلت : قد علمتُ أنك تطالبني بهذا ، وقد قلتُ لها لي ابن عمٍّ من صفته ومن حديثه فوعدتني .

ثم جلسنا نشرب على عادتنا ، وهو يسألني عن حديثها ؛ فلما جاء الليل أخذنا في الذهاب . فقلت له : دعني من نخوة الملك والخلافة ، وكنْ كأنك تبعٌ لي ! قال : نعم . وسرنا الى الموضع فألفينا زنبيلين ، فدخلا في واحد ودخلتا في الآخر وجذبنا ، فصرنا في البيت . فجلست في صدره وجلس المأمون تحتي ،

وإذا هي أقبلت فقالت : حيّ الله ضيفنا بالسلام . ثم رفعت مجلسه وقالت لي : هذا ضيف وأنت من أهل البيت ، ولكل جديد لذة ! وأقعده في صدر /198ب/ المجلس ، وأقبلت عليه تحدّثه وهو يأخذ معها في كل فنّ فيُسكّنها ويفحمها فالتفت إليّ وقالت : وفيت بوعدك .

ثم أحضرت النبيذ وجعلنا نشرب وهي مقبلة عليه ، ثم قالت لي : وأين عمك هذا من أبناء التجار ! قلت : نعم . قالت : إنكما لغريان في أبناء التجار ، إن حديثكما وأدبكما لمن حديث أبناء الملوك ، وليس للتجار هذه المنزلة في الأحاديث والأدب ثم قالت لي : فوعدك ؟ قلت : لعمرى ، إنه يجب ؛ ولكن حتى نسمع شيئا ! قالت : ولك ذلك . ثم أخذت العود وغنّت ، فشرّبنا عليه رطلا ثم ثانيا ثم ثالثا ، فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال ارتاح وطرب . وكان الصوت الثالث مما يقترحه عليّ أبدا ، فلما سمعه وقد داخله السكرُ نظر إليّ نظر الأسد الى الفريسة وقال : يا اسحاق ، غنّ هذا الصوت !

فلما رأته قد أخذت العود ووقفت بين يديه أغنيه علمتُ أني اسحاق وإنه المأمون ، فنهضت ، فقال لها : ههنا ! وأومأ الى كيلة مضروبة ، فدخلتها . فلما فرغت من ذلك الصوت قال : يا اسحاق ، أنظر من صاحب هذا الدار ؟ فقلت لعجوز : من صاحب هذا المنزل ؟ قالت : الحسن بن سهل . قلت : ومن هذه ؟ قالت : ابنته بُوران . فأعلمته فالتفت اليها وقال لها : افتحي لنا الباب ، فإنني أخطبك من أبيك في هذه الساعة !

وننهضنا وخرجنا من بعض البيبان الصغار . ثم أتينا باب الحسن بن سهل ، فعلم بنا وخرج مسرعا فقبل يده وقال : أفي مثل هذا الوقت ، يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : ألك بنت ؟ قال : نعم ! قال : زوّجنيها ! قال : هي أمتك وأمرها اليك . قال : فإنني تزوّجتها على ثلاثين /199/ ألف دينار ، نحملها لك صبيحة غد ؛ فإذا نفذ اليك المال فأحملها إلينا ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين .

ثم سرنا فقال لي : يا اسحاق لا يقفن أحدا على ما وقفت عليه ، فإن المجالس

بالامانات . فقلت : ومثلي يا أمير المؤمنين يحتاج الى وصية بهذا ؟
وأصبح المأمون . فأمر بحمل المال . ونُقِلَتْ اليه من يومها ، وأنفق أبوها في
عُرْسها مالا عظيماً . قال اسحاق : فما فُهِت بالخبر إلا بعد موت المأمون ، عفا
الله عنه . انتهى .

وهذا سبب تزوجه ببوران . والأصح خلاف ذلك ، فقد ذكر الياضي أنه
تزوجها لمكان أبيها عنده وجبراً لخاطره بعد الفتك بأخيه الفضل .

ذكر ابن خلكان ، أنه عقد عليها في سنة اثنتين ومائتين ، ودخل بها في
شعبان سنة عشر ومائتين بقم الصُّلح ، وهي بلدة على الدجلة قرية من واسط .
قال واحتفل أبوها بأمرها ، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثله في عصر
من الأعصار . وانتهى أمره الى أن نثر على الهاشميين والقواد والوجوه والكتاب
بنادق المسك ، فيها رقاعٌ بأسماء ضياع وأسماء جوار ووصائف ودواب وغير
ذلك . فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها ليقرأ ما في الرقعة فإذا علم
ما فيها ، مضى الى الوكيل المُرصد لذلك ، قيدفع له ما في رقعته ويتسلم ما
فيها ، أي نوع كان في الرقعة . ثم تُرْبَعُ ذلك على سائر الناس الدنانير
والدراهم ، ونوافج المسك ، وبيض العنبر .

وكانت جميع النفقة على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان
معه من أجناده وأبناء عمه من عند /199ب/ الحسن بن سهل . وكان مع
المأمون خلقاً لا يُحصون ، فصرف على جميعهم ، حتى الحمالين والمكارية
والملاحين وكل من ضمّه عسكر المأمون ، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً
لنفسه قلّ أو جلّ .

وذكر الطبري ، أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل تسعة عشر يوماً ، يُعَدّ في
كل يوم له ولجميع من معه ما يحتاج اليه . وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف
ألف درهم . وأمر المأمون له عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعه قم
الصُّلح . فجلس الحسن وفرّق المال على قواده وأصحابه ، وكان قد فرّش للمأمون

حصيراً منسوجاً بالذهب . فوقف عليه المأمون ونُثرت على أقدامه لآلىء كثيرة ،
فلَمَّا رأى المأمون تساقط الآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل
الله أبا نواس ، كَأَنَّهُ شاهدَ هذه الحال ، حيث قال في وصف الخمر :

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وأطلق المأمون الى الحسن خراج فارسَ وكور الأهواز مدة سنة ؛ وقالت
الخطباء والشعراء في ذلك وأطنبوا .

ومما يستحسن من ذلك قول محمد بن حازم الباهلي :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا ابنَ هارون ود كُنْهَا بُنْيَةَ مَنْ

ونَمَى البيتُ ، فبلغ المأمون فقال : والله لا ندرى خيراً أراد هذا أم شراً ؟
وكان المأمون حين طلب الدخول بها دافعوه /200/ لعُذْرَ بها ، فلم يندفع
وزُقَّتْ اليه فوجد بها الخيض فتركها . فلما قَعَدَ للنَّاسِ من الغد دخل عليه أحمد
بن يوسف الكاتب وقال : هناك الله يا أمير المؤمنين بما أجدتَ من الأمر ،
باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر بالمعركة ! فأنشد المأمون :

فارسٌ ماضٍ بحربته صادقٌ بالطعن في الظلم
رامٌ أن يرمي فريسته فأتقته من دمٍ بدم

فعرّض بحيضها . وهو من أحسن الكنايات .

قال ابن خلكان وبقيت بوران مع المأمون ، الى أن توفي وهي في صحبته ،
وعاشت بعده زماناً الى أن توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول
سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وكانت وفاتها ببغداد . ويقال إنها دُفنت بقبة
مقابلة مقصورة جامع السلطان ، وأنها باقية الى الآن ، ويقال إن اسمها خديجة
والأصح بوران . انتهى .

فطنة ذكية ونباهة زكية

ذكر الامام أبو الفرج ابن الجوزي في الأذكياء ، أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه في الإيقاع به . وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له فكتب له كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم ، يا موسى» وختم الكتاب وبعث به الى عبد الله بن طاهر . فلما فضّنه وجد ذلك فعجب ولم يفهمه . وبقي ينظر اليه وأطال النظر وهو يتصفح معناه ، ولم يحصل منه على طائل ؛ وكانت جارية له واقفة على رأسه فقالت : يا سيدي ، إني أفهم معنى هذا . فقال : وما هو ؟ قالت : إنه أراد /200ب/ قوله تعالى : «يا موسى إن الملأ يأتَمرون بك ليقتلوك» . وكان قد عزم على الحضور الى المأمون ، فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور ، فكان سبب سلامته .

ومن هذا ما حكاه ابن خلكان ، من أن بعض الملوك غضب على بعض عمّاله ، فأمر وزيره أن يكتب اليه كتاباً يُشخصه به . وكان للوزير عناية بالعامل ، فكتب اليه كتاباً وكتب في آخره : «إن شاء الله» وجعل في صدر النون شدة ؛ فعجب العامل كيف وقعت هذه الشدة ، مع أن من عادة الكتاب لا يُشكّلون كتبهم ! فتفكر في ذلك فظهر له أنه أراد : «إن الملأ يأتَمرون بك ليقتلوك» . فكشط الشدة وجعل مكانها ألفاً وختم الكتاب وأعادها . فلما وقف عليه الوزير سرّ بذلك وفهم أنه أراد : «إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها» . انتهى .

نباهة جليّة وقينة بهيّة

قال أحمد بن طاهر : إصطبح المأمون يوماً وعنده ندماءؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب معه على مصلاّه ، فأوماً محمّد بن حامد اليها بقبلة ، فأندفعت تغني ابتداء :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسَهَّمِ

فَتَنَّبَهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهَا : أَمْسِكِي ! فَأَمْسَكَتْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّدْمَاءِ وَقَالَ :
أَيُّكُمْ أَوْمَأَ إِلَى عَرِيبٍ بِقَبْلَةٍ ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَصْدُقْنِي لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ! فَقَامَ مُحَمَّدٌ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْمَأْتَ إِلَيْهَا . وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ! فَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ
عَنْكَ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : بِمَاذَا أَسْتَدِلُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهَا ابْتَدَأَتْ صَوْتًا وَهِيَ
لَا تَغْنِي ابْتِدَاءَ إِلَّا /201/ لِمَعْنَى ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مَا ابْتَدَأَتْ بِهَذَا الصَّوْتِ إِلَّا لَشَيْءٍ
أَوْمِئَ إِلَيْهَا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَرْطِ هَذَا الْمَوْضِعِ إِيمَاءٌ إِلَّا بِقَبْلَةٍ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
أَجَابَتْ بَطْعَنَةً .

وَكَانَتْ عَرِيبٌ تَعْشَقُ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ وَتَحِبُّهُ فِي خَفَاءٍ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ يَوْمًا
تَطْلُبُهُ ، فَرَدَّ إِلَيْهَا : «إِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي» . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ تَحْذَرُ مَا تَحْذَرُ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَجْسُرُ
فَمَا لِي أَقِيمَ عَلَى صَبَوْتِي وَيَوْمَ لِقَائِكَ لَا يُقَدَّرُ
تَبَيَّنَتْ عَذْرِي فَمَا تُغَيِّرُ وَأَبْلَيْتَ جِسْمِي وَلَا تَشْعُرُ
أَلِفْتُ السَّرُورَ وَخَلَفْتَنِي وَدَمَعِي مِنَ الْعَيْنِ لَا يَفْتُرُ

فَصَارَ إِلَيْهَا مِنْ وَقْتِهِ وَأَقَامَ عِنْدَهَا يَوْمَهُ .

قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ : وَلَمَّا كَانَتْ عَرِيبٌ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ ، احْتَالَتْ حَتَّى أَوْصَلَتْ
إِلَيْهَا مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ ، وَكَانَتْ تَعْشَقُهُ فَجَبَلَتْ مِنْهُ ، وَوَلَدَتْ بِنْتًا . فَبَلَغَ ذَلِكَ
الْمَأْمُونُ فَرَوَّجَهُ إِيَّاهَا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَمَّا وَقَفَ الْمَأْمُونُ عَلَى خَبَرِ عَرِيبٍ مَعَ ابْنِ حَامِدٍ أَمَرَ بِإِلْبَاسِهَا
جَبَّةَ صُوفٍ ، وَحَبَسَهَا فِي كَيْفٍ مَظْلَمٍ ، لَا تَرَى فِيهِ ضَوْءًا ، وَأَنْ تَطْعَمَ خَبْزًا
وَمِلْحًا يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ تَحْتِ الْبَابِ . ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَهَا بَعْدَ مَدَّةٍ ، فَرَفَّقَ لَهَا وَأَمَرَ
بِإِخْرَاجِهَا . فَلَمَّا فُتِحَ الْبَابُ عَنْهَا وَأُخْرِجَتْ فَلَمْ تَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى انْدَفَعَتْ
تَغْنِي بِقَوْلِهَا :

حَجَّبُوهُ عَنْ بَصْرِي فَمَثَلَ شَخْصُهُ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مُحَجَّبٌ مُتَقَرَّبٌ
فَبَلَغَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ ، فَعَجِبَ مِنْهَا وَقَالَ : لَنْ تُفْلِحَ هَذِهِ أَبَدًا .

وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا مُلَاحَاةٌ ، فَتَنَاضَبَا ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا كَمَا تَجِدُ بِهِ ، فَلَقِيَتْهُ يَوْمًا
فَقَالَتْ لَهُ : كَيْفَ قَلْبُكَ يَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : أَشْقَى / 201 ب / وَاللَّهِ مِمَّا كَانَ وَأَقْرَحَهُ .
فَقَالَتْ : إِسْتَبْدِلْ تَسْلُ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَتْ الْبُلُوبُ بِاخْتِيَارٍ لَفَعَلْتُ .
فَقَالَتْ : لَقَدْ طَالَ إِذَا تَعَبُكَ ! فَقَالَ : وَمَا يَكُونُ الصَّبْرُ مَكْرَهًا ، أَمَّا
سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ لَذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ
لَوْلَا كِرَامَتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ وَلَكِنْتُمْ عِنْدِي كِبَعُضِ النَّاسِ
فَلَذَرَفْتُ عَيْنَاهَا ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَتَصَالَحَا وَعَادَا إِلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ ، جَاءَهَا يَوْمًا فَجَلَسَ يِعَاتِبُهَا فَقَالَتْ لَهُ : خُذْ لَنَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا
جِئْنَا لَهُ ، وَاجْعَلْ سِرَاوِيلِي مِخْنَفَتِي ، وَأَلْصِقْ خُلْخُلِي بِقُرْطِي ، وَكَاتِبْنِي غَدًا
بِعَتَابِكَ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِعُذْرِي ، وَدَعْ هَذَا الْفُضُولُ ! فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

دَعِي عَذَّةَ الذَّنُوبِ إِذَا التَّقِينَا تَعَالَى لَا نَعُدُّ وَلَا تَعُدِّي
فَأَقْسِمُ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ شَعْرِي إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ لَقُلْتُ مُدِّي

قَالَ ابْنُ الْمَرْزَبَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ حَمْدُونُ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْمَأْمُونِ بِيَلَادِ الرُّومِ ،
فَدَعَانِي بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ ذَاتِ رَعُودٍ وَبُرُوقٍ ، فَقَالَ لِي : إِرْكَبِ السَّاعَةَ
فَرَسَ النَّوْبَةِ ، وَسِرْ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ - يَعْنِي الْمُعْتَصِمَ - وَأُذِّ إِلَيْهِ رِسَالَتِي !

قَالَ : فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ . فَلَمْ يَثْبُتِ الشَّمْعُ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَاءِ ،
فَسَمِعْتُ وَقَعَ حَافِرِ دَابَّةٍ ، فَانْصَبْتُ إِلَيْهِ وَرَهَيْتُهُ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنِّي بَرَقَتْ بَرَقَةٌ أَضَاءَ
لَهَا وَجْهَ الرَّكَّابِ . فَإِذَا غَرِيبٌ . فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْ أُقْبِلْتَ فِي / 202 / هَذَا
الْوَقْتِ ؟ قَالَتْ : مَنْ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ ، وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَضْرِبِ الْخُلَيْفَةِ ،

وأنا راجعة اليه . فقلت : وما صنعتِ عنده ؟ قالت : أي مسكين ، عريب تجيء في مثل هذا من عند ابن حامد ، وقد خرجت من مضرب الخليفة تقول لها «أي شيء عملت عنده» ، يكون قد صليت معه التراويح ، أو قرأت عليه جزءا من القرآن ، أو درسًا من الفقه ! أي أحمق ، لعينا وتحدثنا وتعاتبنا وأكلنا وشربنا وغنينا وتنايكنا وانصرفنا .

فأخرجني والله قولها ، وغاضني . فمضيت وأديت الرسالة وعدت الى المأمون ، وأخذنا في الحديث وتناشدنا الاشعار فهممت أن أحدثه بحديثها ، ثم هبت فقلت : أقدم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر فأنشدته :

ألا حيّ أطلالاً لقاطعة الحبل ألوف تساوي صالح القول بالردل
فلو أن من أنسى بجانب تلعة الى جبلي طي فسافطة الحبل
جلوس الى أن يقصر الطل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال المأمون : أخفض صوتك لا تسمع عريب فتغضب ، وتظن أننا في حديثها ! فأمسكت عما أردت أن أخبره ، وخار الله لي في ذلك .

وقال ابراهيم بن أبي العنيس : دخلت أنا وجماعة على عريب ، مسلمين عليها . فقالت : أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة بدعة ، صنعتها بيدي من لوز رطب ، وأغنيكم ! فقلت لها : على شريطة ! قالت : وما هي ؟ قلت : أريد أن أسألك عن شيء وأنا أهأبك ! قالت : ذلك اليك ، وأنا أجيبك قبل أن تسأل ، وقد علمت ما هو . فتعجبت منها /202ب/ وقلت : قولي ! فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شيء هو . فقلت : والله ذلك الذي أردت . فقالت : شرطي ، أتر صلب ونكهة طيبة ، فإن انضاف الى ذلك حسن وجمال ، زاد قدره عندي ، والا فهذان لا بد لي منهما !

قال أبو الحسن بن الفرات : كنت يوماً عند أخي العباس وعنده عريب . فجري ذكر الخلفاء ، فقالت : ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا

المعتز ! فقلت لبعض بني أخي سرًا : أترى كيف تكون شهوتها اليوم ؟ فضحك . فقالت : أي شيء قلتم ؟ فقلت : شيء ليس في معنى ما قلت . فقالت : جوارِي حرائرُ ، لئن لم تخبراني ما قلتُما لأنصرفنَّ ، ولئن أخبرتماني لا أجردُ كائنا ما كان . فصَدَّقْتُها . فقالت : وأي شيء في هذا ، أمّا الشهوة باقيةً بحالها ، ولكن الآلة قد ضعفتُ ، عودوا الى ما كنّا فيه !

وكانت عَرِيب قد عمّرت وأدركت جماعة من الخلفاء ، وأخبارها كثيرة (نقل أكثرها أبو الفرج الاصفهاني في الاغانى وفي كتاب له بعنوان «تحف القلائد بأخبار الولايد ، ووضع عبد الله بن المعتز فيها ديوانا) . يقال إنها كانت من بني البرامكة ، وكانت مغنية حسنة شاعرة ، مليحة الوجه والخط ، جميلة في غاية الحسن ، ظريفة حسنة الصوت ، جيّدة الضرب ، خفيفة الروح ، سريعة الجواب ، تلعبُ بالنرد والشطرنج ، وتروي الشعر . وقد اجتمع فيها خصال لم تجتمع في غيرها . وكانت إذا قدّم اليها الفرس لتركبه تطفّر الى ظهره بغير ركاب .

قال ابن المعتز : سمعت عن اسماعيل بن الحسين ، خال المعتصم ، أنه قال : إنها بنت جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما آتتهبوا سرقت وهي صغيرة وبيعت .

وقال محمد بن عبد الواحد : حدثني من أثق به ، أن أم عريب اسمها فاطمة ، وكانت يتيمة لأم عبد الله بن /203/ يحيى بن خالد . وكانت صبيّة نظيفة ، فرآها جعفر فهوى بها ، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها ففعلت . فبلغ الحسين بن يحيى بن خالد ذلك فأنكره ، وقال له : أتزوج من لا يُعرف لها أم ولا أب ، اشتري مكانها ألف جارية وأخرجها ! فأخرجها وأسكنها دارًا في ناحية باب الأنبار ، سرًا من أبيه ، ووكل بها من يحفظها ، وكان يتردد اليها . فولدت له عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة . وماتت أمها ، فدفعها الى امرأة نصرانية ، وجعلها داية لها . فلما حدثت بالبرامكة الحادثة باعتهَا ، فأشترها المراكبي .

قال الفضل بن مروان : كنت إذا نظرت الى قدمي غريب شَبَّهْتُهَا بِقَدَمِ
جعفر بن يحيى .

وقال بعضهم : إنها كانت لعبد الله بن اسماعيل ، صاحب مراكب الرشيد ،
وهو ربّاهَا وعَلَّمَهَا الغناء .

وقال ابن المعتز : إنها كانت لرجل خرج بها الى البصرة وأدبها وعَلَّمَهَا
الخطّ والنحو والغناء . وكان له صديق يقال له حاتم بن عديّ ، من قواد
خراسان ، فكاتبها وأراها محبةً فعشيقته ، ودامت المواصلّة بينهما . فاحتالت
وعملت سُلماً وتسوّرت الحائط ليلاً ، وهربت ومضت اليه . فمكثت عنده
مدة ومولاها يطلبها فلا يقف لها على خبر ، ولا يتوهم أنّها عند صاحبه ، ثقةً ،
ولا يتهمه بشيء من أمرها ؛ فعرف عيسى بن عبد الله المراكبي بخبرها ، فقال
أبياتاً طويلة منها :

قاتل الله غريباً فعلت فعلاً عجيباً
ركبت واللسلُ داج مركباً صعباً مهيباً / 203ب/
فلقد أصبح عبدُ الـ لهُ كَشْحَانَا رقيباً
قد لعمرى لطمَ الخدَ يدٌ وقد شقَّ الجيوباً
وجرت منه دموعٌ بَلَّتْ الذَّقْنَ الخصيباً

ثم إنها ملته ، فهرّبت من عنده ، فكانت تغني عند قوم من أهل بغداد
مستترة . فأجتاز ابنُ أخٍ للمراكبي يوماً فسمع صوتها فعرفه ، فبعث الى عمّه
فجاء وكبس الدار وأخذها وضربها . ثم نديم على ضربها ، فقبّل رأسها ويديها
ورجليها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم .

كان للمراكبي جاريةٌ يقال لها مظلومة . وكانت جميلة الوجه ، بارعة
الحسن ، وكان يبعث بها مع غريب الى الحمام والى من تزوره من أهله ومعارفه ؛
وكانت ربّما دخلت معها الى محمّد بن حامد الذي كانت تهواه ، فقال فيها

بعض الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموك يا مظلومَ لما أقاموك الرقيبَ على غريبٍ
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت من الرقيبِ
أتتهين المريب عن المعاصي فكيف وأنت من شان المريبِ

وقد أنشد علي بن سليمان الأخفش مثل هذا في قينة مغنية :

فديتك لو أنهم أنصفوا لما منعوا العين عن ناظرِك
وقد بعثوك رقيباً لنا فمن ذا يكون رقيباً عليكِ
تصدّين أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا اليكِ

وكان الأمين قد بلغه خبرها ، فطلبها من المراكبي في حياة أبيه . فلم يجبه الى ذلك . فلما ولي الخلافة أخذه وأمر بضرب عنقه . فسئل في أمره ، فطالبه بخمسمائة ألف درهم وأخذ /204/ غريب منه ، وأطلقه . فلما قُتل الأمين هربت غريب الى المراكبي ، فكانت عنده .

وذكر جَحْظَة ، أن المأمون اشترى غريباً بخمسين ألف درهم . وقال لعبد الله بن اسماعيل : لو لا أنني حلفت لا اشترى مملوكاً بأكثر من هذا لرددتك ، ولكنني سأوليك عملاً تكسب منه أضعاف هذا الثمن ! ثم أعطاه خاتمين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألف دينار وخلع عليه . فقال له : يا سيدي إنما ينتفع بهذا الأحياء ، وأنا أنا فميت لا محالة ، لأن هذه الجارية حياتي . وخرج عن حضرته فاختلط وتغيّر عقله ومات بعد أربعين يوماً .

ذكر ابن المعتز أن المأمون اشتراها بمائة ألف درهم ، وأمر بحملها الى اسحاق ، وأمر له بمائة ألف درهم . فلما رفع الكاتب حسابه الى المأمون وجد فيه ثمن جوهرة مائة ألف درهم والى صانعها ودلائها مائة ألف درهم ، فأنكر المأمون ذلك وأحضر الكاتب وسأله فقال : هذا ثمن غريب وصلة اسحاق ،

فأيما أصوب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو كنتُ أذكرُ ثمنَ مغنيّةٍ وصِلّةٍ مُغنٍ ؟
فضحك واستحسن فعله وقال له : الذي فعلتُ أصوب ! انتهى .

قال في بستان الأدب : إنّ عَرِيبَ كانت من جوارِي المأمون ، وكان يحبّها
فأنشدها مداعبًا :

أنا المأمون والملِكُ الهُمَامُ على أني بحبك مُستهَامُ
أترضي أن أموتَ عليك وجداً ويبقى الناس ليس لهم إمامُ

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، والدك الرشيد كان أعشق منك ، حيث يقول :

مَلِكُ الثلاثِ الأنساتِ عَناني وحَلَلن من قلبي أعزَّ مكانِ
ما لي تُطاوعني البرية كُلّها وأطيعهنَّ وهُنَّ في عِصْياني
ما ذاك إلا سلطانُ الهوى وبه قوين أعزُّ من سلطاني

وذلك أنّ والدك ، أمير المؤمنين ، قدّم ذكر جواريه على نفسه في شعره ،
وأنت قدّمت ذكر نفسك على من زعمت أنّك تهواه ! فقال لها : صدقت ، إلا
أنّي منفرد بحبك ، وحبُّ الرشيد ثلاث جوار ، وشتان بين مرتبتي الحيين !
فقلت : أعرفهنّ الواحدة هي فلانة ، وكانت المقصودة وأما الأخرتان فإنّهما
محبوبتان لها ، فأحبّهما لأجلها وقربهما من قلبه بسببها ، كما قال خالد بن يزيد
بن معاوية في رَمَلَة :

أُحِبُّ بني العوام من أجل حبّها ومن أجلها أُحِبُّتُ أحوالها كُلّها
وقال آخر في مثل هذا :

أُحِبُّ لحبّها السّودانَ حتّى أُحِبُّ لحبّها سودَ الكلابِ

فهل أنّه أُحِبُّ القبيلتين من أجل محبوبتيهما وعشقا هذين الوصيفتين تقرّباً
إلى معشوقتيهما . وهذا المخرج لعذر أمير المؤمنين الرشيد ، فما المخرج لعذر

أمير المؤمنين المأمون ؟ فاستحيى منها ، وعظم وجدده بها ، لما رأى من فضلها وحسن أدبها وخطابها . انتهى .

وقال ابن المرزبان : غضب المأمون على عريب ، وهجرها أياماً ، ثم إنها اعتلت فعادها وقال لها : كيف وجدت طعم الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين لو لا مرارة الهجر لما عرفت حلاوة الوصل ، ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضى ، وأنشدت تقول :

/205/ لم آت عامدة ذنباً اليك بلى أقر بالذنب فاعفُ اليوم عن زللي
فالصفح من سيد أولى بمعتذر وقاك ريك يوم الخوف والوجل

قال ابن المعتز : حدثني ابن المدبر ، قال : خرجت مع المأمون الى الروم . فبينما نحن نسير ذات يوم رأيت الحرم ومعه جماعة من الخدم ، فقال لي بعض أصحابنا : هذه عريب على بعض الجمارات . فقلت : من يراهنني على أنني أمر اليهم وأنشدت أبيات عيسى بن عبد الله المراكبي فيها ؟ فقال بعضهم : أنا . فسرت الى جانبها وأنشدت : قاتل الله عريباً فعلت فعلاً عجيباً ، الأبيات المتقدمة . فأخرجت رأسها من السجف وقالت : يا فتى ، أنسيت أجود الأبيات وأطيبها ، وهو قوله :

وعريب رطبة الشفرين قد نيكت ضرورياً

إذهب ، وخذ الرهن ! فبادرت الى أصحابي خوفاً من الخدم ، وأخذت الرهن .

وقال اليزيدي : خرجت مع المأمون في خرجته الى الروم ، فرأيت في ليلة ذات غيم وبرق عريب في هودج . فقالت : ابراهيم بن اليزيدي ! قلت : لبيك ! فقالت : قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأغنيها ، فقلت :

ماذا تقلن من ألم الخفق إذا رأيت لمعان البرق

من الأردنّ أو من دمشق لأنّ من أهوى بذاك الافق
فارقته وهو أعزّ الخلق ذاك الذي يملك مني رقي
ولست أنعى ما حيت عتقي

قال : فتفتست نفساً ظننته قد قطع حرازتها ؛ فقلت : ويحك ، /205ب/ على من هذا ، فوالله هذا نفس عاشق ؟ فقالت : لا والله وإنما هو على الوطن ! فقلت : ليس هذا كله على الوطن ! فقالت : أتراك أني أعشق أحداً ، والله لقد نظرت نظرة مربية في مجلس قادعها أكثر من عشرين رئيساً ، والله ما علم أحد منهم لمن كانت ، الى هذه الساعة . انتهى .

قال حماد بن اسحاق : ذكرت غريب يوماً وما أجتمع فيها من الخصال ليحيى بن أكرم القاضي ، فقال : صدقت هي كذلك ! قلت له : أسمعته ؟ قال : نعم هناك . يعني دار المأمون ، قلت : أفكانت كما وصفت ؟ فقال : هذه مسألة جوابها على أبيك ، فهو أعلم بهذا مني . فأخبرت أبي بذلك ، فضحك وقال : أما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله على مثل هذا . انتهى .

وقال بعضهم ، دخل الهاشمي على المعتز وهو يشرب ، وغريب تغنيه ، فقال له : يا ابن هاشم ! فقال : قد ثبت من الغناء منذ قتل سيدي المتوكل ؛ فقالت له غريب : والله لقد أحسنت كيف ثبت ، فإن غناءك كان لا متقن ، ولا صحيح ، ولا مطرب ! فضحك أهل المجلس منه وخجل ؛ فبسط لسانه فيها وعيب صنعته . وكان يقول لها : ألف صوت في العدد ، وهي صوت واحد في المعنى ! وقال أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات : حدثني أبي قال : كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وغريب حاضرة ، فغنى بعض من كان عنده :

يا بدر إنك قد كبست مشابهاً من وجه ذاك المستنير اللائح
وأراك تضحك بالحق وحسنها باق على الأيام ليس ييارح

فضحك غريب ووصفت وقالت : ما على الأرض من يعرف خبر

206/ هذا الصوت غيري ! فسألتها عنه فقالت : لو لا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم . وذلك أن أبا محمّد قديم بغداد ، فنزل بقرب دار صالح ؛ فأطلعت أمّ محمد بن صالح يوماً ، فرأته يقول فأعجبها متاعه ، فأحبّت مواصلته . فبعثت إليه تقترض منه مالا ، فبعث إليها عشرة آلاف درهم وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به . وجعلت القرض سبباً لمواصلته ، وصارت تدخله إليها ليلاً ، وكنت أنا أغنيّ لهما . فشرينا ليلة في القمر ، فقال أبو محمّد :

يا بدرُ قد كُسيّت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح

والبيت الآخر ، وقال لي : غنيّ به ! ففعلتُ واستحسنه وشربنا عليه . فقالت لي أم محمد في آخر المجلس : يا أختي ، إن هذا الشعر يفضحني ، ويثقي عليّ سبّة الى آخر الدهر ! فقال أبو محمّد : أنا أغيّره . وغيره الى ما ذكر أولاً . وأخذه الناس عني ، ولو كانت أم محمد باقية ما أخبرتكم بهذا الخبر . انتهى .

وقال عليّ بن يحيى : أمرني المتمدّد أن أجمع غناء غريب الذي صنّعه . فأخذتُ منها دفاترها التي جمعت فيها غنائها ، فكانت ألف صوت .

وكانت تعشق صالحاً الخادم عشقاً عظيماً ، وتزوّجته سرّاً . فدخل عليها يوماً بعض جوارى المتوكل ، فقالت لها : تعالي قبلي هذا الموضع فإنك تجدين رائحة الجنّة ! وأومأت الى أسافلها . ففعلت ثم قالت : ما السبب في هذا ؟ فقالت لها : قبّلني صالح الخادم في هذا الموضع !

وعشقتُ أبا عيسى بن الرشيد ، فكانت تضرب المثل بحسن وجهه وغنائه وتقول : ما عشقت /206ب/ أحداً من بني هاشم وأصفيتّه وذّي من الخلفاء وأولادهم سواه .

وقال الفضل بن العباس بن المأمون : زارتنّي غريب يوماً ، ومعها عدّة من جواربها ، فسألتها أن تقيم يومها عندي ، فقالت : قد دعاني جماعة من أصحابي من أهل الأدب والظرف ، وقد عزّمت على المصير اليهم . فأقسمتُ

عليها أن تقيم عندي . فأقامت وكتب اليهم سطرًا واحدًا فيه «أردت ، ولولا ، ولعل» . ووجهت الرقعة اليهم . فكتب ابراهيم بن المدبر تحت أردت «ليت» وتحت لولا «ماذا» وتحت لعل «أرجو» . فلما قرأت الجواب صفقت وضجكت وشربت رطلا وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعد عندكم ، تركني الله من بين يديه إن فعلت ، ولكنني أخلف عندكم من جوارئ من تكفيكم ! ثم قامت ومضت اليهم . انتهى كذا ذكر الأغاني وغيره .

ذكر الخطيب : أن عريب عاشت ستًا وتسعين سنة . وأنحرف الوائق والمعتصم عنها ، وسبب ذلك أنه وجد لها كتابًا الى العباس بن المأمون ببلد الروم فيه : «أقتل أنت العليج ثم ، حتى أقتل أنا الأغور ههنا !» تعنى الوائق وكان قد استخلفه المعتصم ببغداد .

قال : وكانت عريب تجد في رأسها بردًا ، وكانت تغلفه بستين مثقالا مسكًا وعنبرًا وتغسله في كل يوم جمعة . فإذا غسلته اقتسم الجوارئ غسالة رأسها . انتهى .

وكانت من ندماء المأمون المغنين له . فإنه كانت له جماعة ندماء مغنين منهم اسحق الموصلی و ابراهيم بن المهدي ، عمه ، وأبا عيسى بن الرشيد ، أخيه /207/ ومخارق وعُلوية وابن الضحاک الخلیع وعمرو الشيباني وعلي بن صالح وعبد الملك الموصلی وبذل ، جارية أخيه الأمين ، وعريب جاريتة ، وآخرون غيرهم . انتهى .

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلی : أقام المأمون بعد قدومه من خراسان عشرين شهرًا لا يظهر عليه شرب النبيذ ولا سماع غناء ، ولا اشتغل بتدبير مملكة . يجلس على اللبود ويسمع مظالم العامة حتى ظفر بابراهيم بن المهدي و ابراهيم الإمام ، ويعرف بابن عائشة ، فحينئذ جلس للندماء والمغنين من وراء حجاب مشتبهاً بالرشيد ، ثم ظهر للندماء والمغنين وظاهر بشرب النبيذ وطلب قومًا من أهل البلد البيئات يجالسونه ، فأجتمع عليه جماعة من

أعيان بغداد اه .

وكان المأمون قد ظفر بإبراهيم بن المهدي وبجماعة من الأعيان الذين سعوا في البيعة لإبراهيم ، فسجنهم ثم صلب منهم أربعة ، منهم إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الامام المعروف بابن عائشة ، وهو أول عباسي صلب ، وذلك لأنهم أرادوا الفتك بالموكّلين بالسجن ، ليهرّبوا مع إبراهيم بن المهدي . كذا ذكر البدري والمؤيد .

وكان سبب الظفر بإبراهيم بن المهدي أن ليلة الأحد من شهر ربيع الآخر لثلاث عشرة بقين منه ، سنة عشر ومائتين اجتاز إبراهيم بن المهدي ببعض الدروب في أثناء الليل وهو متنقب في زي امرأة ، ومعه امرأتان يرافقانه وكان إبراهيم مختفياً من المأمون وله ست سنين وشهور مختفياً . وقد /207ب/ جدّ المأمون في طلبه وجعل لمن أتاه به أو دلّه عليه مائة ألف درهم . فلما مرّ ببعض الدروب ليلاً في زي النساء قام الحرس اليه وقال له : الى أين ، ومن أين في هذه الساعة ؟ وأرادوا إمساكه مع من معه ، فعمد الى خاتم كان في يده من ياقوت وناول الحرس . فاستراب منه حين رآه وقال : إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن ! ومسكه وذهب به الى متولّى الليل والمرأتان معه . فأمرهنّ المتولّى بأن يسفرن عن وجوههنّ ، فتمنّع إبراهيم فكشفوا عن وجهه ، فإذا هو هو ، وعرفوه فذهب به الى صاحب السجن فسلم اليه ، فرفعه الى باب المأمون فأصبح في دار الخلافة ونيقابه على رأسه وفي صدره الملحفة ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ .

فأمر المأمون بالاحتفاظ والاحتراس به مدة ، ثم أطلقه ورضي عنه . وقيل لما وقف إبراهيم بين يدي المأمون شرع في توبيخه فترقّق له عمّه إبراهيم كثيراً وقال : يا أمير المؤمنين ، إن تعاقبُ بحقك ، وإن تعفُ فبفضلك ! فقال : بل أعفو يا إبراهيم ، إن القدرة تُذهب الحِفْظَةَ ، والنّدم توبة ، وبينهما عفو الله تعالى ، وهو أكبر مانعاً . فكبّر إبراهيم وسجد شكراً لله عزّ وجلّ ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ، وخلع عليه ، وأمر بردّ دوره وضياعه وأمواله . فردّت

وخرج من عنده معظماً .

وقال ابن كثير : لما جيء بإبراهيم الى المأمون بعد اختفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون : أنت الخليفة الأسود ! فأخذ في الاعتذار والاستغفار وقال له : أنا الذي مننتَ /208/ عليه بالعفو . فأنشد المأمون عند ذلك :

ليس يُزري السّواد بالرجل الشّهـم ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسّواد منك نصيبٌ فبياض الأحداق منك نصيب

وقال بعضهم : لما مثل إبراهيم بين يدي المأمون رقّ له واسترجع . فرأى إبراهيم روائح الرّحمة في شمائله ، ثم إنَّ المأمون أقبل على أخيه المعتصم وعلى ابنه العباس وعلى جميع من حضر من خاصته وقال : ما ترون من أمره ؟ فكل أشار بقتله الا أنهم اختلفوا في الكيفية . فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما تقول في صديقك ؟ فقال : وما تُعني صداقتي عنه ، وأمير المؤمنين ساخط عليه ، أمّا إني وإن كنت صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه ! فقال : قل ، فإنك غير متهم ! فقال أحمد : إن قتله فقد قتلتُ الملوك قبلك أقلّ جرماً منه ، وإن عفوت عنه عفوت عمّن لم يُعفَ قبلك عن مثله . فنكت المأمون بيده ساعة ، وتمثّل بقول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميمَ أخي فإذا رميتُ أصابني سهمي
فلئن عفوت لأعفونَ جلاًلا ولئن ثارت لأوهنَ عظمي

ثم قال : يا عمّ ، قد مات حقدِي عليك بحياة عُذرك ، وعفوت . ثم سجد طويلاً ورفع رأسه فقال : يا عمّ ، أتدري لما سجدت ؟ قال : شكراً لله تعالى الذي أقدرك على عدوك في دولتك . قال : ما أردتُ ذلك ، ولكن شكراً لله تعالى على ما ألهمني من العفو عنك من قبل نفسي ، وأعظمُ من عفوي عنك أني لم أجرّعك مرارة امتنان الشافعين !

ثم أمر بردّ ما قبض من /208ب/ أملاكه وماله وجميع ضياعه ووظائفه السابقة ، ثم (انظر الخبر فيما بعد 212ب) . حادثه وخلع عليه وصرفه آمناً الى عياله . فلما كان من الغد كتب اليه أبياتا يقول فيها :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| يا خير من حملت اليه مطيتي | بعد النبيء لايسر أو طامع |
| لم أدر أن لثل ذنبي غافر | فأقمت أرقب أي حتف صارعي |
| إن الذي قسم الفضائل جازها | في صلب آدم للإمام السابع |
| كم من يد لك لا تحدثني بها | نفسى إذا آلت إلى مطامعي |
| اسديتها عفوا الى هنية | فشكرت مصطنعا لأكرم صانع |
| ورحمت أطفالا كأفراخ القطا | عفوا ولم يشفع اليك بشافع |

فلما قرأ الأبيات بكى ودعا به وخلع عليه وحمله ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وأمر أن يطرح له متكأ إذا جلس بين يديه . وكان ينادمه لا ينكر منه شيئا . وقيل : لما صلح ابراهيم عند المأمون دخل عليه وقبل البساط ، وقال له : البري منك وطاء العذر عندك لي دون اعتذاري ، فلم تغذل ولم تلم . وقام جلعتك بي ، فأحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم ثم قال ينشده :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| رددت مالي ولم تمنن علي به | وقبل ردك مالي قد حقنت دمي |
| فبؤت منك وقد كافأتها بيد | هي الحياتان من موت ومن عدم |
| تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به | فلا عدمناك من عاف ومنتقم |

فقال له : /209/ اجلس يا عم آمنا مطمئنا ، فلن ترى أبدا ما تكره الآ أن يحدث حادث أو تتغير عن طاعة ، وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله تعالى . انتهى .

قال في كتاب الأغاني : قال محمد بن الحارث بن يخيز : لما قدم المأمون من

خراسان الى مدينة السلام بعث اليّ فكنت أناديه سرّاً ، ولم يظهر الى الندماء . فجمعنا يوماً ووالى ابراهيم (قوله : ووالى ابراهيم ، غير واضحة المعنى) إن حضر في ثياب منزلة ؛ فلما رآه المأمون قال : ألقى عمى الكثير عن منكبيه ! وأمر له بخيلة فاخرة ، فغنى مخارق صوتاً فقال له ابراهيم : أسأت ! فأعاده . فقال له : أسأت ! فقال المأمون : إن كان أساء ، فأحسن أنت ! فغنى ابراهيم ذلك الصوت ، ثم قال لمخارق : أعده ! فأعاده . فقال له : أحسنت ! ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كم بين الصوتين ؟ فقال : كثير !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تأمر سيدي بإلقاء الصوت عليّ ، وتجعله جائزتي ، فهو أحبّ اليّ منها . فقال : يا عمّ ، ألق هذا الصوت على محمد ! فألقاه حتى إذا كذت أن آخذه قال : إذهب ، فأنت أحسن الناس غناء ! فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فأغده عليّ . فغدوت عليه فغناه متلوّاً . فقلت : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، وأراك تجود بالرياء وتبخل عليّ بصوت ! فقال : يا أحمق إن المأمون لم يستغني (كذا) محبة لي ، ولا صلة لرحمي ، ولكن سمع مني هذا الجرم ما لم يسمعه من غيري . قال : فأخبرت المأمون بمقالته . فقال : إنا لا يتكدر عفونا عن أبي اسحاق ، فدعه . انتهى /209ب/

قال في كتاب الفرج بعد الشدة ، عن هشام بن قيراط الكاتب البغدادي بإسناده عن أحمد بن يوسف الكاتب قال : كنت أشرب مع المأمون وأناديه وأنا أتقلد له ديوان المشرق وديوان الرسائل ، قبل وزارتي . وكان كثيراً ما أناديه على الانفراد ، وربما يجمع بيني وبين اليزيديّ ، فلما رضي عن ابراهيم بن المهدي وناديه صار لا يكاد يشرب معه غيري وغيره ، ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستائر ، وربما حضر اسحاق بن ابراهيم الموصلّي ، فنحن ذات يوم على الشرب ومعنا اسحاق إذ غنى ابراهيم بن المهدي هذا البيت :

صُونُوا جِيَادَكُمْ وَاجْلُوا سِلَاحَكُمْ وَشَمُّوا إِنِّهَا أَيَّامٌ مِنْ غَلْبَا

فاستعاده المأمون مرارًا ، وبان لي في وجهه الغيظ والغضب والهَمَّ وزوال الطرب . ولم يفتن لذلك . وترك المأمون القدح الذي كان في يده ونهض . فظنناه يريد الضوء .

ثم عاد ، فما شعرنا إلا وقد استدعانا الى مجلس آخر ، فإذا هو جالس على سرير الخلافة ، بقلنسوته وثياب الهيبة ، وبين يديه اسحاق بن ابراهيم المصعبي وجلة القواد ، فاستدعى ابراهيم بن المهدي بزيه . فحضر بأحسن صورة وأقبحها وعليه ثياب المنادمة ، ليفضحه بذلك . فلما وقف بين يديه قال له : يا ابراهيم ما حملك على الخروج عليّ ، والخطبة لنفسك بالخلافة ؟

قال أحمد بن يوسف ، وقد كنتُ لَمَّا أَبْطَأُ /210/ المأمون عن مجلس الشُّرب تعرفتُ الصورة وعلمتُ أنه كره الصوتَ على ابراهيم ؛ فنحيتُ ثيابَ المنادمة ولبستُ ثيابَ العمل ، وأقبلتُ في ذلك على المأمون حين استدعانا للكلام مع ابراهيم .

فأقبل عليه ابراهيم بوجه صفيق وقلب ثابت وقال : يا أمير المؤمنين لست أخلو من أن أكون عندك عاقلا أو جاهلا ؛ فإن كنت جاهلا فقد سقط عني اللوم من الله تعالى ثم منك ، وإن كنت عاقلا فيجب أن تعلم أني قد علمت أن محمدًا أخاك مع أمواله وذخائره وأموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والأعمال التي كانت في يده ارتفاعها ومحبة بني هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وأنت أمير من أمرائه ، فكيف كنتُ أثبتُ أنا لك وأنا في قوم أكثر رزق الرجل ثلاثون درهمًا في الشهر ، وقد غلبني على بغداد ابن أبي خالدة العتيار وأصحابه يقطعون ويضربون ويحبسون ويطلقون ؛ والله العظيم وحقُّ رسوله ﷺ وحقُّ جدي العباس ما دخلتُ فيما دخلت فيه إلا لأبقي هذا الأمر عليك وعلى أهل بيتك ، لَمَّا رَأَيْتُ الفضل بن سهل قد حمله البطر والرَّفْض على أن يُخرج الخلافة عنك ، فأردت ضبط الأمر الى أن تقدِّم فتسلِّمه ! قال : فرأيت المأمون

قد أسفر وجهه فقال : عليّ بناقد الخادم . فأحضر فقال : رقعة سلّمتها اليك
بمرو قبل رحلتي عنها ، وأمرتك بحفظها ؛ هاتها !

فمضى وجاء بسبط ، ففتحه وأخرج منه الرقعة ، فإذا فيها مكتوب بخط
المأمون «لئن أظفر الله /210ب/ تعالى بإبراهيم بن المهدي لأسأله بحضرة
الأولياء والخاصة من أهل بيتي وأجنادي عن السبب الذي دعاه الى الخروج
عليّ ، فإن ذكر أنه إنما أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي لما جرى من أمر
عليّ الرضا بن موسى الكاظم لأخيلين سبيله ، ولئن ذكر غير ذلك من العذر ،
كأننا ما كان ، لأضربن عنقه» ! قال أحمد بن يوسف : ولم يكن بحضرته كاتب
غيري . فدفعها اليّ وقال : يا أحمد ، ادفعها اليه ! ثم قال : يا عمّ ، خذ أحمد
وعُدّ الى مجلسك الذي خلّفتك فيه !

قال : فسَلّمت الرقعة اليه ، وعدنا الى موضعنا ومجلسنا ، فطرح
إبراهيم نفسه مغشياً عليه ، فلما شعرنا بالمأمون الا قد رجّع بثياب بُدّله .
فقمنا له وجلس فجلسنا ، وقال : ارجعوا الى ما كنّا فيه . وأتممنا يومنا
ذلك معه . انتهى .

ودخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب ، فناوله كأساً وحلف عليه
أن يشرب وقال له : بحقي عليك إلا أمرت من شئت أن يغنيك ! فأوماً الى
إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنه ! فاندفع يغني بشعر الأعشى :

تسمعُ للحلّي وسواسها إذا انصرفت كما استغاث برُح غير ذي رَجُل

فغضب المأمون ، ووثب من مجلسه وقال له : لا تدع كبرك ، ولعلك
أنفت من أيمائه إليك بالغناء ، فغنيّت معرّضاً بما يُعرّض له من المره (كذا) ،
والله لقد عزمت على قتلك حتى قال لي إن قتلته فعلت ما فعله الناس وإن عفوت
عنه فعلت ما لم /211/ يفعل أحد قبلك ؛ فعفوت عنك بقوله ، فلا تعدّ !
فقال : يا أمير المؤمنين ، من سَحَب عقله على مثل هذا ، فلست أغادره . انتهى ،

كذا في كتاب قطب السرور.

ذكر في كتاب الجليس والأنيس : أمر المأمون يوماً يَسْطُ بُسْطٍ من بُسْط
الرشيد . فأخرجت من الخزائن ، فكان فيها بساطا طَبْرِيًّا مكتوبٌ في حواشيه
هذه الأبيات (البيت الثاني في الاصل : «هجت») :

لَجَّ بالعين واكِفٌ من هوى لا يُسَاعَفُ
كلَّ ما هاج دمعها هيجته (؟) المعارفُ
إنما الموت أن تُفَا رِق من أنت آلفُ
لك حَبَان في الفؤا دِ قليل وطسarfُ

فأستحسنها المأمون ، وبعث الى اسحاق فأحضره ، وأمره أن يصنع فيه
الهرج الذي يُغْنَى اليوم . فسمعه منه أحمد المكي فقال : لو كان هذا الهرج
لحكّم الوادي لكان قد أحسن ! يريد أن يحكم الوادي كان صاحب الأهرج
ومُحكّمها . فشرب المأمون بقية يومه وليلته ، وأمر بالبساط فحُمِلَ
مع اسحاق .

ولمّا قام المأمون وأراد الانصراف التفت الى ابراهيم بن المهدي ، وقال :
يا عمّ ، بحقي عليك إلّا ما صنعت أبياتاً وصنعتَ عليها لحناً حديثاً ! ثم قال له :
بكر عليّ ، فلقد اشتهيتُ الصُّبُوح غداً ! فقال اسحاق : والله لأكيد لإبراهيم ،
ولأسرقنه منه !

فلمّا صليتُ العشاء الأخير ركبتُ وسرت الى سباط (في الصحاح :
سباط ، سقيفة بين حائطين تحتها طريق) لإبراهيم كان له عليه مجلس يقعدُ
فيه . فدعوت /211ب/ الحارس وأعطيته ديناراً ، وقلت له : لا تعلم أحداً
بمكاني ! وصرفتُ غلامي وأمرته أن يأتيني بدابتي سحرًا . فلم ألبث أن جلس
ابراهيم في مجلسه ذلك ، ودعا ابراهيم بجواريه ، وجعل يُلقنهن الشعر وقد
صاغ اللّحن ، وهو يضرب العود وأنا أضرب على فخذي أتابع الصوت ، حتى

أَحْكَمْتَهُ وَفَهَمْتَهُ . فلما كان السحرُ أَتَانِي غلامِي بِدَابَّتِي ، فَصَرْتُ مِنْ فُورِي إِلَى بَابِ الْمَأْمُونِ . فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ : بِكَرْتٍ ، يَا إِسْحَاقُ ! ثُمَّ دَخَلَ فَأَعْلَمَهُ ، فَأَذِنَ لِي . فَدَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ لِي : أَكَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ! فَدَعَا لِي بِالطَّعَامِ وَقَدْ كَانَ أَكَلَ وَشَرَبَ ، فَغَنَيْتَهُ بِشَعْرِ إِبْرَاهِيمَ وَلَحْنَهُ ، الَّذِي سَرَقْتَهُ مِنْهُ ، وَهُوَ هَذَا :

قَالَتْ نَظَرْتُ إِلَى غَيْرِي فَقُلْتُ لَهَا وَسَائِلُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي مَخْدُورُ
نَفْسِي فِدَاكَ وَطَرَفُ الْعَيْنِ مُشْتَرِكُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَيْكَ الدَّهْرَ مَقْصُورُ
وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ أَحْيَانًا وَبَاطِنُهُ مِمَّا يَقَاسِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَسْتُورُ

فَطَرَبَ الْمَأْمُونُ وَشَرَبَ عَلَيْهِ ، فَمَا لَبِثَ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْمَهْدِيِّ ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ ، فَأَذِنَ لَهُ . فَدَخَلَ فَدَعَا لَهُ بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَشَرَبَ ثُمَّ جَلَسَ يَغْنِي هَذَا الشَّعْرَ فِي اللَّحْنِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا هَذَا ، أَرَأَيْكَ تَسْرِقُ أَشْعَارَ النَّاسِ وَتَدَّعِيهَا لِنَفْسِكَ ؟ وَأَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَكَادَ يَسْطُو بِإِبْرَاهِيمَ . فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ : /212/ وَقَرَأْتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبِيعْتِكَ فِي عُنْقِي مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ ! فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا إِسْحَاقُ يَغْنِيهِ ! وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ غَنِّهِ ! فَغَنَيْتُهُ فَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ مَبْهُوتًا ، لَا يَجِدُ جَوَابًا .

قَالَ إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَأْمُونَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الشَّعْرُ وَاللَّحْنُ لَهُ ، وَلَكِنْ سَرَقَهُ اللَّصُوصُ ! وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ . فَسَكَنَ حَيْثُذُ ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ اقْتَصَيْتَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِي فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ : أَحَقُّ مَا يَقُولُ يَا عَمَّ ؟ قَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ ثُمَّ قَالَ : لِأَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ : خُذْ مِنْ مَالِ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَادْفَعْهَا إِلَى إِسْحَاقَ ، لِتُضَيِّعَ إِبْرَاهِيمَ سِتْرَهُ ! قَالَ إِسْحَاقُ ، فَغَدَوْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِقْبِلْهَا مِنِّي ، وَقَدْ أَخْطَأْتُ ! وَاعْتَنَرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ :

لا أقبل منك ما جاد لك به ابن أخي ، ولكن كدت والله يا اسحاق تُسفك
دمي ، فلا تعدّ من المزاح الى مثلها ، فإنّ الملوك تغفو عن الكثير وتقتل على
اليسير! انتهى . كذا في كتاب المجلس عن أبي الفرج النهرواني ، حدّثه به
محمد بن أحمد المكي عن أبيه . انتهى .

ولابراهيم بن المهدي أشعار وألحان في صناعات يغنيها .

حكى الصفدي : إنّ المأمون اصطبغ يوماً ، وأمر بإحضار ابراهيم بن
المهدي فقال له : غنّ لي لحناً من صنعتك في شعرك ! فاندفع يغنيه بقوله :

فرّقا بيني وبين البُـ كـا بالـرّاح الشّمُولِ
واسقياني قبل أن يصـ حَبَنِي عَذْلُ الْعَذُولِ / 212ب/
مال بي عن صحّة الرأـ ي الى السُّكر الطويلِ
ما أرى من غضب الدنـ يا على أهل العقولِ

فطرب المأمون ، وما زال يستعيده فيه يومه ويشرب عليه حتى سكر
وقام . انتهى .

وقال مخارق : كنّا نشرب مع المأمون على دجلة في ليلة مُقَمَّرة ، وهو يتأمّل
ضوء القمر والنجوم في الماء ، إذ طلع ابراهيم بن المهدي . فسلم وقبل يده ،
فدعا برطل فسقاه ، وقال : غنّ يا عمّ صوتاً لكي نشرب عليه ! فغناه :

قد سمعنا الدُّيك صاحـاً ورأينا النّجم لاحـاً
فأسقنا وأقطع بنا الدّـ هرّ اعتباطاً واصطباحـاً

فشرب المأمون وطرب وقال : يا ياسر ، إحملني الى عمّي عشرة
آلاف دينار . انتهى . كذا من قطب السرور ، وأخبار ابراهيم بن
المهدي في هذا كثيرة .

لطيفة

حكى أن ابراهيم بن المهدي ، قال : لما دخل المأمون أرض العراق ، طلبني أشد الطلب . وجعل لمن دله عليّ أو أتاه بي مائة ألف درهم . فخفت على نفسي وتحيرت في أمري ، فخرجت من داري وقت الظهر ، وما أدري أين أتوجه . فمررت بزقاق لا ينفذ ، فقلت : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا اليه راجعون ! وخفتُ إن رجعت على أثري يعلموا بي ، فرأيت في صدر الزقاق عبدًا أسود قائمًا على باب داره ، فتقدمت اليه وقلت له : أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ قال : نعم . وفتح الباب ، فدخلت الى بيت نظيف فيه حصير نظيف ومخدة جلد طائفي نظيفة ، ثم إنه أغلق الباب عليّ ومضى . فخفت أن يكون /213/ قد سمع الجعالة في حقّي وأنه عرفني ، وقد مضى يدلّ عليّ . فبقيت كالْحَبَّة على المِقْلَاة ، قلقًا مَيِّتًا من الخوف . وأنا كذلك إذ أقبل ومعه حمّال ، وهو حاملٌ كلِّ ما يحتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرّة وكيّزان جدد . ثم التفت إليّ وقال : جعلني الله فداك ، أنا رجل حجّام ، وأنا لا أعلم أنك تنفر مني لما أتولاه من معيشتي ، فشأنك بما لم تقع عليه يد ! وكان لي حاجة الى الطعام ، فقمْتُ وطبخت قدرًا ما أذكر أنني أكلت مثلها قط ! فلمّا قضيت أربي قال : هل لك أن تشرب شيئًا ، فإنه يسلي الهمّ ويطيّب الهم ويهبّ النفس الفرح ، ويعزل الغمّ ! قلت : ما أكره ذلك ! رغبة في أن أوئسه . فأتى بِقِمْطَرَة (في الاصل : بقمطرة من . وفي الدرّ 98أ : بقطرمز) جديدة وأحضر لي قدحًا جديدًا وفاكهة في أواني فخار جديد . ثم قال بعد ذلك : جعلت فداك ، لو أقعد ناحية منك وآتي بشراب ، فأشربُ سرورًا بك ؟ ! فقلت : إفعل ! فقعد وشرب ثلاثًا ، ثم دخل الى خزانة له فأخرج عودًا مصلحًا وقال : يا سيدي ، ليس من قدرّي أن أسألك أن تغني ، ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي ؛ فإن رأيت أن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك والعبدُ يسمع

فأفعل ! فقلت له : ومن أين لك بآتي أحسن الغناء ؟ فقال متعجباً : سبحان الله ، أنت أشهر من ذلك ، أنت إبراهيم بن المهدي ، خليفتنا بالأمس ، الذي جعل المأمون لمن دلّ عليك مائة ألف درهم ! فلما قال ذلك عظمت همته ومروءته عندي ، وعلمت أن نخوته أجلُّ مما بذل . فتناولت /213ب/ العود فأصلحته وغنيت ، وقد مرّ بخاطري ذكر أهلي وولدي فقلت :

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله وأعره في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا والله رب العالمين قدير

فقال : يا سيدي ، أتجعل ما تغنيه مما اقتضيتك ؟ قلت : نعم ! فقال : غنّ لي : «إن الذي عقد الذي انعقدت به» فقلت :

إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها
فأصبر فإن الله يعقب راحة فلعلها أن تنجلي ولعلها
فحسن عندي اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غنّ :

فلا تجزع وإن اعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك غير خير فإن الله أولى بالجميل

فغنيت وشربت ، فشرب وقال غنّ :

وراء مضيق الخوف متسع الأمن وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن

فغنيت وشربت فشرب وقال غنّ :

إذا الحادثات بلغت النهى وكادت تذوبن منها المهنج
وهلّ البلاء وقلّ العزاء فعند التناهي يكون الفرج

فغنيته . وحسن في نفسي اقتضاؤه ، وأنست به واستظرفته وشربت ،
فشرب ثم قال : لله علي نذر ، إذا آنستني بقربك ، وما كنت أحسب أن الزمان
يسمح بكونك في منزلي ، فإن رأيت /214/ يا سيدي أن تأذن لي أن أغني ما
خطر ببالي ، وإن كنت من غير أهل هذه الصناعة ؟ فقلت : يكون ذلك زيادة
في أدبك ومروءتك !

فأخذ العود وقال : بدستور (بهامشه : «أي إذنه ، كذا نعرفه في خطاب
العامة . وانظر على أنه أصل لغة») مولاي ! ثم ضرب عليه وغنى :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَأَنَا لِقَوْمٍ لَا نَرَى الْمَوْتَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسُلُولُ
يَقْرُبُ حَبَّ الْمَوْتِ آجَالُنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

فوالله لقد أجاد . وذهب عني كل ما كان لي من الجزع والفرع والخوف
واستأنست به ، وداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه ، وعاجلني وإياه السكر
فنمت .

ولم نستيقظ إلا بعد المغرب . وجال فكري في أدب هذا الحجام وظرفه
وكيف غنى ما أراد أن يسليني بما فيه إشارة إلى تخصيصه بالوفاء إلى ضيفه
ونصرة لجاره . فقعدت وغسلت وجهي وأيقظته وأخرجت خريطة كانت
صحبتي فيها دنائير لها قيمة عظيمة ، فدفعتها إليه وقلت : أنت في وداعة الله
وحفظه ، فأني ماض عنك ، وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض
مهماتك ، ولك عندي المزيد إن أمنت من خوفي ! فأعادها علي مبادراً وقال :
يا سيدي إن الصُّلُوك منا لا قدر له عند ذوي الرئاسات ، ويظنون فيه الظنون
الرديئة . آأخذُ على ما وهبني الله تعالى من قربك وحلولك في منزلي ثمناً ، لا
والله ! فلححت عليه ، فأخذ موسى له بيده وقال : والله لئن راجعتني في ذلك

لأنَّحَرْنَ نَفْسِي ١

فخشيتُ عليه وأخذتُ الخريطة ، وانتهيتُ الى باب الدار /214ب/
فقال : يا سيدي إن هذا الموضع أخفى لك من غيره ، وليس في مؤنتك ثقل .
فأقيمُ عندي الى أن يفرج الله تعالى عنك ا فرجعتُ وسألته أن يكون منفقاً من
تلك الخريطة . فلم يفعل . وكان في كل يوم يفعل مثلَ فعله في يوم حلولي
عنده .

وأقمتُ أياماً في أطيب عيش وأهنأ . ثم تدممتُ من الإقامة عنده وخشيت
التثقل عليه ، فتركته وقد مضى يحدّد لنا حالنا ، فلبست ثيابي وتزيّيتُ بزّي
النساء وخرجتُ (راجع ما تقدم حول مغامرة ابراهيم بن المهدي وظهوره ،
208أ . وأخباره 104ب وما بعدها) .

فكانت هذه الخرجة سبب ظهوره وظفر المأمون به والعفو عنه . انتهى ،
كذا ذكر هذه الحكاية في بستان الآداب عن الواقدي .

والواقدي كان قاضياً ببغداد ، وهو محمد بن عمر ابن واقد الواقدي المدني ،
مولى بني هاشم . وقيل مولى بني سهم ، من أسلم . كان إماماً عالماً ، له
نصائيف في المغازي وغيرها . سمع ابن أبي ذيب ومعر بن راشد ومالك بن
أنس والنووي وغيرهم . وروى عنه كاتبه محمد بن سعيد وجماعة من الأعيان .
وتولى القضاء بشرقيّ بغداد ، ولاء المأمون . وضعّفوه في الحديث .

قال أبو الفرج بن الجوزي في سنة خمس ومائتين ولّى المأمون محمد بن
سماعة قضاء بغداد ، ومحمد بن رجاء قضاء الشرقية ، والواقدي قضاء العسكر .
وفي الكشف : محمد بن عمر ابن واقد الواقدي ، قاضي العراق . عن ابن
عجلان وثور وابن جريح وطبقته ، وعنه الشافعي والصاغاني والرمادي
والحارث بن أبي أسامة وخلّق . قال البخاري وغيره ، متروك . وكانت ولادته
سنة ثلاثين ومائة ، وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع

ومائتين ، وهو /215/ يومئذ قاضي الجانب الغربي من بغداد . قاله ابن قتيبة .
 وقال السمعاني : بالجانب الشرقي وصلى عليه ابن سماعة التميمي ودفن
 بمقابر الخيزران . وقال المؤيد : وعمره ثمان وستون سنة . وكان عالماً
 بالمغازي واختلاف العلماء . وكان يُضعف في الحديث . وله مصنفات . وكان
 المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته . وقال ابن خلكان : والواقدي نسبة الى
 واقد وهو جده المذكور . انتهى .

نادرة غريبة ولطيفة عجيبة

ذكر المسعودي في مروج الذهب ، أن الواقدي قال : كان لي صديقان
 أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة . فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد
 فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصير على البؤس والشدة ، وأما صبياننا
 هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في
 عيدهم وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الهيئة من الثياب الرثة ؛ فلو احتلت في
 شيء نصرفه في كسوتهم .

قال ، فكتبْتُ الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ . فوجّه لي كيساً
 مختوماً ، ذكر أن فيه ألف درهم . فما استقرّ قراره حتى كتب اليّ الصديق
 الآخر يشكو مثل ما شكوتُ الى صاحبي الهاشمي . فوجّهت اليه الكيس بحاله ،
 وخرجت الى المسجد . فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي .

فلما دخلت عليها وأخبرتها استحسنت ما كان مني ولم تُعَيِّنني عليه . فبينما
 أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي : أصدقني
 عما فعلته فيما وجّهتُ به إليك ؟ فعرفته الخبر على /215ب/ وجهه . فقال :
 إنك وجّهتَ اليّ ؛ وما أملك على الأرض إلا ما بعثتُ به إليك ، وكتبْتُ الى
 صديقنا أسأله المؤاساة ، فوجّهه كيسي بخاتمي !

قال الواقدي : فتواسينا الألف درهم فيما بيننا ، ثم أخرجنا للمرأة مائة

درهم ، ووزعنا باقيه بيننا بالسواء . ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار . انتهى .

بذل وإنعام ومنادمة وإكرام

نقل عن اسحاق الموصلي ، أنه قال : استحضرني المأمون يوماً وهو مصطبح ونعم ، جارية بين يديه تغنيه ، وهي وصيفة . فقال : يا اسحاق ، أصبحت اليوم نشيطاً ، فأسمع غناء هذه الوصيفة ، فإن كان فيه ما تأخذه عليها فأصلحه لها ! ثم قال : غني فغنت :

وزعمت أني ظالم فهجرتني ورميت في قلبي بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فأغفرن وتجاوزي هذا مقام المستجير العائد

قال اسحاق : فسمعت ما أذهلني وأطربني ، فشرت ثلاثة أرطال متوالية ، وأمر المأمون فسقيت مثلها ؛ ثم قال : غن في خفيف ثقيل :

فإن كان حقاً ما تقول أتبعه إليك مقام النائبات على قبوري
وإن كان ما بلغت عني باطلا ملامة حتى يسهر الليل من ذكري

فغنيته ، فطرب وشرب ثلاثة أرطال ، وأمر فسقيت مثلها . ثم قال يا إسحاق : غن أنت صوتاً وتغني هي صوتاً . ففعلنا ، فإذا /216/ أعجبه صوت (في الاصل : صوتا) من غنائي قال : أعده علي مرتين أو ثلاثاً ! فأعيدته حتى تأخذه وتراسلني فيه . ثم قال لأبي محمد اليزيدي : هل رأيت قط أحسن من يومنا هذا ؟ قال : لا والله إنه لحسن ، أعيدك بالله ، فتلقه بشكر الله تعالى ! فقال : صدقت ونصحت وأذكرتني في موضع اتكاري .

ثم طرب وشرب ثلاثة أرطال وأمر فسقيت مثلها ثم قال : نكر (كذا في الاصل بدون شكل) قول اليزيدي ، يا اسحاق ، استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ! ثم إنه أمر بإخراج مائة ألف درهم من خالص ماله ،

فتصدّق بها على الفقراء والمساكين ثم قال : ويحمل الى منزل اسحاق مثلها .
فلما انصرفت وجدتها قد سبقتنني الى منزلي ! انتهى .

وقال ابراهيم السُّنْدِي : إِنَّ عمرو بن مسعدة وأحمد بن أبي خالد دخلا على
المأمون ، فوجدناه على شرابه ، فعرض عليهما الشراب فاستعفياه ، فأطرق ساعة
حتى ظننا أنه تأمّر بهما ، ثم رفع رأسه اليهما وأنشأ يقول :

رُدّا عليّ الكأس إتكما لا تعلمان الكأس ما تُجدي
لو ذقتما ما ذقتُ للأمزجتما ها بدمعكما من الوجد
ما مثل نُعْمَها إذا اشتملتُ الآ اشتمال فَمِ على خدّ
خوفتُماني الله ويحكما وكخيفته رجاءه عندي
إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي

وفي رواية أخرى ، أَنَّ المأمون شرب يوماً فدخل عليه سعيد بن مُسلم ،
فناولهُ كأساً فقال سعيد : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيتُ الله عهداً عند
بيته الحرام أنني لا أذوقها أبداً / 216 ب / ، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يُجشمني
بشربها فعَل . فأطرق المأمون طويلاً حتى ظنّ من حضر أنه سيبالغ في عقوبته ،
ثم رفع رأسه وأنشأ يقول :

سأشربُها وإن زعموا حراماً وأرجو عفو ربّ ذي امتنان
يشربُنها ويزعمنَ حراماً وتلك على الشقيّ بليتان

مكارم أخلاق ومراعاة أرفاق

قيل : شكّا أبو محمّد البيهقي الى المأمون خلةً ودينًا لحقه ، فقال : ما عندنا
في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به . فقال : يا أمير المؤمنين ، لك منادمون ؛
فأطلق الحيلة عليهم ! قال : اصنع ما بدا لك ! قال : إذا حضروا ، فأمر فلانا
الخادم يصل رقعتي اليك ، كأني طفيلي ، فإذا قرأتها فأرسل اليّ : « فإن دخولك

في الوقت لا يمكن ، اختر لنفسك من أحببت ينادمك » .

فلما علم أبو محمد جلوس المأمون على الشراب واجتماع ندمائه اليه أتى الباب ، فدفع الى ذلك الغلام رقعة فقرأها المأمون عليهم ، فإذا فيها :

يا خير إخوان وأصحاب هذا طفيلي على الباب
فصبروني واحداً منكم أو أخرجوا لي بعض أصحابي

فقال المأمون : ما ينبغي أن يدخل الطفيلي على هذه الحال ! وأرسل اليه : «دخولك في هذا الوقت لا يمكن ، فأختر لنفسك من أحببت ينادمك» فقال : ما أرى نديماً أرتضيه إلا عبد الله بن طاهر . فقال : المأمون لعبد الله : قد وقع اختياره عليك فصبر اليه ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرج عن منزلك الى مجلس رجل من /217/ العامة ؟ فقال له المأمون : إقد نفسك ! قال : يا أمير المؤمنين ، له على عشرة آلاف درهم . قال : لا أحسب ذلك يقنعه منك . فقال : أزيده عشرة آلاف درهم . ولا زال يزيده عشرة فعشرة حتى بلغ مائة ألف . فقال المأمون : إقبض هذه الآن أصلح لك من منادمته وأحسن عاقبة ! انتهى ، كذا حكاه الخطيب البغدادي .

قبل أشرف المأمون على الحريق فقال : أيكم ينشد لأبي نواس ؟ فقام غلام من أبنائهم فقال : أنا أنشد له . فقال : هات ! فأنشده :

لا تبك ليلي ولا تطرب الى هند وأشرب على الورد من حمراء كالورد

حتى أتى على آخرها ، فقال المأمون لمن كان معه : والله الشعر ، لا قوله على وجه الهزل والعبث لأجل المزاح ! وأمر للغلام بأربعة آلاف درهم . انتهى ، كذا في قطب السرور .

وقال المأمون لأبي عمرو الشيباني : من أشعر الناس ؟ فقال : قد اختلف في هذا يا أمير المؤمنين ؛ فقل أشعر الناس أمرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا

رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . فقال المأمون : دغني من هذا ، من الذي يقول :

لا يزال الليل حيث حَلَّتْ فدمرُ شرايها نهارُ

فقال : أبو نواس . فقال : من الذي يقول :

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي الْبُرْءَ فِي السَّقَمِ

فقال : أبو نواس . فقال : من الذي يقول :

إذا ما أُنْتُ دُونَ اللَّهَاتِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ / 217ب/

فقال : أبو نواس . فقال : هذا أشعر الأولين والآخرين !

وذكر عمرو بن مسعدة ، أنه لما قدم المأمون مصر أحب أن ينادم أحد أدباء البلد . فوصف له فتى منهم ، فأمر بإحضاره . فدخل والمائدة بين يديه و غلام على رأسه يسقيه ، فقال له : أتشرب ؟ فقال : ومن يرغب عن مِلَّةِ إبراهيم إلا من سفه نفسه ! فوقعت كلمته منه موقعها . ونادمه طول مقامه بمصر ، فوجد عنده ما أحب . فلما أراد الانصراف عرض عليه المسير فاعتذر إليه ، فعذره ووصله بمال جليل . انتهى ، كذا في قطب السرور .

قيل إن اسحاق الموصلي قال : دخلت يوماً على المأمون فوجدته مستلقياً على فراشه . فاستدناني حتى صارت ركبتني على الفراش ، ثم قال لي : بلغني أنك صنعت في هذه الأيام لحناً في شعر الراعي ، فلم أسمعه منك . فقلت : يا سيدي ، ما سمعه أحدٌ إلا جوارياً ، ولا حضرتُ للشرب منذ صنعتُه ! فقال : غنّه فقلت : لم يتهياً ، والصّححو يمنعني من تأديته . قال : صدقت ! وأمر بالغداء فتغدّينا . ومُدَّت الستارة فغني من ورائها ، وشربنا أقداحاً ثم قال : يا اسحاق ما حان أوان هذا الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيدي ! وغنّيته لحني هذا :

ألم تسل بغارمة الديارَا عن الحسيّ المفارقِ أين سارا

بل ساءلتها فأبت جواباً وكيف تسأل الدمن الديارا

فاستحسنه وقال : يا اسحاق ، لا طربَ بعد وجود البقية ؛ ما أشرب بقية يومي إلا على هذا الصوت . فشرب عليه سائر /218/ يومه ، وخلع عليّ خلعة من ثيابه . انتهى .

وقال ابن المرزبان : كان المأمون إذا اعتنى بالصوت الذي يسمعه استعاده ولم يسمع غيره ، وإذا اشتهى لونا من الطعام لم يأكل غيره . قال : وانصرف اليّنا علوية من مجلس أمير المؤمنين فقال : غني في هذه الليلة في مجلس أمير المؤمنين صوت في بيت واحد ! فسأل كل من في المجلس فلم يعرف أحد منهم له ثانياً [قال] : فهل فيكم من يعرفه ؟ فقلنا : ما هو ؟ فقال :

تخيّرت من نعمان عود أراكة هند ولكن من يبلغه هذا

فقال أبو الرازي : خرجت الى اليمامة فحدّا حاد :

خليلي عرجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال إجارة ولكن إجارتنا لقائنا كما عهدا
تخيّرت من نعمان عود أراكة هند ولكن من يبلغه هذا
تبلغه نوق عتاق وفتية كرام إذا يوم علت بهم نجدا
وما شبه هند غير أدماء خادر من الوحش مُرتاع تراعي طلاً فردا
وما نطفة من مرية في قيسة تصفّقها الأرواح قد خالطها شهدا
يا طيب من ريّ غلاله ريقها وقد غارت الشعر أمراقا ولا برّدا
وقد خلّتها بدرّا بدا شطر نوره وقد سترت خدّا وأبدت لنا خدّا

قال علوية : فرجعت الى المأمون وغنيته بذلك ، فطرب عليه وقال : من أفادك إياه ؟ فقلت : أبو الرازي ، سمعه من حاد يحذو به ! فأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وقال : يُحمل الى أبي الرازي مثلها ! انتهى .

قال علوية : قال المأمون لأصحابه ولي : بكمروا لنصطبّح /218ب/
 فتعذّرتُ له ، فلقيني عبد الله بن اسماعيل صاحب المراكب ، مولى عريب ،
 فقال لي : ايها الرجل الظالم المتعدّي ، أما ترحم وترقّ وتُجبر بقلب عريب ،
 لأنها هائمة بحبك ، تحتلم بك في كل ليلة ثلاث مرات ! فمضيت اليها وهي
 جالسة على كرسيّ ، يُطبخ بين يديها ثلاث قدور . فلما رأني قامت الي
 وعانقتني ثم قالت : ما تشتهي أن تأكل ؟ قلت : قدرّ من تلك القدور ! فأفرغت
 قدرًا ودعت بالمائدة ، فأكلنا ثم دعت بالنبيذ فشربت وسقتني ، ثم قالت : قد
 صنعتُ لحنا فاسمعه ، فإن كان فيه خلل صلّحته ! وتناولت العود وغنت :

وإني لمشتاق الى قرب صاحب يروق ويصفو إن كدّرت عليه
 عذيري من الإخوان لا من جفّوته صفا لي ولا من كنت صريم يديه

فغنيته معها حتى أحكمته وشربنا عليه حتى سكرنا ، ثم جاء الحُجّاب
 فكسروا باب عبد الله واستخرجوني .

فلما دخلت على المأمون أقبلت أرقص من باب الدار الى باب الإيوان وأنا
 أصفق بيدي وأغني الصوت ، فسمع وسمعوا ما لا يعرفوه فاستظرفوه ، فقال
 المأمون : أدن مني ، يا علوية ، أرِدْ عليّ الصوت ! فردّته سبع مرات ، وشرب
 عليه سبعة أرطال ، ثم قال : خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصوت بدلاً !
 وشرب المأمون يومًا وهو بدمشق فغناه علوية شعرًا يقول فيه :

برئت من الاسلام إن كان ذا الذي أذاك به الواشون عني كما قالوا
 ولكنهم لمّا رأوك سريعة البيّ تواصلوا بالنسيمة واحتالوا

/219/

فقال : لمن هذا الشعر يا علوية ؟ قال : لقاضي دمشق . فقال للمعتصم :
 أعزله يا أبا اسحاق ، فما كنت أولي رقاب المسلمين من يبدأ هزله بالبراءة من
 الاسلام ! ثم قال : يا علوية لا تقل «برئت من الاسلام» ، ولكن قل «حرمت

مناي منك إن كان الذي . . . » . انتهى ، كذا نقل الأغاني وغيره .

حكى الصَّفدي عن الخافظ بن عساكر قال : قصد المأمون يوماً من دمشق جبل الثلج . فمرَّ ببركة عظيمة من برك بني أمية ، وعلى جوانبها سُرّوات أربع ، وكان الماء يدخلها ويخرج منها ، فاستحسن المأمون الموضع ، ودعا بالطعام والشراب . وذكرَ بني أمية ، فوقَ منهم ونقصَهم ، فأخذ علوية العود وغنّى شعراً :

أرى اسرّتي في كل يوم وليلة يروح بهم داعي المنايا ويغتدي
أولئك قومي بعد عزٍّ وثروة تفانوا والآ تذرّف الدمع تكمد

فضرب المأمون بكأسه الأرض ووثب وقال لعلوية : يا ابن الفاعلة ، أما كان لك وقت تذكر فيه مواليك غير هذا الوقت ؟ فقال : مولاكم زرياب عند مولاي يركب في مائة غلام وأنا عندكم أموت من الجوع ! فغضب عليه نحو شهر ورضي عنه . وزرياب ، مولى المهدي جد المأمون ، وصل إلى بني أمية بالاندلس . وعكست حاله فصلحت بالاندلس حتى كان كما قال علوية . انتهى لطيفة ، قيل إن أول من لقّب بالمأمون المأمون بن الرشيد ، ولقّب بذلك ولد المعتمد بن عباد ، ولقّب بذلك أيضاً يحيى / 219ب / بن ذي النون صاحب طليطلة . ويحكى عنه أنه بنى قصرًا بطليطلة ، وتأتق في بنائه ، وأنفق فيه مالا كثيرًا وصنع فيه بحيرة ، وبنى في وسطها قبة وسبق الماء إلى رأس القبة حواليتها محيطًا بها متصلًا ببعضه ببعض ، فكانت القبة في غلالة ماء سكّب لا يفتّر والمأمون بن ذي النون قاعدٌ فيها لا يمسه من الماء شيء ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل . فبينما هو نائم فيها إذ سمع مُنشدًا ينشد :

أتبني بناء الخالدين وإنما بقاؤك فيها لو عقلت قليلُ
لقد كان في ظلّ الأراك كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيلُ

فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نحبه ودخل في خبر كان . انتهى ،
 كذا نقلته من بعض المخطوط (انظر حول نسبة الكتاب واتفاق ابن وادران هنا
 مع الدرّ في هذه العبارة المقدمة) .

قيل دخل المأمون على وزيره أبو عباد ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة
 وعشرون سنة ، فقال له : ما شرابك ؟ قال : الشديد الإبطاء ، البعيد أنسب
 من النار . قال : كم تشرب ؟ قال : عشرة على الحديث وأضعافها على الصّفير .
 فقال المأمون : البهائم تشرب على الصّفير ، فكيف بنو آدم ؟ انتهى .
 وقيل ذكر في مجلس المأمون كثرة شرب النبيذ وقلته واختلاف الناس في
 ذلك ، فقال المأمون بديهاً :

ثلاثة أرطال لذي اللب مقنع وفي أربع أنس له وتمتع
 فإن كان من يهواه حاضر شرابه فحق عليه خمسة لا تضيع
 ويزداد رطلاً إن رأى منه غفّة فأكمل عند المشيئة اللهو أجمع
 ولا خير في شرب الفتى بعد ستة ولا عيش إن جاوزت ذا ينفع
 انتهى ، كذا من الاغاني .

وقال في زهر الآداب ، إن المأمون سمع بعض ندمائه ينشد قوله :

سألت أخي أبا عيسى وجبريل له عقل
 فقلت الراح تعجبني فقال كثيرها قتل
 وجدت طبائع الانسا ن أربعة هي الأصل
 فأربعة لأربعة لكل طبيعة رطل

فقال : إذا أخطأ جبريل ، إذا صحّ بدن الإنسان وأكل وشرب ما
 شاء لم يضره ذلك ، وإذا كان سقيماً فالجرعة تؤذيه وتؤلمه ، فضلاً
 عن أربعة أرطال . انتهى .

وقال المأمون لسهل بن هارون : ما تقول في الطلاء ؟ فقال : مصححة للبدن ، مطيبة للنفس ، تفتح له العروق أفواهها كما يفتح الفراخ أفواهها للزق . وزعمت الفلاسفة أن الذي يذهب الهم ويطيب النفس عند تناول الشراب أنه يسط الدم الغزير في البدن ، فيكون من ذلك الفرح والنشاط . فقال المأمون : شرب الراح كيمياء الأفراح ، والكرم مشتق من الكرم ، فلا يجب أن يشارك فيه اسم كريم .

وشرب عبد الله بن طاهر مع المأمون فقال له : يا عبد الله غن لحنك الهزج الذي صنعته ! فغنى بهذه الأبيات :

وقهوة صهباء مشمولية إحدى السبايا من قرى بابل
ما نزلت بالهم إلا دعا بالريح والويل من النازل

وقال أيضا :

أعجبتني ان أناخ لي الدهر فحاكمته الى الأقداح /220ب/
لا تزال الهموم انشى جراح حداث الشرب ماء القراح
أحمد الله صارت الكأس تأسوا دون إخواني الثقات جراح

فطرب المأمون وشرب ثلاثا ، وقال : أحسنت يا عبد الله ، أي الشراب أحب إليك ؟ قال : الخمر معشوقة الدنيا ، ريحها الراح ، موقع الروح من الأبدان موقع القطر من الجذب .

وأنشد عمرو بن شبة الى المأمون :

صلى النذمان يوم المهرجان بصاف من معتقة الدنان
وجنني الزيين طرا فشأن ذوي الزيب خلاف شاني

ونقل ابن شبة عن أبي محمد اليزيدي قال : دخلت على المأمون يشرب وعريب ومحمد بن يسخبر يغنيانه فقال : أطعموا أبا يزيد شيئا ! فقلت : أما

ترى عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله ! قال : ما أحسن ما قيل في قديم الشراب ؟ قلت : قول الحكم . قال : قل ! فقلت :

عَتَقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ بِلِسَانِ نَاطِقٍ وَفَمٍ
لَاخْتَفْتُ فِي النَّوْمِ مَائِلَةً ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ

فقال : قد كان هذا في نفسي ، اعطوا أبا محمد رطلين وأعطوه عشرين ألف درهم . ثم نكت في الأرض ورفع رأسه فقال : يا محمد ، قد قلت شعرا في شرابنا . ثم أنشد :

أَنَا وَأَنْتَ رَضِيْعًا قَهْوَةً لَطْفَتْ عَنِ الْعِيَانِ وَدَقْتُ عَنْ مَدَى الْقِدَمِ
مَا بَيْنَنَا رَجِمٌ إِلَّا إِدَارَتُهَا وَالكَأْسُ حُرْمَتُهَا أَوَّلَى مِنَ الرَّجِمِ

وقال النظام : ما حسنت الدنيا ولا خطيت أباك اللذات ولا جنيت ثمار المسرات بغسل المموم والآصاب كما يغسل /221/ الصابون دنس الثياب . إذا نزل العقار ارتحل الوقار !
وقال عبد الله بن طاهر : التبذل على التبيذ ظرف ، والوقار عليه سُخْف .
وقال :

أَقَمْنَا أَكَلْنَا أَكَلَ اسْتِيلَاف هُنَاكَ وَشَرَبْنَا شَرَبَ يُسْدَارٍ
وَلَمْ يَكْ ذَاكَ سُخْفًا غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ الشَّرْبَ سُخْفُهُمُ الْوَقَارُ

قال اسحاق الموصلي ، قال لنا المأمون يوما : ما ألد الغناء ؟ فقال كل واحد منا ما عنده . فقال المأمون : لكنّه ما أطرب السامعين خطأ كان أو صوابا (أسقط الاغراب هنا) !

وكان المأمون يحب الغناء ، ويعظم اسحاق لأجله ، على أنه كان أجَل من ذلك . قال بعضهم ، قال المأمون : لو لا الإسم الذي سبق لإسحاق عند العامة لأوليته القضاء ! على صحة علم المأمون ، وتمام معرفته . وقيل ، مملكته .

وكان اسحاق إذا خاض في شيء من العلم في مجلس الملوك إلتفتوا اليه واستمعوا وأصغوا اليه . وأما علمه بالغناء وتقدمه فيه وحفظ الأخبار ومعرفته بالأوتار وعملها فشيء مما لا يلحق فيه .

يروى عنه أنه دخل على المعتصم ، وهو خليفة ، وفي مجلسه ثمانى عشرة مغنية ، تسع منهن فوق تسع ، وإبراهيم بن المهدي حاضر . قال اسحاق : فسلمت فرد علي السلام ثم أومأ الي بالجلوس ، فجلست . ثم قال : لي يا اسحاق ، كيف تسمع هؤلاء الجواري ؟ قلت : أسمع خطأ يا أمير المؤمنين . فقال لإبراهيم بن المهدي : ما تقول فيما يقول ؟ فتسمع ، وهن يضربن جميعاً ، فقال : ما أرى شيئاً أنكره . 221 ب فقلت : يا أمير المؤمنين ، أناظره على أنه هو سيدي وأنا عبده ، أو أناظره على الإنصاف . فقال : بل على الإنصاف .

فقلت : أعد النظر ! فضربن ، وتسمع فقال : ما أرى شيئاً أنكره ! فقلت : إن الخطأ في حيز هؤلاء التسع دون صواحبهن . وأفردتهن ، فسمعهن وقال : ما أرى بأساً . فقلت لسائر الجواري : أسيكن ! وأمرت الجارية التى كان الخطأ في عودها ، فغنت مفردة . فقلت له : كيف تسمع ؟ فقال : نعم ، وهنا وتر معتل ! فقال المعتصم : فهم اسحاق اعتلال وتر واحد في مائة وأربعة وأربعين وترًا ولم تفهمه أنت حتى أفردت صاحبته ، إن بينكما لتبايناً بعيداً ! انتهى ، كذا ذكر أبو الفرج الأصفهاني .

قيل كان المأمون في جلسائه وندمايه ، وتجاوزوا الكلام الى أن ذكروا الموسيقى . فسألهم المأمون في ذلك ، فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ، وإن صناعة الألحان واختراعها وتأليف الأوتار والأنغام وابتداع الألحان الى الأصوات ذوات النغم والإيقاع لمؤلف على أعداد هندسية ؛ وزعم قوم أن الألحان على أعاريض .

فقال اسحاق الموصلي : هذا قول من لم يثر هذه الصناعة ، يا أمير المؤمنين . بلغني أن اليونان ربت الألحان على النسب الفلكية في النغم والأصوات .

فقال له المأمون : والأمر كذلك ، يا اسحاق ، أعلم أنّ التي عليها مدار الوجود أربعة . أفضلها ، المآكل لعدم قيام البدن بدونها ، ويليه السّماع لتعلّقه بالطباع /222/ النفسانية ، وهي أشرف جزء البنية ، ويليه النّكاح لتعلّقه بإيجاد النوع ، ثمّ الملابس لحفظ البدن .

ونقد بعضهم هذا (هنا يقول الدرّ : «قلت») ، بأنّ النّكاح والمآكل كلاهما من تعلّقات البهائم أصالة ، فما زاد عن توليد النوع وإقامة الجسم فيهما فيه نظر . وأمّا السّماع فليستكثر منه ما شاء ، لأنه أقلّ الأربعة حاجات الى مُزيلة خارجه ، بل كلّما وافق الدّعة أو السكون كان أدخل في المزاج . ثم لا يُختلف بالنسبة الى النّفس من حيث الآلات اختلافاً يمتدّ به ، وإنما الاختلاف من حيث اللّحون والأغاني . ولهذا ، إنّ كانت في ذكر الشجاعة والحرب ناسب أهل طالع المريخ والغضب وكانت أكثر حظاً من الحيوانية ؛ وإن كانت في العشق ومحاسن الأغزال ولطف الشمائل ومدح أهل الأدب ناسب أهل الزّهرة وعُطارد ؛ وإن كانت في الديانات والزهد ناسب أهل المشتري ؛ وإن في الكتاب والحساب وتدبير الممالك فأهل القمر وعُطارد ؛ وإن في السلطنة وعلو الهمة فأهل الشمس .

وأكثر النفوس حظاً من هذه الأقسام النفسية الناطقة وأقواها العاقلة والعاملة . وإن كانت تتعلق بالمآكل والمناكح والتطفّل وغير ذلك فأهل حضيض السفليات .

وكان بطليموس يقول : الألحان أشرف المنطق ، ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر ارتياحاً .

وقال أفلاطون : من حزن فليسمع الألحان المطربة ، فإنّ النفس إذا حزنت خمد نورها ، فإذا سمعت من يُطربها /222ب/ اشتعل منها ما خمد .

وسئل أبو سليمان المنطقي لِمَا صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة ، فإنّ (في الاصل : «في أنّ») الشخص يكون بغيض المنظر والقرب ، فإذا غنى بِالْحان (في الاصل : «باللحان») مطربة عشقه قرّنه وأقبل الطّرف عليه ؟ فقال : إن

الطبيعة إنما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة هنا تستملي من النفس والعقل وتُملي على الطبيعة . وقد صحَّ أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس ، وأنها تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتب بإملائها . والموسيقي إذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً شريفاً وأعطاهما صورة معشوقة ، فمن هنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة ، لأنها وصلت الى كما لها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحاذقة ، التي من شأنها استملاء ما ليس لها ، وإملاء ما يحصل فيها استكمالاً لما يأخذ لا لما يعطي ؛ فأما الأوماء والأنقار فإشارة الى الآلات المطربة الملهية ، من العيذان والدفف وما أشبه ذلك .

وقال ابن ماسويه : يا أمير المؤمنين ، ومتى وقع السَّماع ولم يُصِيب غرض الطالب فلا فائدة منعت ، إما من حيث الآلة أو اللحن أو الضارب أو الطالع أو شغل قلب السامع لمهم ، فيتعذر («فليتعذر») ذلك أولاً ، ثم الصوت ، وهو الهوى الممتزج بين قارع ومقروع ، فإن تجوف كثيراً أو صلْب يس ، أو اختلف الطَّرْقُ فسَدَ . وأصبح الألحان تنزِيلُ ذلك الصوت /223/ على النسب المخصوصة والسَّماعُ لإصغاء ذلك (ويواصل الدرّ في نص طويل ، 149أ ، نقل كلام ابن ماسويه تحت عنوان «بقية كلام ابن ماسوية») .

[إذا عرفت هذا ، فأعلم أن فواضل الألحان تكون بالحركة والانتقال ، ويقابل هذه جنس الحركة في النبض ؛ وقد عرفت أنها إما سريعة أو بطيئة . ولا شك أن الإيقاع والألحان إذا دخلا في السَّمع أوجب سريان الهواء عنهما حركة القلب ، وهي توجب تغيّر النبض لذلك ، توضح عما أخبأته الطبيعة خصوصاً في نحو الجنون والعشق .

ثم الصوت الكائن 'ح' (بعلامة مدّ فوقها) ، إما عظيم أو جَهْر أو حادّ وأضدادها . وهذا الجنس عليه تنفرّع الأنباض . وزاد بعضهم السّعة في الصوت . والصحيح أنها من الحركة والحِدّة والغِلظ كالصلابة واللين . ويظهر

كلّ بالاضافة . ولما كان بالضرورة بين كلّ حركتين سكّون لا محالة ، لانتقال («انتقال») الحركة كما مرّ ، وجب انقسام الأصوات الى منفصلة ، يقع السكّون بين نغماتها كالأوتار . وهي إمّا حادة («عادة») وعليها ساعة الضرب الواقع من الحمّيات الحادة وعليها العكس ، ومن الكم متصلا كاللزّامير والمقابل لهذا النبض السريع . وحاصل الحيلة راجع الى خرق الوتر ، كما أنّ في سرعة النبض وصلابته تكون عن فرط الحرارة والحمّيات وبالعكس . فإذا تألف على نسب طبيعية حدث الاعتدال .

وهذه الصناعة ، التي هي الغناء ، مؤلفة من سبب ووتد وفاصلة كالعروض . فالسبب هنا نقرة يليها سكّون ، وهذا إجراء النبض ؛ والوتد سكّون بين اثنتين والفاصلة بعد ثلاث . وهذه كالنبضة الواحدة كما مرّ ، لأنّ بهذا القدر تتوطّن النفس على نسبة الإيقاع والطبيب على حال البدن . فإذا تركبت أثنائه كان الحاصل تسعة وثلاثة من عشرة ؛ ولا يخفى التفريع . ولذلك كان النبض بالقسمة الأولية والمزاج والنسب والأوتار تسعة عشر ، وإن تأصلت أربعة كمثلاثات الفلك ، وتسعة كالقيلة فيه وكالرمّل ، واثنى عشر كالبروج ، وستاً وثلاثين كالوجوه ، وتسعين كدرج الربع المجيب ، ومائة وعشرين كالقطر ، الى غير ذلك . وكلّ أوتاره آلة ، ألا ترى أنّ القانون مائة وعشرون ، كلّ أربعة نسبة والتسعة للعود والاربعة للدرج والثلاثمائة والستين أوزانات لذات الشعب ، وهكذا . ومن ثمّ يختلف الإيقاع والآلات كالأزمنة والبلدان ، فقد صرح الموصلي وغيره لوجوب الأوتار سبباً وضرباً نحو القانون فيه لكثرتة وكون أوتاره من الشريط النحاس وهو الآن المعروف بالصنطير . فإن ذلك يوجب الحدة ، وهي تجرّ للحرّ واليبس وذلك يوجب الاعتدال حينئذ ، وفي الصيف بالعكس . وقس باقي الطواري ترشد .

وإذا عرفت أنه لا بدّ من كلّ نقرتين من سكّون ، فإن ساوى زمنه من النقرة الواقعة قبله وبعده ، فهذا النمط هو العمود الأول ويسمى الخفيف المطلق ،

وإن طال زمن السكون على زمنها فهذا هو العمود والخفيف الثاني ، وعلى الأول سواتر النبض والثاني متفاوتة . هذا إذا كان ما زاده السكون عليهما قدر نقرة ، فإن كان بقدر اثنتين فهو الثقيل الثاني ، وما زاد على ذلك فغير مستلذ . وعلى كل من الأربعة يتخرج وزن النبض وقد سبق .

ثم الجنس التاسع الذي هو كالأصل ، ويتبع هذه النسب في الثقيل والخفيف /150/ والحركة والسكون سواء واختلافاً على نظم طبيعي أو غير طبيعي أو بلا نظم كما ستراه . فهذا غاية ما يمكن تطبيق النبض عليه من هذا العلم .

تنبيه : ولما كان الالتذاذ بهذا العلم موقوفاً على الآلات ، وكانت كثيرة مختلفة ، بحسب الأزمنة والأمكنة والأهم ، وكان ألذها من الآلات هذه الآلة ، المصطلح عليها الآن الموسومة بالعود ، المركب من أربعة في المضاعف عند بعض الناس الى ثمانية لشهرته والاتفاق عليه دون غيره . وإن أردت أن تضرب لك مثلاً لمناسبة به ليكون أصلاً لكل ما أرشدتك («رشدتك») اليه فتجعل التصرف بحسبه ، فنقول الواجب في هذه الآلة أن يكون طوله مثل عرضه مرة ونصف ، وعمقه كنصف عرضه ، وعمقه كربع طوله ، والواحدة تخرم الورقة من حيث كونه خفيفاً ووجهه أصلب ، ويمدّ عليه أربعة أوتار أغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلاث ، والمثلث الى المثنى مثله كذلك مرة وثلاث ، والمثنى مثل الزير . وقد أضبطوها بطاقات الحرير ، فقالوا يجب أن يكون البم أربعاً وستين طاقة والمثلث ثمانية وأربعين ، والمثنى ستة وثلاثين ، والزير سبعة وعشرين ، وتُجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاوي والأخرى في مشط ، فيتساوى أطوالها ثم يقسم الوتر أربعة أقسام طولاً ، ويشدّ على ثلاثة أرباعه مما يلي العنق أيضاً ، وهذا دُستان الخنصر ، ثم يقسم الآخر تسعة ويشدّ على تسعة مما يلي العنق أيضاً وهذا دُستان السبابة ، ثم يقسم ما تحت دُستان السبابة الى المشط أوسعاً متساوية ، ويشدّ على التسع مما يلي المشط ، ويسمى هذا دُستان البنصر ، فيقع فوق دُستان الخنصر مما يلي السبابة ثم يقسم الوتر

وتشده ، فهو دُستَان الى غاية معلومة يسمّى الزّير ، فيحرق المثنى على نسبة ملية في الانحطاط . وهكذا مع الحبس بالخنصر والضرب حتى يتساوى .

فالزير كعنصر النار في الطبع والتأثير ، والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والهم كالتراب والتطابق على الأخلاط والأمزجة إفراداً وتركيباً . وتقوى ما يكون عن الأخلاط من سجايا وأمراض وأمكنة وأزمنة حتى قيل إنّ لطف الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما مرّ في الأوتار .

وأما تصنيفهم هذه كالأوتار حتى جعلوها ثمان ، فلما مرّ من أنها أول مكعب مجذور، لأنّ المرض كذلك ، فشاكلوا بذلك مزاجها . /151ب/ وقد قيل إنّ هذه النسبة مستمرة الى الفلك ، فإن قطر الأرض ثمانية ، والهواء تسعة ، والقمر اثنا عشر ، وعطارد ثلاثة عشر ، والزهرة ستة عشر ، والشمس ثمانية عشر ، والمريخ واحد وعشرون ، وزحل سبعة وعشرون وأربعة أسباع ، والثوابت ثلاثون ، ولأن القسمين داخل في أشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطباع .

وبالجملة فقد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الأعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوّت الأشياء فيه ، والمجوس الاثنين ، والنصارى الثلاثة ، وأهل الطبائع الأربعة ، وأهل الأوقاف الخمسة ، والهندسة الستة ، والحكماء والفلكيين السبعة . والذهن من حيث هو يستحسن النّسب حتى إذا برزت الى الخارج زادت البسطنان الكتابة بحسب مناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً بحسب الأهم لا تخرج من خط مستقيم ومقوّس ومركّب منها .

ثم قوانين الغناء لا تخرج عن ثمانية ، ثقل الأول من تسع نقرات ثلاثة متوالية وواحدة كالسكون فخمسة مطوية الأول ، وثقل ثاني من أحد عشر ثلاثة متوالية وواحدة ساكنة فثلاثة فنسبة مطوية الأول ، وخفيف الثقيل الأول من سبعة ثنتان فثلاثة فأربع مطوية ، وخفيف الثقيل الثاني من ست ، ثلاثة متوالية فسكون ثم ثلاثة ، فرمل من سبعة ثقيلة فمتوالات فسكون ، هكذا الى آخره ، وخفيفة من ثلاث نقرات متوالية متحركة ، وخفيف الخفيف من

نقرتين بينهما سكون قَدْر واحدة ، وهَجَز من نقرة كالسكون ، ثم سكون قدر نقرة ثم بين كل اثنين سكون . فهذه أصول التركيب وإنما تُكرَّر بحسب إشفاء الأدوار . انتهى] .

وقال غيره : النغم ، فضلُ بَقِيٍّ من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجها فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترنيم لا على التقطيع . فلما ظهر عشيقته النفس وحنَّ إليه الطبع .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ، قد رأيتاه في ترنيم فرفوريس ، من أنه قال للمعلِّم حين فرغ من المنطق : هل أبقيت ؟ قال : نعم ما دَوَّنته نصفُ ما أدَّته الألفاظ ، وبقي في النفس نصفٌ لا يدخل الألفاظ بل هو مجرد الهواء (أضاف الدرّ هنا ، 148أ : «قلت وهذا كلام مادة وزيادة لمن تأمل ما وقع في الهندسة والنجوم وغيرها من العلوم») . اهـ .

واختلف فيمن وضع الموسيقى ، فقيل بطليموس . وقيل غيره والصحيح أنها قديمة موجودة في تعاليم الفلاسفة الأولى ، وإنما الأشهر بطليموس أول من أفرد لها كتابًا وسماه كتاب اللحن الثمانية ، ولها ألقاب وأوضاع معروفة . قال بعضهم (هنا يقول الدرّ : «قلت . . . ») : وقد كان غناء الناس اختياريًا ، يأخذونه قياسًا على نطق الحيوانات ، فألفها ما يُحاكي به الطير البري عند الصبح في الرياض المشتبكة ذوات المياه الجارية ، العنديل والمزار والمطوق ؛ ومنهم من يقيس على محرّكات المياه في المصابّ المختلفة والنواعير والدواليب ؛ ومنهم من يُحاكي الهواء عند حُلوله في منافذ الطيور وغيرها ؛ ومنه أخذ ذوات الشعب المشتمنة على ما ذكر (هنا يقول الدرّ ، 148ب : «رأيت . . . ») في الاستدراك والأسرار اليونانية . وأكثر ألحان الصين عليه إلى الآن . وأمّا الهند فقد لحنوا على طَرَق الأواني المجوّفة وغيروها بالماء على أنماط مختلفة ؛ والروم بالنحاس والخشب ، وعلى ذلك لُحِنَت الأناجيل في الكنائس . واستمرّ الأمر حتى ظهر العود /223ب/ والآلات المطربة الذي نحن عليها الآن .

ويقال إنَّ أوَّل من اتَّخذ [العود] بنُ متوشلخ (فراغ بقدر كلمة «العود» ، التي يفهم مقامها مما سبق . وفي الدر «من اتَّخذ ملك بن متوشلخ») . على أمثال فخذ آنية الميت . وهو قول ضعيف . وقيل بطليموس ، وقيل بعض حكماء الفرس وسمَّاه البُريط . وتفسيره باب النجاة (في الاصل: «البريط تفسير باب النجات») ، ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة . وجُعِلت أوتاره أربعة بإزاء الطبائع : فالزَّير بإزاء المِرَّة السوداء ، والمتبني بإزاء الدم ، والمثلث بإزاء البلغم ، والهم بإزاء المِرَّة الصفراء . فإذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع ، وأنتجت الضَّرب ، وهو رجوع النَّفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة .

وأوَّل من اتَّخذ الدُّفَّ لوبا بن الملك .

واتَّخذت العرب القصَّب والتوقيع عليها .

واتَّخذت الفرس الصُّنوج وأشباهها .

وكلَّ ذلك موضوعُ نَقَرَات معدودة ووقَّفات بينها .

وأوَّل من غنَّى من العرب على العود بالحنَّان الفرس النَّضر بن الحارث بن كِلدة . وقد وفد على كسرى بالحيرة ، فتعلَّم ضرب العود والغناء . وقديم مكة فعلم أهلها .

وأوَّل من غنَّى في الاسلام سعيد بن مسحج . وقيل طُونِس ، وذلك أنَّ عبد الله بن الزبير لَمَّا وهي بناء الكعبة رفعها وجدَّد بناءها ، وكان فيها صنَّاع من الفرس يغنون بالحنَّانهم ، فوقع عليها ابن مسحج الغناء العربي . ثم دخل الى الشام فأخذ عن أَلْحان الرُّوم ، ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود وأتبعه مَنْ بعده .

قيل ، وقد بُدِئ هذا العلم بِطَلِيموس وختم الآن بِإِسحاق بن ابراهيم الموصلي (يظهر أنَّ كاتب هذا الكلام معاصر لإسحاق بن ابراهيم الموصلي . أي

من القرن الثالث . والعبارة الواردة غير موجودة في الدرر . انتهى .
كذا حكاه غير معزو إلى أحد . وإنما ذكرنا ذلك على ما فيه من الفائدة ،
لأن أربابه كانت /224/ على عهد المأمون رحمه الله ، وتكلم فيه بمجلسه ،
فناسب ذكره واقتضاء المقام . انتهى .

قيل ، إن المأمون كان ناظر سهل بن هارون في حكماء اليونان وما قد
تكلّموا في الحكمة وعلم الفلك وغير ذلك ، فوجده ماهراً .

فسأله عن اسقيلينوس (الدرر : «جالينوس») ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد
قال : «إن الله تعالى أوحى إلى اسقيلينوس أنني إلى أن أسمى ملكاً أقرب من
تسميتك إنساناً» . وكان معظماً عند اليونان ، يستسقون بقبيره ، ويوقدون عليه
كل ليلة ألف قنديل . وخلف ابنين ماهرين في صناعة الطب ، وعهد إليهما ألا
يعلما الطب إلا لأولادهما وأهل بيتهما ، ولا يدخلوا في هذه الصناعة غريباً .

وكان تعليم الطب تلقيناً إلى أن وضع بقراط الكتب . وهو السادس عشر
من ولده . قال جالينوس : وأما صورته ، يعني المصورة في الهيكل ، فصورة
رجل مليح ، قائم مشمر ، مجموع الثياب ، يدل بهذا الشكل على أنه ينبغي
للأطباء أن يستعدوا في جميع الأوقات آخذاً بيده عصاً معوجة ذات شعب ،
يدل بذلك على أنه من تمكن في صناعة الطب وبلغ به من السن يحتاج إلى عصاً
يتوكأ عليها . وقيل إنما صورة العصا لأنها كانت من شجر الخطمي ، وأنه
كان يطرد بها الأمراض ، وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن
فيه . ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر ، وهو التين ، ويقرب
من هذا الحيوان لأشياء كثيرة ، أحدها أنه حيوان حاد البصر كثير
/224ب/ السهر ، وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد ،
والثاني أنه يسلخ لباسه بما يفيد من الصحة ، والثالث أنه طويل العمر
وعلى ذلك تحرص بعض الأطباء .

ويروى أنه عاش تسعين سنة . من كلامه : الصنعة عند الكفور إضاعة

للنّعمة بغير معرفة ، كحمار الطّاحون يمشي ولا يبرّح ولا يعرف ما هو فاعل .
 (بياض بمقدار أربع أو خمس كلمات ، وهي التالية ، من الدرّ ، الموضع السابق) [وناظره المأمون على العالم العلوي] فقال : يا أمير المؤمنين ، أوّل من تكلم فيه هُرمس . وهو الذي يزعم قوم من الصابئة أنه نبيّ مرسل ، وأنه إدريس عليه السّلام ، ويُسندون اليه شرائعهم ، من تعظيم الكواكب السبعة والبروج الإثني عشر ، والتقرّب اليها بالذّبائح والدّخن وما أشبه ذلك من مذهبهم . وهو أوّل من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النّجومية . وجدّه كيومرت ، وهو آدم عليه السلام ، علّمه ساعات الليل والنهار ، وهو أوّل من بنى الهياكل ومجدّد الله تعالى فيها ، وهو أوّل من نظر في الطبّ وتكلم فيه وصنّف لأهل زمانه كتبًا كثيرة بأشعار موزونة بلغتهم في معرفة الأشياء العلوية والأرضية ، من الماء والنار . وكان مسكنه مصر ، فحين ذلك بنى الأهرام ومدائن التراب . وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي والجبل المعروف بربات أحميم ، وصوّر فيها الصناعات نقشًا وأشار الى صفات العلوم لمن بعده ، حرصًا على تخليدها من بعده .

وتزعم الصابئة أنّ النبوة بعده لإسقبليّوس ، وكان اسمه بليوس . قد أخذ /225/ العلوم والاسرار عن هُرمس هذا ، وهو هُرمس الهرامسة . وزعم آخرون أن هُرمس صاحب بليّوس كان بعد الطوفان ، وهو غير هذا .

وقال الكندي : هو صاحب كتاب الحيوان ذوات السّموم . فكان حكيماً طبيباً فيلسوفاً عالماً بطبائع الأدوية ، جوالاً في الأرض طوّافاً بالبلاد ، عالماً بنصّب المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها . وهو صاحب الطلسمات الأندلسية ، مثل السّودانية النّحاس وغيرها .

وكان بليّوس هذا ، تلميذه ، سافر معه البلاد . فلمّا خرجا من الهند الى فارس خلّفه يبايل ، وكان قد أخذ عنه جميع علومه . وظهرت له في الطبّ وإبراء المرضى وقائعٌ معجزة الى أن اكثرت فيه الأقاويل . فقالوا هو نبيّ وقالوا

ملك . وزعموا أنَّ مولده روحانيّ ، وأنَّ الله تعالى رفعه في عمود من نور .
 (في الدرّ «أقليدس ينسب إليه» وهو الذي وضع علم الطبّ في هيكل ،
 يعرف بهيكل اقبلنيوس (في الدرّ «اسقنبليوس» ؛ ويدلّ على ذلك قول
 جالينوس في بعض كتبه : إنّ الله تعالى لما خلّصني من ديبية قتالة كانت عرضتُ
 حجّجتُ الى بيته المسمى بهيكل اسقنبليوس (في الدرّ «اسقنبليوس» . ويقال
 إنّ هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورةٌ تكلم الناس مركبةً على حركات
 نجومية ، وأنه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة . انتهى .

[ثم سألّه عن أرسطاطاليس ، فقال :] (في الدرّ 141 ب : «ثم قال
 المأمون لسهل بن هارون : يا فيلسوف الاسلام وفريد العصر والأوان ، أخبرني
 عن أرسطوطاليس . قال : يا أمير المؤمنين ، هو أرسطاطاليس بن يتقوماخوس
 المعروف بالمعلّم الاول . وأما سميّ بذلك لأنه أوّل من وضع التعاليم المنطقية
 وأخرجها من القوة الى الفعل . وحكّمه حكم واضح النحو وواضع العروض .
 وكان تلميذ أفلاطون وكان يحبه . وسبب محبته له / 225 ب / وإلقاء علومه اليه
 أنّ أباه كان قد أسلمه لأفلاطون صغيراً ومات ؛ فبقي أرسطاطاليس يتيمًا في
 خدمته . وكان روفسطاليس الملك قد اتخذ لولده بطافوروس بيتًا للحكمة ،
 وأمر أفلاطون بتعليمه .

وكان غلامًا متخلّفًا ، قليل الفهم ، وأرسطاطاليس غلامًا ذكيًا حاذقًا .
 فكان أفلاطون يعلم بطافورس الأدب والحكمة ، وأرسطاطاليس يتلقّى ذلك
 سرًّا ويرسّخ في صدره . حتى إذا كان يوم العيد ، زُيّن بيت الذهب الذي هو
 بيت الحكمة ، وألبس بطافورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة ،
 وصعد أفلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة ، وأشرف على رؤوس
 الاشهاد ، فلم يورد الغلام شيئًا ، ولا نطق بحرف ، فسقط ما في يد أفلاطون
 واعتذر بأنّه لم يقصّر في الإلقاء عليه ، ثم قال : معشر التلامذة ، من فيكم ينوب
 عن بطافورس ؟ فأبتدر أرسطاطاليس وصعد الى المجلس المعروف بمجلس

الشرف ، وأخذ يسرد جميع ما ألقاه أفلاطون الى ابن الملك ، لم يغادر منه حرفاً .
فقال أفلاطون : أيها الملك ، هذه الحكمة التي ألقيتها على ولدك قد حفظها هذا
اليتيم ؛ فما احتيالي في الرزق والحرمان !

ثم انصرف الجميع وقد اغتبط أفلاطون بأرسطاطاليس واعتنى به بعد
ذلك ، ومكث عنده نيفاً وعشرين سنة . وكان يُكثر تعظيمه ، بحيث إنه كان
إذا جلس فيُستدعى منه الكلام يقول : إصبروا حتى يحضر الناس ! وربما قال :
يحضر العقل ! فإذا حضر أرسطاطاليس ، قال : تكلموا !

ثم مات أفلاطون وقد أخذ عنه أرسطاطاليس جميع علومه ، /226/
وخالفه في مسائل استدركها عليه . وكان يقول إني لأحب أفلاطون ونحب
الحق ، فإذا افرقا فالحق أولى بالحب !

ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال : إنما فضل الناس على البهائم
بالمنطق ، فأحقهم بالإنسانية أبلغهم منطقاً وأوصلهم الى عبارات ذات نفسه
بالإيجاز . وله في ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك في جميع علوم
الحكمة والفلسفة .

وكان قد سلّم الاسكندر بن فليس من أبيه ، وعلمه وهنّبه . وولي
الإسكندر المملكة ، وكان لا يُيرم أمراً ولا ينقضه إلا بإشارته . فكان بمنزلة
الوزير والمشير الى أن توفي الإسكندر . فعاش بعده قليلاً ومات . فوضعت جثته
في إناء من نحاس ، وقيل في خشبة كالتابوت ، وعُلقت في جزيرة صقلية ، فكان
أهل البلد يجتمعون اليه عند المشاورة والمداخلة في قول الحكمة ويقولون إن
مجيئهم الى ذلك الموضع يُذكّي عقولهم ويصحّ فكرهم ، وربما استسقوا
بقبره في الجذب .

ومن كلامه ، ممّا كتب به الى الإسكندر وهو في غاية البلاغة : «أيها
الملك ، لا تنخدع الى الهوى ، وإن قيل لك إن في انخداعك له خداعة ، فقد
يسترسل الانسان وهو يظنّ أنه محتفظ . وأجمع في سياستك بين بدار لا حدة

فيه وريب لا غفلة معه ، وأمزج كلَّ شكل بشكله حتى تزداد قوتك ، وكن عبداً للحق فبعد الحق حرّ ، وليكن وكذلك الإحسان الى الخلق . ومن الإحسان وضع الأشياء في موضعها ، وكن نصيح نفسك ، فليس لك أرأف بك منك ، وإذا أشكل اليك أمر فتضرّع الى الله تعالى الذي بلغك هذه الغاية ، فإنه يفتح بك المغلق ، وإذا /226ب/ فاتك شيء فأعلم أنّ ذلك ليس هو عرض في الشكر على ما أفادك . ومهما أخطأك شيء فلا يخطئك الفكر في الرحيل عن هذه الدار .

ومن كلامه : إنّ لكلّ شيء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار . وقال (في الدر 143) من قوله سلوا ، الى المصائب وقع تأخيرها عما بعده ، وانظر فيما يلي ص /229ب/ ، فقد أعاده منسوباً الى بقراط : سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لا تقبل الرشا . وقال : مقدّم الرأس للفكر ، ومؤخره للذكر ، والدليل على ذلك أنّ المتفكر يطأطئ رأسه والمتذكر يرفع رأسه ! وقال : من علم أنّ الفناء مستوّل على كونه هانت عليه المصائب ! ورأى إنساناً سمين البدن فقال : ما أشدّ عنايتك برفع سور جسمك !

وحكى عبد الله بن طاهر أنّ المأمون قال : رأيت رجلاً في المنام قد جلس مجلس الحكماء ، فقلت له : من أنت ؟ قال : أرسطاطاليس الحكيم . فقلت : أيها الحكيم ، ما أحسن الكلام ؟ قال : ما يستقيم في الرأي . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما يستحسنه سامعه ! قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما لا تخشى عواقبه . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما عدا هذا هو ونهيق الحمير سواء ! ثم قال المأمون : ولو كان حياً ما زاد على هذا !

وقد قيل إنّ هذا الكلام وُجد في كتبه . انتهى .

قال في شرح رسالة ابن زيدون : إنّ أفلاطون بن أرسطس الالهى آخر المتقدمين الأوائل معروف بالتوحيد والحكمة . ولد في زمن أزدشير الأول ، وتلمذ لسقراط . ولمّا اعتلّ سقراط ومات مسموماً قام مقامه وجلس على

كرسيه . وقد أخذ العلم من سقراط وطيماوس . وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورث وغيره ، وضمّ الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية . وهو أحد المشائين /227/ المشهورين ، ومعنى المشائين أنه كان من رأيهِ الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحال .

ويقال إنه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم ، فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة وتصوّر فيها أصناف الصوّر المستحسنة ، التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلّم فيها الصبي ، فإذا حفظ علماً أو حكمة صعد يوم عيد على دُرّج الى مجلس بديع الصفّة ، وقد اجتمعت كبارُ أهل المملكة ، فيتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤوس الأشهاد وعليه التاج وسمي حكيماً . وكلّ ذلك ترغيباً للصبي في الاشتغال لما يحصل له من التشريف والسّرور في ذلك اليوم .

(الدرّ 142أ) «قال سهل ثم ظهر أمر أرسطاليس كما سيأتي ذكره ، ولأفلاطون .» (ولأفلاطون المذكور آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس ، وخالفه في بعضها ؛ مثل حدوث العالم وغيرها .

وكان يُصوّر لأفلاطون ويجيء بها اليه ، فيقول إنّ من خلق هذه كذا ومن حالها («خالها» ونظنها خطأ) كذا ؛ فصوّرت له صورته وسئل عنها فقال : من خلّق صاحب هذه الصورة كذا وكذا ! وهو محبّ للزنى ، فقيل : له إنها صورتك ! فقال : نعم ، ولو لا أنّي أحبس نفسي عن الزنى لفعلت (من قوله وكان يصور الى لفعلت ، غير موجدة في الدرّ 142أ) .

ومن كلامه : إنّ الله تعالى ما يُعطي من الحكمة إلا يمنع من الرّزق (في الاصل ، بسقوط «إلا» . قيل له : ولم ؟ قال : لأن الحكمة حظّ النفس الناطقة والمال حظّ النفس الشهوانية . والناطقة عالية على الشهوانية . والمال والحكمة متغايران ، فلا يجتمعان .

وقال : لا ينبغي إن فعلتَ شيئاً إذا عيّرتَ به غضبتَ ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت القاذفَ لنفسك .

وقال : عقول الناس مدوّنة في رؤوس /227ب/ أقلامهم وظاهرة في اختياراتهم . وقيل له : بماذا يتتصف الإنسان من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلاً في نفسه .

وقال في معنى المُلْك : هو كالبحر تستمدّ منه الأنهار ، فإن كان عذّباً عذبت وضدّ ذلك .

وقال : ينبغي للذين يأخذون على أيدي الأحداث أن يدعوا لهم موضعاً للعذر لكلا يضطروا الى الحجّة بكثرة التويخ .

وقيل له : إن فلاناً لا يعرف الشرّ ! قال : فإذا ، لا يعرف الخير ! يريد أن يكون الأمور مميّزة عند الإنسان ، فإنه بعد تمييزها يختار منها ، وإذا لم يوضّحها التمييز بطل اختياره ، ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع في مهلكاتها .

وقال : من القبيح أن نمتنع من الطعام اللذيذ لتصحّ أبداننا ولا نمتنع من القبائح لتصفو نفوسنا . انتهى (هنا انتقل الدرّ الى أخبار ارسطاطاليس) .

ثم سأله عن بطليموس ، فقال : يا أمير المؤمنين هو صاحب المجسطي الكبير ، وجغرافيا ، والأسطرلاب ، وكتاب اللّحون الثمانية وغير ذلك ، وهو أوّل من شرح القول على هيئة الافلاك ، وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل . وأكثر الرواة يقولون إنه ثالث ملوك اليونان بعد الإسكندر . وسبب تملكه أنّه لما مات ملك اليونان لم يكن في أهل بيت الملك من يصلح للمملكة ، فذكر اليونان رجلاً يصلح ، فقال بطليموس : إنه لا يصلح للملك ! قالوا : ولِمَ ؟ قال : لأنه كثير الخصومة ، وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالماً أو مظلوماً ، فإن كان ظالماً لم يصلح للملك لظلمه ، وإن كان مظلوماً لم يصلح لضعفه . فقالوا : صدقت ، وأنت أولى بالملك ! فملكوه عليهم .

وقال /228/ بعض أهل التاريخ : ليس بطليموس الحكيم من ملوك اليونان ، بل هو رجل حكيم ، كان في زمن انطيوخس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة . والدليل على أنه ليس من ملوك اليونان أنه ذكر في كتاب المجسطي أنه رصد الشمس بالاسكندرية لبُحْتَ نصر سنة ثمانمائة وثمانين سنة . وكان بُحْتَ نصر قبل غلبة الاسكندر على دارا ، ودارا قبل زوال ملك اليونان على يد أغسطس ، ومنذ غلب أغسطس الى أن ملك انطيوخس مائة وتسعون سنة .

وهو الذي وضع الأسطرلاب ، وهو باللغة اليونانية ميزان الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك ، وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الأُكْرَةُ (الأكرة ، الحفرة وفي الاصل : «الأكرة») . والأسطرلاب ، كَرَّة مطبوعة مثل كرة من شمع ضُمَّت («ضممت») عليها اليدان فصارت دائرة . وزعم بطليموس أن الافلاك تسعة ، فأولها أقربها الى الأرض وهو أصغرها وهو فلك القمر ، ثم الذي يليه فلك عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ، ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم الثامن فلك البروج ، وفيه سائر الكواكب الثابتة ، ثم التاسع الفلك الأعظم الحاكم على جميع الافلاك ، ويسمى الأثر ، لأنه يؤثر في غيره وغيره لا يؤثر فيه ، والقمر ، لأنه يدير الافلاك دورة قسرية في كل يوم وليلة . وهيئات البروج مثل البطيخة المخططة أعلاها وأسفلها كالتقطتين ، وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج . ثم إن الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية ، يدور من المغرب الى المشرق ؛ وشبهوا ذلك بسفينة /228ب/ تجري مع الماء وفيها رجل يمشي مُصْعَدًا .

وحكى أبو حيان التوحيدي أن ابن مكبر يقول : دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ، ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين . وهذا من آرائه التي انفرد بها ، ولم أجد أحدا يوافقه عليها ، والصناعة برهانية ولا أعرف أي برهان قام له على هذه الدعوى .

ومن كلامه : ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهي ، وأحسن منه أن

لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال : ينبغي للعاقل أن ينظر كل يوم وجهه في المرآة ، فإن رآه حسنًا ، لم يشينه بقيح فعله ؛ وإن رآه ذميمًا لم يجمع بين قبيحين !

وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه ، فهز رُمحًا بين يديه ليعلموا أنه بمسمع منهم وأن يتباعدوا منه قَدْر رُمح ثم يقولون ما أحبوا .

وكان يقول : إنما نحن كائنون في الزمان الذي يأتي من بعد هذا زمرًا الى المعاد ، إذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والعالم .

ثم سألته عن أبُقراط فقال : يا أمير المؤمنين ، هو بقراط بن إقليدس ، كان في زمن بهمن بن اسفنديار . ويقال إنه سابع الأطباء الذين أوله اسقلينيوس ، وهو قبل سُقراط وأفلاطون ، وهو الذي نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبعد لقلة أبناء المعروفين بها من آل أسقلينيوس . فإنهم كانوا يلقونها لأبنائهم ولا يكتبونها ليتعلمها غيرهم . فبث بقراط هذه الصناعة في الناس وعلم الغرباء وعهد الى الأطباء عهدًا طويلًا مشهورًا .

قال جالينوس في بعض كتبه : إن أبُقراط كان يعلم ما كان يعلمه من الطب من النجوم ما لم يكن يدانيه فيه أحد من أهل زمانه ، وكان يعلم أمر الأركان التي منها تركيب أبدان /229/ الحيوان وكون جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد ، وفسادها . وهو الذي برهن كيف يكون الصحة والمرض في جميع الحيوان والنبات ، واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها .

وهو أول من اتخذ المارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعًا مفردًا للمرضى ، وجعل لهم خدمًا يقومون بخدمة هؤلاء المرضى ، وسماه أنخشيديوكان ، أي يجمع المرضى . وأما لفظ البيمارستان لفظ فارسي .

ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك ، حتى إن ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبُقراط اليه لأجل وباء عرّض في بلاده ، وأن يحمل

اليه مائة قنطار ذهباً ويضمّن اليه إقطاعاً مثلها يستعين به على إخراجهم اليه ،
وضمّن له مهادنة سبع سنين . فلم يُجب أبقرات الى ذلك . وقال أهل المدينة :
إن خرج أبقرات خرجنا كلنا وقُتلنا دونه !

وتفسير أبقرات ضابط الحيل . وكتب كتباً جلييلة وأخباره حسنة .

ومن طرائف حكاياته ، أن وُلدَ أحدُ الملوك عشيق جارية من حظايا أبيه . فنحلَّ
بدنه واشتدّت علته وهو كاتمٌ خبره . فأحضر أبقرات ، فجسّ نبضه ، ونظر الى
بشرته فلم ير عليه علة . فذاكره حديثَ العشيق ، فراه يهتزّ لذلك ويطرب فاستخبر
الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر . فقال : هل خرج عن الدار ؟ فقالت !
فقال لأبيه : مرّ رئيس الخَصِيان بطاعتي ! فأمره بذلك ، فقال : أخرج عليّ النساء !
فخرجن وأبقرات واضعٌ يده على نبض الغلام . فلما خرجت الحظيّة اضطربَ
عرقه وخار طبعه . فعلم أبقرات /229ب/ أنها المعنية بهواه . فصار الى الملك
وقال : إن ابنك عاشق لمن الوصول إليها صعب ! قال الملك : ومن تلك ؟ قال :
هي زوجتي ! قال : إنزل عنها ولك منها بدل ! فتمنّع أبقرات ، وقال : هل رأيت
أحدًا كلّف أحدًا طلاقَ امرأته ، ولا سيمّا الملك في عدله وإنصافه يأمرني بمفارقة
زوجتي وهي غديلة روعي ! فقال الملك : إني أوثر ولدي عليك فأعوضك أحسنَ
منها ! فأمتنع ، حتى بلغ الأمر به الى التهديد والسيوف ، فقال أبقرات : إن الملك لا
يُسمّى عادلاً حتى يُنصفَ من نفسه ما يُنصف من غيره ؛ رأيت لو كانت العشيقَةُ
لابنه حظيّة الملك ! ففطن الملك له وقال : يا أبقرات ، عقلك أتمّ من معرفتك !
ونزل عن الحظيّة لابنه ، وشفّي الفتى .

ومن كلامه : سلّوا القلوبَ عن المودّات ، فإنّها شهودٌ لا تقبل الرّشا (تقدم
هذا في /226ب/ وقد نسبه الى أرسطاطاليس) .

وقال : الإقلال من الضّار خيرٌ من الإكثار من النافع . يعني في المأكّل
والمشرب .

وقال : خيرُ الغدّاء بواكره ، وخيرُ العشاء بواصره ، والمبادرةُ به في بقايا

النهار والضوء متمكّن أولى من الدخول به في حدة النوم .

وقال : إستهينوا بالموت ، فإن مرارته في خوفه .

وسئل : كم ينبغي للإنسان أن يُجامع ؟ قال : في كلّ سنة مرة ! قيل : فإن

لم يقدر ؟ قال : في كلّ شهر مرة ! قيل : فإن لم يقدر ؟ قال : في كلّ أسبوع

مرة ! قيل : فإن لم يقدر ؟ قال : هي روحه متى شاء أخرجها !

ولمّا حضرته الوفاة قال : خذوا منّي العلم ، من كثر نومه ، ولانت طبيعته

ونديت جلده طال عمره .

ثم سأله عن جالينوس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هو آخر /230/ الحكماء

المشهورين ، ويسمّى خاتمة المعلمين . وذلك أنه عندما ظهر وجد صناعة الطبّ

قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، ومُحيت محاسنها ، فانتدب

لذلك ، وأبطل آراءهم ، وشيّد رأي أبقراط والتابعين له ، وساح وتطلّب

الحشائش وجرب وقاس أمرجتها وطبائعها وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب

النفيسة في هذه الصناعة ، وهي مادة الأطباء الى اليوم . وأشهرها الكتب الستة

التي شرحها الإسكندرانيون ، ولم يأت بعده إلا من هو دون منزلته .

وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ، ولم يره . وحكي أنه لمّا

بلغه من دعوة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، من إحياء الموتى وخلق الطير

وإبراء الأكهم والأبرص ، قال لمن حوله من التلامذة : إن علّم من هذا المدّعي

بما لا يُستقلّ به من الطبيعة سفة قبل ما أدّعه لا يخاطب ويحمل فيما أدّعه

على ما تقدّم العلم من السفة ، وإن لم يُعلم منه سفة تقدّم دعواه يُطلب بالبيان ،

لإمكانه مما وراء عالم الطبيعة ؛ وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كلّ قرن

يأتي في الزّمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد في الأرض ، سبيله الدعوى بما

لا يستقلّ به الطبيعة لأنقياد الناس الى طبيعة بعد القيام بصحة ما أدّعه ، فمن

سلك سبيله بعد ذلك تمتّ حركته .

ثم تجهز للاجتماع به ، وسار اليه ، فمات في طريقه بمدينة العرنا ، وهي شاطيء بحيرة تقيس ، وبها قبره .

ولما اشتد به المرض قيل له : ألا تتداوى ؟ قال : إذا نزل قضاء الرب بطل حذر المريب ، ونعم /230ب/ الدواء الأجل ! ومات مبطوناً .

وكان أرسطاطاليس مات بالسل ، ومات أفلاطون مبرئاً ، ومات أبقرط مفلوجاً . سبحان من قهر عباده بالموت ولم تغن عنهم حكمتهم شيئاً !

ومن حكاياته ، أنه قال : مررت بشيخ يزرع شجرة ، فقلت : ما تزرع ؟ فقال : شجرة ثمرتها لي ولك ! فقلت : وما هي ؟ قال : شجرة المشمش ، ثمرتها لي ، لأني آخذ ثمنها ، وهي تكثر المرضي فتأخذ أنت من أموالهم .

[وحكى عن نفسه في معرفة التشريح ، قال : أعرف رجلاً شكاً ضعيف شهوة الطعام ، فوضعتُ على رقبتِه أدوية مقوية ، فبرئ ، لأن في العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة إلى فم المعدة نأى منها الحس ، وكان في رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الأطباء ، فأضر ذلك بتلك القصبة التي منها الشعبة وبرئت رقبتُه وصار ضعيف الشهوة عن الطعام ، ووضعت عليها الادوية المقوية فبرئ].

ومن كلامه : الإنسان سراج ضعيف ، فكيف يدوم ضوء بين رياح أربع . يعني الطبائع .

وقال : الإنسان إلى تجنب ما يضره أحوج منه إلى تناول ما ينفعه .

وقال : من كان له مال ، فليجعل نصفه في النرجس ، فإنه راع للدماغ ، والدماغ راعي العقل !

انتهى ، كذا وجدناه بالمسودة غير معزو ، والظاهر أن هذا ليس جميعه مخاطبة سهل للمؤمن ، وإنما أدخل فيه كلام غيره مع عدم تبينه ، والله أعلم . (يزيد الدر ، ص 146أ ، بعد قوله والدماغ راعي العقل ، فقرة طويلة يظهر

أنها شرح لمتن طبّي مسجوع ، فيه لسهل بن هارون حديث عن العلاج والمزاج والأعضاء والدواء .

[وكلاهما قلّدك في العلاج ، وسألك عن المزاج .

قلت : العلاج والمعالجة في اللغة المغالبة ، وسمّي الطبيب علاجًا ، لأن الطبيب يغالب المرض . وقال بقراط : يعالج الجسد على خمسة أضرب ، ما في الرأس بالغرغرة ، وما في المعدة بالقّيء ، وما في أسفل المعدة بالإسهال ، وما بين الجلد بالعرق وإسهال الدم . ويحتاج ذلك الى علم الأصول من الاسطفسات والطبائع والأخلاط والقوى والأرواح والأسباب وغير ذلك .

والمزاج في اللغة ، خلط الشراب ، يعبر به الأطباء عن تكافئ الطبائع واختلاطها في البدن . والمزاج عندهم تسعة : واحد معتدل ، وثمانية غير معتدلة . وفي الثمانية أربعة مفردة : وهي الحارّ والبارد والرطب واليابس . والأخلاط أربعة : الدّم والمِرّة والصّفراء والمِرّة السوداء باردة يابسة ، وتُعرف باقسام الأسباب والعلامات ، ويُعرف مزاج غير ذلك بالتجربة والقياس .

وأستوصفك تركيب الأعضاء ، وأستشارك في الداء والدواء .

يشير بذلك الى معرفة التشريح التي أحكمها جالينوس ، وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة .

والأعضاء عندهم على قسمين ، قسم مركّب وقسم بسيط ؛ فالبسيط كالعظم والعصب والعروق ، والمركب كالرأس واليدين والرجلين . ومن الأعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرووسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرووسة . فالرئيسة أربعة ، الدّماغ والقلب والكبد والأنثيين ؛ والمرووسة ما يخدم هذه الرئيسة ، وذلك أن الدّماغ يخدمه العصب ، والقلب يخدمه الشرايين ، والكبد تخدمها العروق ، والأنثيين أوعية المنى . وما ليس برئيس ولا خادم ، كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والأعضاء التي لها قوة المعدة والكلى .

والدَّاء ، هو المرض الداخل على الأبدان . وأجناسه ثلاثة : الأول فساد المزاج ، والثاني تفريق الاتِّصال ، والثالث المرض المشترك .

والدَّواء ، ما يُحفظ به الصَّحَّة المزيلة عن البدن ، وما يجلب به الصَّحَّة للبدن المزيلة له . وهو نفس القسم العملي ومداره على الحذق . وكان بقراط يقول : الطبيب الحاذق يُصَيِّر السُّمَّ دواءً نافعاً ، والجاهل يُصَيِّر الدَّواء سُمًّا قاتلاً ، مثال ذلك الجاهل بالطبِّ إذا أخذ الصَّنْدُل فسَحَقَهُ كالْكُحْل ثم طلاه على بدن حارٍّ ، كثير الحرارة ، طلياً ثخيناً دخلت تلك الأجزاء الرقيقة في منافس الجسد ومسامه فيؤذي العليل ؛ والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندي فيسحقه سحقاً ناعماً ثم يطليه على البدن طلياً رقيقاً فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبرِّدها ويجدُّ الحرَّ سبيلاً الى الخروج فيكون حرارة العود مبردة بتبريد الطبيب الحاذق . انتهى] .

روض زاهر وحكيم ماهر

قد تقدم ذكر سهل ، قتيبي أن يُعرَف ليُعرف (انظر كتابنا «سهل بن هارون ، حياته وأدبه» تونس 1980) . قال (الدرر 140أ) بعضهم : كان في أوَّل أمره خَصِيصاً بالفضل بن سهل البرمكي ، ثم قدَّمه الى المأمون ، فأعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتباً على خزائن الحكمة ، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت الى المأمون من جزيرة قبرص ، فأغبط بها المأمون وأمر الحكماء بتعريبها . وكان سهل خازنها ، فصنَّف وكتب على منوال كتب منها .

وهو سهل بن هارون بن راهبون الكاتب ، ويكني أبا عمرو ، من أهل نيسابور . نزل البصرة فنسب اليها ، ويقال إنه كان شعوبياً /231/ ، والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصَّب عليها للفرس . وقد انفرد في زمانه بلاغة وحكمة ، وصنَّف الكتب الحسنة معارضاً بها كتب الأوائل حتى قيل له بزرجمهر الإسلام . وله اليد الطولى في النظم والنثر . وكان في أوَّل [الامر] خصيصاً

بالفضل بن سهل كما قدّمنا . وصنّف كتاب عفرا وثعلب ، عارض به كتاب
كليلة ودمنة ، وكتب سيرة المأمون ، ووضع كتاباً في مدح البخل ثم أهداه
للحسن بن سهل ، فكتب اليه الحسن : «قد مدحت ما ذم الله وحسنت ما قبح
الله تعالى ، وما يقوم بفساد صلاح لفعلك ؛ وقد جعلنا ثوابك فيه قبول قولك ،
فما نعطيك شيئاً !

وكان سهل بن هارون من أبخل الناس ، وله في البخل وغيره نوادر حسنة .
حكى الجاحظ أنّ سهلاً لقي رجلاً فقال : هب لي ما لا ضرر به («ملا رزيه»
وفي الدر 140 ب «ما لا مزية عليك به») عليك ! فقال سهل : وما هو يا
أخي ؟ قال : درهم ! فقال سهل : لقد هونت الدرهم ، وهو طائع الله في
أرضه ، الذي لا يُعصى ، وهو عُشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر
الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هونته ،
وهل تنمو الاموال الاّ بدرهم على درهم . فأنصرف الرجل ولو لا انصرافه
لم يسكت .

وحكى دعبيل الخزاعي قال : أقعنا يوماً عند سهل ، وأطلنا الحديث حتى
أضرّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فأوتي بصفحة فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ
كسرة وتفقد ما في الصفحة فلم يجد رأس الديك ، فبقي مطرقاً ثم قال لغلامه :
أين الرأس ؟ قال : رميتُ به . قال : ولم ؟ قال : لم أظنك / 231 ب / تأكله !
قال : ولم ظننت ذلك ، فوالله إني لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ، والرأس
رئيس يُتفادى به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولو لا صوته ما
أتيقظ ، وفيه فرقته الذي يُتبرك به ، وعينه التي يضرب بصفائها المثل ، ودماغه
عجيب لوجع الكلية ، ولم نرَ عظماً قط أهشّ من عظم رأسه ، فإن كان بلغ من
نُبلك ألاّ تأكله فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح أو
الساق ؛ انظر أين رميته . قال : لا والله ، لا أدري ! قال : أنا أدري أنك رميت
به في بطنك !

وحكى الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتبها الى الحسن بن سهل ، يستعينه على ضائقة لحقته ، فكتب له رقعة ودفعها اليه فأوصلها الى الحسن ، فلما قرأها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل ، وإذا فيها :

إنَّ الضَّمِيرَ إذا سألْتُكَ حاجة لأبي الهذيل خلافُ ما أبدي
فأمنحه روح اليأس ثم امددْ له حبل الرجاء بمُخْلِيف الوعدِ
حتى إذا طالت شقاوة جَدّه وعنائه فأجبهه بالردِّ
وإن استطعتْ له المضرة فاجتهد فيما يضرّ بأبلغ الجُهدِ

ثم قال الحسن : هذه صفته لا صفتنا ، وأمر لأبي الهذيل . فعاد أبو الهذيل فعاتبه . فقال سهل : أترى أين غرُب عنك الفهم ، أما سمعت قولي «إنَّ الضمير خلاف ما أبدي» فلو لم يكن ضميري الخير ما نلت هذا ! وهذه من مغالطات سهل وبلاغته .

ومن محاسن تعريضاته أنه خاطب بعض الامراء فقال له : كذبت ! فقال : أيها /232/ الامير ، إن وجه الكتاب لا يقابلك ، يعني نفسه بذلك ، لأن وجه الانسان لا يقابله .

ويروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل ، فدخل عليه يوماً وقال : يا أمير المؤمنين ، ظلمتني وظلمت فلاناً الكاتب . فقال : ويلك ، وكيف هذا ؟ قال : إنك رفعتني فوق قدره ووضعني دون قدري ، إلا أنك له في ذلك أشدَّ ظلمًا ! قال وكيف ؟ قال : لأنك أقمته مقام هزار وأقمتني مقام رَحْمَة ! فضحك المأمون وقال : قاتلك الله ما أهجأك ! ثم رضي عنه . وقد رويت هذه الحكاية لغيره .

وحكى أن سبب رضا المأمون عنه أنه تكلم بكلام حسن في محفل فقام سهل فقال : ما لكم تسمعون ولا تعجبون ، أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل ! فأعجب المأمون قوله

ورضي عنه .

ومن كلامه : التعزية على آجل النوائب أولى من التعزية على عاجل المصائب .

وقال : مصيبة في غيرك لك أجرها خير لك من مصيبة فيك لغيرك ثوابها .

وقال : حَقَّ على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها .

وكتب الى صديق له : «أما بعد ، فالسلام على عهدك ، وداع ذي ظن بك ، في غير مقلة لك ، ولا سلوة عنك بك ، استسلاماً للبلوى في أمرك وإقراراً بالعجز عن استعطافك الى أوان فيأتك ، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك» .

وقال : تعلموا العلم ، فكلن يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم .

وقال يوماً : ثلاثة من المجانين ، الغضبان والغيران والسكران . فقال شخص من العوام : فما تقول في المنعِظ ؟ فضحك ! / 232ب/ وقال :

وما شرُّ الثلاثة أم عمر وعمر بن الخطاب الذي لا تصحيبنا

وكان شذاد الحارثي قد وصف الذهب يمدحُه فأطنب فيه ، والنظام قد ذمَّ الزجاج . فعارضهما برسالة يفضل فيها الزجاج على الذهب يقول فيه : «الزجاج مجلّو (مخلوق) نوري ، والذهب مناع سائر ؛ والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن ، ولا يُفقد معه وجه النديم ، ولا يُثقل اليد ، ولا يرتفع في السوم (السموم) ؛ واسم الذهب يتطير منه ، ومن لؤمه سرعته الى التام ، وهو فاتن فاتك لمن صانه ، وهو أيضاً من مصائد إبليس ، ولذلك قالوا أهلك الرجال الأحمران . والزجاج لا يحمل الوضر (الوضر ، الدرن والدمس . وفي الاصل «الوثير») ولا يتداخله العمر ، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً ، وهو أشبه شيء بالماء ، وصفته عجيبة وصناعته أعجب (وأوردت كتب أخرى هذه الرسالة بشيء من التطويل . انظر كتابنا سهل بن هارون ، حياته وأدبه) .

ومن كلامه في كتابه عفرا وثعلب : «اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدّمًا قبل الذي تؤدونه من فعلكم ، فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في أداء الفريضة شاهدٌ على وهن العقيدة والتدبير ، ومُخلّ بالاختيار ، وليس في نفع تحمده («محمده») عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة» .
ومن شعره :

إن كنت أخطأت أو أسأت معي فضلك مأموى للعون والمتن
أتيت ما استحق من خطأ فجد بما تستحق من حسن

وقال يهجو ذا بيت :

من كان يعمر ما شادت أوائله فأنت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق أن تأتي فعائلهم وأنت تحوي من الميراث ما تركوا

انتهى . /233/

قال في كتاب النصائح لابن ظفر : إنّ المأمون سأل الأصمعي عن ابراهيم بن سيار بن هانيء البصري ، المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحاق ، فقال له : يا أمير المؤمنين هو شيخ من شيوخ المعتزلة ومن أئمتهم ، متقدّم في العلوم شديد الغوص على المعاني . وإنما أدّاه الى المذاهب [التي] استشعبت منه تدقيقه وتغلغله ؛ فإنه كان اطلع على كتب كثيرة من كتب الفلاسفة ومال في كلامه الى الطبيعيين منهم والاهليين ، فاستنبط من كلامهم مسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم ، مثل قوله : إنّ الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، خلافاً لأصحابه ، فإنهم قضّوا بآله قادر عليها ولكنه لا يفعلها ؛ ومثل قوله : إنّ الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت . وقوله : إنّ الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادنًا ونباتًا وحيوانًا وإنسانًا ، ولم يتقدّم خلق آدم على خلق أولاده ، غير أنّ الله تعالى أكمّن بعضها في بعض . وهذا قول أهل الكمون من الفلاسفة . وقوله في القرآن : إنّ في قوى

الشر أن يأتوا بمثله إلا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك . الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الأصوليين . انتهى .

وحكى أن أباه جاء به صغيراً الى الخليل بن أحمد ، ليعلمه . فقال الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج : يا بني ، صف لي هذه الزجاجاة . فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح . قال : نعم ، تريك القذى ، ولا تقبل الاذى ، وتري من وراء ولا تستر ما وري ! قال : فذمها ! قال : يسرع اليها الكسر ، ولا تقبل /233ب/ الجبر . قال : صف لي هذه النخلة ، وأوماً الى نخلة في داره . قال : بمدح أو بدم ؟ قال : هي حلو جناها ، باسق منتهاها ، قاص أعلاها ! قال : فذمها ! قال : صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، مخوفة بالأذى ! فقال الخليل : يا بني ، نحن الى التعليم منك أحوج !

ثم اشتغل على أبي الهذيل العلاف بمذهب أهل الكلام الى أن برع ومهر ، وكان قد تبعه خلق كثير . وكان أصل مذهبهم ، أنه من زعم أن الله تعالى شيء فهو كافر . وكان المأمون لم يكثر به لأجل تخليطه وتلاعبه بالمذاهب ؛ وإنما ظهر في أيام المعتصم . وكان ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مراراً ، فقبل له : أناظر أبا الهذيل ؟ قال : نعم ، وأطرح له زوجاً من عقلي !

وحكى الجاحظ أنه كان من أكبر تلامذته وأصحابه . قال : دخل أبو اسحاق النظام على أبي الهذيل بعد عهده بالمناظرة وقد أسن ، وأبو اسحاق حدث السن فقال : يا أبا الهذيل ، أخبرني عن إقراركم أن يكون جوهرًا مخافة أن يكون جسمًا ، فهل لا أقررتم أن لا يكون جوهرًا مخافة أن يكون عرضًا ، والجوهر أضعف من العرض ؟ فبصق أبو الهذيل في وجهه ، فقال أبو اسحاق : قبحك الله من شيخ ، فما أضعف حجتك !

وحكى في شرح رسالة ابن زيدون قال : مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فمضى اليه أبو الهذيل والنظام معه ، وهو غلام حدث كالمتبوع له ، فرآه محترقاً فقال أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك وجهًا ، إذا كان الناس عندك كالزروع ! فقال صالح :

يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ! /234/ فقال أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظنه قد كان . فقال النظام : فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت ، وشك أيضاً أنه قد قرأ هذا الكتاب وإن كان لم يقرأه ! فخرّص (في الدرّ «خرس») صالح بن عبد القدوس ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية ، فإنهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ، وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده ، وأن حال اليقضان كحال النائم .

وحكى الجاحظ ، قال : تجاريتُ أنا وإياه يوماً حديث الطيرة ، فقال : أخبرك أني جُعْتُ يوماً حتى أكلت الطين ، وما صرت الى ذلك ؛ فقلّبت قلبي أيزكر أهل حيٍّ أو رجل قوم (أو لعله أسقط الاعراب في الكلمتين) نصيب عنده غداء أو عشاء فما خطر ببالي . وكان عليّ جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الأهواز وما أعرف بها أحداً ، وما كان ذلك إلا شيئاً أمر به الضجر ، فوافيت الفُرْضة فلم أصب بها سفينة ، فتطيرت من ذلك . ثم أني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضاً ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم ! قلت : ما اسمك ؟ قال : داود ! وبالفارسية هو اسم الشيطان ، فتطيرت وركبت معه . فلما مر بنا الفُرْضة صحت : يا حمّال ! ومعني لحاف لي وشملة ومضربة خلقي وبعض ما لا بدّ لي منه . فكان أول حمّال أجنبي أعور ، فقلت لبقار كان واقفاً : بكم تكري ثورك هذا الى الخان ؟ وتكارينا . فلما أدناه مني إذ هو عصب ، فازددت طيرة الى طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم .

ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين ، فقلت /234ب/ ومن لي بالموت . فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع إذ سمعت قرع الباب الذي أنا فيه ، فقلت : من هذا ؟ قال : رجل يريدك . قلت : من ، أنا ؟ قال : أنت ، ابراهيم بن سيار النظام !

فقلت هذا عدو أو رسول سلطان . ثم تحاملت وفتحت الباب ، فقال :
 أرسلني اليك ابراهيم بن عبد العزيز ، ويقول لك وإن كنا اختلفنا في المقالة فإننا
 نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحُرمة ، وقد رأيتك حيث مررت بي على
 حال كرهتها ، وينبغي أن يكون دعت («رغب») بك حاجة ، فإن شئت فأقيم
 بمكانك مدة شهر أو شهرين فعسى أن نبعث اليك بجميع ما يكفيك من
 دهرك ، وإن شئت الرجوع فهذه ثلاثون ديناراً قخذها وانصرف وأنت أحق
 من عذر. قال فأورد عليّ أمراً («امر») أذهلني ، أما واحدة فإنني لم أكن أملك
 قبل من دهرى ثلاثين ديناراً ، والثانية أنه لم تطل غيبتى ومقامي عن أهلي ،
 والثالثة ما تبين لي من أمر الطيرة أنها باطل .

وكانت وفاة النظام سنة إحدى وعشرين ومائتين وله من [السن] ستة
 وثلاثون سنة ، وله كلام حسن وشعر رقيق .

فمن كلامه : العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيت
 كلك فإنه من إعطائه لك البعض على خطر .

وقال : مما يدل على لوّم الذهب والفضة مصيرهما الى اللثام ، فالشيء يصير
 الى شبهه .

وقال : إن كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ،
 فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم .

وقال أبو العيناء أنشدت النظام :

إذا همّ النديم له بلحظ تمشت في مفاصله الكلوم / 235/

فقال : ما ينبغي أن يُنادم هذا الأعمى ! ثم أنشد هذين البيتين :

ذكرتك والراح في راحتي فشبّ المدام بدمع غزير
 فإن ينفد الدمع فرط الأسى بكتك الحشا بدموع الضمير

ومن قوله أيضًا :

يا تاركي جسدًا بغير فؤادٍ أسرفت في الهجران والإبعادِ
إن كان يمنعك الزيارة أعينٌ فادخل اليّ بعلّة العوادِ
إنّ العيون على القلوب إذا جنت كانت بليّتها على الأجسادِ

ومن قوله أيضًا :

أريد الفراقَ واشتاقكم كأنّا افترقنا ولم نفتريقِ
وأستغنمُ الوصلَ كي اشتقي وهل يشتفي أبدًا من عشيقِ
وقيل له ، وهو في مرضه وفي يده قدح دواء : ما هذا ؟ فقال :
أصبحت في دار بليّات أدفع آفةً بآفاتِ
انتهى ذكر النظام .

تكميل مرام وذكر إمام

قد تقدّم ذكر الأصمعي مرارًا ، وليذكر على وجه يعرف .
كان صاحب لغة ونحو ، إمامًا في الأخبار والنوادر ، سمع شعبة بن الحجاج
والحماد بن ومسر بن كدام وغيرهم وروى عنه عبد الرحمان ابن أخيه وأبو
عبيدة القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم .
وقال في الكشف : الأصمعي صدوق . وقال عمرو بن شبة : سمعت الأصمعي
يقول أنا أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة .

وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول : ما عبّر أحد عن العرب
فأحسن من عبارة /235ب/ من الأصمعي ، وهو من البصرة وقدم بغداد في
أيام الرشيد . وقال أبو أحمد العسكري : لقد حرص المأمون على الأصمعي وهو
بالبصرة أن يسير اليه فاعتذر بكبره وضعفه ، فكان المأمون يجمع المشكل من
المسائل ويسيرها اليه ليحيب عنها .

وقال الأصمعي حضرت يوما أنا وأبو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع ، فقال لي : كم لك من كتاب في الخيل ؟ قلت مجلداً واحداً . فسأل أبا عبيدة كم صَنَّفَ من كتاب قال : خمسين مجلداً ! فقال له : قم الى هذا الفرس وأمسك عضوا عضوا منه وسمه ! فقال : لست ييطاراً ، وإنما هذا شيء أخذته من كلام العرب ؛ فقال : قم يا أصمعي وافعل ذلك . فقمتم وبمسكت ناصيته وشرعت أذكر عضواً عضواً وأنشد ما قالت العرب فيه الى أن فرغت منه ، فقال : خذه ! وأمر لي بألف دينار ؛ فاستغاض أبو عبيدة عليّ مدة من الزمان ، وكنت إذا أردت أن أغيظه ركبت اليه على الفرس المذكور .

والأصمعي ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ، واليه ينسب وينتهي نسبه الى مضر بن نزار . وكانت ولادته سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة . وتوفي في صفر سنة ستّ عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين بالبصرة ، وقيل بمرو . قال الخطيب : بلغني أنه عاش ثمانيا وثمانين سنة ، وقُريب لقب أبيه واسمه عاصم ، وهو بضم القاف ، وكان جدّه عليّ بن أصمع سرق ، فقامت عليه بيّنة عند علي بن أبي طالب فقطع يده لذلك .

قال المؤيد : وللأصمعي /236/ عدة مصنفات منها كتاب خلق الانسان ، وكتاب الاجناس ، وكتاب الانواء ، وكتاب الصفات ، وكتاب الميسر والقдах ، وكتاب خلق الفرس ، وكتاب خلق الابل ، وكتاب الشاء ، وكتاب جزيرة العرب ، وكتاب النبات وغير ذلك . اهـ .

وعدها ابن خلكان قريبا من خمسة وثلاثين كتابا .

وقال [أبو] العالية [الشامي] يرثيه :

لا درّ ذويّات الارض إذ فُجعتْ بالأصمعيّ لقد أبقت لنا أسفاً
عش ما بدا لك في الدنيا فليس يُرى في النَّاسِ منه ولا من علمه خلفاً

بَدَعُ واعتزال ومِحن وأكْمال

قال ابن كثير : كان المأمون له بصَرٌ بعلوم متعدّدة ، فقه وفرائض وغريب وكلام وطبّ وشعر ونجوم ، واليه ينسب الزيج المأموني ، وقد اختبر مقدار الدرجة في وطأة سنجار ، فاختلف عمله وعمل الاوائل من القدماء .

وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة ، حمّله على ذلك القول بتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فإنه كان يقول بذلك وأظهره بين الناس . وهو سبب ولاية العهد لعليّ الرضا على ما تقدّم (137-145) .

وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون فقال : كيف أصبحت ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : يا نضر أتدري ما قلتُ في صبيحة هذا اليوم ؟ قال : أتني لي بعلم الغيب ! فقال : قلت : /236ب/

أصبح ديني الذي أدينُ به ولستُ منه الغداة معتذراً
حبّ عليّ بعد النبيّ ولا أشتُم صديقاً ولا عُمرّاً
وابن عفّان في الجنان مع الأبرار ذاك القتل مصطبراً
لا ولا أتهم الزبير ولا طلحة إن قال قائل عذراً
وعائشة الأم لست أشتُمها من يفترها فنحن منه برّاً

قال بعضهم : وهذا المذهب ثامن مراتب التشيع .

وقد قال بعض السلف والدارقطني من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والانصار . وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : لو أوتي بأحد فضّلني على أبي بكر وعمر إلّا جلدته جلد المفتري .

وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر . فخالف المأمون مذهب الصحابة كلهم رضي الله تعالى عنهم ، وتبع بشر بن عتّاب المريسي وجماعته فأخذ عنهم هذا المذهب الباطل .

وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنده الباطل ، ودُعي عليه وحمل الناس عليه قهراً ، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته .

قال ابن كثير : ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال فرح بذلك بشر المريسي ، وكان شيخ المأمون في ذلك ، وأنشأ المريسي يقول :

قد قال مأموننا وسيّدنا قولاً له في الكتاب تصديقُ
إنّ علياً أعني أبا حسن أفضل من أرقلتُ به النوقُ
بعد نبيّ الهدى وإنّ لنا أعمالنا والقرآن مخلوقُ /237/

فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة بقوله :

يا أيّها الناس لا قول ولا عمل لمن يقول كلامُ الله مخلوقُ
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر ولا النبيّ ولم يذكره صديقُ
ولم يقل ذلك الا كلّ مبتدع على الاله وعند الله زنديقُ
عمداً أراد به احقاق دينكم لأنّ دينهم والله ممحوقُ
أصبح يا قوم عدلاً من خليفتم يمسي ويصبح في الأغلال موثقُ

فسأل بشر المأمون أن يطلب قائل هذا ويؤدبه على ذلك فقال المأمون : ويحك ، لو كان فقيهاً لأدبته ، ولكنه شاعر ؛ فلست أتعرض له !

غريبة

قال الخطيب البغدادي : حدّثني الحسن بن محمّد الخلاّل لفظاً ، قال : وجدت بخط أبي الفتح القوّاس ، حدّثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال ، قال عبد الله بن المبارك : رأيت زبيدة في المنام ، فقلت لها : ما فعل الله بك ؟ قالت : غفر لي في أوّل معول ضُرب في طريق مكة . فقلت لها : ما هذا الصّفرة التي في وجهك ؟ فقالت : دفن بين ظهرائنا رجل يقال له بشر المريسي ، كان من

أهل البدع والاهواء ، وهو الذي كان يقول إنّ القرآن مخلوق ، فزفرت عليه جهنم زفرة فأقشعر لها جسدي ، فهذه الصفرة من تلك الزفرة . نقل من تاريخ البدري . انتهى .

قلت (قلت وما بعدها ، ليس في الدر) : وعندي في إسناد الرواية لعبد الله بن المبارك نظر ، لأنّ عبد الله بن المبارك مات على عهد الرشيد سنة إحدى وثمانين ومائة ، وزيدة توفيت سنة ستّ عشرة ومائتين على ما حكاه 237ب/ المؤيد فيهما .

وقال ابن الجوزي في كتاب الالقباب : إنّ زيدة سقت أهل مكة بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار ، وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحفر الجبال ونحت الصخور حتى غلغلته من الحِلّ إلى الحرم ، وعملت عقبة اليسار ، فقال لها وكيلها : تلزملك نفقة كثيرة . فقالت : أعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار ! وروى الخطيب البغدادي أنها حجّت ، فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف درهم حقيقة كقولهم ربي

قال بعضهم : وكانت من الجمال والمال والخير والديانة على جانب عظيم ولها من الصدقات والاقواف ووجوه القربات شيء كثير جدا .

قال ابن الجوزي : وكان لها مائة جارية ، يحفظن القرآن ، ولكل واحدة وُرد عشر القرآن ، فكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن العظيم . وزيدة لقب غلب عليها ، لأنّ جدّها أبو جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول لها إنما أنت زيدة فغلب ذلك عليها ، فلا تعرف الآب ، وأصل اسمها أمة العزيز . وقال الطبري : عرس بها الرشيد سنة خمس وستين ومائة وكان أحبّ الناس إليها في زمانها مع ما عنده من الخطايا والزوجات . قال المؤيد : توفيت أم جعفر زيدة زوجة الرشيد سنة ستّ عشر ومائتين ، انتهى .

لطيفة

قيل إن المأمون كان يفضل عليًا ، ويكثر من الكلام عليه رضي الله تعالى عنه ، فجرى يومًا ذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما ، /238/ فأُتِىَ في ذكرهما وفضلهما ومروءتهما ، وكان عنده عالم من علماء خراسان فقال له : يا أمير المؤمنين ، حدثني جماعة من مشايخ خراسان عن الشعبي قال : بلغ الحجاج أن يحيى بن يعمر بخراسان يقول إن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما من ذرية رسول الله ﷺ ، وكان يحيى بن يعمر بخراسان . فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم وإلى خراسان أن أبعث إليّ ابن يعمر ، فبعث به إليه .

قال الشعبي : كنت عند الحجاج حين أوتي به إليه ، فقال له الحجاج : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ ؟ قال : أجل يا حجاج ! قال الشعبي : فعجبت من جوابه يقول له يا حجاج . فقال له الحجاج : والله لئن لم تخرج منها وتأتيني بها مبيّنة من كتاب الله تعالى ولا تأتيني بهذه الآية : «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم» ! قال : فإن خرجت وأتيتك بها واضحة مبيّنة من كتاب الله عز وجل ، فهو أمانى ؟ قال : نعم ! فقال يحيى : قال الله تعالى : «ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا» ، إلى أن تلا قوله «وزكريا ويحيى وعيسى» ثم قال يحيى : من كان أبو عيسى عليه السلام وقد أحقه الله بذرية إبراهيم ، وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد ﷺ . فقال الحجاج : ما أراك ألا قد أتيت بها مبيّنة ، والله لقد رأيته وما علمت بها قط ، وهذا من الاستنباطات البديعة .

ثم قال له : أخبرني هل ألحن ؟ فسكت ، فقال : أقسمت عليك ! فقال : أمّا إذا ، أيها الأمير ، إنك ترفع بخفض وترفع /238ب/ ما انخفض ! قال : والله ذلك اللحن السيء ! ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم : «إذا جاءك كتابي هذا

فأجعل يحیی على قضائك والسلام». قال بعضهم : والذي ذكره البغوي وغيره أن الضمير يعود الى نوح لأن الله تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطا ، وهما صلوات الله عليهم من ذرية نوح ، لا من ذرية ابراهيم عليهما السلام ، ولكن استدلاله صحيح على الثاني أيضاً .

ويحيى بن يعمر كان تابعياً عالمًا بالقرآن والنحو ، وكان شيعياً من الشيعة الاولى ، يسمع سمعاً حسناً ، ويقول بتفضيل أهل البيت من غير نقص لأحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كذا ذكر ابن خلكان . وذكر أنه توفي سنة تسع وعشرين ومائة . انتهى .

قال بعضهم : ولا يُذَمَّ المأمون الا بما فيه من التشيع والاعتزال لقوله بخلق القرآن العظيم وحمل الناس عليه مع ما كان فيه من الانهماك على تعاظمي المسكر والأفعال التي لا يعذر فيها المنكر . وما عدا ذلك فإنه قدره عظيم وفصائله لا تحصى .

قيل والسبب الحامل له على القول بخلق القرآن أنه كان في مدينة قبرص كتب اليونان الفلاسفة ، فبحث في طلبهم ، فلم يعطوها ، فألح عليهم وتهدهدهم . فقال لهم بطريق من بطارقتهم : اعطوها ، فإنها ما دخلت على ملة اسلامية الا أفسدتها ! فسلموها الى المأمون ، فأمر بتعريبها . وقرأها ففهمها وتوغل فيها مع الكلام ، فأدّى الى ما أدّى من اعتزاله ، الى أن أظهره وحمل الناس عليه .

قال بعضهم : وفي ربيع الأول من سنة /239/ اثنى عشرة ومائتين أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين ، إحداهما تفضيل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على جميع الصحابة ، وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، والثانية وهي أعظم من الاولى قوله بخلق القرآن العظيم وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً .

ومن العلماء من يقول بكفر قائل ذلك .

ولا زال على ذلك الى أن حمل الناس على ذلك في السنة الثامنة عشرة بعد المائتين . وذلك أنه كان بالرقّة ، فكتب الى عامله على بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب (ذكر الدرّ وفاته في سنة 235 هـ . وترجمته باختصار) يأمره أن يمتحن الفضاة والمحدثين والشهود وجميع أهل العلم بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل اليه منهم جماعة ، عيّنهم له ، ويمتحن الباقيين ؛ فمن أجاب بخلق القرآن وأنه محدث خلّى سبيله ، ومن أبى يُعلمه به ليرى فيه رأيه .

ففعل اسحاق نائب بغداد ذلك على أمر المأمون . فأجابوه الى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون . فكتب الى المأمون بذلك ، وأرسل له الجماعة التي طلبهم وعيّنهم له . فبلغوا الى المأمون وأظهروا موافقته وهم كارهون فردّهم الى بغداد وأمر بإشهارهم بين الفقهاء ، وكتب كتاباً الى اسحاق النائب يستدل فيه على القول بخلق القرآن بدلائل لا تحقيق لها ، وأمره أن يقرأه على الناس ويدعوهم الى القول به .

فأحضر اسحاق جماعة من العلماء ، وفيهم بشر بن الوليد الكندي قاضي القضاة وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأفاضل ؛ فقرأ عليهم كتاب المأمون وفهموه ، فقال لبشر /239ب/ بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله . قال : لم أسألك عن هذا ؛ أمخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء والقرآن شيء . قال : نعم ، أمخلوق هو ؟ قال : ليس بخالق ! فقال : ليس عن هذا أسألك ، أمخلوق هو ؟ فقال : ما أحسن غير هذا ! ثم قال : أشهد أن لا إله الا الله أحداً فردّاً صمداً ، لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه . قال : نعم . ثم التفت للكاتب وقال له : اكتب ما قاله . فكتب .

ثم سأل غيره وهو يمتحنهم وهم يجيبون قريباً مما أجاب به بشر ، الى أن انتهت النوبة الى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ، أمخلوق هو ؟ قال : كلام الله تعالى ! قال : أمخلوق ؟ قال : كلام الله ، ما أزيد عليها !

قال : فما تقول في هذه الرقعة ؟ قال : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول سميع بأذن بصير بعين . فقال له : ما أردت بذلك ؟ قال : أردت ما أراد الله منها ، وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك . ثم سأل قتيبة وجماعة فأجابوا أن القرآن مجعول ، لقوله تعالى : «إنا جعلناه قرآنا عربيا» ومحدث لقوله تعالى : «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث» . قال اسحاق : فالمجعول مخلوق قالوا : نعم . قال : فالقرآن مخلوق ! قالوا : لا نقول مخلوق ولكن مجعول . فكتب مقالاتهم فردا فردا ، وبعث بها الى المأمون .

وكان من الحاضرين من أجاب الى القول بخلق القرآن مصانعة مكرها لما بلغهم أن من لم يجب عزل عن وظائفه ، ومن له رزق قطع عنه ، ومن كان مفتيا منع من الافتاء ، ومن كان شيخ حديث ردع عن /240/ الإسماع .

فورد جواب المأمون الى اسحاق أن يحضر بشر بن الوليد قاضي القضاة وإبراهيم بن المهدي ، وكان صديقا لبشر ، فإن قالوا بخلق القرآن والآن تضرب أعناقهما ؛ وأما من سواهما فمن لم يقل بخلق القرآن يوثقه بالحديد ويحمله الي . فجمعهم اسحاق وعرض عليهم ما أمر به المأمون ، فأجابوا الى ذلك بأجمعهم ، وأجاب بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي وكل من حضر لذلك الأربعة ، أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح المصروب والحسن بن حماد سجادة وعبيد بن عمر القواريري . وكانت فتنة عظيمة وداهية شديدة ، فكان جل من أجاب مكرها متأولا قوله تعالى : «الآ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» .

ثم إن اسحاق قيد الأربعة المذكورة وأرصدهم ليعث بهم الى المأمون ، وامتحنهم ثانيا فرجع سجادة ثم رجع القواريري وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ، فوجههما في القيود متعادلين على جمل الى المأمون بطرسوس .

ثم ورد كتاب المأمون الى اسحاق نائب بغداد يقول فيه : «بلغني أن بشر وجماعة معه إنما أجابوا متأولين الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر ،

وهي قوله تعالى : «إلا من أكره ، الآية» وقد أخطأوا في التأويل ، فإن الله تعالى عني بها من كان معتقداً الايمان مظهراً للشرك ، فأما من كان معتقداً للشرك مظهراً للايمان فليس هذا له . فاستحضرهم النبي الى طرسوس !» .

فأمسكهم اسحاق وأرسلهم الى المأمون بطرسوس ، فلما صاروا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون ، فرؤوا الى الرقة . وكان أحمد بن /240ب/ حنبل وصاحبه محمد بن نوح قد سبقا الجماعة ولكن لم يجتمعا به ، حتى مات واستجاب الله دعاء الامام أحمد ، وبقي الأمر على ذلك الى أول ولاية المعتصم . وسيأتي إن شاء الله ما وقع من ذلك الأمر الفظيع في دولة المعتصم . انتهى كذا ذكر الملك المؤيد وغيره .

كان المأمون قد ابتدع بدعة ثالثة ايضاً ، وهي التكبير عقيب الصلوات . وكتب بذلك الى جميع نوابه ، يأمرهم بالتكبير . فبدى بذلك في جامع المدينة والرصافة يوم الجمعة [لأربع عشرة ليلة خلت] من شهر رمضان سنة ست عشرة ومائتين ، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات . وهذه بدعة أحدثها المأمون بلا مسند ولا دليل ، فإنه لم يفعله أحد قبله ؛ ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس رفع الصوت بالذكر على عهد رسول الله ﷺ حين ينصرف الناس من المكتوبة وقد استحب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره ، وقال أبو الحسن بن بطلال : المذاهب الأربعة وغيرهم على عدم استحباب هذا . انتهى . كذا نقلناه من المسودة (العبارة الأخيرة غير واردة في الدر . انظر التعليق على ذلك في المقدمة) .

قيل : لما كان المأمون في أرض الروم ، بينما هو ذات يوم سائر إذ خرج على عسكره فرس جمعّ («حجم») ، عظيم الخلق ، لم ير الراؤون مثله ، فطلبه الناس ، فلم يقف لأحد ، كلما طلب نفر . فالتفت المأمون الى ابنه العباس وقال له : اذهب وآتي به ! فذهب العباس فلم ينفر منه حتى قبض على ناصيته وجعل اللجام في فيه /241/ وأتى به الى المأمون . فتعجب الناس من ذلك فقال يحيى

بن أكرم القاضي : ما السرّ في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال المأمون : يا أبا عبد الله أول من ركبها جدّه اسماعيل عليه السلام ، وهي كنزٌ لنا ، وأحدُك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال لما أذن الله تعالى لإبراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله تعالى : «إني معطيكما كنزاً أدخرته لكما» ، ثم أوحى الى اسماعيل أن أخرج الى أجياد فادع يأتيك الكنز ، فخرج الى أجياد ولم يدر ما الدعاء ولا الكنز ، فألهمه الله تعالى الدعاء ، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب الا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله له ولذريته . ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك وشرحناه لطلال . كذا حكاه في تحفة الالباب انتهى (انظر ص 250 ب) .

وأنشد ابن عبد البرّ في التمهيد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكان يحب الخيل فقال :

أحبوا الخيل واضطربوا عليها فإنّ العزّ فيها والجَمالاً
إذا ما الخيل ضيّعها أناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالاً

لطيفة

قيل إنه عرض على أبي مسلم الخراساني ، صاحب الدعوة ، جواد لم ير مثله فقال لقواده : يصلح هذا الجواد ؟ قالوا : للغزو في سبيل الله عزّ وجل . قال : لا ! قالوا : فيطلب عليه العدو . قال : لا ! قالوا : فلمَ ذا يصلح ، أصلح الله الأمير ؟ قال : ليركبه الرجل ويهرّب من المرأة السوء والجار / 241 ب / السوء ! انتهى كذا حكاه صاحب ابتلاء الاخيار بالنساء الاشرار .

قال في عيون المعارف : كان المأمون كامل الفضل ، جواداً ، عظيم العفو حسن التدبير ، فقيهاً ، عالماً ، يحب العلماء وإكرامهم . اهـ .

وذكر الخطيب عن القاسم محمد بن عباد قال : لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والمأمون . قال بعضهم وهذا غريب جدا . اهـ .

قال ابن كثير : وكان المأمون يتلو في شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة . وجلس يوماً لإملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى بن أكرم وجماعة ، فأملى من حفظه ثلاثين حديثاً . اهـ . وكان يقول : معاوية بعثوه وعبد الملك بحجّاجه وأنا بنفسى !

قال ابن عساكر : روي الحديث عن أبيه وهشيم وأبي معاوية الضرير ويوسف بن عطية وعباد بن العوام واسماعيل بن عليجة وحجاج بن محمد الأعور ويوسف بن محمد المروزي وروي عنه أبو حذيفة اسحاق بن بشر ، وهو أسنّ منه ، ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومعمار بن شبيب وابن أبي يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشعبي («السبعي») واليزيدي (الدرّ «اليزيدي») وعمرو بن مسعدة وعبد الله بن طاهر ومحمد بن إبراهيم السلمي ودعبل بن علي الخزاعي .

وروي ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي قال : حدثنا ابن إبراهيم الموصلي قال : سمعت المأمون في الشّمساة (الدرّ «الشّمساة») وقد جعل ينظر إلى كثرة الناس ، فقال /242/ ليحيى بن أكرم : أما ترى ؟ ثم قال : حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال : الخلق كلّهم عيال الله ، فأحبّهم إليه أنفعهم لعياله .

وروي له ابن عساكر أحاديث أخرى غير هذا . اهـ .

وكان يحب العلم وأهله وينظرهم .

قال في البهجة لأبي عمر ، قال يحيى بن أكرم : كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا داراً

مفروشة ، وقيل لهم : أنزعوا خفافكم ! وأحضروا المائدة فقيل : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجدّدوا الوضوء ، ومن ضاق عليه خفّه فليزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليزعها . فإذا فرغوا أوتوا بالمجامر فُبُخروا وطُيِّبوا ، واستدناهم وناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين . فلا يزال كذلك حتى تزول الشمس ، ثم تُنصب الموائد ثانياً فيطعمون وينصرفون . انتهى .

قال بعضهم : وإنما قال «وأبعدها من مناظرة المتجبرين» لأن هذا الذي ينبغي للملك عند المناظرة والمشاورة ، ألا يرتفع ولا يسلك سبيل الهيبة ، فإن ذلك يقصّر لسان المشير والناصح . انتهى .

ذكر ابن كثير ، أن المأمون رحمه الله كان يقصد العدل ، ويتولى بنفسه بين الناس الفصل . وقد جاءته امرأة ضعيفة فتطلّمت من ابنه العباس ، وهو واقف على رأسه ، فأمر الحاجب فأخذ بيده وأجلسه معها بين يديه ، فأدعت /242ب/ عليه أنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها ؛ فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو على صوته فزجرها بعض الحاضرين ، فقال له المأمون : أسكت ، فإن الحق أنطقها والباطل أسكته ! ثم حكم لها بحقها وأغرم لها ولده عشرة آلاف درهم . اهـ .

وذكر في تاريخ العظمي ، أنه لما توفي أبو الفضل عمرو بن مسعدة في سنة أربع عشرة ومائتين خلف ثمانين ألف دينار ، فرفع إلى المأمون ذلك . فقال : هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيه . اهـ .

قال المسعودي : ولم يعرض بمال وزير غيره . اهـ .

وقال ابن كثير : كتب المأمون إلى بعض الأمراء ليس من المروءة ، آيتك من ذهب وفضة ، وغيرك عار وجارك طاو ! قال : ووقف رجل بين يدي المأمون فقال له : والله لأقتلنك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، تأنّ عليّ ، فإن الرّفق

نصف العفو ! فقال : ويحك ، وقد حلفت لأقتلنك ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
 لكن تلقى الله حائثاً خيراً لك من أن تلقاه قاتلاً ! فعفى عنه وخلقى سبيله ، اه .
 وروى ابن عساكر ، أن المأمون قال يوماً لمحمد بن عباد بن المهلب : يا أبا
 عبد الله قد أعطيتك ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، وإن عليك ديناً ١٩ فقال :
 يا أمير المؤمنين ، إن منع الموجود سوء ظن بالمعبود ! فقال : أحسنت يا أبا عبد
 الله ، أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف !

وذكر الخطيب ، أنه لما ولد للمأمون ابنه /243/ جعفر ؛ فدخل عليه
 الناس يهنونه بصنوف التهاني ، وكان فيهم بعض الشعراء ، فقال منشداً :

مد لك الله الحياة مداً حتى ترى ابنك هذا جداً
 ثم تُفدئ مثل ما يفدئ كأنه أنت إذا تبدئ
 أشبه منك قامةً وقدًا مؤزراً بمجده مُردًا

فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم . انتهى .

وقال ابن عساكر : كان المأمون يدمشق ، وقل المال الذي صحبه حتى
 ضاق وشكا الى أخيه المعتصم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كأنك بالمال وقد
 وافاك بعد جمعة . وحمل إليه أخوه المعتصم من خارج ما يتولاه له ثلاثين ألف
 ألف ألف . فلما ورد المال خرج يستعرضه وقد زينت الجمال والأحمال ، فنظر
 اليه وهو في أحسن هيئة ، فاستحسنه واستبشر به والناس ينظرون ويتعجبون .
 وكان معه يحيى بن أكرم فقال له : يا أبا محمد ليس من المروءة أن نحوز نحن هذا
 المال كله ونتصرف فيه ويرجع أصحابنا خائبين ، إن هذا للؤم ! ودعا محمد بن
 داود فقال له : وقع لآل فلان بألف ألف ألف ، ولآل فلان بمثلها وما زال
 كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ألف ورجله في الركاب لم ينزل عن
 فرسه ، رحمه الله تعالى . انتهى وكذا حكاها المؤيد .

لطيفة

يحكى أَنَّ المأمون خرج يوماً متنزهاً متصيِّداً ، فمرَّ بصبي من صبيان الاعراب على بشر أو عين قد ملأ قِربته بالماء وهو يعالج ربط فمها ولا يُطيقه فجعل يصيح : وا أبتاه تعالَ ، أعني على القربة /243ب/ لأشدَّ فاهاً ، غلبني فوها ولا طاقة لي بفيها ! فأعجب المأمون قوله وفصاحته ، وهو طفل فوقف عليه وقال له : يا فرخ أبيه وأمه ، ممن أنت ؟ قال : من كلب . فقال : وأنتم كلاب كلكم ! فقال : لسنا بكلاب ، ولكنها قبيلة تدعى كلب .

ثم قال الغلام : قد سألتني عن نسبي فما نسبك ؟ قال : أنا ممن تبغضه كلب . قال : فأنت إذا من مضر ! قال : ممن تبغضه مضر . قال : أنت إذا من كنانة ! قال : ممن تبغضه كنانة . قال : فأنت إذا من قريش ! قال : أنا ممن تبغضه قريش . قال : فأنت إذا من بني هاشم ! قال : أنا ممن يحسده بنو هاشم . قال : فأنت إذا أمير المؤمنين المأمون ! ثم سكت ساعة ، وأنشأ يقول :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| مأمون يا ذا النسبة الشريفة | والملك والمنزلة المنيفة |
| هل لك في أرجوزة ظريفة | أظرف من فقه أبي حنيفة |
| لا والذي أنت له خليفة | ما قد ظلمت بأرضنا ضعيفة |
| عاملنا وطأته خفيفة | قد سار فينا سيرة الخليفة |
| فالدُّب والنَّعْجة في سقيفة | واللصّ والتَّاجر في قطيفة |

فأعجب المأمون مقالته هذه وقال له : يا فُريخ أبيه وأمه ، أيهما أحبَّ إليك عشرة دنائير عاجلة أو عشرين ديناراً آجلة . فقال : بل العشرون المؤجلة لأنني لا أتهم ذمة أمير المؤمنين ! ثم مشى معه مشياً لطيفاً ، وقال له : يا أمير المؤمنين أيسلح لمثلي أن يكون له دين على مثلك الى أجل ؟ فقال له المأمون بل نعجل لك العشرين . وأمر له بها . انتهى /244/

قيل : كان المأمون شاعراً مُجيداً وناظماً بليغاً ، ومن لطيف شعره ما روي عنه :

بعثك مرتاداً ففزتَ بنظرة وأغفلتني حتى أسأتُ بك الظناً
مناجية من أهوى وكنْتُ مباعداً فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثراً منها بعيـنك بينا لقد أخذتُ عيناك من عينها حسناً

ومن لطيف ما روي عنه أيضاً قوله :

لساني كَتُوم لأسراركم ودمعي نوم فسريّ مذيغ
فلو لا دموعي كُمتُ الهوى ولو لا الهوى لم يكن لي دموغ

وحكي ، أنه لما تجهّز للغزو في آخر سفرة سافرها الى طرسوس استدعى بجارية كان يحبّها ، وقد اشتراها في آخر عمره ، فضمّها اليه . فبكت الجارية وقالت : قتلتنى يا أمير المؤمنين بسفرك هذا ! ثم أنشأت تقول :

سأدعو دعوة المضطّر ربّاً يُثيب على الدّعاء ويستجيبُ
لعلّ الله أن يكفيك حرباً ويجمعنا كما تهوى القلوبُ

فضمّها اليه وأنشأ يقول :

فيا حُسْنها إذ يغسل الدمعُ كحلها وإذ هي تذرّي الدمع منها الأوابلُ
صَبَحْتُها فبكت وقالت قتلتنى وقلبي بما قالت هناك تحاولُ

ثم أمر الخادم مسروراً بالاحسان اليها والاحتفاظ /244ب/ عليها حتى يرجع ، ثم قال : كما قال الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدُّوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهارٍ

ثم ودّعها وسافر . فمرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضاً . فلما جاء نعيه تنفّست الصُّعداء وحضرها الموت ، فأنشأت تقول وهي على ذلك

الحال :

إنَّ الزَّمانَ سَقانا من مرارته بعد الحلاوة أنفاسًا فأزوانا
أبدى لنا تارة منه فأضحكنا ثم انشئ تارة أخرى فأبْكَانا
إنَّا الى الله فيما لا يزال لنا من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها ما لا يدوم مصافاة وإخوانا
ونحن فيها كأنَّا لا يُرايلنا للعيش أحيائنا يَكُون موتانا

وكان هذه آخر سفرة سافرها المأمون ، وهي التي مات فيها ، رحمة الله تعالى عليه .

قيل ، كان المأمون كثير السَّفر والغزو على الأعداء .

وروى ابن عساكر ، أنه كان فيه شهامة عظيمة ، وقوة جسمية ، وله همّة في القتال وحصار الأعداء ومصافٍ (جمع المصاف ، الموقف في الحرب) الروم وحضرهم في بلدانهم وقتل فرسانهم وأسّر ذراريهم وولّدانهم . اهـ .

كان ركب في العسكر قاصداً بلاد الروم من بغداد ليغزوهم ، واستخلف على بغداد وأعمالها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب . وسار منها في أواخر المحرم سنة خمسة عشرة ومائتين ، فوصل الرقة . فلتقاه محمّد الجواد بن عليّ الرضا /245/ بن موسى الكاظم من المدينة ، فأذن له المأمون في الدخول على ابنته أم الفضل التي كان عقّد عليها في حياة أبيه عليّ الرضا ؛ فدخل بها . وأخذها معه الى بلاد الحجاز .

ثم سار المأمون فلتقاه أخوه المعتصم من الديار المصرية . وكان عامل مصر أولاه أخوه المأمون إياه سنة ثلاثة عشرة ، وأولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم في تلك السنة . وكان لقاءه به قبل وصوله الى الموصل ، فسار في جمافلته العظيمة فبلغ بلاد طرسوس في جمادى الاولى ، وفتح حصناً هناك عنوة وأمر بهدمه . ثم رجع المأمون الى دمشق وعمر دهر مزار ، وأقام بها مدة .

وفي تاريخ العظمي ، أنه لما غزا المأمون كان نُفيل ملك الروم معه مستأمنًا ، ثم هرب إلى الروم .

قال : ودخل المأمون انطاكية ثم طرسوس ودخل ولده العباس من ناحية ملطية ، ففتحوا حصن قرّة وحصونًا كثيرة ثم عاد المأمون إلى دمشق ، وشتى عليها ، وجمّد الفرات في الشتاء حتى عبرت الخيل على الجليد . انتهى ، كذا حكاة البدري .

ثم عاد إلى بلاد الروم سنة ستة عشر ومائتين . وسبب ذلك أن نُفيل ملك الروم عاد إلى أرض طرسوس ، فقتل جماعة من المسلمين نحوًا من ألف وستمائة إنسان . فبلغ المأمون ذلك ، فنهض من فورهِ في الجيوش ، وصحبهُ أخوه المعتصم نائب الشام ومصر ، فأفتح بلدانًا كثيرة صلحًا وعنوة ، وأفتح أخوه المعتصم ثلاثين حصنًا . وبعث المأمون يحيى بن أكرم في سرية إلى طوانة فأفتح بلادًا 245ب/ كثيرة ، وآسر خلقًا من الذراري وغيرهم ، وقتل جمًا من الروم وحرق حصونًا عديدة ثم عاد سالمًا مؤيدًا إلى العسكر .

وأقام المأمون ببلاد الروم من منتصف جمادى الأولى إلى النصف من شعبان ، ثم عاد إلى دمشق . وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهري على الديار المصرية في شعبان من هذه السنة وتغلب على نواب أبي إسحاق المعتصم ، وقويت شوكتُه وأتبعه خلق كثير . فركب له المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة . ودخل الديار المصرية في المحرم من سنة تسع عشرة ومائتين ، فظفر بعبدوس الفهري المذكور ، فأمر بضرب عنقه ومهدّ البلاد . ثم كرّ راجعًا إلى الشام . كذا ذكر ابن كثير .

وقال النويري : ولمّا دخل المأمون مصر ابتداءً بعمل المقياس المأموني الذي هدمه الماء ، وفتح كوة في الهرم ، فوجد فيها ذخائر نفيسة . اهـ .

قال العلامة جلال الدين السيوطي ، في حُسن المحاضرة : لما دخل الخليفة المأمون مصر ورأى الأهرام أحبّ أن يعلم ما فيها ، فأراد فتحها ففيل له : إنك

لا تقدر على ذلك ! فقال : لا بدّ من فتح شيء منها . ففتحت له الثلثة الموجودة الآن بنار توقد وخلّ يرشّ وحدّاد يسنّ ومناجيق («وجراديسن ومناحنيق» والدّر «حداد يسن الحديد ويحدونه ومناجيق يرمي بها» تُرمي حتى انفتحت . وأنفق عليها مالا عظيماً فوجد عرض الحائط عشرين ذراعاً . فلما انتهوا الى خلف الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة من زبرجد فيها ألف دينار ، وزن كلّ دينار أوقية من أواقينا . فتعجبوا من ذلك ولم يعرفوا معناه . فقال /246/ المأمون : إرفعوا السّ حساب ما أنفقتم على فتحها . فرفعوه ، فإذا قدر الذي وجدوه لا يزيد ولا ينقص . ووجدوا كتابة مرقوم فيها : «سيفتح هذا الهرم من هذا المكان على يد خليفة من خلفاء مصر ، ويصرف عليه كذا من المال ، فإذا دخلتموه فخذوا المقدار الذي صرفتموه لا يزيد ولا ينقص . وارجعوا لا تهلكوا» .

ووجدوا في داخله بئراً مربّعة ، في تربيعها أبواب ، يُفضي كل باب منها الى بيت فيه أموات بأكفانهم ، ووجدوا في رأس الهرم بيتاً فيه حوض من الصخر وفيه صنم كالآدمي من الذهب (الذهبج ، بالتحريك ، نوع من الزمرد) وفيه وسطه إنسان عليه درع مرصّع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لا قيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ضوؤه كضوء النهار ، وعليه كتابة بقلم الطير الدّر /158ب/ «الطير» والطير أصبح ، لان الطير نوع من السلاح له فأس . وهو أقرب لأن يستعمل في الكتابة النقشية . وبلغ الطير على كثرة الطيور في الكتابة الفرعونية) ، لم يعلم أحد في الدنيا ما هو . ولمّا فتحه المأمون أقام الناس سنين يدخلون فيه وينزلون من الزلافة التي فيه ، فمنهم من يسلم ومنهم من يموت . انتهى .

وقال ابن المتوجّج ، في كتابه من عجائب مصر : ما بجانبها الغربي من البنيان المعروف بالاهرام ، وعددها ثمانية عشر هرمًا ، منها ثلاثة بالجيزة مقابل القسطاط . ولما فتح المأمون أحدها انتهى الى حوض مغطّى بلوح من رخام مملوء

من ذهب ، واللوح مكتوب فيه أسطر ، فطلب من يقرأها فإذا فيها : «إنا عمرنا هذا الهرم في ألف يوم ، وأبنا لمن يهدمه في ألف سنة ، والهدم أسهل من العمارة . وجعلنا في كل جهة من جهاته بقدر ما يصرف الى الوصول اليه لايزيد ولا ينقص » . وعند مدينة فرعون يوسف أهرام دورته ثلاثة /246ب/ آلاف ذراع وعلوه سبعمائة ذراع ، وعند مدينة فرعون موسى آخر ، وآخرها هرم يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل ، وهو خمس طبقات والطبقة العليا كأنها قلعة على جبل . انتهى .

وقال في ربيع الابرار : الهرمان بالجيزة على فرسخين من الفسطاط ، كل واحد أربعمائة ذراع .

وقال المسعودي : وأساسهما في الأرض مثل طولهما في العلو .

وقال صاحب مرآة الزمان : الهرمان من عجائب مصر ، وسُمك كل واحد منهما خمسمائة ذراع في ارتفاع مثلها ، وكلما ارتفع البناء دق رأسها حتى يصير مثل مفرش حصير . وقال صاحب مناهج الفكر : وكل هرم منهما مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعاً يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع ، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعاً ، ويرتفع الى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها . ويقال إنه كان عليه حجر شبه المكبة ، فرمته الرياح العواصف ، وهو مع هذا العظم وإتقان الهندسة وحسن التدبير لم يتناثر الى الآن بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل . وهما من المباني التي يبلى الزمان ولا تبلى .

قال القاضي الفاضل : الهرمان فرقد الأرض ، وكل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الهرمان يخشى على الدهر منهما !

قال في ربيع الابرار : وبنائهما بالحجارة المرمر ، وهي منقولة من مسافة أربعين فرسخاً من موضع يعرف بذات الحمام فوق الاسكندرية . ولا يزالان ينخرطان /247/ في الهواء حتى يرتفع دورهما الى مقدار خمسة أشبار في

خمسـة ، وليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما .

وقال في مناهج الفكر : هذا البناء ليس بحجارته بلاط الآ ما يُتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة ، ولا تتخلل بينما الشعرة . وطول الحجر منها خمسـة أذرع في سمك ذراعين . ويقال إنّ بانيها جعل لهما أبواباً على آزج مبنية بالحجارة في الأرض طول الأزج عشرون ذراعاً ، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أُطبق لم يعلم أنه باب . يدخل من باب منها الى سبعة بيوت ، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وكلها مقفلة بقفل واحد ، وكل بيت من ذهب ، وفيه عند بابه صنم مجوّف أحدى يديه على فيه ، وفي جبهته كتابة بالسّندي إذا قرأتها انفتح فوه ، فيوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح به . قال : وأما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير في وَهدة مستخفضة وعنقه أشبه شيء برأس راهب حشبي على وجهه صباغ أحمر ، لم ينحلّ على طول الزمان . يقال إنه طلسم يمنع الرّمل عن المزارع .

وقال في المسالك : قد أكثر الناس القول في سبب بناء الاهرام . فقليل هياكل للكوكب ، وقيل قبور ومستودع أموال وكُتب ، وقيل ملجأ من الطوفان . قال : وهذا أعبر ما قيل فيها ، لأنها ليست شبيهة بالمساكن .

وقال صاحب المرآة : والظاهر أنها قبور الأوائل من الملوك وعليها أسماءهم وأسرار الفلك والسّحر وغير ذلك . قال : وعليها جميع الاقلام السبعة اليوناني والعربي والسرياني /247ب/ والسندي والحميري والرومي والفارسي .

وقال صاحب مناهج الفكر : والقيط تزعم أنها لهم ، وأنها قبور . فالهرم الشرقي فيه سورية الملك ، والغربي أخوه مرحب ، والهرم الملوّن فيه افرزيون بن مرحب . والصابئة تزعم أن أحدهما قبر شيت ، والآخر قبر هرمس ، والملون قبر صاب بن هرمس واليه تنسب الصابئة ، وهم يحجّون اليها ويذبحون عندها الديك والعُجول السود ، ويعثرون بدّخن .

وقال في المسالك : وقد كانت الصابئة تأتي فتحج الواحد ، وتزور الآخر

ولا تبلغ به مبلغ الاول في التعظيم .

وقال صاحب المرأة : واختلفوا فيمن بنى الاهرام ، فقيل يوسف وقيل نمرود ، وقيل دلوكة الملكة ، وقيل بناها القبط قبل الطوفان . وكانوا يرون أنه كائن فآلقوا («فلقوا») ذخائرهم فيه ، فما أغنى عنهم شيئا .

وقال صاحب المناهج : يقال إن بنائها سورية بن شهلوق بن شريق قبل الطوفان ، لرؤيا رآها فقصّها على الكهنة ، فنظروا فيما يدلّ عليه الكواكب النيرة ، فدلّ على إحداث حادث يحدث في العالم ، وأقاموا مركزها في وقت المسألة ، فدلّ على أنها نازلة من السماء تحيط بوجه الارض ، فأمر حينئذ ببناء البراري («براي») والاهرام العظام ، وصوّرَ فيها صور الكواكب ودرجها وما لها من الاعمال وأسرار الطبائع والنواميس وعمل الصنعة .

ويقال إن هرمس الذي يسميه العبرانيون اخنخ ، وهو ادريس عليه السلام ، استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان ، فأمر ببناء الاهرام وإيداعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليهما من /248/ الذهب والدثور ، قال : ويدمنهور من أعمال الجيزة أهرام شداد بن عاد بن فقطيم بن مصر . وقال عبد الله بن سراقة : إن العماليق حين أخرجتها جرهم من مكة نزلت مصر ، فبنت الاهرام واتخذت فيها المصانع وبنت فيها العجائب ، ولم تزل مصر في أيديهم حتى أخرجهم مالك بن دعر الخزاعي .

وقال سعيد بن عفير : لم تزل مشائخ مصر يقولون الاهرام بناها شداد بن عاد . وكانوا يقولون بالرجعة ، فكان أحدهم إذا مات دفن معه ماله ، وإن كان صانعاً دفنت معه آله . انتهى .

وحكى بعض شيوخ مصر أن بعض من يعرف لسان اليونان حل بعض الاقلام التي عليها ، فإذا هي : «بني هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان» قال ومن ذلك الوقت الى زمن نبينا ﷺ ست وثلاثون ألف سنة ، وقيل إثنتان وسبعون ألف سنة . وقيل إن القلم الذي عليها تاريخه قبل بناء مصر بأربعة

آلاف سنة ولا يعرفه أحد .

قال : ولما ملك أحمد بن طولون مصر حفر على أبواب الهرم ، فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوب عليها سطور باليوناني ، فأحضر من يعرف ذلك القلم وإذا هي أبيات شعر ، فترجمت فكان فيها :

أنا باني الاهرام في مصر كلها ومالكها قدما بها والمقدم
تركتُ بها آثار علمي وحكمتي على الدهر لا تبلى ولا تهدم
وفيها كنوز جمعت وعجائبُ وللدهر لينٌ مدةً وتهجمُ
وفيها علومي كلها وغرائبُ وفي ليلة من آخر الدهر تنجمُ
ثمان وتسع واثنان وأربع وسبعين من بعد المئين تسلمُ / 248ب/
ومن بعدها أجر تسعين برهة فتلقى البرابي سنجر وتهدمُ
تدبرُ فعالي في صخور قطعها ستبقى والتي قبلها ثم تعدمُ

فجمع ابن طولون الحكماء وأمرهم بحساب هذه المدة ، فلم يقدرُوا على تحقيق ذلك ، فأيس من فتحها .

ودخل جماعة في أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير ، فوجدوا في إحدى بيوته جاما من زجاج غريب اللون والتكوين ؛ فحين خرجوا فقدوا منهم واحداً ، فدخلوا في طلبه فخرج اليهم عرياناً وهو يضحك وقال : لا تتعبوا في طلبي ورجع هارباً الى داخل . فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم فبلغ ابن طولون ، فمنع الناس من الدخول وأخذ الجام منهم ، فملأه ماء ووزنه ثم صبَّ ذلك الماء ووزن الجام فكان وزنه ملياناً كوزنه فارغاً .

وقيل إن الروحاني الموكل بالهرم في صفة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب الى الأرض . وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القائلة . والموكل بالهرم ، الذي الى جانبه ، غلام أخضر أمرد عريان . وقد رأوه يدور حول الهرم بعد المغرب ؛ والموكل بالثالث في صورة شيخ في يده مبخرة وعليه ثياب

الرهبان ، وقد رأوه يدور ليلا حول الهرم . انتهى . ذكر ذلك صاحب مرآة الزمان والمسعودي .

وقال صاحب المناهج : ولما فتحه المأمون ، فُتح الى زلاقة ضيقة من حجر الصوان الاسود ، الذي لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط . قد نقر في الزلاقة حُفر ، يتمسك الصاعد بتلك الحفر ويستعين بها على المشي في الزلاقة لئلا يزلق وأسفل الزلاقة /249/ بئر عظيمة بعيدة القعر . ويقال إن أسفل البئر أبواب يدخل منها الى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب ، وانتهت بهم الزلاقة الى موضع مربع في وسطه حوض من حجر صلد مغطى فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية . اهـ .

لطيفة

ذكر في صحيح مسلم وغيره عن صهيب رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له - وفي رواية ساحر - فقال الساحر : إني قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع علمي منكم ولا يكون فيكم من يعلمه ؛ فأنظروا لي غلاماً فطيناً فاهماً لأعلمه علمي ، وأفهمه . فنظروا له غلاماً على ما وصف وأمره أن يحضر ذلك الساحر وأن يختلف اليه ، فجعل يختلف اليه . وكان على طريق الغلام راهب في صومعته - قال معمر : أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين - فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مرّ به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال : إنما أعبد الله عز وجل ! فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ على الساحر فأرسل الى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني ؛ وأخبر الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا خشيتَه فقل حبسني أهلي ، وإذا خشيتَ أهلك فقل حبسني الساحر !

فبينما الغلام على ذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة وقد حبست الناس ، فقال : اليوم أتبن أمر الراهب من الساحر . فأخذ حجراً وقال : اللهم إن كان أمر

الراهب أحب اليك من أمر السّاحر فأقتل هذه الدابة ! ثم رماها فقتلها . فقال الناس : من قتلها ؟ /249ب/ فقيل : الغلام ! ففرع الناس وقالوا : لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد . فسمع به أعمى ، وكان جليساً للملك ، فأتاه ليردّ بصره ، فقال له : لا أريد منك شيئاً ، ولكن أرأيت إن رجع اليك بصرك أتؤمن بالذي ردّ اليك بصرك ؟ قال : نعم . فدعا الله عزّ وجلّ فردّ عليه بصره فأمن الأعمى وجاء الى الملك بعدما شفي ، فجلس منه كما كان يجلس ، فقال له : من ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربي ! قال : وهل لك ربّ غيري ؟ قال : الله ربي وربّك ! فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه .

قال الترمذي : إن تلك الدابة كانت أسداً ، وأن الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له : إن لك شأن ، وإنك تبلى فلا تدلّ عليّ !

وإن الملك بلغه أمرهم ، فبعث اليهم فأتى بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه . ثم أمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله ، ثم أمر بالغلام فقال : انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من رأسه !

فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا به اليه ، قال الغلام : اللهم أكفنيهم بما شئت . فجعلوا يتهافون من ذلك الجبل ويتردّون منه حتى لم يبق منهم الا الغلام . ورجع الى الملك فقال له : أصحابك كفانيهم ربي بما شاء ! فأمر الملك أن ينطلقوا به الى البحر فيلقونه فيه .

فانطلقوا به اليه فقال الغلام : اللهم أكفنيهم بما شئت . فأغرق الله عزّ وجلّ الذين كانوا معه وأنجاه . فأقبل الغلام يمشي على وجه الماء حتى أتى الملك /250/ فتحيّر الملك في نفسه فقال له الغلام : أتريد أن تقتلني ؟ قال : نعم . قال : إنك لن تقدر أن تقتلني حتى تصلبي وترميني بسهم من كنانتي وتقول إذا رميتني «بسم الله ربّ هذا الغلام» ، بعد أن تجمع الناس في صعيد واحد . ففعل الملك ذلك ، وأمر بالغلام فصلب وأخذ الملك سهماً من كنانة الغلام

وقال «بسم الله ربّ هذا الغلام» . فقبل له : لكنّك جزعت حين خالفك ثلاثة ، فهذا العالم كلهم قد خالفوك !

فأمر بالأخدود ، فخذ أخذوداً ثم ألقي فيه الحطب والنار ثم جمع الناس وقال من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه في هذا النار فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود . فذلك قوله تعالى : «قتل أصحاب الأخدود ، الآية» .

زاد مسلم : فأتيتُ بامرأة لتلقى في النار ومعها صبيّ رضيع ، فجزعت فقال لها الصبي : يا أمّاه لا تجزعي ، فإنك على الحقّ !
وذكر ابن قتيبة أنّ الرضيع كان ابن سبعة أشهر .

قال الترمذي : وأنّ الغلام خرج في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ويده على صدّغه كما وضعها حين قتل .

وذكر صاحب السيرة ، محمد بن اسحاق ، فيها ، أنّ اسمه عبد الله بن التامر . وأنّ رجلاً من أهل نجران حفر حفرة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه في بعض حاجته فوجده تحت الرّدم قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه وفي يده خاتم مكتوب عليه «ربي الله» فكتبوا بذلك الى عمر رضي الله [تعالى عنه] فكتب اليهم «أقرّوه على حاله» اه .

قال السمرقندي : والواقعة كانت قبل مبعث /250ب/ النبي ﷺ بسبعين سنة ، قال : وكان اسم الراهب قيمون . كذا قال ابن بشكوال . انتهى .
قال الملك المؤيد : ثم إنّ المأمون رجع الى الشام ثم دخل بلاد الروم ، وأناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم عاد .

قال البدرى : ولما رحل استخلف على حصارها عجيلاً فخدعته الروم وآسرتة ، فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم انفلت من أيديهم واستمر محاصراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه وأحاط بجيشه من وراء . فبلغ المأمون ذلك فسار اليه وهرب ملك الروم ثم بعث وزيره يسأل الأمان والمصالحة والمهادنة لكنه بدأ

بنفسه في الكتاب ، فردّ اليه المأمون يوثّخه ويقول له : «لا أقبل منك شيئا الا الدخول في الخنفيه ، والا السيف والقتل . والسلام على من اتبع الهدى» اه .
قال الهمداني في تاريخه : لما غزا المأمون أرض الروم ، وعمد الى حصونهم ودعاهم الى الاسلام وخيّرهم بين الاسلام أو الجزية أو السيف ، وذلّل النصرانية فأجابته خلق عظيم الى الجزية .

وذكر القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي قال : لما توجه المأمون غازيا ونزل البزندون جاءه رسول ملك الروم فقال له : إن الملك يخيرك بين أن يرّد عليك نفقتك التي أنفقتها من بلدك الى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن تعمّر لك النصرانية ما خربت من بلاد المسلمين ، فيعمّر كما كان وترجع عن غزائك هذا !

فقام المأمون ودخل /251/ الى مضره وصلى ركعتين واستخار الله عز وجل ، وخرج فقال للرسول : قل له أما قولك برّد نفقتي ، فإني سمعت الله تعالى يقول في كتابه العزيز : «وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِهِم يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ، فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما أتاني الله خيرا مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون» (النمل 35 ، 36) ؛ وأما قولك إن كل أسير في بلد الروم من المسلمين تخرجه ، فما ذلك الا أحد رجلين إما رجل طلب الله عز وجل في الآخرة ، فقد صار الى ما أراد ؛ وإما رجل طلب الدنيا فلا فكّ الله أسره ؛ وأما قولك تعمّر كل بلد للمسلمين قد خربه النصارى ، فلو أني فعلت أقصى حجر في بلاد الروم ما اغتظت بأمرأة عثرت في حال أسرها وقالت «وامحمداه !» . عد الى صاحبك ، فليس بيني وبينه الا السيف ! يا غلام ، إضرب في الطبل !

فرحل ولم يثن عن غزاته ، حتى فتح أربعة عشر حصنا . انتهى .
ولا زال المأمون يبلاد الروم ، الى أن دخلت سنة ثمانية عشر ومائتين ،

فَانْقَضَتْ فِيهَا أَيَّامُهُ ، وَأَلَمَ بِهِ حِمَامُهُ .

ذكر في تاريخ النويري : أَنَّ المأمون مَرِضَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ . وَسَبَبَ مَرَضِهِ مَا حَكَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْعَلَّافِ ، قَالَ : دَعَانِي المأمون وهو وأخوه المعتصم جالسان على شاطئ نهر البندون وقد وضعا أرجلهما في الماء ، فقال له : أَيُّ شَيْءٍ يُوَكِّلُ لِيُشْرَبَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الصَّفَاءِ وَالْعَذْوَةِ ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ / 251 ب / أَعْلَمُ . فَقَالَ : الرُّطْبُ .

فبينما هم في الحديث إذ دخلت بغال البريد ، عليها تحف وفيها اللطاف . فقال للخادم : انظر إن كان في هذه اللطاف رطب ! فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما رطب من أطيب ما يكون . فشكر الله تعالى ، وتعجبنا جميعاً . وأكلنا من ذلك الرطب وشربنا عليه من ذلك الماء ، فما قام منا أحد الا وهو محموم . ولم يزل المعتصم مريضاً حتى دخل العراق ومرض المأمون أيضاً ، ومات رحمه الله عليه .

قال ابن الوزير ابن بدورن : وكان ذلك أول علة المأمون . ثم تولدت به مادة تنصب إلى حلقه ، فكان دواؤه أن يترك حتى ينضج ، فيفتح . ففعل ذلك مرات ، وكان طبيبه ابن ماسويه فعلم أن تلك العلة لا تزول وأنه إن أخطأ في إصلاحها بعض الخطأ هلك صاحبها . فعلق بها طبيباً آخر يطبخها ، فطبخه ذلك الطبيب قبل النضج فمات .

ويقال إنه لما خرج في تلك الغزاة التي مات فيها صاح في إحدى الليالي غلاماً اسمه شفير ، وقال له : ويحك ، من يغني ؟ قال : ما يغني أحد . قال شفير ، ثم قمت فتسمعت فلم أسمع شيئاً فقلت : ما أسمع شيئاً ! فقال : بلى والله إنه كان من يغني ، ويقول :

ألم تعلم لمنزلة ودور خلعت بين المعشر والخدور

كأن بقية الآثار فيا بقايا الخط من قلم الزبور

فأعتل في اليوم الثالث من هذه الليلة . قال ابراهيم /252/ بن المهدي :
رأيت في منامي ، كأن جارية من جوارى الرشيد وفي يدها عود وهي على منبر
الرسول ﷺ ، وهي تقول :

سوف يأتي الرسول من بعد شهر يجد بني الخليفة المأمون

قلت : فهذه مفسرة ! فجاء نعيه بعد شهر . انتهى .

وكانت وفاته سنة ثمان عشرة ومائتين في رجب .

قال ابن المحبر : يوم الخميس وقت الظهر . وقيل بعد العصر لثلاث عشر
ليلة بقيت من رجب . وقيل يوم الخميس لسبع عشرة ليلة خلت من رجب
بالذندون من أرض الروم ، وحمل ودفن بطرسوس ، وله من العمر على حساب
مولده ثمانية وأربعون سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام . لأنه ليس في مولده
خلاف . انتهى .

وفي عيون المعارف : أنه توفي بالذندون من أرض الروم غازياً لثمان خلون
من رجب . وقال غيره : يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب ، وعمره ثمان
وأربعون سنة . وقيل تسع وأربعون سنة وشهران وثمانية عشر يوماً . وقال ابن
كثير : إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل ، فحمل الى طرسوس حتى دفن
بها . وقيل إنه نقل بعد ذلك الى أذنة فدفن بها ، والله أعلم .

وقال المؤيد : حمله المعتصم وابنه العباس الى طرسوس فدفناه بدار جلعان
خادم الرشيد . وصلى عليه المعتصم ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر
وثلاثة وعشرين يوماً سوى أيام دعي له بالخلافة وأخوه الأمين /252ب/
محاصر ببغداد . وكان مولده النصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وكانت
كنيته أبا العباس . وكان ربة ، أبيض جميلاً ، طويل اللحية رفيعها قد وخطه
الشيب . وقيل كان أسمر ، أقنى ، أعين ، ضيق الجبهة بخذه خال أسود . انتهى

كلام المؤيد .

وقال في عيون المعارف : الخال بخذه الايمن .

وقال ابن أبي الدنيا : كان حسن الوجه تعلوه صفرة .

وفي تاريخ العسقلاني : ويكنى حين استخلف بأبي جعفر ، وتلقب النظار والمبارك ، وله ألقاب كثيرة . وهو أول خليفة تسمى بإمام المسلمين ، وأول من كتب «من عبد الله الامام المأمون بالله أمير المؤمنين» . وكان نقش على خاتمه «سل الله يعطيك» كذا في تاريخ القضاعي وفي عيون المعارف .

وكان يسمى المجلود ، لأن أباه الرشيد جلده ، وذلك أنه دخل وبحضرة الرشيد قينة تغني فلحن فكسر المأمون جفنه عند سماع اللحن ، فتغير لون الجارية وفطن الرشيد ، فأمر من يضربه عشرين مفرقة . ففعل به ذلك . اهـ . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وقوة جسيمة ، وله همة في القتال وحصار الأعداء . وكان يقول : معاوية بعمروه ، وعبد الملك يحجاجة ، وأنا بنفسي ! وكان يقصد العدل ، ويتولى بنفسه الفصل ، وكان جواداً عظيم العفو ، حسن التدبير .

قال اسحاق الموصلي : كان المأمون أحفظ الناس للسر وأكتمهم لما في صدره . ولقد كان ينادم من هو أبغض اليه من قذى العين ، فينصفه ويوفيه حق /253/ المجالسة . ولقد قال يوماً : ما البغض عندكم ؟ فقلت : هو عندي حُمى الروح ! قال : فكيف به إذا كان مغنياً ؟! فقلت : كَرَبُ الموت . قالوا : فمن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو معنا في المجلس ! اهـ .

وكان فقيهاً ، عالماً يحب العلماء وإكرامهم ، وله بصيرة بعلوم متعددة واليه ينسب الزيج المأموني . وكان يعلم النجوم ولذا قال أبو سعيد المخزومي :

ما رأيت النجوم اغنت عن المأمون في عز ملكه المأسوس
خلقه بعرضتي طرسوس مثلما خلّفوا أباه بطوس

قال الثعالبي : لا يعرف أب وابن من الخلفاء وقد تباعدت قبورهما إلا الرشيد والمأمون . وذلك أن الرشيد بطوس والمأمون بطرسوس ، وأين العراق من الروم ، فسبحان القادر على كل شيء ! قال : وكذلك خمسة من وُلد العباس تباعدت قبورهم أشدّ تباعد ، ولم ير الناس مثلهم ، فقبر عبد الله بن عباس بالطائف ، وعبيد الله بالمدينة ، والفضل بالشام ، وقثم بسمرقند ، ومعبد بإفريقية . انتهى .

ولما مرض المأمون أوصى أخاه أبا إسحاق المعتصم ، وعهد له وكتب وصيته بحضرة العباس بن المأمون وجماعة القضاة والامراء والوزراء وفيها القول بخلق القرآن والدعاء اليه ولم يتب من ذلك ، ثم قال له : يا أخي عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله لتقومن بحق الله في عباده ، ولتؤثرن طاعة الله على معصيته إذ أنا نقلتها من غيرك اليك . قال : اللهم نعم ! قال : هؤلاء / 253 ب / بنو عمك ، ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، أحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئتهم ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها .

ثم أوصاه أن يكبر الذي يصلي عليه خمس تكبيرات ، وأن يعتقد ما كان يعتقد هو في القرآن . ثم أوصاه خيراً بعبد الله بن طاهر ، وإسحاق بن إبراهيم وأحمد بن أبي دؤاد القاضي . وكان المأمون يجله ، فقال لأخيه : شاوره في أمورك كلها ولا تفارقه . وحذّره من يحيى بن أكرم ونهاه عنه وذمه ، وقال : له خائني ونفّر الناس عني ، ففارقه غير راض عنه . ثم تمم له بعهد الخلافة ولم يعهد لولده .

وكان له عدة أولاد وهم محمد الأكبر ، وعبد الله ، ومحمد الأصغر ، والعباس ، وعلي ، والحسن ، وجعفر ، وإسحاق ، وأحمد ، وهارون ، وعيسى ، وعدة بنات أيضاً ثم مات ، رحمه الله كما تقدّم ذكر ذلك ، واستولى أخوه المعتصم وبايعه الناس . انتهى .

الباب الرابع في دولة أمير المؤمنين أبي اسحاق محمد المعتصم بالله

هو محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور الهاشمي العباسي ، وأمه أم ولد اسمها فاردة (ماردة ، في مراجع أخرى) ، من مولدات الكوفة ويقال إنها تركية . كذا في تاريخ العسقلاني . ومولده يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان سنة ثمانين ومائة .

وقال ابن كثير : لعشر خلون من شعبان /254/ . ويقال كان مولده سنة ثمانية وسبعين .

وهو أحد أولاد ستة من ولد الرشيد ، كل منهم اسمه محمد .

بويح له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس . وكان إذ ذاك مريضاً ، فأحضر العباس بن المأمون ، وباع له فبايعه الناس . وقد شغب الجند ونادوا باسم العباس ، وأرادوا أن يولّوه فخرج عليهم ، وقال : ما هذا الحبّ البارد ، أنا قد بايعت عمّي المعتصم ! فسكن الناس وخمدت الفتنة ، وركبت البرد بالبيعة [إلى] الآفاق وتتغزى الناس بالمأمون ، وولاية المعتصم .

ثم ركب في جنود إلى بغداد وصحبه العباس بن المأمون . فدخلها يوم السبت مستهلّ شهر رمضان في أبهة عظيمة ، وتحمل في الدرّ وفي بعض المراجع «تجمل» والظاهر أنه خفي عنهم المعنى في التحمل وهو الترحل تام ، وفرحت به الناس .

وكان أبيض أصهب اللحية طويلاً ، مربوعاً مشوب اللون بحمرة .

وكان شديد البدن ، يحمل ألف رطل ويمشي به خطوات . وكان شجاعاً عظيماً كثير الصدقات طيب الاخلاق ، ولكنه إذا غضب لا يبالي بمن قتل ولا ما فعل .

وهو أول من أضيف الى لقبه من الخلفاء اسم الله تعالى . وكان يلقب بالثمن والسباع والبيطار . انتهى . كذا ذكر المؤيد وصاحب عيون المعارف وغيرهما .

وكان عُرّيًا من العلم ، وله شجاعة وقوة وهمة . وتزيى بزي الاتراك في اللبس والهيئة . كذا ذكر ابن خلكان .

ذكر الخطيب البغدادي ، أن المعتصم أول من أدخل الاتراك الديوان ، وأول من مدّ السماط في الديوان كل يوم /254ب/ ، ولم يعهد في أيام من كان قبله من الخلفاء . وكان يتشبه بملوك العجم ويلبس لبسهم ويمشي مشيتهم . وبلغت غلمانه بضعة عشر ألفاً .

قال الحافظ الذهبي : اعتنى المعتصم بالترك وتشبه بملوكهم في الزي واللبس ، وبعث الى سمرقند وفرغانة والنواحي وجمع منهم خلقاً كثيراً ورتب لهم الارزاق وبذل فيهم الاموال وألبسهم أنواع الدياج ومناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيولهم في بغداد ، ويؤذون الناس ، وضائق بهم البلد ، فاجتمع اليه أهل بغداد وقالوا له : إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك ! قال : وكيف تحاربوني ؟ قالوا : بسهام الأشجار (في الاصل «الاسحار») . قال : لا طاقة لي بذلك . وكان هذا سبب بناء سر من رأى . انتهى .

قال ابن يونس : ومن أجله حقد الناس على المعتصم ، وهجاه دعبل بقوله :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ملوك بني العباس في الكتب سبعة | ولم يأتنا في ثامن منهم الكتب |
| كذلك أهل الكهف سبعة عادة | تواروا فيه وثامنهم كلب |
| وإني لأزهو كتبهم عنك رغبة | لأنك ذو ذنب وليس له ذنب |

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم وصيف وأشناس وقد عظم الخطبُ
وإني لأرجو أن ترى من مغيبها مطالع شمس قد يغصّ بها الشربُ
وهمك تركي عليه مهانة فأتت له أم وأنت له أبُ

/255/

فبلغت الأبيات المعتصم فأهدر دمه ، فهرب الى مصر ، ثم خرج الى المغرب .

وكان المعتصم قد قرّب منهم الرجال واستوزر منهم الأبطال ، مثل بُغا الكبير وعجيفاً ووصيف واشناس والأفشين وغيرهم ، وكان ذلك سبب تغلب الأتراك على بني العباس .

قال بعضهم : رأيت في بعض المجامع أن المعتصم بالله لما نكب على الأفشين قال لأحمد بن أبي دؤاد : يا أبا عبد الله ، رأيت ما صنع هذا الكلب الأقفَل معي ، وأنا رفعت شأنه وقلدته الأعمال ، وحكّمته في الأعلى والادنى ! فلما سمع ابن أبي دؤاد كلام المعتصم أمكنته الفرصة في العجم والممالك ، وكان لا يقدر يتكلم فيهم ليل المعتصم اليهم وحبّه فيهم . وقال له : يا أمير المؤمنين أحدثك بحديث لم تحدّث به ، وقد سمعته عن عمك أبي طالب .

فقال له : وما هو ؟ قال : حدّثني هشام بن السائب ، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جمع اليه وجوه قريش فأوصاهم ، فقال : يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيّد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً الا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حزب ، وعلى حزبكم ألب (الألب والإلب ، الناس يجتمعون على عداوة انسان) /255ب/ وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ، فإن فيها مرضاة للربّ وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، وصلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد ، فأتروا البغي والعقوق فإن فيها هلكت القرون قبلكم ، وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل ، فإن

فيها شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن ؛ وأيم الله ، كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البرّ في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وأعظموا أمره . فخاض بهم في غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً ، وأعظمها عليه أوجههم اليه ، وأفقرهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له قوادها ، وأعطته قيادها دونكم . يا معشر قريش ، ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة .

وكأني ، يا أمير المؤمنين ، أنظر الى هذه الممالك ، وقد تحزبوا («يتحزبوا») بالاعمال وجمع المال وإدخالهم العجم في العُمّال وإبطالهم العرب من الدواوين والاعمال حتى ينفردوا بالكلمة اليهم دون غيرهم ، فتصير ساداتهم /256/ لهم أذناباً ودورهم خراباً كما قال أبو طالب . فأنحرف المعتصم على الممالك وصار يبطش بهم وأراد الدخول الى بلاد المغرب ليقطع ذكر بني أمية ويهلك الاتراك والممالك بالأسفار . فكان أجله قد آن ووقع ما جرى به قلم الديان . انتهى .

ذكر ابن الاثير ، أنّ المعتصم غضب على حيدر الافشين سنة خمسة وعشرين ومائتين ، وأمر بسجنه . فبُني له مكان كالمنارة من دار الخلافة ، تسمى الكوة وحُبِسَ به . وكان سبب ذلك أنّ الخليفة المعتصم تحقق أنّه كان يريد مخالفته والخروج عليه ، وأنه عازم على الذهاب الى بلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين . فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك . وعقد له مجلساً فيه قاضيه أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ووزيره محمد بن عبد الملك الزيات ونائبه اسحاق بن ابراهيم بن مصعب .

وأحضر الأفشين وآتهم بأنه باق على دين أجداده الفرس ، وذلك أنه غير مختن . فاعتذر أنه يخاف من ألم ذلك . فقال له الوزير ابن الزيات ، وكان هو الذي تولّى مناظرته من بين القوم : فأنت تُطاعن بالرّماح في الحروب ولا تخاف من وقعها ، وتزعم أنك تخاف من قطع قلفة من بدنك !

ثم أُلقي عليه أنه جلد رجلين إمامًا ومؤذنًا كل واحد منهما ألف سوط لكونهما هدمتا بيت أصنام واتخذاه مسجداً ، وأنّ عنده /256ب/ كتاب كليلة ودمنة وفيه الكفر ، وهو محلى بالجواهر والذهب . واعتذر أنه ورثه من آبائه . وآتهم بأن الأعجام يكتبونه فيقولون «إلى الهة من عباده» وأنه يقرهم على ذلك ، فجعل يعتذر بأنه أجراهم على ما كانوا يكتبون به آبائه وأجداده ، وخاف أنه إن يأمرهم بترك ذلك يضيع عندهم . فقال له الوزير : ويحك ، فماذا أبقيت لفرعون حين قال «أنا ربكم الأعلى» !

ثم آتهم أنه كان يكتب المازيار بأن يخرج عن الطاعة حتى ينصرا دين المجوس الذي كان قديماً ويظهر على العرب والمغاربة والأتراك . وكان المازيار أحد العمال الأعجام ، وغضب عليه المعتصم وصلبه .

ثم أُلقي على الأفشين أنه كان يستطيب المخنوقة على المذبوحة ، وأنه كان يأكل في كل يوم أربعاء شاة سوداء ، بعد أن يستدعي بها ويضربها بالسيف نصفين ويمشي بينهما ثم يأكلهما . فجعل يعتذر على ذلك . واشتد غضب المعتصم بالله عليه ، ثم أمر عند ذلك بُغا في مهاتته . فجعل يقول : أنا كنت أتوقع ذلك منكم ! وحُمل مجبوساً . ثم أمر المعتصم عبد الله بن طاهر أن يحمل الحسين بن الأفشين إلى سامراء فحمله إليها ومعه زوجته أترجة بنت أشناس . انتهى .

وذكر ابن الجوزي ، في تاريخه ، أنّ في السنة السادسة والعشرين أمطرت أهل نيماء ببرد كالبيض ، فهدمت بيوتاً كثيرة وقتلت جماعة وسُمع صوت يقول : /257/ ارحم عبادك ارحم عبادك ! ورأوا أثر قدم طوله ذراع ونصف

بعشرة أصابع ، وعرضه شبران ، وبين خطوتيهِ سبعة أذرع . وآتبعوا الصوت ، فكانوا يسمعونهُ ولا يرون شخصه .

وفيهما فُتح بمصر كنز بغير موانع ، فوُجد فيه من الذهب خمسمائة ألف دينار ، ووجد فيه ضلع طوله اثني عشر شبراً وعرضه شبر ؛ ذكر أنه من بقية قوم عاد ، وفيها انخسف جبل يعرف بالتل ، فخرج من تحته ماء كثير ، غرق منه عدة من القرى ، وانخسف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقطت في البحر . وفيها كانت كلاب ودواب البرية يطلبون الناس ، فمن عضّوه أهلك ، وتناثر النجوم تناثراً عجيّباً الى جهة واحدة نحو خراسان . وفيها غضب المعتصم على الافشين حيدر . انتهى .

وقال الملك المؤيد في المختصر ، في سنة ست وعشرين ومائتين غضب المعتصم على الافشين ، حيدر بن كاؤوس ، وحبسه حتى مات في حبسه . وأخرج فصلب ثم أحرقت جثته .

والافشين هذا ، هو الذي قاتل بابل الخرمي المجوسي الذي استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة ، وعظم جمعه وهزم مراراً عسكر المعتصم ، حتى انتدب له المعتصم الافشين المذكور ، فقاتل بابل وجرى معه حروب وقتال شديد في مدة طويلة ، ثم انتصر الافشين وأخذ مدينة بابل البدّ ، وأسره ، وأحضره الى المعتصم فقتله . انتهى .

وقال بعض المؤرخين : إن سبب بطش المعتصم بالافشين ما نُقل عنه أنه يريد انفراد الكلمة له والقرب /257ب/ منه دون غيره . وكان الافشين له منزلة ومكانة من المعتصم فبلغ به ذلك أن جار وتعدّى وظلم ، فكثرت أعداؤه وانثنى عنه أصدقاؤه .

قال بعض الحكماء : من فعل الخير بنفسه بدأ ، ومن فعل الشرّ فعلى نفسه جنى ، ومن أبصر عيبه لم يُعيب أحداً ، ومن عمي عنه لم ير شراً أبداً ، ومن لم

يكن له من نفسه زاجرٌ لم تنفعه الزواجر ، ومن ظلم يتيماً ظلم أولاده ، ومن أفسد أمره أفسد معاده ، ومن أحب نفسه اجتنب الآثام ، ومن أحب ولده رحم الأيتام ، ومن زرع خيراً حصداً أجراً ، ومن اصطنع خيراً استفاد شكراً ، ومن سالم الناس ربح السلامة ، ومن تعدى عليه مكسب الندامة ومن جاد بماله جل ، ومن جاد بعرضه ذل ، ومن ضعف رأيه قوي ضده ، ومن ساء تدبيره أهلك جنده ، ومن كثر مزاحه قلت هيئته ، ومن كثرت مخالفته طابت غيبته ، ومن استغنى برأيه ضل ؟ ، ومن اكتفى بفعله ذل ، ومن آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا ، ومن أيقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى ، ومن صبر نال المنى ، ومن شكر حصن النعمى ، ومن حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ، ومن أرضى سلطاناً جائراً أسخط رباً قادراً .

وقال سطيح : إياكم والقرب من السلطان ، فلا تلتزموا بقربه ، فإنه يغضب غضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد !

وقال كسرى لوزيره : إياك وكثرة الدخول والخروج عليّ فأملك ، ولا تكثر من السؤال في حاجة غيرك فتثقل عليك حوائجك ، /258/ ولا تطل الغيبة عليّ فأنساك .

وقال النعمان بن المنذر : من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، ومن ألح في المسألة استحق المظل . والرفق غنم والحزن شؤم . وخير العطاء ما وافق الحاجة ، وخير العفو ما كان مع القدرة .

وقيل لأعرابي : لم قطعت أخاك وهو من أمك وأبيك ؟ فقال : إني لأقطع العضو الفاسد من جسدي وهو أقرب إليّ منه ، إذا رأيت في ذلك الصلاح !

وقال ابن الزيات : احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل ، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء كمن أساء وهو يظن أنه محسن .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظنّ بالناس ! قيل : فما

الصواب ؟ قال : المشورة . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحب والبغض . قيل : فما الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كف بذول وبشر جميل .

وفي كتاب الفرس : إذا أردت أن تسأل فأسأل من كان في غنى ثم افتقر ، فإن عز الغنى يبقى في قلبه أربعين سنة ، ولا تسأل من كان في فقر ثم استغنى ، فإن ذل الفقر يبقى في قلبه أربعين سنة !

وإنما ذكرنا هذا ليتنبه الغافل مما كان عليه الافشين وما صار اليه بسيرته في أقرب حيز . وقد كان للمعتصم من الأنجاد حتى أطلق له يده في بعض القواد ، ثم انحط عن ذلك المرام ، ولعبت به أيادي اليالي والايام .

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة قال : كان ابتداء العداوة /258ب/ بين أحمد بن أبي دؤاد وبين الافشين أنه كان أغرى المعتصم على أبي دلف العجلي ، لعداوة كانت بينهما ، فسلمه له المعتصم ، فأجمع رأي الافشين على قتله من يومه ذلك . فبلغ الخبر أبا دلف فأرسل الى ابن أبي دؤاد ، فاستجار به وعرفه ما قد أشرف عليه . فجاء ابن أبي دؤاد الى المعتصم يسأله في أمره فوجده نائماً ، وكره أن ينبّهه .

وخاف أن يسرع الافشين الى قتل أبي دلف فجاء الى الافشين وقال له : يقول لك أمير المؤمنين بلغني أنك تريد أن تحدث على القاسم بن علي حادثة ؛ والله لكن فعلت لأقتلنك ! ولم يكن المعتصم أرسله ولا قال له شيئاً . فرهب الافشين أن يقتل أبا دلف .

وعاد ابن أبي دؤاد الى المعتصم فوجده قد انتبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قال عليه السلام : «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نوى خيراً» . وقد أدبت عنك رسالة أخيني بها أهل بيت من المسلمين ، وكنت بها عوادي خلق من العرب . فبلغني أن الافشين عزم على قتل القاسم بن علي العجلي ، فأدبت عنك كذا وكذا وحققت دم الرجل ونعشت عياله وكففت عنك غضب بني

عجل ومن يتبعها إن غضبت له ، ويتعين عليك منها ما تغتم له ، والرجل في يده مشرف على القتل ! فقال له المعتصم : قد أحسنت ! ووجه الى الافشين «ابعث الي القاسم بن علي مكرماً» . فكان خلاصه على يد ابن أبي دؤاد .

فوجه الافشين الى ابن أبي دؤاد «لا تأتيني ولا تقرني !» . فقال /259/ للرسول : أتؤدي عني كما أديت الي ؟ قال : نعم . قال : قل له لا آتيتك تفرداً من ذلة ولا تكثرًا من قلة ، وإنما أنت رجل ساعدك زمان ، ورفعك سلطان ، فإن جئتك فلي ، وإن تأخرت عنك فلنفسك ، وما فالك مما أردته خير مما تصيبه منه .

ومن طريق آخر قال : حدثني أبو اسحاق قال : أخبرنا أحمد بن أبي دؤاد قال ، دخلت على المعتصم يوماً ، فقال : يا أبا عبد الله ، لم يدعني اليوم أبو الحسين الافشين حتى أطلقت يده على القاسم بن علي العجلي ! قال : فقامت من بين يديه وما أبصر شيئاً جزعاً على أبي دلف ، ودخلني أمر عظيم ، وخرجت فركبت دابتي وسرت سيراً عتيقاً ، كدت أن أهول من الجاسوق الى باب الافشين ، بقرب الظهيرة ، أوّل أن أدرك أبا دلف من قبل أن يحدث عليه حادثة .

فلما بلغت بابه أنفت أن أستاذنه ، فيعلم أنني قد حضرت بسبب أبي دلف فيعجل عليه . فدخلت على دابتي الى الموضع الذي كنت أنزل فيه ، وأوهمت حاجبه أنني قد جئت برسالة من المعتصم ، ثم نزلت ، فرُفع السّتر ، فدخلته . فوجدت الافشين في مجلسه وأبا دلف مصفداً بالحديد بين يديه ، على نطع وهو يقرّعه ، ويخاطبه بأقبح مخاطبة . فحين قرّبت منه أمسك ، فسلمت وأخذت مجلسي ، ثم قلت للافشين : قد عرفت حرمتي بأمر المؤمنين وخدمتي إياه وموضعي عنده وموضعي من رأيه وتفردتي بالصنعة عنده والاحسان الي ، وعلمت مع ذلك ميلي اليك ومحبتني /259ب/ لك وقد رغبت اليك في ما يرغب فيه مثلي الى مثلك ممن رفع الله قدره وأجل خطره وأعلى همته . فقال :

كل ما قلت كما قلت ، وكل ما أردته مني فهو مبدول اليك ما خلا هذا الجالس ،
فإني لا أشفعك فيه !

فقلت : ما جئتك إلا في أمره ، ولا ألتبس منك غيره ، ولولا شدة غضبك
وما تتوعد به من القتل لكان في جميل عفوك ما أغنى عن كلامك ، ولكني
لما عرفتُ غيظك وما أنت منتقمه عليه احتجت بموقعه مني الى كلامك في
أمره وتركه بعظيم جرمه إذ مثلك في جلالتك إنما يُسأل جلائل الأمور . فقال :
يا أبا عبد الله ، هذا رجل طلب دمي ، ولم يقتصر على إزالة نعمتي ، ولا سبيل
الى تشفيك فيه ، ولكن هذا بيت مالي وضياعي وكل ما أملكه ، فخذ من ذلك
ما أردت ! فقلت : بارك الله لك في مالك . وثمرها لك ، لم آت لهذا ؛ وإنما
أتيت في مكرمة ليقى لك فضلها وحسن أحوثها (في الاصل «يحسن
أحوثها») ويجعل منتهى في عنقي لا أزال مژغتها بشكرها . فقال : ما عندي
في هذا شيء البتة ! فقلت : القاسم بن علي ، فارس العرب وشريفها ، فاستبقه
وأنعم عليه ، فإن لم تره لهذا أهلا فهبه للعرب كلها ، وأنت تعلم أن ملوك العجم
لم تزل تتفضل على ملوك العرب ، ومن ذلك ما كان من كسرى الى النعمان
حتى ملكه ، وأنت اليوم بقية العجم وشريفها ، والقاسم شريف العرب ، فكن
اليوم شريف من العجم أنعم على شريف من العرب /260/ وعفى عنه !

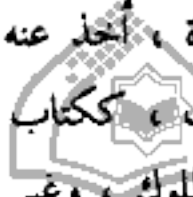
فقال : ما عندي في هذا الا ما سمعته . وتكرّر وتبين الشرّ في وجهه ، فقلت
في نفسي أنصرف وأدع هذا يقتل أبا دلف ، لا والله ؛ ولكن أمثل بين يديه قائما
وأسأله ، فلعله يستحي . فقممت ، فتوهمني أريد الانصراف فتخفّر لي . فقلت :
لست أريد الانصراف ، وإنما مثلت بين يديك قائما طالبا راغبا ضارعا سائلا
مستوهبا هذا الرجل منك ! فكان جوابه أغلظ . فتحيرت فقلت أكبّ على رأسه
فأقبله ؛ فدخلني من ذلك أنف شديد ، وقلت أقبل رأس هذا الاغلف ، لا
يكون هذا أبدا . ثم راجعتني الشفقة على أبي دلف فقبلت رأسه وتضرّعت ؛
فلم يعجبني ، فأخذني مندم وحدث ؛ فعدت فجلست وقلت : يا أبا الحسين ،

قد طلبت إليك وتضرعت ووضعت خدي لك وقبّلت رأسك ، فشفعني وأصرفني شاكراً فهو أجمل لك ! قال : لا والله ، ما عندي غير ما قلته لك ! فقلت : إني رسول أمير المؤمنين إليك ، وهو يقول لك لا تحدث في القاسم بن عليّ حدثاً ، فإنك إن قتلته قتلته به ! قال : أمير المؤمنين يقول هذا لي بعد أن أطلق يدي عليه ! قلت : نعم ، أنا رسوله إليك بما قلته لك ، فإن كنت في الطاعة فاسمع وأطع ، وإن كنت خلعت فقل لا طاعة لي ! ونفضت يدي في وجهه ونهضت ، فأضطرب حتى لم يقدر أن يدعو لي بدابة . وركبت ، فأغذذت السير الى باب المعتصم ، لأخبره بالخبر وبما /260ب/ اضطرت اليه من تأدية رسالة باطلة عنه ، لأني علمت أنه لم يقبل لي مقالة الا أنه يحب استبقاء أبي دلف .

فأنتهيت الى الجوسق في وقت حار والحجاب نيام والدار خالية ، فأنتهيت الى الدار التي فيها المعتصم وجلست وقلت إن جاء الافشين دخلت معه وتكلمت ، وإن سأل الوصول أخبرت أمير المؤمنين بالخبر كله . فبينما أنا كذلك إذ خرج خادم صغير من وراء السّتر ثم دخل وخرج فقال : أدخل ! فدخلت وقلت : يا أمير المؤمنين ، لي اليوم مع القاسم بن عليّ قولاً ، علمت أنك تريد استنقاذه وحقق دمه ، فمضيت من فوري الى ابي الحسين الافشين . ثم قصصت عليه القصة ، موضع الرسالة التي أديتها اليه عنه ، وهو في كلّ ذلك يتغير ويفتل بسبّابه ، حتى إذا أردت أن أعرفه الرسالة التي أديتها عنه قطع كلامي وقال : يمضي قاضي وصنيعي أحمد بن أبي دؤاد الى جندي ، فيخضع له ويقف بين يديه ويقبل رأسه فلا يشفعه ؛ قلني الله إن لم أقتله ! فجعل يكررها مراراً ، فما استوفى كلامه حتى ارتفع السّتر ، ودخل الافشين .

فلقيه بأكثر البرّ والإكرام ، وأجلسه بقربه وقال : في هذا الوقت الحار ، يا أبا الحسين ! فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل عرفت ما نالني منه وآنه طلب دمي وقد /261/ أطلقت يدي عليه ، يجبرني هذا ويقول إنك بعثت له اليّ تأمرني ألاّ أحدث

في القاسم حدثاً ، وإن قُلتُهُ قُلتُ به ! قال له بغضب : إنا أرسلناه إليك ، فلا تُحدث على القاسم بن علي حدثاً . فنهض الافشين مغضباً يُدمدم ؛ وآتبعته لائتلافه ، فصاح المعتصم بي وقال : إرجع يا أبا عبد الله ! فرجعت وقلت : يا أمير المؤمنين ، فإنه بقي مما جرى مني قطعني بكلامك عنه . قال : تعني الرسالة . قلت : نعم . قال : قد فهمتها ، والقاسم بن علي يوافيك العشيّة ، وأحذر أن تتفوه بشيء مما جرى . ثم أطلق القاسم وخلع عليه ، فجاءني من عشيته . وما أخبرت الحديث أحدًا حتى قُتل الافشين ومات المعتصم رحمه الله ، انتهى .

كان أبو دُلف من أصحاب الأمين وغضب عليه المأمون ثم رضي عنه وصار من قواده ، ثم من قواد المعتصم بعده . وكان من أشرف بني عجل بن لخم ، ويتصل نسبه بنزار بن معد بن عدنان . وكان كريماً جواداً شجاعاً ممدحاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع ماثورة ، أخذ عنه الأدب الفضلاء ، وله صنعة في الغناء ، وله مصنفات من الكتب ، ككتاب البزاة والصيد ، وكتاب السلاح وكتاب النزّه ، وكتاب سياسة الملوك ، وغير ذلك . مدحه بكر بن النطّاح بقوله :  مدحه بكر بن النطّاح بقوله :

يا طالباً للكيمياء وعلمه مدحُ ابن عيسى الكيمياء الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلا درهم ومدحته لأتاك ذاك الدرهمُ

261ب/ قيل إنه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف دينار .

ومدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح . قال بعض الرواة : حضرت أبا دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام ، وقد أنشدته قصيدته التي أولها «على مثلها من أربع وملاعب» فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال له : والله ما هو بإزاء استحقاك وقدرك ، فاعذرنا . فشكر وقام ليقبل يده ، فحلف ألا يفعل ثم قال له : أنشدني قولك في محمد بن حميد ، فأنشده :

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمرُ

وقد كان الموت سهلاً فرده إليه انخفاض المر والخلق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت إخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد حشو برأيه فلم ينصرف وأكفاته الأجر
كان بني نبهان يوم مصابه نجوم سماء جرّ من بينها البذر
يغزون عن ثاو يغزى به العلّا ويكي عليه الناس والجود والشعر

فقال : والله لوددت أنها فيّ وإنّي الميت ! فقال : بل أفدي الأمير بنفسه
ومالي ! فقال : إنه لم يمت من رأيي بهذا الشعر . انتهى .

قال بعضهم وكان شجاعاً معطاء لا يملّ العطاء ، /262/ ويستدين على
ذمته ويعطي . وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرج ، فمات ولم يتمها فأتتها
ابنه أبو دلف . وهي بفتح الكاف والراء وبعدها جيم ، مدينة بالجبل بين
أصفهان وهمدان ، كذا ذكر ابن خلكان «الكرخ» بالخاء في ابن خلكان
77/4 . انظر تعليقنا على ذلك في المقدمة ص (36) . واحترق الكرج سنة
خمس وعشرين وجمدها المعتصم .

قال ابن خلكان : رأيت في بعض المجامع أنّ أبا دلف لما مرض مرض موته
حُجب عن الدخول عليه ، لانه لا يعقل . فاتفق أن أفاق في بعض الايام ، فقال
لحاجبه : من بالباب من المحاويج ؟ فقال عشرة من الاشراف قد وصلوا من
خراسان ، ولهم بالباب عدة أيام لم يصلوا اليك ، ولا وجدوا طريقاً . فقعده على
فراشه واستدعاهم .

فلما دخلوا رحّب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم .
فقالوا : أضاقت بنا الاحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك ! فأمر خازنه بإحضار
بعض الصناديق ، وأخرج منه عشرين كيساً في كلّ كيس ألف دينار ، ودفع
لكلّ واحد منهم كيسين ، ثم أعطى كل واحد مؤنة طريقه ، وقال لهم : لا
تمسكوا الاكياس حتى تصلوا بها سالمة الى أهلكم ، واصرفوا هذا في مصالح

الطريق . ثم قال : ليكتب لي كل واحد منكم خطّة ، أنه فلان ابن فلان حتى ينتهي الى علي بن أبي طالب ، ويذكر جدّته فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ، ثم يكتب «يا رسول الله إني وجدت إضافةً وسوء حال في بلدي ، فقصدت أبا دلف العجلي فأعطاني ألفي دينار كرامة /262ب/ وطلبًا لمرضاتك ورجاء لشفاعتك» .

فكتب كل واحد كتابًا وتسلم الاوراق . وأوصى من يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الاوراق في كفنه حتى يلقي بها رسول الله ﷺ ، ويعرضها عليه ، انتهى .

وقال ابن كثير : وكان في أبي دلف تشيع ، وكان يقول من لم يكن مغاليًا في التشيع فهو ولد زنى . فقال له ابنه دلف : لست على مذهبك يا أبت ! فقال له : والله ، لقد وطئت أملك قبل أن أسترثها (في الاصل «اشتريتها») ، فهذا من ذلك !

وقال ابن خلكان : حكى جماعة من أرباب التواريخ أن دلف بن أبي دلف قال : رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي : أجب الامير ! فقممت معه فأدخلني دارًا ، وحشة ، وعرة ، سوداء الحيطان ، مقطّعة السقوف والابواب ، وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران ، وإذا في أرضها أثر الرماد ، وإذا أنا بأبي وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دلف ! فقلت : دلف . فأنشأ يقول :

أبلغن أهلنا ولا تُخفِ عنهم ما لقينا في البرزخ الخناقِ
مذ سئلنا عن كلّ ما قد فعلنا فأرحموا وحشتي وما قد ألاقِي

ثم قال : أفهمت ؟ فقلت : نعم . ثم أنشد :

فلو كنّا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحة كل حيّ

ولكنّا إذا متنا بُعثنا ونُسأل بعده عن كلّ شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ! انتهى .

وذكر الملك المؤيد : /263/ أن وفاة أبي دلف كانت سنة خمس وعشرين

ومائتين ، انتهى .

قيل إنّ المعتصم كان شجاعاً بطلاً ذا شهامة وصولاً ، وكان محباً للظفر والاصلاح . قال في محاسن البلاغة : زينة السلطان حلتان الظفر والاصلاح . وكان المعتصم بالله يحبّ العمارة ويقول : إنّ فيها أموراً محمودة أولها عمران الارض التي يحبى بها العالم ، وعليها تركو الخراج ، وتكثر الاموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الاسعار ، ويتسع المعاش . وكان يقول لوزيره : إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه . انتهى .

وبنى المعتصم سامراء ، ابتدأها سنة عشرين ومائتين واستجاش بها الترك ،

وجمع منهم جنوداً عظيماً . وقال ابن كثير : إنما كان المعتصم شهماً في أيامه ، وكان له همة عالية ومهابة عظيمة جداً . وكانت همته في الانفاق في الحروب لا في البناء ولا في غيره . وقد استخدم من الاتراك خلقاً كثيراً . وكان له من المماليك قريب من عشرين ألفاً . وتمّ له من آلات الحروب والدواب ما لم يتفق لغيره ، انتهى .

وكان بابك الخرمي ، رئيس الزنادقة ، قد استفحل أمره وقويت شوكة في أيام المعتصم ، وانتشرت أتباعه في البلاد من أذربيجان وما والاها . وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين على عهد المأمون . وكانت بينه وبين /263ب/ عمال المأمون وقائع . وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً . واستفحل أمره في أيام المعتصم ، فعقد المعتصم للافشين على جيش عظيم ، ووجهه الى بابك الخرمي . فسار الافشين اليه في سنة عشرين ومائتين في أبهة عظيمة وقد أحكم صناعة الحرب وعمارة الحصون واتصال المدد . وأرسل اليه

المعتصم بابنه مع بُغا الكبير ، ثقة لمن معه من الجند والأتباع .

وقد التقى الافشين مع بابك في هذه السنة ، فأقتلا . فانهزم بُغا ، وقُتل خلق كثير من أصحابه ، فانتصر له الافشين وقابله ، فانهزم بابك ، وأكثر في قومه القتل بعد حروب طويلة في سنة إحدى وعشرين ، ولا زال الامر كذلك الى سنة اثنتين وعشرين ، فأمر المعتصم الافشين وجهز له جيشًا عظيمًا لقتال بابك وبعث اليه بثلاثين ألف درهم نفقة للجند والاتباع ، فبلغ الى الافشين . فدَّهَم به بابك فهزمه ، وأفتتح مدينته وأستباح ما فيها . ودخلها الافشين يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان من السنة المذكورة .

وهرب بابك بمن تبعه من أهله وولده ، ومعه أمه وامراته وانفرد بشرذمة قليلة من خدمه ، ولم يبق معه /264/ طعام يأكله فأجتاز بحراث ، فبعث اليه غلامه بذهب يدفعه الى الحراث ويأتي بما عنده من الخبز . ففعل ما أمره مولاه ، ولمّا أن ناوله الحراث الخبز كان له شريك ينظره من بعيد فظن الشريك أنّ الغلام اغتصب الخبز من الحراث ؛ فذهب الى حصن هناك فيه نائب للخليفة ، يقال له سهل بن سنياط ، واستدعاه نصرة للحراث . فركب سهل بنفسه ، فوجد الغلام فقال له : من أنت ؟ فأراد أن يعمي خبره ، فألح عليه . فقال : أنا من غلمان بابك ! قال : فأين هو ؟ قال : هو هذا جالس .

فسار اليه سهل ، فلما رآه ترجل وقبل يده وقال : يا سيدي الى أين تريد ؟ فقال : بلاد الروم . فقال : عندي أحسن ، وأنا غلامك . ولم يزل به حتى خدعه وأخذته معه الى الحصن . فأنزله عنده ، وكتب الى الافشين يُعلمه بذلك . فأرسل الافشين اليه أميرين ، فقبضاه وأقبلا به اليه . فلما اقتربوا منه أمر الافشين بالملاقة وأن يصطف الناس صفين وأن يترجل بابك ، فيدخل بين الصفين راجلا ففعل ذلك . وكان يومًا مشهودًا ، ثم أمر بسجنه واحتفاظه . وكتب الى المعتصم بذلك وأنه في أسره ، وأنه قد استحضر أخاه عبد الله أيضًا . فردّ اليه المعتصم أن أقدم بهما عليّ الى بغداد . فتجهز الافشين وسار الى المعتصم في هيئة

عظيمة وتحمل حسن . وكان دخوله الى سامراء يوم الخميس ثالث صفر من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله ، وجعل بابك على فيل خضبت /264ب/ أطرافه ، وألبس من الحرير والامتعة التي تليق به بشيء كثير ، وألبس بابك أيضا قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ، وأدخل بين الناس . وذلك كله ليظهر أمره ويعرفه الناس .

وقد قال بعضهم في ذلك :

قد خضب الفيل كعادته يحمل شيطان خراسان
والفيل لا يخضب أعضاؤه إلا لذي شان من الشان

ولما حضر بين يدي الخليفة المعتصم أمر بقطع يديه ورجله ، ثم حَزَّ رأسه وشقَّ بطنه . وأمر بحمل رأسه الى خراسان وصلب جثته على خشبة بسر من رأى . وكان بابك قد شرب الخمر في ليلة قتله ، وهي ليلة الخميس لثلاثة عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة .

قال ابن جرير : وكان قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره ، وهي عشرون سنة ، مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة نفر ، وآسر خلقاً لا يحصون كثرة . وكان الافشين قد استنقذ من أسره نحواً من سبعة آلاف وستمائة إنسان ، وآسر من أولاده سبعة عشر رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أبنائه ثلاثاً وعشرين امرأة . ولما قتله المعتصم وأراح منه المسلمين ، وكان ذاك على يد الافشين ، تَوَجَّ الافشين وقلَّده وشاحين من جوهر ، وأطلق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السند . وبلغ من المرتبة وعظم الجاه عنده ما لم يبلغه غيره ، ولا زال محظياً عنده الى أن أوقع به ، على /265/ حسب ما تقدّم ذكره ، بعد أن كان نجدته العظمى ، وفتح على يده ثمانية فتوحات بلاد بابل ، انتهى .

كذا نقل من تاريخ البدرى وغيره أيضاً . انتهى .

همة هاشمية وصوله عباسية

قيل ، كان المعتصم بالله في بعض قصوره على شرابه وطربه ، إذ دخل عليه الحاجب وقال : يا أمير المؤمنين ، أسير من عمورية يستأذن في الدخول عليك . فقال : له ذلك ، إذ لا بدّ من فائدة ! فلما مثل بين يده قال له : من أيّ البلاد أتيت ؟ قال : من أرض الروم ، يا أمير المؤمنين ، من مدينة يقال لها عمورية ، حصينة منيعة ، فيها بطريق جبار ، لا يُصطلى له بنار . وكنت في أسره ومعنا امرأة شريفة ، فلطمها الملعون يومًا على وجهها ، فبكت وقالت : «وامعتصماه»؟! فقال لها : «يأتيك على البلق !» . وأنا قدِمْتُ اليك وأخبرتكَ لأجل ابنة عمك ، نصرك الله على أعداء الدين .

وكان القدح في يد المعتصم ، فغطاه وربطه وختم عليه ، وناوله الى الساقى وقال له : إحفظه ! ووثب قائمًا ، وخرج من القصر وهو يقول : لبيك لبيك ! ونادى في الجيش بالرحيل . وانتخب من الخيل ثمانين ألف من البلق . فأتاه مُنجمو ذلك العصر ، وقالوا : في غير هذا اليوم ! وقيل في غير هذه الساعة ، فركب الجواد وسار من وقته الى فتح عمورية ، وخلّص الشريفة وهو ينادي «لبيك لبيك» ، ودعا الساقى فطلب منه الكأس ، ففكّ ختامه وشربه ، فهنّأته /265ب/ الشعراء بالقصائد الفاخرة .

ومن جملتهم أبو تمام ، قال فيه قصيدته الفاخرة التي أولها : «السيف أصدق أنباء من الكتب» وقد كانت إحدى وسبعين بيتًا ، فأعطاه أحد وسبعين درهمًا وقيل دينارًا . انتهى .

وقيل سبب فتح عمورية أنّ بابك ، لعنه الله ، لما أحيط به من جانب في مدينته البذ ، وتضايق أمره واستوثقت الجنود حوله كتب الى توفيل ملك الروم يقول له : «إنّ ملك العرب قد جهّز اليّ جمهور جيشه ، ولم يبق في أطراف بلده من يحفظها . إن كنت تريد الغنيمة فأنهض سريعًا الى ما حولك من بلاده ،

فخذها فدونك لا تجد أحداً يمانعك». فركب توفيل في مائة ألف وانضاف اليه المحمرة الذين كانوا خرجوا في الجبال وقاتلهم ابراهيم بن اسحاق بن مصعب فلم يقدر عليهم . وعصوا بتلك الجبال ، وانضافوا الى توفيل ملك الروم ، وصاروا على المسلمين .

وسار توفيل بجيشه ومن انضم اليه الى أن وصل زيطرة ، فقتل من رجالها خلقاً كثيراً ، وآسر وسبى من ذريتها أمة كثيرة ، وأوقع بأهل ملطية وما والاها من المسلمين ملحمة عظيمة ، قتل فيها خلقاً وآسر أمة لا يحصون كثرة ، فكان من جملة ما آسر ألف امرأة من المسلمات ، ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين ، فقطع آذانهم وأتوفهم وسلّ أعينهم ، قبحه الله تعالى . فبلغ ذلك المعتصم ، فأنزعج لذلك جداً ، وخرج من قصره بالنفير ، ونهض من فوره وأمر الجيوش /266/ تتبعه ، واستدعى بالقاضي والعدول فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه لله وثلثه لولده وثلثه لمواليه . وخرج من بغداد فعسكر غربي دجلة ، ووجه بين يديه عجيفاً بن عبيسة وطائفة من الامراء ، معهم خلق من الحيش ، إغاثة لأهل زيطرة .

فأسرعوا السير ، فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وانتشر الى بلاده راجعاً ، وتفاطرت الحال ولم يمكن فيه استدراك ، ورجع لإعلام الخليفة المعتصم بما وقع . فقال : أي بلاد الروم أمنع ؟ قالوا : عمورية ، لم يتعرض لها أحد منذ كان الاسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية . كذا في تاريخ العلامة بدر الدين الحنفي .

وقال الملك المؤيد : وتجهّز المعتصم جهازاً لم يُعهد مثله لمن كان قبله من الخلفاء ، وسار في جحافل كالجبال حتى نزل على نهر قريب من طرسوس ، بينه وبينها يوم . وجعل عسكره ثلاث فرق ، فرقة مع الافشين حيدر بن كاووس ميمنة ، وفرقة مع إشناس ميسرة ، وفرقة مع المعتصم في القلب وبين كل فرقة وفرقة فرسخان وأمرهم المعتصم بحريق القرى وتخريب بلاد الروم .

ففعّلوا ذلك حتى وصلوا عمورية . فأول من قدمها أشناس ثم المعتصم ثم الافشين ، فأحْدَقُوا بها وأقام عليها المنجنيقات ، وجرى بين الفريقين قتال شديد ، وخربوا في السور مواضع بالمنجنيق ، وهجموا البلد وقتلوا أهلها ونهبوا الاموال والنساء . وأقبل الناس بالسبي والاسارى الى المعتصم من كل جهة ، وأمر بعمورية /266ب/ فهدمت وأحرقت بجميع آلاتها وما لا يمكن حمله من الاثاث والغنيمة . وانصرف المعتصم غانماً ورجع سالمًا . وكان مقامه على عمورية خمسة وخمسين يومًا . انتهى ، كذا ذكر العسقلاني في تاريخه بزيادة .

إنمام شيطاني والممام سلطاني

قيل إن العباس بن المأمون كان مع عمّه المعتصم في غزوة عمورية ، وكان عجيف بن غنبة المذكور قد ندّمه على تركه الخلافة ، حيث لم يأخذها بعد أبيه المأمون حين مات بطرسوس . فندم العباس وكان ذلك منه بموقع ، وصار يستميل الناس . وأخذ له عجيف البيعة من الأمراء في الباطن ، وتهايا لذلك فلما كانوا بدروب الروم قاصدين الى عمورية أشار عجيف على العباس أن يقتل عمّه في المضيق ، ويأخذ له البيعة ، ويرجع الى بغداد . فكره العباس ذلك في هذه الحالة ، ووُشِيَ به الى المعتصم ، وبلغه أمره ، فدسّه الى أن رجع من غزوته دعا المعتصم بالعباس بن المأمون وأمسكه ، وسلّمه مقيدًا الى الافشين حيدر بن كاووس .

فلما وصل الى منبج ، طلب العباس الطعام فأكل ، ومنع الماء حتى مات بمنبج عطشًا . وصلى عليه بعض إخوته ، فأمر المعتصم بلعنه على المنابر وسمّاه اللعين . وقتل جماعة من ولد المأمون أيضًا . وأمر بعجيف وبقية من اتهم من الأمراء فقتل كل منهم بنوع من القتلات . وأتم المعتصم سيره حتى دخل سامراء . انتهى ، /267/ كذا حكاه ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وعشرين

ومائتين (الدرّ 183أ : «وفيهما مات ملك افريقية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب رحمه الله ، كان يقول : ما أبالي إن شاء الله تعالى بأهوال يوم القيامة ، فقد قدّمت أربعة أشياء ، بنائي الجامع بالقيروان وقد أنفقت عليه ستة وثمانين ألف دينار ، وبنائي القنطرة بباب الربيع ، وبنائي حصن الرباط بسوسة وتوليّتي أحمد بن محرز القضاء . ولما مات تولى بعده أخوه أبو عقّال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب . انتهى) .

قال بعضهم : وكان الدالّ على العباس بن المأمون والمبلّغ خبره الى المعتصم من أعزّ الناس عليه . وكان عجيف بن عنبسة يقول له : يا مولاي لا تأمنه ولا تُفش له سرّاً ! فيقول له العباس : لا تخفه ، فإنه من حياة المأمون مطّلع على جميع أسرارى ، ولم يكن عندي آمنٌ منه ! فيقول له عجيف : أيها الامير لا تأمنه ، فإنّ مواضع الأسرار صدور الأحرار ، ومن أودع سرّه في غير صدر الكرام أذيع ، قال الشاعر :

ضع السرّ في صمّاء ليست بصبيخة صليّ كما عاينت من سائر الصّخر
ولكنها قلب امرئ ذي حفيظة يرى منعة الأسرار سرّاً من السرّ
وقال آخر :

لكل امرئ يا أمّ عمرو طبيعة وتفضّل ما بين الرّجال الطّبائعُ
فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالث ألا كلّ سرّ جاوز اثنين شائعُ

فيقول : لا تخفه ، فإنه ممن يؤمن على سرّي ، وليس عندي مثله . وكان يراه بما في نفسه ، وهو على خلاف ذلك من الغدر والمكر ، فكان سبب هلاكه . ولم تؤثر فيه نعمته لدناءته .

قال بعض الحكماء : ستّ خصال لا يطيقها الا من كانت نفسه شريفة ، الثبات عند حدوث النعمة العجيبة ، والصبر عند نزول المصيبة العظيمة ، وجذب النفس عند دواعي الشهوة ، والصبر على الجوع ، واحتمال الجار ،

267/ب/ وكتمان السرّ .

قيل لرجل من العرب : كيف كتمانك السرّ ؟ قال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخير .

وقيل : أسرّ رجل الى رجل سرّا واستحفظه إياه ، فلما فرغ حديثه قال له : حفظت سرّي ؟ قال : بل نسيته ؟ يريد أنه من شدة الكتمان كاد أن ينساه .
ويروى أنه عليه السلام قال : «قلّما يخلو الأحق من ستّ خصال ، الغضب من غير شيء ، والثقة بكلّ أحد ، والكلام في غير موضعه ، وقلة المعرفة بصديقه من عدوّه ، وإفشاء السرّ» .

وقال الشاعر :

أسيرك سرّك إن صُنّته وأنت أسيرٌ له إن ظهر

وقال غيره :

إذا المرءُ أفشى سرّه بلسانه ولا م عليه غيره فهو أحقُّ
إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرّ نفسه فصدرُ الذي يُستودع السرّ أضيق

وقد تُفشى الأسرار الى الأصفياء من الأخدان إذا ضاقت بها الصدور ، وكادت تذوب لها النفوس ، فتكون من الاخ مشاركةً وتخفيفٌ وجَدٍ ومعونة على التسلي ، وإن لاح له فيه رأي صرف همته لزوال همّه ، وأعان بذلك أخاه . وربما بلغ الرجل الراحة والإرادة بإفشاء سرّه لأخيه المخلص الصفيّ ، قال الشاعر :

| | |
|-------------------|-------------------|
| من لم يكن ذا صديق | يُفضي إليه بسرّه |
| ويستريحُ إليه | في خير أمر وشرّه |
| لم يدر ما طعم دهر | من حلّو عيش ومرّه |

/268/

قال غيره :

إذا كنتم الصديق أخاه سرًا فما فضل الصديق على العدو

قال بعض الحكماء : ستة أشياء تُنقص الحزن ، استماع كلام الحكماء ومحاضرة العلماء ، ومحادثة الأصدقاء ، والمشي على الخضرة ، والجلوس على الماء الجاري ، والتأسي بذوي المصائب .

وقال آخر : اجتنب سبع خصال تريح جسمك وقلبك ، ويسلم عرضك ودينك ، لا تحزن على ما فاتك ولا تحمل قلبك من همٍّ ما لا يطيق ، ولا تلُم الناس على ما فيك مثله ، ولا تطلب الجزاء على ما لم تعلم ، ولا تنظر بالشهوة الى ما لا تملك ، ولا تغضب على من لا يضره غضبك ، ولا تمدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك .

وقال آخر : ثمانية إن أهين صاحبها فلا يلوم إلا نفسه ، من أتى مائدة لم يُدع إليها ، والمتأمر على صاحب البيت في بيته ، والداخل بين اثنين في حديث لم يُدخله فيه ، والمستخف بالسلطان ، والمفشي سرّه ، والجالس في مجلس ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لم يسمعه منه ، وطالب الخير من أعدائه ، وراجي الفضل من اللئام .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ارتجل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، تسع كلمات ارتجالاً ، قطعت الاطماع عن اللّحاق بواحدة منهنّ ، ثلاثة في المناجاة ، وثلاثة في العلم ، وثلاثة في الادب ؛ فأما اللواتي في المناجاة ، فقولهُ : كفاني عزاً أن تكون لي رباً ، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً ، أنت كما أحبّ فوفّقني لما أحبّ ؛ وأما اللواتي في /268ب/ العلم ، فقولهُ : المرء مخبوء تحت لسانه ، تكلموا تُعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره ؛ وأما اللواتي في الادب فقولهُ : انعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وقال الحسن بن سهل : الأدب عشرة ، فثلاثة شهر يانية ، وثلاثة أنو شروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أوثرت عليهن ؛ فأما الشهر يانية فالضرب بالعود واللعب بالشطرنج واللعب بالصوالج ؛ وأما الانوشروانية فالطب والهندسة والنجوم ؛ وأما العربية فالشعر والنسب وأيام العرب ؛ وأما الواحدة التي أوثرت عليهن فمقطعات الحديث والسير وما يتحادثها الناس بينهم في المجلس وما يتمثل به من أبيات الشعر .

كما يقال فيما يتمثل به من الشعر :

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخراً يكون كصالح الأعمال

كما يقال :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرّاً وعند الله منها المخرج

وكما يقال :

متى أحوجت ذا كرم تخطي
إليك ببعض أخلاق اللئيم

وكما يقال :

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم
فكأنني سبابة المتندم

وكما يقال :

عين الرضى عن كل عيب كليله
ولكن عين السخط تبدي المساوي

كما يقال :

تحقق مع الحمقى إذا ما لقيتهم
وكن عاقلاً إذا ما رأيت أنخاً عقل

وكما يقال :

إذا اعتذر الجاني عما الذنب عذره
وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وكما يقال :

تودّ عدوّي ثم تزعمُ أنّني صديقك إنّ الرأي منك لعازبُ

وكما يقال :

وعاجز الرأي مضيا ع لفرصته حتى إذا فاته أمرٌ عاتبَ القَدْرَا

وكما يقال :

والصمتُ أحسنُ ثوبٍ أنت لابسُهُ كم هامة حذفتها عشرة بقم

انتهى .

وانما ذكرنا هذا الاستطراد لتشنّف الأسماع وتستلذّ الطباع بما ناسب كلام عُجيف بن عنبسة للعباس بن المأمون فيمن خذله ودلّ عليه المعتصم .

جلسة رائعة ووصولة قامعة

قيل : كان المعتصم بالله سريع الغضب عند ما يكرهه ، وإذا غضب لا يبالي بما فعل ولا من قتل .

ولمّا أدخل عليه المازيار بن قارن بن ونداهير ، وكان قد اشتدّ غضبه عليه ، فقبل له : يا أمير المؤمنين ، لا تعجل عليه ، فإنّ عنده أموالاً جمّة ! فلم يلتفت اليهم وأنشد بيتاً لأبي تمام وهي :

إنّ الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ومازيار كان قد خرج من طبرستان واستولى عليها ، وأظهر /269ب/ المخالفة للمعتصم . وكان ممن يكاتب بابل الخرمي المقدم الذكر ويعده بالنصر . ويقال إنّ الذي قوى رأس المازيار حيدر الأفشين ، وذلك لعجز عبد الله بن طاهر فيولّيه المعتصم بلاد خراسان مكان عبد الله بن طاهر .

فبعث المعتصم محمد بن ابراهيم ، أخا اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، في

جيش كثيف لقتال المازيار . فأقتلا وجرت بينهما حروب كثيرة ، ثم انتصر محمد بن ابراهيم المذكور ، وأسر المازيار وحمله الى عبد الله بن طاهر ، فأستقرّه عبد الله بن طاهر عن الكتب التي أرسلها اليه الافشين ، فأقرّ بها ثم وجه به الى أمير المؤمنين المعتصم ومعه من أمواله شيئا كثيرا جدا من الذهب والجواهر والثياب . فلما مثل بين يديه سأله عن كتب الافشين ، فأنكرها فشتمه المعتصم وقال له : يا كافر ، يا ملعون من ينجيك مني اليوم : يا عدو الله ! فقال المازيار : والله لست بكافر ولا ملعون ، ولا يجوز لك أن تقول هذا ، ولا لإبليس ! فبهت المعتصم من قوله ، ثم التفت الى أحمد بن أبي دؤاد وقال له : أسمع ما قال هذا الكافر في حق إبليس ، وهو متفق على كفره بالكتاب والسنة والإجماع ، ثم أمر بضرب المازيار بالسياط حتى مات ، وأمر بصليبه على جسر بغداد . وقتل عيون أصحابه ، كذا ذكر ابن خلكان وغيره .

فائدة : قال القرافي رحمه الله تعالى : اتفق الناس على تكفير إبليس /270/ لعنه الله تعالى ، لقصته مع آدم عليه السلام ؛ وليس مُدرك الكفر فيها الامتناع على السجود ، وإلا لكان كل من أقر بالسجود فامتنع منه كافرا ، وليس كذلك ؛ ولا لكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى ، وإلا لكان كل حاسد كافرا ؛ ولا لعصيانه وفسقه ، وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا . وقد أشكل ذلك على جماعة من متأخري الفقهاء ، فضلا عن غيرهم .

وينبغي أن يُعلم إن كَفَرَ ، إما كان من نسبته الحق ، جلّ جلاله ، الى الجور والتصرف الذي ليس بمرضي ، وعُلم ذلك من فحوى قوله : «خلقتني من نار وخلقته من طين» ؛ ومراده ، على ما قاله المحققون من المفسرين وغيرهم ، أن الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم ، وهذا وجه كُفَر . لكنه الله تعالى ، وقد أجمع المسلمون قاطبة على أن من نسب الله تعالى لذلك كافر . واختلفوا هل كان قبل إبليس كافر ، فقليل لا ، وأنه أول من كفر ، وقيل كان قبله قوم كفار ، وهم من الجن الذين كانوا في الارض . اهـ .

واختلفوا أيضاً هل كفره جهلاً أم عناداً على قولين بين أهل السنة ، ولا خلاف أنه كان عالماً بالله تعالى قبل كفره ، فمن قال إنه كفر جهلاً ، قال إن الله تعالى سلبه العلم الذي كان عنده عند كفره ؛ ومن قال كفر عناد قال كفر ومعه علمه . قال ابن عطية : والكفر مع بقاء العلم مستبعد إلا أنه جائز لا مستحيل مع خذلان الله تعالى من شاء ، انتهى . /270ب/

قيل : لما أن استخلف المعتصم بعسكر المأمون في بلاد الروم كان الفضل بن مروان ببغداد ، فأخذ البيعة للمعتصم ببغداد ، ومهد له أمرها إلى أن دخلها المعتصم من سنة ، فجله وخلع عليه واستوزره وردّ أموره كلها إليه ، فبقي يدير الأمور إلى أن غلب على المعتصم بطول خدمته ، واستقل بالأمور وحجبه عن الناس ، ومنع التصرفات عن غيره ، فأوغل صدور الناس ونفّر طباعهم عن الخليفة وبغضته الناس حتى أنه جلس يوماً لقضاء اشغال الناس كعادته ورفعت إليه قصص العامة ، فرأى في جملتها ورقة فيها مكتوب :

«تفرغنت يا فضل بن مروان فأعصر قبحك كان الفضل والفضل والفضل ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادتهم الأقياد والحبس والقتل وإنك قد أصبحت في الناس ظالماً ستودي كما أودوا الثلاثة من قبل»

أراد بالثلاثة الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن سهل . فلم يؤثر ذلك فيه ، ولا زال على حاله إلى أن تغير عليه المعتصم ، وقبض عليه سنة إحدى وعشرين ومائتين ، في رجب . فحبسه وأخذ أمواله بعد أن عزله عن الوزارة ، وجعل مكانه ابن الزيات ، إلا أنه فصل بينهما بأحمد بن عمار . وقال المعتصم حين قبض عليه : عصي الله في /271/ طاعتي فسلبني الله عليه ! انتهى . كذا حكاه ابن خلكان وغيره .

وحكى الصولي : أن المعتصم أخذ من داره ألف ألف دينار وحبسه خمسة أشهر ، ثم أطلقه وألزمه بيته . انتهى .

قال ابن خلكان : ثم خدّم بعد ذلك جماعة من الخلفاء الى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمسین ومائین ، وعمره ثمانون سنة . ويقال عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، وكان نصراني الاصل ، قليل المعرفة بالعلم ، حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، وله ديوان رسائل ، وكتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها . وكان يقول : مثل الكاتب كالدّولاب إذا تعطل تكسّر ! انتهى ، كذا ذكر ابن خلكان .

ذكر الخطيب البغدادي عن أحمد بن أبي دواد أنه قال : ما رأيت رجلاً عاين الموت فما أذهله ، وما شغله عما أراده ، حتى بلغه أن خلّصه الله تعالى من القتل ، إلاّ تميم بن جميل . فإني رأيته بين يدي المعتصم ، وقد بسط له النّطع وأقام السيّاف على رأسه . وكان رجلاً جسيماً وسيماً ، فأحبّ المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره ، فقال له : تكلم ! فقال : أمّا إذ أذن أمير المؤمنين في الكلام ، فالحمد لله الذي أحسن كلّ شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين ، جبر الله بك الدين ، ولم يك شعث المسلمين ، إن الذّنوب / 271ب / تُخرس اللّسنة ، وتخلع الافئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريمة ، وانقطعت الحجّة ، وساء الظنّ ، ولم يبق الا عفوك وإيقاؤك . وأنشأ يقول :

| | |
|-------------------------------------|--------------------------------|
| أرى الموت بين النّطع والسيّف كامناً | يلحظّسني من حيث لا أتلفّت |
| وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي | وأنيّ امرئ مما قضى الله يفلتُ |
| وما جزعي من أن أموت وإني | لأعلم أن الموت شيئاً موقّتُ |
| ولكنّ خلفي صنيّة قد تركتهم | وأكبادهم من حسرتي تتفتّتُ |
| كأنّي أراهم حين أنعسى إليهم | وقد خدشوا تلك الخدود وصوتوا |
| فإن عشتُ عاشوا حافظين لغبطة | أذود الرّدى عنهم وإن متّ موتوا |

فاستعبر المعتصم ، ورقّ له ، ثم قال : يا تميم ، قد عفوتُ عن الهفوة ، ووهبتك للصّبيّة ! ثم أمر بفك قيوده ، ثم خلّع عليه وغفر له وعقد له على سقي

ومن ذلك ، اليَقْظَة ، ما حُكي أنه أُثِيَّ الى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم . فأحضر السيفَ والنَّطع ، وقُدِّمَ واحد منهم ، فقال للسياف : إضرب عنقه ! فقتل . ثم قُدِّمَ غلام كانت فيه فطنة ، فقال الغلام : يا معن لا تقتل أسارك عَطاشى ! فقال : أسقوهم ماء ! فشرَّبوا ، فقال الغلام : أيها الامير لا تقتل أضيافك ! فقال : خلّوا عنهم ! فأطلقوا جميعاً . انتهى ، كذا نقل من تاريخ النويري .

ذكر أبو بكر الحافظ البغدادي في كتابه المَثَق / 272 / والمفترق ، عن أحمد بن أبي دؤاد ، أنه قال : ما صحَّح السلطان رجل أجلد من عمر بن فرج الرنججي ، ولا أرجل ولا أخبث منه . قال ، وقد غضب عليه المعتصم يوماً وهم بقتله ، فأمر بإحضاره ، فجاء وقد نَزَفَ دمه ، فقال المعتصم : السيف يا غلام ! فجعلنا - رُكبتا عمر - تصطكَّان . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه ، فلعله أن يخرج منه بعذر . فقال له المعتصم : يا ابن الفاعلة ، أمرتك في ولد بني طالب أن لا تتعرف خيراً منازلكم ؟ قال : نعم . قال : فلم فعلت ؟ قال عمر : بلغني من واحد منهم أن ائمتهم يكاتبونهم ، فأردت أن أعرف ما في الكتب الواردة عليهم . وجعل عمر في خلال ذلك يتلمَّس البساط الذي تحت المعتصم ، فزاد ذلك في غضب المعتصم وقال : يا ابن الفاعلة ، ما شغلك ما أنت فيه عن لمس البساط ، كأنك غير مكترث بما أريده منك ! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن العبد يعتني من أمر سيده بكل شيء على جميع الاحوال ، وإني استحسننت هذا البساط ، ولكن ليس هو من بُسُط الخلفاء ! فقال له : ويلك كيف هذا ، وقد ذكر محمد بن عبد الملك أن هذا البساط قام علينا بخمسين ألف درهم ؟ فقال عمر : يا سيدي ، عندي خير منه بسبعمائة دينار . قال أحمد بن أبي دؤاد فذهب والله عن المعتصم ذلك القود الذي كان به وسكن غضبه وقال لعمر : وجَّه الساعة بمن يحضره ! فجاء ببساط

273ب/ قد قام عليه فيما أُظنَّ بأكثر من ثلاثمائة دينار ، فُبَسِط واستحسنه المعتصم واستلانه ، وقال : هذا والله أحسن من بساطنا وأرخص ، وقد أخذنا بما قام عليك . ووالله ما برح ذلك اليوم حتى ناداه وخلع عليه .

قال الحسن بن مُخلَّد : لَمَّا دخل المعتصم بغداد خليفةً أمر بإحضار عليّ بن الجنيد ، ثم قال : يا عليّ ، أتذكر حين وقفتَ لإبراهيم بن المهدي فتزلت وقبّلت يده ، ثم جاء ابني هارون فقَبَّل يده فقلتُ له عبدك هارون ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ؟ فقال عليّ : أذكرُ ذلك . قال المعتصم : فإنه قد ترجَّل لي اليوم وقَبَّل يدي بذلك الموضع بعينه ، ثم قال عبدك هبة الله ابني ، فأدناه ، فقَبَّل يدي فأمرتُ له بعشرة آلاف درهم ، لم تطب نفسي بغيرها . فقال عليّ : بش ما صنع أمير المؤمنين ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنَّ إبراهيم أمر لهارون بعشرة آلاف درهم وليس في يده إلاَّ بغداد وحدها وأمير المؤمنين في يده الشرق والغرب ! قال : صدقتُ ، اعطوه عشرة آلاف دينار ! كذا في تاريخ العسقلاني .

قال أبو بكر الصَّوْلِي : ~~ولا يُعرف خليفة قبل يد خليفة~~ ثم قبل ذلك الخليفة بعينه يده الآ ما كان من المعتصم وإبراهيم بن المهدي . اهـ .

في ربيع الأبرار : أنَّ إبراهيم الصَّوْلِي قال : رأيت إبراهيم بن المهدي في هذه الدار ، يعني دار الخلافة في خمس طبقات ؛ رأيتُه في أيام الهادي والرَّشيد والأمين /273/ والمأمون في طبقة الخلفاء ، ثم رأيتُه خليفة ، ثم رأيتُه في مرتبة العامة ، ثم رأيتُه في مرتبة الندماء ، ثم رأيتُه في أيام المعتصم في مشايخ بني هاشم ، انتهى .

وكان إبراهيم بن المهدي ينادم المأمون بعد عفوهِ عنه ، كما تقدم ، ثم صار ينادم المعتصم بعده أيضًا .

قال أحمد بن إسحاق : حدَّثني محمد بن الحارث بن بُسخَر قال : دعاني المعتصم وهو بالوزيرية ، فدخلتُ أنا ومخارق وعلوية ، فإذا عنده إبراهيم بن

المهدي وبين يديه جام فضة مملوءة دنائير ، وجام ذهب مملوءة دراهم ، وجام
زجاج مملوءة عنبراً ، فغنينا واجتهدنا فلم يَطْرَب ، فغنى ابراهيم صوتاً فطرب
المعتصم ثم غناه بصوت من صنعته في هذا الشعر واندفع يغنيه :

ما بال شمس أبي الخطاب قد غرُبْتُ يا صاحبي أظن الساعة اقتربتُ

فأستحسنه وسرّ به ، وقال له : أحسنت والله يا عمّ ! فقال : إن كنتُ
أحسنت يا أمير المؤمنين فهب لي جاماً واحداً من هذه الثلاثة . فقال : خذ أيها
شئت ! فأخذ الجاهل الفضة الذي فيه الدنانير ، ثم غنى صوتاً آخر ، فأستحسنه
وقال : أحسنت والله يا عمّ ! وسررت ، فقال : إن كنتُ أحسنت يا أمير
المؤمنين فهب لي جاماً آخر . فقال : خذ أيهما شئت ؛ فأخذ الجاهل الذهب الذي
فيه الدراهم ثم غنى بعد : / 273 ب /

أظنّ بليلي وهي غيرُ سخيّة وتبخل ليلي بالهوى وأجودُ
ألام فأصغي الى لوم عاذل وأعلم أنّي مخطيء وأعودُ

فقام المعتصم على رجليه قائماً حتى ارتج الايوان الذي كنا فيه ، ثم جلس
وقال : أحسنت يا عمّ والله ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنتُ أحسنت فهب
لي الجاهل الآخر ! فقال : خذه ! ونام المعتصم ، فأنصرفنا ولم يحظ بشيء
آخر غيره .

ذكر في مختار الاغاني : أنّ محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي قال كنت
عند المعتصم ، وعنده مخارق وعلوية وعقيد ، فترنم عقيد وكنت أضرب عليه
وغنى بقوله :

نام عذالي ولم أنم واشتفى الواشون من سقمي
وإذا ما قلت بي ألم شكّ من أهواه في ألمي

فطرب المعتصم وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأمسكوا . فقلت لعلوية :

فَأَعْرَضَ عَنِّي . فَعَرَفْتُ غُلَطِي وَأَنَّ الْقَوْمَ أَمْسَكُوا عَمْدًا . فَفُطِنَ الْمُعْتَصِمُ بِي
وَقَالَ : لَا تُرْعُ يَا مُحَمَّد ، فَإِنَّ نَصِيكَ فِيهَا مِثْلَ نَصِينَا . اهـ .

وعلية هذه هي عليّة بنت المهدي ، أخت إبراهيم بن المهدي والرّشيد ،
وزوجها موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، كذا ذكر
النويري ، وأمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة ، كانت أحسن جارية بالمدينة
وجهاً ، اشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه حتى
كانت الخيزران تقول : ما ملك أمة أثقل عليّ منها ! فولدت /274/ له عليّة
في سنة ستين ومائة .

قال ابن خلّكان : عليّة كانت من أحسن الناس وجهاً واطرفهم ، تقول
الشعر الجيّد وتصوغ فيه الالّحان ، وكان في جبينها فضل سعة ، فأخذت
العصابة المكلّلة بالجوهر لتسترّ جبينها . وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ الا
إذا كانت معتزلة عن الصلاة ، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة
الكتب وقول الشعر ولم تله بشيء إلاّ إن دعاها الخليفة فلا تقدر على خلافه ،
وكانت تقول ما حرّم الله شيئاً إلاّ وقد جعل فيّ ما حلّل عوضاً منه ، فبأيّ شيء
يحتج عاصيه والمتهتك لحرمة . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها ،
ووالله ما أقول الشعر الا عبثاً . انتهى .

وقال الخطيب : وكان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول : ما
اجتمع في الاسلام أخ وأخت أحسن من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة .
انتهى .

وكانت عليّة تقول الشعر الجيّد وتصوغ الالّحان .

قبل أهديت للرّشيد جارية في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً ،
وأخرج كلّ قينة في داره واصطبح ، فكان من حضره من جواريه للغناء
والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ . واتصل الخبر بأمر جعفر ،
فغلظ عليها ذلك ، فأرسلت الى عليّة تشكو اليها ، فأرسلت اليها لا يهولنك

هذا ، والله لأردنه اليك ، وقد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على الجواري ، فلا تبقى عندك جارية إلا بعثت /274ب/ بها اليّ ليأخذن الصوت مع جواريّ . ففعلت ذلك أم جعفر فلم يشعر الرشيد إلا وعليه قد خرجت عليه من حُجرتها وخرجت أم جعفر من حُجرتها ، معهما زهاء ألفي جارية ، وسائر جواري القصر عليهنّ غرائب اللباس وكلهنّ في لحن واحد هزج ، وهو :

منفصلٌ عني وما قلبي عنه مُنفصلٌ
يا قاطعي اليوم نو يت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام فاستقبل أم جعفر وعليه ، وهو في غاية السرور ، وقال : لم أر كالיום قط . ثم قال : يا مسرور ، لا تترك في بيت المال درهماً إلا تنثره ! فكان مبلغ ما نثره في ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم . وكانت تقول : من لم يطربه الرَّمْل لم يطربه شيء ، كذا في مختار الاغانى .

وفيه أيضاً ، قال محمد بن جعفر بن يحيى : شهدتُ أبي ، جعفر ، وأنا صغير وهو يحدثُ أباه يحيى بن خالد في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد ، فقال : أخذ الرشيد بيدي ثم أقبل الى حجرة ففتحها ، ودخلنا حتى انتهينا الى مكان لم [أكن] دخلته قط فوجدنا باباً مغلقاً ، ففتحته بيده ثم أغلقه (في الاصل «أغلقها») بيده ، وصرنا الى رواق ففتحته وفي صدره مجلس مغلق ، فقعده على بابه ونقر الباب ، فسمعنا حساً ، ثم أعاد النقرة فسمعنا صوت عود ، ثم أعاد النقرة ثالثاً فغنت جارية ما ظننت أن الله تعالى خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب /275/ فطربنا والله طرباً همت معه أن أنطح برأسي الحائط ، ثم غنت صوتاً آخر اقترحه الرشيد فرقص ورقصتُ معه ، ثم قال : إمض بنا ، فإني أخشى أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا ! فمضينا ، فلما صرنا الى الدهليز قال : وهو قابض على يدي أعرفت هذه المرأة ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : إني

أعلم أنك ستسأل عنها فلا تكتُم ذلك وأنا أخبرك بها ، هذه عليّة بنت المهدي ،
 والله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلك ! قال : فسمعت جدّي يقول
 له قد لفظت به ولا بقيت تخبرني بمثل هذا لكلا يتعمّد لسانك فيقتلك ، فأصنع
 ما أنت صانع ! انتهى .

وفيه أيضًا قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : عملت في أيام الرشيد لحنا في
 هذا الشعر وهو :

سُقَيَا لأرض إذا نمت نبهني بعد الهدوّ بها قرعُ النّواقيسِ
 كأن سوسنها في كلّ شارقة على الميادين أذنان الطّواويسِ

وعزمت على أن أباكر به الرشيد ، فلقيني خادِم لعلية وقال : مولاتي تأمرك
 بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواربها غناء أخذته عن أبيك . فدخلت معه .
 فقال لي : مولاتي تقول لك أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد
 أعددتَه له ، مُحدث ؛ فأسمعيه ، ولك جائزة سنّية تتعجلها ، ولعله لا يأمر لك
 بشيء ، أو لا يقع / 275 ب / الصوت في غرضه فيذهب سعيك باطلا ! فغنيتهما
 إياه ، فاستعادته مرارا ثم أخرجتني لي عشرين ألف درهما وعشرين ثوبا ،
 وقالت : هذه جائزتك ! ثم قالت : اسمعه مني . فغنته غناء ما خرّق سمعي مثله ،
 وقالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله ! فقالت لجارية : هات له
 مثل ما أخذ . فأحضرت ، فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين
 وأغنيه به وأقول له من صنعتي ؛ فأعطى الله عهدا إن نطقت بأن لك فيه صنعة
 وإن قلت والله قتلتك . هذا إن نجوت منه إذا علم بمسيرك إلي !

فما جسرتُ والله أن أتغم به في نفسي فضلا عن أن أظهره حتى ماتت .
 فدخلت على المأمون وغنيته به ، فتغيّر لونه وقال : من أين لك هذا ؟ قلت :
 ولي الامان على الصدق ! قال : ولك الامان . فحدّثته بالقصة ، فقال : يا
 بغيض ، ما كان في هذا حتى ذكرته وشهرته مع ما أخذته من العوض ! وهجّنتني

فيه هُجْنة وددت معه أني لم أذكره ، وآليت أن لا أغنيه بعد ذلك أبداً . انتهى .
 وذكر الخطيب البغدادي : عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع أن
 عُليّة كانت تحبّ خادماً ، من خدم الرشيد ، يقال له طَلٌّ . وكانت تراسله
 بالشعر ، فلم تره أياماً ، فمشيت على ميزاب لتراه ، فلما وصلت اليه قالت له :

قد كان ما كُلفته زمناً يا طلُّ من وجد بكم يكفي
 حتى أتيتك زائراً عجلأ أمشي الى حتفي على حتفي /276/

فأتصل ذلك بالرشيد ، فحلف ألاّ تكلم طلاً ولا تسميه باسمه . فضمنت
 له ذلك ، فاستمع إليها يوماً وهي تقرأ آخر سورة البقرة ، حتى بلغت قوله عزّ
 وجلّ : «فإن لم يصيبها وإبلٌ» فالذي نهى عنه أمير المؤمنين . ولم تقل «فطلٌ»
 فدخل وقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طلاً ولا أمنعك بعد هذا من شيء
 تريدينه . ومن كلامها فيه وقد صحفت اسمه :

أيا سرّوة البستان طال تشيبي قى فهل الى ظلّ اليك سبيلُ
 متى يلتقي من ليس يقضي خروجه وليس لمن يهوى اليه وصولُ

كانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغَيان ، فوشت بعُليّة الى رشأ وقالت عنها
 ما لم تقل ، فقالت عليّة فيها :

لِطُغَيانَ خُفٌّ مذ ثلاثون حِجَّةً جديداً فما تبلى ولا يتخرقُ
 وكيف بلى خُفٌّ هو الدهرُ كله على قدميها في السماء مُعلَقُ
 فما خرقتُ خُفّاً ولم تبلى جورباً أما سراويلاتها فتمزقُ

اه .

وذكر في الاغانى : أن الرشيد لما خرج الى الري أخذ أخته عُليّة معه فلما
 وصلت المرج عملت شعراً وصاغت فيه لحناً وغنّته به ، وهو هذا :

ومغترب بالمرّج يكي لشجّوه وقد غاب عنه المسعدون على الحبّ
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشقّ يستشفي برائحة الركب

فعلم أنها قد اشتاقت العراق فردّها اليه ، وغنت عند الرشيد في رمضان هذا
البيت :

طالت عليّ ليالي الصّوم واتّصلت حتى لقد خلّتها زادت على الابد

فأمر لها /276ب/ بثلاثين ألف درهم . وتوفيت عليه سنة عشر ومائتين
وهي بنت خمسين سنة ، وصلى عليها المأمون ، واعتق على قبرها خمسين رقبة .
وكان سبب موتها أنّ المأمون ضحّاها اليه وقبّل رأسها ووجهها مغطّي فشرقت
وسعلت ثم حُمّت أيامًا يسيرة وماتت ، رحمة الله عليها . اهـ . كذا حكاه
النويري في تاريخه ، والله أعلم .

ذكر في مختار الاغاني أنّ عليّ بن القاسم قال : كنت مع المعتصم في بعض
غزواته بالروم ، فجاءه بعض سراياه بخبر فغمّه فركب من فوره وسار أشدّ سير
وأنا أسايره فسمع منشداً في عسكره يتمثل بهذا الشعر :

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً
إنّ الامور إذا اتسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كلّ ما أرتج

فسرّ بذلك ، وطابت نفسه والتفت اليّ وقال : يا عليّ ، أتروي هذا الشعر؟
قلت : نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن بشير . فثفّاءل بهذا الاسم ،
فقال : أمر محمود ويسرّ سريع سيعقب هذا الامر . ثم قال : أنشدني الايات ،
فأنشدته إياها وهي :

ماذا يكلفك الرّوحات والدلّجا البر طوراً و طوراً تركب اللّججاً
كم من فتى قصرت في الزرق خطوته ألفيته بسهام الرّزق قد فلسجاً
لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما أُرْتَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ وَمُذْنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
قَدَّرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةِ زَلْجَا
وَلَا يَفْرَنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مَمْتَرِجَا

قال : عليّ ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين كان أبو ابراهيم بن رباح إذا أحزنه أمر تمثّل بقول محمد بن بشير :

تَحْظِي النُّفُوسَ مَعَ الْعِيَا ن وَقَدْ تَصِيبُ مَعَ الْمَظَنَّةِ
كَمْ مِنْ مَضْيِيقٍ فِي الْفَضَاءِ أَوْ وَمَخْرَجٍ بَيْنَ الْأَسْنَةِ

ففرح المعتصم بهذه الايات ، وقال : يا عليّ ، إذا رجعت الى دار السلام اذكر لي محمد بن بشير . قال علي : فلما رجع أنشدته الايات فتذكره المعتصم وأمر بإحضاره ، فمثل بين يديه ، فقال له : أنشدني الايات . فأنشده إياها فأمر له بجائزة ، وأحسن اليه وحظي عنده وصار من شعرائه .

وهو محمد بن بشير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش ، ويقال منهم صليبة ، وهم معروفون بالبصرة . وكان الرياشي شاعراً ظريفاً لم يفارق منتجعا بشعره ولا يجاوز صحبة طبقته ، وكان ماجناً خبيثاً هجاءً بخيلاً . قيل إنه هوى قينة ، فعاتبته امرأته عليها ، فقال مجيباً لها :

مَا تَصْنَعِينَ بَعِينَ عَنْكَ قَدْ طَسَحَتْ إِلَى سَوَاكِ وَقَلْبُ عَنْكَ قَدْ تَرَعَا
إِنْ قَلْتِ قَدْ كُنْتُ فِي حِظٍّ وَمَكْرُمَةٍ فَقَدْ صَدَقْتِ وَلَكِنْ ذَاكَ قَدْ نَزَعَا
وَأَيَّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمِعْتِ بِهِ إِلَّا إِذَا صَارَ فِي غَايَاتِهِ انْقِطَعَا

وقيل : إنه كان له دار بيايين ، كبير وصغير ، يدخل هو أصحابه /277ب/ من الباب الكبير ، ويدخل المرد من الباب الصغير ، فجاء اليه غلام قد خرجت لحيته وأراد أن يدخل من الباب الصغير على عادته فمُنِعَ من ذلك ، فالتقى به

بعد أيام وأخبره بذلك ، فقال له :

أنت ما تدخل إن جئت من الباب الصغير
بعد أن علق في خديك مخلاة الشعر

اجتاز يوماً بأبي عثمان المازني ، فجلس إليه . فرأى من كان في مجلسه
ينظرون الى نعله ، ويعجبون من وسخها وتقطيعها . فأخذ ورقة وكتب فيها :

كم أرى ذا تعجب من نعلي ورضائي منها بلبس البوالي
من نعلي من الرجال بنعل فسوي إذا بهنّ نعلي
أوحدهن للجمال فإني في سواهنّ زينتي وجمالي
في إخائي وفي ودادي ورأيي ولساني ومنطقي وفعالي
ما وقاني الحفاً وبلغني الحاء جة منها فإني لا أبالي

وعتب على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرة ، وأنه لا يكتب ما
يسمعه فقال :

ما دخل الحمام من علم فذاك ما فاز به سهمي
والعلم لا ينفعني جمعه إذا جرى الوهم على وهمي

وكان يعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمي فكتب إليه :

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطت إليك ثم قبضتني
أذكرتني خلق النفاق وكان لي خلقاً فقد أحسنت إذ أذكرتني
لو دام ودك فانبسطت الى أمرى في الودّ بعدك كنت أنت عروتي

وكان لمحمد بن بشير ابن ، يقال له عبد الله ، وكان مشغولاً بالنبذ مشتهراً
به ، ما بات قط إلا سكران ، فأصبح يوماً بالبصرة وقد مطرت الدنيا ولم يتمكن
من قصد أحد من إخوانه فكاد يجنّ ، فكتب الى محمد بن أيوب الهاشمي أمير

البصرة أبياتاً طويلة يستدعيه بها شرباً ، منها :

ما لي نبيذ ولا خمر فأشربه وقد حماني من تطفلي المطر
فأبعث إلي قليلاً منه يا أملي فإني واقف بالباب أنتظر
وإن تكن حاجتي ليست بحاضرة وليس في البيت من آثارها خبر
فأستسق غيرك أو أذكر له خبري إن اعتراك حياء منه أو حصر

فبعث إليه زقّ نبيذ ومائتي درهم ، وكتب إليه : «متى أعوزك شيء فأخبرني» . انتهى منه .

قال القاضي أحمد بن أبي دواد : تصدّق المعتصم بالله على يدي ، ووهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم .

وقيل إن عبد الصمد بن المعذل دخل على المعتصم بالله ، فأنشده هذه الأبيات :

لو قيل للجود من خلقك ما كان إلا اليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته والرأس فيه وغيرك الذنب
لو أن كعباً وحاماً نشداً كنا جميعاً في بعض ما تهب
لا تخلف الوعد إن وعدت ولا أنت عن المعتفين محتجب
ما دونك اليوم عن نوال ولا خلقتك للراغبين مطلب

فأمر له المعتصم بمائة ألف درهم . وعبد الصمد بن المعذل بن غيلان هو من بني ربيعة بن نزار . كان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والمنشأ ، كان هجاء خبيث اللسان . وكان له أخ اسمه أحمد كان شاعراً أيضاً ، إلا أنه عفيف ذو مروءة ودين وجاه واسع ، وكان أخوه يحسده ويهجهوه .

وكان عبد الصمد كثير الهجاء ، وأشعاره في ذلك كثيرة ، منها أنه كان له

صديق كثير الكذب ، فوعده يوماً بشيء ومطله فيه ، فقال فيه :

ولي صاحب في حديثه البركة يزيد عند السكون والحركة
لو قال لا في قليل أحرفها لردّها بالحروف مشبّكة

وبلغه عن صديق له أنه عاب شعره ، واغتابه يوماً وهو سكران ،
فكتب اليه :

لما أتاني ما نطقت به في السكر قلت جنابة السكر
فمتى سكرت فأنت في سعة ومتى صحوّت فأنت في عُذر

ومن ذلك ما أجاب به اللاحقي ، وذلك أن أبان اللاحقي هجا
المعذّل بقوله :

كنت أمشي مع المعذّل يوماً ففسّاً فسّوة فكدت أطيرُ

فأجابه المعذّل بقوله : *مركز تحقيقات كميتر علوم رسيدي*

صحفتُ أمك إذ سمّتك في المهد أبانا /279/
قد علّمنا ما أرا دت لم تُرد إلا أنا

وكان لعبد الصمد جار فقير ، رثّ الحال ، فرآه يوماً يخطر في مشيته خطرة
مُنكرة ، فأغتاظ منه وقال :

دبّ في رأسه خمار من الجو ع سوى خمرة الرّحيق الشمول
فبكى شجوه وحنّ الى الخب ز ونادى بزفرة وعويل
من لقلبٍ متيم برغيفي ن ونفس تاقت الى تطفيل

وكان في البصرة طفيلي ، يكنى أبا سلمة ، إذا عرف بوليمة أخذ ابنه وأتى
باب الدار ، فيدقّ أحد ولديه الباب ويقول : افتح يا غلام لابي سلمة ! ويصيح

الآخر : ويلك افتح جاء أبو سلمة ! ويقول هو : ويلك أبو سلمة واقف ، فعجل وأفتح له ! فإن كان الغلام لا يعرفهم فتح لهم ، وإن كان يعرفهم لم يلتفت اليهم . فيقع حتى يأتي بعض من قد دُعي ، فإذا فتحوا له هجموا ودخلوا معه . فجاء يوماً الى وليمة ، وكان فيها عبد الصمد ، فلما جلس على الطعام تقدّم أبو سلمة وأكل لقمة حارة من فالودج ، فمات على المائدة من شدة حرارتها في ساعته . فقال فيه عبد الصمد أبياتاً ، منها :

قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله لهنّي عليك وويلي يا أبا سلمه

وحكى الخطيب : أنّ عبد الصمد كان نظر الى الافشين المقدّم ذكره ، وهو غلام أمرد واقف مع أولاد القواد بباب الخليفة ، فأعجبه وتمناه ، فقال فيه :

أيها اللا حظي بطرف كليل هل الى الوصول بيننا من سبيل
279ب/ علم الله أنني أتمنى زورة منك عند وقت المصيل
ثم أسقيك بعد شربي من ريقك كأساً من الرحيق الشمول
وأغنيك إن هويت غناء غير مستكره ولا مملول
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً وتمنى الخليل قرب الخليل
كان ما كان بيننا لا أسمى ولكنه شفاء العليل

وفي تاريخ ابن هارون ، أنّ أبا تمام الطائي وعبد الصمد المعذل جمع بينهما مجلس ، وكان عبد الصمد يقول الشعر سريعاً وأبو تمام يقوله بطيئاً . فقال عبد الصمد :

أنتَ بين اثنين تبرز للنّا س فكلتيهما بوجه مذل
لست تنفك طالباً لوصال من حبيب أو طالباً لنوال
أيّ ماء حرّ وجهك تبغي بعد ذل الهوى وذل السؤال

فأخذ أبو تمام قرطاساً ، وخطى طويلاً وكتب فيه :

أُفِيَّ تَنْظُمَ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنَسِ وَأَنْتَ أَهْرُزُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ
أُشْرِجْتُ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حَرَقٍ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

فقال له عبد الصمد : أخبرني عن معنى قولك «أبرز من لا شيء في العدد» وعن قولك «أشرجت قلبك» ، ألقبي مفرشاً أو غيبة أو خرج حتى أشرجه ، قبحك الله ، ما رأيت أعث منك ! وانقطع . وما راجعه ، وقام وانصرف . اه .
وقيل هجا الجمّاز عبد الصمد بقوله :

ابن المَعْدِلُ من هو ومن أبوه المَعْدِلُ
سألت وهبان عنه فقال بيض محوّل

فشكا عبد الصمد من ذلك ، فقيل له : أمثلك يقلق من /280/ الجمّاز ؟ قال : نعم ، لانه لا يبالي بالهجاء ولا عرض له ، وشعره ينفق على من لا يدري . وكان وهبان ، المذكور في النظم ، رجل يبيع الحمام ، فلما سمع ذلك جمع جيرانه وأصحابه وحلف لهم أنه ما قال عن عبد الصمد أنه «بيض محوّل» والتمس منهم أن يخبروه بذلك ويعتذروا له اليه ؛ فلما أتوا عبد الصمد وخبروه بذلك ، قال : والله إن قول وهبان واعتذاره أصعب عليّ من الهجاء ! وشاع ذلك في البصرة ولم يبق للناس شغل غيره .

وقال الخطيب وقع بين عبد الصمد ومحمد بن حازم مهاجاة وتشاجر . وأفرط ابن حازم في هجاء عبد الصمد حتى قال فيه هذه الابيات :

إذا استقلت بك الرُّكَّابُ فحيث لا دُرَّتِ السَّحَابُ
وحيث لا يُرْتَجَى إِيَّابُ وحيث لا يبلغ الكتابُ
فقبل معروفك امتنانُ ودون معروفك العذابُ
وخير أخلاقك اللواتي تعاف أمثالها الكلابُ

فلم يجبه عبد الصمد فليل له : هجاءك ! فلم يجبه ، فقال : أتقي شره ،
لأنه لا يبالي بمن هجا ، فتركه أولى من هجائه . انتهى .

ومحمد بن حازم هذا كان من شعراء الدولة العباسية ، من سكان بغداد ،
ومولده ومنشأه بالبصرة . وكان مطبوعاً ، مطرّحاً ، كثير الهجاء للناس ، ولم
يكن له نباهة . وكان ساقط المهمة جداً .

قال في الاغاني : قال أحمد بن يحيى : قال لي محمد بن حازم : لم يبق في قلبي
شيء من اللذات إلا بيع السنابير . فقلت له : وأي لذة لك في بيع السنابير ؟
فقال : يعجبني أن تجيئني العجوز / 280ب / الرعاء ، فتخاصمني وتقول هذا
سنوري قد ضاع مني وأنت سرقتي ، فأخاصمها وتخاصمني وأشتمها
وتشتمني ! ثم ضحك وأنشد :

صِلْ خَمْرَةَ بِخُمَارٍ وَصِلْ خُمَارًا بِخُمُرٍ
وَخُذْ بِحُظِّكَ مَنْ ذَا زَادًا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي

فقلت : ويلك ، الى أين ؟ فقال : الى النار ، يا أحمق !
أنشد يوماً بعض إخوانه :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| وقالوا لو مدحت فتى كريماً | فقلت وكيف لي بفتى كريم |
| بلوت الناس من خمسين عاماً | حسبك بالمجرّب من عليم |
| فما أحدٌ يعدّ ليوم سوء | ولا أحدٌ يعدّ علي حميم |
| ويعجبني الفتى وأظنّ خيراً | فأكشف منه عن رجل لئيم |
| ومن شعره أيضاً : | |

| | |
|--|------------------------------|
| وإذا نبا بي منزل خليته | قفرًا مجالَ ثعالب وذباب |
| وأكون مشترك الغنى متبدلاً | فإذا افتقرتُ بعدتُ عن أصحابي |
| ومما قاله في مدح الشباب وذم الشيب من أبيات كثيرة : | |

لا حين صبر فخلّ الدمع ينهل
 سقيًا ورعيًا لأيام الشباب وإن
 جرّ الزمان ذوولاً في مفارقة
 ربّما جرّ أذيال الصبا مرّحاً
 لا تخذعنّ فما الدنيا بأجمعها
 كفاك بالشيب ذنباً عند غايته
 بان الشباب وولّى عنك باطله
 أمّا الغواني فقد أعرضنّ عنك قلبي
 أغرنك الهجر ما ناحت مطوّقة
 ليت المنايا أصابتني بأسهمها
 عهد الشباب لقد أيقنت لي حزناً
 إن الشباب إذا ما حلّ زائده

/281/

وقصد بعض ولد سعيد بن مسلم ، وقد ولي عملاً فاسترفده ، فمطله
 وأطال مدته ولم يعطه شيئاً فأنصرف عنه ، وقال فيه :

ألدنيا أعدك يا ابن عمي
 الى كم لا أراك تنيل حتى
 أتيتك زائراً فأتيت كلباً
 فشرّك عن صديقك غير ناء
 فبئس أخو العشيرة ما علمنا
 أيرحل عنك ضيفك غير راض
 فقد أصبحت من كرم بعيداً
 وما لي حاجة بجداك لكن
 فأعلم أم أعدك للحساب
 أهزك قد برمت من العتاب
 فحظي من إخائك للكلاب
 وخيرك عند منقطع الثراب
 وأحببت صاحب لأخي اغتراب
 ورحلك واسع خصب الجناب
 ومن ضدّ المكارم في لباب
 أردك عن قبحك للصواب

وهجا رجلا وأفرط في هجائه ، فبعث اليه ألف درهم وثيابا وقال له :
أما ما مضى فلا سبيل الى رده ، ولكن أحبّ ألاّ تزيد عليه . فردّ ذلك عليه
وكتب اليه :

أَيْتَ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَ الرُّضَا وَالسُّخْطَ الْآ مَشْرَبًا يَعْذِبُ
أَعَزَّنِي النَّاسَ وَأَغْنَى فَمَا أَرْجُو سِوَى اللَّهِ وَلَا أَرْهَبُ
قَارُونَ عِنْدِي فِي الْغَنَى مُعْدَمٌ وَهَمَّتِي مَا فَوْقَهَا مَذْهَبُ
فَبَإَيِّ هَاتَيْنِ تَرَانِي بِهَا أَصْبُو إِلَى مَالِكَ أَوْ أَرْغَبُ /281ب/

ومرّ به أبو عليّ فقال له : كيف ما بينك وبين صديقك فلان ؟ فقال :

رَاجَعَ بِالْعُتْبَى فَعَاتَبْتَهُ وَرَبَّمَا أَعْتَبَكَ الْمَذْنِبُ
وَإِنْ فِي الدَّهْرِ عَلَى صَرْفِهِ بَيْنَ الصَّدِيقِ لِمُسْتَعْتَبُ

ومدح رجلا ، فلم يجرّه وجعل يسبّ شعره ، فبلغه ذلك فهجاه ، فبعث
اليه بمال واعتذر وسأله الكف ، فأعاد المال وقال :

يَا جَامِعًا مَانِعًا بِخَيْلَا لَيْسَ لَهُ فِي الْعُلَا نَصِيبُ
أَبَالرُّشَا يُسْتَمَالُ مِثْلِي كَلَّا وَمَنْ عِنْدَهُ الْغُيُوبُ
مَالِكَ مَالِ الْيَتِيمِ عِنْدِي فَمَا أَرَى أَكُلُهُ يَطِيبُ

وكان الحسن بن سهل عاتبه على هجائه الناس وقال له : هبهم لي ! فقال :
فعلت . فكساه ووصله على تركه الهجاء ، فقال أبياتا يقول فيها :

بَلَوْتُ خِيَارَهُمْ فَبَلَوْتُ قَوْمًا كُھُولُهُمْ أَحْسَنَ مِنَ الشَّبَابِ
فَقُلْتُ لَهُ بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَلَيْتَهُمْ بِمَنْقَطِعِ التُّرَابِ

فضحك منه ، وقال : ويلك ، الساعة ابتدأت بهجائهم ! فقال : هذه بقية
طفحت على قلبي وأنا كافّ عنهم ما بقي الأمير . انتهى ، كذا ذكره الخطيب .

وذكر في بعض المجامع : أنَّ عبد الله بن المعتز كان يقول : أربعة من الشعراء سارت أشعارهم بخلاف أسمائهم ، أبو العتاهية سار شعره بالزهد وكان على الالحاد ، وأبو نواس سار شعره باللواط وكان أزنًى من قرد ، وأبو حليلة الكاتب سار شعره بالعنة وكان أهبً من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة ، وكان أحرص من كلب .

قال الخطيب البغدادي : رأيت لابن /282/ حازم خبراً لا يطابق حكاية ابن المعتز ويوافق شعره ، وذلك أنه كان جار سعيد بن حميد الكاتب الطوسي . فهجاه لأمر كان بينهما . فسمع سعيد هجوه فأغضى عنه . ثم إنَّ محمد بن حازم ساءت حاله فتحوّل عن جواره ، فبلغ ابن حميد ذلك فبعث إليه عشرة آلاف درهم وتُخوت ثياب وفرس بآلته ومملوكاً وجارية ، وكتب إليه : «ذو الادب لا يحمله ظُرفه على بعث الشيء بغير هيئته ، ولم يكن ما شاع من هجائك في جارياً إلا هذا المجرى . وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلّتك ما لا غضاضة به عليك مع همتك وعظم نفسك ؛ ونحن شركاء فيما ملكنا ، ومتساوون فيما تحت أيدينا ، وقد بعثت إليك بما جعلته وإن قلّ استفتاحاً لما بعده وإن جلّ» . فردّ محمد بن حازم جميعه ولم يقبل منه شيئاً ، وكتب إليه هذه الايات :

وفعلت بي فعلَ المهلب إذ عمّ الفرزدق بالندى الدثر
فبعثت بالأموال ترغبني كلاً وربّ الشفع والوتر
لا ألبس النعماء من رجلٍ ألبسته عاراً على الدهر

وهذا دليل على قناعته وحسن صبره واحتماله الإضاقة .

وكان سعيد بن حميد هذا من شعراء المعتصم .

ذكر الخطيب أنه يكنى أبا عثمان . قال : وكان كاتباً شاعراً مترسلاً عذب الالفاظ مقدّماً في صناعته ، جيّد السرقة (في الاصل «المعرفة») حتى قال بعض

الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعره ارجع لما بقي معه منه شيء ! وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس وله /282ب/ من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ، ويعرف بالتسوية ، وله ديوان رسائل .

وذكر في الاغاني أن سعيد بن حميد كان من أولاد الدهاقين ؛ ولد ببغداد ونشأ بها . وكان شاعراً كاتباً حسن الكلام . قيل للمعتصم إنه زنديق ، فحبسه مدة بانت براءته ، فخلى سبيله . ولما كان صبيّاً سلّمه أبوه الى أبي يوسف اللغوي ، فمضى الى مجلس ابن الاعرابي وهو معه ، فأنشد ابن الاعرابي أرجوزة فاستحسنها ، ولم يكن هناك مخبرة ليكتبها ، فلما انصرفا قال : فأتنا الأرجوزة ! فقال سعيد : لم تفتك ، أحب أن أنشدكها ؟ قال : نعم . فأنشدها ، وهي نيف وعشرون بيتاً ، سمعها مرة واحدة فحفظها .

ودخل يوماً على أبي العباس ابن ثوبان ، وكان أبو العباس يعاتبه على الشغف بالغللمان المرد ، فرأى على رأسه غلاماً أمرد ، حسن الوجه ، فقال له :

أزعمت أنك لا تلوط فقل لنا هذا المفرط قائماً ما يصنع

شهدت ملاحظته عليك بريئة وعلى الحريب شواهد لا تدفع

فضحك وقال له : خذه ، لا بورك لك فيه ، حتى تستريح من عتبك .

وكان يهوى غلاماً ، فغاب عنه مدة ثم جاءه مساء ، فسأله أن يبيت عنده فاعتذر . فتقررت الحال أن يقيم عنده إلى العتمة ، فإذا سمع الأذان انصرف ؛ فأحضر الشراب وحث الشرب بالأرطال ، فلما قرب وقت العتمة كتب الى المؤذن :

قل لداعي الصلاة أخر قليلاً

قد قضينا حق الصلاة طويلاً

أخر الوقت في الأذان وقدم

بعدها الوقت بكرة وأصيلاً /283/

فتراعي حق المودة مناً

وتعافي من أن يكون ثقيلاً

فكتب المؤذن اليه : «إنه لا يؤذن ليلته» ! والصبي ينتظر الأذان ، فسمع أصوات الحُرَّاس فعلم أنها حيلة وقعت ، فبات في موضعه . فقال سعيد في ذلك :

عَرَضْتُ فِي الْحَبِّ لَهُ وَعَرَضَا حَتَّى طَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْفَضَا
ثُمَّ جَفَانِي وَتَوَلَّى مُعْرِضَا حَتَّى أَتَانِي فَنَسِيتُ مَا مَضَى
وَأَظْهَرْتُ نَفْسِي عَلَى الدَّهْرِ الرُّضَا فَسَأَلْتُهُ حُويْجَةً فَأَعْرَضَا
وَقَالَ لَا قَوْلَ مُجِيبٍ فَأَعْرَضَ وَكَانَ مَا كَانَ وَقُلُوبُنَا الْفَضَا
وشرب سعيد يوماً عند بعض أصدقائه ، فلما سكر قام ، فقال :

سَلامٌ عَلَيْكُمْ حَالَتِ السُّكْرُ بَيْنَنَا وَمَالَتْ بِنَا عَنْ كُلِّ مَرَأَى وَمَسْمَعٍ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ بِنَا الْكَرَى وَيَجْمَعُ سَكْرِي بَيْنَ حَيٍّ وَمُضْجَعٍ
ثُمَّ انصرفت .

وتغاضب سعيد وفضل الشاعر ، فكتب اليها :

تَعَالَى نَجْدُ عَهْدِ الرُّضَى وَنَصَفَحَ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
وَنَجْرِي عَلَى سَنَةِ الْعَاشِقِينَ وَأُضْمِنُ عَنِّي وَعَنْكَ الرُّضَى
فَإِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَمَنْ ذَا يَقُومُ بِجَارِي الْقَضَا

فصارت اليه وصالحته ، ثم تعشقت بنان بن عمرو وعدلت عنه ، فقال فيها قصيدته الدالية :

تَنَامِينُ عَنْ لَيْلِي وَأَسْهَرُهُ وَحْدِي وَأَنْهَى جُفُونِي أَنْ تَبْشُكَ مَا عِنْدِي

فلم تعطف عليه ، وبلغها أنه عشق جارية من جوارى /283ب/ القيان ، فكتبت اليه :

يَا عَالِي السَّنِّ سَيِّءَ الْأَدَبِ شَيْتَ وَأَتَتْ الْغَلَامُ فِي الطَّرَبِ

ويحك إنَّ القيان كالشُّرك الـ منصوبٍ بين الغرور والعطبِ
لا يتصدَّينَ للفقير ولا يطلِّينَ إلاَّ معادن الذهبِ
تلحظُ هذا وذا وذاك وذا لحظَ مُحِبَّ بعين مكتسبِ
بتُ أشكِّي هواك إذ عدلت عن زفرك الشكوى الى الطلبِ
ثم كتبت اليه رقعة بعد ذلك تشكو أشواقها اليه ، فضحك وكتب اليها :
ما واصلف الشوق عندي من شواهدہ قلب يهيم وعين دمعها يكفُ
فكنْ على ثِقَةٍ مِنِّي وبِئِنَّهٗ إِنِّي على ثقة من كل ما نصِفُ
انتهى . من الأغاني ، الجزء الثاني .

وذكر في الأغاني أيضًا : أنَّ أحمد بن مرزوق المكي ، الملقب بطنين ، كان
يومًا بين يدي المعتصم مع المغنين والندماء ، وهو أحد المحسنين للغناء
والموصوفين بالضرب ، فقال المعتصم : لقد خلعت اليوم على فتى ظريف حسن
الوجه شجاع وولَّيته عملاً . فقيل : من هو ، يا أمير المؤمنين ؟ فقال خالد بن
يزيد . فقال علوية لأحمد المكي : يا أحمد غنَّ أمير المؤمنين صوتك فيه !
فأمسك . فقال له المعتصم : ما لك لا تجيبه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس
هو مما يُغنى به في حضرة الخلفاء . فقال المعتصم : لا بدَّ أن تغنيه ! فغنى :

عَلَّمَ النَّاسَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ كُلَّ عِلْمٍ وَكُلَّ بَأْسٍ وَجُودَ / 284/
فَتَرَى النَّاسَ هِيَةً حِينَ يَدُو مِنْ قِيَامٍ وَرُكْعٍ وَسُجُودٍ

فقال المعتصم : ألقى هذا الصوت في غد على الجواري . وأمر له بعشرة
آلاف درهم .

قال أحمد : غنى أبي يومًا محمد الأمين :

فَعَشْرُ عُمَرَ نُوْحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَطِّ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طَوْلِهِ إِثْمٌ
تَسَاعِدُكَ الْاِقْدَارُ فِيهِ وَتَنْشِينِي إِلَيْكَ وَيُرْعَى فَضْلُكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

فأمر له الامين بألف دينار انتهى .

كان اسحاق الموصلي أديباً أريباً ، نادر الشكل في وقته ، وله الظرف المشهور ، ونادم الخلفاء وحُطِّي عندهم ، وكانوا يكرّمونه ويقربونه .

وكان المأمون يقول : لو لا ما سبق على ألسنة الناس اسحاق واشتهاره بالغناء لوليت القضاة ، فإنه أولى وأصدق وأعفّ وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ، لكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع أنه أصغرها . وكان نديم المأمون ثم المعتصم بعده ونادم الوراق ثم المتوكل .

وقال المتوكل لما مات اسحاق في أيامه : ذهب صدرٌ عظيم من جمال الملك وزينته .

وكان يغني بين يدي المعتصم ، فكان المعتصم يقول : إذا غناني اسحاق يتخيّل لي أنه قد زيد في ملكي .

وكان له الالحان العجيبة والصناعة الغريبة .

ذكر النويري أنه تلاحي يوماً هو وابراهيم بن المهدي على الصناعة بين يدي المعتصم ، فأخذ عوداً فشوش أوتاره ثم قال لابراهيم : غنّ /284ب/ على هذا فعجز . فغنى عليه زرزور المغني واسحاق يضرب حتى فرغ من الصوت ، فتعجب المعتصم من ذلك وانكسر ابراهيم ، وقال : والله ما ظننت أن مثل هذا يكون أبداً . فقال المعتصم : ألق هذا على الجوّاري ! فقال : يعجزن عنه يا أمير المؤمنين ، لأنّ لي سبعة عشر سنة أروّض نفسي عليه حتى أتقنته ! فقال صدقت .

ومع هذا كان اسحاق عالماً باللغة والشعر والخبار وأيام الناس ، كثير الحديث ، روى عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير . وأخذ الأدب عن الاصمعي وأبي عبيدة . ولكنه برع في علم الغناء ، فغلب عليه ونسب اليه ولم يكن له نظير في الدنيا .

قال ابن خلكان : وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير بن بكار

وغيرهما ، وكانت له يد طولى في الفقه والحديث والكلام . وكان كثير الكتب حتى قال ثعلب : رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، كلها سماعه ، وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق ثم منزل ابن الأعرابي . وله شعر حسن وديوان كبير فمن شعره ما كتب به الى هارون الرشيد :

وأميرة بالبخل قلت لها أقصيري فذلك شيء ما اليه سبيل
فإني رأيت البخل يُزري بأهله لركة نفسي أن يقال بخيل
أرى الناس خِلان الجواد ولا أرى بخيلا له في العالمين خليل
ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال خيرا أن يكون ينيل
عطائي عطاء الكثيرين تكرما ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

/285/

قال ابن عساكر : غنى إسحاق يوما عند يحيى بن خالد البرمكي ، فوقع له بمائة ألف درهم ووقع له ابنه الفضل بمثلها ، وكذلك وقع له جعفر بمثلها أيضا .

قال ابن خلكان : وكان قد عمي في آخر عمره قبل موته بستين . ومولده سنة خمسين ومائة . وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسين ومائة وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلّة الذّرب . وقيل في شوال سنة وثلاثين ومائتين ، والاول أصح .

حكى أن إسحاق سأل الله عز وجل ألا يميته بالقولنج لحما رأى من صعوبته على أبيه ، فإنه مرض به فرأى في منامه قائلا يقول له : قد استجبنا دعائك ولن تموت بالقولنج ، بل بضده . فمات إسحاق بالذّرب . وكانت وفاته في خلافة المتوكل .

ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبح اللهو تحت عَفْرِ التراب ثاوياً في عَمَلَةِ الأحبابِ
 إذ فنى الموصلي وانقرض الاند حس ومُجَّتْ مشاهد الإطرابِ
 بكت الملهيات حزناً عليه وبكاه الهوى وصفوُ الشرابِ
 وبكت آلة المجالس حتى زحم العود ضربه المطرابِ

وقيل إن هذه المرثية في ابراهيم ، والصحيح الاول . انتهى .

وكان من شعراء المعتصم أبو تمام حبيب بن أوس .

قال الخطيب : وهو شامي ، وكان بمصر في حدائثه يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الادباء فأخذ عنهم الشعر وتعلم منهم . وكان فطناً فهِماً ، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال : /285ب/ الشعر فأجاد وشاع ذكره . وبلغ المعتصم خبره فحملة اليه ، وهو بسر من رأى ، وعمل فيه قصائد فأجازه المعتصم وقدمه على شعرائه . وقدم بغداد فجالس الادباء وعاشر العلماء . وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس . وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره أخباراً بسنده .

قال ابن خلكان : كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب ، غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك . وكان يقال في طيء ثلاثة : حاتم في كرمه ، وداود الطائي في زهده ، وأبو تمام في شعره .

وقال (الدر 195ب) ابن كثير : وقد كان الشعراء في زمانه جماعة ، فمن مشاهيرهم أبو الشَّيْص ودِعبِل بن عليّ وابن أبي مرّ . وقد كان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . وقد سئل ابراهيم بن العباس : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

وما أبالي وخيرُ القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

ف قيل : من هو ؟ قال : الذي يقول :

مطرٌ أبوك أبو أهلة وائل ملأ البسيطة عُدّة وعديداً

نسبُ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً
ورثوا الأبوة والحظوظ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلا وجدوداً
ذلك أبو تمام الطائي .

وذكر الاغاني أنه قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فأجتمع الناس اليه وكتبوا شعره وعرضوا عليه الاشعار ، فقال بعضهم : ههنا شاعر تزعم قومه أنه أشعر الناس ! فقال : أنشدوني شعره . فأنشدوه قصيدته التي يقول فيها :

وطول مقام المرء في الحيِّ مُخلِقٌ / 286/ لذيّاجتيه فأغترب تتجدد
ألم تر أن الشمس زيدت محبة الى الناس إذ ليست عليهم بسرمد
فقال : والله هذا أشعر الناس !

ومرّ أبو تمام برجل يقول لآخر : جئت أمس فأحتجبت عني ! فقال له :
السماء إذا احتجبت بالغيم رُجي خيراً ، فقال في الحال :
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء تُرجى حين تحتجب

وتحدّث قوم فذكروا أبا تمام ، فقال دعبل : كان يتتبع معاني الشعر
فيأخذها . فقال رجل : وأي شيء أخذ منك ؟ قال : قولي :

وإن امرؤاً أسدى إليك بشافع اليه ويرجو الشكر مني لأحمق
شفيعلك فأشكر في الحوائج إنه يصونك عن مصروفها وهو يخلق
فقال : وما قال أبو تمام ؟ قال : قال :

فلقيت بين يديك حلّو عطائه ولقيت بين يدي مرّ سؤاله
وإذا امرؤ أسدى اليّ صنيعه من جاهه فكأنّها من ماله

فقال : والله لكن كان أخذه منك ، فلقد أجاد وصار أولى به منك .

وخرج أبو تمام الى خالد بن يزيد ، وهو بأرمينية فامتدحه فأعطاه عشرة آلاف
دينار ونفقة لسفره ، وقال له : إن أردت الشخصوص ففي الدّعة وإن أردت المقام

عندنا فلك الحياء والبرّ . فقال : بل أشخاص . وودّعه ثم ركب خالد بعد أيام فرآه تحت شجرة وبين يديه زكرة شراب و غلام يغنيه بالطنبور ، فقال : أبو تمام ؟ قال : نعم ، خادملك / 286 ب / وعبدك ! قال : [ما] فعل المال ؟ فقال :

علّمني جودك السّماح فما أبقيت شيئاً لدي من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرة كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجبيه في ستك
فأمر له بعشره آلاف أخرى .

وحدّث أبو عبيدة الرقيّ قال : قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فأنشده حتى بلغ قوله :

عادت لنا أيامه مسودة حتى توهّم أنهم ليالي
فقال له : والله لا تسود عليك بعد اليوم ! فقال :

لا تُنكيرن عطل الكريم من الغنى فالسّيلُ حربٌ للمكان العالسي
وتنظرُن حَبَّ الرّكاب ينضّها مُخِي القريض الي مُميتِ المالِ

فقام الحسن وقال : والله لا أتممتها الا وأنا قائم . فقام أبو تمام لقيامه ، وقال متمّماً :

بسط الرجاء لنا برغم نوائب كُثرتُ بهنّ مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعر إنْ مُهورها عند الكرام وإن رخصن غوال
تردُّ الظنون بها على تصديقها وتحكم الآمال في الاموال
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدّقاً بأجلّ فائدة وأيمن فال
ورأيتني فسألت نفسك سيّبا لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي

وقال : ما أحسن ما جلوت هذه العروس ! فقال له : والله لو كانت من

الخور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها ! فأمر له بعشرة آلاف درهم . انتهى .
من الاغاني .

وقال ابن كثير : وقد امتدح أحمد بن المعتصم ، وقيل ابن المأمون ، بقصيدته
التي يقول فيها :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له بعض الحاضرين : أتقول هذا للأمير ، وهو أكبر قدراً من هؤلاء !
فأطرق ساعة ، ثم قال :

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فلما أخذوا منه القصيدة لم يحرروا فيها هذين البيتين ، وإنما قالهما ارتجالاً ،
فقال بعضهم : لا يعيش هذا بعد هذه الا قليلاً . فكان كذلك .

قال ابن كثير : وزعم بعضهم أن هذه القصيدة امتدح بها بعض الخلفاء
فأقطعه الموصل ، فأقام بها أربعين يوماً وليس هذا بصحيح ، وإن كان قد لُجج
به بعض الناس كالزعمشري وغيره . انتهى .

قال ابن خلكان : ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته
السيفية المذكورة ، فقال الوزير للخليفة : أي شيء طلبه فأعطاه إياه ، فإنه لا
يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينه الدم من شدة الفكرة ،
وصاحب هذا لا يعيش أكثر من هذا القدر ! فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟
فقال : أريد الموصل . فأعطاه إياها وبقي هذه المدة ومات . وهذا لا صحة له
أصلاً ، لأن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء بل مدح بها أحمد بن
المعتصم أو أحمد بن المأمون ، ولم يل أحد منهما الخلافة . انتهى .

وأورد ابن عساكر من شعره الرائع ونظمه الفائق :

فلو كانت الأرزاق تجري على الحِجَى هلكنَ إذا من جهلهم البهائمُ
ولن يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ في كفٍّ امرئٍ والدرهمُ/287ب/
وأورد له ابن كثير أيضًا قوله :

يا حليف الندى ويا نؤم المجد ويا خير من حبوت القريضًا
ليت حماك بي وكان لك الدَّ هرَ فلا تشتكي وكنت المريضًا

وتوفي أبو تمام رحمه الله بالموصل في ذي القعدة ، وقيل في جمادى الاولى
سنة ثمان وعشرين . وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . ومولده سنة
اثنتين وسبعين ومائة ، وقيل غير ذلك ، كذا ذكر ابن خلكان .

قال البحتري : وبنى عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة . وحكى الصولي
أن ابن الزيات الوزير رثاه بقوله :

نبأ أتى من أعظم الأنبياء لما ألم مغفل الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم ناشدكم لا تجعلوه الطائي

وقال الحسن بن وهب ، وقيل ديك الجن :

فُجع القريض بخاتم الشعراء وغدير رونقها حبيب الطائي
ماتا معا فتجاورا في حفرة وكذلك كانا قبلُ في الأحياء

وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم .

وكان أبو تمام أسمى طويلا فصيحًا ، حاذَّ الكلام فيه تمتمة يسيرة . كذا
ذكر ابن خلكان .

وأبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث ، وينتهي نسبه الى طيء ثم الى
يعرب ، وقيل هو حبيب بن أوس بن تدرس النصراني ، فتغير وصار أوسًا
ومنشؤه بقرية منبج ، يقال له جاشم .

قال ابن خلكان : والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاشم المذكورة يقال له تدرس العطار ، فجعلوه أوساً .

وذكر ابن عساكر /288/ أن أبا تمام هو الذي يسمى أباه أوس ، وكان اسمه تدرس . وأصله من قرية جاشم ، من عمل الشام ، بالقرب من طبرية . وكان بدمشق يعمل عند حائك ، ثم صار إلى مصر . اهـ .

وذكر بعضهم أن جاشم ، بفتح الجيم وبالسین المهملة اسم قرية من بلد الجيّدور ، من أعمال دمشق ، وهي بين دمشق وطبرية ، والجيّدور بفتح الجيم وسكون الياء وضمّ الدال إقليم من أعمال دمشق مجاور الجولان . انتهى .

ذكر في عيون المعارف ، أن المعتصم كان شجاعاً عظيماً ، وله قوة وشدة في بدنه حتى أنه كان يحمل ألف رطل ويمشي به خطوات .

وروي عن ابن أبي دؤاد القاضي أنه قال : ربما أخرج المعتصم ساعده وقال لي : عُضْ يا أبا عبد الله بكلّ ما تقدر عليه ! فأقول : إنه لا تطيب نفسي ، يا أمير المؤمنين ! فيقول : إنه لا يضُرّني ! فأعُضْ بكلّ ما أقدرُ عليه ، فلا يؤثر ذلك في يده .

وقال في تحفة الالباب ، مرّ يوماً في خلافة أخيه بمخيّم الجند ، فإذا امرأة تقول : ابني ابني ! فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخذته صاحب هذه الخيمة ! فجاء إليه المعتصم ، وقال له : اطلق هذا الصبي . فأمتنع عليه ، فقبض على جسده بيده فسُمع صوت عظامه تحت يده ، ثم أرسله فسقط ميتاً ، وأمر بإخراج الصبيّ إلى أمه . وكان إذا غضب لا يبالي ما فعل . اهـ .

وحكى أنه انفرد عن أصحابه في يوم مطر ، فبينما هو يسير إذ رأى شخصاً معه حمار عليه حِمْل شوك وقد توخّل الحمار /288ب/ فوقع الحمل بين يديه وهو ينظر من يمرّ به ويساعده على ذلك . فنزل المعتصم عن دابته ، وخلّص الحمار ورفع الحمل عليه ، ثم لحقه أصحابه . فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف

درهم . كذا ذكر المؤيد .

وكان يصيد السباع بيده ويلوي في أعناقها أعمدة الحديد أطواقاً ، ثم يُطلقها ، ويصيد حمر الوحش فينعلها ويطلقها أيضاً ؛ فلَقَبَ بسبب ذلك بالسباع والبيطار . ولَقَبَ أيضاً بالثَمَن ، وذلك لأوجه : أولها ، أنه ثامن الخلفاء من بني العباس ؛ والثاني ، أنه الثامن من ولد العباس ؛ والثالث ، أنه دخل بغداد في مستهل رمضان سنة ثمانٍ عشرة بعد إكمال ثمانية أشهر من السنة ؛ والرابع ، أنه استخلف في شعبان وهو الثامن من السنة ؛ والخامس ، أنه ولد سنة ثمان وسبعين ومائة في شعبان أيضاً ؛ والسادس ، أنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون عاماً ؛ والسابع ، أنه أقام في الخلافة ثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وقيل يومين ؛ والثامن أنه خلف ثمانية بنين وثمانين بنتاً ؛ والتاسع ، أن له ثمانية آلاف ألف درهم ومثلها ديناراً ؛ والعاشر ، أن له ثمانية آلاف غلام ؛ والحادي عشر ، أنه خلف ثمان آلاف دابة ؛ والثاني عشر ، أنه فتح ثمان فتوحات ببلاد بابل على يد الافشين وعمورية بنفسه والزطّ بعُجَيف ، فإنه انتصر عليهم وجاءه بسبعة وعشرين ألفاً من الزطّ بالامان ، فدخلوا بغداد في يوم عاشوراء من سنة عشرين ومائتين ثم نفاهم الخليفة المعتصم عن بغداد فأخذتهم /289/ الروم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم أحد فكان آخر العهد بهم . وغزا أعراب ديار ربيعة والتاتار وفتح مصر بعد عصيانها ؛ والثالث عشر أنه قتل ثمانية أعداء ، بابل الخرمي ، ومازيار ، وصاحب عمورية ياطس ، ورئيس الزنادقة ، والافشين وعجيف المذكورين ، وقارن ، وقائد الرافضة . اهـ . كذا ذكر العسقلاني في تاريخه .

وخرج عليه رجل من آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقال له القاسم بن محمد ، فظفر به على يد عامله عبد الله بن طاهر . فأمر المعتصم بحبسهِ . فحبس في مكان ضيق ، طوله ثلاثة أذرع في ذراعين . فمكث به ثلاثة أيام ثم حوّل الى أوسع منه وأجرى عليه الرزق ومن يخدمه . فلم يزل محبوساً هنالك

الى ليلة عيد الفطر ، فاشتغل الناس بالعيد فأدلى له حبل من كوة كان يأتيه الضوء منها فخرج وذهب ولم يُدر كيف ذهب ولا الى أين صار من الأرض .
وكان خروجه بالطالقان سنة تسعة عشرة ومائتين .

وخرج عليه آخر بالشام ، يقال له أبو حرب المبرقع اليماني ، من أهل الغور . فخلع الطاعة ودعا الى نفسه . وسبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن ينزل في منزله وكان غائبا ، فمنعته المرأة فضربها الجندي فأثرت الضربة في معصمها . فلما جاء زوجها أبو حرب أخبرته ، فذهب الى الجندي فقتله ثم تحصن في رؤوس الجبال وهو مبرقع ، فدعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضم السلطان . فتجمع عليه خلق كثير نحو مائة ألف مقاتل ، واستفحل أمره فجهاز اليه المعتصم الامير رجاء بن أيوب ، فلم يزل يطاوله الى أن أمكنته الفرضة /289ب/ فناهضه ، فأسره وانهزم جيشه فسّر ذلك المعتصم وشكر رجاء بن أيوب على فعله . وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين ، كذا ذكره النويري .

والمبرقع هذا هو غير المقنع الذي كان على عهد المهدي ، وأن المقنع يقال له عطاء الخراساني ، وكان قصارا من أهل مرو في ابتداء أمره ، وكان مشوه الخلق أعور قصيرا ، فأتخذ وجهًا من ذهب وتقنع به ، فكان لا يُسفر عن وجهه ، ثم ادعى الربوبية وكان ساحرا ، خيّل للناس صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين . والى هذا القمر أشار ابن سناء الملك بقوله :

إليك فما بدرُ المقنع طالعا بأسحر من الحاظ بدري المعتم

وكان المقنع يقول ، إن الله عز وجل حلّ في آدم ، ثم في نوح ، ثم في نبيء بعد آخر ، حتى حلّ فيه ! تعالى الله عن ذلك .

وأطاعه جماعة كبيرة في كفره . وعمر قلعة تسمى سنام فيما وراء النهر وتحصن بها ، فأجتمع المسلمون وحلقوا بها وحاصروه الى أن ضاق أمره فسقى نساءه سُمّا فمتن ثم تناول منه فمات . ودخل المسلمون قلعته وقتلوا من بها من

أشياءه وكان ذلك سنة ثلاث وستين ومائة في خلافة المهدي ؛ وأما المبرقع ،
كان في خلافة المعتصم ، كذا ذكره المؤيد . انتهى .

قال في سراج الملوك : كان المعتصم ذا بأس وشجاعة وشدة في جسمه ثم أنكر
نفسه وقوته . فذكر أحمد بن أبي دؤاد ، وكان به أنيساً ، أن المعتصم لما أنكر
نفسه وقوته دخلت /290/ عليه يوماً وعنده ابن ماسويه ، فقال : لا تبرح حتى
أخرج اليك ! فقلت ليحيى بن ماسويه : ويلك ، إني أرى أمير المؤمنين قد حال
لونه ونقصت قوته وذهبت صورته ، فكيف تراه ؟ قال : هو والله زبرة من زبر
الحديد إلا أن في يده فأساً يضرب به تلك الزبرة . قلت له : وكيف ذلك ؟ قال :
كان قبل هذا إذا أكل السمك اتخذنا له صباغاً من الخل والكرابيا والكمون
والسذاب والكرفس والخردل والجوز ، فيأكل ذلك الصباغ فيدفع أذى السمك
ويضراره بالعصب ؛ وإذا أكل الرؤوس اتخذت له أصباغاً تدفع أذاها وتلطّفها ؛
وكان في أكثر أمره يلطّف غذاءه بمشورتني . فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيئاً
خالفني وقال آكلُ هذا على غيظ ابن ماسويه . فما أقديرُ ما أصنع !

قال ، وكان المعتصم حلف الشرير يسمع ما نحن فيه . فقلت له : ويلك يا
يحيى ، ادخل في عينه ! قال : جعلت فداك ، لا أقدر أردّه ولا أجتري عليه في
خلاف . فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم ، فقال لي : ما الذي كنت
فيه مع ابن ماسويه ؟ قلت : ناظرته يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلاً ،
وفي قلة طعمك الذي قد جوارحي وأثحل جسمي . قال : فما قال لك ؟ قلت :
شكا أنك لا تقبل منه ما يشير عليك به ، وكنت ترى في ذلك ما يحبّ وأنت
الآن تخالفه . قال : فما قلت أنت له ؟ فجعلتُ أحرف الكلام ، فضحك
وقال : هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك ؟ قال فتصيّت عرقاً وعلمت أنه
قد علم ما قلت /290ب/ وما كنّا فيه ورأى ما قد داخلني . فقال : يغفر الله
لك يا أحمد ، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك ، إذ سمعته وظننته أنه نوع من
الانبساط والانس . انتهى . منه .

وكان المعتصم طيب الاخلاق ، ذا همة عالية ، وشهامة عظيمة ، وكرم زائد وله رحمة وشفقة على الرعايا ، كذا ذكر الخطيب وغيره ، الا أنه كان أمياً لا يُحسن الكتابة ، ذكر هذا العسقلاني .

وقال الخطيب : إنه كان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة .

وروى الصولي ، عن محمد بن سعيد عن ابراهيم بن محمد الهاشمي قال : كان المعتصم غلاماً في الكتاب ومعه غلام له يتعلم معه ، فمات الغلام . فقال له الرشيد : يا محمد مات غلامك ! قال : نعم ، واستراح من الكتاب ! فقال الرشيد : وإن الكتاب بلغ بك هذا المبلغ فلا تذهب اليه واسترح منه . وفي رواية : وإن كان الكتاب ليبلغ منك هذا ، دعوه لا تعلموه .

وقال ابن خلكان : إنه روى الحديث عن أبيه وأخيه المأمون ، وروى عنه اسحاق بن ابراهيم الموصلي وحمدون بن اسماعيل وآخرون . وكان ذا شجاعة وقوة وهمة ، وكان غريباً من العلم . وأُسند الخطيب البغدادي من طريقه عن آبائه حديثين منكرين ، أحدهما في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء ، والثاني في النهي عن الحِجامة يوم الخميس . انتهى .

تقلب أحوال وانقضاء آجال

قال بعضهم : ولما آن المعتصم أوان حِمامه ، وانقرضت أيامه ، أنكر ما كان يعهده من نفسه وقوة جسمه الى أن مات /291/ رحمه الله .

قال الياضي : كان سبب موته أنه وقع له صُداع ، فدخل الحمام واغتسل ، ولما خرج منه غلّف رأسه بدهن الغالية ، وقطره في أذنيه ، ونام ، فورم دماغه . فمات لثمانية أيام . وسنه ثمانية وأربعون سنة .

قيل إنه لما حضرته الوفاة جعل يقول : «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة» . وقال : لو علمت أن عمري قصير ما فعلت ما فعلت ! ويقال إنه قال في مرض موته : اللهم إني أخافك من قبلي ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من

قيلك ولا أرجوك من قبلي .

قال ابن كثير : توفي المعتصم بالله بسامراء يوم الخميس لتسع عشر خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين . ومولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة . وقال غيره لعشر خلون من رمضان سنة ثمانين . وقيل سنة ثمان وسبعين . وقال : توفي لثمانى عشرة مضت من ربيع الاول بسامراء ، وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر ويومين . وكان مولده سنة سبع وسبعين ومائة . وفي تاريخ العسقلاني : وله من السنين على حساب مولده في قول ستة وأربعون سنة وستة أشهر وستة أيام . وفي قول ثمانية وأربعون سنة وستة أشهر وتسعة أيام . وصلى عليه ابنه هارون الواثق بالله ، ودفن بالجوسق الكبير . وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . اهـ .

وكان أبيض ، أصهب اللحية طويلها ، مربوعاً مشوب اللون بحمرة .

وكان نقش على خاتمه «سَلِّ اللهُ بِعَطِيكَ» 291ب/ .

وفي عيون المعارف ، نقشه «الله ثقة أبي اسحاق بن الرشيد وبه يؤمن» . وكان حاجبه وصيف التركي مولاه ، ثم محمد بن حماد . وقيل وصيف ومعه ايتاخ التركي . ووزيره الفضل بن مروان ، ثم أحمد بن عمار ، ثم محمد بن عبد الملك بن الزيات . اهـ .

ورثاه ابن الزيات الوزير بقوله :

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| قد قلتُ إذ غَيَّبوك واصطفقت | عليك أيدي التراب والطين |
| اذهب فتعم الحفيظ كنت على | الدنيا ونعم الظهير للدين |
| لا أجبر الله أمة فقدت | ملكك الآ بمثل هارون |

وخلف المعتصم بالله ستة عشر ولدًا ، ثمانية بنات وثمان ذكور ، منهم هارون الواثق ولي عهده من بعده ، وجعفر المتوكل ، ومحمد أبو المستعين . واستخلف بعده الواثق .

الباب الخامس

في

دولة أمير المؤمنين

أبي جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله

وهو أبو جعفر هارون الواثق بالله بن أبي اسحاق محمد المعتصم بالله بن أبي جعفر هارون الرشيد الهاشمي العباسي ، وأمه أم ولد رومية ، يقال لها قراطيس . وكان عالماً جيد الشعر ، شجاعاً مهيباً صابراً ، فيه شهامة وجبروت . وكان مليحاً أبيض يعلوه اصفرار ، حسن اللحية ، وفي عينه نقطة بياض ، كذا حكاها الهمداني في تاريخه .

قال ابن كثير : بويغ له بالخلافة يوم الأربعاء لثمانية عشر خلون من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين قبل أن /292/ مات أبوه بيوم . وذكر النويري يوم الخميس لثماني عشرة ليلة مضت من ربيع الاول من هذه السنة في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتصم ، ولعلهما بيعتان ، بيعة خاصة وبيعة عامة . وذكر ابن كثير أيضاً أن أمه أم ولد كما ذكرنا ، ويقال لها قراطيس ، قصدت الحج فتوفيت بالحيرة ، لأربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى . انتهى .

مطابقة

قيل كان الواثق حسن العبارة بديع الالفاظ ، ذا ذكاء وفطنة ، متحلياً بمحاسن الآداب .

قال بعضهم : ومما ينال به الخامل أعلى الرتب التحلي بأنواع جواهر الأدب . وهو نوعان نفسي وكسبي ، فالنفسي ما كان من محاسن الأفعال الدالة على كرم الطباع ؛ والكسبي ما استفادته النفس من أحسن الأقوال الآخذة بأعنة القلوب والاسماع ، وهو المراد في هذا الموضع ليقع ذكره في النفس أحسن موقع . انتهى .

قيل إن الواثق بالله قال يوماً لأحمد بن أبي دؤاد : يا أبا عبد الله ، ما أحبّ السي علم البيان ؟ فقال له القاضي ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : «الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان» وقال عليه السلام : «إنّ من البيان لسحراً» . وقال الجاحظ : البيان ، اسم جامع لكلّ كلام كشف لك عن قناع الغي وهتك الحجاب عن الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقة اللفظ /292ب/ ويهجم على محصولة كائناً ما كان . فقال الواثق : قيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطاً كاشفاً عن معنك ، فقال آخر : البيان ما كان مطرّحاً عن المعنى يُسرّع الى الفهم تلقّيه ، وموجزاً ليخفّ على اللسان تعاذه . فقال ابن الزيات الوزير : يا أمير المؤمنين ، مما ورد عن جهابذة هذا الميدان في مدح موهبة الفصاحة والبيان : البيان ترجمان القلوب وصقيل العقول . وقال سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول وروض القلوب . وقال بعض الاعراب لولده : عليك بالفصاحة في منطقتك ، فإنها مع صواب لفظك كالريش البهتي في حُسْن الصورة . ويقال : من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار . وقال هشام بن عروة : ما أحدث الناس مروءة أعجب اليّ من الفصاحة ؛ وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر ، وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الجلي من أمره والمستور . فإن العزيز لمّا رأى فصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شأنه . ومما يتميّز به الانسان فصاحة المنطق وذلاقة اللسان .

فقال له الواثق : أحسنت يا أبا عبد الله !

ومن هذا ما قاله بعض الحكماء : إنّ حدّ الانسان الحيوان الناطق ! وقالوا : الصمت منام والنطق يقظة . وقال عبد الملك بن مروان : الكلام قاض يحكم

بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلوم ، حاجة الناس الى /293/ موادّه كحاجتهم الى موائد الاغذية . ويقال : حدّ الانسان أنّه ناطق ، فمن كانت رتبته في النطق أبلغ كان بالانسانية أحقّ .

وقيل لبعض الحكماء : أيما أفضل الصمت أو النطق ؟ فقال : إنّ الله بعث الانبياء بالنطق ، وما عبّرت به عن شيء فهو أفضل . قال الشاعر :

خُلِقَ الانسان لنطقه وكلامه لا للسكوت وذاك حظ الأخرس
فإذا نطقت فكن مجيئاً سائلاً إنّ الكلام يُزين ربّ المجلس

وقالوا : اللسان إذا كثرت حركته راقّت عذوبته وكثرت بلاغته . وقال خالد بن صفوان : ما الانسان لو لا اللسان الآ صورة ممثلة أو بهيمة غير ممثلة ! وقال بعض البلغاء : مفرش الكلام القلب ومزارعه الفكر وقيمته العقل وزهره الإعراب وثمره الصواب وجانيه اللسان .

ومما شُرّف به اللسان من خصائص الإحسان أنّ الله تعالى رفع قدره على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وألهمه لتمجيده .

وقالوا : اللسان جوهر الانسان من خصائصه أداة تظهر البيان وظاهر يخبر عما بطن في الجنان ، وحاكم يفصل بالخطاب ، وناطق يردّ الجواب ، وواصف تُعرف به الاشياء ، وواعظ ينهي عن الفحشاء ، وشاهد يسأل به عن الغائب ، وشافع تدرك به المطالب ، وموفق يلهمي الخاطر ، ومؤنس يزيل وحشة النافر ، ومعين تسكن به علة الخليل ، ومزين يدعو الى الحليل ، وزارع ينبت /293ب/ الوداد ، وحاصد يُذهب الضغائن ، والاحقاد .

فائدة : ما تقدم من قوله ﷺ : « إنّ من البيان لسحراً » .

أصل هذا الحديث أن عمرو بن سنان بن الاهتم بن سُمي التميمي المنقري وفد على النبي ﷺ هو والزبرقان بن بدر فأسلما . وكان عمرو بن سنان الاهتم المذكور من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية

والاسلام ، وكان بليغ القول ، طلق العبارة ؛ وكان يُدعى المكحول لجماله .
ولمّا أُسلم هو والزبرقان كان النبي ﷺ يكرمهما ، فسأل يوماً عمروا عن
الزبرقان ، فقال : مطاع في أذنيه ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره .
فقال الزبرقان : يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر من ذلك ، ولكنه حسدني .
فقال عمرو : أما والله إنه لزمير المروعة ، ضيق العطن ، لقيم الخال ، أحق الولد ؛
والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية . ولكني رجل
رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت ! فقال عليه
السلام : «إن من البيان لسحراً» .

واختلف في معنى الحديث ، فقال قوم أريد به المدح ، فإن البيان الفهم وإنما
سمي سحرًا لحدة علمه وسرعة قبول القلب له والتعجب له كما يُتعجب للسحر .
وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق
من أعلى درجات البلاغة .

وقال قوم : أريد به الذم لأن السحر تمويه ، والبيان كثرة الكلام والنفاق
/294/ واحتجوا بقوله عليه السلام : الحياء والعبي شعبتان من الإيمان ، والبذاء
والبيان شعبتان من النفاق . والأول أصح . وإنما سمي البيان ههنا نفاقًا إذ كان
من البذاء .

وحكي العتامي أن الاحنف وعمرو بن الاهتم المذكور وفدا على عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه . فأراد أن يقرع بينهما في الرئاسة ، فلما اجتمعت
بنو تميم قال الاحنف :

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى فلما أتاهاهم قال قوم تناحروا

فقال عمرو : إنا كنا وأنتم في دار جاهلية ، وكان الفضل فيها لمن جهل ،
فسفكنا دماءكم وسيينا نساءكم ؛ واليوم في دار اسلام والفضل فيها لمن حلّم فغفر
الله لنا ولك . فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ، ووقعت القرعة على آل الاهتم .

فقال عمرو بن الاهتم :

ولما دعنتني للرئاسة منقـر
شددت لها أزري وقد كنت قبلها
لدى مجلس أضحي به النجم بادياً
لأمثالها قدماً أشد إزارياً

وكان له شعر جيد في أعلى طبقاته ، من ذلك قوله :

ومستنبح بعد الهدوء دعوته
يعالج عرنيناً من الليل مارداً
أصغت فلم أفحش عليه ولم أقل
وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
وقمت الى البزل الهواجد فأتقت
بأدماء مرباع التتاج كأنها
فقام اليها الحازران فاعلموا
فخر إلينا ضرعها وسنامتها
وكل كريم يتقي الدم بالقري
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهها
نمتني عروق من زرارة للعلی
مضارب يجعلن الفتى في أرامه
وقد حان من ساري الشتاء طروق
يلف رباح ثوبه وبروق
لأخرمة إن المكان مضيق
فهذا مبيت صالح وصديق
مفاحيد لوم كالمجادل روق
إذا عرضت دون العشاء رقيق
يطيران عنها الجلد وهي تفوق
عشاء سمين واهن وعروق
وللخير بين الصالحين طريق
ولكن أخلاق الرجال تضيق
ومن فدكي والاشد عروق
بقاع وبعض الوالدين دقيق

/294ب/

وقوله :

وذی لولة سها الرقاد بعينه
فقلت له كمش ثيابك فارتحل
إذا ما نجوم الليل صارت كأنها
شافية الا سهيل كأنه
فقام رخيم الصوت ألوث فاطر
ولا يتك ذل السرى والهواجر
هجائن يطلعن الفلاة صوادر
فنيق علا عن شولة وهو جافر

وقوله وهو أحسن ما قيل للمتقدمين في معناه :

تطارحني يوم جيد وليله هما أبليا جسمي وكل فتى بالي
إذا ما سلخت الشهر أهلت بعده كفى قاتلا سلخي الشهور وإهلا لي

وكان عمرو بن الاثم ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وقال فيها : لو كان العقل يُشترى ما كان شيء أنفس منه ، فالعجب ممن يشتري الحمق بماله ، فيدخله في رأسه فيفتق ما في جيبه ويسلخ /295/ ما في ذيله . وكان يقول أشجع الناس من ردّ جهله بحلمه . وكانت وفاته سنة سبع وخمسين . انتهى .
قيل إن الواثق كان في جلسائه وندمائه وبين يديه جارية تغني فغنت بين يدي الواثق الى أن قالت :

أظلم إن مصابكم رجلا ردّ السلام تحية ظلم

فاختلف من بحضرة الواثق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون رجلا مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصب ؛ والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب . فأمر الواثق بإشخاص أبي عثمان .

قال أبو عثمان ، فلما مثلت بين يديه قال الواثق : ممن الرجل ؟ قلت : من مازن . قال : من أي مازن ، أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة . فكلمني بكلام قومي ، وقال : ما اسبك ؟ لأنهم يقبلون الهمة باء والباء ميمًا ؛ قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر ، إذا قلبت اسمي . فقلت : بكر ، يا أمير المؤمنين ! ففطن لما قصدته ، فأعجب به فقال : على م نصب «رجلا» في البيت ؟ فقلت لانه معمول بالمصدر ، وهو مصابكم ، لانه في معنى إصابتكم . فأخذ اليزيدي يعارضه ، فعلاه المازني بالحجة ثم قال له الخليفة الواثق : هل لك من ولد يا أبا عثمان ؟ قال ، قلت : نعم بنية يا أمير المؤمنين . قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ قلت : أنشدت قول

الاعشى : «أيا أبتا لا ندم عندنا» /295ب/ قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت لها قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال : على النجاح إن شاء الله تعالى ! ثم أمر لي بألف دينار ، وردني مكرماً .

قال المبرد ، لما عاد أبو عثمان الى البصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا العباس ، وددنا لله مائة فعوضنا ألفاً !

وأصل هذا ما روى المبرد ، أن بعض أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيويه ، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه ، فأمتنع أبو عثمان من ذلك قال المبرد ، فقلت له : جعلت فداك أتردّ هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على كذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، فلست أرى أن أمكن ذمياً [منه] غير («دنيا غيره») على كتابه عز وجل فحميته له .

وكان المازني في غاية الورع والدين . قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي سمعت القاضي بكار بن قتيبة قاضي مصر يقول : ما رأيت نحوياً قط يشبه الفقهاء إلا حيان بن هلال والمازني ، يعني أبا عثمان المذكور .

واسمه بكر بن محمد بن عثمان . وقيل عدي بن حبيب المازني البصري النحوي . كان إمام عصره في النحو والادب ، أخذ الادب عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وللمازني تصانيف منها كتاب ما يلحن فيه العامة ، وكتاب الالف واللام /296/ وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الدياج . وتوفي المازني بالبصرة سنة تسع وعشرين ومائتين ، وقيل سنة ست وثلاثين ومائتين . كذا ذكر ابن كثير . انتهى .

قيل : إنَّ الوراق بالله كان كامل العقل كثير الحلم حسن الخلق . حكى أنَّه كان إذا شرب ينام في موضعه الذي شرب فيه ، فشرب ليلة فنام فخرج كل من كان في المجلس الآمغن أظهر التناوم وبقي بعد الخارجين فترك . وكانت مغنية بين حظايا الخليفة الوراق جالسة في المجلس ، فلما خلا المجلس كتب المغني أبياتاً في ورقة ورمى بها الى الجارية ، فأخذت الورقة ونظرت اليها ، فإذا فيها مكتوب هذه الايات :

إني رأيتك في المنام ضجيعتي مترشفاً من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكأننا بتنا جميعاً في فراش واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما في راحتي وتحت خدك ساعدي
فلما قرأت الايات كتبت على ظهرها هذه الايات :

خيراً رأيت وكلما أملت ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي وتحل بين مراسفي ومجاسدي
ونكون أول عاشقين تعاطيا لحسن الحديث بلا مخافة راصد

وجعلت تمد الورقة الى المغني ، فرفع الوراق رأسه ورآها تمدّها ، فأخذها من يدها وإذا فيها خطأهما ، فقرأ الايات من الجانبين فقال : ما هذا ؟ فحلفا له أنهما لم يجر /296ب/ بينهما هذا الكلام ولا كتاب ولا رسول إلا أن الخمر قد لعب بينهما . فأطرق الوراق ملياً وهو يتأمل ، ثم أعتقها من وقتها وزوجها له ؛ وقال له : لا تقرّنا بعد هذا اليوم ! وهذا مما يدل على حلمه ، وكال عقله ، وحسن تدبيره العواقب ، رحمة الله تعالى عليه . انتهى .

حكى أنَّ الوراق كان على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون في القول بخلق القرآن ، وبالغ في التشديد على منكر ذلك وامتحانه . ذكر بعضهم أنَّه كانت معاداة بين الروم والمسلمين في أيام الوراق على يد خاقان الخادم ، وكان ذلك عند سلووية بالقرب من طرسوس ، فجعل بدل كل مسلم أو مسلمة في أيدي

الروم أو ذمّي أو ذمّية ممن تحت عقر الاسلام وهو في أسر الروم أسيراً من الروم الذي في يد المسلمين ، فنصبوا لذلك جسرين على نهر اللامس . ووقف كل فريق عند جسر منهما ، فإذا أرسل الروم رجلاً أو امرأة من جسرهم وانتهى الى المسلمين كبر وكبر المسلمون ، ويرسل المسلمون أسيراً من الروم بدله فيذهب الى قومه فإذا انتهى الى جسرهم تكلم بكلام يشبه التكبير . ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام ، وهم يجعلون بدل كل نفس نفس الى أن استوفى عدد من في أيدي الروم من المسلمين . وبقيت مع خاقان المذكور جماعة مساكين من أسارى الروم ، فأطلقهم خاقان للروم ليكون له الفضل عليهم .

ولما تمّ الصلح والمفاداة سار خاقان /297/ الخادم الى الواثق ، فقدم اليه بمن معه من الأسارى ومعه أيضاً جماعة من أهل الثغور من رؤسائهم وأعيانهم ، فأمر الواثق بامتحانهم في القول بخلق القرآن ، وأن الله عز وجل لا يرى في الآخرة ؛ فأجابوا الى ذلك الأربعة منهم . فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا الى ذلك كما أجاب بقيتهم ، ثم أمر بامتحان الأسارى . فمن أجاب الى القول بخلق القرآن ومنع الرؤية فُدي والآ يترك في أيدي الكفار . وهذه بدعة لم ير غيره أخرجها بلا دليل ولا برهان .

وكان الواثق قد استقدم جماعة من أهل مصر الى بغداد ليمتحانهم في ذلك . وكان منهم أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ، منسوب الى بويط قرية [من] قرى مصر .

وكان البويطي من الصالحين ، فقيهاً عالماً لطيفاً فاضلاً جليلاً القدر ، وهو ممن صحب الشافعي في كبر سنه وأخذ عنه ، وكان الشافعي استخلفه في حلّته . وكان يُدني الغرباء ويقربهم إذا قدموا للطلب ويعرفهم فضل الشافعي وفضل كتبه حتي كثر الطالبون للشافعي ، فحسده ابن أبي الليث الحنفي ، قاضي مصر على فضله ، وعاداه . وأخرجه فيمن أخرج الواثق للمحنة في القرآن العزيز ، فسجنه الواثق الى أن مات في حبسه لامتناعه من ذلك .

قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي على بغل ، في عنقه غلّ ، وفي رجله قيد ، وبين الغلّ والقيد سلسلة من حديد وفيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول : إنما قال الله تعالى للمخلوق كن ، فإذا كانت «كن» مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً ، فوالله لأموتنّ في حديدي /297ب/ حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في الشأن قوم في حديدهم ، ولئن أدخلت عليه لأصدقته ، يعني الوائق . اهـ .

ومات البويطي في السجن يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين . انتهى ، كذا ذكر ابن خلكان والمؤيد وغيرهما .

وكان الوائق بالله إنما بالغ في التشديد على منكر خلق القرآن برأي ابن أبي دواد القاضي ، فإنه قد استولى على الوائق وحمله على ذلك . وكان ابن أبي دواد شيخاً في الاعتزال ، وهو أحد من أضلّ الوائق والمعتصم قبله والمأمون قبلهما ، وكان أشدّ الضلالة للمأمون في هذا ، ومن هو أصل لهذه البدعة وبشها بين الانام بشر بن عتّاب بن أبي كريمة المريسي الحنفي ، المتكلم شيخ المعتزلة ، غلب عليه علم الكلام ، وجرد القول لخلق القرآن وأضلّ المأمون اليه ودلّه على حمل الناس عليه .

وحكي عنه ابن خلكان أقوالاً من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنما هو علامة الكفر . قال : وهو من موالي زيد بن الخطاب ، ويقال إنّ أباه كان يهودياً صائغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريس ببغداد ، والمريس عندهم هو الخبز الرقاق الذي يمرّس فيه التمر والسمن . ومريس ناحية ببلاد النوبة ، يأتي من هناك الرياح الباردة ويسمونها المريسي . وقال أبو سعيد الوزير : المريس قرية بمصر . وتوفي بشر المريسي في أوائل دولة المعتصم .

قال ابن كثير : ولما توفي في ذي الحجة سنة ثمانين عشرة /298/ ومائتين صلّى عليه رجل من المحدثين يقال له السوتزي فلامه بعض المحدثين فقال لهم :

ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي عليه ، قلت : اللهم إنَّ عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر ، اللهم فأذقه من عذاب القبر ، وكان ينكر شفاعة نبيك ، فلا تجعله من أهلها ، وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة فأحجب وجهك الكريم عنه ! فقالوا : أصبت .

وهذا الذي فطن به بعض السلف حيث قالوا : من كذب بكرامة لم ينلها . انتهى .

وإنما كان بشر المذكور أصل في هذا المذهب الفاسد بالنسبة الى من بعده ، وحمل الناس على ذلك قبل ابن أبي دواد القاضي . وأما أول من تكلم بخلق القرآن المجيد من أمة محمد ﷺ هو الجعد بن درهم ، مولى بني الحكم . كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية ، فنسب اليه وقيل مروان الجعد . وروى أن أم مروان المذكور كانت أمة ، وكان الجعد أخوها وقيل إن الجعد أخذ ذلك من أبيان بن سميان ، وأخذته أبيان من طالوت بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، فإنه كان يقول بخلق القرآن ، وكان زنديقاً ، وهو أول من صنّف في ذلك ، ثم أظهر الجعد بن درهم . ولما اشتهر أمره بخلق القرآن طلب فهرب ثم نزل الكوفة ، فتعلّم منه الجهم بن صفوان القول بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب اليه الجهمية .

قال المسعودي ، قال دخل بهلول على خالد بن عبد الله القسري فقال له : أحسن الله إليك عزاءك في «قل هو الله أحد» ، فإنها ماتت ! قال : وكيف تموت ؟ قال إن هذا الجعد يزعم أنها مخلوقة ، /298ب/ وكل مخلوق يموت . فأغتاظ عليه ، وكان والياً ، فاستحضره . وأوتي به حين صلي وخطب للإضحى فقال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا ، تقبل الله منا ومنكم ، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فإنه يقول ما كلف الله موسى تكليماً ولا اتخذ إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده ، وطفئت نائرتة الى نشأت في أيام

ابن أبي دواد . كذا وجدناه في المسودة (الدر 213 ب . عبارة كذا وجدناه في المسودة غير موجودة في الدر ، وقد أورد الدر هذه الحكاية التي سماها لطيفة بعد استعراض طويل للنحو ومسائله وشرح لبعض سجعات تتعلق بالصرف والمذاهب ، من الورقة 208 الى 213 ب) .

وقيل : أول من تكلم في القدر وخلق القرآن غيلان بن يونس العدوي الدمشقي ، أبوه مولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وقيل أول من تكلم في ذلك في الاسلام رجل من أهل العراق ، وكان نصرانياً فأسلم ثم تنصّر ، وأخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي ؛ وكان غيلان قدرياً ؛ روي أنه وقف يوماً على ربيعة فقال له : أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى ؟ فقال له ربيعة : أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى قهراً .

وروي أن مكحولاً قال له : ويلك يا غيلان ، ألم نجدك تُرامي النساء بالتفاح في شهر رمضان ، ثم صرّيت حارثياً تخدم امرأة الحارث الكذاب ، وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت بعد ذلك قدرياً زنديقاً .

وكان غيلان على عهد عمر بن عبد العزيز .

حكى ابن مهاجر أنه لما بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلاتاً نطقا في القدر أرسل إليهما ، وقال لهما : ما الامر الذي تنطقان فيه ؟ فقالا : هو ما قال الله يا أمير المؤمنين ! قال : وما قال الله تعالى ؟ قال غيلان : يقول : «اهل أتى /299/ على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» ثم سكت . فقال عمر : اقرأ ! . فقرأ : «إن هذه تذكرة الى آخر السورة» . فقال : كيف تريا يا أبناء الأتانة ، تأخذون الفروع وتدعون الاصول !

قال مهاجر ، ثم بلغ عمر بن عبد العزيز أنهما أسرفا ، فأرسل إليهما وهو مغضب . فقام عمر وكنّت خلفه قائماً حين دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما : ألم يكن في سابق علم الله تعالى حين أمر إبليس بالسجود ألا يسجد ؟ قال

مهاجر ، فأومأت اليهما برأسي أن قولاً نعم وإلا فهو الذبح . فقالا : نعم . فقال عمر : أو لم يكن في سابق علم الله تعالى حين نهى آدم وحواء عن أكل الشجرة ألا يأكلان منها ؟ قال مهاجر ، فأومأت اليهما برأسي ، فقالا : نعم . فأمر بإخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان ، وسكتا عن الكلام . فلم تلبث الاقدار حتى مات عمر رضي الله تعالى عنه ولم ينفذ الكتاب ، وسال بعد ذلك منهما السبيل .

وقد كان يقال لغيلان : من كان أشدّ عليك ؟ فقال : عمر بن عبد العزيز كأنما يلقي من السماء . وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر : اللهم إن كان كاذباً فلا تمته حتى تذيبه حدّ السيف ! فقبل الله منه ، وقطع هشام بن عبد الملك يديه ورجليه .

وذلك أنه استخلف هشام ، وبلغه ما يقول غيلان فأرسل له وقال له : ما هذه المقالة التي تبليغي عنك في القدر يا غيلان ؟ /299ب/ قال : هو ما بلغك يا أمير المؤمنين ، فأحضر من أحببت يحاججني ، فإن غلبني ضربت رقبتني ! فأحضر الأوزاعي فقال له الأوزاعي : يا غيلان ، إن شئت ألقيت عليك سبعاً وإن شئت خمساً وإن شئت ثلاثاً . قال : ألق ثلاثاً . فقال له : أقضى الله تعالى على ما نهى عنه ؟ قال : ما أدري ما تقول . قال : فأمر الله تعالى بأمر حال دونه . قال : هذه أشدّ من الأولى . قال : أفحرم الله تعالى حراماً ثم أحله ؟ قال : ما أدري ما تقول ! وعجز ، فأمر به هشام بن عبد الملك فقطعت يداه ورجلاه وصُلب حياً على باب كيسان بدمشق .

ثم قال هشام للأوزاعي : يا أبا عمرو فسرّ لنا ما قلت . قال : قضى الله تعالى عمّا نهى عنه ، نهى آدم عليه السلام ألا يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها ، وأمر إبليس أن يسجد لآدم وحال بين إبليس والسجود ، وقال حرّمت عليكم الميتة» ثم قال «فمن اضطرّ فأحله بعد ما حرّمه» . فعجب هشام من جوابه .

ومات غيلان وبقي قوله في الناس الى أن أظهره الجعد ، كما تقدم ، ثم
الجهم بن صفوان ، وإليه تنسب الجهمية . ولذا كان الامام أحمد بن حنبل
رضي الله تعالى عنه يقول : إن من قال القرآن مخلوق فهو جهمي . ومن قال
كلام الله ولا يقول غير مخلوق ولا مخلوق فهو واقفي ، ومن قال لفظي
بالقرآن مخلوق تلاوته فهو مبتدع .

وكانت الحنابلة يبدعون الكرايسبي ، لانه يقول إن القرآن الذي تكلم الله
به صفة من صفاته لا يجوز عليه الخلق وأن تلاوة التالى للقرآن وكلامه كسب
له وفعل له ، وذلك مخلوق وأنه حكاية عن /300/ كلام الله تعالى ، وليس
هو القرآن الذي تكلم الله به ، وشبهوه بالحمد والشكر ، وهو غير الله تعالى
فكما يؤجر بالحمد والشكر والتهليل والتكبير فكذلك يؤجر بالتلاوة . وتجنبت
الحنابلة هذا وبدعوا قائله .

وكان مذهب المأمون القول بخلق القرآن ، وهو الذي أشهره بين الناس
وحمل الناس عليه وتبعه في ذلك أخوه المعتصم وابنه الواثق . وقد تناهى الأمر
وبلغ غايته في أيام الواثق لما فعله من امتحان العلماء وإلزام الناس بآتباع هذا
المذهب المبتدع ، وقتل من خالفه فيه . وبقي الأمر على ذلك الى أن أبطله أخوه
المتوكل ، ورفع المحنة على العلماء ، وأظهر السنة .

وروي أن الواثق توقف في البدعة في آخر أيامه ، وروى أيضاً أنه رجع عن
ذلك وتاب عن هذه المقالة . وقد روى ذلك المهتدي بالله ، كذا ذكر الخطيب
البغدادى .

ذكر أن أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي كان انتظمت له البيعة
في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان
لبدعة ودعوته الى القول بخلق القرآن . وكان جدّه مالك بن الهيثم من أكبر
الدعاة في الناس الى دولة بني العباس ، وكانت له وجاهة ورياسة وكان أبوه
نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث .

وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين كثرت الدُّعَار والشُّطَار /300ب/ في أرجاء بغداد في زمن غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم ذكره في خلافته . وكان أحمد بن نصر المذكور من أهل العلم والديانة وكان يقول : إنَّ القرآن غير مخلوق .

وبلغ الواثق بالله ما قيل من أنَّه انتظمت له البيعة في السرّ ، ووقف على ذلك فأمر بإحضاره ، وحاججه في القرآن والرؤية فقال أحمد : القرآن غير مخلوق ، والله تعالى يُرى يوم القيامة . ولم يرجع عن مقاله ذلك . فقال القاضي أحمد بن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، هو كافر يُستتاب لعلَّ به علة أو نقص عقل . فقال عبد الرحمن بن اسحاق قاضي الجانب الشرقي من بغداد : هو حلال الدم . فلما سمع الواثق ذلك ، وكان شيعياً معتزلياً ، قام إليه وقتله بنفسه بالصمصامة . وكانت سيفاً لعمر بن معدى كرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته ، وكانت صفيحة موصولة من أسفلها بثلاثة مسامير ، فأخذ الواثق وضرب به أحمد بن نصر المذكور ضربة على عاتقه ، وهو مربوط بحبل ، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه على بطنه ، فسقط صريعاً على النطع ميتاً . وكان مقتله بسرّ من رأى ، وحمل رأسه الى بغداد ، فنصب في الجانب الشرقي أياماً وفي الجانب الغربي أياماً وعنده الحرس ليلاً ونهاراً .

وكان أحمد من أهل العلم والدين والفضل ، سمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير ، وكانت عنده مصنفاته كلّها ، وسمع من مالك بن أنس أحاديث جيّة ، /301/ ولم يحدث بكثير من حديث ، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين .

لطيفة

حكى أنَّ الهيثم كان يجالس المنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وكان مختصاً بهم . فقال له المهدي يوماً : ويحك يا هيثم ، إنَّ الناس يخبرون عن

العرب قبحاً ولوئماً وكرماً وسماحة ، وقد اختلفوا في ذلك فما عندك ؟ قال الهيثم فقلت : على الجرم خرجت ، يا أمير المؤمنين ، من عند أهلي أريد قريباً لي ومعى ناقة أركبها إذ شرت ، فجعلت أتبعتها حتى أمسيت ، فأدركتها ونظرت فإذا خيمة أعرابي ، فأتيتها فقالت ربة الخباء : من أنت ؟ فقلت : ضيف . فقالت : وما يصنع الضيف عندنا ، إن الصحراء لواسعة ! ثم قامت إلى برّ فطحنته وعجنته وخبزته ، فأكلته ، ولم ألبث قليلاً إلا أن أقبل زوجها ومعه لبن فسلم وقال : من الرجل ؟ فقلت : ضيف . فقال : حيّاك الله . ثم قال : يا فلانة ما أطعمت ضيفك شيئاً ؟ قالت : نعم . فدخل الخباء وملاً قعباً من لبن ثم أتاني به فقال : اشرب ! فشربت شرباً هنيئاً . فقال : ما أراك شربت شيئاً ولا أراها أطعمتك . فقلت : لا والله . فدخل إليها مغضياً وقال لها : ويلك ، أكلت وتركت ضيفك ! قالت : وما أصنع به ، أطعمه طعامي ؟ وجارها الكلام حتى شجّها ، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها ، فقلت : لا تفعل عافاك الله ! قال : لا والله ، لا يبيت ضيفي جائعاً . ثم جمع حطباً وأجج النار وأقبل /301ب/ يشوي ويطعمني ويلقي إليها ويقول : كلي ، لا أطعمك الله ! حتى إذا أصبح تركني ومضى . فقعدت مغموماً ، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسام الناظر إن ينظر إليه ، فأتاني به وقال : هذا مكان ناقتك ! ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضر وخرجت من عنده .

فضمّني الليل إلى خباء ، فسلمت فردّت صاحبة الخباء السلام وقالت : من الرجل ؟ قلت : ضيف . فقالت : مرحبا بك حيّاك الله وعافاك . فنزلت ثم عمدت إلى برّ فطحنته وعجنته وخبزته ناضجاً ثم زوّقت الخبز بالزبد واللبن ، ثم وضعت بين يدي ، وقالت : كل وأعذر أيها الضيف . فلم ألبث أن جاء أعرابي كره المنظر ، فسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من الرجل ؟ قلت : ضيف . قال : وما يصنع الضيف عندنا ؟ ثم دخل إلى أهله فقال : أين طعامي ؟ فقالت : أطعمته الضيف [فقال] : أطعمني طعامي الاضياف ؟ وتجاريا الكلام

فرفع عصاه وضربها على رأسها فشجّها ، فجعلتُ أضحك ، فخرج اليّ وقال :
ما يضحكك ؟ قلت : خير . قال : والله لتخبرني . فأخبرته بالرجل والمرأة اللذان
نزلتُ عليهما قبله ، فأقبل عليّ وقال : إن التي عندي أختُ ذلك الرجل ورأيتُ
خسرانهما وما هما عليه من التفريط ، وتلك التي عنده أختي أنا ، وقد رأيتُ
حفظها وتدبيرها ، بارك الله ! فبقيت متعجّباً . وهذا من أغرب ما رأيته يا أمير
المؤمنين . انتهى .

حكى أن الواثق كان في سُمّاره وهم يتحادثون بين يديه . فذكرت البرامكة
وتكلّموا في أمرهم ، فسأل الواثق بعضهم عن سبب هلاكهم . فقليل له إن ذلك
كان بسبب استهلاكهم أموال بيت المال . فلما سمع الواثق ذلك بطش بكتابه
وأهل الدواوين واستخلص منهم أموالاً وسجن بعضاً وضرب بعضاً . ومنهم
من ضربه ألف سوط ، ومنهم من أخذ منهم ألف ألف دينار . وكان الوزير ابن
الزيّات قد ضيق عليهم .

قال في كتاب الفرج بعد الشدة : لما مرض الواثق واشتدّ به المرض دخل
عليه أحمد بن أبي دؤاد القاضي وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن محمد بن عبد
الملك الزيّات قبض على أهل الدواوين والكتاب وحبسهم وضيق عليهم ،
ووراءهم عيال وأولاد وموالٍ خلق كثير ولهم أيدي يدعون عليك ؛ فإن رأى أمير
المؤمنين أن يوقع بيده إلى محمد بن عبد الملك أن يُخلى سبيلهم فتبقى تلك الأيدي
تدعو لك لا عليك («فتبقى ذلك الأيدي تدعون . . ») . قال الواثق : يوقع
لهم أبو عبد الله يعني ابن أبي دؤاد . فقال له : بل يوقع لهم أمير المؤمنين ، ويكون
في سعة حلمه لأن أمير المؤمنين يعلم تعلل ابن عبد الملك الزيّات ، فإذا رأى
توقيع أمير المؤمنين لم تسعه المخالفة .

فأخذ الواثق القلم وهو مستند على ابن أبي دؤاد وكتب إلى محمد بن عبد
الملك أن يطلق أهل الدواوين والكتاب في مكان يردّ عليه كتابه ، ولا ينتقل من
ذلك المكان حتى يطلقهم عن آخرهم ، ولا تراجعني في أحد منهم . فأخذ ابن

302ب/ أبي دؤاد التوقيع ، وسار من وقته فوافى محمد بن عبد الملك الزيات في الطريق فأعطاه التوقيع ، فقرأه فقال للقاضي : يا أبا عبد الله ، إذا أطلقت هؤلاء من اين أعطي أرزاق الجند إذا طلبت ؛ أمهلني أراجع أمير المؤمنين . فقال له القاضي : لا سبيل إلى ذلك ، والله لا تبرح من مكانك هذا حتى تطلقهم عن آخرهم . فنزل الوزير وأمر باطلاقهم في تلك الساعة ثم ركب وسار إلى الديوان وأحمد بن أبي دؤاد القاضي واقف بمكانه حتى وافاه المحبوسون وبادروا ان يقبلوا ركابه ، فنزل لهم وقبلهم واحداً بعد واحد ، وهم يدعون له ولأمير المؤمنين .

فلما كان من غد دخل القاضي على الوراق فوجده منتبهاً ، فقال له : يا أبا عبد الله ، من حين أشرت عليّ بتسييب المسجونين بتّ في عافية وأكلت الخبز ! فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الأيدي التي كانت تدعو عليك صارت تدعو لك ، ولعل الله يتقبل دعاءهم ؛ وتعلم يا أمير المؤمنين أن القوم لهم دور وضياح ورباع ، وهم الآن حفاة عراة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُجبر بخاطرهم ، أن يردّ عليهم ما أخذ منهم لكي يكمل سرورهم ويكثرون بالدعاء إلى الله تعالى أن يشفي أمير المؤمنين من هذه العلة ؟ فقال الوراق : سأفعل إن شاء الله تعالى . ثم دعا بدواية وقرطاس وكتب برّد جميع أملاكهم فرُدّت إليهم ، ومات الوراق من ليلته تلك .

وكان ابن أبي دؤاد ممن يسعى في الخيرات /303/ والبرّ . وكان من أهل الكرم والعلم والأدب لو لا ما فيه من التشيع والاعتزال وحمل الناس ذلك ودلالة الخلفاء على امتحانهم . وقد عاقبه الله تعالى [على] ذلك بأن فُلج ومات مفلوجاً بعد ان عزله المتوكل وامتحنه بالمصادرة ، وأخذ ضياعه وما يملك ، ومات على ذلك ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وكان هو الذي تولّى غسل الوراق ودفنه والصلاة عليه . انتهى كذا في المسودة .

ذكر ابن كثير أن هلاك الوراق وموته كان بعلّة الاستسقاء ، واشتدّ به ذلك

حتى أنه لم يقدر على حضور العيد عامئذ ، فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلي ، وقوي به الاستسقاء ، فعولج بان أقعد في تنور قد أحصي له بحيث يمكن إجلاسه فيه ليسكن وجعه ، فلان عليه أمره بعض الشيء ، فلما كان من الغد أمر بأن يُحمى أكثر من العادة ، فأحصى له وأجلس فيه ، ثم أخرج فوضع في محفة وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، فمات وهو محمول ، فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت . فغمض القاضي عينيه بعد ذلك .

لطيفة

قال ابن جرير الطبري : كان الواثق لمّا اشتد به مرضه جمع أصحاب النجوم في زمانه لينظروا في مولده وما يقتضيه صناعة النجوم ، كم تكون أيامه ودولته . فاجتمع عنده من رؤوس المنجمين جماعة /303ب/ منهم الحسن بن سهل والفضل بن اسحاق الهاشمي ومحمد بن موسى الخوارزمي واسماعيل بن بويجب والمجوسي القطريلي وسيد صاحب محمد بن الهيثم ومامه وغيرهم ممن يتكلم في النجوم ، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عنده ثم أجمعوا باتفاق منهم أنه يعيش دهرًا طويلا ، وقدرّوا له أنه يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم ، فلم يمكث بعد قولهم ذلك الا عشرة أيام ومات ، ولمّا احتضر واشتدّ به الألم جعل يردّد هذين البيتين :

الموتُ فيه جميع الخلق مشتركٌ لا سُوقة منهم تبقى ولا ملكٌ
ما ضرَّ أهلي قليل في تفاقدهم وليس يُغني عن الاملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبساط فطُويت ثم ألصق خدّه بالارض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكه إرحم عبداً قد زال ملكه . انتهى .

ذكر الدّميري في حياة الحيوان : أن الواثق كان مؤثراً لكثرة الجماع ، فقال لبعض الاطباء : اصنع لي دواء للباءة . فقال الطبيب : يا أمير المؤمنين أتهدم

بدنك بالجماع وأتق الله في نفسك ! فقال : لا بدّ من ذلك . فأمره الطبيب أن يأخذ لحم السباع فيغلي سبع غليات على خمر ، ويتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم ولا يجاوز هذا القدر . فأمر بذبح أسد فذبّح وصار يتناول منه على شرايه كما ذكر /304/ الطبيب ، فلم يكن الا قليلا حتى استسقى . فأجمع الاطباء على أن لا دواء له الا أن ينزل بطنه ، ثم يُترك في تنور قد سُجّر بحطب الزيتون حتى يصير جمرا ثم يُجلس فيه .

ففعل به ذلك ، ومنعوه الماء ثلاث ساعات وهو يستغيث ويطلب الماء ، فلم يسقوه . فصار في جسده نفاطات مثل البطيخ ، فأخرج فجعل يقول : رُدوني الى التنور والآن مت ! فردّوه فسكن صياحه ، ثم انفجرت تلك النفاطات وقطر منها ماء ، فأخرج من التنور وقد استودّ جسده ومات بعد ساعة وهو يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم عبدا قد زال ملكه . ويردّد البيتين المقدّم ذكرهما الى أن طفت روحه ، فسُجّي بثوب ، واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل ، فجاء جردان من البستان فاستلّ عينه وذهب بها ، ولم يعلموا به حتى غسلوه ، وهذا من أغرب ما سمع . انتهى

حكى الواقفي قال : كنت عند الواثق بالله إذ لحقته غشية ، فما شككت أنه قد مات . فقال بعضنا لبعض : تقدموا ! فما جسر أحد . فتقدّمت أنا فلما أردت أن أضع إصبعي على أنفه فتح عينه فكادت أن أموت فرعا ، فتأخّرت الى خلفي فتقلّلت قبضة السيف بالعتبة وعثرت ، فاندق السيف وكاد أن يدخل في لحمي ، فخرجت وطلبت سيفاً . ثم رجعت فوقفت لحظة فمات بلا شك . فشددت لحيته وغمضته وسجّيته . وأخذ الفراشون تلك الفرش المشمة ليردّوها الى الخزانة . وترك وحده في البيت . فقال لي القاضي أحمد بن أبي /304ب/ دؤاد : أنا اشتغل بعقد البيعة ، فأحفظه حتى يُدفن .

فردّدت ، وجلست عند الباب . فسمعت بعد ساعة حركة أفرغتني ، فدخلت وإذا أنا بجردان قد جاء فاستلّ عينه ، فأكلها فقلت : لا إله الا الله ،

هي العين التي فتحها في ساعة عثرتُ واندقَ سيفي له ، والآن جردان سُلط عليه فأكله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ذكر في عيون المعارف : أن وفاته كانت بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وشهوراً ، وقيل سبعاً وثلاثين سنة ، وكانت ولايته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام . اهـ .

قال ابن كثير : كان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، ومات وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته خمسا سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقيل سبعة أيام واثنى عشرة ساعة . وفي تاريخ العسقلاني خلافته خمس سنين وسبعة أشهر ، وتوفي يوم الثلاثاء بسر من رأى . وفي تاريخ النويري عمره اثنان وثلاثون سنة .

وفي تاريخ ابن عبد الملك الهمداني توفي بسامرا في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان أبيض اللون مشرباً بحمرة جميلاً ربة ، حسن الجسم ، قائم العين اليسرى فيه نكتة بياض . وفي تاريخ العسقلاني /305/ أبيض الى صفرة في عينه اليمنى نكتة بياض ، وكذا قال في عيون المعارف ، أن في عينه اليمنى نكتة بياض . وكان يلقب بالشهم ، ويكنى بأبي جعفر وأبي القاسم أيضاً ، كناه عمه المأمون بهما . وكان يذهب مذهب المأمون ، وشغل نفسه بمحنة الناس في القول بخلق القرآن ، ويعاقب من امتنع من ذلك . اهـ .

قال الخطيب : وقد استولى عليه ابن أبي دؤاد القاضي وحمله على التشديد في محنة الناس في ذلك ، ويقال إنه رجع عن ذلك قبل موته . أخبرني عبيد الله بن أبي الفتح بسنده الى المهدي بالله أنه قال : إن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن .

وفي تاريخ النويري أن الواثق كان قد بالغ في الاكرام للعلوين والاحسان اليهم ، وفرق في الحرمين الشريفين أموالاً عظيمة حتى أنه لم يبق بالحرمين أيام

الوائق سائل . ولمّا بلغ أهل المدينة موته كانت نساؤهم تخرج الى البقيع في كل ليلة وتندبنه لفرط إحسانه اليهم . قال يحيى بن أكتم : ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس الى آل أبي طالب مثل ما أحسن اليهم الوائق ، ومات وما فيهم فقير .

وذكر الهمداني في تاريخه أنّه كان مهيباً صابراً ، فيه شهامة وجبروت وكان شجاعاً عالماً ، جيّد الشعر .

وفي تاريخ النويري ، من جيّد شعره قوله :

هي المقادير تجري في أعنتها فأصبر فليس لها صبرٌ على حال
ومن شعره أيضاً : /305ب/

تنحّ عن القبيح ولا تُردّه ومن أوليته حُسناً فزده
ستكفي من عدوك كل كيد إذا كان العدو لم يكده

وكان الوائق نقش على خاتمه صورة أسدين بينهما صورة رجل . قيل وكان له خاتم آخر نقشه : «المملك لله تعالى» ، وقيل نقشه : «الوائق بالله» وقيل : «ثقة الوائق» . ولمّا مات تولّى غسله أحمد بن أبي دواد القاضي وصلى عليه ودفنه بقصر الهادي . كذا ذكر ابن كثير .

وقال المؤيد : دفن بالهاروني ، وقيل صلى عليه أخوه المتوكل ، وهو الذي خلفه من بعده . وأولاد الوائق محمد المهتدي بالله ، الذي استخلف وبينه وبين أبيه أربعة من الخلفاء ، وعبد الله ، وأحمد ، وإبراهيم ، ومحمد ، وعائشة . ولم يتولّ أحد منهم بعده ، وإنما ولي أخوه جعفر المتوكل على الله . انتهى :

[الباب]

هو جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي ، بويع له بعد أخيه الوائق بالله ، وكانت بيعته وقت زوال الشمس من

يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت الأتراك قد عزموا على تولية محمد بن الواثق ، فاستصغروه وترك فعدلوا الى جعفر المتوكل ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة .

وكان الذي ألبسه /306/ خِلعة الخلافة أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، وهو أول من سلّم عليه بالخلافة ، وبايعه الخاصة ثم العامة . وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمعتصم الى صبيحة يوم الجمعة ، فقال ابن أبي دؤاد القاضي : قد رأيت أن يلقب أمير المؤمنين بالمتوكل على الله . فاتفقوا على ذلك ، وتلقب به وكتب به الى الآفاق ، وأمر بإعطاء الشاكريّة من الجند ثمانية شهور وللمغاربة أربعة شهور ولغيرهم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به .

وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه الواثق كأن شيئاً تدلّى عليه من السماء مكتوبٌ فيه : «جعفر المتوكل على الله» ، فعبّرها فقيلاً له : هي الخلافة ! فبلغ ذلك أخاه الواثق ، فسجنه حيناً ثم أرسله . اهـ .

قال المؤيد : ولما مات الواثق عزم كبار الدولة على البيعة لمحمد بن الواثق ، فألبسوه قلنسوة ودرّاعة سوداء ، وهو غلام أمره قصير ، فلم يروا ذلك مصلحة ، فتناظروا فيمن يولونه وذكروا عدّة من بني العباس ، ثم أحضروا المتوكل ، فقام أحمد بن أبي دؤاد فألبسه الطويلة وعمّمه وقبله بين عينيه وقال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! فبويع له بالخلافة في يوم مات فيه الواثق لست بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة . انتهى .

قيل لما استخلف المتوكل على الله نظر في اصلاح العامة والتفت الى المظالم والمسجونين والجبر لقلوبهم . وكان /306ب/ في الجسر جماعة قد شدّد عليهم ابن الزيات الوزير .

قال في كتاب الفرج بعد الشدة ، قال أحمد المدبّر : لما أمر محمد بن عبد الملك الزيات بحبسي أدخلت محبساً فيه أحمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وهما يُطالبان ، فجعلت في بيت ثالث ، وكنا نتحدّث ونأكل جميعاً وربما أدخل البنا

النبيذ فنشرب . وكان أحمد بن اسرائيل شديد الجبن ، فكان يُنكر علينا ويمنعنا أن نحدث بشيء أو نرجف لأنفسنا . فجاءني يوماً سليمان بن وهب فقال : رأيت البارجة في نومي كأنّ قائلاً يقول لي يموت الواصل الى ثلاثين ليلة . فقم بنا الى جعفر حتى نحدثه . فقلت : والله لئن سمع جعفر بهذا ليشقنّ ثوبه ويسدنّ أذنه خوفاً . فقال لي : قم على كلّ حال ! فقمنا فدخلنا اليه ، فأخبره سليمان بالخبر ، فقال : يا هذا أنت أجسر الناس ، وأشدّهم تجنّباً على نفسك وعلينا ، وإنما تُدبّر على أن يشيع فنقتل ! فقال له : اكتب هذه الرؤيا عندك لئلا تمتحن صدقنا . فنفر وقال : أنا لا أكتب مثل هذا ! فكتبت أنا في رقعة صغيرة اليوم . فلما جاز يوم الثلاثين دخل أحمد بن اسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن هذا اليوم الثلاثون ! فأخرجت الرقعة ، فإذا هو قد حفظ اليوم .

ومضى يومنا الى آخره ، فلما كان الليل لم أشعر إلاّ بالباب يدقّ دقّاً شديداً ويصاح بنا : البشري قد مات الواصل بالله ، فأخرجوا ! فقال أحمد بن اسرائيل : قوموا بنا ، فقد حقّق الله عز وجلّ الرؤيا وأتى بالفرج . فقال سليمان بن وهب : كيف /307/ نمشي مع بعد منازلنا ، ولكنّ نوجّه بمن يأتينا بما نركب ، فأعْتَظ أحمد بن اسرائيل وقال : نعم ، نقعد حتى يجلس خليفة آخر ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال ، فيأمر بالتوقيع بالتوثيق منا الى أن ينظر في أمرنا ؛ قم عافاك الله حتى نخرج ! فخرج وخرجنا على إثره ، فقبل أن نخرج من الماروني رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه : سأل أمير المؤمنين عمّن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب ، فقال أمير المؤمنين جعفر يكونون فيه الى أن ننظر في أمرهم . فجددنا في المشي وقصّدتنا غير منازلنا ، فاستترنا فيها .

وبحثنا عن الاخبار فبلغنا أن الخليفة جعفر المتوكل ، وأنه أقرّ محمد بن عبد الملك الزيات على وزارته ، فكتبت اليه رقعة عن جماعة نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذنه فيما نعمل ، فلما وصلت اليه وقّع على ظهرها : «ولم استخفيتم ، وليس منكم الا من عنايتي بتخصيصه ورأيي فيه جميل ؛ أمّا أبو

أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور ابتاخ واستوهبه فوهبته له وأمرت بإحضاره فليحضر ، ليخلع عليه ، وأمّا أبو جعفر ، فإنه طوّل بما لا يلزمه ، وقد وضحت حجته في إطلاقه ، فليصير اليّ ، وأمّا أبو الحسن فإنه قيّد بباطل . فأظهروا جميعاً واثقين بما عندي من حظائتكم ورعاية حرّماتكم . فصرنا اليه جميعاً وزال عنا ما كنّا فيه وخلع على سليمان بن وهب خاصة وظهر حلم المتوكل /307ب/ وحسن تدبيره واستبشر الناس به . انتهى .

قال ابن أبي طاهر حدثني أبو السمط مروان ، قال لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دواد القاضي بقصيدة مدحته فيها ، وذكرت ابن الزيات بقولي :

لقد حفر الزيات بالغّي حُفرة فالقاه فيها الله بالكفر والغدر

فلما قرأها ذكرني عند المتوكل ، فأمر بإحضاري اليه ، فلما قدمت عليه أنشدته :

رحل الشباب فليت له لم ير حل والشيب حل فليت له لم يحل

فلما بلغت إلى قولي :

كانت خلافة جعفر كنيسة جاءت بلا طلب ولا بتخيّل
وهب الاله له الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل

فأمر لي بخمسين ألف درهم واتصلت به . انتهى .

وكان المتوكل لما استخلف قبض على الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات بعد شهرين من خلافته . فإنه استخلف في حجة ، وقبض عليه في صفر . فحبسه وأخذ جميع أمواله وعذبه بالسهر ، ثم وضعه في تنور خشب ، فيه مسامير حديد أطرافها إلى داخل التنور يمتنع من يكون فيه من الحركة ، ولا يقدر على الجلوس ، فبقي كذلك أياماً ومات في ربيع الأول من سنته . وكان

ابن الزيات هو الذي عمل هذا التنوير وعذب فيه ابن السباط المصري ، فأذاقه الله إياه . كذا ذكر المؤيد .

وكان ابن الزيات ذا قساوة /308/ وكزازة وشدة بأس لا خير فيه ، فلا يرعى ذماماً ولا يوجب حرمة لأحد ولا يصطنع أحداً بمعروف ، فتشفت الناس في القبض عليه وبلغوا ما أمْلوه فيه ، لَمَّا كان فيه من الجبر والصلابة مع ما هو فيه من بلوغ المرتبة وكال التصرف ، فانتقم الله منه لعباده وفرق شمله وبدد جمعه .

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة قال : حدث جماعة من الثقات ، قالوا : كنّا في مجلس عبيد الله بن أبي أيوب سليمان بن وهب وهو وزير ، فتقدّم اليه عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات يشتكي من أحمد بن إسرائيل بسبب ضيعة . فنظر في أمره وقال : أنت عمر بن محمد ؟ قال : نعم . قال : وأين كنت ؟ فقصّ عليه خبره . فقال له : أنت ابن السكران ! قال : نعم . فلمّا كان عشيةً يومنا ذلك وقد خلا المجلس قال عبيد الله : سبحان الله ، ما أعجب ما كنت فيه اليوم !

فلم نسأله عن ذلك إجلالاً له ، فقال : أخبركم ، قال والدي أبو أيوب : كنت في أيام الوائق في ذلك البلاء والضرب والقيّد فحُمِلت الى ابن الزيات لينظرني ونُرِدّ الى محبسي ، فوضعت بين يديه على تلك الحال وجعل ينظرني والحسن بن وهب أخي كاتبه حينئذ ، وهو بين يديه ، فربّما يتكلّم بالكلمة فيوقعها عليه وربما أمسك ومحمد بن عبد الملك الزيات دائب في الغلظة عليّ والتشفيّ مني ، إذ مرّ بعضُ خدمه ومعه صبيّ يحمله ، وقد ألبس لباس مثله من أولاد الملوك ، فلمّا رآه صاح بالمخادم : هاته ! فقرّبه /308ب/ منه وقبّله وترشفه وشمّه وضمّه اليه وجعل يلاعبه . فحانت منه التفاتة اليّ فإذا دمعتي قد سبقت وأنا أمسح عيني بالجبّة الصوف التي كانت عليّ ، فقال لي : ما الذي أبكاك ؟ قلت : خيرٌ ، أصلحك الله ! الى أن قال : لا تبرح أو تخبرني بالأمر

على حقه !

فلما رأى ذلك أخى الحسن بن وهب قال له : أنا أصدقك أيها الوزير ،
لما رأى عمر - أمتك الله به ، وجعلنا جميعاً فداه - تذكرُ نبياً له مثل سنّه !
فقال : وما اسمه ؟ فقال : عبيد الله . وكنا ولداً في شهر واحد . فالتفت إليّ
محمد بن الزيات كالهaze ، ثم قال لي : أترأه يقدر أن يكون ابنك هذا وزيراً ؟
قال أبو علي الحسن بن وهب ، فلما أمر بحمل أخى أبي أيوب إلى محبسه
التفت إليّ ابن الزيات وقال : لو لا أن هذا الأمر من أمور السلطان التي لا سبيل
إلى التقصير فيها لاستوهبتك أخاك ، ولو أعانني على نفسه لخلصته . فقال أبو
علي : والله ما رأيته منذ حبس ، فإن رأى الوزير أن يأمر بالعدول به إلى بعض
المجالس والإذن لي في القيام إليه والخلوة به لأشير عليه بامثال أمرك ؟ قال ،
فأمر بذلك .

فقمّت إلى أبي أيوب وتعانقنا وبكىنا فقال لي : قبل كلّ شيء ، أرايت
أعجب من بغيه ومن قوله إليّ بالتكابر والهزاء «أترأه يقدر أن يكون ابنك هذا
وزيراً» وكيف أمين الآ يكون هذا وألا يجلس ابني وزيراً ، والله إني لأرجو أن
يبلغه الله تعالى الوزارة ويتقدّم إليه عمر هذا متظلماً ! فحقّق الله /309/ رجاءه
وجلس وزيراً وكان يومنا هذا ، وتقدّم إليّ عمر ابنه متظلماً ، وكان كما قال
أبي ، وما كنت رأيت عمر قبل ذلك ولا عرفت له خبراً .

ووقع هذا الخبر من وجه آخر ، وهو أن القاسم عبيد الله بن أبي أيوب
سليمان بن وهب قال لأصحابه بعدما وقف عليه عمر بن محمد بن عبد الملك
الزيات : أحدثكم بحديث ، فإنه ظريف . قالوا : نعم . قال : حدثني والدي
أبو أيوب قال : كنت في يد محمد بن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب ،
وكان يحضرنى في كلّ يوم بغير سبب ولا مطالبة ليكيّدني بحالتي وأنا في قيودي
وعليّ جبة صوف ، وكان أخى الحسن يكتب بين يديه ، ولم يكن يتهيأ له في
أمرى شيء إلا أنه إذا رآني مقيداً استقبلني وإذا رجعت إلى موضعي شيعني . إذ

أقبل يوماً من الأيام خادماً لمحمد بن الزيات ، ومعه ابن له صغير ، فوثب كل من في المجلس الى الصبي ، يقبلونه ويدعون له سيواي ، فإني كنت مشغولاً بنفسي ، فلم أتحرك فأخذ الزيات الصبي وقبّله وضمّه اليه وقال : يا سليمان ، لم لا تفعل بهذا الصبي ما فعله به كل من في مجلسنا ؟ قلت : شغلني عن ذلك ما أنا فيه . قال : لا ، ولكنك لم تطلق ذلك عداوة لايه وله وكأني بك وقد ذكرت ابنك عبيد الله وأملت فيه الآمال ، والله لا رأيت فيه شيئاً مما تؤمله ! وأسرف بعد ذلك في الاسماع ، فعلمت أنه قد بنى ووثقت من الله بجميل عاداته ، وأنه سيبلغني ما أومله فيه عناداً لبغيه . قال والدي أبو أيوب : ولم يمض /309ب/ الا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات ، وقلدني مناظرته وإحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ومعه الصبي المذكور يكي فقلت : ما بال هذا الصبي يكي ؟ فقال الخادم : قد منع من كل ماله وأدخل فيما أحصى . فقلت : لا بأس عليه .

ودخلت فسلمت اليه كلما كان باسمه . ثم قال لي : يا بني ، فينبغي لك إن تهيات لك حال ورأيت الصبي ، وهو عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، أن تحسن اليه وتقابل نعم الله عز وجل فيه وفيك بما يجب لها . وها أنا رأيت في هذا الوقت وتذكرت ما قاله والدي أبو أيوب ، وامثلت ما أشار به . وكان عبيد الله لماً نظر في شكاية عمر المذكور وقع له بجائزة مبدولة وصلة مبرورة . وروي أن عبيد الله أمر بإحضار عمر المذكور وخلع عليه وقلده ديوان البريد والمخرايط ، وحسنت حاله بإنعامه عليه . ولم يفعل به ما فعل ابن الزيات بوالده أبي أيوب . انتهى

وحكى في كتاب الفرج بعد الشدة أيضا أن عبيد الله بن سليمان بن وهب قال : قال أبي : أصبحت يوماً وأنا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق ، وقد أيست من الفرج واشتدت محتتي وغمي فوردت علي رقعة أنحي الحسن بن وهب فيها :

خطبَ أبا أيوب جلَّ محلهُ فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
 إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها
 فأصبر فإن الله يُعقب راحة ولربما أن تنجلي ولعلها
 وعسى تكون قريباً حيث لا تُرجى ويمحو عن جديك ذلها
 قال فتفاءلت وقويت نفسي ، فكتبت اليه :

صبرتني ووعظتني فأنا لها وستنجلي بل لا أقول لعلها
 ويحلها من كان صاحب عقدها ثقة به إذ كان يملك حلها
 قال ، فلم أصل العتمة ، ذلك اليوم حتى أطلقت . فصليتها في داري .
 وقيل إن هذه الرقعة وقعت في يد الواثق فأمر بإطلاق سليمان بن وهب
 وقال : والله لا تركت من يرجو الفرج يموت في حبسي ولا سيما من خدمني !
 فأطلقه وابن الزيات كارهٌ لذلك . اهـ .
 وكان ابن الزيات المذكور يكره فعل البر والاحسان من السلطان لعبيده
 ورعاياه ولا سيما إذا كان على يديه .

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة ، أن أحمد بن إسرائيل قال : كنت كاتباً
 لمحمد بن عبد الملك الزيات ، فقدم عليه رجل من ولد عمر ابن هبيرة يقال له
 ابراهيم بن عبد الله الهبيري . فلأزمه يلتمس منه تصرفاً ؛ وكان ابن الزيات قليل
 الخير لا يرعى ذماماً ولا يوجب حُرمة ولا يحب أن يصطنع أحداً ، فأضجر
 الهبيري من طول تردده إليه ، فدعاني ابن الزيات يوماً وهو راكب فقال : قد
 تبرمت بملازمة هذا الرجل ، فقل له لست أوليه ولا له عندي تصرف ومُره
 بالانصراف عني !

فقلت له : أنا والله استحي ان ألقى مولى لك بمثل هذا عنك . فقال : لا
 بدّ من أن تفعل هذا . قلت : نعم . فلما سرت إلى منزلي وجهت إلى الهبيري
 فجاءني فقلت /310ب/ له : ما كنت تؤمل أن تناله بصحبة أبي جعفر ؟ قال :

كذا . قلت له : خذه من مالي ، ولا تقرب بابي ! فقال متعجباً : من مالك ؟ قلت : نعم . قال : أنا أوْمَلُ أن أكسب معه أكثر مما تناله يدك . فقلت له : إنه حملني إليك رسالة استحييت من آدائها فعدلت بك عن ذلك إلى هذا . قال : فهات ما حملك به ! فأعدت عليه ما قاله ابن الزيات ، فقال : سمعتها منك ، فهل أنت مؤدٌ عني إليه ما أقوله ؟ قلت : نعم . قال : قل له قد كنت أتيتك في صبيحة كل يوم ، ووالله لأتيتك منذ الآن في كل غدوة وعشية ، فإن قضى الله جلّت عظمته لي على يدك رزقاً لأخذته على رغمك !

فرجعت الى ابن الزيات فأعلمته قوله ، فقال : دعه ، فوالله لا يرى خيراً مني أبداً . ولازمه الرجل غدوة وعشية ، فكان إذا رآه التفت وقال : قد جاء البغيض ! ومكث كذلك مدة الى أن ركب ابن الزيات يوماً الى الخليفة الواثق وهو بالهاروني وكان يوم دجن ، وكنت معه فدخل الى الخليفة . وجلست انتظر خروجه ، فخرج وهو يكثر التعجب فسألته فقال : إنك تعرف مذهبي وكان يرى رأي الخوارج والمعتزلة ويقول : إن الأرزاق بالاكْتِسَاب . فقلت له : وما ذلك ؟ قال دخلت الى الخليفة فقال : عليّ بآباء أحدٍ نصطنعه ! فلم يخطر ببالي أحد غير الهبيري ، فأمسك . فقال : ويحك ، أكلمك فلا تجيبني ! وأعجلني عن الفكر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، رجل من أعدائك وأعداء دولتك وأولاد أعدائك ، /311/ سلفه من صنائع بني أمية ، من ولد عمرو بن هبيرة . قال : نصطنعه ليشكر . فقلت له : إنه لا معنى فيه . قال : لِمَ تدفعني عنه ، إعطه الساعة ثلاثين ألف درهم . ثم قال : من أهل الدرايح هو أم من أهل الاقبية ؟ قلت : صاحب قباء . قال قلّذه الساعة عملاً يصلح له ، وأثبت له من ولده وغلمان وأهله مائة رجل .

فلما فرغ ابن الزيات من كلامه قال لي : قل للهبيري ما أمرتك وادفع له ما أمر به الخليفة وسله ألا يشكرني ، فقد جهدت في دفع الرزق عنه ، فلم يندفع ! قال أحمد بن إسرائيل : فلما خرجت الى الشارع إذ أنا بالهبيري ينتظر

خروج ابن الزيات ، فأخبرته بما وقع وما صار اليه . وبقي ينتظر ابن الزيات الى أن خرج فترجل له وتشكر ، فقال له : ألم أقل لأحمد بن اسرائيل يقول لك لا تشكرني ! فقال الهبيري : لا بد من ذلك ، لأن الله تعالى جدّه أجرى رزقي على يديك . انتهى . وهذا مما قرّر الله تعالى به على خلاف ما يريد الفاعل لفعله .

لطيفة تدرج في سلك هذا النظام ويوشح بها هذا الكلام .

وهي ما حكى الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ، أن الوزير أبو عمر أحمد بن سعد بن حزم كان جالساً بين يدي مخدومه أبي عامر محمد المنصور بن أبي عامر في بعض مجالسه العامة فرفعت اليه رقعة استعطاف لأمّ رجل مسجون كان المنصور اعتقله جنّاً عليه ، لجرم استعظمه منه . فلما قرأ المنصور الرقعة اشتدّ غضبه وقال : ذكرّني / 311ب / والله به ! وأخذ القلم وأراد أن يكتب : «يصلب» فكتب : «يطلق» . ورمى الورقة الى وزيره المذكور ، فأخذ الوزير القلم وتناول ورقة ، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع الى صاحب الشرطة . فقال له المنصور ما هذا الذي تكتب ؟ قال : بإطلاق فلان . فخرج وقال : من أمر بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فلما رآه قال : وهمت ، والله ليصلبن ! ثم خط على التوقيع الاول وأراد أن يكتب : «يصلب» فكتب : «يطلق» . وأخذ الوزير الورقة وجعل يكتب الى الوالي بالاطلاق ، فنظر اليه المنصور وغضب أشدّ من الاولى وقال : من أمر بهذا ؟ فناوله التوقيع الثاني ، فرأى خطه فسكت . وخط عليه ووقع ثالثاً فأراد أن يكتب : «يصلب» فكتب : «يطلق» . وأخذ الوزير التوقيع وشرع في الكتابة الى الوالي ، فرآه المنصور ، فأنكر ذلك أكثر من المرتين الاولتين ، فأراه الوزير خطه بالاطلاق ، فلما رأى خطه بالاطلاق عجب من ذلك وقال : نعم ، يطلق على رغمي ، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه . انتهى

ذكر أن محمد بن البعيث بن المجلس صاحب أذربيجان خرج عن طاعة

المتوكل ، وأظهر أنه مات ، فالتفت عليه الجموع من أهل تلك الناحية ولجأ إلى مدينة مزبد فحصنها وجاءته البعوث من كل جانب ، فقوي أمره واشتدت شوكته ، فوجه إليه المتوكل جيشاً عرمرم مع بُغا السراي . فسار بُغا بجيشه العظيم في أبهة ضخمة حتى بلغ /312/ ابن البعيث وتحقق به وحاصره محاصرة عظيمة ، ونصب على بلده المجانيق وقاتله مقاتلة هائلة ، فبصر محمد بن البعيث هو وأصحابه ولا زال به بُغا حتى هزمه وأسرته واستباح أمواله وحرّمه وقتل خلقاً من رؤوس أصحابه وآسر سائرهم .

وكانت في تلك السنة باذريجان زلزلة عظيمة أقامت تعاودهم سبعة أيام حتى دكت المدينة ، وهلك عالم عظيم تحت الردم ، وشرعوا في مدينة غيرها . وانتصر بُغا المذكور على ابن البعيث ، وأخذ في أسره وكرّ راجعاً إلى المتوكل . فقدم إلى سامراً ومحمد بن البعيث معه أسيراً هو وأخوه صفر وخالد ونائبه العلاء ومعه من رؤوس أصحابه نحو من مائة وثمانين إنساناً ، فأدخلوا على الجمال ليراهم الناس .

ومثل محمد بن البعيث بين يدي المتوكل ، فأمر المتوكل بضرب عنقه وأحضر السيف والنطع ، ثم قال له : ويلك يا ابن البعيث ، ما دعاك إلى ما صنعت ؟! فقال : الشقوة ، يا أمير المؤمنين ، وأنت الحبل الممدود بين الله تعالى وخلقه ، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك ، وهو العفو ! ثم اندفع يقول بديهة :

أبى الناس إلا أنك قاتلي . . . إمام الهدى والصّفح بالمرء أجملُ

وهل أنا إلا حيلة من خطية وعفوك من نور النبوة يجملُ

وإنك خير السابقين إلى العلا ولا شك أن خير الفعالين يفعلُ /312ب/

فقال المتوكل : إنّ معه لأدباً ! وعفى عنه . ويقال بل تشفع فيه ابنه المعتز فشفعه فيه . ويقال بل أودع في السجن في قيود ثقيلة ، ولم يزل حتى هرب بعد

ذلك . والاول أصبح .

كان بُغا من أكبر القواد وأصحاب السيف والنجدة يعدّه المتوكل للمهمات .

وكان وجهه أيضًا الى اسحاق بن اسماعيل صاحب مدينة تفليس حين عصى . فسار اليه بغا وقاتله ، فانتصر عليه بعد المحاصرة ورمي المجانيق وآسر اسحاق المذكور . فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بالقاء النار في النفط ورمى بذلك المدينة . وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر ، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحوًا من خمسين نفرًا ، وطفئت النار بعد يومين ، ودخل الجند المدينة ، فآسروا من بقي من أهلها ، واستلبوهم وخلعوا ثياب الموتى ، وغنموا غنمًا عظيمًا .

ثم سار بغا الى مدن أخرى ، ممن كان أهلها على محمد بن يوسف نائب أرمينية ليأخذ بثأره ويعاقب من تجرأ عليه .

وذلك أن ابن يوسف المذكور كان قبل هذا قبض على بطريق كبير من أهل تلك الناحية وبعث به الى باب الخليفة المتوكل . فاتفق بعد بعثه إياه أن سقط على تلك البلاد ثلج عظيم فأغتم الروم الفرصة وتحزّب أهل ذلك البطريق وحاصروا محمد بن يوسف المذكور ، فخرج لقتالهم فقتلوه وطائفة من المسلمين ممن كان معه ، وهلك خلق كثير من شدة الثلج والبرد . فبلغ المتوكل ما وقع من ذلك الامر الفضيع ، فوجه الى تلك الناحية بغا في جيش كثيف ، فسار بغا في جماعته يقتل ويسبي الى أن قتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر ابن يوسف المذكور نحوًا من ثلاثين ألفًا ، وآسر منهم نحوًا من عشرين ألفًا ، ثم سار بغا الى بلاد الروم ودخل كور السرخان ، وسلك مدناً كثيرة ومهد تلك الممالك ، وعاد الى المتوكل سالمًا غانمًا .

لطيفة

قيل كان ممن خرج على المتوكل رجل ادعى النبوة ، وادعى أنه نوح عليه السلام ، وتبعه جماعة وشعب على العامة ، فأخذ وجيء به الى المتوكل فأمر بصلبه ، فصُلب على خشبة ، وكان رجل من أصحابه تحته واقف ، فقال : ما زلت ترعّم أنك نوح حتى صُلب على صاري السفينة ! فضحك الناس منه .

وخرج على المتوكل آخر يقال له محمود بن فرج النيسابوري ، وادعى أنه نبي ، وأنه ذو القرنين ، وتبعه سبعة وعشرون رجلا ، وقد نظم لهم كلاما في مصحف له ، وزعم أن جبريل عليه السلام جاءه به من الله تعالى فجاءوا به وبأصحابه الى المتوكل ، فأمر المتوكل أصحابه بصفعه ، فصفعه كل واحد منهم عشر صفعات . وضرب حتى مات من الضرب وحُبست أصحابه . انتهى كله من المسودة .

قيل إن المتوكل كان ليلة على شرايه ومعه ايتاخ حاجبه ، وكان ايتاخ من موالى أبيه المعتصم ، وهو خزري ، كان طبّاخا لسلام الابرش ، مغني الرشيد فأشتراه المعتصم في سنة 313 ب/ تسع وتسعين ومائة ، فرفع منزلته وحظي عنده ثم عند الواثق بعده ، وزاده الواثق بأن ضمّ اليه أعمالا كبيرة . وكذلك حظي عند المتوكل أيضا . وكانت له منزلة ومكانة ، وكان ذا رجلة وشهامة ونهضة . فلما جالس المتوكل على الشراب وعلا بينهم وظهرت شيمة السكر ، عربد المتوكل على ايتاخ فوقع له هضم بين الحاضرين ، فهم ايتاخ بقتل المتوكل ، ولم يتمكن منه ذلك . فلما كان الصباح لطفه المتوكل واعتذر اليه وقال له : أنت أبي ورئيسي وأنت رئيس دولتي ، فلا تأخذك حالات السكر .

ثم دسّ المتوكل الى ايتاخ من يشير عليه بالحج . فاستأذن المتوكل في الحج ولم يعلم أنه دسيسة منه . فأذن له في ذلك وخرج مكرّما في سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وولّى وصيف الخادم الحجابة عوضا عن ايتاخ . وبالف المتوكل في

إكرام أيتاخ في سفره ذلك ، وأمر كل بلدة يحلّ بها تخرج القواد في خدمته الى طريق الحج . وحصلت له همة وضخامة أكثر مما هو فيه ، مع أنه من الامراء الكبار ، ووالي مكة والمدينة ، فحج في أبهة عظيمة . ورجع يريد سامراء حيث هو الخليفة المتوكل . وكان المتوكل إذاك من أغلظ الناس عليه إلا أنه مظهر الإكرام له ولما بلغه مقدمه ودخوله سامراء وجه لملاقاته هدايا تُشعر بتعظيمه ، وكتب الى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب نائب بغداد أن يستدعي أيتاخ الى بغداد وتلقاه وجوه /314/ بني هاشم تعظيماً وإكراماً لأيتاخ .

ف فعل اسحاق ذلك ، واستدعى أيتاخ . وتلقته وجوه بني هاشم وأعيان بغداد ، ودخل بغداد في هيئة حسنة ومَحفل عظيم ؛ ولما ان استقرّ قبض عليه اسحاق بن ابراهيم ، عن أمر الخليفة المتوكل سرّاً . وقبض أيضاً على ابنه مظفر ومنصور . واستراح باطن المتوكل ، وأودع أيتاخ وابناه السجن ، الى أن هلك في سجنه ، وبقي ابنه فيه الى خلافة المنتصر ، فأطلقهما .

ولما قبض على أيتاخ قبض أيضاً على كاتبه سليمان بن وهب وعلى قدامة بن زياد النصراني ، فأسلم تحت العقوبة . وكان هلاك أيتاخ بالعطش ، وذلك أنه أكل في سجنه أكلاً كثيراً بعد جوع شديد ، ثم استسقى ماء فلم يسق ، فمات عطشاً في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين .

وما أحسن ما قاله ابن المعتز في هذا المعنى من حكمه البليغة : أجهل الناس من كان للخِوان مُدلاً وعلى السلطان مدلاً . من سعادة جَدّك وقوفك عند حدّك . حد العفاف الرّضى بالكفاف . من أطاع غيظه أضاع أدبه . الفهم شعاع العقل ، عادات السادات سادات العادات . المنية تضحك من الأمنية . ما لخرق الرقيع ترقيع . من أصلح فاسده أرغم حاسده . الرشوة رشاء الحاجات . فهذه جملة من الحكم يعلم بها ما كان فيه أيتاخ وما صار اليه بعد المناخ .

وعبد الله بن المعتز هذا ، هو حفيد المتوكل الخليفة المذكور . وكان عبد

الله بن المعتز استخلف يوماً وليلة ، كما قدّمنا ذلك على /314ب/ سبيل الاستطراد .

وكان ابن المعتز أديباً بليغاً ، شاعراً مطبوعاً ، مقتدرًا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيّد القريحة ، حسن الابداع للمعاني ، مخالطاً للعلماء والادباء ، معدوداً من جملتهم . وله تصانيف كثيرة ، منها كتاب الزهر والرياض ، وكتاب البديع ، وكتاب مكاتبات الاخوان بالشعر ، وكتاب الجوارح والصيد ، وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب طبقات الشعراء ، وكتاب الجامع في الغناء ، وكتاب أرجوزة في ذم الصّبح .

ومن كلامه : البلاغة البلوغ الى المعنى ولم [يطل] سفر الكلام . وكان صاحب الطريقة الأنيفة في التجنيس والانيس البديع التأسيس . وله أشعار حسنة وتشبيهات بديعة ، فمن ذلك قوله :

| | |
|------------------------------|------------------------------------|
| سقى المطيرة ذات الظلّ والشجر | وذير عبدون هطّال من المطر |
| فطالما أنبهتني للصّبح بها | في غرة الفجر والعصفور لم يطر |
| أصوات رهبان دير في صلاتهم | سود المدارع نغارين في السّحر |
| مُزترين على الاوساط قد جعلوا | على الرؤوس أكاليلا من الشّعير |
| كم فيهم من مليح الوجه مكتحل | بالسّحر يكسر جفنيه على حور |
| لا حظته بالهوى حتى استقاد له | طوعاً واسلفني الميعاد بالنظر /315/ |
| وجاءني في قميص الليل مستتراً | يستعجل الخطو من خوف ومن حذر |
| فقت أفرش خدي في الطريق له | ذلا وأسحب أذيالي على الاثر |
| ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا | مثل القلامة قد قدّت من الظفر |
| وكان ما كان مما لست أذكره | فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر |

وله في الخمرة المطبوخة ، وهو معنى بديع ، وفيه دلالة على أنه كان حنفي المذهب :

خليلي قد طاب الشراب المورد
فهاثا عقاراً في قميص زجاجة
يصوغ عليها الماء شباك فضة
وقتني من نار الجحيم بنفسها
ومن ظريف شعره أيضاً :

ومفرط يسهى الى الندماء
والبدري في أفق السماء كديرهم
بعقبة في درة بيضاء
ملقى على ياقوتة زرقاء

وهي طويلة وليست في ديوانه ، إلا أن الرواة أطبقوا /315ب/ على أنها
له ، ومن نادر شعره أيضاً :

إن هز أقلامه يوماً ليُعملها
وإن أقر على رق أنامله
أنساك كل كمي هز عامله
أقر بالرق كتب الانام له

وله أيضاً :

إذا تحدثت عن قوم لتونسهم
فلا تعدّ لحديث إن طبعهم
بما تحدثت من ماض ومن آت
مؤكل بمعاداة المعادات
وله أيضاً :

تحمل أخاك على ما به
وأنى له خلق واحد
فما في استقامته مطمع
وفيه طبائعه الأربع
وله أيضاً :

وقد يلبس المرء خزر الثياب
كمن يكتسي خده حُمرة
ومن دونهم حاله مضنية
وعلتها ورَم في الرية
ولما اعتقله المقتدر وأراد قتله خنقاً أنشد قول أبي نواس يتمثل به :

ما رعى الدهر آل برمك لما
 إن دهرًا لم يرع عهدًا ليحيى
 أن رمى ملكهم بأمر فضيع
 غير راع ذمام آل الربيع
 ثم أنشد لنفسه هذه الايات :

تعرّأ أبا العباس عن نفسك
 حوادث أيام تدور صروفها
 وأنت هالكٌ كان أو هو كائن
 لمن مساو مرة ومحاسن
 وفي الحى باليت الذي غيب الثرى
 فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

وكان عبد الله المذكور يكنى بأبي العباس واسمه عبد الله بن المعتز بن المتوكل
 المحدث عنه هنا . انتهى .

ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة (51 - 52 ، والقراءة فيه مشوّهة للمعنى
 في كثير من المواضع) أن أبا أيوب سليمان بن وهب ، قال : كنت كاتب أيتاخ ،
 المذكور ، وساعة قبض عليه ببغداد قبض المتوكل عليّ بسرّ من رأى وسلّمني
 إلى عبيد الله بن يحيى . وكتب المتوكل الى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب أن
 يقدم من بغداد الى سرّ من رأى ليتقوى به على الاتراك لكثرة الطاهرية بخراسان
 وكثرة شوكتهم . فدخل اسحاق بغداد ، ومعه بضعة عشرة ألفاً . ولما استقرّ
 اسحاق بسرّ من رأى أمر المتوكل بتسليمي اليه ، وقال له : هذا عدوي ، فصلّ
 عظامه ، فإنه كان يلقاني في أيام المعتصم ، فلا يبدؤني بالسّلام ، وأبتدره لحاجتي
 اليه فيردّ اليّ كما يرد المولى على عبده ؛ وكل ما دبّره ايتاخ فعن رأيه !

فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل ، وألبسني جبة صوف وحبسني في
 كنيف وأغلق عليّ خمسة أبواب ؛ فكنت لا أعرف الليل من النهار . فأقمت
 كذلك نحو عشرين يوماً لا يفتح عني الباب إلا دفعة كل يوم وليلة ، يُدفع اليّ
 فيها خبز وملح وماء حار . فكنت آنس بالخنافس وأتمنى الموت لشدة ما أنا
 فيه . فعرض لي ليلة أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الى الله تعالى بالفرج

فما استمعت الدّعاء حتى سمعت أصوات الأقفال تُفتح ، فلم أشك في أنه القتل . ففتحت الابواب وجيء بالشمع وحملي الفراشون لثقل حديدي ، فقلت /316ب/ لحاجبه : سألتك بالله أصدقني عن أمري ؟ فقال : ما أكل الأمير شيئا اليوم ، لأنّ أمرك غليظ ؛ وذلك أنّ أمير المؤمنين وبّخه بسبيك ، وقال سلّمتُ اليك سليمان بن وهب لتسمّه أو تستخرج ماله ؛ فقال الأمير أنا صاحب شرط وسيف فلا أعرف وجوه المناظرة على الأموال ، ولو قرّر أمره بشيء لطالبته به ؛ فأمر الكتاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك والزمالك ما لا يؤخذ فيه خطأ ، وتطالب به ؛ وقد اجتمعوا واستدعيت لهذا .

قال فحُمِلتُ الى مجلس اسحاق ، فإذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج ، والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع ، وأحمد بن اسرائيل الكاتب ، وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، وداود بن الجراح صاحب الزمام . فطُرحت في آخر المجلس ، فشتمني اسحاق بن ابراهيم أقبح شتم وقال : يا فاعل ، يا صانع ، تعرّضني لاستبطاء أمير المؤمنين . والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ، ولأجعلن بطن الأرض أحبّ اليك من ظهرها ؛ أين الاموال التي جمعتها من غير وجوهها ؟ فأحتججتُ بنكبة ابن الزيات لي . فبدرني الحسن بن محمد وقال : أخذت من الناس أضعاف ما أدّيت ، وعادت يدك الى كتابة ايتاخ فأخذت ضياع السلطان فأقطعتها لنفسك وحزنتها ، وأنت تغلّها ألف ألف درهم ، وتترّى بزي الوزراء ؛ وقد بقيت عليك من تلك المصادرة جملة لم تؤدّها !

وأخذت الجماعة تواجهني بكل قبيح الآ موسى بن عبد الملك ، فإنه كان ساكناً لصداقة كانت بيننا /317/ . فأقبل من بينهم على اسحاق ، وقال : يا سيدي ، تأذن لي في الخلوة لأفصّل أمره ؟ فقال اسحاق : افعل .

فأستدناني ، فحُمِلت اليه فسارني وقال : عزيز عليّ يا أخي حالك ، وتالله لو كان خلاصك بنصف ما أملك لاقتديت بك به ؛ ولكن صورتك قبيحة ، وإن

خالفني فأنت والله هالك ! فقلت : لا أخالفك . فقال : الرأي أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم تؤديها في عشرة أشهر ، في كل شهر ألف ألف درهم ، فتترفة عاجلا مما أنت فيه . فسكت سكوت مبهوت . فقال لي : ما لك ؟ فقلت : والله ما أرجع الى دفعها الا بعد بيع عقاري ؛ ومن يشتره مني وأنا منكوب ، وكيف يتوفر الثمن ؟ فقال : أنا أعلم أنك صادق ولكن أحرس نفسك عاجلا بعظيم ما تبذله ويطمع فيه من جهتك ؛ وأنا من وراء الحيلة لك في شيء أميل به رأي الخليفة إلى صلاحك ، والله المعين ، ومن ساعة الى ساعة فرج ، ولا تتعجل الموت ، ولو لم تستفد الا الراحة مما أنت فيه يوما . فقلت : لست أتهم ودك ولا رأيك ، وأنا أكتب .

فأقبل على الجماعة وقال : يا سادتي ، إني قد أشرت عليه أن يكتب شيئا لا طاقة له بأكثر منه ، ورجوت أن يعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشي أمره ، وقد وافقته أن يكتب بكذا وكذا . فقالوا : الصواب أن يفعل هذا . فدعي له بدواية وقرطاس ، وأخذ خطة بالمال على نجومه . فقام موسى وقال لاسحاق : يا سيدي ، هذا رجل قد صار للسلطان عليه بيت مال وسييله /317ب/ أن يرفه ويحرس نفسه وينقل عن هذا الحال ؛ ويغير زيّه ويردّ جاهه بإنزاله في دار كبيرة وإخدامه بفرش وآلة وأثاث حسن ، ويمكن من يؤثّر لقاءه من أهله وولده وما شئت ومعامليه ليجدّ في تحصيل الاموال ، فيعينه الناس ويبيع أملاكه ويرتجع ودائعهم ممن هي عنده ! فقال اسحاق : أفعل الساعة ذلك ، وغدا أخرجته الى دار كبيرة كما وصفت وأمكنه من جميع ما التمسث له .

ونهبضت الجماعة ، فأمر اسحاق فأخذ بيدي في الحال الى الحمام . فحملت الى الحمام وجاءوني بخلعة نظيفة وبخور طيب ، فلبستها وتطييت ودخلت على اسحاق . فنهض اليّ ولم يكن في مجلسه أحد ، فاعتذر لي مما خاطبني به وقال : أنا صاحب سيف وأمور ، ولقد لحقني اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله من الطعام ، بأن أبتلى بقتلك أو بعقب

الخليفة من أجلك ، وإنما خاطبتك بذلك إقامة عذر عند هؤلاء الاشراف ليبلغوا الخليفة ذلك ، وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب . فشكرته ، وقلت ما حضرني من الكلام .

فلما كان من غد حولني الى دار كبيرة مفروشة ، ووكل بي فيها عشرة على إحسان وإجلال ، واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمرى وجاءوني . فأفرج عني ومضت سبعة وعشرون يوماً وقد أعددت ألف ألف درهم ، مال النجم الاول ، وأنا أتوقع أن يطلب المال فأؤدّي . فإذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل السبي ، فقممت اليه . فقال : /318/ أبشر ! فقلت ما الخبر ؟ قال : ورد كتاب صاحب مصر بمبلغ ما لها لهذه السنة مجملاً ، ومبلغ المجمل والتفقات الى أن يُنفذ حساباً مفصلاً ؛ فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين ، فوقع إلي بإخراج العين بمصر ليعرفه آثار العامل ، فأخرجتها من ديوان الخراج والضيايع ، لأن ضيايع مصر تجري في ديوان الخراج وتجري في ديوان الضيايع ويُنفذ حسابها الى الديوانين كما علمت ، وجعلتُ سترك التي توليت فيها عمالة مصر مصدرة وأفردتُ بعدها السنين الناقصة عن سترك تطلقاً في خلاصك ، وجعلتُ أقول النقصان في سنة كذا وكذا عن التي صدرتها كذا وكذا . فلما قرأ عبيد الله الفضل على الخليفة المتوكل قال : هذه السنة الوافرة من كان تولاًها ؟ فقلت : سليمان بن وهب ، يا أمير المؤمنين . فقال المتوكل : لم لا يُردّ اليها ؟ فقلت : وأين سليمان ، يا أمير المؤمنين ، ذلك مقتول بالمطالبة ، قد استصفي وافتقر ! فقال : تزال عنه المطالبة ويعاون بمائة ألف درهم ويعجل إخراجها ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وتردّ ضيايعه ليُرفع جاهه ؟ قال : ويُفعل ذلك !

وقد تعذّر إليّ عبيد الله بهذا ، واستأذنته في أن أجيئك وأخرجك ، فأذن لي . فقم بنا الى الوزير ! وقد كان أرسل الى اسحاق برسالة الخليفة يأذن له في إطلاقي . فخرجت من وقتي ، ولم أؤدّ من مال النجم الاول حبة واحدة ،

ورددته الى موضعه . وجئت الى عبيد الله ، فوقع لي بمائة ألف /318ب/ درهم معونة على سفري ، ودفع اليّ عهد مصر ، فخرجت اليها مسروراً ناعماً . انتهى .

ذكر أنّ المتوكل كان - رحمة الله تعالى عليه - عُرِيّاً عن الاعتزال والتشبيع ، فإنه خالف أخاه وأباه فيما يعتقدونه ، وأتبع السنّة وأظهرها وأرتفعت في أيامه ارتفاعاً بيّناً ، وكتب الى الآفاق بالمنع من الكلام والكفّ عن القول بخلق القرآن وأظهر إكرام العلماء ممن كان من أهل السنّة ، والتعظيم لهم .

وأمر بإنزال جثث أحمد بن نصر المصلوب في محنة القول بخلق القرآن في خلافة الواثق . فأنزله المتوكل وجمع بينه وبين رأسه ودفعه الى أوليائه . ففرح الناس لذلك ، واجتمع خلق كثير من العامة على جنازته ، وجعلوا يتبرّكون به ويتمنون بأعواد جنازته وبالجدار الذي كان مصلوباً فوقه تبرّكاً ، واستبشر الناس بذلك وفرحوا بآتياع الخليفة السنّة ، وبُحُسْن صنيعه .

وكان المتوكل راعى كثيراً آتياع السنّة ، حتى كان أمر أهل الذمّة أن يتميّزوا عن المسلمين في العِمامة والثياب ، وأن يخطبوا بالمصبوغ العسلي ، وأن يكون على غلمانهم رقاع مخالفة للون ثيابهم ، وأن يكونوا بالزنائير الحاصرة لثيابهم كزنائير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كُرّات من خشب كبيرة وأن لا يركبوا خيلاً ، وليكن ركابهم من خشب ، وأن لا يستعملوا في شيء من /319/ الدواوين التي تكون لهم فيها حكم على مسلم ، الى غير ذلك . وأمر أيضاً بتخريب كنائسهم المحدثّة ، وتضييق منازلهم المتسعة ، فيؤخذ منها العُشر ، وأن يعمل مما كان من ذلك متسّعاً مسجداً ، وأمر أيضاً بتسوية قبورهم بالارض ، وكتب بذلك الى سائر الاقاليم والى كلّ بلد وقرية ورستاق ، وأظهر السنّة وإكرام العلماء .

ثم إنه استدعى الامام أحمد بن حنبل من بغداد ، فأجتمعت به و أكرمه ورفع منزلته ، وأمر له بجائزة سنّية ، فلم يقبل منها شيئاً . وخلع عليه خلعة سنّية من

ملا بسه ، فأستحى منه ولبسها الى الموضع الذي كان نازلاً فيه ، فنزعها نزعاً عنيفاً ، وهو يكي . وجعل المتوكل يرسل اليه في كل يوم من طعامه الخاص ، فظن المتوكل أنه يأكل منه ، وهو - رضي الله تعالى عنه - لا يأكل لهم طعاماً بل كان صائماً واصلاً ، يطوي تلك الايام كلها ، لأنه لم يتيسر له طعام يرضي أكله . وكان ابنه عبد الله وصالح يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك . قال صالح ابنه : فلو لا أننا أسرعنا به الى بغداد لكنت أخشى أن يموت الشيخ من الجوع .

وكان المتوكل يُجلّه ويعظمه حتى كان لا يولي أحداً إلا بعد مشورته . وكان استشاره في يحيى بن أكرم ، فولاه القضاء بمشورته ؛ وذلك أن المتوكل غضب على أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي ، وكان على المظالم ، فعزله عنها لاعتزاله وولى يحيى بن أكرم قضاء القضاة والمظالم أيضاً ، وذلك /319ب/ بمشورة الامام أحمد بن حنبل . وكان الامام أحمد يشير على المتوكل بالصلاح ، وإنما أشار عليه يحيى بن أكرم ، وإن كان عزل عن القضاء بعد أن وليه ، لأنه كان من أئمة السنة ومن المعظمين للكتاب والفقهاء والدين ، وسليم من البدعة ، فولاه لذلك القضاء . ولما تولى القضاء صار يولي من جهته أهل السنة ، فولى حيان بن بشر قضاء الغربية من بغداد ، وولى سوار بن عبد الله قضاء الجانب الشرقي ، وكلاهما كان أعور ، فقال فيهما بعض أصحاب ابن [أبي] دؤاد المعزول :

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| رأيتُ من الكبائر قاضيين | هما أحدوثه في الخافقين |
| هما اقتسما العمى نصفين | كما اقتسما قضاء الجانبين |
| ويحسب منهما من هز رأساً | لينظر في موارث ودين |
| كأنك قد وضعت عليه دنأ | فتحت بزاله من فرد عين |
| هما كما قال الزمان بهلك يحيى | إذا فتح القضاء بأعورين |

لَمَّا غَضِبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ أَمَرَ بِالْإِحْتِفَازِ عَلَى ضِيَاعِهِ ، وَأَخَذَ ابْنَهُ أَبَا الْوَلِيدِ مُحَمَّدًا ، وَأَمَرَ بِمَصَادِرَتِهِ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَفْلُوجًا غَائِبًا عَلَى عَيْنِ الْخَلِيفَةِ . فَحَمَلَ أَبُو الْوَلِيدِ بِتِلْكَ الْمَصَادِرَةِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ دِينَارًا ، ثُمَّ صَوَّحَ عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ نَفَاهُمُ الْخَلِيفَةُ ، هُوَ وَأَبُوهُ وَأَهْلُهُمْ مِنْ سَامَرَاءَ إِلَى بَغْدَادَ ، مُهَانِينَ . وَطَالَتِ الْإِلْسَنُ فِيهِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَعْزُضُهُ :

لو كان في الرأي منسوب إلى رشد وكان عزمه عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغلٌ لو قنعت به عن أن تقول كتابُ الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وامتدت فيه الإلسن وارتفعت بوضع السنّة ، وتُعْظَمُ أَهْلُهَا وَأَكْرَمُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ مَكْرَمًا مُعْظَمًا .

قال المؤيد : في سنة إحدى وأربعين ومائتين توفي الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ، ينسب إلى معد بن عدنان . وكانت وفاته في ربيع الأول منها ، وكان مجتهداً ورعاً زاهداً صدوقاً . روى عنه مسلم والبخاري وأبو داود وإبراهيم الحربي . قال الشافعي خرجت من بغداد وما خلقت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه من أحمد بن حنبل . انتهى كلام المؤيد .

ومات ابن أبي دُوَادٍ في خلافة المتوكل أيضاً في سنة سبع وثلاثين ومائتين مفلوجاً مهاناً ، بعد المرتبة العليا والعزّ الوافر والحظوة عند الخلفاء من المأمون ومن بعده إلى المتوكل . انتهى

قال صاحب كتاب الفرج بعد الشدة : وجدت في بعض الكتب أنه أوتي بالجاحظ إلى أحمد بن أبي دُوَادٍ بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً في قميص رث ، فقال له ابن أبي دُوَادٍ : والله يا عمرو ما علمتك إلا متناسياً للنعمة ، جاحداً للصنعة ، معذداً للمثالب ، /320ب/ مخفياً للمناقب ؛ وإنّ الأيام لا تصلح مثلك ، لفساد طويّتك ، وسوء اختيارك ! فقال له الجاحظ :

حفظ الله عليك ، فوالله لأن تكون المنّة لك عليّ خيرٌ من أن تكون لي عليك ، ولأن أسيء وتُحسن أحسن في الأحدثّة عليك ، ولأن تعفو في حال قدرتك أجمل بك من أن تنتقم . فقال له ابن أبي دواد : ما علمتكَ إلا كثيرَ رونق اللسان ، قد جعلت يائتك أمام قلبك ، ثم اصطفت في النفاق . أغربَ قبحك الله !

فأنهض في قيوده . ثم قال : يا غلام ، ألحقه ، فخذ حديدته ، وصوّبه إلى الحمام ، واحمل إليه خِلعة يلبسها واحمله إلى منزل تبوّؤه إياه بفُرش وفرش وآلة وقماش ، وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقته ، إلى أن أصلح من حاله . ففعل ذلك به . فلما كان من الغد رُمي الجاحظ متصدّراً في مجلس ابن أبي دواد ، عليه خِلعة من ثيابه وطويلة من قلاتسه وهو مُقبل عليه بوجهه يقول : هات يا أبا عثمان . انتهى .

وكان الجاحظ قد تعلق بأسباب ابن الزيات . فلما قُتل ابن الزيات قيّد الجاحظ وسُجن ثم أطلق . وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف المشهورة . كان كثير المزَل نادر النادرة . خالط الخلفاء ونادهم . أخذ العلم عن النظام المتكلم . وكان جاحظ العينين كاسمه .

قال الجاحظ : ذكرت للمتوكل لتعليم ولده ، فلما مثلت بين يديه بسامراء استبشع منظري ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني . وصنّف الجاحظ كتباً كثيرة ، منها /321/ كتاب البيان والتبيين ، جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الغلمان ، وكتاب في الفرق الإسلامية .

قال المبرد : دخلت على الجاحظ في مرضه ، فقلت : كيف أنت ؟ فقال كيف مَنْ نصفه مفلوج ولو نُشر ما أحسنَ به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب عليه آله . وقد جاوز التسعين ، ثم أنشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنتَ أهام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوبٌ دَرِسُ كالجديد من الثياب

وقد روي أن موته كان بوقوع مجلّدات عليه ، وكان من عادته أن يصفّها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس اليها ، وكان عليلاً ، فسقطت عليه فقتلته في محرم سنة خمس وخمسين ومائتين ، في خلافة المهدي بالله . انتهى من مختصر الملك ، رحمه الله .

ذكر أن المتوكل مع ما كان فيه من اتباع السنّة والحمل عليها كان شديد البغض لعلّي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولأهل بيته . كذا حكاه النويري في تاريخه . وكان اعتقل جملة من أعيان العلويين ، وكان كثيراً ما يسعون فيهم اليه . وكان من شدة بغضه للعلويين أمره بهدم قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وهدم ما حوله من المنازل والدور ، ونادى في الناس : من وجد ههنا بعد ثلاثة دُفع إلى المطبق ! فلم يبق هناك بشر . واتخذ /321ب/ ذلك المكان مزرعة تحرّث .

فغاض الناس ذلك وأحزنهم وقال الشامي في ذلك :

تالله إن كانت أميّة قد أتت في قتل ابن نبيّها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوماً
اسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رَمِيماً

وكان المتوكل يجالس من اشتهر ببغض عليّ رضي الله تعالى عنه ، مثل ابن الجهم ، وأبو السّمط من وُلد مروان ابن أبي حفصة ، مولى بني أميّة المقدّم ذكره ، وعبادة المخنث وغيرهم .

قال بعضهم : كان المتوكل من أحسن الخلفاء سيرة ، ومنع الناس من القول بخلق القرآن ، فغطّى حسناته بدمّ عليّ ونبش قبر الحسين رضي الله عنهما .

حكى أن المتوكل قال لأبي يوسف يعقوب بن السكيت : أيما أحبّ إليك ابنائي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين ؟ ففضّ ابن السكيت من ابنه وذكر من

الحسن والحسين ما هما أهله . فأمر مماليكه فداسوا بطنه ، فحُمِلَ إلى داره فمات بعد غد ذلك اليوم . وقيل إن المتوكل لما سأل ابن السكيت عن ولديه وعن الحسن والحسين قال له ابن السكيت : والله إن قبر خادماً عليّ خيرٌ منك ومن أولادك ! فقال المتوكل : سلّوا لسانه من قفاه ! ففعلوا ذلك ، ومات لساعته في رجب سنة أربع وأربعين ومائتين وعمره ثمان وخمسون سنة :

وكان إماماً في اللغة والأدب ، وله كتاب إصلاح المنطق في اللغة وغيره . والسكيت بكسر السين /322/ المهملة وتشديد الكاف فُعِيلَ إسم لكثرة السكوت والصمت ، انتهى . كذا ذكر المؤيد .

ذكر بعض أهل السنة وكان من الثقات قال : رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في المنام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة ويقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسن ما تمّ ! فقال : ما سمعتُ أبيات ابن الصفي في هذا ؟ قلت : لا . قال : اسمعها منه . ثم انتهت فبادرتُ إلى دار حنص بنص فذكرتُ له الرؤيا ، فشهِقَ وبكى وحلّفَ بالله لم يخرج من فيه أو حرف إلى أحد وما نظمها إلا في ليلتي ، ثم انشدني :

ملكنا فكان العفو منا سجيّة فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتُم قتلَ الأسارى قتل ما غدونا من الأسرى نعفُ ونصفحُ

وحنص بنص ، هو سيّد بن محمد ، أبو الفوارس التميمي ، ويعرف بابن الصفي . ولقّب حنص بنص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال حنص بنص : ما للناس ، في حنص بنص ! فبقي عليه هذا اللقب ونظم الشعر ، فكان مجيداً فيه . ومن محاسن شعره :

يا طالب الرّزق في الآفاق مجتهداً أقصر عناءك فإن الرّزق مقسومُ
الرّزقُ يسعى الى من ليس يطلبه وطالب الرّزق يسعى وهو محرومُ

وله أيضًا :

ياطالب الطبّ من داء أُصيب به /322ب/ ان الطيب الذي اهلك بالداء
هو الطيب الذي يُرجى لعافية لا من يُذيق لك الترياق في الماء
وله أيضًا :

انفق ولا تخش إقلا لا فقد قُسمت على العباد من الرحمن أرزاقُ
لا ينفع البخل من دنيا موليّة ولا يضرّ مع الإقبال إنفاقُ
وله :

أله عمّا استأثر الله به أيها القلب ودع عنك الخرقُ
فقضاء الله لا يدافعه قولُ محال إذا الأمر سبقُ

وكان إذا سئل عن عمره يقول : أنا أعيش في الدنيا مجازفة ، لأنه كان لا
يحفظ مولده . وتوفي رحمه الله سنة أربع وسبعين وخمسمائة . انتهى . كذا في
المسودة .

ذكر التويري في تاريخه : أن المتوكل كان على شرا به وكان من جملة ندمائه
عبادة المخنث ، فكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة ، ويكشف رأسه وهو
أصلع ، ويرقص ويقول : أقبل الأصلع البطون على خليفة المسلمين ، يعني بذلك
عليًا ! والمتوكل يشرب ويضحك . وفعل ذلك يومًا بحضرة المنتصر ولد
المتوكل . وكان يجلّ عليا رضي الله تعالى عنه ، فقال لأبيه : يا أمير المؤمنين ،
لو علموا رضاك في سبّ الملائكة والرسل لفعلوا ، وإنّ عليا ابن عمّك ، فكل
أنت من لحمه إن شئت ، ولا تخلي /323/ مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه !
فقال المتوكل للمغنين غنّوا :

غار الفتى لابن عمّة رأسُ الفتى في حرّ أمة

انتهى .

وروى أبو هاشم الحبائي : دخل أبو السمط مروان بن أبي الجنون على المتوكل بقصره بالماخورة فأنشده :

الصُّهر ليس بوارث والبنت لا ترث الإمامة
لو كان حقهم لهم قامت على الناس القيامة
أصبحتُ بين مُحِبِّكم والمبغضين لكم علامة

قال : فحشَى المتوكل فاه بجوهر لا يُدرى قيمته . انتهى .

وكان أبو السمط يتشبه بجده مروان بن أبي حفصة في الشعر ، وكان يمدح المتوكل ويتقرب اليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكن عنده وقرب منه وكسب مالا كثيرا . فلما أفضت الخلافة الى المنتصر تجنب مذهب أبيه وطرح أبا السمط وحلف ألا يدخل عليه أبدا ، لما كان يسمعه منه في علي رضي الله تعالى عنه .

قال المرزبان حاجب المنتصر : استأذن مروان على المنتصر لِمَا ولي الخلافة فقال : والله لا أذن لكافر ابن الزانية ، أليس هو القائل :

وحكم فيها حاكمين أبوكا هما خلعاها خلع النعل بالنعل

قولوا له : والله لا وصلت الي أبدا ! فمضى .

وقال قصيدته التي يقول فيها :

لقد طال عهدي بالامام محمد وما كنت أرجو أن يطول به عهدي / 323ب/
وأصبحتُ ذا بُعد وداري قرية فوا عجباً من قرب داري ومن بُعدي

فغني بها المنتصر . فسأل عن قائلها ، فأخبر أنها لأبي السمط ! فقال : أمّا الوصول الي فلا ، ولكن اعطوه عشرة آلاف درهم ، يتحمل بها الى اليمامة . فأعطوه ذلك فأخذها وانصرف . انتهى .

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان : أن المتوكل قد سعى اليه بعض الاشقياء

بأبي الحسن عليّ الهادي ، الملقب بالعسكري ، وهو ابن محمد بن الجواد بن عليّ الرضا ، وكان من الائمة الاثني عشر عند الإمامية ، فاستقدمه المتوكل من المدينة وأسكنه بسرّ من رأى . ثم وُشي به الى المتوكل أنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعة ، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه .

فوجّه اليه عدّة من الاتراك ليلا . فهجموا عليه في منزله على غفلة ، فوجدوه وحده في بيت مغلق ، وعليه مئذنة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف ، وهو مستقبل القبلة يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الارض بساط الا الرمل والحصى . فأخذ على الصورة التي وُجد عليها وحمل الى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه . وعرف أنه لم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ، ولا حالة تتعلق عليها بها ، وكان المتوكل يستعمل الشراب وفي يده الكأس ، فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه الى جنبه ، وناوله الكأس /324/ الذي بيده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما نخامر لحمي ودمي قطّ ، فأعفني منه ! فأعفاه ، وقال له : أنشدني شعراً أستحسنه . فقال : أني قليل الرواية للشعر ! قال : لا بدّ أن تنشديني . فأنشده

| | |
|-------------------------------------|---|
| باتوا على قُللِ الأَجبال تحرُسُهُم | غَلَبُ الرُّجَـالِ فما أُغْتَتِـمُ القُلُلُ |
| واستنزَلُوا بعد عَزٍّ عن معاقِلِهِم | فأودِعُوا حُفْرًا يا بَشِـسَ ما نزلُوا |
| ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبِرُوا | أين الأَسْرَةُ والتَّـيْـجَانِ والحُلُلُ |
| فأفصَحَ القبر عنهم حين ساءلَهُم | تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ |
| قد طال ما أَكلوا دَهْرًا وما شربُوا | فأصبحوا بعد طول الأكل قد أَكلُوا |

فبكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بُلّت لحيته بدموعه ، وبكى من حضره . ثم أمر برفع الشراب ، وقال : يا أبا الحسن أعليك دين ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها اليه ، وأمر له بمثلها ، وردّه الى منزله مكرّماً .

كان أبو الحسن هذا يلقّب بالزكيّ والتقيّ والهادي والعسكري أيضاً . وإنما

لقب العسكري لأنه سكن سرّ من رأى بأمر المتوكل الى أن مات بها .
وسرّ من رأى ، ويقال لها سامراً أيضاً ، تلقب بالعسكر لأن المعتصم بالله
لما بناها انتقل اليها بعسكره ، فقليل لها العسكر بسبب ذلك . ولما سكنها
أبو الحسن المذكور نسب اليها . وكان مقامه بها عشرين سنة وتسعة أشهر ،
وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين . وكانت ولادته
بالمدينة المشرفة يوم الاحد ثالث عشر رجب ، وقيل يوم عرفة سنة أربع عشرة ،
وقيل ثلاث عشرة ومائتين ، وهو عاشر الائمة الاثني عشر ، ووالده محمد
الجواد توفي سنة عشرين ومائتين في خلافة المعتصم ، وولد سنة خمس وتسعين
ومائة ، وولده الحسن العسكري بن عليّ الزكيّ بن محمد الجواد هو حادي عشر
الائمة الاثني عشر ، ولد سنة ثلاثين ومائتين وتوفي سنة ستين ومائة في ربيع
الأول ، وقيل في جمادى الاولى .

وثاني عشر الائمة الاثني عشر هو صاحب السرداب محمد المنتظر بن
الحسن العسكري بن عليّ التقيّ بن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم
بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين . ومحمد المنتظر المذكور يقال
له القائم والمهدي والحجة ، ولد سنة خمسين ومائتين ، وإنما قيل له صاحب
السرداب لأن الشيعة يقولون دخل سرداباً في دار أبيه بسرّ من رأى وأمه تنظر ،
فلم يعد يخرج اليها وعمره حينئذ تسع سنين ، وذلك في سنة خمس وستين
ومائتين ، وفيه خلاف . انتهى كذا حكاه الملك المؤيد في مختصره مع ما ذكر
ابن خلكان أيضاً . انتهى /325/

قيل إن أبا العيناء الضرير ، وأصله من موالي المنصور الخليفة ، فهو هاشمي
بالولاء ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ، وكان من أظرف العلماء ،
وفيه من الذكاء والكيس وسرعة الجواب ما لم يكن في غيره . ذكر له أن أمير
المؤمنين المتوكل قال : لو لا أنه ضرير لنادته ! فقال : إن أعفاني من رؤية الأهلة

وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة !

دخل يوماً على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك ! فاستحسن كلامه ، ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ فقال : أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره . فقال له : دع عنك هذا ونادمننا . فقال يا أمير المؤمنين ، أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك وأنا احتاج أن أخدم ، ولست آمن أن تنظر إلي بعين راض وقلب غضبان ، أو بعين غضبان وقلب راض ، ومتى لم آمن بين هاتين هلكا ، فأختار العافية على التعريض للبلاء ! فقال له المتوكل : بلغنا عنك أنك بدأ في لسانك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال : «نعم العبد إنه أواب» وقال عز وجل : «هناز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم» ، وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثر صادفاً ولم أشتم النكس اللثيم المذمما

فقيم عرفتُ الخير والشر بأسمه وشق لي الله المسامع والعمى / 325ب/

فقال المتوكل : فمن أين أنت ؟ قال : من البصرة ؟ قال : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج وحرها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم . انتهى .

قيل كان أبو العيناء فيه سرعة جواب ، ولا يبالي حتى قيل إنه دخل يوماً على بعض الوزراء وجالسه في أصحابه ، فتفاوضوا في حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والاتصال : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين ! فقال أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟ فسكت الوزير وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .

شكى الى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال فقال له : قد كتبنا الى ابراهيم بن المنذر في أمرك . قال : نعم ، قد كتبت الى رجل قد قصر من همته طول الفقر وذُلّ الأسر ومعاناة الدهر ، فأخفق معي وجانب . فقال عبيد الله : أنت اخترته ! فقال : وما عليّ أيها الوزير في ذلك ، وقد اختار موسى من قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد ، واختار النبي ﷺ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع الى المشركين مرتدّاً ، واختار عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أبا موسى الاشعري حكماً له فحكم عليه .

وإنما قال ذلّ الأسر ، لأنّ ابراهيم المذكور كان قد أسره عليّ / 326/ بن محمد صاحب الزنج بالبصرة ونقّب السجن وهرب .

دخل يوماً على أبي الصّقر اسماعيل بن بلبل الوزير فقال له : ما الذي أخرّك عنا يا أبا العيّناء فقال : سُرّق حماري ! قال : وكيف سرق ؟ قال لم أكن مع اللصوص فأخبرك ! قال : فهلاًّ أتبتنا على غيره . قال : أقعدني عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلّ المكاري ومنة العوّاري .

خاصم علويّاً فقال له العلوي : أتخاصمني وتشتمني وأنت تقول اللهم صلّ على محمد وعلى آله ؟! فقال : لكني أقول الطيّبين الطاهرين ، ولست منهم !

وقف عليه رجل من العامة فلمّا أحس به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ! فقال أبو العيّناء : مرحباً بك ، أطال الله بقاءك ، ما كنت أظنّ هذا النسل الآن قد انقطع !

صار يوماً الى باب صاعد بن مخلّد الوزير واستأذن عليه فقبل له : هو مشغول بالصلاة . فقال : لكلّ جديد لذة . وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيّاً .

مرّ بباب عبد الله بن منصور ، وهو مريض وقد صلح ، فقال لغلّامه : كيف خبره ؟ فقال : كما تحبّ . فقال : ما لي لا أسمع الصراخ عليه .

دعا سائلاً ليعشّيه فلم يدع شيئاً الا أكله ؛ فقال : يا هذا دعوتك رحمة

فتركتني رحمة !

لقيه بعض أصحابه في السَّحَر ، فجعل يعجب من بكوره فقال أبو العيناء :
أراك تشركني في الفعل وتُفردُني بالتعجب .

كان بينه وبين ابن مكرم مداعبات ، فسمعه يقول : من ذهب بصره قلت
حيلته . فقال : ما أغفلك عن أبي العيناء ذهب بصره وعظمت /326ب/
حيلته .

سمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في بعض دعائه يا ربّ ، سائلك ! فقال : يا
ابن الفاعلة ومن لست سائله !

قال له ابن مكرم يوماً يعرض به : كم عدد المكدين بالبصرة ؟ قال : مثل
عدد البغاثين ببغداد !

لما سلم نجاح بن سلمة الى موسى الاصفهاني يستأدي ما عليه من الأموال
فتلف في مطالبته ، فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء وقال : ما عندك من خبر
نجاح ؟ فقال أبو العيناء : «وكره موسى فقضى عليه» فبلغت كلمته الى موسى
فلقي أبا العيناء في الطريق فتهدهه فقال له : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً
بالأمس !

كتب الى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : «ثقتي بك تمنعني
من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني الى اذكارك ، ولست آمن مع استحكام
ثقتي بطولك والمعرفة بعلوّ همتك اخترام الأجل ، فإن الآجال آفات الآمال ،
فسح الله في أجلك ، وبلغني منتهى أملك . والسلام» . وحاصل الأمر أن
نواده كثيرة وظرائفه غزيرة .

قال المؤيد : ولقب بأبي العيناء ، لانه قال لأبي زيد الأنصاري : كيف
تصغر عيناً ؟ فقال : عيينة يا أبا العيناء ! فبقي عليه لقباً . وكانت ولادة أبي
العيناء سنة إحدى وتسعين ومائة بالاهواز . ونشأ بالبصرة وتوفي بها في جمادى

الآخرة سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثمانين ومائتين .

روى عنه أنه قال : كنت عند أبي الجهم إذ أتاه /327/ رجل فقال : وعدتني وعدًا فإن رأيت أن تنجزه ؟ فقال : ما أذكره . فقال : إن لم تذكره فلأن مثلي من تعدده كثير ، وأنا لا أنساه لأن من أسأله مثلك قليل ! فقال : أحسنت ، لله أبوك ! وقضى حاجته .

وما يحكى من ظرائف أخباره ما حدث به أبو الفرج الاصفهاني قال : حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال : كنت أجالس محمد بن صالح ، من ولد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وكان حُمل الى المتوكل أسيرًا فحبسه مدة ثم أطلقه . وكان أعرجًا فصيحًا عجميًا ، فحدثني قال : حدثني غيري ممن تحيف العلالي وكان حسن الوجه حبيبا قال : كان منا فتى يقال له بشر بن عبد الله ، ويعرف بالأسير ، وكان يهوى جارية من قومه يقال لها جیدا ، وكانت ذات زوج . وشاع خبره في حبها ، فمُنِع منها وضيق عليه حتى لم يقدر أن يلتم بها ، فجاءني ذات يوم وقال : يا أخي ، قد بلغ مني الوجد وضاق علي سبيل الصبر ، فهل تساعدني في زيارتها ؟ قلت : نعم .

فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريبا من حبها . فكمن في موضع ، وقال لي : اذهب الى القوم فكن ضيفا فيهم ، ولا تذكر شيئا من أمرنا حتى ترى راعية لجيدا صفتها كذا وكذا فتعلمها خبري وتأمرها بأخذ موعد عليها . فمضيت ففعلت ما أمرني به حتى لقيت الراحية فخاطبتها ، ومضت الى جيدا وعادت فقالت لي : قل له موعدك الليل عند تلك الشجرات في وقت كذا .

فمضيت اليه فأعلمته وجلسنا /327ب/ عند الشجرات في الوقت ، فإذا بجيدا قد أقبلت ، فوثب الأسير اليها ، فقبل عينيها فقامت موليا عنهما ، فقال : لا ، نقسم عليك إلا رجعت ، فوالله ما بيننا ما نستره عنك ! فرجعت وجلسنا نتحدث فقال : يا جيدا أما فيك حيلة فتتعلل اليك ؟ فقالت : لا والله إلا بأن تعود حالي الى ما تعرف من البلاء والشدة . فقال : ما من ذلك بد ولو وقعت

السماء على الارض . فقالت : فهل في صاحبك هذا خير ؟ فقلت : إيها اليه . فخلعت ثيابها ودفعتها اليّ وقالت : إلبسها وأعطني ثيابك ! ففعلتُ فقالت : اذهب الى بيتي ، فإن زوجي سيأتيك العتمة ويطلب منك القدح ليتحلب فيه الإبل فلا تدفعه اليه من يدك ، فهكذا كنت أفعل ، ودعه بين يديه ، فإنه سيذهب فيحلب فيه ويجيء به ملآن لبناً ، فيقول هالك ، فلا تأخذه منه حتى تطيل فكرك عليه ، ثم خذه أو فدعه حتى يضعه هو ، ثم لست تراه حتى تصبح .

فذهبتُ ففعلت ما أمرتني به وجاء بالقدح ، فلم آخذه منه وأطلت النكد عليه ثم هويت لآخذه وأهوى ليضعه فأختلفت الأيدي فانكب القدح ، فقال : إن الطماح مُفْرِط ! وضرب بيده الى سوطه ثم تناول جهتي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثين . فجاءت أمّ وأخته فأنترعوني من يده بعد أن زال عقلي وهممت بأن أوجّهه بالسكين . فلما خرجوا عليّ لم ألبث إلا يسيراً ، فإذا بأُم جيّداً قد دخلت عليّ تكلمني /328/ ، فلزمت الصمت والبكاء فقالت : يا بنيّ اتق الله وأطيعي زوجك ، فأما الأسير فلا سبيل لك اليه ، وأنا أبعث اليك الليلة أختك تؤنسك .

ومضت ثم بعثت اليّ بالجارية ، فجعلت تكلمني وتدعو علي من ضربني وتبكي وأنا ساكت ، ثم اضطجعت الى جانبي . فشددت يدي على فمها وقلت : يا جارية إن أختك مع الأسير ، وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى بسترها مني ، وإن تكلمت بكلمة فضحيتها وأنا لست أبالي ! فاهترت مثل القضيب فزعاً ثم ضحككت وبات معي منها أظرف الناس . فلم نزل نتحدث حتى برق الفجر .

ثم خرجت وجئت الى أصحابي فقالت جيّداً : ما الخبر ؟ فقلت : سلي أختك عن الخبر ، فلعمري إنها عالمة به ! ودفعت اليها ثيابها وأربتها ظهري فجزعزت وبكت ومضت بسرعة وجعل الأسير يبكي وأنا أحدثه بقصتي ، ثم

ارتحلنا . انتهى . كذا ذكر في كتاب الفرّج بعد الشدة .

قيل إن المتوكل كان فيه أدب وظرف ، وحسن الخطاب .

حكى المبرد إمام النحاة قال كنت عند المتوكل وقد ولّى رجلاً على أمراء الأرزاق على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللاتي لا أزواج لهنّ . فدخل عليه رجل وأمير المؤمنين يتكلم مع الوالي المذكور ، وإذا بالرجل يقول : يا أمير المؤمنين ، قل للوالي يكتبني ويثبت اسمي مع القواعد ! فضحك المتوكل وقال له : القواعد نساء ، وأنت /328ب/ رجل ، فكيف يكتبك معهن ؟ فقال : مع العميان ! فقال المتوكل : أمّا مع هؤلاء فنعم ، لأن الله تعالى يقول : « لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ! فقال : يا أمير المؤمنين ويثبت ولدي في الأيتام . فقال : وهذا أفعله أيضاً ، فإنه من تكن أنت أباه ، فإنه يتيم لا محالة ! فانصرف عنهم وهم يضحكون ، وقد أثبتته مع العميان وولده في الأيتام . انتهى كذا ذكر سبط ابن الجوزي .

والمبرد ، هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الله الأكبر الثمالي الأزدي البصري ، المعروف بالمبرد ، كان إماماً في النحو واللغة ، وله التصانيف النافعة في الأدب ، منها كتاب الكامل ، والروضة ، والمقتضب وغير ذلك . أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني ، وأخذ عنه نبطويه وغيره من الأئمة . كان المبرد المذكور وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ، صاحب كتاب الفصيح ، عالمان متقادرين قد ختم بهما تاريخ الأدباء ، وفيهما يقول معاصرهما أبو بكر بن أبي الأزهر :

| | |
|-------------------------|------------------------|
| أيا طالب العلم لا تجهلن | وعذّ بالمبرد أو ثعلب |
| تجد عند هذين علم الوري | فلا تك كالجمل الأجرب |
| علوم الخلائق مقرونة | بهذين في الشرق والمغرب |

كان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب والاستكثار منه . وكان ثعلب

يكره ذلك ويمتنع منه .

حكى أبو الهاشم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلی /329/ ، وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري خاتين ثعلب : لِمَ يَأْبَى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأنَّ المبرد حَسَنُ العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ؛ وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا في محفل حُكِمَ للمبرد على الظاهر إلى أن يُعرف الباطن . وكان المبرد كثير الامالي حسن النوادر . انتهى .

والثُمالي بضمَّ المثناة وفتح الميم نسبة المبرد إلى ثُمالة ، واسمه عَوْف بن اسلم ، وهو بطن من الأزد . وكان عبد الصمد المعتدل هجاء وهجا قبيلته بسببه بقوله :

سألنا عن ثُمالة كلَّ حيٍّ فقال القائلون ومن ثُماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقال زدتنا بهم جَهاله
فقال لي المبرد دخل عنهم فقومي معشر فيهم بذاله

كذا ذكر أبو علي في كتاب الامالي . يقال إنَّ هذه الأبيات للمبرد ، وكان يشتهي أن يشتهر بهذه القبيلة ، فصنع هذه الأبيات ، فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار .

واختلف في سبب تلقيبه بالمبرد ، والذي ذكره الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الالقاب أنه قال : سئل المبرد لما لُقِّب بهذا اللقب فقال : كان سبب ذلك أنَّ صاحب الشرط طلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهتُ الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي فطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ! يعني غلاف مزبلة فارغاً ، فدخلت فيه وغطى رأسه . ثم خرج إلى /329ب/ الرسول فقال : ليس هو عندي . فقال : أخبرنا به دخل اليك ! فقال : أدخل الدار وابحث ! فدخل وطاف كلَّ موضع في الدار ولم يفتن

لغلاف المزيلة . ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزيلة : المبرد المبرد ! وتسامع الناس بذلك ولهجوا به .

وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني . وقيل غير ذلك انتهى من كتاب الالقاب .

وكانت ولادة المبرد ضُحى يوم الاثنين سنة عشر ومائتين . وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة . وقيل من ذي القعدة سنة ست وثمانين . وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد . ودفن في مقابل باب الكوفة في دار اشتريت له . وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ، رحمهما الله . لما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بالعلاف أبياتا ، وكان الجواليقي كثيرا ما ينشدها وهي :

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| ذهب المبرد وانقضت أيامه | وليدهم إثر المبرد ثعلب |
| بيت من الآداب أصبح نصفه | خربا وباقي نصفه فسينخرب |
| فأبكوا لما سلب الزمان ووطئوا | للدهر أنفسكم على ما يسلب |
| وتزودوا من ثعلب فيكأس ما | شرب المبرد عن قليل يشرب |
| فأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه | إن كانت الأنفاس مما يكتب |

قريب من هذه الايات ما أنشده أبو عبد الله الحسين بن علي اللغوي البصري النمرى لما مات أبو عبد الله الأزدي ، وكان بينهما تنافس ، فقال هذه الايات : /330/

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| مضى الأزدي والنمرى يمضي | فبعض الكلّ مقرون ببعض |
| أنحي والمجتني ثمرات ودي | وإن لم يجزني قرضي وفرضي |
| وكانت بيننا أبدا هينات | توفر عرضه منها وعرضي |
| وما هانت رجال الأزدي عندي | وإن لم تدن أرضهم بأرضي |

انتهى ، كذا نقل عن ابن خلكان .

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ، في ترجمة المبرد : كنت رأيت المبرد في المنام ، وجرى لي معه قصة عجيبة أحببت ذكرها لغرابتها ، وذلك أنني كنت بالاسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة ، وأقيمت بها خمسة أشهر ، وكان عندي كتاب الكامل للمبرد وكتاب العقد لابن عبد ربه وأنا أطلع فيها ، فرأيت في العقد في فصل ترجمه : ما غلط فيه الشعراء ، وذكر أبياتاً نسبوا أصحابها فيها لغلط ، وهي صحيحة وإنما الغلط ممن استدرك عليهم لعدم اطلاعهم على حقيقة الأمر بها ، ومن جملة من ذكر المبرد ، حيث غلط أبا نواس في قوله :

وما لبكر بن وائل عصم الآ بحمقائها وكاذبها

فزعم أنه أراد بحمقائها هبة القيسي ، وغلطه بأن الرجل لا يقال فيه حمقاء وإنما يقال أحق . فاستدرك صاحب العقد على المبرد بأن أبا نواس لم يرد هبة القيسي وإنما أراد دعة العجلية ، وعجل في بكر ، وهي امرأة يضرب بها المثل في الحمق . والمرأة يقال لها حمقاء ، وكلام أبي نواس صحيح ، /330ب/ فالغلط حيثئذ من المبرد لا من أبي نواس .

ولما كان بعد ليال قلائل من وقوفي على هذه الفائدة رأيت في المنام كأني بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين بن شداد ، وفيها كان اشتغالي بالعلم ، وكأنا قد صلينا الظهر في الموضع التي جرت العادة بالصلاة فيها جماعة فلما فرغنا من الصلاة قمت لأخرج ، فرأيت في آخر باب الموضع شخصاً واقفاً يصلي ؛ فقال لي بعض الحاضرين : هذا أبو العباس المبرد ! فجلست إليه وقعدت الى جانبه انتظر فراغه ، فلما فرغ سلمت عليه وقلت له : أنا في هذا الزمان أطلع في كتابك الكامل . فقال لي : رأيت كتابي الروضة ؟ قلت : لا . وما كنت رأيته قبل ذلك ، فقال : قم حتى أريك آياه . فقمتم معه وصعد

بي الى بيته ، فدخلنا اليه ورأيت فيه كتباً كثيرة ، فقعد وجعل يبحث عنه ، وقعدت أنا ناحية عنه ، فأخرج منها مجلداً ودفعه اليّ ، فتركته في حجري ثم قلت له : قد أخذوا عليك فيه . فقال : أيّ شيء أخذوا ؟ فقلت : إنك نسيت أباً نواس الى الغلط في البيت الفلاني ، وانشدته إياه . فقال : نعم ، غلط في هذا . فقلت : إنه لم يغلط بل هو على الصواب ، ونسبوك أنت الى الغلط في تغليظه . فقال : وكيف هذا ؟ فعرفته ما قاله صاحب العقد فعضّ على رأس سبّابه وبقي ساهياً ينظر اليّ ، وهو في صورة خجلان ، ولم ينطق . ثم استيقظت من منامي وهو على تلك الحال ، ولم أذكر هذه الرؤيا الا لغرابتها . انتهى كلامه /331/ .

وهبنقة بفتح الهاء والباء الموحدة والنون والقاف وبعدها هاء ساكنة ، وهو لقب أبو الودعات يزيد بن سروان القيسي وقيل كنيته أبو نافع وكان يضرب به المثل في الحمق ، فيقال أحق من هبنقة القيسي لانه كان شرد له بعير فقال من جاء به فله بعيران فقبل له أتجعل في بعير بعيران فقال : إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان . فنسب الى الحمق لهذا السبب ، وسارت به الاشعار . فمن ذلك قول أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي في شبيهة بن الوليد القيسي عم دقافة من جملة أبيات قالها ، وهي :

عش بجَدّ ولا يضرك نوكُ إنما عيش من ترى بالجدودِ
ربّ ذي إربة مُقلّ من الما ل وذي عُجْهية مجدودِ
عش بجَدّ وكن هبنقة القيّد سيّ أو مثل شبيهة بن الوليدِ

وسبب نظم اليزيدي هذه الايات أنه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي وكان شبيهة بن الوليد حاضراً فتعصّب للكسائي ، وتحامل على اليزيدي فهجاه في عدة مقاطيع هذا من جملتها . وأما دُغّه بضم الدال المهملة وفتح العين المعجمة وبعدها هاء ساكنة ، لقب مارية ابنة مفتّج العجلي ، وهي التي يضرب بها المثل في الحمق ، لأنها ولدت فصاح المولود ، فقالت لامرأة : أيفتح الجفر

فاه ؟ فقالت : نعم ، ويسبأ أباه ! فصار مثلاً ، والاصل في الجعر أنه روّث كل ذي مخلب من السباع وقد يستعمل في غيره بطريق التجويز . ودُغِه لجهلها ظنّت لما وَلَدَتْ أنه خرج منها المعتاد /331ب/ وأنه صَوّتَ ، فأطلقت عنه الجعر وسألت عنه ؛ وهو المولود استهلاً ، وقد جهلت ذلك ، فصارت يُضرب بها المثل في الحمق . وكانت متزوجة في بني العنبر من بني تميم ، فصار يقول العنبر يدعون بنو الجعراء لذلك . انتهى .

ذكر أن المتوكل كانت له ندماء وشعراء .

وكان من جملتهم أبو العميثل عبد الله بن جليد ، مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ويقال أصله من الري ، وكان يفخّم الكلام ويعرّبه ، وكان كاتب الأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين وشاعره ومنقطعاً اليه ، وكاتب أبيه طاهر من قبله ، وكان مُكثِّراً من نقل اللغة عارفاً بها شاعراً مُجيداً ، امتدح عبد الله بن طاهر بقوله :

يا من يحاول أن تكون صفاته كصفات عبد الله أنصت وأسمع
فلأنصحك في المشورة والذي حجج الحجاج اليه فاسمع أو دع
أصدق وعفّ واصبر واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع
والطف وأنّ وتأن وارفق واتد واحزم وجدّ وحام واحمل وادفع
فلقد محضتك إن قبلت وصيتي وهديت للنهج الأشدّ الممتع /332/

ولقد أحسن في هذا المقطوع كل الإحسان .

كان عبد الله بن طاهر من أكبر قواد المأمون هو وأبوه من قبله ، ولأه المأمون بعد أبيه نيابة خراسان وما والاها وجمع له مع ذلك الشام ، فوجّه عبد الله أخاه طلحة الى خراسان . وولى عبد الله أيضاً نيابة مصر وعُزل عنها . قال الوزير ابن المغربي في كتاب أدب الخواص : إنّ البطيخ العبدلاوي الموجود بالديار المصرية منسوب الى عبد الله بن طاهر . قال ابن خلكان : إما لأنه كان يستطيع أكله أو

لأنه أول من زرعه هناك . قال : ولم أر هذا النوع في شيء من البلاد سوى مصر .
 وكان المأمون يجعل عبد الله المذكور ويكثر الاعتماد عليه ويحسن الالتفات
 اليه ، رعاية لحق والده طاهر وما أسلفه من الطاعة في خدمته . وكان عبد الله
 قد أحسن خدمة المأمون والمعتصم بعده وكذا الواثق الى أن مات في خلافة
 الواثق ، يوم الاثنين لأحد عشر ليلة خلت من ربيع الاول سنة ثلاثين ومائتين
 بمدينة مرو . وقال الطبري : بنيسابور . وعاش مثل أبيه ثمان وأربعين سنة .
 وله أشعار ورسائل ، فمن شعره ما نسب له من قوله :

نحن قوم تليتنا الحُدُقُ النَجْدُ لُ على أننا نلین الحديدًا
 طوعُ أيدي الظباء يقتادنا الـ حينٌ ونقتادُ بالطُعان الأسودًا
 فترانا يوم الكسريّة أحرا رأ وفي السُّلم للغواني عبيدا
 نملك الصيّد ثم تملكنا البيد بض المصونات أعينا وقدودا
 تتقي سُخطنا الأسودُ ونخشى سُخط الخُشف حين تُبدي الصُّدودا/332ب/
 وقيل إنها لغيره .

وكان أبو العميثل من شعرائه كما تقدم ، وكثيرا ما يجالسه ولا يحجب عليه .
 قيل إن أبا العميثل وصل يوما الى عبد الله بن طاهر فرام الدخول اليه
 فحُجب ، فقال :

سأترك هذا الباب ما دام إذنه على ما يُرى حتى يخفّ قليلا
 إذا لم أجد يوما الى الإذن سلما وجدتُ الى ترك اللقاء سبيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأنكره ، وأمر بدخوله .

وحكي أن أبا تمام الطائي لما أنشد عبد الله قصيدته البائية كان أبو العميثل
 حاضرا ، فقال له : يا أبا تمام ، لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : يا أبا العميثل ،
 لم لا تفهم ما يقال ؟!

وقيل إن أبا العميثل شدّ كفّ عبد الله بن طاهر فاستخشن مسّ شاربته ،

فقال أبو العميشل في الحال : شوك القنفذ لا يؤلم كفّ الأسد ! فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنّية .

وعاش أبو العميشل بعد عبد الله بن طاهر الى أن أدرك المتوكل ، ومات في خلافته ، سنة أربعين ومائتين . وصنّف كتباً منها كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وكتاب المتشابه ، وكتاب السائرة وكتاب معاني الشعر وغير ذلك من كتبه . والعميشل بفتح العين المهملة والميم وسكون الياء التحتية اسم لعدة أشياء ، من جملتها الاسد . والظاهر أنه المقصود هنا . انتهى ، انظر وفيات الاعيان لابن خلكان .

قال ابن دريد : انحدرت من البصرة الى سرّ من رأى في حدّاثه سنّي /333/ وذلك في أيام المتوكل على الله ، فدخلت عليه وهو في قصره المعروف بالجعفري وهو مشرف الى بستان وأبو العميشل ينشده :

لله يوم في بسوط وليلة صرف الزمان بأختها لا يغلطُ
بتنا وعمر الليل في علوائه وله بنور البدر فرع أشمطُ
والطلّ في سلك الغصون طلوعه رطيب يصاحفه النسيم فيسقطُ
والطير يقرأ والغدير صفيحة والريح يكتب والغمامة تنقطُ

وهذا تقسيم بديع ، ثم أنشده قوله :

ولقد نزلت بروضة خزية رعت نواظرن بها والأنفسُ
فظللت أعجب حيث يخلف صاحبي والمسك من تفاحها يتنفّسُ
ما الجو الا عنبر والدّوح إلا جوهر والروض الآ سندسُ
سفرت شقائقها فهمّ الاق حوان بلثمها فرنا اليه النرجسُ
فكأن ذا حدود للقطف وذا ثمر يحاوله وذا عيون حرسُ

قال ابن دريد : فطرب المتوكل من إنشاده ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

وتخت ثياب . انتهى

ابن دريد هذا ، هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ودريد تصغير أورد ، والأورد الذي ليس فيه سن ، وهو تصغير ترخيم . وهو من الأزد ، ويتصل نسبه بكهلان بن سبا . كان إماماً في اللغة والأدب والشعر الرائق .

قال في مروج الذهب : كان ابن دريد ي بغداد ممن برع في زماننا /333ب/ هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد شيئاً في اللغة توجد في كتب المتقدمين . وكان يذهب في الشعر كل مذهب ، فطوراً يُجزل وطوراً يرق . وشعره أكثر من أن يحصى ، منه قوله :

غراء لو جلت الخدود شعاعها للشمس عند طلوعها لم يُشرق
غصن على دعص تأود فوقه قمرٌ تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن احتكم لم يَعُدْها أو قيل مخاطب غيرها لم ينطق
تبدو فيهتف بالعيون ظباؤها الويل حل بمقلة لم تُطبق
فكأننا من فرعها في مغرب وكأننا من وجهها في مشرق

وكان من تقدم من العلماء يقول : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء . وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه ، فكان يُقرأ عليه دواوين العرب ، فيسابق الى إتمامها من حفظه . أخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله ، ابن أخي الأصمعي ، وأبي عثمان سعيد بن هارون الأشناداني صاحب كتاب المعاني وغيرهم . وله التصانيف المعتبرة ، منها كتاب الاشتقاق ، وكتاب السرج واللجام ، وكتايب الخيل الكبير والصغير ، وكتاب الانوار ، وكتاب المقتبس ، وكتاب الملاحن ، وكتاب زوار العرب ، وكتاب /334/ اللغات ، وكتاب السلاح ، وكتاب غريب القرآن لم يكمله ، وكتاب المجتنى وهو مع صغره كثير الفائدة ، وكتاب الوشاح صغير مفيد ، وكتاب الجماهر . وسئل عنه الدارقطني ثقة هو أم لا . فقال : تكلموا فيه . وقيل إنه كان

يتسامح في الرواية ، فيسند الى كل أحد ما يخطر له . وقال أبو منصور الازهري اللغوي دخلت عليه فرأيت سكران ، فلم أعد اليه . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه ونستحي مما نرى من العيدان المحلقة والشراب المصفى .

وذكر أن سائلا سأله شيئا فلم يكن عنده غير دن من نبيذ ، فوهبه له فأنكر عليه أحد غلمانه وقال له : تتصدق بالنبيذ ؟ فقال : لم يكن عندي شيء سواه . ثم أهدي له عشرة دنان من النبيذ بعد ذلك ، فقال لغلّامه : أخرجنا دنا فجاءنا عشرة !

وينسب اليه من هذه الامور أشياء كثيرة .

ولد بالبصرة وارتحل منها عند ظهور الزنج ، وسكن عُمان اثنتي عشرة سنة . ثم عاد الى البصرة وسكنها زمانا ، ثم خرج الى نواحي فارس وصحب ابني مكائيل وكان يومئذ على عمالة فارس ، وعمل لهما كتاب الجمهرة وامتدحهما بمقصورته المشهورة التي يقول فيها :

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور . فوصلاه بعشرة آلاف دينار وقلدها ديوان فارس . فكانت تصدر كتب /334ب/ فارس عن رأيه ، ولا ينفذ أمر الا بعد توقيعه ، فأفاد معهما أموالا عظيمة . وكان مفيدا مبيدا ، لا يمسك درهما سخاء وكرما ، وبقي معهما الى أن عزلا وانتقلا الى خراسان ، ففارقهما الى بغداد ، فنزله علي بن محمد الخوارزمي في جواره ، وأفضل عليه وعرف الخليفة المقتدر فضله ومكانه من العلم ، فأمر أن يُجرى عليه خمسون دينارا في كل شهر ولم تزل جارية عليه الى حين وفاته .

وكان قد طعن في السن وعرض له في رأس التسعين من عمره فالج ، سقى له الترياق فبريء وصح ورجع الى أفضل أحواله ، ولم ينكر من نفسه شيئا ورجع

الى إسماع تلاميذه وإملائه عليهم . ثم عاوده الفالج بعد حول ، لغذاء ضار تناوله ، فكان يحرك يديه حركة ضعيفة ، وبطل من محزمه الى قدميه ، فكان إذا دخل عليه الداخل ضجّ وتألّم لدخوله وإن لم يصل اليه . وكان يصيح لذلك صياح من يمشی عليه أو يسأل بالمسال ، والداخل بعيد منه . وكان مع هذا الحال ثابت الذهن ، كامل العقل ، يردّ فيما يسأل عنه ردّا صحيحًا .

قال تلميذه أبو علي اسماعيل ابن القاسم القالي ، المعروف بالبغدادي : فكنت أقول في نفسي إنه الله عز وجل عاقبه لبيت قاله في مقصوره حين ذكر الدهر وهي قوله : «مارست» البيت . قال أبو علي : وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذا الحال ، فيردّ بأسرع من النفس بالصواب .

وقال مرة - وقد /335/ سأله عن بيت شعر - : لئن طُفِئت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم ! ثم قال لي : يا بني ، وكذلك قال لي أبو حاتم وقد سأله عن شيء ثم قال لي أبو حاتم وكذلك قال لي الاصمعي وقد سأله . قال أبو علي . وآخر شيء سأله عنه جاوبني بأن قال : يا بني ، حال الجريض دون القريض ! فكان هذا آخر كلام سمعته منه وكان قبل ذلك كثيرًا ما يتمثل بهذه البيت وهي :

فوا حزني أن لا حياة لذينة ولا عمل يرضي به الله صالح

وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح ، سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بها وتعلم فيها . وتوفي يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد . ودفن بالمقبرة العباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح ، بالقرب من الشارع الاعظم . ويقال إنه عاش ثلاثًا وتسعين سنة لا غير . ورثاه جمحظة البرمكي بقوله :

فقدت باهن دُرِيدَ كلَّ فائدة لَمَّا غدا ثالث الأحجار والترَّبِ
وكنْتَ أبكي لفقد الجود منفردًا فصرت أبكي لفقد الجود والادبِ

وتوفي في يوم وفاته أبو هاشم عبد السلام ابن أبي علي الجبائي المتكلم
المعتزلي ، فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام !

قوله حال الجريض دون القريض ، هذا مثل مشهور . أول من نطق به عبيد
بن الابرص ، أحد شعراء الجاهلية لَمَّا لقي النعمان بن المنذر ، أحد ملوك
335ب/ الحيرة في يوم يؤسه . وكان قد عزم على قتله ، وكان ذلك من عادته ،
فأحسَّ به عبيد وقد استنشده شيئاً من شعره ، فقال له : حال الجريض دون
القريض ! فصار مثلاً يضرب . والجريض بالضاد المعجمة ، الغُصّة . يعني
حالت الغُصّة دون إنشاد الشعر . انتهى من مروج الذهب وغيره .

قال المرزباني : قال لي ابن دريد : سقطتُ من منزلي بفارس ، فانكسرت
ترقوتي ، فسهرت ليلتي ، فلَمَّا كان آخر الليل غمضت عيني ، فرأيت رجلاً
طويلاً أصفر الوجه كوسجاً يدخل عليّ وأخذ بعَضادتي الباب وقال : أنشدني
أحسن ما قلت في الخمر ؟ فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً . فقال : أنا
أشعر منه ! قلت : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو ناجية ، من أهل الشام . وأنشدني :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أنت بين لوني نرجس وشقائق
حكّت وجهَ المعشوق صيرفاً فسَلَطُوا عليها مزاجاً فاكست لونَ عاشق

فقلت له : أسأت ! فقال : ولم ؟ قلت : لأنك قلت «وحمراء» فقدّمت
الحمرة ثم قلت «بين ثوبي نرجس وشقائق» ، فقدّمت الصُّفرة ؛ فهلاًّ قدّمتها
على الأخرى ؟! فقال : وما هذا الاستقصاء يا بغيض ! انتهى ، كذا وجدته في
المسوّدة .

ذكر ابن كثير أنّ المتوكل أخذ العهد لأولاده الثلاثة . /336/ وهم محمد
المنتصر ، ثم محمد المعتز ، وقيل اسمه الزبير ، ثم إبراهيم المؤيد ، إلّا أنّه لم

يُستخلف . وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد ، فيكون نائباً عليها ونوابه فيها ، ويضرب السكة بها ، وعقد لكل واحد لواءين ، أسود للخلافة والعهد ، وأبيض للعمالة . وكتب بينهم كتاب التراضي منهم ، وبايع الأمراء والكبراء لهم على ذلك . وكان يوماً مشهوداً ، وهو يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين . انتهى .

قال حماد بن أحمد البُستي في سيرة الملوك ، قال أبو السمط مروان : لما صرت الى المتوكل ومدحته ومدحت ولاية العهود وأنشدته قولي :

سقى الله نجداً والسلام على نجدٍ ويا حبذا نجداً على النأي والبعد

أمر لي بمائة الف درهم وخمسين ثوباً ، فلم أبرح حتى قلت قصيدتي التي أقول فيها :

فأمسك ندى كفيك عني فإني لقد خفت أن أطفئ وأن أتجبر

فقال : لا والله ، لا أمسك حتى أغرقك بجودي ، سلمي حوائجك ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ، ذكر ابن المدبر أنها وقف ! فقال : قد قبلتك إياها بدرهم في كل سنة . فقلت : لا يجوز أن يضمن مثل هذه الضيعة في السنة بدرهم . فقال ابن المدبر : فبألف درهم . فقلت : هذا نعم . فأمر لي بذلك وقال : هذه /336ب/ ليست حاجة ، سلمي حاجتك ! قلت : ضيعة قد كان أمر لي بها الواثق دافعي عنها ابن الزيات . فأمر لي بها ، وقال : تُعطى حاصلها منذ أمر الواثق لك بها من بيت المال . وفعل ذلك ، وأخذت المال . انتهى .

وكان مروان شاعره ومادحه ، وأفاد منه أموالاً عظيمة ، ومدح غيره من الأمراء أيضاً .

قال المرادي النيسابوري في كتابه : دخل مروان على الأمير أشناس فأنشده ،

فجعل أشناس يحرك رأسه ويومئ بيديه ويظهر طرفاً وسروراً ، ثم أمر له بصلة . فلما خرج قال له كاتبه : رأيت الأمير قد طرب وحرّك رأسه ، أقهم ما كان يقوله ؟ قال : نعم . قال : فأني شيء قال ؟ فقال : مازال يقرأ علي ريقة (في الاصل «ريقه» ولعلها تحريف رقية أو وريقة) الدراهم حتى حصل ما أراد . انتهى .

وكان مروان له نوادر ومضحكات بين يدي المتوكل ، وهو أحد الشعراء المتقدمين عنده إلا أن هناك من هو أمكن وأحظى منه .

قال ابن خلكان : وكان أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم من ندماء المتوكل على الله ، وكان شاعراً محسناً ، وكان من خواصه وجلسائه المتقدمين عنده ثم انتقل الى من بعده من الخلفاء ، ولم يزل مكيناً عندهم حظياً لديهم ، يجلس بين أيدي أسرتهم ، ويفوضون اليه بسرهم ، ويؤمنونه على أخبارهم ، ولم يزل عندهم في المنزلة العلية . وكان قبل اتصاله بهم يلود بمحمد بن اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب ، أكثرها حكمة . واستكتب /337/ له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزائنه أضعافاً مضاعفة ، مما لم تشتمل عليه خزائنه . وكان راوية للأشعار والأخبار ، حاذقاً في صنعة الغناء ، أخذ عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي وشاهده ، وصنف عدّة كتب منها كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين ، وكتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وكتاب في البطيخ ، وغير ذلك . وكان شاعراً محسناً ، فمن شعره قوله في الطيف :

| | |
|----------------------|-----------------------|
| بأبي والله من طرّقا | كابتسام البرق إذ خفقا |
| زادني شوقاً برؤيته | وحشا قلبي به حرّقا |
| من لقلب هائم كلف | كلما سكّته خفقا |
| زارني طيف الحبيب فما | زاد أن أغرى بي الأرقا |

وكان له الشعر الحسن . وعاش الى أن خدّم المعتمد ، وتوفي في أواخر أيامه سنة خمس وسبعين ومائتين بسرّ من رأى . وخلف جملة من أولاده ، وكلهم علماء نجباء ندماء . انتهى منه .

ذكر في كتاب سيرة الملوك قال أحمد بن أبي طاهر : كان عليّ بن الجهم يقع في مروان المقدم ذكره ويثليه حسداً له على موضعه من المتوكل ، فقال المتوكل يوماً : يا عليّ أيما أشعر ، أنت أم مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال لمروان : ما تقول ؟ فقال : كلّ أحد أشعر منّي ، ولا أصف نفسي ولا أزكيها ، وإذا أصبتُ غرضي في أمير المؤمنين فما أبالي . والتفت الى عليّ وقال : أنت أشعر مني ! قال : أو تشكّ في ذلك ؟ / 337ب/ قال : أيّ والله ، أشدّ شكّ ! قال : فأمر المؤمنين بيني وبينك . قال : فأمر المؤمنين يُحايلك . فقال المتوكل : هذا يا عليّ من عيّك ، وقد أبحث كل واحد منكما في هجاء صاحبه ! ثم قال لابن حمدون : احكم بينهما . فقال : طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب ؛ وأما إذ أمرت فإنّ أشعرهما عندي أعرفهما في الشعر . فقال المتوكل : قد سمعت يا عليّ . فقال : قد علمت ميلك اليه . فقال : هذا عيّ منك ، فإن كنت شاعراً ماهراً ، فلا أفضله عليك ، والحق أقول ، فأهجه أنت ! فوجم ، فقال لمروان : أهجه أنت ، بحياتي ، ولا تبق غاية ! فقال :

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| إن ابن جهم في المغيب يعيني | ويقول لي حسناً إذا لاقاني |
| فإذا التقينا ناك شعري شعره | ونزاً على شيطانه شيطاني |
| صغرت مهابته وعظم بطنه | فكأنما في بطنه ولدان |
| إن ابن جهم ليس يرحم أمه | لو كان يرحمها لما هجاني |

فضحك المتوكل والندماء وانخذل عليّ . ولم يقل شيئاً ، فقال المتوكل لمروان : بحياتي إن حضرك شيء آخر فهاته . فقال :

بنت جهنم يا عليه صرت بعدي قرشيه
قلت ما ليس بحق اسكتي يا نبطيه
اسكتي يا بنت جهنم اسكتي يا حلقيه

فضحك المتوكل وضرب برجله الأرض فقال عليّ : هذا الشعر يشبه وجهه ! فقال له والله صدقت إنه لهزل ، ولكنني أتيتك بالجِدِّ . وقال /338/ :
لعمرك ما الجهنم بن بدر بشاعر وهذا عليّ نجله يدعي الشعرًا
ولكن أبي قد كان حاور أمه فلما ادعى الأشعار أوهمني أمرًا
فقال عليّ عند ذلك :

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذي حسَب ودين
يبيحك منه عرضًا لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون

قال أحمد بن حمدون : بلغ المتوكل أن عليّ بن الجهنم خطب امرأة من قريش . فلم يزوجه ، فسأل عن سبب ذلك ، فقيل له : إن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لم يدخلهما في قريش ، وأن عثمان أدخلهما فيهم وأخرجهم عليّ عليه السلام ، فارتدوا مع الخريف ؛ فقتل من ارتد منهم وسبى بقيتهم وباعهم من مصقلة ابن هبيرة . فبعث المتوكل وأحضر عليّ بن الجهنم وسأله عما قالوا ، فأنكر ذلك وقال : هذه دعوى من الرافضة . وشم القوم ، وكان مروان جالسًا بحضرة المتوكل فقال :

إن جهنمًا حين تنسبه ليس من عجم ولا عرب
لجّ في شتمي بلا سبب سارقٌ للشعر والنسب

فلم يجبه . وكان يحتقره فأومأ اليه المتوكل أن يزيد فقال :
عليّ تعرّضت لي ضلّة لجهلك بالشعر يا مارق

فخلّ قريشًا وأنسابها فأتت لأنسابها سارق
فإن كان سامة جدًا لكم فأملك مني إذا طالق

قال أحمد بن المفضل الكاتب : ودخل عليّ بن الجهم على المتوكل وأنشده
قصيدة يمتدحه بها أولها : /338ب/

اغتنم جدّة الزمان الجديد وأجعل المهرجان أيمن عيد

وكان مروان في مجلسه ، فغمزه المتوكل عليه فقال له : يا عليّ المهرجان
عيد أم يوم هو ، إنما العيد ما تعبّد الله به الناس من الفطر والإضحى والجمعة
وأيام التشريق ؛ وأمّا المهرجان والنيروز ، فإنهما أعياد المجوس ، ولا يجوز أن
يقال لخليفة الله في عباده اجعل المهرجان عيدًا . فلم يلتفت إليه حتى بلغ قوله :

نحن أبناء هذه الخرق السود وأهل التشيع المحمود

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التشيع المحمود ما قتل قحطبة جدّك وصلبه
في عداوة بني العباس ! فقال له المتوكل : ويلك أقتل قحطبة جدّك كما قال ؟
فقال : لا ، والله . فقال محمد بن طاهر : بحياتي الأمر كما قال ، فأَيّ ذنب لعلّي
بن الجهم في ذلك ؛ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم ! فضحك المتوكل وقال :
شهدتَ والله بها عليه . فقال مروان :

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| غضب ابن الجهم من قولي له | إنّ في الحقّ لقوم مغضبه |
| يا ابن جهم كيف تهوى معشرًا | صلبوا جدّك فوق الخشبّه |
| يا إمام العدل نصحي لكم | نصح حقّ غير نصح الكذبّه |
| إنّ جدّي من رفعت قدره | بكرامات لشكري موجه |
| وابن جهم من صلبتم جدّه | وتولّى ذلك منه قحطبه |
| أتراه بعد ذا ينصحكم | لا وحقّ الكعبة المحتجبه |

انتهى .

قال الخطيب البغدادي : دخل مروان يومًا /339/ على المتوكل وانشده :

إني نزلت بساحة المتوكل ونزلن في أقصى بلاد الموصل

فقال بعض الحاضرين : كيف يكون الاتصال بين هؤلاء في المراسلة ؟ فقال

أبو العنيس : يكون عندهم حمام يكتبون على أجنتها . فضحك المتوكل حتى استلقى ، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنيس أبدًا . انتهى .

لطيفة : حكى عن مروان أنه دخل عليه أمرد إلى منزله وقال له : أنت أبو

السمط الزنديق ؟ قال : نعم . فقال له : اشتهي أن تعلمني الزندقة . قال له :

حبًا وكرامة . ثم بطحه على وجهه ليعلمه ، ودفع عليه . فصاح الغلام وقال :

أوه آش هذا ؟ فقال له : هذا أول باب في الزندقة . انتهى .

ذكر أن البحري الشاعر قال : كنت عند المتوكل يومًا فاجتازت جارية

معهما شربة ماء ، وهي أحسن من القمر ، فقال لها : اسمك ؟ قالت : برهان .

قال ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستي . قال : صبيه في حلقي ! ففعلت ، فقال لي :

قل في هذا المعنى شيئًا . فقلت : *ماقهوة من رحيق كأسها ذهب*

جاء به الخور جناه رضوان

يوما بأطيب من ماء على عطش

شربته عبثا من كف برهان

وحكى جحظة البرمكي في كتاب الوزارة قال : كان /339ب/ أبو العنيس

الصيمري عند المتوكل والبحري ينشده حتى بلغ قوله :

عن أي ثغر تبسم وبأي طرف تحتلم

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم

إسلم لدين الله فاذا سلمت فقد سلم

قال : وكان البحري من أبغض الناس إنشادًا ، يتشادق ويتزاور في مشيه ،

فيمشي مرة جانبًا ومرة القهقري ، يهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه

ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنتُ والله ! ويقول للمستمعين : مالكم لا تقولون لي أحسنتَ ، هذا والله لا يُحسِن أحدٌ يقول مثله ! فضجر المتوكل منه وقال للصميري : ما تسمع ما يقول ؟! فقال : بلى يا سيدي ! قال : بحياتي اهجه على هذا الروي . فأخذ الدواة وكتب أبياتا يقول فيها :

أدخلت رأسك في الحرم وعلمت أنك منهزم
من أيّ سلح تلتقيم وبأيّ كف تلتطم
فوحق جعفر الامام ابن الامام المعتصم
لأصيرنك شهرة بين المسيل الى العلم
يا بن الثقيلة والثقيـ مل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكبيـ ر من الموالي والحشم

قال : فخرج البحتري مُغضباً يعلو والصميري يصيح به :

أدخلت رأسك في الحرم وعلمت أنك منهزم

والمتوكل يضحك ويصفق ثم أمر للصميري بعشرة آلاف درهم . انتهى
وكان ابو عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري /340/ هذا شاعراً ظريفاً
فصيحاً حسن المذهب ، له تصرف في ضروب الشعر إلا أنه لا يحسن الهجاء
وبضاعته فيه نزرة ، وجيده منه قليل .

حكى ابنه أبو الغوث أنه دعا به لما حضرته الوفاة وقال له : اجمع كل
شيء قلته في الهجاء . ففعل فأمره باحراقه ثم قال له : يا بني هذا شيء قلته في
وقت فشفت به غيضي وكافأت به قبيحاً فعل بي . وقد انقضى أربي في ذلك
وإن بقي روي عني وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو
معاشك . قال : فعلمت أنه قد نصحني فأحرقت .

كان البحتري من أوسخ الناس ثوباً و أبخلهم بكل شيء ، وكان له أخ

وغلام يقتلهما جوعاً . فإذا بلغ منهما الجوع أتياه وبكيا فيرمي إليهما بشيء
وهو مقترّ مضيق ويقول لهما : كُلا ، أجاج الله أكبادكما ، وأعري أجسامكما
وأطال إجهادكما !

قال أبو مسلم الاصفهاني الكاتب : دخلت على البحتري يوماً فدعا بطعام
وعرض عليّ فامتنعت من أكله ، وكان عنده شيخ شاميّ لا أعرفه ، فدعاه الى
الطعام فتقدّم وأكل أكلاً غنيماً فغاضه ذلك ، فالتفت إليّ وقال لي : أتعرف هذا
الشيخ ؟ قلت : لا . قال : هذا من بني الجهم الذي يقول فيهم الشاعر :

وبنو الجهم قبيلة ملعونة بيض اللّحي متشابهو الالوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمّان أمسى جميعهم بعمّان

فشتمه الشيخ ولعنه وانصرف .

وكان للبحتري غلام /340ب/ اسمه نسيم . روي أنّه قد جعله باباً من
أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه على بعض أهل المروءات ومن ينفق الأدب
عنده ، فإذا صار في ملكه شيب به وتشوّقه ومدح مولاه ، فيهبّه له . فلم يزل
كذلك حتّى مات الغلام ، فكفّي الناس أمره .

وكان يتعشّق غلاماً اسمه شقران ، فخرج البحتري في بعض أسفاره وأطال
الغيبة ثم عاد ، فوجده قد التحقى فقال فيه :

نبئت لحية شقرا ن شقيق النفس بعدي
خلقت كيف أتته قبل أن يُنجزَ وعدي

قال عليّ بن الجهم الشاعر : كتب البحتريّ الى محمد بن عليّ أحد قواد
المتوكل يستهديه نبيذاً ، فبعث اليه نبيذاً مع غلام له أمرد ، فخمشه البحتري .
فغضب الغلام غضباً يدلّ على أنّه يخبر مولاه بما جرى فكتب اليه :

أبا جعفر كان تخميشُنا غلامك إحدى الهنات الدنيّه

بعثت إلينا بشمس المسدا م تضاء لنا مع شمس البرية
فليت الهدية كان الرسول وليت الرسول إلينا هديه

فانقطع البحتري عنه مدة حياء وخجلا ، فكتب اليه محمد بن علي أبياتا
يقول فيها :

هجرت كان البر أعقب حشمة ولم أر وصلا قبل ذا أعقب الهجرا

فكتب اليه البحتري قصيدة يقول فيها :

/341/

ليواصلنك ركب شعري سائرا يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلدا أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيّد في وأظل يحسدني بك الشعراء

كان البحتري مداحا لمحمد بن يوسف طول أيامه ولائنه من بعده ، ورثاهما
فأجاد مراثيه فيهما . فقبل له في ذلك ، فقال : من تمام الوفاء أن تفضل المراثي
المدائح ، لا كما قال بعضهم وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نعمل للرجاء
ونحن الآن نعمل للوفاء ، وبينهما بعد .

قال ابن ثوابه : قدم البحتري الى النيل على أحمد بن علي الإسكافي مادحا
له ، فطالت مدته عنده ولم يُرضه ، فهجاه وهجى بني ثوابه بقصيدة منها قوله :
ما كسبنا من أحمد بن علي ومن النيل غير حمي النيل

وهجاه بغير ذلك ، فبلغ العباس بن أحمد بن ثوابه ، فبعث اليه ألف درهم
وثيابا ودابة بسرجه ولجامه ، فردّ عليه ذلك وقال : قد أسلفتكم إساءة ، فلا
يجوز لي معها قبول صلتكم .

فكتب اليه : أمّا الإساءة فمغفورة ، والمعذرة فمشكورة ، «والحسنات
يذهبن السيئات» ، وقد رددته علي وأضعفته ، فإن تلافيت ما فرط منك أثنيّا

وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا .

فقبل ما بعثه ، وكتب اليه : كلامك والله أحسن من شعري ، وقد أسلفتني ما أخرجلني وحملتني ما ثقلني ، وسبأتك ثنائي .

ثم مدحه بعد ذلك بقصائد . انتهى من الاغاني وغيره .

341ب/ ذكر أن من شعراء المتوكل وندمائه أبو اسحاق ابراهيم بن المدبر كان شاعراً كاتباً ، من وجوه كتاب أهل العراق . وكان يهوى غريب وتهواه ، وحالهما في ذلك مشهورة . وكان المتوكل يؤثره ويقدمه . وذكر في كتاب الفرج بعد الشدة أنه حبس في أيام المتوكل . حبسه نجاح بن سلمة ، مكايذة لأخيه . فلما طال حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل أبياتاً يقول فيها :

بأبي من بات عندي طارقاً من غير وعْدٍ
بات يشكو شدة الشوق وأشكو فرطاً وجدٍ
وتنحى فبكى فأنه هل درّ فوق وردٍ
فد تحت مرثية صبور راء وخدّ فوق خدّ

وأنفذها الى المسرود المغني ، وسأله أن يعمل فيها لحناً ، ويغني بها المتوكل ، فاذا سأله من قائلها عرفه أنها له . ففعل المسرود . وسأله المتوكل فقال : لعبك ابراهيم بن المدبر ! فذكره وأمر بإطلاقه وحظي عنده . انتهى .

ودخل ابراهيم بن المدبر على المتوكل يوماً ، وقد كان المتوكل مريضاً وخيف عليه ثم عوفي بعد ذلك ، فأنشده ابراهيم هذه الايات :

يوم أتانا بالسرور فالحمد لله الكبير
أخلصت فيه شكره ووفيت فيه بالنذور
يا جعفر المتوكل العا لي على البدر المنير
اليوم أصبحت الخلا فة وهي أرسي من ثبير /342/

قد خالفتك وعادتك لك على مطاولة الدهور
يا رحمة للعالمين ن ويا ضياء المستنير
لله أنت بما نشأ هُدًى من كرم وخير
حتى تقول ومن يقر نُك من ولي أو نصير
البدر ينطق بيننا أم جعفر فوق السرير

فقال المتوكل للفتح بن خاقان : إن ابراهيم لينطق عن نية خالصة ، فأعطه خمسين ألفاً ! انتهى .

ذكر أن المتوكل كان له انهماك في الشراب والتوغل في بغض علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه . وكان ولده المنتصر لا يرضيه ذلك من أبيه ، وكان يتعقب أموره فيما يفعله ، ورفع من ذلك حملاً ثقيلاً الى أن اعتل المتوكل واشتد عليه المرض ، وتوقع المنتصر موته ثم برىء وقام من مرضه ، وأيس المنتصر موته ، فدرس عليه من يقتله ، فدخلت عليه جماعة بالليل بالسيوف وهو على شرابه وقت خلوته فقتلوه ، وهو بالجعفري .

وكان المتوكل قد رام التنقل من سامراء الى دمشق . وسار اليها فدخلها في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين ، وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبى :

أظن الشام يشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق
فإن تدع العراق وساكنيه فقد تبكي المليحة بالطلاق

ثم استثقل المتوكل ماء دمشق ورجع الى سامراء بعد /342ب/ مقامه بدمشق شهرين وأياماً . ولما رجع ابتدأ في عمارة الجعفري سنة خمس وأربعين ومائتين ، وأنفق عليه أموالاً لا تحصى . وكان يقال لموضعه الماحورة . وتحول اليه في السنة التي مات فيها ، وبقي به الى أن دخلت عليه الجماعة المذكورة فقتلوه ، وقتلوا وزيره الفتح بن خاقان باتفاق من ابنه المنتصر ومن بغا

الصغير الشرايبي .

ولما كان صبح ليلة مقتله اجتمع الناس والعساكر والقواد الى الجعفري فخرج اليهم أحمد بن الخصيف وقرأ عليهم كتاباً من المنتصر مضمونه أن الفتح قتل مولاه المتوكل فقتله به . فسمع الناس ذلك ، وبايعوا المنتصر . وكان ذلك يوم الاربعاء الخامس من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام ، وعمره إذ ذاك نحو أربعون سنة . وكان اسمه خفيف العارضين .

ولما استخلف المنتصر أمن العلويين . وكانوا خائفين في زمن أبيه المتوكل ، وأمر الناس بزيارة قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، الا أنه لم تطل أيامه . فقد اعتل ثلاثة أيام ومات يوم الأحد بسامراً لخمس بقين من ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فكانت خلافته ستة أشهر ويومين . وكان أعين ، ألقى ، قصيراً ، مهيباً ، عظيم اللحم ، راجح العقل ، كثير الإنصاف .

واستخلف بعده أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، وهو /343/ ثاني عشرهم . اتفق عليه كبراء الدولة ، فأولوه وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، وكرهوا أن يولوا بعض ولد المتوكل ، لكونهم قتلوا أباهم . وكان المستعين أكبر من المنتصر بما يزيد على السنتين ، لأن المنتصر مات وعمره خمس وعشرون سنة .

وهنا ألقى القلم رحله وطوى ، وألقت عصاها واستقرّ بها النوى . إذ هذا آخر ما وجدناه مما جُمع في أخبار بني العباس وقد أوعدنا فيما سبق بتبليغه وتنقيحه لتشتف الأسماع وتروق بأخبارهم الأنفاس . والحمد لله على بلوغ المقاصد والآمال مما أردنا تنقيح ما أهمل وانخرم وكان في زوايا الإهمال .

خاتمة في ذكر عمّال بني العباس بأفريقية ومن دخلها من عمّاهم

أول من دخل أفريقية من عمّال بني العباس الأشعث بن عقبة الخزاعي .
أرسله أبو جعفر المنصور سنة أربع وأربعين ومائة .

وقال ابن نباتة : هو من عمال السفّاح ، أرسله سنة ثلاث وثلاثين ومائة ؛
وذلك أنه لما تشتت جمع بني أمية واستقام الأمر لبني العباس واشتغلوا بتمهيد
البلاد بالمشرق فوقع بعض إهمال أفريقية فاشتعلت بها نار الفتن ، وهاجت
الخوارج ، وقام بأفريقية أبو الخطاب رأس الخوارج ، فبلغ بنو العباس ذلك
وأرسل لهم أبو جعفر المنصور /343ب/ الأشعث بن عقبة المذكور .

فقاتل الخوارج وهزمهم ، وقتل أبا الخطاب وشرّد الصُّفّرية وبدّد شملهم .
واستقام له الأمر ، فبنى سور القيروان من الطوب سبعة عشر ذراعًا في شهر
ربيع الأول من السنة المذكورة ، وكمل في شهر رجب الفرد سنة ست
وأربعين . وهو أول قائد للمسودة بأفريقية ، والمسودة كناية لبني العباس ، لأنهم
جعلوا شعارهم السواد ، كناية عن طلب الثأر لأنهم خرجوا طالبين دم الحسين
وزيد وإبراهيم الإمام رضي الله تعالى عنهم . فكان لباسهم السواد ، وكانت
أعلامهم سودًا وخلعهم سودًا ، وبثوا ذلك في كلّ بلاد إلى أن بلغ شعارهم
أفريقية ، وكان أول قائد لهم الأشعث المذكور . ثم أولى المنصور على أفريقية

عمر بن حفص ، فكان ثاني عامل لبني العباس بافريقية .

ولاية عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة ابن ابي صفرة

وقبيصة أخو المهلب بن أبي صفرة المشهور . وعمر المذكور كان يلقب هزار مُرد ، معناه ألف رجل . لقبه الفُرس بذلك ، لأنه كان يقوم مقام ألف فارس في الحرب . وكان بطلا شجاعا مهابا مقدما عند المنصور ، ولآه السند وهمذان وفارس ، ثم عزله عن ذلك بهشام بن عمر الثعلبي ، وسيّره الى افريقية سنة إحدى وخمسين ومائة .

فقلّمها ومعه خمسمائة فارس ، فاجتمع اليه وجوه أهل القيروان فواصلهم وأحسن اليهم . وأقام /344/ الامور المستقيمة ثلاث سنين ، ثم سار الى الزاب وبنى مدينة طُبنة ، وذلك بعد أن ورد عليه كتاب الخليفة المنصور يؤكد عليه بقتل الخوارج الذين بافريقية ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم اشتد عليه الأمر من الخوارج ، فلجأ الى جبل أوراس فأغتاله بعضهم وهو نائم ، فمات قتيلًا ، رحمة الله عليه .

ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

وجهه المنصور الى افريقية سنة خمس وخمسين ومائة بعد قتل عمر بن حفص المذكور . فدخلها ومعه خمسون ألفا من المسكر ، فقتلوا الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص ، ومهد البلاد ودانت له العصاة والعباد . ثم دخل القيروان لعشر بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ورتّب أمر القيروان وجعل كل صناعة في مكانها . وكان جوادا مشكورا .

حكى عنه سحنون أنه كان يقول : والله الذي لا اله الا هو ما هيت شيئا قط أهتني الا رجلا واحدا يزعم أنني ظلمته ، وأنا أعلم لا راحم له الا الله ، يقول بيني وبينك الله !

وهدم جامع القيروان ما عدا المحراب وبناه ، واشترى العمود الأخضر بمال جزيل . وكان ذا حزم ، يباشر الحروب بنفسه مع ما فيه من الجود والكرم والعقل . ولما رحل عن العراق كان في صحبته يزيد السلمي عامل مصر ، فكان يزيد بن حاتم ينفق على الجيشين من عنده . وهذا غاية /344ب/ الكرم والجود . وقصده جماعة من الشعراء فأحسن اليهم . وكان قصده مروان بن أبي حفصة الشاعر ، وأنشده :

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نوئلته
فما نخشى أن يخيب رجائنا لديك ولكن أهنا البر عاجله

فأمر له بخمسين ألف درهم ، ونادى في الجند : من أحبني واسى هذا الشاعر ! فحصل له من الجند خمسون ألفاً أيضاً ، فرجع من عنده بمائة ألف درهم في بيتين ، وكانت ولايته خمسة عشر عاماً . ومات بالقيروان سنة سبعين ومائة وخلفه ولده من بعده ، وبايعه أهل القيروان . وكانت هذه السنة هي التي مات فيها الهادي واستخلف مكانه الرشيد . ولما أن استقر له الأمر وجه الى افريقية رُوح بن حاتم .

ولاية رُوح بن حاتم بن قبيصة الازدي

وهو أخو يزيد المذكور . وجهه الرشيد الى افريقية سنة إحدى وسبعين ومائة وعزل ولد أخيه يزيد عن افريقية وولاه الموصل ، ووجه عمه رُوح المذكور الى افريقية . وكان رُوح من الأمراء الكبار ولى الولايات الضخمة ، وخدم خمسة من الخلفاء ، السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد . وكانت له همة وفصاحة وبلاغة وكرم وشجاعة . قال ابن رشيقي القيرواني : كان رُوح بن حاتم جالساً يوماً في بعض منتزهاته والى جانبه حظية من حظاياها /345/ وكان في وسط النهار إذ أقبل عليه رجل ومعه وعاء ، يسمى قادوس ، ملآن بالورد الأبيض والاحمر في غير أوان الورد ، ففرح به رُوح وأمر أن يملأ

له ذلك القادوس دراهم . فقالت الحظية : ما أنصفته أيها الأمير ! قال : ولم ؟ قالت لانه أتك به وهو من لونين ، فينبغي أن تلونه له كما أتى به ! فضحك ، وأمر أن يكون نصفه دراهم ونصفه دنائير . اهـ .

وكان مقامه بافريقية أربع سنين . ومات بالقيروان في شهر رمضان . ومن غريب الاتفاق أنه لما مات أخوه بافريقية ، وكان هو واليًا على السند ، استعجب الناس من شدة ما بينهما من بعد المسافة ، حيث كان أحدهما بالسند والآخر بافريقية . فاتفق أن عزله الرشيد عن السند وولاه افريقية مكان أخيه . ومات بها ودفن في القبر الذي دفن فيه أخوه ، وضمهما تراب واحد . والله عاقبة كل أمر .

وكان على عهد رُوح المذكور ظهورُ الادارسة بالمغرب سنة اثنتين وسبعين ومائة . ولما مات رُوح وجه الرشيد الى افريقية هرثمة بن أعين .

ولاية هرثمة بن أعين الهاشمي بالولاء

ولاه أمير المؤمنين الرشيد افريقية سنة تسع وسبعين ومائة . فقدمها لثلاث خلون من ربيع الآخر من تلك السنة . وقال ابن خلكان : وبنى بلد المنستير سنة ثمانين . وقال ابن الشبّاط : إنه بنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن قادم ، وبنى سور مدينة طرابلس ، وأمن الناس /345ب/ في أيامه ، وقفل الى المشرق في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد يستعفيه عن الولاية لما رآه من الخلاف ، فأعفاه الرشيد وكتب اليه بالقدوم الى المشرق .

وعاش الى أيام المأمون وكان يعتمد عليه في الأمور العظام الى أن حقد عليه وحبسه في سنة مائتين ، ثم أرسل اليه من قتله . وقيل قتله الفضل بن سهل بغير علم المأمون وكان من الأمراء الكبار من موالي بني العباس . ولما رجع الى المشرق تولّى بعده ابراهيم بن الاغلب من قبل الرشيد ، وهو أول الاغلبة

ولاية ابراهيم بن الاغلب

ولاه الرشيد على افريقية أميراً في سنة أربع وثمانين [ومائة] . وذلك أنه في تلك السنة ولى حماد البربري اليمن ومكة ، وولى داود بن يزيد بن مرثد بن حاتم المهلي السند ، وولى يحيى الحرشي الجبل ، وولى مهرويه الرازي طبرستان ، وولى افريقية ابراهيم بن الاغلب ، وكان على الموصل وأعمالها فعزله ، وولى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني مكانه .

وقدم ابراهيم الى افريقية من سنته ، وبنى مدينة القصر على ثلاثة أميال من القيروان ، وهدم دار الامارة التي كانت بالقيروان ، قبلي الجامع الاعظم ، وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة . وعمرت بإزائه مدينة القصر ، وصار بها أسواق وحمامات وفنادق وجامع ، وذلك سنة خمس وثمانين ومائة الا /346/ أنه لم تطل أيامه وأدركه حمامه ، ومات سنة سبع وتسعين ومائة في آخر خلافة الامين ، فكان من عمال الرشيد والامين بعده ، لانه أبقاه على عمله لهما استخلف وخدمهما معاً الى أن مات ، وخلفه ولده أبو العباس .

ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب

كانت ولايته من قبل المأمون في سنة مات فيها والده ابراهيم المذكور . وذلك أنه لما مات ابراهيم بن الاغلب كان الامين محصوراً ببغداد في آخر أيامه وظهرت شيم الخلافة على المأمون ، وخلع الناس طاعة الامين وجاءت كتابتهم الى المأمون بالطاعة والبيعة له ، فكتب لهم بالولايات في أعمالهم ، وجاءه من جملة ذلك كتاب افريقية بموت ابراهيم بن الاغلب فكتب الى ولده أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بالولاية مكان أبيه ابراهيم ، وتم الامر لعبد الله المذكور من قبل المأمون . فمكث سنتين ، ثم قام عليه منصور الطنُُّذِي ، وكان من قواد الجند ، وفيه ميل لمحمد الامين . فأخذ معه جماعة من الجند واستجمع الجموع

ونسب أهل القيروان الى الجَوْر ، وحاصر أبا العباس عبد الله بن الاغلب المذكور واستولى على افريقية وهرقة والمغرب كله . ودام أمره نحو اثنتي عشرة سنة ، وآخر الأمر انتصر أبو العباس عبد الله (والصحيح زيادة الله) على الطنبذي وهزمه ومَلِك القيروان وافريقية بعد /346ب/ حروب يشيب لها الرضيع ، وفتح الله تعالى عليه واستقام له الامر الى أن مات في خلافة المأمون ، سنة إحدى ومائتين ، فولي بعده أخاه زيادة الله .

ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب

كانت ولايته من قبل المأمون سنة إحدى ومائتين ، فطالت أيامه واستقام له الامر ، وبنى سور القيروان ، وأدار سور سوسة ، وبنى جامع القيروان بعد هدمه ما عدا محرابه ، وأنفق عليه ستاً وثمانين ألف دينار ، وبنى قنطرة باب الربيع وحصن الرباط بسوسة ، وفتح في أيامه جزيرة صقلية على يد قاضيه أسد بن الفرات ، وكان قاضي القيروان . قال ابن رشيقي (في كشف الظنون وغيره) ينسب لابن رشيقي علي بن حسن كتابان في التاريخ أحدهما ميزان العمل والآخر يعرف باسم تاريخ ابن رشيقي) : فسیره في نحو من عشرين ألفاً من الجيش وأركبه البحر من سوسة ، وسار الى صقلية ، والتقى بصاحبها ، يقال إنه كان في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل ، فهزمه أسد بن الفرات ونخل الله الكافرين ، وغنم المسلمون أموالهم ويدّوا شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة .

ومات أسد بن الفرات محاصراً لسرقوسة ، في ربيع الآخر سنة ثلاث عشر ومائتين . واستولى المسلمون على الجزيرة واستوطنوها . ودفن أسد المذكور هناك . وصارت الجزيرة بأيدي المسلمين ، تتداول عليها الولاة من قبل القرويين ولاة بني العباس ومن بعدهم . وهي بأيدي المسلمين الى ما بعد الاربعين وخمسمائة ، ثم افتكها العدو ورجعت الى الكفار .

وكان /347/ فتحها في أيام زيادة الله على عهد الخليفة المأمون ، وأقام زيادة الله على أعماله الى أن مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم . وكان زيادة الله يقول : ما أبالي إن شاء الله تعالى بأهوال يوم القيامة وقد قدمت أربعة أشياء بناء الجامع بالقيروان وقد أنفقت عليه سناً وثمانين ألف دينار ، وبناء القنطرة بباب الربيع ، وبناء حصن الرباط بسوسة ، وتوليتي أحمد بن محرز القضاء ، وكان من العلماء العالمين الزاهدين ، وتوفي سنة إحدى وعشرين ومائتين قبل موت زيادة الله المذكور . ولما مات زياد الله ولي بعده أخوه أبو عقال .

ولاية أبي عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب

وهو أخو زيادة الله . كانت ولايته من قبل المعتصم بالله ، وكان الامير على صقلية محمد بن عبد الله بن الاغلب . فسكن أبو عقال المذكور مديدة ولم تطل أيامه وأدركه حيمامه ومات سنة ست وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم وقبل وفاته بسنة . وكانت مدة الاغلب ستين وتسعة أشهر ، وتولى بعده أخوه أبو العباس .

ولاية أبي العباس محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب

كانت ولايته من قبل المعتصم في السنة المذكورة . وكان فاضلاً زكياً عادلاً فطناً ، يباشر الأمور بنفسه ، /347ب/ وأمنت السبل في أيامه . وكان على عهده الامام سحنون بن سعيد .

ومنع الامام سحنون في زمانه أهل الأهواء من المسجد الجامع . وكان قبل ذلك يجتمعون فيه ويتناظرون بمذاهبهم الفاسدة ، مثل الإباضية والصفوية والزنادقة والمعتزلة . فمنعهم سحنون من الاجتماع لذلك في المسجد .

وكان على عهده أميراً على صقلية العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة . تولاها سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ففتح فيها الفتوحات الجليلة وفتح قصر يانة

(Enna) يوم الخميس منتصف شوال من السنة المذكورة ، أعني سنة سبع وثلاثين ، وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية . وكان الملك قبل ذلك يسكن سرقوسة . فلما أخذ المسلمون بعض الجزيرة انتقل الملك الى قصر يانة المذكورة لحصانتها ، ففتحها العباس المذكور ، كما قلنا ، وبنى فيها مسجداً في الحال ، ونصب فيه منبراً وخطب عليه وصلى فيه الجمعة ، وذلك على عهد أبي العباس بن الاغلب ، وعامله على صقلية العباس بن فزارة المذكور ، وذلك في خلافة المتوكل . ومات أبو العباس بن الاغلب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وتولى بعده ولده أبو ابراهيم .

ولاية أبي ابراهيم أحمد بن محمد المذكور

كانت ولايته بعد أبيه من قبل الخليفة المتوكل على الله . استولى على افريقية بالقيروان ، وعصى عليه أهل /348/ تونس سنة أربعين ومائتين ، فغزاهم وسبى منهم خلقاً كثيراً .

وللامام سحنون معه واقعة مشهورة في المسيبات التونسية ، فإنه هجم على بعض أمرائه وأخذ المسيبات من داره ومنع من التصرف فيهن ؛ فبعث الامير أبو ابراهيم في ردهن ، فأقسم سحنون لا يردهن مادام قاضياً الا أن ترفع يده عن القضاء ، فكف عنه الامير أبو ابراهيم بن الاغلب .

وعلى عهده توفي العباس بن الفضل الفزاري ، صاحب صقلية ، سنة سبع وأربعين ومائتين ، فولى الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس . ثم ورد عليهم من افريقية من قبل أبي ابراهيم الاغلي المذكور خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية فغزا وفتح فيها ثم اغتاله رجل من عسكره فقتله وهرب الى المشركين ، فولى الناس بعد قتله ابنه محمد بن خفاجة على صقلية الى سنة سبع وخمسين ، فقتله خدمه الخصيان .

وبقي أبو ابراهيم الاغلي على عمل افريقية الى خلافة المستعين سنة تسع

وأربعين ومائتين ، وتولى موضعه أخوه أبو محمد زيادة الله بن محمد .
كانت ولايته بعد أخيه من قبل الخليفة أحمد المستعين بالله . لم تطل أيامه
ومات بعد ثمانية عشر شهرا من ولايته /348ب/ وكانت وفاته سنة خمسين
ومائتين في خلافة المستعين وتولى بعده ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد .

ولاية أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الاغلب

كانت ولايته بعد موت ابن أخيه من قبل المستعين بالله وعلى عهده ظهرت
السامانية ، وتولى نصر بن أحمد الساماني فيما وراء النهر ، وذلك سنة إحدى
وستين ومائتين .

وفيها عصى أهل برقة على أحمد بن طولون ، فجهز اليهم جيشا من مصر ،
ففتحها وقبض على رؤسائهم . وكانت برقة خرجت على افريقية وصارت
مصرية .

وتوفي أبو عبد الله المذكور سنة إحدى وستين ومائتين في جمادى الاولى
منها ، في خلافة المعتمد على الله وخطب لاربعة من الخلفاء ، المستعين والمعتز
والمهتدي والمعتمد المذكور . وكانت مدة ولايته على افريقية عشر سنين وخمسة
أشهر ونصفا . وتولى بعده أخوه إبراهيم بن أحمد (جاء في الدرّ ، 204 ، أن
الذي قام بالامر بعد زيادة الله بن محمد هو ابن أخيه الامير أحمد) .

ولاية إبراهيم بن أحمد بن الاغلب

كانت ولايته من قبل المعتمد على الله . وكان ذا فطنة عظيمة ومعروف
جزيل ، وله مآثر وحسنات . وكان يكثر الإقامة بتونس فبنى بها الجامع ، وبنى
أيضا ماجل القيروان (جاء في الدرّ (204) أن الذي تولى بعد محمد هو ابنه
أحمد وذكر أنه «هو الذي بنى ماجل القيروان وجامع تونس وله وقعة

مشهورة») ، وأسس مدينة رقادة سنة ثلاث وستين وتمّها سنة أربع وستين ومائتين . فكان عملها في سنة واحدة ، وبنى بها الجامع ، وانتقل بالملك اليها وسكنها /349/ وجعلها دار ملكه . وكان تصدّق بجميع ماله وبعث الى صقلية الحسن بن إلياس عاملا عليها . فبعث الحسن سراياه فيها وفتح بها عدة حصون وأماكن ، ودانت له البلاد وصلاح حالها في أيامه .

ثم انتقل الى صقلية بنفسه فصار اليها ، وخلف على افريقية ولده أبا العباس أحمد ، وفتح فيها بنفسه الفتوحات العظيمة ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، وبقي ولده أبو العباس أحمد بافريقية ينوب أباه ابراهيم الى أن مات سنة ثمان وثمانين ومائتين .

ومات ابراهيم المذكور بالذّرب (الذرب ، داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه) ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين بصقلية ، فجعل في تابوت وحمل الى افريقية ودُفن بالقيروان ، فكانت ولايته خمساً وعشرين سنة . وتولّى بعده ولده عبد الله . (جاء في الدر (204) بعد قوله وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة «وفي أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعي بأرض كتامة يدعو الى الرضا من آل محمد ﷺ كذا حكاه ابن سعدون القيرواني ، انتهى ومنهم الامير أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد المتقدم ذكره . . .»).

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب

كانت ولايته من قبل المكتفي بالله ، فإنه تولّى بعد نحو الستة أشهر من خلافته . ومات أبوه في خلافته أيضاً ، لأنه خدم ثلاثة من الخلفاء وخطب لهم ، وهم المعتمد والمعتضد والمكتفي . هذا ، وكان عبد الله المذكور حسن السيرة ، كثير العدل ، صاحب معروف وإحسان . صار اليه الامر بعد أبيه ، فانتقل الى مدينة تونس ، وجعل مقامه بها وسكنها .

وكان قد حبس ولده زيادة الله على شرب الخمر ، فكره زيادة الله ذلك
واتفق مع ثلاثة من موالي أبيه الصقالبة /349ب/ على قتل أبيه . فأجابوه على
ذلك ، وقتلوا عبد الله بن ابراهيم باتفاق من ولده زيادة الله . وأحضروا له رأس
أبيه وهو في السجن . فأخرج من سجنه وقُدِّم للبيعة وولّى بعد أبيه . وكان مقتل
أبيه عبد الله سنة خمس وتسعين . وقال المؤيد سنة ست وتسعين ومائتين .

ولاية أبي مضر زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب

كانت ولايته في خلافة المقتدر بالله . استقل بالامر بعد قتل أبيه ودفنه بمدينة
تونس . وكان زيادة الله المذكور سيء السيرة ، أهمل الملك وأحوال الرعية ،
وتغافل عن مصالح العباد ، وانعكف على اللذات ، وانهك في الشراب واللهو ،
وجالس المغنين وأهل اللهو والمضحكين ، فكانوا لا يفارقونه ليلاً ونهاراً .

وقتل قتلة أبيه مع أنهم فعلوا ذلك باتفاق منه . وقتل من الاغلبة كل من
قدر عليه من أعمامه وإخوته وأهل بيته ، على غير جرم صدر منهم .

وفي أيامه قوي أمر أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة الدولة العلوية الفاطمية
بالمغرب . وكان أولاً بأرض كتامة ، يدعو الى الرضا من آل محمد ﷺ في أيام
جدّه ابراهيم بن الاغلب ، المقدم الذكر . واستفحل أمره في أيام زيادة الله هذا .
فأرسل اليه زياد الله جميع عسكره من تونس الى بلد سببية وكانوا أربعين ألفاً .
وقد أمر عليهم ابراهيم بن الاغلب ، وهو من بني عم زيادة /350/ لله
المذكور .

فتوجه ابراهيم الاغلبى الى أبي عبد الله الشيعي بسببية . فانهزم ابراهيم
الاغلبى مع عسكره ، واستفحل أبو عبد الله الشيعي ، وقوي أمره . وعلم زيادة
الله أن لا مقاومة له لِمَا رآه من هزيمة عسكره وضعف أمره . فجمع ما قدر
عليه من أمواله ، وأخذ عياله وأقاربه وأهل بيته وخرج فارّاً عن ملكه الى
المشرق . وذلك في أول خلافة المقتدر بالله . فبلغ زيادة الله مصر ، وكان بها

النوشري عاملا للمقتدر .

فكتب النوشري بأمره الى المقتدر . وسار زيادة الله الى أن بلغ الرقة ، فوافاه كتاب الخليفة المقتدر ، يأمره بالعود الى بلاده ، لقتال الشيعي . ويأمر النوشري عامل مصر أن يمدّ زيادة الله بما يحتاجه من المال والرجال . فأمره النوشري بالذهاب الى الحمامات ، ليخرج اليه ما يحتاجه من الرجال والأموال . فخرج زيادة الله وماطله النوشري ، وأطال مقام زيادة الله ينتظر ما يمدّه النوشري ، فتفرّق عنه أصحابه وتنابت به الامراض ، وسقط شعر لحيته (هنا جاء في الدرّ، الموضع السابق ، «فماطله العامل» . ولا ذكر فيه لعبارة «بالذهاب الى الحمامات» المذكورة في البلدان لليعقوبي والمسالك للبكري باسم ذات الحمام ولا إشارة فيه كذلك «لسقوط شعر لحيته») ، ومع هذا لا يفارق اللهو وملازمة الشرب واستماع الملاحم الى أن أيسست منه أصحابه ، فتفرقوا عنه وأيس هو من النوشري . فسار الى القدس ، يريد المقام بها . فمات بالرّملة ، ودفن بها ولم يبق بالمغرب من بني الاغلب أحد .

فكان زيادة الله المذكور آخرهم وبه انقضت أيامهم . فكانت مدة ملكهم مائة سنة واثنى عشرة سنة بالتقريب ، لأن جدّهم ابراهيم بن الاغلب كان ولاة الرشيد /350ب/ على افريقية سنة أربع وثمانين ومائة . ودامت أيامهم الى أن انقضت في خلافة المقتدر بالله سنة ست وتسعين ومائتين .

(جاء في ترتيب ولاة بني الاغلب في الدر 204أ : أبو العباس أحمد بن ابراهيم . ويعدّه : أبو ابراهيم محمد بن ابراهيم بن محمد بن الاغلب . وجاء فيه أيضا أن الذي قام بالامر بعد زيادة الله بن محمد هو ابن أخيه الامير أحمد . وأن الذي تولّى بعد محمد هو ابنه أحمد وذكر أنه «هو الذي بنى ماجل القيروان وجامع تونس وله وقعة مشهورة» .

وكان المقتدر بالله هو آخر الخلفاء من بني العباس الذين استولوا على

افريقية ، وخطب لهم بها قبل بني عبيد الفواطم ، لأن بني عبيد الشيعة كان ابتداء دولتهم بافريقية سنة ست وتسعين ومائتين ، حين انقضت منها بنو الاغلب وتمحضت لبني العبيد الشيعة ، وخطب لهم بها وانقطع ذكر بني العباس منها .

وكان المقتدر بالله هو الثامن عشر من بني العباس رحمهم الله تعالى . وهذا آخر ما أردناه من غرضنا من هذا الكتاب ، والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

ولكن حيث انتهى بنا الكلام الى المقتدر ، وكان هو الثامن عشر ، فينبغي أن نذكرهم ، أسماءهم ومددّهم على سبيل العدة والتحصيل ، ليحصل العلم بهم من غير إطناب ولا تطويل .

فنقول إنّ أولهم هو أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنه ، بويع له بالخلافة في ربيع الاول وقيل الآخر بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين مائة . ومات بالأنبار بالجذري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، ومدة خلافته من لدن قتل مروان الجعد الأموي أربع سنين . وكانت له بيعة أخرى قبل قتله بثمانية أشهر . وكان طويلاً أقنى ، حسن الوجه واللحية .

وثانيهم أبو جعفر المنصور ، /351/ بويع له بعد موت أخيه السفاح بالحجاز وكان حاجاً . فبايعه الناس بعهد من أخيه . ومات حاجاً أيضاً لست خلون من ذي الحجة ، ببئر ميمونة سنة ثمان وخمسين ومائة . ودفن بباب المعلى وعمره ثلاث وستون سنة . وخلافته اثنتان وعشرون سنة ، وثلاثة أشهر وكسر . وكان أسمر نحيفاً خفيف العارضين .

وثالثهم محمد المهدي بن عبد الله المنصور . بويع له بعد موت أبيه في منتصف ذي الحجة ببغداد ، وتوفي بأسبذان لثمانية بقين من المحرم سنة تسع

وستين ومائة . وعمره ثلاث وأربعون سنة . وخلافته عشر سنين وشهر .
ورابعهم موسى الهادي بن محمد المهدي . بويغ له يوم مات أبوه بعسكر
المهدي ، وكان بجرجان . وتوفي ليلة الجمعة منتصف ربيع الاول سنة سبعين
ومائة وعمره ستّ وعشرون سنة . وخلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر . وكان
طويلاً جسيماً ، أبيض بشفته العليا نقص .

وخامسهم هارون الرشيد .

وسادسهم محمد الأمين .

وسابعهم عبد الله المأمون .

وثامنهم محمد المعتصم .

وتاسعهم هارون الواثق .

وعاشرهم جعفر المتوكل .

وقد جعلنا لهذه الستة ، لكل واحد منهم ، باباً يخصّه . فراجع ذلك إن
شئت ، إذ هم المقصودون من هذا الكتاب .

وحادي عشرهم محمد المنتصر بن جعفر المتوكل . بويغ له يوم قتل أبوه
المتوكل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . ومات في ربيع الاول سنة ثمان
وأربعين / 351ب / ومائتين بسامرا ، وعمره خمس وعشرون سنة وستة أشهر .
وخلافته ستة أشهر ويومين . وكان قصيراً أعين أفتى ، كثير اللحم ، راحج
العقل مهيّباً كثير الانصاف .

وثاني عشرهم أحمد المستعين بن محمد المعتصم . بويغ له يوم دفن المتوكل ،
ونخلع يوم الجمعة رابع المحرم ، فاتح سنة اثنتين وخمسين ومائتين . وقتل
مخلوعاً في تلك السنة ، وعمره أربع وعشرون سنة ، وخلافته الى أن نخلع ثلاث
سنين وتسعة أشهر وكسراً .

وثالث عشرهم أبو عبد الله محمد المعتز . وقيل اسمه الزبير ، وهو ابن جعفر

المتوكل ، ببيع له وهو مسجون في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وتم له الامر بعد خلع المستعين . وخلع المعتز يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن دخلت عليه جماعة من الجند طالبين أرزاقهم ، وجروه برجله الى باب الحجرة ، ولطموه وضربوه بالدبابيس ، وخرقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس ، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر . وعذبوه ومنعوه الطعام ثلاثة أيام ، وجصصوا عليه سرداباً . فمات ودفن بسامرا مع المنتصر . وعمره أربع وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً ، وخلافته من بيعته الى خلعه أربع سنين وسبعة أشهر الا سبعة أيام . وكان أبيض أسود الشعر .

ورابع عشرهم محمد المهدي بن هارون الواثق . يوم 352/ خلع المعتز . وخلع المهدي في منتصف رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، بعد أن قامت عليه الاتراك ، وهرب الى بعض الدور . فأُسيك وصُفَع ودسوا خِصيتيه ، ومات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من الشهر المذكور ، ودفن بمقبرة المنتصر ، وعمره ثمان وثلاثين سنة . وخلافته أحد عشر شهراً ونصف . وكان أسمر عظيم البطن ، قصيراً طويل اللحية . وكان ورعاً كثير العبادة ، قصد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية .

وخامس عشرهم أبو العباس أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل . أُخرج من الحبس وبُيع له حين خلع المهدي . وتوفي لأحد عشر ليلة بقين من رجب ببغداد سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهو على الشط بعد أن أكل وأكثر من الشراب . وعمره خمسون سنة وستة أشهر وخلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أيام . وكان قد تحكّم عليه في خلافته أخوه أبو أحمد طلحة الموفق بن جعفر المتوكل ، وضيّق عليه حتى أنه احتاج الى ثلاثمائة دينار ، فلم يجدها في ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

وكان الموفق المذكور قد بوع له بولاية العهد من المتوكل ، وبعده المفوض جعفر بن المعتمد . فمات الموفق في خلافة المعتمد في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين . وبايعوا بالعهد لابنه أبي العباس المعتضد وخلعوا المفوض من 352ب/ العهد ، وتولى المعتضد ما كان يتولاه أبوه الموفق .

وسادس عشرهم أبو العباس أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل . بوع له حين مات عمّه المعتمد ، وتوفي لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . ومولده كان في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وخلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وهو واسطة بني العباس . كان شهماً مهيئاً عند أصحابه يتقون سطوته ، ويكفون عن المظالم خوفاً منه . وكان عفيفاً ، حلف أنه ما حلّ سراويله على حرام قط . إلا أنه فيه الشح . وكان يقول حين حضرته الوفاة أبياتاً منها :

ولا تأمن الدهر إنّي أمتّه فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقاً
قتلت صناديد الرجال ولم أدغ عدوا ولم أمهل على طفة خلّقا
وأخليت دار الملك من كل نازع فشردتهم غرباً ومزقتهم شرقاً
فلما بلغت النجم عزاً ورفعته وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقاً
رماني الردى سهماً فأحمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عجلاً ألقى

وسابع عشرهم أبو الحسن علي المكتفي بالله بن أحمد المعتضد . بوع له بالرقّة ، وأخذت له البيعة ببغداد حين مات أبوه ، وتوفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، بعد أن مرض عدة شهور وعمره ثلاث وثلاثون سنة وخلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . وكان ربعة ، جميلاً دقيقاً 353/ السمرة وافر اللحية ، حسن

الوجه والشعر .

وثامن عشرهم أبو الفضل جعفر بن المعتضد الملقب بالمقتدر . بويع له يوم مات أبوه ، وعمره ثلاث عشرة سنة . وقتل وحز رأسه في قتال مؤسس الخادم وهو مُغاضب له سنة عشرين وثلاثمائة . وتولى بعده محمد القاهر بالله بن المعتضد .

وعُمر المقتدر لِمَا قتل ثمان وثلاثون سنة . وخلافته أربع وعشرون سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً .

وكان ثَقِيل البدن ، عَظِيم الجثة . وكان أَهْمَل أحوال الخلافة ، وَحَكَمَ فِيهَا النساء والخدم ، وفَرَطَ فِي الْأموال واستولت عليه بعض الوزراء . وكان قد عَزَلَ ، كما قدمنا ذلك استطرادًا فِي خلافة الأمين (109ب) ، واستخلف فِي أيامه فِي العزلة الأولى عبد الله بن المعتز يوماً واحداً ، وفي العزلة الثانية محمد القاهر المذكور يومين . ورجعت الخلافة إلى المقتدر إلى أن قتل فِي السنة المذكورة . وتولى بعده ثانياً محمد القاهر المذكور .

فكان المقتدر هو آخر الخلفاء من بني العباس بافريقية . ثم صارت الخلافة لبني العبيد القواطم بافريقية ، وقُسُمُوا بِالْبِلَاد مع بني العباس إلى أن استولوا على مصر وغيرها . انتهى كذا نقلناه من تاريخ المؤيد ، من أماكن منه . وراجعنا فيه ذكر بني الأغلب ، مع ما نقلناه من المسودة بعزو لابن الشباط وابن الشّماع وغيرهما ؛ إلا أن فِيهِ تَخْلِيط . فصَحَحْنَا ذلك من المختصر للمؤيد رحمه الله تعالى .

وهذا آخر ما أردناه من هذا الكتاب ، والله الموفق /353ب/ للصواب ، واليه المرجع والمآب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على نبيه محمد المصطفى الكريم ، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل العميم .

قال مؤلفه الفقير إلى الله الديان حسين بن محمد وادران : ووافق الفراغ من

تبييض هذا الكتاب في أول جزء من نصف السدس الخامس ، في أول سبع من السبع السابع ، من الخمس الخامس ، من السدس الخامس ، من الربع الثالث ، من الثلث الثاني ، وهو ثاني الخمس الأول ، من العُشر الثامن ، من ثاني السدس السادس من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية وعلى آله وأصحابه خير آل ، والحمد لله على الإكمال . انتهى .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

التعالیق



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

التعليق على كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

إشارات :

- الصفحة . . والفقرة . . وموضوع التعليق . .
- الأرقام بعد (ص) تشير الى صفحات المخطوط ، وبعد (ف) الى الفقرات داخل كل صفحة .
- تبدأ الفقرة الاولى من كل صفحة بعد أول رجوع للسطر من بداية رقم الصفحة .
- عند عدم ذكر الفقرة فإن موضوع التعليق يقع بعد بداية رقم الصفحة المذكورة مباشرة .
- لا يعدّ العنوان فقرة مستقلة ، وكذلك المقدمات التي تقل عن سطر والتي تعلن عن موضوع الفقرة أو الفقرات التالية .
- (الدر) ، هو كتاب «المختار من الدرّ المكنون المنتظم في خلافة الرشيد والامين والمأمون والمعتصم» الذي قابلنا نسخته المخطوطة على ابن وادران ، كما ذكرنا ذلك في المقدمة .

3ب ، ف1 ، الرشيد (ترجمة الرشيد وأخباره مذكورة هنا من مصادر

متنوعة عديدة ، وكذلك تراجم الخلفاء الخمسة الآخرين بعده و الأمراء والقواد والكتاب والشعراء والعلماء والفنانيين وغيرهم ممن عاصرهم . وكان يطول بنا العذ والحصر والتنقيب لو تتبعناها كلها في المصادر والمراجع الحديثة المطبوعة . وللرجوع الى الاساسي منها ينظر في دائرة المعارف الاسلامية أو قاموس الاعلام للزركلي . وما ذكرناه منها فعلى سبيل المثال لا الاستقصاء كما في حالة الرشيد هنا : تاريخ بغداد 5/14 ، البداية والنهاية 213/10 ، فوات الوفيات 225/4 ، الديارات 144 ، تاريخ الخلفاء 307 ، تاريخ الخميس 331/2 ، الفخري 175 ، معجم المرزباني 462 ، الزركشي 340 ، الروحي 48 ، خلاصة الذهب المسبوك (107) . . الملك المؤيد (المختصر 12/2) .

ف2 ، ما حكاه بعضهم (انظر الفرج بعد الشدة 5-284 . والرواية هنا في نصنا أكمل) .

5ب ، ف1 ، تاريخ الخميس (تاريخ الخميس في أحوال النفس والنفس لحسين بن محمد الدياربركي ، مجلدان ، طبع مصر 1283هـ . والخبر هنا مذكور في المختار من الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمعتصم 4أ ، وهو المخطوط المشار اليه اختصارا فيما يلي بالدرّ) . . عن اليافعي (اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي ، مؤرخ ، باحث متصوّف من شافعية اليمن (-768هـ) ، من كتبه مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان . 4 أجزاء ، ط. حيدرآباد الدكن 1337-1339هـ) . . كانت المواكب تهندي (كذا في الاصل ، ولها وجه ، ولعلها «تغندي» . وفي بعض المراجع : تغدو . .) . . بكلام لحّ (كذا في الاصل مع شكلا لحرف الاخير ، وفي الدرّ 4أ «لحّح» ، وفي بعض المراجع «وألحّ فيه») . . حتى مات (في الدرّ 4أ ، مع هذه الاضافة : «حتى مات ، وكان قصده هلاك الرشيد ليولي العهد لولد له صغير عمره عشر سنين كما ذكرنا» .

ف2 ، قال البكري (الدرّ ، 3ب) .

ف3 ، قال بعضهم (الدرّ ، 3ب) .

ف6 ، وقال الملك المؤيد (المختصر 12/2 «وكان بشفته العليا تقلّص» ، «بعيساباذا الكبرى») . . ودفن بعيساباذ (في الاصل : بعيشاباذ ، والتصحيح من البداية 158/10) .

ف7 ، وذكر في الإحياء (إحياء علوم الدين للغزالي (-505هـ) طبع مصر) .

أ6 ، ف1 ، نفطويه في تاريخه (نفطويه هو ابراهيم بن محمد الازدي المتوفى 323هـ . إمام في النحو على مذهب سيويه . ذكر له ابن النديم في الفهرست من كتبه «كتاب التاريخ» . الدرّ 4أ) .

ف3 ، ابن عساكر (وروى ابن الاثير (البداية 217/10) قريباً من هذا القول منسوباً الى الجاحظ . الدرّ 4ب) .

ف4 ، حياة الحيوان (حياة الحيوان الكبرى للدميري ، نشر المكتبة الاسلامية ، القاهرة) . مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

6ب ، ف1 ، المؤيد (المختصر 120/1) .

ف2 ، أمّ الرشيد (الدرّ 4ب ، ذكر وفاة الخيزران أم الرشيد ، شبه عنوان) . . وبرّ قسّمه (الدرّ 4ب ، وبعده : كما سنذكره إن شاء الله) .

ف3 ، كان الرشيد (الدرّ 4ب) . 7أ و 7ب . . (نقص ورقة كاملة) . (الدرّ 91أ من أول الخبر والزيادة بين معقوفين من الأغاني . وفي الدرّ 91أ) . . إذ أنا بجارية (في الاغاني «بجارية حمراء») .

ف2 ، حرف منه (في الاصل ، لم يدر حرف منه . وفي الدرّ : «لم يدر لي حرف منه») . . دارلي (في الاصل : «ما داري») . . فقطبت في (في بعض المراجع «فقطنت») . . فضربت بيدي (في الاصل : ضربت يدي ، وفي الاغاني «ضربت بيدي») . . أن تلقى (في الاصل «تلق» ، و«نلتقي» ولا وجه له) .

8ب ، الباب المحوّل (في الاغانى «باب محوّل») . . شارع الميدان (في الاغانى «شارع المدينة») .

ف1 ، سلام الابرش (خدم للمنصور وتولّى المظالم للمهدي والهادي والرشيد) . . بغسول (الغسول ، الماء يغتسل به ، أو ما يغتسل به من أشنان) . . والتكثير (كذا في الاصل ، وفي الدرّ «والتكبير») .

أ9 ، يغني بصوت لي (الكلل ، مفرد كلة ، وهي ستر يخاط كالبيت (ناموسية) . والشعر هنا مطابق لما في الدرّ ، ص 19أ ، وفي الاغانى وبعض المراجع «كأن الريح ترجعها» أو «كأن المشي يوحشها» . اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع) .

ف1 ، بصوت لحنين (في البيت الاول : «صافي . . » والهجان : الابيض الخالص من كل شيء) .

ف2 ، فشبه فيه (شبه فيه ، يريد لم يؤده على وجهه) ، والشعر . . (البيت الثاني : «ذي بقر» ، والبيت الثالث : «بحشرق» . ومسبكر) .

ف3 ، تغنت الثانية (الدرّ 20ب : بشعر جرير) . . الخنساء (في الاصل ، البيت الاول : « . . فما بصرت» . وفي الثاني «ثائرا» ولا يستقيم الوزن) .

ف4 ، عمرو بن معدى كرب (في البيت الثاني : نزار على وفر . . ، في بعض المراجع) . . عمر بن أبي ربيعة (في البيت الاول «وقفنا» ، ولا يستقيم به الوزن . وفي البيت الاخير : يروى «تنازعن») .

ف5 ، دُستان (الدستان مفرد دساتين وهي الرباطات التي توضع عليها الاصابع في العود ، راجع عنها مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ص 40) . . وعاد الخادم فقال : كذبت (يوجد نقص هنا في الاغانى تفطن اليه محققوه بالهامش 1 . الاغانى 317/6) .

أ11 ، جَوَارٍ (في الاغانى : «وكل آلة من الخدم وخول الى جوار» . ورواية

النص هنا أصبح) . . أجلة (جلة) .

ف1 ، لتنوشي (غير مذكور في الفرج بعد الشدة ، الاغاني طبعة دار الكتب . 311/6 ، الدرّ 12 ب) . . فأحثلُ شيئا (في الاصل «اجلت» حثل شيئا ، يقصد تناول غذاء سيئا) . . خبر السوداء (انظر تعليقنا على الجارية في أول الخبر ، جارية حميراء) .

ف3 ، بن حسن بن الحسن (في الاصل «بن حسين بن حسن» . انظر مقاتل الطالبين 308) . . المؤيد (المختصر 13/2) .

ف4 ، المؤيد (13/2) .

12أ ، [جماعة من مضر] (الزيادة من المختصر) .

ف1 ، الفرج بن فضالة (الفرج بن فضالة التنوشي الحمصي كان علي بيت المال ببغداد ، بداية 171/10) وصالح بن بشير (في الاصل «بن بشر» ، وهو صالح بن بشير القاريء المري ، بداية 170/10) . . ابن أبي شريك (وفيات (291) 467/2 . وهو أبو عبد الله . من نسل ابراهيم النخعي تولّى القضاء بالكوفة) . . عبد الله بن مصعب (في الاصل «مصعب بن عبد الله» الوفيات : عبد الله بن مصعب ، وكان المهدي استعمله في اليمامة . وتوفي سنة 184هـ) .

12ب ، من المخ وغيره (في الوفيات «من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك») . . فقايضه (في الاصل «فياقضه» وفي الوفيات «فضايقه» واستقرنا عبارة المؤلف مع تصحيحها) .

ف1 ، حماد (انظر ترجمة حماد في الوفيات 205/2) . . تاريخ العظمي (في الدرّ 5أ «كذا حكاه في تاريخ العاصمي») .

ف3 ، الاغاني (الدرّ 81أ . وأخبار ربيعة الرقي في الاغاني 254/16-297) . . يقول فيها (في الاصل أما . . وفي الدرّ 81أ «ما أعد المكارم . .») .

13أ ، ف1 ، قال (الدرّ 18أ والاعاني 258/16) : وكان الرقي . . بيرنية

(البرنية ، إناء من خزف) . . من بحر (في الاغاني «من شحر عمان» والشحر هو الساحل . وهو المعنى في النص هنا) .

14أ ، بثلاثين ألف درهم (بعد هذه الحكاية أورد الدرّ 18أ : حدث عبد الله بن شبيب قال إن رجلين لقيا الرشيد لمّا حج فقال أحدهما يا أمير المؤمنين أهلكتنا النوائب الخ . . لشتان ما بين اليزيديين . . قال أبو دعامة . .) .

ف1 ، و وفاة إمام (الدرّ 5أ «فصل في وفاة الامام مالك رضي الله عنه») .

ف2 ، مالك بن أنس (مالك بن أنس (93-176هـ) الديباج المذهب ، 17-30 ، وفيات 4/135-139 ، تهذيب التهذيب 10/5 . صفة الصفوة 2/99 ، حلية 6/316 ، ذيل المذيل 106 ، الانتقاء 9-47 ، الخميس 2/352 ، الباب 3/86 . ورسالة مالك الى الرشيد مشهورة وإن كان أنكرها بعضهم . انظر الديباج ، ص27) .

ف3 ، مالك (الدرّ ، 15أ) . . ربيعة الرأي (ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن فروخ . وفيات 2/288-290) .

ف4 ، في الحلية (حلية الأولياء 6/317) .

ف5 ، عض العلماء (المرجع السابق والديباج ، ص 24 . ويروى البيتان باقل بلاغة مما هنا : «يأبى الجواب فلا يراجع . . » ، «أدب الوقار وعز سلطان التقى ، فهو المطاع») .

ف6 ، النووي (النووي (676هـ) ، تهذيب الاسماء واللغات ، ط . أوروبا ، ص 530) .

15ب ، وهو عبد الله (شذرات الذهب 1/306 وفيه «عبد الله» ثانية بعد الاولى وهو الصواب) .

ف2 ، التمهيد (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ، للحافظ ابن عبد البرّ النعمري الاندلسي (-463هـ) ط. المغرب 1387/1967) .

ف3 ، وفي الاخبار (الدرّ 6أ) .

16أ ، ف2 ، وفيه أيضًا (الدرّ 6ب) . . مالك النجم (الدرّ 6ب : فمالك هو النجم الثاقب) .

ف3 ، ونقل المؤيد (المختصر 14/2) .

16ب ، ف1 ، وروي أنّ أبا جعفر المنصور (الدرّ 6ب) . . في الطلاق المكره (الدرّ 6ب : في طلاق المكره) .

ف2 ، وذكر المؤيد (المختصر 14/2) . . وكلّ ذلك بفضل العلم (عبارة «وكلّ ذلك بفضل العلم» ليست في المختصر . ووفيات 137/4) .

ف3 ، قال ابن فضل (الدرّ 6ب : قال ابن بطال) . . ما قاله يحيى بن يحيى :
(يحيى بن يحيى الليثي ، من قبيلة مصمودة من وسلاس ومعناها بالبربرية «يسمعهم» . رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ ، وكان مالك يسميه عاقل الاندلس ، ترجمته في ابن الفرضي 44 ، الجذوة 359 ، المغرب 163/1 ، الدياج 350 ، نفح الطيب 9/2 ، عبر الذهبي 419/1 ، مرآة الجنان 113/2 ، المدارك 143 ، ابن خلكان 143/6 وفيه قال ابن حزم : مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان ، مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف صاحب أبي حنيفة كان القضاة من قبله ، فكان لا يولّي قضاء البلدان من أقصى المشرق الى أقصى افريقية إلا أصحابه والمنتسبين اليه والى مذهبه ، ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الاندلس فإنّ يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة فكان لا يلي قاضيا في أقطار بلاد الاندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ اعراضهم به ، على إنّ يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه ، وكان زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم . . ويحيى هذا من المصامدة من وسلاس ومعناها بالبربرية «يسمعهم» . ابن خلكان 146/6) .

- 17أ ف 1 ، حَتَمْتُ (في الدرّ : أحتمت) .
- 17ب ، فليس (في الدرّ : ليس . .) بيني . .
- ف2 ، أقوام بدؤوا (في الاصل : بدؤ . و لعلها بدؤوا) .
- ف4 ، وقال الواقدي (الدرّ 7 ب) .
- 18أ ، ف1 ، وفي الحلية (الدرّ 7ب وانظر ترجمة الشافعي في الحلية 63/9) . . الشيخ الامام (الدرّ 8ب والعبارة فيه : شيخ مشايخنا) .
- ف3 ، كتاب الفرج بعد الشدة (للتنوخي 325 . وفيه «ولا يضرّ أن نحجمه فأحضر وتقدّمت» . ونصنا هنا أكمل . وفيه أيضا «يصفرّ لونه» وهو خطأ واضح) . . خلط فيها (الدرّ 8ب . في الاصل : شيئا خلط فيه) . . لم يشك (في الاصل : لم يشكك) وحضر ابنه (الدرّ 8ب في الاصل : حضر ابنه) . . ومست (في الدرّ : وجست) عرقه .
- 18ب ، دينار (هناك اختلافات كثيرة في عبارات التنوخي عما هنا) .
- 19ب ، مناهج التوسّل إلى مباحج التوسّل (مباحج التوسّل إلى مباحج التوسّل لعبد الرحمن بن محمد الحنفي البسطامي ، طبع في آخر كتاب جنان الجناس في علم البديع . ط. الجوائب القسطنطينية 1299 ، ما نصّه (مناهج 153-154 وبروايته نقص) . . جبريل بن بختشوع (الكتابة المشهورة «بختيشوع» بالياء) . . وطعم (في مناهج التوسّل «طعم» ، في الأصل : طمع . ولعلها سبق لسان) .
- 20ب ، تزوّج العباسة (في الدرّ : العباسية) .
- ف1 ، قد تقدّم ذكر عبد الصّمد بن علي (الدرّ 14ب . عبد الصّمد بن علي الهاشمي . وفيات (388) 195/3-196 ، تاريخ بغداد 37/11 ، الحميان 153 ، عبر الذهبي 290/1 ، ميزان الاعتدال 620/2) .
- ف3 ، قيل (الدرّ 14ب . تاريخ بغداد 38/11) . . وعم عم عم أمير

- المؤمنين (في تاريخ بغداد «وعم عمّه وعم عم عمّه» . . ومنها (الدرّ 14ب) .
- 20 ب ، قطعة واحدة . ومنها (الدرّ 14ب . تاريخ بغداد 38/11) .
- ف1 ، ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة (الدرّ 8أ) .
- 21أ ، ف3 ، قال (الدرّ 10ب) : دعاني الرشيد .
- 21ب ، ف1 ، الرشيد (ذكر ابن خلكان هذه القصة بأكثر تفاصيل 6/
- 385-86) .
- ف2 ، قبل (الدرّ 11ب) إن الرشيد .
- 22أ ، ف1 ، التنوخي (الدرّ 10أ) . غير موجودة في الفرج بعد الشدة ،
- وذكرها ابن خلكان ، وفيات 381/6 في ترجمة أبي يوسف ، 824) .
- 23ب ف1 ، وذكر التنوخي (الدرّ 11أ) .
- ف4 ، وروي عنه (الدرّ 11ب) . توجد هذه الرواية بشيء من الاختلاف
- في العبارة في الوفيات في ترجمة أبي يوسف 380/6 . وهي هنا أكمل) .
- 24أ ، ف2 ، أبي حنيفة (ترجمة أبي حنيفة النعمان في الوفيات 765)
- 415-405/5 ، البداية والنهاية 107/10 ، الشذرات 227/1 ، تاريخ
- بغداد 323/13) .
- 24ب ، ف2 ، قال الملك المؤيد (المختصر 5/2 «مسه الزرق فأعتق» . .
- زوطى (في الاصل : زوطا) . . فأعتق (في الاصل : فعتق) .
- 25أ ، ف1 ، أبو الطفيل (في الاصل «الطفل») . . أهل النقل (وفيات .
- 406/5 ، تاريخ بغداد 324/13) .
- ف2 ، سبعة آلاف مرة (تاريخ بغداد 354/13) . . العربية (قيل لكلمة
- قالها ، أجرى فيها ما وزنه على الاسماء الستة المعربة بأعراب واحد في جميع
- الاحوال ، على مذهب أهل الكوفة . وفيات 413/5) .
- ف3 ، وروى أن أبا حنيفة (الدرّ 12أ) .

25ب ، ف1 ، قال المؤيد (المختصر 15/2) . . أبو يوسف القاضي (انظر ترجمة أبي يوسف القاضي في ابن خلكان ، 824 ، 378/6 ، البداية والنهاية 180/10 ، اخبار القضاة 254/3 ، وفيه (256/3) أن النبيذ الجمهوري أدخله أبو حنيفة . شذرات 298/1 ، عبر الذهبي 284/1) . . خيشمة (أبقينا على صورة هذا الاسم «خيشمة» كما جاء هنا ، لانه في ابن خلكان «حبتة» وعلق عليه المحقق بانه لم يجد له تصحيحًا في عدة مواضع من الكتب) .

26أ ، . . بعضهم (الدرّ 12ب) . . قدت (لم تتبين لنا هذه الكلمة ، فين أن تكون بالراء أو بالدال . وملنا الى كونها من القود موضوع العنوان ، غير أننا توقفنا في تأنيها المفتوحة) داهمت وعامة خالفت .

ف1 ، قيل (في الدرّ في الهامش 12ب) .

غضب أمير وغيظ (في الاصل «غضب») وزير .

ف2 ، حكى (الدرّ 12أ وأورد أقوال أبي يوسف في 115ب و116أ) .

26ب ، ولا مبالاة (في الاصل «لامبالاة») . . وكتب به (في الاصل : بالاسود . وخيرنا ما في الدرّ) .

ف1 ، حكى (الدرّ في الهامش 12ب) . . من العزة (في الدرّ : الغيرة) .

ف2 ، وحكى (ابن خلكان 387/6) .

27ب ، كيمُخت (في ملحق دوزي للمعاجم العربية 506/2 ، الكيمخت نوع من الجلد) .

28أ ، ف1 في السراج (لعله سراج الملوك للطروطوشي . وطبع في الاسكندرية 1289) . . في العرزال (في الصحاح ، العرزال : موضع يتخذ الناطور فوق أطراف الشجر فرارًا من الاسد ، وهو أيضًا ما يجمعه الصائد في الفترة من القديد . وفي المعجم الوسيط : المتاع القليل . ويظهر أن المقصود هنا في الركاب) .

28 ب ، ابن عبد البرّ (صاحب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد) .. عقيل ابن أبي طالب (في ابن خلكان «بالغ معاوية في برّه إرغاما لعلي رضي الله عنه» وفيات 156/6) .

ف1 ، المختصر (المختصر 188/1) . . أروى بنت الحارث . . (ترجمة أروى في طبقات ابن سعد 50/8 ، والخبر مذكور في العقد 119/2) . . يا خالة («يا عمّه» في العقد ، وكذا في بلاغات النساء ، وعليه فبعدها «يا ابن أخي») .

29 أ ، عمرو بن العاصي (كذا في الاصل ، بالياء ، ويكتب بدونها في بعض المصادر) . . يا ابن الباغية (في الاصل : النابغة وكذا في العقد ، ويظهر أن المقصود الذم «الباغية») . . على شدة (في الاصل : مدة ، وفي بعض المراجع «شدة») . . أنصرفت (وفي رواية العقد تقول إنها لم تجب معاوية لحاجة منه) . ف2 ، (البيت الثالث في الاصل : والعار ، وفي الثالث : تأججها) .

29 ب ، ف2 ، أعنت على علي بثلاث (الزيادة من المؤيد) . . وأخلى (في بعض المراجع : خلى) .

ف3 ، حياة الحيوان (260/1) .

30 أ ف1 ، وهو يتصحّف (في الاصل «يتصفح») . . أصحاب الدرجة (في الديميري 260/1 «أصحاب الوجوه») .

ف2 ، طريف الشيباني (الدرّ 14 ب . والكامل لابن الاثير 97/5) .

30 ب ، ف1 ، وهو (الدرّ 14 أ تحت عنوان ذكر وفاة يزيد بن يزيد) يزيد .

31 أ ، ف1 ، وحكى الاصفهاني (في الدرّ قال أبو الفرج الاصفهاني في كتابه مختار الاغاني) . . الوليد بن طريف الشيباني (ترجمته في الوفيات (771) 30/6 . وأخباره في تاريخ الطبري وابن الاثير والنجوم الزاهرة 95/2)

واليعقوبي ومروج الذهب والعيون الحقائق ومرآة الجنان 370/1 وعبر الذهبي
272/1) . . يزيد بن يزيد (وفيات الاعيان (820) 324-327/6 وألف
عبد الجبار الجومرد كتاباً في سيرة يزيد بن يزيد) . . شهر رمضان (في
الوفيات (32/6) «عشية أول خميس في شهر رمضان» .

ف2 ، ليلي (قال ابن خلكان (32/6) تسمى الفارعة وقيل فاطمة) .

31ب ، أبياتاً منها (قال ابن خلكان يصف قصيدتها : «وهي قليلة الوجود
ولم أجد في مجاميع كتب الادب إلا بعضها . . فاتفق أني ظفرت بها كاملة
فأثبتها لغرابتها مع حسنها» . الايات الواردة هنا تختلف في روايتها عما أثبتته
ابن خلكان . والبيت الرابع في النص فيه كلمة بها نقص وأمامها فراغ بقدرها ،
صورتها «الر» وهي في ابن خلكان «الزاد» . ولا تبدو لنا لها وجه) .

ف1 ، فقال فيه (شرح ديوان مسلم بن الوليد . تحقيق سامي الدهان ، ط .
المعارف مصر 9-21 ، الشعر والشعراء 834) .

ف2 ، والقَلْل (ويروى : الغلل) .

32أ ، الرئاسات (في المصادر «الراشيات له» وهو أضعف مما هنا في المعنى .
مع اختلافات أخرى في رواية هذا الشعر . ففي البيت الخامس «تقري الضيوف
شحوم الكوم والبزل» والمعنى أبلغ هنا بدليل لفظ الشحوم . والكوم جمع
كوماء وهي الناقة العالية السنام والبزل جمع بزول وهو البعير . والخول ، الذين
يملكون) . . يأتي (ويروى : يأتي) لك الذم في يوميك . .

32ب ، فأنشد معن متمثلاً (وردت هذه القصة في شرح ديوانه
434-435) .

ف1 ، قفارة (في الاصل «الفقار» بتقديم القاف . وظننا أنها زلة قلم ؛
لكن وقد تكررت فيما بعد أصبحنا نشكك في ذلك ، لان المشهور «ذو الفقار»
لا العكس) .

ف2 ، جمهرة النسب (الدرّ 16أ . كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي .
والخبر مذكور في وفيات 6/329-330) .

ف2 ، قفارة (انظر التعليق قبله) .

ف3 ، وقال المعري (الدرّ 16ب . في سقط الزند ، انظر شرح ديوانه 412
و446) .

33أ ، يقول («تغرّ بها» في شرح الديوان «وثقن بها» ص 12 ولم تذكر
رواية أخرى للبيت ؛ مما يقرّر أهمية نصنا) .

ف1 ، وقيل (شرح ديوانه 440 ، نقلا عن الغيث المسجم للصفدي
187/2) : يزيد . . بيدها غراف (كلمة غراف غير واردة في الغيث المسجم) .

33ب ، ف1 ، بن مزيد (شرح ديوانه 371 . نقلا عن الاغاني) .

ف2 ، ذكر عون (الدرّ 16ب . في الوفيات 6/337 : «ذكر ابن أبي
عون في الاجوبة المسكتة») .

ف3 ، محمد بن يزيد بن مزيد (ترجمته في وفيات الاعيان ، 337 ،
6/341) .

34أ ، صاحب الاغاني (الدرّ 17أ . الاغاني 18/325-326 ، وفيات
6/339) . . بردعة (كذا ضبطها ابن خلكان وكتبها غيره بالذال) . . من بلد
دران («إران» في الوفيات 6/340) . . فقال يرثيه (شرح ديوانه 313 ،
314) .

ف1 ، بأبيات منها (شرح ديوانه وفيه البيت الثاني «كان بها الصعيد» ،
والبيت الرابع شطره «دعائمه وهل شاب الوليد» ، والبيت الثامن «تختزن
البواكي» وأبلغ منها هنا كلمة «الموالى» الواردة في النص) . الخبر في شرح
ديوانه نقلا عن الاغاني 373 والبيت من قصيدته في الديوان 122 . ورواية
البيت فيه «وصدّقها» . والمعنى أقوى هنا) .

- 34ب ، كان مسلم (الخبر في شرح ديوانه نقلا عن الاغاني ، 373 والبيت من قصيدته في الديوان 122) .
- ف2 ، سعيد المروزي (الدرّ : 17أ . الخبر في الاغاني ونقله محقق ديوان مسلم بن الوليد ، 378) .
- ف3 ، ودخل (الدرّ 17ب) مسلم . . فأنشد (شرح ديوانه 263-264 وفي البيت الاول «أتتك المطايا» .
- 35أ ، ف2 ، وروي (الدرّ 17ب . في الاغاني وعنه نقل هذا الخبر في شرح ديوانه 366) . . في رجل قد رثاه (شرح ديوانه 320) .
- ف3 ، بالشجاعة (شرح ديوانه 321) .
- ف4 ، والاخلاق (شرح ديوانه 321) .
- 35ب ، قيل (الدرّ 13ب . وفيات 308/5) لما حج .
- ف1 ، وكان (الدرّ 13ب باختصار) .
- ف2 ، وذكر ابن خلكان (في ترجمة موسى الكاظم ، 746 ، 309/5 ، ميزان الاعتدال : 201/4 وعبر الذهبي 115/4) .
- 36أ ، وهو موسى (الدرّ 13ب) . . ولقب (الدرّ 13ب) .
- 36ب ، ف1 (الدرّ 13ب) .
- ف2 ، فائدة (الدرّ 14ب) .
- 37أ ، ف1 ، ابن خلكان (ترجمته 131 ، 327/1) .
- ف3 ، حكاية المؤيد (المختصر 5/1) .
- ف4 ، ذكر ابن خلكان (الدرّ 14أ . ترجمته 131 . 328/1) . . في مُحَرَّم (في ابن خلكان «في محرم كسر رباعية . . . فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية» . ولم تبد لنا عبارة المؤلف هنا أقل وضوحا) . . (المصائد 202) .

- ف5 ، وروي (الدرّ 14 ب ، السطر قبل الاخير) .
- 37ب ، ف1 ، مختار الأغاني (الدرّ 21 ب . وأورد الخبر النويري ، نهاية الارب 327/5 . والاغاني 41 / 81) . . مازدة (في النويري : «ماردة») .
- أ38 ، حتى قيل (النويري : 94/5) .
- ف2 ، وحكي (الدرّ 22أ . مما حكاه اسحاق وأحمد بن الطيب ، النويري ، نهاية الارب 94/5) .
- 38ب ، ومما قيل (الشعر لعقيد في النويري ، نهاية 94/5-95) .
- ف2 ، بذات الخال (الدرّ 24 ب . شيء من أخبارها في النويري . نهاية 91/5) . . ألف دينار (درهم) .
- أ39 ، في المعنى شيئاً فقال (البيت الثاني ، عبارته في المراجع «تعطفت» وأبلغ منه هنا رواية المؤلف) .
- ف2 ، وكانت ذات الخال (الخبر في النويري ، نهاية ، 92/5) . . بدلة (في الاصل تصحيح للعبارة في كتابتها الاولى بالنون بعد الدال ، وهي في المراجع «بدنة» وهو قميص للنساء لا كمين له . وبدلة ، المخيرة في النص أعم وأشمل ؛ لان المقصود به لباس كامل للمرأة) .
- ف3 ، وهو العباس (الدرّ 32ب) قوله (ديوانه 116) . والبيت الثاني العبارة فيه وقع تصحيحها وربما روايتها على غير وجه البلاغة في الشعر ، فاللفظ فيها «يعينك دمعها المدرار» . بينما تكرر اللفظ الاول مقصود لذاته) .
- 39ب ، ف1 ، قالها (ديوانه 84) .
- ف2 ، الحرمازي (ديوانه 282) .
- ف3 ، للعباس قوله (الدرّ 33أ . ديوانه 147) .
- أ40 ، وهو قوله (ديوانه 81) .
- ف1 ، ميمون بن هارون (الدرّ 33أ) . . العباس بن الاحنف (ديوانه 116) .

ف2 ، وعن اسحاق بن ابراهيم (الدرّ 25أ) . . العباس بن الاحنف (ديوانه 206).

40ب ، ف3 ، قال ابن الأغرّ (الدرّ 25أ) .

40ب ، ف. . ، ابن مجمع (الدرّ 25أ) .

ف. . ، وأمّ حكيم (الدرّ 25أ) .

41أ ، ف1 ، ذكر (الدرّ 23أ) في كتاب لبّ اللبيب .

41ب ، البردان (شوارع بغداد) .

42أ ، ف1 ، للرشد (ديوانه تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، 264 مع

تقديم وتأخير في الايات واختلاف قليل في الرواية) .

42ب ، فلو لا صياحي بالغلام وأنه (يولفني ، كذا بالاصل بدون نقط

الفاء الثانية) . . على ظهر (ويروى : على الظهر) .

ف1 ، وأبو نواس (الدرّ 138أ) . ولابن منظور كتاب عنه بعنوان «أخبار

أبي نواس» منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية 593 تاريخ ، وقد طبع

نصفها الاول وحظر طبع نصفه الثاني لأسباب أخلاقية . ولعبد الرحمن صدقي

كتاب «ألحان الحان» .

43أ ، ف2 ، الرشد وهي (أول البيت الثاني : «أنت على ما بك من

قدرة» والرابع : «وليس لله») .

ف3 ، قال (الدرّ 139أ) .

43ب ، الجهلتين (الجهلتان هما جانب الوادي . مجمع الامثال للميداني

82/2) .

ف2 ، قال (الدرّ 23ب) .

ف3 ، قال عنبان (الدرّ 24أ) .

44أ ، يقول فيها (الاغاني ، ط. ساسي ، 143/16-144) .

ف2 ، وقال (الدرّ 24ب) الدلعجي . . أبي نواس (الاغاني ، ط. الثقافة 44/18) .

44ب ، ف4 ، وقال (الدرّ 139أ) في كتاب لب اللبيب .

45أ ، ف1 ، قال (الدرّ 139ب) : دخلت الى دمشق

45ب ، ف2 ، عبد الله بن المعتز (طبقات الشعراء 308-309 ، وفيات 79/3) .

ف3 ، بعض منها (100ب-104ب . وانظر الفهرس) .

ف4 ، قال في كتاب لبّ اللبيب (الدرّ 22ب) .

46أ ، ف1 ، أما وأبيك (أما والله) . . السّهار (النهار) .

46ب ، ف3 ، الخطيب البغدادي (الدرّ 8ب) .

47أ ، ف2 ، الفرج بعد الشدة (الدرّ 27ب) .

48أ ، ف1 ، الفضل بن الربيع (الفرج بعد الشدة ، 86) . . معن بن زائدة

(وفيات ، 244/5-254) . القائل (الاغاني ، ط. الثقافة 323/19) .

48ب ، ف2 ، بعددها ألوف (لعله هنا أسقط الاعراب) .

49ب ، ف3 ، في المختصر (3/1) .

50أ ، ف2 ، الشيباني (ترجمته في وفيات الاعيان 244/5-254 ، تاريخ

بغداد 235/13 ، المرزباني 324 ، تاريخ ابن الاثير وأمالى المرتضى 222/1 ، خزائن الادب 182/1) . . يزيد بن مزيد الشيباني (ألف عبد الجبار الجومرد في سيرته وأخباره كتاباً) .

51أ ، ف3 ، بن أبي حفصة (الدرّ 27ب) .

ف4 ، الليلة (ليس في ترجمته في تاريخ بغداد ، وجاءت هذه الحكاية في الاغاني ط. التقدم 45/9) .

ف5 ، قال أبو عبيدة (الدرّ 27أ في الهامش) .

- ف6 ، بالجنيبي (في الدرّ 27أ «الجني»). .
- 51ب ، ف1 ، من فعله (نقل الاغاني هذه الحكاية بشيء من التصرف 45/9) .
- ف2 ، الفرج بعد الشدة (238-239 . الدرّ 28أ) .
- ف3 ، ملالة («وأنا أتصبر وأتذكر عاقبة الصبر وما ورءه من الفرج») .
- 53أ ، ف1 ، كتاب الاغاني (الدرّ 29أ) .
- 53ب ف6 ، حكى (29ب) أن رؤية .
- ف7 ، وأما عديّ (الدرّ 30أ) . . كتاب الأغاني (9/307) .
- 54ب ، أبو العرّاف (9/308 ، بدائع البدايه 18 ، ديوانه 262) .
- 55أ ، ف3 ، محمد بن سلام (الدرّ 30ب) .
- 55ب ، وهلك (الاغاني 9/316) .
- 56ب ، ف3 ، ابن عتبة (الدرّ 31ب) .
- 57ب ، ف2 ، ذا الرمة (الدرّ 32أ) .
- 58أ ، ف2 ، قال ذو الرمة (الدرّ 32ب) .
- 58ب ، ف2 ، قيل (الدرّ 34ب) . . ابن منذر (في الاصل «منادر») .
- 59أ ، ف1 ، حكى (الدرّ 34ب) أن ابن منذر .
- ف2 ، قيل (الدرّ 34أ) . وفي الاغاني «أخبار ابن منذر» .
- 60أ ، بالرقة (أو الرافقة ، والرقة هي الرافقة كما ورد في بعض الراجع . قال ابن خلكان «وكان حبسهما في الرافقة ، وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة ، وهي البلد المشهور الآن على شاطئ الفرات ويقال لهما الرقتان ، تغلبا لاحد الاسمين على الآخر ، كما قيل العمران والقمران وغير ذلك . وفيات 228/6) .

60ب ، ف2 ، فقال الرشيد (الدرّ 34أ) .

61أ ، في المختصر (17/2) .

ف1 ، ابن خلكان (الدرّ 40أ . ترجمة جعفر 132 ، 1/331-332) .

64أ ، ف3 ، الفرّج بعد الشدة (بعض الاختصار في العبارة ، 98-102) .

67أ ، ف2 ، حياة الحيوان (الدرّ 38ب) .

67ب ، ف2 ، ابن الجوزي (الدرّ 39أ) .

68أ ، ف2 ، المختصر (2/7-8) .

69أ ، ف1 ، المتصور (في الدرّ 48أ نقلاً عن أبي الفرّج ابن جوزي مع شيء من الاختلاف في التعبير وهي هناك أطول مما هنا ومما قاله الرجل للخليفة : «وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين فدخلتها وبها ملك قد ذهب سمعه فجعل يبكي فقال له وزراؤه : ما يبكيك لا أبكي الله لك عينا ! فقال : أما أنا فلست أبكي للمصيبة التي نزلت بي من قتل السمع ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته . ثم قال : أما فإن كان ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب ، نادوا في جميع الاقطار : ألا لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم ! وكان يركب فيلاً في طرفي النهار ويسير ليرى مظلوماً فينصفه . وهذا يا أمير المؤمنين ، مشرك بالله قد غلبت رأفته على الخلق وشفقته ورحمته . . الخ» . ولعلنا فيما نجده اليوم من تلك العصاة الحمراء التي يضعها المضربون في اليابان أصل لهذه الحكاية) .

70أ ، التعتيق في الاصل : تعليق التعليق ، وفي الدرّ : . . العتق . وقد قرّنا العبارة للرسم الموجود في الاصل) .

ف1 ، مختصره (اللفظ عند المؤيد 17/2 في المطبوع «بكساء») .

ف2 ، قول الشاعر (الخرب ، الذكر من الحباري ، والعرير الذكر من حمار

الوحش والرواية في الاصل « . . نفر . . صفر » .

ف4 ، ربيع الابرار (الدرّ 39ب) .

70ب ، ف1 ، الرشيد (الدرّ 8ب مع اختلاف يسير) .

71ب ، ف2 ، حكيم (الدرّ 37أ) .

72أ ، ف1 ، سئل (الدرّ 37ب) .

73ب ، ف2 ، روض الرياحين (الدرّ 41أ . روض الرياحين في مناقب

الصالحين ، لليافعي ، ط. القاهرة 1301) .

74أ ، ف2 ، روض الرياحين (الدرّ 42أ) .

75ب ، أنشأ يقول (البيت الثالث : « كل بدر أعلى ») .

ف1 ، أنشد يقول (البيت الاول : « لا يؤوب يرجع . . » . في حين

نجد كلمة يرجع فوق كلمة يؤوب في (الدرّ 43أ) ، تفسيراً لها ، مما أوقع ابن
وادران في السهو أو الخطأ) .

76ف2 ، قال بعضهم (الدرّ 43ب) .

قال الامام (الدرّ 46ب) حجة الاسلام .

78أ ، وألقى (الدرّ 44أ . وبقية هذه الحكاية في الدرّ : « قال عباد وألقى

الكتاب الذي منشوراً غير مطوي ، فأخذته وأقبلت به الى سوق الكوفة وقد

وقعت الموعظة في قلبي ، فناديت : يا أهل الكوفة ! فأجابوا لي فقلت لهم : يا

قوم من يشتري ثياب رجل فرّ الى الله ؟ فأقبلوا بالدراهم والدنانير . فقلت لا

حاجة لي بالمال ، ولكنني أريد جبة صوف خشنة وعباءة تطوانية . قال فأتييت

بذلك ونزعت كل ما كان عليّ من اللباس وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح

الذي أحمله حتى أتيت باب هارون الرشيد حافياً راجلاً . فاستؤذن لي عليه ،

فلما رأيته وصلت على تلك الحال قام وقعد ثم قام وجعل يلطم وجهه ورأسه

ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا ولملك يزول سريعاً فألقيت

اليه الكتاب منشورًا كما ألقى السير فأقبل يقرأه ودموعه تتحدر وهو يبكي ويشهق. فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد أجتراً عليك سفيان . فلو وجهت من يأتيك به مكبلاً بالحديد مضيقاً عليه في السجن كنت تجعله عبرة لغيره . فقال : اتركوا سفيان يا عبید الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه . إن سفيان أمة وحده ا» .

80 ف1 ، وروي (الدرّ 45أ) أن امرأة .

ف2 ، ابن خلكان (الدرّ 45ب . وفيات 4 / 48) .

80ب ، ويقال (في الدرّ 45ب : «وقلت لعل المذكور . . .») .

ف2 ، لبّ اللبيب (الدرّ 43ب) .

81ب ، ف2 ، حكى (الدرّ 45ب) أن الفضيل .

ف3 ، وشكى (الدرّ 45ب) .

82أ ، ف1 ، الفضيل (الدرّ 46أ) .

ف6 ، وروي (الدرّ 46أ) أن الرشيد (الدرّ 46أ) .

82ب ، ف1 ، من القطار (في الاصل القطان . والقطار من الابل ، عدد منها بعضه خلف بعض على نسق) .

83أ ، ف3 ابن خلكان (وفيات ، ترجمة ابن المبارك ، وفيها أخطاء كثيرة يصححها النص هنا . الدرّ 40أ) .

83ب ، ف1 ، وذكر ابن خلكان (الدرّ 40أ) .

ف4 ، قيل (الدرّ 40ب) .

ف5 ، وحكى (الدرّ 40أ) .

84ب ، ف2 ، ومما حكى (الدرّ 41ب) .

86ب ، ف2 ، وروي (الدرّ 34أ) أن المهدي .

- ف4 ، قال (الدرّ 34أ) في كتاب الاغاني .
- 87أ ، ف1 ، حكى (الدرّ 59أ) في كتاب الفرج بعد الشدة .
- 88ب ، ف2 ، اليافعي في تاريخه (الدرّ 60أ) .
- ف3 ، قال (الدرّ 60أ) ابن عبدوس .
- ف4 ، المؤيد في المختصر (18/2) .
- 90ب ، ف1 ، قال أبو نواس (الدرّ 60ب) .
- ف2 ، قال (الدرّ 60أ) ابن عبدوس .
- 91أ ، الباب الثاني (الدرّ 60ب) .
- 91ب ، ف3 ، المؤيد في المختصر (21/2)
- 92أ ، ف1 ، ابن رشيق القيرواني (وصحته : الرقيق . .) في كتاب قطب السرور .
- 92ب ، ف2 ، قال المسعودي (الدرّ 72ب)
- ف3 ، قال الثعالبي (الدرّ 72ب) .
- ف4 ، ذكر ابن رشيق القيرواني (وصحته : الرقيق) .
- 93 ، ف2 ، وفيه يقول أيضًا (البيتان على سوئهما لم نصادف في المراجع تصحيحاً لهما) .
- 93ب ، ف1 ، ذكر ابن رشيق (انظر التعليق المتقدم) .
- ف2 ، قال بعضهم (الدرّ 73ب) .
- ف3 ، قال الدميري (الدرّ 71ب) .
- 94 ، ف2 ، ذكر (الدرّ 71ب) في كتاب الاغاني .
- 95أ ، حكى (الدرّ 72ب) الحافظ جلال الدين السيوطي .
- ف2 ، قال الدميري (الدرّ 73ب) .

- 95ب ، ف2 ، سلس العبارة ، (الدرّ 73أ) .
- 96أ ، ف1 ، وذكر صاحب عيون التواريخ (الدرّ 73ب) .
- 96ب ، ف2 ، قال في كتاب لب اللبيب (الدرّ 74أ) .
- 99ب ، ف1 ، فأنحجوه (كذا في الاصل) قبل أن ينشر .
- 100ب ، آلاف دينار (انتقل الدرّ الى الباب الثالث في خلافة المأمون ، 76ب) .
- ف1 ، كان (الدرّ 139ب) الحسن بن هانيء .
- 101أ ، وذكر ابن رشيق القيرواني (وصحته : الرقيق) في كتاب قطب السرور .
- 102ب ، ف2 ، وكان أبو نواس يقول أيضًا (الدرّ 140أ) .
- ف3 ، وحكى (الدرّ 139أ) بعضهم .
- ف2 ، وقوله في الهجاء (الدرّ 140أ) .
- 103ب ، ف4 ، ومنه (الدرّ 139ب) : يا كبير .
- 104أ ، ف1 ، في المختصر (2/19) .
- ف2 ، ورثاه بقوله (الدرّ 140أ) طوى الدهر . . ونقل (الدرّ 139أ) الخطيب .
- 104ب ، ف2 ، ابن رشيق القيرواني (ينظر ما تقدم حوله) .
- ف3 ، مكتوب فيها (الدرّ 140) .
- ف4 ، ذكر (الدرّ 101ب) في تاريخ العسقلاني .
- 105أ ، ف1 ، وقالت (الدرّ 101ب) أسماء بنت المهدي .
- ف2 ، وقال (الدرّ 101أ) محمد بن موسى . . وكان (ويذكره فيما بعد ص 274أ) الناس .

- ف4 ، وكان (الدرّ 101أ) حاذقاً .
- 105ب ، ف2 ، لما صدّقوا (وأورد الدرّ هنا قصة الوحش الذي يصغي إليه ، وقد تقدمت) .
- ف3 ، وذكر (الدرّ 102أ . وأعاده في 272ب) العلامة الزمخشري .
- ف4 ، وذكر (الدرّ 101أ) صاحب الأغاني .
- 106 ، ف1 ، وفي (الدرّ 101ب) تاريخ العسقلاني .
- ف2 ، وفي (الدرّ 101أ) الأغاني .
- ف3 ، قال (الدرّ 101ب) ابراهيم بن المهدي .
- ف4 ، وقال (الدرّ 102أ) ابراهيم .
- 106ب ، ف1 ، قال (الدرّ 102أ) ابراهيم : إني كنت . .
- ف2 ، و (الدرّ 101ب) جرى بين محمد الأمين .
- 107أ ، ف1 وذكر (الدرّ 102أ . الاغاني 135/10) الأصفهاني .
- 108 ، ف1 ، قال (الدرّ 71ب) ابن جرير .
- ف2 ، قال (الدرّ 69ب) ابراهيم بن المهدي .
- 109أ ، ف2 ، وأصل (الدرّ 117ب) هذا اللقب .
- 111 ، كذا ذكر المؤيد (75/2) .
- 112أ ، الملك المؤيد (74/2) .
- ف2 ، قال (الدرّ 65أ) في شرح منظومة ابن عبدون .
- ف3 ، وذكر (الدرّ 61ب و65أ) العلامة ابن ظفر .
- 113أ ، ف2 ، وقال (الدرّ 61أ) غيره : في سنة . . وخامر الرسل . . (لم يتبيّن لنا المعنى مع طمس في كلمة بعد الرسل) .
- ف3 ، وقد قيل في ذلك (والايات الثالث الى ما قبل الاخير ليس في

الدرّ 61أ .

113ب ، ف1 ، وقال (الدرّ 65أ و65ب) في شرح منظومة ابن عبدون .

114أ ، ف3 ، قال (الدرّ 66أ) في شرح المنظومة .

114ب ، بذي اليمين (المشهور أنه لقب بذي اليمينين . انظر الدولة الطاهرية في العراق وخراسان) .

ف1 ، وذكر (الدرّ 67أ) الحافظ السيوطي .

115أ ، ف2 ، وذكر (الدرّ 67ب) في فاكهة الخلفاء .

115ب ، ف1 ، قال (الدرّ 65ب) بعضهم : ودام . . ولما (بقية ما هنا موجود في الدرّ في 72ب) تحقق خلعه .

116ب ، ف1 ، وقال (الدرّ 67أ ب) الحافظ بن عساكر . . صمصامة (في الدرّ : صمصامة قطعت صمصامة) .

ف3 ، وذكر (الدرّ 67أ) في نزهة النفوس .

117ب ، ف2 ، هذا رأس المخلوع ! (قفز صاحب الدرّ على هذا الشعر ، ولم يورده الا بعد ص 72أ) . . في قتله (لم نقف على مرجع لتحقيق هذا الشعر الذي يتعذر فهم معانيه هنا في المخطوطة - وليس في الدرّ - إلا في الطبري 925/3 وقبله هذا البيت الاول : عوجا بمغنى طلل . . الخ . أما الخط في الأصل فيعطي قراءة على غاية من التعقيد بحيث تكاد تكون نسخاً لكلام غير مفهوم وصورته :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| والمرمر المسنون بطرا به | والباب بابي الذهب الناظر |
| وأبلغا عني مقالا الشمولي | عن الماماق والآمر |
| قولاً له يا ابن ولي الهدى | طهر بلاد الله من طاهر |
| لم يكفه أن حزّ أوداجه | ذبح الهدى يا هدى الحاذر |

حتى إذا نسجة أوصاله في بطن يغني به السائر
قد برد الموت على جفنه فطرفه منكسر النظار

والملاحظ أن البيت الأخير من هذا الشعر غير موجود في الطبري .

118أ ، ف3 ثم (الدرّ 69أ) إن طاهر . .

ف4 ، قال (الدرّ 69أ) بعضهم : وكان طاهر .

118ب ، ف1 ، وعلى (الدرّ 69أ) ما ذكره السيوطي .

ف2 ، في مختصره (20/2) والخطيب في تاريخ بغداد (337/3) وفيه :

قتل الأمين «ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم» وغيرهما أن قتل الأمين كان
لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (أورد الدرّ 69أ الخبر عن
الخطيب في تاريخ بغداد ولم يعلق عليه ، ولذلك يظهر أن عبارة قلت التالية هي
لابن وادران) .

119أ ، قال المؤيد (21/2) وغيره : وكانت . . وقال المؤيد (21/2) :

وكان منهمكا .

ف1 ، وذكر ابن رشيقي القيرواني (وصحته الرقيق القيرواني ، صاحب

كتاب قطب السرور في الانبذة والخمر الذي ذكر فيه أخبار السكر) .

ف2 ، توقيع (في الاصل : توقيعاً) في مجلس .

ف3 ، السيوطي في الاكتفاء (الدرّ 71ب) في كتاب الاكتفاء في أخبار

الخلفاء) .

119ب ، ف2 ، وقال النوفلي (الدرّ 71ب) : قال علي بن محمد النوفلي

وغيره .

120أ ، ف2 ، هو (الدرّ 76ب) عبد الله المأمون .

120ب ، ف1 ، قيل إنه ختم (الدرّ 77أ) . . الا بغداد ، واستوسق الأمر

(الدرّ 77أ) وفي نزهة النفوس وسلوة النفوس : ولما استقر له الامر . والمعنى في

استوسق الامر له جمع له) .

ف2 ، في الفرج بعد الشدة (205-206 . الدرّ 66ب) .

122 ، ف1 ، قال في نزهة النفوس (الدرّ 77أ) .

122ب ، ف1 ، الاستعناء (من قوله تعالى : وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ .
أي خضعت وذلت) .

127ب ، ف3 ، قال (الدرّ ، 65ب) طاهر بن الحسين .

128ب ، ف2 ، منظومة ابن عبدون (في الدرّ 66أ : هو كما يظن من شرح
منظومة ابن عبدون) .

129أ ، ف1 قال (الدرّ 77أ) الصولي .

ف2 ، في السياسة الجامعة (الدرّ 77أ) .

130ب ، (الدرّ 78أ) ، من أهل خراسان .

131 ، ف3 ، في وفيات الأعيان (2/ 521) .

132ف3 ، النويري في تاريخه (الدرّ 94 ذكره في الفصل : «فيما وقع
في دخول السنة السابعة بعد المائتين» . ونهاية الارب للنويري في الجزء الذي
لم يطبع ، الفن الخامس ، القسم الخامس ، الباب التاسع : «في أخبار من استغل
الملك والممالك بالبلاد الشرقية والشمالية في خلافة الدولة العباسية . وهم ملوك
خراسان وما وراء النهر» .

132ب ، ف1 ، ابن كثير (البداية 260/10) .

ف3 ، قال ابن خلكان (وفيات 2/ 520) .

136ب ، ف1 ، وكانا مجوسيين (الدرّ 34أ و79أ) .

137ب ، ف أخيرة ، محمد بن سعيد قال (الدرّ 133ب . وانظر بعده
161ب) .

138أ ، ف1 ، قال ابن خلكان (وفيات ، 4/ 44 . الدرّ 79أ) .

ف3 ، وعلى (الدرّ 179أ) رواية ابن الجوزي .

ف4 ، وقال (الدرّ 179أ) الذهبي .

139أ ، ف2 ، قال (الدرّ 83ب) بعضهم .

ف3 ، قال (الدرّ 83ب) هذبة بن خالد .

139ب ، ف1 ، وقال (الدرّ 83ب) غرس النعمة .

ف2 ، ودخل (الدرّ 83ب) محمد بن عبد الملك . . انتهى . (في الدرّ 484أ ،

من قوله قال جامعه غفر الله عنه الى 87أ ، غير مذكور في ابن وادران ، وهو
خير الكسائي والمأمون في الغلط ، والرشيد ويحيى بن خالد ، والصراع بين
الامين والمأمون وبعد هذا الخبر يقول 85أ : «وتفسير ألفاظ تضمنها هذا
الخبر» وهو أمر لم يفعله قبل . ويتضمن التفسير إشارة الى شعر لعمر بن صخر
بن الشريد ، فيأخذ لذلك في تفسير كلمات هذا الخبر . وهناك حكاية أخرى
بين الرشيد وابنه عبد الله المأمون ، رآه من منظره وهو يكتب على حائط 87أ .
وكذلك خبر بعده بين الكسائي والمأمون وقد ضربه الكسائي وحضر جعفر بن
يحيى فأخفى المأمون دمعه . . 86أ و86ب ثم خبر المأمون مع الحسن بن
الحسن اللؤلؤي ، وكذلك : «من مستحسن الاخبار ما قيل في قطر الندى بنت
خمارويه 86ب وخبر وصيفة ملك الفرس التي خرّت ساجدة ضعفا أمام هبة
الملك 86ب-87أ . هذه كلها أخبار غير موجودة في ابن وادران وبعدها انتقل
الى : «فصل في ذكر من توفي في السنة الرابعة بعد المائتين من العلماء
والاعيان» .

140أ ، ف3 ، قال (الدرّ 78ب) ابن الجوزي .

140ب ، ف1 ، ولما (الدرّ 78ب) كان أول يوم .

ف2 ، و(الدرّ 78ب باختصار) خرج على ابراهيم .

141 ، ف1 ، ذكر المؤيد (2/ 32) وغيره .

ف2 ، وقال (الدرّ 79 ب بشيء من التصرف . وانظر 145 أ ، 145 ب) ابن الأثير .

141 ب ، ف2 ، في المختصر (23/2-24) .

142 أ ، ف1 ، قال ابن كثير (الدرّ 81) .

143 ب ، ف1 ، قال ابن خلكان (وفيات 269/3) : وأم زين العابدين .

145 ، ف3 ، قال ابن الأثير (الدرّ 79-80 أ) : ولما مات عليّ الرضا .

145 ب ف2 ، وكذا ذكر المؤيد (24/2) .

ف3 ، تاريخ النويري (نهاية الارب 208/22) : لما خلع أهل بغداد .

146 أ ، ف1 ، قال (الدرّ 81 أ مع الاختصار) بعضهم : وقدم المأمون .

146 ب ، ف1 ، قال (الدرّ 124 ب) اليافعي .

147 أ ، ف3 ، ذكر (الدرّ 118 أ ، وخبراً آخر لمحمد بن يزيد في 123 أ)

في كتاب الفرّج بعد الشَّلَّة (87) .

148 أ ، ف1 ، ذكر التنوخي (69 . الدرّ 119 أ) أن المأمون .

148 ب ف3 ، قال (الدرّ 119 ب) سعد .

ف4 ، قال (الدرّ 119 ب) عليّ رضي الله تعالى عنه .

149 أ ، وقال (الدرّ 120 أ) الشاعر في ذلك .

ف3 ، كلحم اليعفور (في الاصل : العفور . وقد قربنا المقصود ، ولم نعتد

القراءة في التنوخي التي تقول «العصفور» . واليعفور هو ولد البقرة الوحشية .

وقال بعضهم اليعافير هي تبيوس الظباء) .

149 ب ، ف1 ، (الزيادة من الدرّ 122 ب . وفي الاصل بياض بمقدار

ذلك) ، وأرجو أن يطيل الله بقاء أمير المؤمنين .

150 ، ف3 ، ذكرها التنوخي (240 . الدرّ 120 . «لطيفة ذكرها

القاضي التنوخي في كتاب الفرّج بعد الشدة» .

153ب ، ذكر الياضي (الدرّ 120أ) .

154 ، ف3 ، ذكر الخطيب (الدرّ 124أ) أنّ عليّ بن عيسى .

155 ، ف2 ، وابن جليس (الدرّ 117ب) .

ف3 ، قال أبو الفرّج الاصفهاني (الدرّ 104ب) .

156ب ، ف4 ، ذكر ابن الأثير (الدرّ 95ب) .

159أ ، ف1 ، قال الفضل (الدرّ 97أ) .

160ف4 ، قال حماد (الدرّ 119أ) .

161أ ، ف1 ، وقال (يظهر في الدرّ خلط في النقل من المصدر أو المصادر

التي بين يديه ، لاننا نجده قبل هذا الموضع يتحدث عن ندماء المأمون من المغنين
ثم ينتقل دون ربط واضح الى الحسين بن الضحاك . انظر الدرّ 151أ وانظر
فيما يلي ص 207 أ والتعليق) .

ف3 ، ابن النطّاح (انظر قبله 137ب)

161ب ، ف2 ، قيل (الدرّ 134أ) إنّ محمد بن عبد الملك

162أ ، ف1 ، وكتب ابراهيم (الدرّ 133ب) .

ف3 ، قال أبو العيّن (الدرّ 134أ) .

ف4 ، وجاء يوماً (الدرّ 134أ) .

162ب ، ف4 ، ملوك الأمصار (الدرّ 126ب) : «وهو كتاب عظيم

المقدار ولا أعلم مصنفه) .

163أ ، ف1 ، روى البيهقي (الدرّ 129أ) .

163ب ، ف2 ، فائدة (الدرّ 127أ) . بعض الاخبار المتعلقة بالحمير لم

يذكرها ابن وادران : رجل له حمار وكلب وديك ، في حياة الحيوان ؛ وغريبة

في كتاب النصائح لابن ظفر : راهبان من طليطلة . وفي كيفية إحياء الموتى عن البيهقي (128أ ، 129أ وب) ، وسيدنا ابراهيم وإحياء الموتى ، وسرّ ابن اسرائيل وكيف ارتحل عزيز من بابل على حمار (131ب) . وما كتبه قيصر ملك الروم الى عمر بن الخطاب ليعث له شجرة من قبله تخرج ممثل آذان الحمير ثم يشقق عن مثل اللؤلؤ (132) . و أخبار الحمار من عدة كتب أخرى .

ف3 ، قال حبيب بن أرتاس (في الدرّ : أرطاس) .

164 ، ف2 ، وفي الصحيحين (الدرّ 128أ) .

ف3 ، وروى النسائي (الدرّ 128ب) .

ف5 ، بنهيقه . قال (الدرّ 128ب) . والبيت في الاصل : عشر . . الردى

حمار) .

164ب ، ف2 ، وقال الزمخشري (الدرّ 127ب) .

ف4 ، قال الجوهري (الدرّ 127ب) .

ف7 ، قال الدارمي (الدرّ 127ب) .

ف9 ، قال العلامة ابن ظفر (الدرّ 127أ) . والزيادة في البيت منه) .

165أ ، ف1 بيده فحمة (الدرّ 83ب) .

166أ ، ف1 ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (كذا في الاصل) .

167أ ، ف1 ، قال المؤيد (27/2) .

ف3 ، وقال ابن الأثير (الدرّ 87ب) .

167ب ، ف2 ، قال ابن الأثير (الدرّ 87أ) .

ف7 ، قال ابن خلكان (وفيات 100 ، 238/1) .

168أ ، ف5 ، وترجمته (الدرّ 88أ) ، هو أبو عبد الله .

168ب ، ف1 وقيل (88أ) إنه ولد .

- ف4 ، قال المؤيد (26/2) .
- 169أ ، قال ابن كثير (الدرّ 88أ) .
- ف6 ، وفي تاريخ النويري (الدرّ 88أ) .
- 169ب ، ف2 ، وذكر المؤيد (62/2) .
- 170أ ، ف7 ، وقال الزعفراني (الدرّ 87ب) .
- 170ب ، ف2 ، قال المُرَني (الدرّ 88ب) .
- 171أ ، ف3 ، كذا نقل المؤيد (26/2) والشعر غير موجود فيه) .
- ف3 ، قال ابن خلكان (166/4) .
- 171ب ، فتقول هي (في ابن خلكان 166/4 : وتصد عنك بوجهه وتلج أنت فلا تُغَبّه) .
- 172أ ، ف2 ، في النجوم (الدرّ 115ب) . . عنده في النجوم (بمناسبة ذكر الكلام والنجوم وعناية المأمون بهما ، انظر الدرّ ، لبيان مفهوم علم الكلام والتوحيد والفرق بينهما ، وعلم النجوم وسبب النهي عنه وكذلك علم الكلام ، آخر 115ب-117ب) .
- ف3 ، وكان (الدرّ 115أ) الشافعي . . ابن عبد الأعلى (الدرّ 115ب) .
- ف4 ، وقال أيضًا (الدرّ 115ب) .
- ف6 ، وحكى الكرايسي (ذكر الدرّ ترجمة الكرايسي في 90أ وكذلك في 115أ نقلا عن الكواشي) .
- 172ب ، ف2 ، وقال أيضًا (الدرّ 115ب) .
- 173أ ، ف2 ، ذكر في كتاب المستطرف (الدرّ 113أ) .
- 173ب ، ف1 ، وقال في سراج الملوك (الدرّ 113أ) .
- ف2 ، من لا يُنصِف (في الدرّ 113أ يعقب المؤلف على هذا الخبر) .

- 174أ ، ف3 ، وكان يحیی (الدرّ 111أ) .
 ف4 ، كذا ذكر عبد العزيز (الدرّ 111أ : أبو الفضل عبد العزيز بن علي) .
 ف5 ، وذكر الخطيب البغدادي (الدرّ 111أ) .
 175أ ، ف1 ، وذكر (الدرّ 113أ) ابن حُجّة .
 ف2 ، ويحيى بن أكرم (الدرّ 111أ) .
 ف3 ، وذكر الخطيب (الدرّ 111أ) .
 ف4 ، قال ابن خلّكان (الدرّ 111أ) .
 ف6 ، لكل معضلة (في الاصل : كل) . . التدبير للملك (في الاصل : الملك) .

- ف7 ، قال ابن خلّكان (الدرّ 114أ) .
 176ب ، ف1 ، وكان يُرمي بذلك (الدرّ 111ب) . . لأبن حكيمة (في الاصل : لابن حليمة . وفيات 155/6 : لأبي حكيمة) .
 ف2 ، لأحمد بن نعيم في ذلك (البستان الاخيران غير موجودين في الدرّ 111ب ، وفيه زيادة بعد الاول : «يا بوّس للدهر لا يزال كما ، يرفع ناسا يحطّ من ناس» وقبل الاخير : «لو صلح الدين فاستقام لقد ، قام على الناس كلّ مقياس» .

- 177ب ، ف4 قال في بستان الآداب (الدرّ 112أ) .
 178ب ، من أسفله الى سرّته زاعغ (الزاعغ ، من أنواع الغربان) في صدره سلعتان (السلعة ، بالفتح والكسر ، زيادة تحدث في الجسد تتحرك) .
 179أ ، سوانح تسنح (الدرّ 113ب الاصل : سوانح تسنخ) . . جليس ممتع (في الاصل : ممتع . الدرّ 111أ) .
 ف2 ، مكتوب عليه هذا البيت (في الدرّ 111أ : إذا حلّ عشق بالفتى) .
 180ب ، ف1 وقال بعضهم (الدرّ 115أ) .

- 181أ ، ف5 ، وهو أبو اسحاق اسماعيل (الدرّ 105ب و107أ) .
- 182أ ، ف1 ، وكان أبو العتاهية (الدرّ 106أ) .
- ف2 ، وقال فيها أيضًا (الدرّ 106أ) .
- ف3 ، في أن يُطلق له (في الاصل : ابن مهدي . وكذا في الدرّ 106أ) .
- 181أ ، فغار منه الشعراء (الدرّ 106أ . مع زيادة تفصيل) .
- ف2 ، يقول في أولها (الدرّ 107أ) .
- 183ب ، ف1 ، في المختصر (29/2) .
- 185أ ، حماد عجرد (الدرّ 107ب) .
- 186ب ، ف4 ، وقال الحسن بن عمار (الدرّ 108أ) .
- ف5 ، وكان بن أبي الصلت (الدرّ 108أ) .
- 187أ ، ف1 ، وروي (الأغاني 334/14) .
- 189أ ، ف3 ، حيث يقول فيه (الدرّ 118أ) .
- 190أ ، ذكر الخطيب (الدرّ 118أ) .
- ف3 ، قال ابن خلكان (الدرّ 93ب) .
- ف5 ، وكان المأمون (الدرّ 93ب) .
- ف6 ، وروي أيضًا (الدرّ 94أ) .
- 190ب ، ف1 ، وقال ابن خلكان (6/180) .
- 193ب ، ذكر في كتاب لبّ اللبيب (الدرّ 109أ ، بشيء من الاختصار) .
- 194ب ، ف1 ، كأنه يغترف من بحر (في الاصل : يغزر بحر . والاصلاح من الدرّ 109أ) .
- 196أ ، ف1 ، ليلة كماله وهي تقول (في الاصل : في البيت الثاني «صبرت لها انتج لها الطريق) .

196 ب ، ف2 ، ذكر في شرح قصيدة ابن عبدون (الدرّ 82أ) .
199 ب ، ف1 ، وذكر الطبري (الدرّ 81ب) .
200 أ ، بما أجدت من الأمر ، باليمن (في الدرّ : بما أخذت . وفي الاصل :
باليمن) .

ف1 ، قال ابن خلكان (289/1) .
ف2 ، ذكر الامام أبو الفرج ابن الجوزي (الدرّ 126ب) .
200 ب ، ف2 ، قال أحمد بن طاهر (الدرّ 135ب) .
201 أ ، ف3 ، وقال بعضهم (الدرّ 136أ) .
ف4 ، ووقعت بينهما (الدرّ 135أ) .
201 ب ، ف1 ، قال بعضهم (التويري ، نهاية الارب 104/5) .
ف2 ، قال ابن المرزيان (الدرّ 137أ) .
202 أ ، وقال ابراهيم بن أبي العنيس (الدرّ 137أ) .
202 ب ، قال أبو الحسن بن الفرات (الدرّ 137أ) .
ف2 ، وأخبارها كثيرة (نقل أكثرها أبو الفرج الاصفهاني في الاغاني وفي
كتاب له بعنوان «تحف الوسائد بأخبار الولايد ، ووضع عبد الله بن المعتز فيها
ديوانا) . يقال (الدرّ 134ب) إنها كانت . .

ف3 ، وأن البرامكة (الدرّ 134أ) .
ف4 ، وقال محمد بن عبد الواحد (الدرّ 134ب) .
203 أ ، ف1 ، قال الفضل بن مروان (التويري ، نهاية الارب 97/5) .
ف3 ، وقال ابن المعتز (الدرّ 135أ) .
203 ب ، ف3 ، وقد أنشد علي بن سليمان (الدرّ 136ب) .
ف4 ، وكان الأمين (الدرّ 136ب) .

- 204أ ، وذكر جَحْظَةُ (الدرّ 135أ) .
- ف1 ، ذكر ابن المعتز (الدرّ 135أ) .
- 205ب ، ف1 ، قال حماد بن اسحاق (الدرّ 136أ) .
- ف3 ، وقال أبو الخطاب العباس (الدرّ 137ب) .
- 206أ ، ف1 ، وقال عليّ بن يحيى (الدرّ 138ب) .
- ف2 ، فدخل عليها (الدرّ 135ب) .
- 206ب ، ف1 ، وقال الفضل بن العبا (الدرّ 138ب . وفيه نقص) .
- ف2 ، ذكر الخطيب (الدرّ 831ب) .
- 207أ ، ف1 ، قال اسحاق بن ابراهيم (الدرّ 150ب) .
- ف2 ، وكان (الدرّ 98أ) المأمون . . والمؤيد (28/2) .
- 208أ ، ف1 ، وقال بعضهم (الدرّ 100أ) .
- 208ب ، ووظائفه السابقة ، ثم (هنا زيادة في الدرّ تتعلق بمجازاة المأمون للحجّام والجندي وزوجته والمولاة على ما غاملوا به ابراهيم بن المهدي . انظر الخبر فيما بعد 212ب . وفي الشعر زيادة بيتين في الدرّ ، بعد الاول : تفديك نفسي أن تضيق بصالح . والعفو منك بفضل خلق واسع . وبعد الثالث : ملئت قلوب الناس منك مهابة . وتظل ساجدة بقلب خاشع . مع اختلاف في رواية الايات المشتركة : الثالث : «إن الذي قسم المكارم حازها» والبيت السادس شطره «وحنين والدّة بقلب جازع» والمصرع الاول للبيت السادس «وعفوت عمّا لم يكن عن مثله» .
- ف2 ، وقال له (اختلط الشعر بالثر هنا ولم يميّز بينهما بفواصل كالعادة) . . قال يُنشدّه (أورد الدرّ أبياتا ثلاثة أخرى بعد هذه قبل الاخير وهي :
فول بذلت دمي أبغي رضاك به والمال حتى أسلّ كالنعل عن قدمي

ما كان ذاك سوى عارية رجعت إليك لو لم تعرّها كنت لم تلم
وقام علمك بي فاتجّ عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم)

209أ ، ف1 ، ووالى ابراهيم (قوله : ووالى ابراهيم ، غير واضحة المعنى) .

210ب ، ف2 ، ودخل الحسن بن سهل (الدرّ 151أ) .

ف3 ، يُعرّض له من المرة (كذا) .

211أ ، هذه الأبيات (البيت الثاني في الاصل : «هجت») .

ف1 ، و لَمَّا قام المأمون (الدرّ 145أ) .

212أ ، ف2 ، و لَإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ الدَّرَجَ 135ب) .

213 ، ف1 ، فَاتَى بِقِمَطَرَةٍ (في الاصل : بقمطرة من . وفي الدرّ 98أ :

بقطرمن) .

214 ، ف1 ، وقال : بدُسْتُور (بهمشه : «أي إذنه ، كذا نعرفه في

خطاب العامة . وانظر على أنه أصل لغة») .

214ب ، ف1 ، وَتَزَيَّيْتُ بِزَيِّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ (راجع ما تقدم حول

مغامرة ابراهيم بن المهدي وظهوره ، 208أ . وأخباره 104أ وما بعدها) .

215ب ، ف2 ، نُقِلَ (الدرّ 125أ) عن اسحاق الموصلي .

216أ ، أعجبه صوت (في الاصل : صوتا) .

ف1 ، قال : نَكَرَ (كذا في الاصل بدون شكل) .

216ب ، ف1 ، قِيلَ (ابن خلكان ، 799-185/6 مع اختلاف قليل) .

219أ ، ف3 ، لطيفة ، قِيلَ (هنا قال الدرّ 84أ : «قال جامعه عفا الله عنه

وهو أول من تسمّى بالمأمون . . الخ») .

219ب ، ف1 ، بعض الخطوط (انظر حول نسبة الكتاب واتفاق ابن

وادران هنا مع الدرّ في هذه العبارة المقدمة) .

220أ ، ف3 ، و(الدرّ 125أ وأسقط الايات الثلاثة في قوله الآخر ،
واختصر في القول الاخير لعبد الله بن طاهر) شرب عبد الله بن طاهر .

220ب ، ف2 ، وأنشد عمرو بن شبة (الدرّ 135أ) .

221 ، ف2 ، كان أو صواباً (أسقط الاعراب هنا) .

ف3 ، قال بعضهم (الدرّ 145أ) .

221ب ، ف2 ، قيل كان المأمون (الدرّ 147ب . مع شيء من الاختلاف

والتقديم والتقدير) .

222أ ، ف1 ، ونقد بعضهم هذا (هنا يقول الدرّ : «قلت») . . الى مُزيلة

(في الدرّ «مذيلة») . . والغضب (في الاصل «الغضب») . . أهل الأدب (في

الاصل «أهل والأدب») .

222ب ، ف1 ، وسئل (الدرّ 148ب) . . الى الصناعة ، فإنّ (في

الاصل : «في أنّ») الشخص . غنى بالحنّ (في الاصل : «بالحنّ») .

ف1 ، وقال (الدرّ 149أ) . وقد أخرج هذا الكلام عن موضعه هنا ابن

ماسويه . . فيتعذر («فليتعذر») .

223أ ، لإصغاء ذلك . (ويواصل الدرّ في نص طويل (149أ) نقل كلام

ابن ماسويه تحت عنوان «بقية كلام ابن ماسويه» . وقد أثبتناه في سياقه من ابن

وادران بين معقوفين) .

وقال غيره : (الدرّ 148أ) النغم .

ف2 ، مجرد الهواء (أضاف الدرّ هنا : «قلت وهذا كلام مادة وزيادة لمن

تأمل ما وقع في الهندسة والنجوم وغيرها من العلوم») .

ف3 ، واختلف (الدرّ 148أ) فيمن وضع الموسيقى .

ف4 ، قال بعضهم (هنا يقول الدرّ : «قلت . .») . . على ما ذكر (هنا

يقول الدرّ : «رأيت . .») في الاستدراك والأسرار اليونانية .

223ب ، ف1 ويقال (الدرّ 148ب) إنّ أوّل . . متوشلخ (فراغ بقدر كلمة «العود» ، التي يفهم مقامها مما سبق . وفي الدرّ «من اتخذ ملك بن متوشلخ» . . باب النجاة («الربط تفسير باب النجات»).

ف5 ، ابراهيم الموصلي (يظهر أن كاتب هذا الكلام معاصر لاسحاق بن ابراهيم الموصلي . أي من القرن الثالث . والعبارة الواردة غير موجودة في الدرّ).

224أ ، ف1 ، وعلم الفلك (الدرّ : «الفلك والموسيقى»).

ف2 ، اسقيلينوس (الدرّ : «جالينوس»).

ف3 ، وأما شعبها فتدلّ («ما شعبها تدل»).

224ب ، ف1 ، ما هو فاعل . (بياض بمقدار أربع أو خمس كلمات ، وهي التالية ، من الدرّ) [وناظره المأمون على العالم العلوي] .

225أ ، ف3 ، (في الدرّ «اقليدس ينسب اليه») وهو الذي . . اقبلينوس

(في الدرّ «اسقيلينوس» . . بهيكل اسقيلينوس (في الدرّ «اسقيلينوس»).

ف4 ، ثم سأله عن أرسطاطاليس ، فقال : (في الدرّ 141ب : «ثم قال المأمون لسهل بن هارون : يا فيلسوف الاسلام وفريد العصر والأوان ، أخبرني عن أرسطوطاليس . قال :).

226ب ، ف1 ، حُسن الاختيار . وقال (في الدرّ 143أ من قوله سلوا ، الى المصائب وقع تأخيرها عما بعده ، وانظر فيما يلي ص 229ب ، فقد أعاده منسوباً الى بقراط).

ف2 ، وحكى عبد الله بن طاهر (الدرّ 143أ).

ف3 ، قال (الدرّ 143أ) في شرح رسالة ابن زيدون .

227أ ، ف2 ، ولأفلاطون المذكور (الدرّ 142أ «قال سهل ثم ظهر أمر

أرسطاليس كما سيأتي ذكره ، ولأفلاطون . .»).

ف3 ، لفعلت (من قوله وكان يصور الى لفعلت ، غير موجودة في الدرّ

142أ .

ف4 ، إلا يمنع من الرزق (في الاصل بسقوط «إلا» . والزيادة من الدرّ

142أ .

ف6 ، في رؤوس /227ب/ أقلامهم وظاهرة في اختياراتهم (ذكر هذا الدرّ في أول الكتاب ، وأشار اليه هنا بقوله «كما ذكرناه في دياجة الكتاب» .

ف8 ، لثلا يُضطَرّوا («يُضطرون» .

ف10 ، أن نَمْتَع («أن يمتنع» . . انتهى (هنا انتقل الدرّ الى أخبار ارسطاطاليس) .

228ب ، ف1 ، وحكى أبو حيان التوحيدي (الدرّ 144أ) .

ف5 ، (وبعده في الدرّ 441أ) [وكان يقول . . .]

229ب ، ف1 ، الرُّشَا (تقدم هذا في 226ب وقد نسبه الى ارسطاطاليس) .

230ب ، ف2 ، من أموالهم . (الدرّ 145أ وبعده الزيادة التالية) .

ف4 ، والله أعلم . (يزيد الدرّ ، ص 146أ ، بعد قوله والدماغ راعي العقل ، فقرة طويلة يظهر أنها شرح لمتن طبي مسجوع ، فيه لسهل بن هارون حديث عن العلاج والمزاج والأعضاء والدواء) .

ف6 ، ليُعرف (انظر كتابنا «سهل بن هارون ، حياته وأدبه» تونس 1980) . قال (الدرّ 140أ) بعضهم . . قبرص (إشارة الى ذلك في الدرّ 115أ) .

231 ، ف1 ، حكى (الدرّ 140أ) الجاحظ . . ما لا ضرر به («ملا

رزبه» وفي الدرّ 140ب «ما لا مزية عليك به» .

ف2 ، وحكى دعبيل الخزاعي (الدرّ 140ب) .

231ب ، ف1 ، وحكى الجاحظ (الدرّ 140ب) .

232أ ، ف4 ، استسلامًا للبلوى في أمرك وإقرارًا . . (الدرّ 141أ وفيهما «استسلام . . إقرار») .

234ب ، ف1 ، أمرًا («امر») أذهلني .

235أ ، ف4 ، انتهى ذكر النظام (الدرّ 147أ . وذكر أشعارًا أخرى للنظام) .

ف5 ، كان (الدرّ 156أ) صاحب لغة ونحو . . وقال عمرو بن شبة (الدرّ 156أ) .

235ب ، وقال أبو أحمد العسكري (الدرّ 156أ) .

ف2 ، والأصمعي (الدرّ 156أ) .

ف4 ، قال المؤيد (30/2) .

236أ ، ف3 ، له بصر («بصرة») .

236ب ، ف5 ، قال ابن كثير (الدرّ 176ب) .

237أ ، السنة بقوله (الدرّ ، البيت الأخير «عقلا من خليفتم») .

ف2 ، قال الخطيب البغدادي (الدرّ 155ب) .

ف3 ، قلت (قلت . . ، وما بعدها غير موجود في الدرّ) .

237ب ، ف1 ، وقال ابن الجوزي (الدرّ 155ب) .

ف2 ، وروى الخطيب البغدادي (الدرّ 155أ) .

ف4 ، قال ابن الجوزي (الدرّ 155أ) .

ف5 ، وقال الطبري (الدرّ 155ب) .

ف5 ، قال المؤيد (30/2) .

ف6 ، فجرى (الدرّ 124ب) يومًا .

238ب ، ف3 ، قيل (الدرّ 115أ) والسبب .

ف4 ، قال بعضهم (الدرّ 115أ) .

239أ ، ف1 ، بكفر قائل ذلك (هنا ينتقل الدرّ الى السبب الحامل للمأمون على القول بخلق القرآن . وقد تقدم في ابن وادران أعلاه) .

ف2 ، وذلك (الدرّ 172ب) أنه كان بالرقّة . . اسحاق بن ابراهيم بن مصعب (ذكر الدرّ وفاته في سنة 235هـ . وترجمته باختصار) . . عيّنهم له (الدرّ 115أ) .

240ب ، المؤيد (31/2) .

ف2 ، من المسودة (العبارة الاخيرة غير واردة في الدرّ. انظر التعليق على ذلك في المقدمة) .

ف3 ، قيل (الدرّ 161أ) : لما كان المأمون . . جمع («حجم») .

241أ ، في تحفة الالباب ، انتهى (وبعده يعنون صاحب الدرّ بفصل في الخيل وما جاء فيها من الاخبار . انظر التعليق على ذلك فيما بعد ، ص 250ب) .

ف2 ، قيل (الدرّ 171ب) إنه عرض .

241ب ، ف2 ، وذكر الخطيب (الدرّ 174ب) .

ف4 ، قال (الدرّ 173ب) ابن عساكر . . أبي يوسف القاضي (الدرّ «وأبو يوسف القاضي») . . الشعبي («السبعي») واليزيدي (الدرّ «اليزيدي») .

ف5 ، وروى (الدرّ 173ب) ابن عساكر . . في الشماسة (الدرّ «الشماسية») .

242 ، ف5 ، ذكر ابن كثير (الدرّ 175أ) .

ف6 ، وذكر في تاريخ العظمي (الدرّ 177أ) .

ف8 ، وقال ابن كثير (الدرّ 175ب) .

- ف9 ، وذكر الخطيب (الدرّ 175ب) .
- 243أ ، ف1 ، وقال (الدرّ 175ب) ابن عساكر . . حكاية المؤيد (المختصر 32/2) .
- ف2 ، يحكى (الدرّ 175ب) أنّ المأمون .
- 244أ ، ف2 ، وحكى (الدرّ 176أ) ، أنّه لمّا تجهّز .
- 244ب ، ف4 ، كان (الدرّ 147ب) ركب في العسكر .
- 245أ ، ف4 ، ثم (الدرّ 154ب) عاد الى بلاد الرّوم .
- 245ب ، ف2 ، وقال النويري (الدرّ 157أ) .
- ف3 ، قال العلامة جلال الدين السيوطي (الدرّ 157أ) .
- 246أ ، ف1 ، بقلم الطبر (الدرّ «الطبر» ، ربما بسبب الطيور المرسومة في كتابته . ولعل والطبر الواردة في نصنا أصح ، لان الطير نوع من السلاح له فأس . وهو أقرب لئن يستعمل في الكتابة النقشية . ولفظ الطير على كثرة الطيور في الكتابة الفرعونية) .
- ف2 ، وقال ابن المتوج (الدرّ 158ب) .
- 246ب ، ف1 ، وقال في ربيع الابرار (الدرّ 159أ) .
- ف2 ، وقال المسعودي (الدرّ 159أ) . أورد قوله كاملا) .
- ف4 ، قال (الدرّ 951ب) القاضي [الفاضل] : الهرمان .
- ف5 ، قال في ربيع الابرار (الدرّ 159أ) .
- 247أ ، ف3 ، وقال صاحب المرأة (الدرّ 157 مكرر ب) .
- 247ب ، ف1 ، وقال صاحب مناهج الفكر (الدرّ 158ب) .
- ف3 ، وقال في المسالك (الدرّ 159ب) .
- ف4 ، صاحب المرأة (الدرّ 157 مكرر ب) .

- ف4 ، وقال (الدرّ 158أ) صاحب المناهج . البراري («براي») .
 248أ ، ف1 ، وقال سعيد بن عفير (الدرّ 157ب مكرر) .
 248ب ، ف3 ، وقال صاحب المناهج (الدرّ 158ب) .
 249أ ، ف1 ، ذكر (الدرّ 159ب) في صحيح مسلم .
 249ب ، ف1 ، قال الترمذي (الدرّ 160أ) . وقد قدّم وأخر) .
 250أ ، ف4 ، وذكر (الدرّ 160ب) ابن قتيبة .
 ف6 ، وذكر (الدرّ 160ب) صاحب السيرة .
 ف7 ، قال السمرقندي (الدرّ 160ب) .

250ب ، ف1 ، المؤيد (30/2) . من اتبع الهدى» اه . (بعد هذا الخير في الدرّ نجد «فصل لما كان المأمون في أرض الروم . .» وبعده يعنون بفصل في الخيل وما جاء فيها من الاخبار ، 164ب : «قلت انظر الى جرأة الحجاج على أنس بن مالك . . ونذكر نبذة من أخباره وارتكابه الذي لم يرتكبه أحد . .» ويتابع في أخبار الحجاج الى 169ب ، بعدها يرجع الى الفرس . . والعربيات والبراذين الى 172أ . ومن أخباره حول الحجاج 165ب قال بعضهم : «والله ما ولدت الامهات أذكر من هذا !» . 167ب : « . . فلا تردون سلامه . والله لأؤدبنكم» . 168ب : «قال ابن خلكان ولما حضرته الوفاة أحضر منجماً وقال : هل ترى ملكاً يموت ؟ قال : نعم ، ولست هو ! قال : وكيف ذلك ؟ فقال : لأن الملك الذي يموت اسمه كليب . فقال الحجاج : أنا هو والله ، بذلك الاسم سمّيتي أمي» . 169أ : «إنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله لله فقال : إنهم يطوفون بأعواد ورمّة !» 169ب : «وذكر الصميري في شرح الكافية أنه لا يجوز بيع الفرس لأهل الحرب كالسلاح . .» . 172أ قال الجاحظ : لم يبلغنا من روافع الكلام عن النبي ﷺ . وغلط في هذا الحديث ونسب الى التصحيف وإنما قال القائل ما بلغنا عن الليثي يريد عثمان الليثي ،

فصحف الجاحظ . قالوا النبي ﷺ أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال . . .» .

252أ ، ف3 ، وقال المؤيد (32/2) .

253ب ، في كل سنة عند محلها . (في الدرّ 177ب : وفي عيون المعارف «ردّ المأمون في السنة التي توفي فيها مكة على ولد فاطمة رضي الله عنها وسلمها الى محمد بن عيسى بن الحسن بن زيد بن علي ومحمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين» .

ف2 ، وكان (الدرّ 177ب) له عدة أولاد .

ف3 ، هو (الدرّ 178أ) محمد بن هارون ،

254أ ، ف2 ، وقد (الدرّ 178أ) شغب الجند .

ف3 ، وتحمل (في الدرّ وفي بعض المراجع «تجمل» والظاهر أنه خفي عنهم المعنى في التحمل وهو الترحل) تام .

ف6 ، المؤيد (32/2) تحقيق كوتير مطبوع في

ف8 ، ذكر الخطيب البغدادي (الدرّ 178ب) .

254ب ، ف1 ، قال الحافظ الذهبي (الدرّ 178ب) .

ف2 ، قال ابن يونس (الدرّ 178ب) .

255أ ، ف2 ، قال بعضهم (الدرّ 190ب) .

256ب ، ف1 ، المازيار («المازرياز» .

ف3 ، وذكر ابن الجوزي (الدرّ 190أ) .

ف4 ، وفيها فتح بمصر (الدرّ 190أ) .

ف5 ، وفيها كانت كلاب (الدرّ 198ب) .

ف6 ، المختصر (34/2) .

- ف8 ، وقال بعض المؤرخين (الدرّ 189أ) .
- 257ب ، ف2 ، وقال سطيح (الدرّ 189أ) .
- 258أ ، ف7 ، ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة (الدرّ 186أ) .
- 262ب ، ف2 ، أن أستبرئها (في الاصل «اشتريتها») .
- ف3 ، وقال ابن خلكان (الدرّ 188أ) .
- 263ب ، ف1 ، وبعث (الدرّ 182أ) اليه بثلاثين .
- 265أ ، ف1 ، تاريخ البدري (الدرّ 181أ) .
- ف2 ، قيل (الدرّ 183أ) ، كان المعتصم .
- 265ب ، ف2 ، وقيل (الدرّ 183أ) سبب فتح .
- 266أ ، ف2 ، المؤيد (33/2) .
- 266ب ، في تاريخه بزيادة وهذه الزيادة في الدرّ 183أ) .
- ف1 ، قيل (الدرّ 184أ) إن العباس بن علي
- 267أ ، ثلاث وعشرين ومائتين (الدرّ 183أ) : «وفيه مات ملك افريقية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب رحمه الله كان يقول : ما أبالي إن شاء الله تعالى بأهوال يوم القيامة ، فقد قدّمت أربعة أشياء ، بنائي الجامع بالقيروان وقد أنفقت عليه ستة وثمانين ألف دينار ، وبنائي القنطرة بباب الربيع ، وبنائي حصن الرباط بسوسة وتوليتي أحمد بن محرز القضاء . ولما مات تولى بعده أخوه أبو عقّال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب . انتهى) .
- ف1 ، قال بعضهم (الدرّ 183ب) ، مع تقديم وتأخير في الاشعار الواردة في السرّ) .
- ف2 ، وقال آخر (الدرّ 184ب) .
- ف2 ، بعض الحكماء (الدرّ 184ب) .

268أ ، قال غيره (الدرّ 184ب) .

ف2 ، وقال آخر (الدرّ 185أ) : اجتنب .

268ب ، ف4 ، وكما يقال (الدرّ 185ب «متى أخرجت») متى أحوجت .

269أ ، ف6 ، وإنما ذكرنا هذا الاستطراد (قوله : وإنما ذكرنا هذا الاستطراد . . الخ . لم يرد في الدرّ وأورد بعده (181أ) على غير انتظار حديث الموءودة وهو : «وجاء في الاثر أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في الموءودة ، فقال علي كرم الله وجهه : أنها لا تكون موءودة حتى يأتي عليها التارات السبع . فقال له عمر : صدقت أطال الله بقاءك ! فكان أول من نطق بهذا الدعاء ، وأراد علي بالتارات السبع طبقات الخلق السبع المبينة في قوله تعالى : «ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر» يعني ولادته حياً ، فأشار علي رضي الله عنه الى أنه إذا استهل بعد الولادة ثم دفن فقد وئد . وقصد أن يدفع بذلك قول من توهم أن الحامل إذا أسقطت جنينها بالتداوي فقد وأدته) .

ف8 ، ولما (الدرّ 181أ) أدخل عليه .

269ب ، ف2 ، فائدة : قال (الدرّ 182أ) القرافي .

270ب ، (الدرّ 181ب ، ويتابع الدرّ : «واختلفوا هل بعث الله تعالى من الجنّ اليهم رسلاً قبل بعثه نبينا محمد ﷺ ، فقال الضحاك كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى : «يا معشر الجنّ والانس ألم يأتكم رسل منكم» . وقال المحققون لم يرسل اليهم منهم رسول ولم يكن ذلك في الجنّ قط وإنما الرسل من الانس وهذا هو الصحيح المشهور . فرع كان الشيخ عماد الدين بن يونس رحمه الله يجعل من مواعع النكاح اختلاف الجنس ويقول لا يجوز للانسي أن يتزوج

جنية لقوله تعالى : «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا» وقال عز وجل : «ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليهن وجعل بينكم مودة ورحمة» فالمودة الجماع والرحمة والولد . ونص على منعه أئمة الحنابلة وفي الفتاوى السراجية لا يجوز ذلك لاختلاف الجنس . وفي الغنية سئل الحسن البصري عنه فقال يجوز بحضرة شاهدين . وفي مسائل ابن حرب عن الحسن وقتادة انهما كررها ذلك . ثم روى بسند فيه ابن لهيعة أن النبي ﷺ نهى عن نكاح الجن وعن زيد العجمي أنه كان يقول اللهم ارزقني جنية أتزوج بها تصاحبني حيث ما كنت . وقال ابن عدي في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال الطحاوي حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال قدم الينا نعيم بن سالم مصر فسمعتة يقول تزوجت امرأة من الجن . فلم أرجع اليه .

وروى في ترجمة سعيد بن بشر عن قتادة عن النضر بن أنس بن بشير بن نهيك عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أحد أبوي بلقيس كان جنيا . قال الشيخ الحافظ كمال الدين الدميري قال : رأيت شيئا من أهل القرآن والعلم قال تزوجت منهن أربعاً واحدة بعد أخرى لكن يبقى النظر في حكم طلاقهما ولعانهما والايلاء منهما وعدتهما ونفقتهما وكسوتهما والجمع بينهما وبين أربع سواها وما يتعلق بذلك وكل هذا فيه نظر لا يخفى .

قال الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله رأيت بخط الشيخ فتح الدين العمري قال سمعت أبا الفتح القشيري يقول سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول وسئل عن ابن عربي فقال الجن روح لطيف والانس جسم كثيف وكيف يجتمعان ثم غاب عنا مدة وجاء في رأسه شجة فقل له في ذلك فقال تزوجت امرأة من الجن حدث بيني وبينها شيء فشجنتني هذه الشجة . قال الامام الذهبي بعد ذلك ما أظن ابن عربي تعمّد هذه الكذبة وإنما هي من خرافات الرياضة فرع . روى أبو عبيد في كتاب الاموال والبيهقي عن الزهري

عن النبي ﷺ نهى عن ذبائح الجنّ وذبائح الجنّ أن يشتري الرجل ويستخرج العين وما أشبه ذلك فيذبح لها دبيحة للطيرة وكانوا يقولون إن فعل ذلك لا يضرّ أهلها الجن فأبطل النبي ﷺ ذلك ونهى عنه) . قيل : لما أن استخلف المعتصم

271أ ، ف3 ، ذكر الخطيب البغدادي (الدرّ 180أ) .

271ب ، ف1 ، ومن ذلك اليقظة (الدرّ 180ب) .

273ب ف2 ، ذكر في مختار الاغاني (الدرّ 103ب) .

274ب ف2 ، وفيه (الدرّ 104أ) أيضًا ، قال محمد بن جعفر .

276أ ، ف2 ، وذكر في الاغاني (الدرّ 104ب) .

277ب ، ف1 ، اجتاز (الدرّ 192أ) يومًا .

278أ ، ف3 ، وقيل (الدرّ 192ب) إن عبد الصّمد .

278ب ، ف2 ، وكان (الدرّ 193أ) عبد الصّمد .

ف4 ، ومن (الدرّ 192ب) ذلك ما أجاب به اللاحقي .

279أ ، ف2 ، وكان (الدرّ 192ب) في البصرة طفيلي .

279ب ، ف1 ، وفي تاريخ ابن هارون (الدرّ 193ب) .

ف2 ، فقال (الدرّ 193ب) له عبد الصّمد .

280أ ، ف2 ، و(الدرّ 193ب) محمد بن حازم .

ف3 ، قال (الدرّ 194أ) . والشعر فيه «صل خمرة بخمار» ، «وخذ

بحظك منها» في الاغاني .

280ب ، ف1 ، أنشد يومًا بعض إخوانه (الدرّ 194أ) . البيت الثالث

«يعود ولا حميم» .

282أ ، ف3 ، ذكر الخطيب (الدرّ 225ب) . «جيد السرقة» .

282ب ، ف1 ، وذكر في الاغاني (الدرّ 197أ) .

- 283أ ، ف3 ، وتغاضب سعيد (الدرّ 198أ) .
- 283ب ، ف1 ، وذكر في الأغاني (الدرّ 195أ) .
- 284أ ، ف8 ، ذكر النويري (الدرّ 231أ) .
- ف10 ، قال ابن خلكان (الدرّ 230ب) .
- 285أ ، ف1 ، قال ابن عساكر (الدرّ 230ب) .
- ف2 ، قال ابن خلكان (الدرّ 231أ) .
- ف3 ، حكى (الدرّ 231أ) أن اسحاق .
- 285ب ، ف1 ، قال ابن خلكان (الدرّ 195ب) .
- ف2 ، وقال ابن كثير (الدرّ 195ب) .
- 286 ، ف3 ، وخرج أبو تمام (الدرّ 197أ) .
- 286ب ، ف10 ، وأورد ابن عساكر (الدرّ 197أ) .
- 287ب ، ف4 ، وأبو تمام (الدرّ 197أ) .
- 288أ ، ف1 ، وذكر بعضهم (الدرّ 197أ) .
- 289أ ، ف3 ، (الدرّ 199أ) ، بعد «نحو مائة ألف مقاتل» نجد «فلما قدم الأمير وجد أمة كثيرة قد اجتمعوا حوله فخشي أن يناجره والحالة هذه وانتظر حتى جاء وقت حرث الأرض فيصرم عنه الناس إلى أرضهم وبقي في شردمة قليلة مناهضة فأسره جيش الخليفة) وخرج عليه آخر بالشام .
- 291أ ، ف2 ، قيل إنه لما حضرته (الدرّ 200أ) .
- ف4 ، وكان أبيض (الدرّ 198ب) .
- ف5 ، وكان نقش (الدرّ 200أ) .
- 291ب ، ف3 ، واستخلف بعده الواثق (الدرّ 200أ) وفيه : «قلت وكان المعتصم رحمه الله ذا همة عالية وشهامة وعظمة وكرم زائد ورحمة وشفقة على

الرعايا ومع هذا مات مصرا على القول بخلق القرآن والناس في كرب من ذلك الى أن فرج الله عنهم في خلافة المتوكل على الله . تكميل وإيضاح : لما تولّى الواثق الخلافة أصر أيضا على ما كان عليه أبوه وعمه المأمون من القول بخلق القرآن ثم إنه توقف حتى جاء الامر الى المتوكل فأبطله ورفع المحنة على العلماء من البدعة والقول بخلق القرآن وأظهر السنة وسنذكر إن شاء الله نبذة من أخبارهما وما وقع في أيامهما . ذكر خلافة الواثق بن المعتصم . . . « الخ) .

292أ ، ف3 ، قيل (الدرّ 205) إنّ الواثق .

293ب ، ف1 ، فائدة (الدرّ 206) .

294ب ، ف2 ، وقوله (الدرّ 207) وهو أحسن .

295ب ، ف3 ، وكان (الدرّ 207ب) المازني .

296ب ، ف2 ، ولما (الدرّ 216) تمّ الصلح .

298أ ، ف2 ، الجهمية (الدرّ 214) ، بعد ذكر الزنادقة - طائفة منهم -

قال الدرّ : «ولنلحق بابن الراوندي الزنديق . قال ابن خلكان : هو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي العالم المشهور ، وله مقالة في علم الكلام . وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو مائة وأربعة عشر كتاباً . وقال ابن كثير وقد ذكره ابن خلكان ولم يجرّحه بشيء أصلاً ، بل مدحه بقوله هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق المعروف بابن الراوندي ، أحد مشاهير الزنادقة الملحدين عليه اللعنة من ربّ العالمين . كان أبوه يهودياً فأظهر الاسلام ، فيقال إنه حرّف في التوراة كما غدا ابنه في القرآن وألحد فيه وصنّف كتاباً في الردّ على القرآن سمّاه الدافع وكتاباً في الشريعة والردّ عليها سمّاه الزمرد ، وله كتاب التاج في معنى ذلك ، وكتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول . وقد انتصب للردّ في كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه . وقد أجاد في ذلك . وكذلك أبو

هاشم عبد السلام بن أبي علي . قال الشيخ أبو علي الجبائي قرأت كتاب الملحد الجاهل السفیه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء . قال وقد وضع كتاباً في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهريين والردّ على أهل التوحيد ، ووضع كتاباً لليهود والنصارى في الردّ على المسلمين يحتاج لهم فيها على إبطال نبوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ الى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الاسلام . نقله ابن الجوزي .

وفي تاريخ النويري : صنّف عدة كتب في الكفر والالحاد ومناقضة الشريعة ، ومنها قضيب الذهب ، ومنها الدافع وكتاب الفريد وكتاب الزمردة وغير ذلك . فمن كفرياته في كتاب الزمردة أن قال إن الانبياء وقعوا بطلسمات جذبوا بها دواعي الخلق كما يجذب المغناطيس الحديد . ووضع كتاباً لليهود والنصارى يتضمن مناقضة دين كالا سلام . وقال لليهود قولوا عن موسى بن عمران إنه قال : لا نبي بعدي ! وقال في كتاب الفريد إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي جاء به النبي ﷺ فلم تقدر العرب على معارضته ، فقال لهم : أخبرونا لو ادّعى مدّع لمن تقدّم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن فقال الدليل على صدق بطليموس وإقليدس أن إقليدس ادّعى أن الخلق يعجزون على أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثابتة . وقال في قوله تعالى إن كيد الشيطان كان ضعيفاً أي ضعف به وقد أخرج آدم من الجنة . وله من هذا شيء كثير ضربنا عنه لسخافته .

وقال ابن كثير وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندي هذا ، فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فقبضوه فأودعوه في السجن الى أن مات . وأما ابن الراوندي فهرب ولجأ الى ابن لاوى اليهودي ، وصنّف له كتاباً سمّاه الدافع للقرآن . فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى مات لعنه الله . ويقال إنه أخذ وصلب . وأما تاريخ وفاته في سنة تسعة وعشرين ومائتين . وقال ابن خلكان توفي في سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق الثعلبي وقيل

بيغداد وعمره أربعون سنة . وذكر النويري أن عمره ستا وثلاثين ، ثم قال هكذا وجدت في تاريخ شهاب الدين الحموي . وذكر في البستان أنه توفي سنة خمسین ومائتين ، أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين وهذا بعيد ، والصحيح ما قاله ابن خلكان لان البدری ذكر وفاته في خلافة المتوكل على الله وهو الصحيح . وقال ابن خلكان ونسبته الى راوند قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان وراوند ناحية بظاهر نيسابور وقاسان بالسین المهمة غير قاشان التي بالشين المعجمة المجاورة لقم . انتهى أخبار هذه الزنادقة والملحدین وعصمنا الله من أقوالهم الشنيعة التي لا يقبلها أحد من الناس إلا من كان أحمق زنديقا مثلهم عاقانا الله مما ابتلاهم به ، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثلاثين بعد المائتين .

215أ : . . . وخرج الى الحج في هذه السنة وشهد الموسم اسحق بن ابراهيم بن مصعب نائب العراق وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم على يد الواصل . . . » وقد تقدم (296ب) .

298ب ، كذا وجدناه في المسودة (الدرّ 213ب . عبارة كذا وجناه في المسودة غير موجودة في الدرّ ، وقد أورد الدرّ هذه الحكاية التي سمّاها لطيفة بعد استعراض طويل للنحو ومسائله وشرح لبعض سجعات تتعلق بالصرف والمذاهب من الورقة 208 الى 213ب) .

ف1 ، وقيل : أول من تكلم (الدرّ 212ب) .

ف3 ، حكى ابن مهاجر (الدرّ 212ب) .

301ب ، ف2 ، حكى أن الواصل (الدرّ 207أ) .

305ب ، ف2 ، وقال المؤيد (2/36) .

ف3 ، هو جعفر المتوكل (الدرّ 219ب . الدرّ لم يخصص بابا لخلافة

المتوكل بل اكتفى بكتابة عنوان «ذكر خلافة المتوكل» .

306ب ، ف1 ، الفرج بعد الشدة (172/1) .

309أ ، ف1 ، الخبر من وجه آخر (الفرج بعد الشدة 111-112) .

312 ، ف2 ، فقدم (الدرّ 229ب) الى سامراً .

312ب ، ف2 ، كان (الدرّ 240ب) بُغا .

ف4 ، من تجرباً عليه (وبعده في الدرّ 240أ : «وفيها (أي في سنة 238)

جاء الفرنج نحو ثلاثمائة مركب قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأحرقوا الجامع والمنبر وأسروا من النساء نحو ستمائة امرأة ، من المسلمات مائة وخمسة وعشرين والباقيات من نساء القبط ، وأخذوا من الامتعة والاسلحة والغنائم شيئاً كثيراً جداً ، وفرّ الناس منهم في كلّ جهة ، فكان ممن غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسروه» .

ف5 ، وذلك (الدرّ 227ب) وأتى قطع بالورقة على جزء من هذا الخبر

أن ابن يوسف .

ف7 ، وخرج (الدرّ 229ب) على المتوكل .

ف1 ، قيل (الدرّ 229ب) إن المتوكل .

314أ ، ف3 ، وما أحسن ما قاله ابن المعتز (نسب الدرّ هذه الحكم الى

ابراهيم بن المدبر ، فقد جاء في الورقة 142أ «قلت قد رأيت في حاشية بعض الكتب أن ابراهيم بن المدبر كان صاحب الطريقة الانيقة في التجنيس البديع التأسيس فمن ألفاظه . . الخ) .

ف4 ، وعبد الله بن المعتز (الدرّ 225ب) .

315ب ، ف5 ، ثم أنشد لنفسه هذه الايات (الدرّ 226ب) .

ف7 ، ذكر في كتاب الفرج بعد الشدة (51-52) والقراءة فيه مشوّهة

للمعنى في كثير من المواضع) .

318ب ، ف2 ، وأمر (الدرّ 238أ) بإنزال .

ف3 ، وكان (الدرّ 230أ) المتوكل .

320أ ، ف2 ، قال المؤيد (2/39) .

321ب ، (الدرّ 235أ) فغاض الناس .

ف1 ، وكان (الدرّ 235ب) المتوكل .

322أ ، المؤيد (2/40-41) .

322ب ، ف4 ، ذكر (الدرّ 235أ) النوري .

323 ، ف2 ، وكان (الدرّ 235أ) أبو السمط .

323ب ، ف1 ، قال (الدرّ 220أ) ابن خلكان .

324ب ، ف1 ، الملك المؤيد (2/45) في مختصره .

325أ ، ف1 ، قيل (الدرّ 224ب) إن أبا العيناء .

ف2 ، دخل (الدرّ 224ب و241ب) يوماً .

ف4 ، قيل (الدرّ 223ب) كان أبو العيناء .

ف5 ، شكى (الدرّ 223ب) الى عبيد الله .

ف6 ، وإنما (الدرّ 223ب) قال ذلّ الأسر .

326ب ، ف4 ، وظرائفه غزيرة . (بعد أخبار أبي العيناء انتقل الدرّ 225أ

الى أخبار ابن المعتز وقدم لذلك بقوله : «حكاية لطيفة أردت أن أذكرها ولو

خرجت عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه وقد رأيت في بعض المجاميع أن

عبد الله بن المعتز كان يقول أربعة من الشعراء سارت .» الخ (وقد تقدّمت

في ابن وادران) وبعدها ذكر حكاية لمحمد بن حازم وقد تقدّمت في ابن وادران

ص 282 أ ثم أبو الحسن علي بن المنجم 226ب ثم المبرد 227-229أ وختم

بملاحظة وهي «وهذا كله وإن كان خارجا الخ ص 331ب) .

328 ، ف4 ، حكى (الدرّ 227أ) المبرد .

328ب ، ف2 ، والمبرد (الدرّ 227أ) .

ف3 ، حكى أبو الهاشم (الدرّ 227ب) .

330أ ، ف1 ، قال ابن خلكان (الدرّ 227ب) .

332ب ، ف1 ، وكان أبو العميثل (الدرّ 232ب) .

333أ ، ف3 ، ابن دريد (الدرّ 233ب) .

ف4 ، ولد (الدرّ 334أ) بالبصرة .

ف5 ، ويقال (الدرّ 334أ) ، وزاد بعد قوله ، وأحاط فيها بأكثر المقصور :

«قال المسعودي وقد عارضه في هذه القصيدة المعروفة جماعة الشعراء منهم أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم الانطاكي التنوخي وغيره ، وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين شرحوها وتكلموا على ألفاظها . ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي البستي ، وكان متأخراً توفي في صدر سنة سبعين وخمسمائة ، وشرحها الامام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب الجامع في اللغة . وشرحها غيرهما أيضاً» . وذكر ذلك أيضاً في ابن خلكان (324/4) .

335أ ، ف4 ، قوله (الدرّ 335أ) حال الجريض .

335ب ، ف2 ، ذكر (الدرّ 230ب) ابن كثير .

336ب ، ف2 ، قال (الدرّ 237ب) «قال في كتاب المرادي للنيسابوري»

المرادي النيسابوري . . يقرأ علي ريقة (في الاصل «ريقه» ولعلها تحريف لرؤية أو وريقة) .

338أ ، ف2 ، قال (الدرّ 237أ) وجزء كبير من هذا الخبر أتى عليه القطع

بالواقع بالورقة) أحمد بن حمدون .

ف3 ، قال (الدرّ 237أ جزء كبير من ذا الخبر والشعر الوارد فيه قد أتى عليه القطع في جانب الورقة) أحمد بن المفضل الكاتب .

341ب ، ذكر (الدرّ 240ب) أن من شعراء المتوكل .

343أ ، ف3 ، أول (في الدرّ 202أ : «فصل ، ولما آل بنا الغرض الى هنا نذكر الآن من دخل إفريقية من أمراء بني العباس ونسرد أسماءهم على الولاء من غير إطناب والله الموفق للصواب واليه الملجأ والمآب . ولما كان قيام بني العباس بالمشرق وتشتت جمع بني أمية كثرت الفتن بإفريقية واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق وهاجت فتن الخوارج بالمغرب ، وقام أبو الخطاب رأس الخوارج بإفريقية وكثر ضررهم اشتدت شوكتهم أرسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بن عتبة الخزاعي سنة أربع وأربعين وقال ابن نباتة الذي بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، والاول أصح ، فحارب الخوارج . . » الخ) من دخل إفريقية .

344ب ، ف2 ، وهو (الدرّ 203أ) أخو يزيد المذكور .

345ب ، ف2 ، ولأه (لم يذكر الدرّ 203ب) الولاة الذين ولاهم الرشيد في سنة تولية ابراهيم بن الاغلب كما في ابن وادران ، ولا ذكر على أية ولاية كان ابراهيم قبل توليه إفريقية ، وهي ولاية الموصل وأعمالها . ولم يقدم أيضا سنة 185 ، على قول آخر ، سنة ولايته . وذكر خلافا لما هنا أنه مات سنة ستاً وثمانين [ومائة] . انظر ابن خلدون ط . بيروت 8691 القسم الاول المجلد الرابع ص 397-441 «أخبار القائمين بالدولة العباسية من العرب المستبدين بالنواحي ونبدأ منهم ببني الاغلب ولاة إفريقية وأولية أمرهم ومصائر أحوالهم . . . » وهو مليء بالاطعاء الرشيد .

346أ ، وأدرکه حمامه (الدرّ 203ب . وجاء فيه بعد هذه العبارة «ومات في ست وثمانين ومائة» وهو خطأ فيما يبدو ، لأن وفاته في سنة سبع وتسعين ومائة . ويصححه ما تقدم (203ب) حيث وردت عبارة «ولم تطل أيامه

وأركه حمامه» متعلقة بخلفه عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب : «ومنهم عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب . فمكث سنتين ولم تطل أيامه حتى أدركه حمامه فتولى بعده زيادة الله بن الاغلب» .

ف1 ، (الدرّ 302 ب : «ومنهم عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ، فمكث سنتين ولم تطل أيامه حتى أدركه حمامه فتولى بعده زيادة الله بن الاغلب بأمر المأمون وهو محارب لاختيه الامين فأولى زيادة الله على إفريقية وبرقة والمغرب كله سنة إحدى ومائتين . فقام عليه منصور الطنبذي وحاصره اثنتي عشرة سنة والطنبذي هذا من قواد الجند كان فيه ميل لمحمد الامين . وكان الطنبذي قام مع جماعة من الجند ونسبه أهل القيروان الى الجور . وآخر الامر انتصر زيادة الله على الطنبذي وهزمه وملك القيروان وإفريقية بعد حروب يشيب لها الطفل الرضيع وفتح الله عز وجل لزيادة الله وبنى سور القيروان وهدم الجامع ما عدا المحراب وانفق عليه ستة وثمانين ألفاً كما ذكرنا عند موته . . . ») كانت ولايته من قبل المأمون . . فمكث سنتين (يظهر أنه قد اختلط الامر هنا لأن ما سيأتي يتعلق بزيادة الله وليس بأبي العباس عبد الله) . أبو العباس عبد الله (والصحيح زيادة الله) على الطنبذي .

346ب ، ف1 ، قال ابن رشيق (في كشف الظنون وغيره ينسب لابن رشيق علي بن حسن كتابان في التاريخ أحدهما ميزان العمل والآخر يعرف باسم تاريخ ابن رشيق) .

348أ ، ف1 خدمه الخصيان . (الدرّ 402 ب : «واستعمل بعده الامير محمد الاغلب وعلى الجزيرة أحمد بن يعقوب . ولما مات الامير محمد قام بالامر بعده ولده أحمد سنة إحدى وستين ومائتين . ومنهم الامير احمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب ، قام بالامر بعد أبيه وهو الذي بنى ماجل القيروان وجامع تونس وله وقعة مشهورة») .

348ب ، ف3 ، ابراهيم بن أحمد (جاء في الدرّ إن الذي قام بالامر بعد

زيادة الله بن محمد هو ابن أخيه الأمير أحمد) .

ف4 ، ماجل القيروان (جاء في الدرّ (204) أنّ الذي تولّى بعد محمد هو ابنه أحمد وذكر أنّه «هو الذي بنى ماجل القيروان وجامع تونس وله وقعة مشهورة» .

349أ ، ف2 ، بالذّرب (الذرب ، داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه) . . ولده عبد الله . (جاء في الدرّ (204أ) بعد قوله وكانت ولايته خمسمًا وعشرين سنة «وفي أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعي بأرض كتامة يدعو الى الرضا من آل محمد ﷺ كذا حكاه ابن سعدون القيرواني ، انتهى ومنهم الأمير أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد المتقدم ذكره . . ») .

350أ ، ف2 ، شعر لحيته (هنا جاء في الدرّ «فماطله العامل» . ولا ذكر فيه لعبارة «بالذهاب الى الحمامات» المذكورة في البلدان لليعقوبي والمسالك للبكري باسم ذات الحمام ولا إشارة فيه كذلك «لسقوط شعر لحيته» .

350ب . . ستّ وتسعين ومائتين . (جاء في ترتيب ولاية بني الاغلب في الدرّ 204أ : أبو العباس أحمد بن ابراهيم . وبعده : أبو ابراهيم محمد بن ابراهيم بن محمد بن الاغلب . وجاء فيه أيضًا أن الذي قام بالامر بعد زيادة الله بن محمد هو ابن أخيه الأمير أحمد . وأن الذي تولّى بعد محمد هو ابنه أحمد ، وذكر أنّه «هو الذي بنى ماجل القيروان وجامع تونس وله وقعة مشهورة» .

المحتوى

- 1 -

العناوين الرئيسية والعناوين الفرعية في كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

أبواب الكتاب

- الباب الاول
في دولة أمير المؤمنين المجيد أبي جعفر هارون الرشيد 3-أ91
- الباب الثاني
في دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الأمين 91-أ120
- الباب الثالث
في دولة أمير المؤمنين أبي جعفر عبد الله المأمون 120-أ253
- الباب الرابع
في دولة أمير المؤمنين أبي اسحاق محمد المعتصم بالله 253-ب302
- الباب الخامس
في دولة أمير المؤمنين أبي جعفر هارون
الواثق بالله بن المعتصم بالله 302-ب316
- [الباب السادس
في دولة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم] 316-ب354
- خاتمة في ذكر عمال بني العباس بأفريقية
ومن دخلها من عمالهم 354-أ364
- [ملحق به] أسماء خلفاء بني العباس الى المقتدر ومددهم 361-ب364

المحتوى المفصل

| العنوان | الورقة |
|--|-----------|
| الباب الأول | |
| في دولة أمير المؤمنين المجيد أبي جعفر هارون الرشيد | أ3 - أ91 |
| - مسرة ملوكية واتفاقية وقتية | أ6 - ب6 |
| - مبرة ماجدة ووفاء والدة | ب6 - 7 |
| - عفو سياسة وتدير رئاسة | أ11 - ب12 |
| - تمام آجال ووفاء رجال | أ12 - ب12 |
| - أدبية بارعة وروضة يانة | أ12 - ب14 |
| - تذكرة اعلام ووفاء امام | أ14 - أ18 |
| - تفريج مصاب وزوال اكتئاب | أ18 - ب20 |
| - غصب واسترجاع ووعظ واقتناع | ب20 - أ21 |
| - اشتياق وبغية وفصيل وقضية | أ21 - ب21 |
| - فكر ثاقب ورأي صائب | أ21 - ب24 |
| - أخلاق رضية وخلق مرضية | أ24 - ب26 |
| - شدة داهمت وعامة خالفت | أ26 - أ26 |
| - غضب أمير وغضب وزير | أ26 - أ27 |
| - شارق علم وبارق حلم | أ27 - أ27 |
| - ضحكة سادة وخارق عادة | أ27 - أ28 |
| - خلق حسان ومجالسة أعيان | أ28 - ب28 |
| - تكميل مرام وسياق كلام | ب28 - ب29 |

- فطنة ذكية ونباهة زكية 29ب-30أ
- بهجة وخصال ووهجة وإبطال 30أ-35أ
- غبطة سلطانية ونزعة شيطانية 35أ-38ب
- قينة جليلة وقنة خلية 37ب-38ب
- أنفة واعزاز وألفة واستعزاز 38ب-39أ
- تكميل مرام وسياق كلام 39أ-40ب
- مكارم أخلاق ومنادمة أرفاق 40ب-41أ
- أدب وشجون ودعب ومجون 41أ-45ب
- شدة واقتحام وفرج واهتمام 47أ-50أ
- تمام مرام وسياق كلام 50أ-51ب
- خطاب أديب وخطب مصيب 51ب-53أ
- سياق كلام وتمام مرام 53أ-58ب
- مزاح شعراء ومصارع أمراء 58ب-64أ
- ومما يندرج في سلك هذا الأسلوب ويوشع هذا المكتوب 61أ-64أ
- ثبات جاش وتلقي إفحاش 64أ-67أ
- سحق ورضى واعتراف بالقضا 67أ-67أ
- عبرة لمعتبر وتذكرة لمزدوج 67أ-69أ
- ذكر أخبار ولطائف أخبار 69أ-71أ
- نجاة صدق ومجال حق 71أ-74أ
- اجتناب ريب واختلاف رتب 74أ-82ب
- سياق كلام وتمام مرام بذكر همام 82ب-91أ

الباب الثاني

- في دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الأمين 91أ-120أ
- قينة لطيفة وقينة ظريفة 94أ-94ب
- سمة سنية وشمة رضية 94ب-96ب
- مؤانسة اخوان ومساهرة خلان 108ب-109أ
- ومما يناسب هذا المقام ويندرج في سياق هذا الكلام 108ب-109أ
- نزع شيطانية وزيف سلطانية 112أ-115أ
- لطيفة 115أ-120أ

الباب الثالث

- في دولة أمير المؤمنين أبي جعفر عبد الله المأمون 120أ-253ب
- نزهة نفوس وسلوة منفوس 120ب-112أ
- تدبير قسيس وشورى رئيس 122أ-123أ
- حكم رابحة وأمثال ناجحة 123أ-129أ
- فحص جواب وفصح خطاب 129أ-139أ
- ومن طرائف ما وقع للمأمون من حسن الخطاب ولطائف الجواب 139أ-147أ
- لطيفة 147أ-147أ
- مما يناسب هذا المقام ويندرج في سلك هذا النظام 147أ-153أ
- نادرة غريبة 153أ-155ب
- خبر غريب وحلم عجيب 155ب-158ب
- لطيفة 158ب-160أ
- فضل حلم وفضول جرم 160أ-173أ
- شيم سنية وخلق رضية 173أ-173أ
- لطيفة 178أ-178ب
- روض أنيق وأدب رشيق 178ب-180ب
- غرر أخبار وأنباء حبار 180ب-184أ
- تمام كلام وتتميم مرام 184أ-190أ
- شيم سنية وأخلاق رضية 190ب-196ب
- لطيفة تزر ومنيفة تذكر 196ب-200أ
- فطنة ذكية ونباهة زكية 200ب-215أ
- نباهة جليلة وقينة بهية 200ب-215أ
- نادرة غريبة ولطيفة عجيبة 215أ-215أ
- بذل وإنعام ومنادمة وإكرام 215أ-216أ
- مكارم أخلاق ومراعاة أرفاق 216أ-230أ
- روض زاهر وحكيم ماهر 230ب-235أ
- تكميل مرام وذكر إمام 235أ-236أ
- بدع واعتزال وعن وأكبال 236أ-237أ
- لطيفة 231-241أ

- لطيفة 241-243أ
- لطيفة 243-253ب

الباب الرابع

- في دولة أمير المؤمنين أبي اسحاق محمد بن المحصم بالله 253ب-291ب
- همة هاشمية وصله عباسية 265أ-266ب
- انمام شيطاني والمام سلطاني 266ب-269أ
- جلسة رائعة وصوله قامعة 269أ-269ب
- فائدة 269ب
- تقلب أحوال وانقضاء آجال 290ب

الباب الخامس

- في دولة أمير المؤمنين أبي جعفر هارون الواثق بالله بن المحصم بالله 291ب-305ب
- مطارحة 302ب
- فائدة 304ب
- لطيفة 311أ
- لطيفة 313أ
- لطيفة 322
- خاتمة في ذكر عمال بني العباس بأفريقية ومن دخلها من عمالهم 343أ-353ب
- ولاية عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة 343ب-344أ
- ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة 344أ-344ب
- ولاية روح بن حاتم بن قبيصة الاسدي 344ب-344ب
- ولاية هرثمة بن اعين الهاشمي بالولاء 345أ-345ب
- ولاية ابراهيم بن الأغلب 345ب-346أ
- ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب 346أ-346ب
- ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب 346ب-348أ
- ولاية أبي عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب 347أ-347أ
- ولاية أبي العباس محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب 347أ-347ب
- ولاية أبي ابراهيم أحمد بن محمد المذكور 347ب-359أ
- ولاية أبي محمد زيادة الله بن محمد بن ابراهيم بن الأغلب 348أ-348ب
- ولاية أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الأغلب 348ب-348ب

- ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب 349أ-349ب
 - ولاية أبي مضر زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب 349ب-350ب
- [ملحق به]

أسماء خلفاء بني العباس الى المقتدر ومددهم

الفراغ من التبييض 350ب-353ب



مركز تحقيقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

إفادات
- 1 -
ذكر «المسودة»
في كتاب
دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

الورقة 2ب ، «قد كنت ظفرت فيما ظفرت به من الأوراق بمسودة لم يبيض ويرتب منه السياق ، فجعلت أتصفح ما فيه ، وأتأمل في معانيه ، فإذا هو في دولة الرشيد من بني العباس وبنيه»

الورقة 48أ ، «قد كنت ليلة الخميس ثالث عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف اشتغلت بالنظر في هذه المسودة قبل تبيضها وقد أرقني السهر ومللت النظر فأخذت مضجعي ونمت وقد استغرقني النوم (ويروى رؤيا رآها في المنام ، ويقدم لكل ما سبق بقوله «فقير الديان حسين بن محمد وادران»

الورقة 219ب ، «نقلته من بعض الخطوط»

الورقة 223ب ، «كذا وجدناه غير معزو»

الورقة 230ب ، «كذا وجدناه بالمسودة غير معزو والظاهر أن هذا ليس

جميعه مخاطبة سهل للمأمون وإنما أدخل غيره مع تبينه»

الورقة 240ب ، «كذا نقلناه من المسودة»

الورقة 309ب ، «كذا وجدناه في المسودة»

الورقة 324أ ، «كذا في المسودة»

الورقة 324أ ، «كذا في المسودة»

الورقة 324أ ، «حتى مات من الضرب وحبست أصحابه ، انتهى كله من
المسودة»

الورقة 333ب ، «كذا في المسودة»

الورقة 346 . . . ، «كذا وجدته في المسودة»

الورقة 364أ ، «مع ما نقلناه من المسودة بعزو لابن الشباط وابن
الشماع» .



مركز بحوث كتاب وعلوم إسلامي

- 2 -

موضع ذكر المؤلف في كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

2ب-3أ : « . . . وبعد ، فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير ،
المرتجي فيض النوال والغفران عُبيد الله حسين بن محمد وادران ، قد كنتُ
ظفرت فيما ظفرت به من الاوراق بمسودة تاريخ لم يبيض ويرتب منه السياق ،
فجعلت أتصفح ما فيه ، وأتأمل في معانيه ، فإذا هو في دولة الرشيد من بني
العباس وبنيه ، ومع هذا قد أخبرت أنه قد جمعه بعض أبناء /3/ جنسنا النجباء
ممن تقدم عصرنا وقارن الآباء ، غير أنه لم يجدد منحاته الشوقية ، وينقح
رشحاته الذوقية ، فبينما أنا في رياض تلك السطور ، أقتطف من أزهار ذلك
المنثور ، إذ أبهاني شارق أنواره ، وناجاني طارق أخباره أن أبيض تلك السطور
الجلية ، وأنقح تلك المعاني السنية ، بأن أميز مراتب ذلك المكتوب ، وأجعل له
هيئة و أسلوب (كذا ، ويظهر أنه أسقط الاعراب لمناسبة السجع) ، مع ما
أدمجنا فيه من الإنقال ، ووشحنا حُلته بهواتف الفكر والبال ، ليكون من
جالس مصابيح غرره اغتنى عن كل جليس بنفائس ذرره انثنى عن كل أنيس ،
إذ تبسم طيب أخباره يرقص رؤوس العلماء طرباً ، وتجادب نشق أريجهم يزهد
نفوس الحكماء عجباً ؛ وها أنا أجمع غرائبه المستفزة للخواطر ، وأؤلف بدائع
عجائبه المستلذة لذوي البصائر، وقد جاء بحمد الله تعالى نزهة لذوي الألباب ،
مرتباً على ستة أبواب . الباب الاول في دولة أمير المؤمنين المجيد أبي جعفر
هارون الرشيد . . . »

أ84 : «وروي أنه عند ذكره (الضمير يعود على عبد الله بن المبارك المحدث المشهور) تنزل الرحمة ، قال فقير الديان حسين بن محمد بن وادران : قد كنت ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف اشتغلت بالنظر في هذه المسودة قيل تبييضها وقد أرقتني السهر ومللت النظر فأخذت مضجعي ونمت وقد استغرقت النوم وإذا أنا بهيئة لم أشعرها بعد الانتباه وكأنّ شخصاً يخاطبني وهو يقول لي : ثلاثة تنزل الرحمة عند ذكرهم ، الحسن والحسين وعبد الله بن المبارك . فانتبهت وأنا أقول ذلك واستيقظت عند قولي والحسين ولم أذكر الثالث الا يقظة ولم أشعر بغير ذلك ولم أتذكر الرجل على أي هيئة هو ، وقد سررت برؤياي والحمد لله» .

أ343 : (آخر خلافة المتوكل ، الباب السادس) « . . . وهنا ألقى القلم رحله وطوى وألقت عصاها واستقرّ بها النوى إذ هذا آخر ما وجدناه مما جمع في أخبار بني العباس وقد أوعدنا فيما سبق بتبييضه وتنقيحه لتشفّ الاسماع وتروق بأخبارهم الانفاس والحمد لله على بلوغ المقاصد والآمال مما أردنا تنقيح ما أهمل وانخرم وكان في زوايا الاهمال» .

(ثم هناك مباشرة عنوان) خاتمة في ذكر عمال بني العباس بافريقية ومن دخلها من عمالهم « .

361ب : (آخر الكلام عن الاغلبة) هذا آخر ما أردناه من غرضنا من هذا الكتاب والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ولكن حيث انتهى بنا الكلام الى المقتدر وكان هو الثامن عشر فينبغي أن نذكرهم أسماءهم ومددهم على سبيل العد والتحصيل ليحصل العلم بهم من غير إطناب ولا تطويل فنقول إن أولهم . . (الخ) .

أ364 : « . . . فكان المقتدر هو آخر الخلفاء من بني العباس بافريقية . ثم صارت الخلافة لبني العبيد الفواطم بافريقية ، وقسموا بالبلاد مع بني العباس الى أن استولوا على مصر وغيرها . انتهى كذا نقلناه من تاريخ المؤيد ، من أماكن

منه . وراجعنا فيه ذكر بني الاغلب ، مع ما نقلناه من المسوّدَة بعزو لابن الشبّاط وابن الشّماع وغيرهما الا أنّ فيه تخطيط ، فصصحنا ذلك من المختصر للمؤيد رحمه الله تعالى . وهذا آخر ما أردناه من هذا الكتاب ، والله الموفق /353ب/ للصواب . . (دعاء) قال مؤلفه الفقير الى الله الديّان حسين بن محمد وادران : ووافق الفراغ . . «

364ب : «قال مؤلفه الفقير الى الله الديّان محسين بن محمد وادران ووافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب في أول جزء من نصف السدس الخامس في أوّل سبع مت السبع السابع من الخمس الخامس من السدس الخامس من الربع الثالث من الثلث الثاني وهو ثاني الخمس الاول من العشر الثامن من ثاني السدس السادس من الهجرة النبوية . . «



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

- 3 -

التواريخ والوفيات في كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

ص 4ب : الرشيد تولى ليلة الجمعة ، منتصف ربيع الأول من سنة سبعين ومائة .

ص 5ب : وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة . مولده بالري ، في سنة ثمان وأربعين ومائة .

ص 5ب : الهادي مات وله من العمر ستاً وعشرين سنة ، وخلافته سنة وثلاثة أشهر .

ص 6ب : وُلد له ولده محمد الأمين من زبيدة في شوال من سنة ولايته .

ص 6ب : وفيها عَزَلَ الرشيد الثغور كلّها من الجزيرة وقنّسرين ، وجعلها حيزاً واحداً ، فسُمّيت العواصم .

ص 6ب في سنة ثلاث وسبعين ومائة توفيت الخيزران .

ص 6ب : خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه على الرشيد ، وظهور أمره بالديلم ، سنة ست وسبعين ومائة .

ص 14ب : وفاة مالك رضي الله عنه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل سنة ثمان وسبعين ومائة . ومولده سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل تسعون سنة .

ص 15ب : عبد الله العمري وهو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم . وتوفي سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين ، وهو ابن ست وستين سنة .

ص 20أ : عبد الصمد بن علي عم إبراهيم بن صالح بن علي قريب الرشيد ولد في سنة أربع ومائة ، وولد أخوه محمد بن علي ، والد السفاح والمنصور ، سنة ستين للهجرة ، فكان بينهما في المولد أربع وأربعون سنة .

ص 20أ : توفي محمد بن علي سنة ست وعشرين ومائة .

ص 20ب : توفي عبد الصمد بن علي سنة خمس وثمانين ومائة ، فكان بينهما في الوفاة تسع وخمسون سنة . فانظر كم كانت بينهما في المولد والوفاة ، مع أن الأخوة لا تقتضي بعد هذه المسافة بين الأخوين .

ص 24ب : سنة خمسين ومائة توفي أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى .

ص 25أ : ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة ، وقيل ولد سنة إحدى وستين . وقيل إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي ، وذلك في رجب من هذه السنة ، وقيل في جمادى الأولى . وقبره ببغداد .

ص 25ب : سنة إحدى وثمانين توفي أبو يوسف القاضي .

ص 29ب : وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه سنة ستين في رجب ، وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، وكان عمره خمسين وسبعين سنة ، وقيل سبعين وقيل غير ذلك .

ص 30أ : توفي أبو البخترى بن وهب المذكور سنة مائتين في خلافة المأمون .

ص 30ب : يزيد بن يزيد بن زائدة ، وهو ابن أخي معن بن زائدة ، كان والياً بأرمينية فعزله الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة .

ص 33ب : توفي يزيد بن يزيد الشيباني سنة خمس وثمانين ومائة .

ص 36أ : توفي موسى الكاظم في شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد مسموماً وقيل في سنة سبع وثمانين ومائة . والأصح أنه سنة ثلاث وثمانين في حبس الرشيد .

ص 36أ : كان عمره أربع وخمسين سنة ، ودفن ببغداد وقبره مشهور بزار .

ص 37أ : توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع . وولد سنة ثمانين ، وأمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

ص 40ب : توفي العباس بن الاحنف سنة تسع وثمانين ومائة .

ص 42ب : أبو نواس ، مولده بالاهوار سنة خمس وثلاثين ومائة .

ص 49ب : سنة إحدى وأربعين ومائة كان خروج الراوندية على المنصور .

ص 50أ : سنة إحدى وخمسين ومائة قُتل معن بن زائدة الشيباني .

ص 50ب : مروان بن أبي حفصة توفي في سنة إحدى وثمانين ومائة . وكان مولده سنة خمس ومائة .

ص 59ب : الرشيد أوقع بالبرامكة سنة سبع وثمانين ومائة ، فقتل جعفر بالأنبار ، مستهلاً صفر من هذه السنة عند عودِهِ من الحج .

ص 60أ : يحيى بن خالد مات محبوساً بالرقعة ، في المحرم سنة تسعين ومائة ، وعمره سبعون سنة . ومات الفضل بن يحيى بالمكان أيضاً في المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعمره خمس وأربعون سنة .

ص 69أ : المنصور ، مات لستَ خلون من ذي الحجة من هذه السنة ، وقد هجس في نفسه أنه يموت في ذلك الشهر وخبر به . وولد في ذي الحجة ، وولّي في ذي الحجة ، وهجس قي نفسه أنه أموت في ذي الحجة من هذه السنة . مات بيثر ميمونة مُحَرَّمًا في التاريخ ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ومدة خلافته

اثنان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وكسّر .

ص 69 ب : توفي الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني في يوم واحد ، في مكان واحد ، سنة سبع وثمانين ومائة بالريّ .

ص 170 أ : سيبويه ، توفي بقرية من قرى شيراز ، يقال لها البيضاء ، وعمره نيف وأربعون سنة . وكانت وفاته سنة ثمانين ومائة ، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة . وقيل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة . وقيل في سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنان وثلاثون سنة ، وأنه توفي بمدينة ساوه . وذكر أنه مات بشيراز وقبره بها .

ص 81 ب : الفضيل بن عياض ، توفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة . وقيل سنة سبع وثمانين ومائة . وكان مولده بسمرقند وانتقل الى مكة ومات بها .

ص 189 أ : في سنة اثنتين وتسعين ومائة سار الرشيد من الرقة الى خراسان فنزل بغداد ورحل عنها الى النهروان ، لخمس خلون من شعبان ، واستخلف على بغداد ابنه الأمين . ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فيها مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، وكان به مرض من حين ابتداء سفره ، اشتد عليه بجرجان في صفر ، فسار الى طوس ، فمات بها في التاريخ المذكور . وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً . وعمره سبع وأربعون سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام .

ص 89 ب : في سنة سبع وثمانين ومائة خلع الروم ملكتهم ، وكانت امرأة تدعى رُمَني ، وملكوا عليهم نقفور .

سار الرشيد سنة تسعين ومائة حتى نزل على هرقله وحصرها ثلاثين يوماً ، ثم سار متجهاً في شوال من سنة تسعين المذكورة وبث عساكره في بلاد الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية . وبث نقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضاً

ورأس ولده وبطارقته وغزا قبرس في هذه السنة بعد نقضهم الصلح . ثم قصد غزو الترك في سنة اثنتين وتسعين .

ص 104 أ : سنة خمس وتسعين ومائة وفيها مات أبو نواس الحسن بن هانيء الشاعر . وكان عمره تسعاً وخمسين سنة . وقيل إنه توفي ببغداد سنة مائتين . والظاهر أن الثاني هو الصواب ، لأن أبا نواس يحكي أنه أدرك مقتل الأمين ، وراثه .

ص 104 أ : سنة مائتين وفيها أمر المأمون أن يحصى ولد العباس فبلغوا ثلاثاً وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكر وأنثى . وفيها توفي معروف الكرخي الزاهد .

ص 104 ب : وتوفي أبو نواس سنة أربع وتسعين ومائة . وهذا مخالف لما تقدم عن المؤيد والخطيب .

ص 110 أ : ابن المعتز ، في اليوم الثاني من بيعته ، وهو يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين . ووُلد لسبع بقين من شعبان سنة تسعين .

ص 111 ب : واستقر المقتدر في الخلافة . وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة . وبقي المقتدر خليفة الى سنة عشرين وثلاثمائة . خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وعمره ثمان وثلاثون سنة .

ص 113 أ : في سنة خمس وتسعين ومائة أبطل الأمين اسم المأمون من الخطبة ، وخطب لابنه موسى .

ص 113 أ : في سنة أربع وتسعين ومائة عزل أخاه القاسم .

ص 114 ب : ولَّى الأمين علي بن عيسى على بلاد الجبال ونهاوند وقم وأصفهان ، في سنة خمس وتسعين .

ص 115 ب : سنة ثمان وتسعين فدخل طاهر بن الحسين بغداد .

ص 116 ب : سنة ثمان وتسعين ومائة استولى طاهر على بغداد .

ص 118 ب : قتل الأمين كان لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ص 119 أ : كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسراً ، وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة .

ص 120 أ : المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور الهاشمي العباسي . أمه أم ولد ، اسمها مارجل ، توفيت في ولادتها . ومولده في ربيع الاول سنة سبعين ومائة ، ليلة وفاة عمه الهادي واستخلاف أبيه الرشيد .

ص 120 ب : بويج للمأمون قبل موت أخيه . ولم يتخلف عنه الا بغداد . وسلم عليه بالخلافة من سنة خمس وتسعين ومائة ، حين انهزم جيش الأمين وقتل علي بن عيسى بن ماهان وحمل رأسه الى المأمون بخراسان ، وكان بدء استخلافه .

ص 122 أ : فكان بين خروج طاهر الى وجهه علي بن عيسى وقبض يعقوب بن الليث الصفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بمدينة نيسابور خمسا وستين سنة .

ص 129 أ : استقر الأمر للمأمون بعد قتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة اكنى بأبي جعفر .

ص 130 أ : فكتب المأمون الى طاهر بن الحسين سنة تسع وتسعين أن يتنحى عن العراق ويسلم ما افتتحه من البلاد الى الحسن بن سهل ، وأن يتوجه الى الرقة ؛ وقد وليه الموصل والشام والجزيرة والمغرب .

ص 130 ب : قام ابن طباطبا العلوي سنة مائتين بالكوفة يدعو الناس الى الرضا من آل محمد .

ص 131 أ : فوجه المأمون في آخر هذه السنة الى أبي السرايا هرثمة بن

أعين .

ص 131 ب : قدوم هرثمة على المأمون بمرور . ضربته وحبسه ودس اليه من قتله وهو بالحبس ، وقالوا مات . كانت وفاته سنة مائتين .

ص 132 أ : توفي طاهر بن الحسين يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين بمدينة مرو ، وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة .

ص 136 ب : الفضل بن سهل وأخوه الحسن أصلهما من سرخس ، وكانا مجوسيين (الدر 34 وأ79) أسلما على يد المأمون ، سنة تسعين ومائة ، وأن أباهما سهلاً أسلم على يد المهدي . دخل غالب السعودي على الفضل ، وهو بالحمام في سرخس ومعه جماعة ، فقتلوه ، وذلك يوم الخميس ثاني شعبان سنة اثنتين ومائتين . وقيل ثلاث ومائتين ، وعمره ثمان وأربعون سنة . وعمره كان ستين سنة . ومات والده ، سهل ، سنة اثنتين أيضاً ، بعد مقتل ابنه بقليل . وعاشت أمه وأم أخيه الحسن بن سهل حتى أدركت عرس بوران على المأمون .

ص 137 ب : قتل الفضل يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة . فبعث المأمون خلفهم وجيء بهم ، وهم أربعة من المماليك ، فقتلهم .

ص 140 أ : بيعة المأمون لعلي الرضا كانت لليلتين خلتا من رمضان ، يوم الثلاثاء سنة إحدى ومائتين .

ص 140 ب : أول يوم من المحرم من سنة اثنين ومائتين ببيع لبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون . فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد إبراهيم المنبر ، فبايعه الناس .

ص 141 ب : وصل المأمون في السنة الثالثة بعد المائتين الى العراق ، الى مدينة طوس ، فأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر . فلما كان أواخر الشهر مات علي الرضا بن موسى الكاظم الذي أولاه المأمون عهد الخلافة . فصلّى

عليه المأمون ودفنه الى جانب قبر أبيه الرشيد . مات عليّ الرضا سنة ثلاث ومائتين ، بأن أكل عنبًا فأكثر منه ، فمات فجأة بطوس . وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائتين .

كانت ولادة عليّ الرضا يوم الجمعة ، في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة . وتوفي آخر يوم من صفر سنة ثلاث ومائتين . وقيل خامس ذي الحجة ، وقيل عاشر ذي الحجة بمدينة طوس . وكان سبب موته أنه أكل عنبًا فأكثر منه ، وقيل مسمومًا ، فأعتلّ منه ومات .

وكان الحسن قد غلبت عليه السوداء حتى قيّد في حديد وأودع في بيت .
ص 144 أ : زين العابدين رضي الله تعالى عنه ، المشهور عن الجمهور أنه توفي سنة أربع وتسعين في أولها . وقيل خمس وتسعين .

ص 144 ب : فيها - أعني سنة أربع وتسعين - مات سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن . رضي الله تعالى عنهم .

ص 144 : وقيل توفي زين العابدين سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين . وقيل سنة مائة . وقيل سنة تسع وتسعين . وعمره ثمانية وخمسون سنة . مات بالمدينة ودفن بالبقيع . في قبره عمّه الحسن ، رضي الله تعالى عنهما . وخلف ولده محمد الباقر . ولد سنة سبع وخمسين . وكان عمره لما قُتل جدّه الحسين ثلاث سنين . وكانت وفاته سنة ستة عشرة ومائة . وقيل في غيرها وعمره ثلاث وسبعون سنة . ومات بالحُمَيْمة ودفن بالبقيع . وهو جدّ موسى الكاظم بن جعفر الصادق .

ص 145 أ : وكان المأمون قد أصهره بأن زوّجه ابنته أمّ حبيب ، في سنة اثنتين ومائتين .

ص 145 ب : ابراهيم بن المهدي صار في أيدي المأمونية أسيرًا . وآل الحال

الى أن اختفى ابراهيم ، فكانت أيامه سنة وإحدى عشر شهراً واثني عشر يوماً .
ص 145 ب : وقد وصل المأمون من خراسان الى همدان آخر ذي الحجة
من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث ومائتين .

ص 145 ب : وكانت في هذه السنة (203) بخراسان وما وراء النهر
زلازل عظيمة ، دامت مقدار سبعين يوماً ، فخربت البلاد وهلك فيها خلق
كثير . وكان معظمها يبلغ والجورجان والفارياب والطالقان .

ص 146 أ : قيل قدم المأمون بغداد في السنة الرابعة بعد المائتين بعد أن مرّ
بجرجان ، فأقام بها شهراً ثم سار منها ، ينزل في المنزل يوماً ويومين ، الى أن
بلغ النهروان ، فأقام بها ثمانية أيام . ثم سار الى بغداد ووصلها بعد ارتفاع
النهار لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر . وكان لباسه ولباس أصحابه الخضرة .
فلبس بنو هاشم وأهل بغداد الخضرة . فكان الناس يدخلون عليه في الثياب
الخضرة ويحرقون كل ملبوس يروونه من السواد . ودام ذلك ثمانية أيام .

ص 146 أ : ونزل المأمون بالرصافة ثم تحوّل الى قصره على دجلة . وتحول
لبس بغداد الى الخضرة . فتكلّم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك . فبلغ
المأمون . فلما كان يوم السبت ، الثالث والعشرين من صفر ، جلس للناس وعليه
الخضرة . قيل مكث بلبس الخضرة بعد قدومه بغداد تسعاً وعشرين يوماً ، ثم
عاد الى السواد .

ص 146 ب : وهو الذي حجّ بالناس في هذه السنة .

ص 155 أ : ندب المأمون أخاه اسحاق وولاه نيابة الشام ومصر ، وولّى
ابنه العباس نيابة الجزيرة والثغور والعواصم . وذلك سنة ثلاثة عشرة ومائتين .
وكان قد سوّغ خراج مصر لعبد الله بن طاهر ، سنة عشرة ومائتين حين أركبه
اليها واستنقذها من يدي عبّيد بن السّري بن الحكم ، المغلّب عليها .

ص 158 ب : الفضل بن الربيع استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة .

ثم ظهر لبراهيم بن المهدي ، حين ادعى الخلافة الى أن اختل أمره فاستتر
الفضل بن الربيع ثانيًا ، وبقي مختفيًا الى أن عفا عنه المأمون . ومات في ذي
القعدة سنة ثمان ومائتين ، وقيل في ربيع الأول . وسنه ثمان وستون سنة .
ص 167 أ : النضر بن شميل البصري النحوي مات سنة أربع ومائتين وقيل
سنة ثلاث .

ص 167 أ : مات في هذه السنة ، أعني سنة أربع ومائتين الحسن بن زياد
اللولؤي الكوفي ، الفقيه الحنفي أكبر أصحاب أبي حنيفة .
ص 167 ب : وفيها مات أيضًا اسحاق بن الفرات التجيبي ، قاضي مصر .
ومات أيضًا فيها ابن داود سليمان بن داود ابن الجارود الطيالسي ، صاحب
المسند ، أحد الحفاظ .

ص 167 ب : ولد أبو داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ومات سنة أربع
ومائتين . وفيها أيضًا مات أشهب صاحب مالك .

ص 168 أ : ولد أشهب سنة أربعين ومائة . ومات في مصر ، سنة أربع
ومائتين ، بعد الشافعي بشهر . وقد اتفق هو والشافعي في سنة المولد والوفاة .
ص 168 ب : ولد عبد يزيد ، جد الشافعي ، سنة خمسين ومائة
بغزة . وقيل بعسقلان وقيل باليمن . والاول أصح . وقيل ولد في يوم توفي
فيه أبو حنيفة رحمه الله تعالى . ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه الى مكة ،
وهو ابن سنتين .

ص 169 ب : الشافعي ، حُمل على بغل في قيد الى بغداد . فدخلها في سنة
أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد . وكان أبو يوسف
قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بسنتين . وعاد الشافعي الى مكة ثم عاد الى
بغداد سنة خمس وتسعين ومائة . ثم رجع الى مكة ورجع الى بغداد أيضًا سنة
ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها الى مصر فأقام بها الى أن مات .

ص 172 ب : مات الشافعي سنة أربع ومائتين . ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى . وقبره يزار بها بالقرب من المَقَطَّم . وعمره لما مات خمس وخمسون سنة ، وقيل ثمان وخمسون .

ص 175 ب : مصر حكم بها القاضي يحيى بن أكرم ثلاثة أيام ، ثم عزله في محنة الناس بالقول بخلق القرآن .

ص 176 أ : فلما عزل محمد بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد عن القضاء فوّض الولاية الى يحيى بن أكرم . ثم عُزل في سنة أربعين ومائتين وولى رتبته جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي .

176 ب : ثم حجَّ يحيى بن أكرم ، ورجع يريد العراق . فلما وصل الى الرُبدة توفي بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وقيل غرة سنة ثلاث . ودفن هناك وعمره ثلاث وثمانون سنة .

ص 183 أ : قيل مات أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني النحوي في يوم واحد . وليس بصحيح ، لأن إبراهيم مات بعده بستين ، وأبو عمرو مات سنة ست ومائتين .

ص 183 ب : أبو عمرو الشيباني النحوي اللغوي . قيل عاش مائة وثمانين عشرة سنة وكان يكتب بيده الى أن مات .

ص 183 ب : والأصح أنه مات سنة ست ومائتين ببغداد ، وعمره مائة وعشر سنين . ولم يمت في سنة مات فيها أبو العتاهية .

ص 183 ب : في سنة أحد عشر ومائتين ، أمر المأمون أن يُنادى بُرئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، أو فضّله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ . وفيها توفي أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش النحوي البصري .

ص 184 أ : الأخفش الأصغر المتأخر ، وهو علي بن سليمان بن الفضل ، وكان نحويًا أيضًا ، توفي سنة خمس عشرة ، وقيل سنة ست عشرة وثلاثمائة .

وفيهما [211هـ] توفي أبو العتاهية الشاعر . كانت ولادة أبي العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل سنة ثلاث عشرة بغداد ، وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزبائين .

ص 188 أ : قتل بشار على الزندقة سنة ست وستين ومائة ، وكان قد نيف على التسعين .

ص 189 أ : توفي قطرب النحوي سنة ست ومائتين .

ص 189 ب : العكوك ، مات في سنة ثلاثة عشر ومائتين ببغداد . وكان مولده سنة ستين ومائة ، وهو أبو الحسن علي بن جبلة بن المسلم بن عبد الرحمان الخراساني . ولد أعمى . وقيل أصابه جذري وهو ابن تسع سنين فعمي .

ص 190 ب : الجاحظ ، دخل بغداد سنة أربع ومائتين حين قدمها المأمون .

ص 190 ب : الفراء ، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة ، وعمره ثلاثة وستون سنة .

ص 199 أ : المأمون تزوج ببوران ، عقد عليها في سنة اثنين ومائتين ، ودخل بها في شعبان سنة عشر ومائتين بفم الصُّلح ، وهي بلدة قرية من واسط .

ص 200 أ : بوران توفيت وهي في صحبة المأمون ، وعاشت بعده زماناً الى أن توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائتين . وكانت وفاتها ببغداد . ويقال إنها دُفنت بقبة مقابلة مقصورة جامع السلطان ، وأنها باقية الى الآن ، ويقال إن اسمها خديجة والأصح بوران .

ص 203 أ : ولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة .

ص 206 أ : عاشت عريب ستاً وتسعين سنة .

ص : الظفر بابراهيم بن المهدي ليلة الأحد من شهر ربيع الآخر لثلاث عشرة بقين منه ، سنة عشر ومائتين وهو متنقب في زي امرأة .

ص 214 ب : سنة خمس ومائتين ولّى المأمون محمد بن سماعة قضاء بغداد ، ومحمد بن رجاء قضاء الشرقية ، والواقدي قضاء العسكر .

ص 215 أ : الواقدي ، كانت ولادته سنة ثلاثين ومائة ، وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، وهو يومئذ قاضي الجانب الغربي من بغداد . وقيل بالجانب الشرقي وصلى عليه ابن سماعة التميمي ودفن بمقابر الخيزران . وعمره ثمان وتسعون سنة .

ص 228 أ : بطليموس الحكيم في زمن انطيوخس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة . ذكر في كتاب المجسطي أنه رصد الشمس بالاسكندرية لبُحْتَ نَصْر سنة ثمانمائة وثمانين سنة .

ص 234 ب : وفاة النظام سنة إحدى وعشرين ومائتين وله من السن ستاً وثلاثون سنة .

ص 235 ب : الأصمعي ، كانت ولادته سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة . وتوفي في صفر سنة ست عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين بالبصرة ، وقيل بمرور . قيل عاش ثمان وثمانين سنة .

ص 237 أ : عبد الله بن المبارك مات على عهد الرشيد سنة إحدى وثمانين ومائة ، وزيدة توفيت سنة ست عشرة ومائتين . عرس بها الرشيد سنة خمس وستين ومائة ، وقيل توفيت أم جعفر زيدة زوجة الرشيد سنة ست عشرة ومائتين .

ص 238 ب : يحيى بن يعمر التابعي ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة .

ص 238 ب : قيل في ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة ومائتين أظهر المأمون في الناس بدعتين ، تفضيل علي بن أبي طالب والقول بخلق القرآن .

ص 239أ : حمل الناس على القول بخلق القرآن في السنة الثامنة عشرة بعد المائتين .

ص 240ب : وابتدع بدعة ثالثة ايضاً ، وهي التكبير عقيب الصلوات . فبدىء بذلك في جامع المدينة والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست عشرة ومائتين ، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات .

ص 242ب : توفي أبو الفضل عمرو بن مسعدة في سنة أربع عشرة ومائتين .

ص 244ب : ركب المأمون في العسكر قاصداً بلاد الروم من بغداد ليغزوهم ، واستخلف على بغداد وأعمالها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب . وسار منها في آواخر المحرم سنة خمسة عشر ومائتين ، فوصل الرقة .

ص 245أ : المعتصم ، كان عامل مصر أولاه أخوه المأمون إياه سنة ثلاثة عشرة ، وأولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم في تلك السنة .

ص 245أ : عاد المأمون لى بلاد الروم سنة عشر ومائتين . وأقام المأمون ببلاد الروم من منتصف جمادى الاولى الى النصف من شعبان ، ثم عاد الى دمشق . وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهري على الديار المصرية في شعبان من هذه السنة . فركب له المأمون من دمشق يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة . ودخل الديار المصرية في المحرم من سنة تسع عشرة ومائتين ، فظفر بعبدوس الفهري .

ص 251أ : لا زال المأمون ببلاد الروم ، الى أن دخلت سنة ثمانية عشر ومائتين ، فمريض لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة . ومات سنة ثمانى عشرة ومائتين في رجب . قيل يوم الخميس وقت الظهر . وقيل بعد العصر لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب . وقيل يوم الخميس لسبع عشرة ليلة

خلت من رجب بالبلندون من أرض الروم ، وحمل ودفن بطرسوس . وله من العمر على حساب مولده ثمانية وأربعون سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام . وقيل توفي لثمان خلون من رجب . وقيل يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب ، وعمره ثمان وأربعون سنة . وقيل تسع وأربعون سنة وشهران وثمانية عشر يوماً . وقيل مات خارج طرسوس بأربع مراحل ، فحمل الى طرسوس حتى دفن بها . وقيل إنه نقل بعد ذلك الى أذنه فدفن بها ، بدار جلعان خادماً الرشيد . وصلى عليه المعتصم ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً سوى أيام دعي له بالخلافة وأخوه الأمين محاصر ببغداد . وكان مولده النصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

ص 254 أ : مولد المعتصم يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان سنة ثمانين ومائة . وقيل لعشر خلون من شعبان . وقيل كان مولده سنة ثمانية وسبعين . ص 254 أ : بويغ له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس . وكان إذ ذاك مريضاً ، فأحضر العباس بن المأمون ، وباع له فبايعه الناس . ثم ركب في جنود الى بغداد وصحبه العباس بن المأمون . فدخلها يوم السبت مستهل شهر رمضان .

ص 256 أ : المعتصم غضب على حيدر الافشين سنة خمسة وعشرين ومائتين ، وأمر بسجنه .

ص 256 ب : في السنة السادسة والعشرين أمطرت أهل نيماء ببرد كالبيض .

ص 257 أ : قيل في سنة ست وعشرين ومائتين غضب المعتصم على الافشين ، حيدر بن كاووس ، وحبسه حتى مات في حبسه . وأخرج فصلاً ثم أحرقت جثته .

ص 262 : احترق الكرج سنة خمس وعشرين ومائتين وجددها

المعتصم .

ص 263 : وفاة أبي دلف كانت سنة خمس وعشرين ومائتين .

ص 263 : وبنى المعتصم سامراء ، ابتدأها سنة عشرين ومائتين .

ص 263 ب : بابك الخرمي كان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين على عهد المأمون . واستفحل أمره في أيام المعتصم . فسار الافشين اليه في سنة عشرين ومائتين . وأرسل اليه المعتصم بابنه مع بُغا الكبير .

ص 263 ب : وقد التقى الافشين مع بابك في هذه السنة فأنهزم بُغا . فأنصر له الافشين وقابله ، فأنهزم بابك في سنة إحدى وعشرين . ولا زال الامر كذلك الى سنة اثنتين وعشرين ، فأمر المعتصم الافشين فذهم بابك فهزمه ، وأفتح مدينته ودخلها يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان من السنة المذكورة .

ص 264 أ : كان دخول الافشين الى سامراء يوم الخميس ثالث صفر من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله ، وجعل بابك على فيل . وأمر بقتله وحمل رأسه الى خراسان وصلب جسده على خشبة بسر من رأى . ليلة قتله هي ليلة الخميس لثلاثة عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة .

ص 264 أ : وأتم المعتصم سيره حتى دخل سامراء في سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

ص 270 ب : المعتصم ، وقبض علي الفضل بن مروان سنة إحدى وعشرين ومائتين ، في رجب . فحبسه وأخذ أمواله بعد أن عزله عن الوزارة ، وجعل مكانه ابن الزيات ، إلا أنه فصل بينهما بأحمد بن عمار .

ص 271 أ : توفي الفضل بن مروان في شهر ربيع الآخر سنة خمس مائتين ، وعمره ثمانون سنة . ويقال عاش ثلاثاً وتسعين سنة .


ص 273 ب : عليّة بنت المهدي ، أخت ابراهيم بن المهدي والرشيد وأُمها

أم ولد مغنية يقال لها مكنونة ، ولدت في سنة ستين ومائة .

276ب : توفيت عُلّية سنة عشر ومائتين وهي بنت خمسين سنة .

ص 285أ : اسحاق الموصلي عمي في آخر عمره قبل موته بستين . ومولده سنة وخمسين ومائة . وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسين ومائة وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلّة الذرب . وقيل في شوال سنة وثلاثين ومائتين ، والاول أصح . وكانت وفاته في خلافة المتوكل .

ص 287ب : توفي أبو تمام رحمه الله بالموصل في ذي القعدة ، وقيل في جمادى الاولى سنة ثمان وعشرين . وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . ومولده سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وقيل غير ذلك .

ص 288ب : المعتصم ولد سنة ثمان وسبعين ومائة في شعبان وتوفي وله من العمر ثمانية وأربعون عامًا وأقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وقيل يومين  .

ص 289أ : انهزم جيش المبرقع فسّر ذلك المعتصم وشكر رجاء بن أيوب على فعله . وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين .

ص 289ب : المقنع دخل المسلمون قلعته وقتلوا من بها من أشياعه وكان ذلك سنة ثلاث وستين ومائة في خلافة المهدي .

ص 291أ : المعتصم وقع له صُدّاع فمات لثمانية أيام . وسنّه ثمانية وأربعون سنة .

ص 290أ : توفي المعتصم بالله بامرأاء يوم الخميس لتسع عشر خلّت من ربيع الاول سنة سبع و عشرين ومائتين . ومولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة . وقال غيره لعشر خلون من رمضان سنة ثمانين . وقيل سنة ثمان وسبعين . وقيل توفي لثماني عشرة مضت من ربيع الاول

بسامراء ، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين . وكان مولده سنة سبع وسبعين ومائة . وقيل وله من السنين على حساب مولده في قول ستة وأربعون سنة وستة أشهر وستة أيام . وفي قول ثمانية وأربعون سنة وستة أشهر وتسعة أيام . ودفن بالجوسق الكبير . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام .

ص 291أ : بويج له بالخلافة يوم الاربعاء لثمانية عشر خلون من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين قبل أن مات أبوه بيوم . وقيل يوم الخميس لثماني عشرة ليلة مضت من ربيع الاول من هذه السنة في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتصم ، ولعلهما بيعتان ، بيعة خاصة وبيعة عامة . وأمه أم ولد يقال لها قراطيس ، قصدت الحج فتوفيت بالحيرة ، لأربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى .

ص 295أ : عمرو بن الاهتم كانت وفاته سنة سبع وخمسين .

ص 296أ : توفي المازني بالبصرة سنة تسع وعشرين ومائتين ، وقيل سنة ست وثلاثين ومائتين .

ص 297ب : مات البويطي في السجن يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ص 297ب : بشر المريسي توفي في ذي الحجة سنة ثمان عشرة ومائتين .

ص 300أ : أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ص 304ب : وفاة المعتصم بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وشهوراً ، وقيل سبعة وثلاثين سنة ، وكانت ولايته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام . كان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، ومات وهو ابن ست

وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته خمسا سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ،
وقيل سبعة أيام واثنى عشرة ساعة . وقيل خلافته خمس سنين وسبعة أشهر ،
وتوفي يوم الثلاثاء بسر من رأى . وقيل عمره اثنان وثلاثون سنة .

ص 304 ب : وقيل توفي بسامرا في رجب سنة ائتين وثلاثين ومائتين .

ص 306 أ : مات فيه الواثق لست بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة .

ص 305 ب : المتوكل على الله كانت بيعته وقت زوال الشمس من يوم
الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ائتين وثلاثين ومائتين . وكان عمره إذ
ذاك ستا وعشرين سنة .

ص 312 أ : في تلك السنة باذريجان زلزلة عظيمة أقامت تعاودهم سبعة
أيام حتى دكت المدينة ، وهلك عالم عظيم تحت الردم ، وشرعوا في مدينة
غيرها . وانتصر بغا المذكور على ابن البعيث .

ص 313 ب : ايتاخ اشتراه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة . وأذن له
في ذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وولّى وصيف الخادم الحجابة عوضاً
عنه ، فمات عطشاً في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين .

ص 320 أ : في سنة إحدى وأربعين ومائتين توفي الإمام أحمد بن حنبل .

ص 320 أ : ومات ابن ابي دؤاد في خلافة المتوكل في سنة سبع وثلاثين
ومائتين .

ص 321 أ : موت الجاحظ كان بوقوع مجلدات عليه ، فقتلته في محرم
سنة خمس وخمسين ومائتين ، في خلافة المهتدي بالله .

ص 321 ب : ابن السكيت ، سلّوا لسانه من قفاه ! فمات لساعته في
رجب سنة أربع وأربعين ومائتين وعمره ثمان وخمسون سنة .

ص 322 ب : حيض ينص لا يحفظ مولده . وتوفي سنة أربع وسبعين
 وخمسمائة .

ص 324 أ : وسر من رأى ، ويقال لها سامراً أيضاً ، تلقب بالعسكر سكنها أبو الحسن العسكري وكان مقامه بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين . وكانت ولادته بالمدينة المشرفة يوم الأحد ثالث عشر رجب ، وقيل يوم عرفة سنة أربع عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ومائتين . والده محمد الجواد توفي سنة عشرين ومائتين في خلافة المعتصم ، وولد سنة خمس وتسعين ومائة . وولده الحسن العسكري بن عليّ الزكيّ بن محمد الجواد هو حادي عشر الأئمة الاثني عشر ، ولد سنة ثلاثين ومائتين وتوفي سنة ستين ومائة في ربيع الأول ، وقيل في جمادى الأولى .

ص 324 ب : محمد المنتظر ويقال له القائم والمهدي والحجة ، ولد سنة خمسين ومائتين . دخل سرداباً في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر ، فلم يعد يخرج اليها وعمره حينئذ تسع سنين ، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين ، وفيه خلاف .

ص 326 ب : كانت ولادة أبي العيلاء سنة إحدى وتسعين ومائة بالاهوار ونشأ بالبصرة وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثمانين ومائتين .

ص 329 ب : ولادة المبرد ضحى يوم الإثنين سنة عشر ومائتين . وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة . وقيل من ذي القعدة يسنة ست وثمانين . وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد . ودفن في مقابل باب الكوفة في دار اشترت له .

ص 325 أ : ابن خلكان يرى المبرد في المنام وذلك في الاسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة .

ص 332 أ : عبد الله بن طاهر مات في خلافة الواثق ، يوم الاثنين لأحد عشر ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين بمدينة مرو . وقيل بنيسابور . وعاش مثل أبيه ثمان وأربعين سنة .

ص 332 ب : أبو العميثل مات في سنة أربعين ومائتين .

ص 335 أ : ابن دريد ، كانت ولادته بالبصرة في سكة صالح ، سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد . ودفن بالمقبرة العباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح ، بالقرب من الشارع الاعظم . ويقال إنه عاش ثلاثاً وتسعين سنة لا غير . وتوفي في يوم وفاته أبو هاشم عبد السلام ابن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي .

ص 336 أ : المتوكل أخذ العهد لأولاده الثلاثة وكتب بينهم كتاب التراضي منهم وكان ذلك يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين .

ص 337 أ : علي بن الجهم ، توفي في سنة خمس وسبعين ومائتين بسر من رأى .

ص 342 أ : المتوكل رآه التنقّل من سامرا إلى دمشق . وسار إليها فدخلها في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين ، وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك . ص 342 ب : ابتداء المتوكل في عمارة قصره الجعفري سنة خمس وأربعين ومائتين وتحول إليه في السنة التي مات فيها ، وبقي به إلى أن دخلت عليه الجماعة المذكورة فقتلوه ، وقتلوا وزيره الفتح بن خاقان باتفاق من ابنه المنتصر ومن بؤا الصغير الشرايبي .

ص 342 ب : وبايعوا المنتصر . وكان ذلك يوم الاربعاء الخامس من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام ، وعمره إذ ذاك نحو أربعين سنة . والمنتصر لم تطل أيامه . فقد اعتل ثلاثة أيام ومات يوم الأحد بسامرا لخمس بقين من ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فكانت خلافته ستة أشهر ويومين .

ص 343أ : استخلف بعده أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، وهو ثاني عشرهم . اتفق عليه كبراء الدولة ، فأولوه وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكان المستعين أكبر من المنتصر بما يزيد على الستين ، لأن المنتصر مات وعمره خمس وعشرون سنة .

ص 343أ : أول من دخل افريقية من عمال بني العباس الأشعث بن عقبة الخزاعي . أرسله أبو جعفر المنصور سنة أربع وأربعين ومائة . وقيل هو من عمال السفاح ، أرسله سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

ص 343ب : بنى سور القيروان من الطوب سبعة عشر ذراعاً في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة (133هـ) ، وكمل في شهر رجب الفرد سنة ست وأربعين .

ص 343ب : عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة ابن أبي صفرة ، يلقب هزّار مُرد ، سيّره المنصور الى افريقية سنة إحدى وخمسين ومائة .

ص 344أ : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وجهه المنصور الى افريقية سنة خمس وخمسين ومائة بعد قتل عمر بن حفص المذكور . دخل القيروان لعشر بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ورتّب أمر القيروان وجعل كل صناعة في مكانها . وهدم جامع القيروان ما عدا المحراب وبناه ، واشترى العمود الأخضر .

ص 345أ : وكانت ولاية يزيد خمسة عشر عاماً . ومات بالقيروان سنة سبعين ومائة وخلفه ولده من بعده وكانت هذه السنة هي التي مات فيها الهادي واستخلف مكانه الرشيد .

ص 344ب : ولاية رُوح بن حاتم بن قبيصة الأزدي ، وجهه الرشيد الى افريقية سنة إحدى وسبعين ومائة وعزل ولد أخيه يزيد عن افريقية وولاه الموصل ، ووجه عمّه رُوح المذكور الى افريقية .

ص 345أ : ظهورُ الادارسة بالمغرب سنة اثنتين وسبعين ومائة .

ص 345أ : ولاية هرثمة بن أعين الهاشمي بالولاء ، ولاء الرشيد افريقية سنة تسع وسبعين ومائة . فقدمها لثلاث خلون من ربيع الآخر من تلك السنة . وبنى بلد المنستير سنة ثمانين . وقيل بنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن قادم ، وبنى سور مدينة طرابلس .

ص 345ب : هرثمة حبسه المأمون في سنة مائتين ، ثم أرسل اليه من قتله . وقيل قتله الفضل بن سهل بغير علم المأمون .

ص 345ب : الرشيد ولي افريقية ابراهيم بن الاغلب ، وقدم ابراهيم الى افريقية من ستنه ، وبنى مدينة القصر على ثلاثة أميال من القيروان ، وهدم دار الامارة التي كانت بالقيروان وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة . وصار بها أسواق وحمامات وفنادق وجامع ، وذلك سنة خمس وثمانين ومائة ومات سنة سبع وتسعين ومائة في آخر خلافة الامين .

ص 346أ : أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب كانت ولايته من قبل المأمون في سنة مات فيها والده ابراهيم المذكور . فمكث سنتين ثم قام عليه منصور الطنبُذي .

ص 346أ : مات في خلافة المأمون ، سنة إحدى ومائتين ، فولي بعده أخاه زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وكانت ولايته من قبل المأمون سنة إحدى ومائتين . بنى سور القيروان ، وأدار سور سوسة ، وبنى جامع القيروان بعد هدمه ما عدا محرابه وبنى قنطرة باب الربيع وحصن الرباط بسوسة ، وفتح في أيامه جزيرة صقلية على يد قاضيه أسد بن الفرات ، وكان قاضي القيروان .

ص 346ب : مات أسد بن الفرات محاصراً لسرقوسة ، في ربيع الآخر سنة ثلاث عشر ومائتين . واستولى المسلمون على الجزيرة واستوطنوها . ودفن أسد هناك . وصارت الجزيرة بأيدي المسلمين ، تتداول عليها الولاة من قبل

القرونيين ولاة بني العباس ومن بعدهم . وهي بأيدي المسلمين الى ما بعد الاربعين وخمسمائة ، ثم افتكها العدو ورجعت الى الكفار .

ص 347 أ : زيادة الله مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم . أحمد بن محرز القاضي توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين قبل موت زيادة الله ولما مات زيادة الله ولي بعده أخوه أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب . ومات سنة ست وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم وقبل وفاته بسنة . وكانت مدة الاغلب سنتين وتسعة أشهر .

ص 347 أ : ولاية أبي العباس محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من قبل المعتصم في السنة المذكورة .

ص 347 ب : وكان على عهده أميراً على صقلية العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة . تولاهما سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ففتح فيها الفتوحات الجليلة وفتح قصر يانة يوم الخميس منتصف شوال من سنة سبع وثلاثين وبنى فيها مسجداً وصلى فيه الجمعة ، وذلك في خلافة المتوكل . ومات أبو العباس بن الاغلب سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

ص 347 ب : ولاية أبي ابراهيم أحمد بن محمد ، كانت ولايته بعد أبيه من قبل الخليفة المتوكل على الله .

ص 347 ب : عصى عليه أهل تونس سنة أربعين ومائتين .

ص 347 ب : توفي العباس بن الفضل الفزاري ، صاحب صقلية ، سنة سبع وأربعين ومائتين ، فولّى الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس . خلفه خفاجة بن سفيان أميراً ، ففزا وفتح فيها ثم اغتاله رجل من عسكره وهرب الى المشركين .

ص 348 أ : فولّى الناس بعد قتله ابنه محمد بن خفاجة على صقلية الى سنة سبع وخمسين ، فقتله خدمه الخصيان .

ص 348أ : بقي أبو ابراهيم الاغلبى على عمل افريقية الى خلافة المستعين سنة تسع وأربعين ومائتين ، وتولى موضعه أخوه أبو محمد زيادة الله بن محمد . كانت ولايته بعد أخيه من قبل الخليفة أحمد المستعين بالله . لم تطل أيامه ومات بعد ثمانية عشر شهرا من ولايته . وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين .

وتولى بعده ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد . كانت ولايته بعد موت أخيه من قبل المستعين بالله .

ظهرت السامانية ، وتولى نصر بن أحمد الساماني فيما وراء النهر ، وذلك سنة إحدى وستين ومائتين .

ص 348ب : وفيها عصى أهل برقة على أحمد بن طولون . وكانت برقة خرجت على افريقية وصارت مصرية .

ص 348ب : ولاية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ، وكان بكثرة الإقامة بتونس فبنى بها الجامع ، وبنى أيضا ماجل القيروان وأسس مدينة رقادة سنة ثلاث وستين وتمّها سنة أربع وستين ومائتين . فكان عملها في سنة واحدة ، وبنى بها الجامع ، وانتقل بالملك اليها ومات سنة ثمان وثمانين ومائتين بالذّرب وقيل ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين بصقلية ، فجعل في تابوت وحمل الى افريقية ودُفن بالقيروان ، فكانت ولايته خمسا وعشرين سنة .

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب بعد نحو الستة أشهر من خلافة المكتفي . انتقل الى مدينة تونس ، وجعل مقامه بها .

ص 349ب : كان مقتل عبد الله سنة خمس وتسعين . وقيل سنة ست وتسعين ومائتين . استقل أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب بالامر بعد قتل أبيه ودفنه بمدينة تونس .

ص 349 ب : في أيامه قوي أمر أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة الدولة العلوية الفاطمية بالمغرب . فأرسل اليه زياد الله جميع عسكره من تونس الى بلد سبية وقد أمر عليهم ابراهيم بن الاغلب ، وهو من بني عم زيادة .

ص 350 أ : كان زيادة الله المذكور آخرهم وبه انقرضت أيامهم . فكانت مدة ملكهم مائة سنة واثنى عشرة سنة بالتقريب ، لأن جدّهم ابراهيم بن الاغلب كان ولاه الرشيد على افريقية سنة أربع وثمانين ومائة . ودامت أيامهم الى أن انقرضت في خلافة المقتدر بالله سنة ست وتسعين ومائتين .

ص 350 ب : كان ابتداء دولة بني عبيد الشيعة بافريقية سنة ست وتسعين ومائتين ، حين انقرضت منها بنو الاغلب وتمحضت لبني العبيد الشيعة ، وخطب لهم بها وانقطع ذكر بني العباس منها .

ص 350 ب-353 أ : 1 - أبو العباس عبد الله السفاح . بويع له بالخلافة في ربيع الاول وقيل الآخر بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين مائة . ومات بالانبار بالجذري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، ومدة خلافته من لدن قتل مروان الجعدي الأموي أربع سنين . وكانت له بيعة أخرى قبل قتله بشمانية أشهر .

2 - أبو جعفر المنصور . بويع له بعد موت أخيه السفاح بالحجاز . ومات لست خلون من ذي الحجة ، بيشر ميمونة سنة ثمان وخمسين ومائة . ودفن بباب المعلّى وعمره ثلاث وستون سنة . وخلافته اثنتان وعشرون سنة ، وثلاثة أشهر وكسر .

3 - محمد المهدي بن عبد الله المنصور . بويع له بعد موت أبيه في منتصف ذي الحجة ببغداد ، وتوفي بأسبذان لثمانية بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة . وعمره ثلاث وأربعون سنة . وخلافته عشر سنين وشهر .

4 - موسى الهادي بن محمد المهدي . بويع له يوم مات أبوه بعسكر

المهدي ، وكان بجرجان . وتوفي ليلة الجمعة منتصف ربيع الاول سنة سبعين ومائة وعمره ستّ وعشرون سنة . وخلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر .

5 - هارون الرشيد .

6 - محمد الأمين .

7 - عبد الله المأمون .

8 - محمد المعتصم .

9 - هارون الواثق .

10 - جعفر المتوكل .

11 - محمد المنتصر بن جعفر المتوكل . بويغ له يوم قتل أبوه المتوكل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . ومات في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائتين بسامرا ، وعمره خمس وعشرون سنة وستة أشهر . وخلافته ستة أشهر ويومين .

12 - أحمد المستعين بن محمد المعتصم . بويغ له يوم دفن المتوكل ، وخلع يوم الجمعة رابع المحرم ، فاتح سنة اثنتين وخمسين ومائتين . وقتل مخلوعاً في تلك السنة ، وعمره أربع وعشرون سنة ، وخلافته الى أن خلع ثلاث سنين وتسعة أشهر وكسراً .

13 - أبو عبد الله محمد المعتز . وقيل اسمه الزبير ، وهو ابن جعفر المتوكل ، بويغ له وهو مسجون في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وتمّ له الامر بعد خلع المستعين . وخلع المعتز يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ودفن بسامرا مع المنتصر . وعمره أربع وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً ، وخلافته من بيعته الى خلعه أربع سنين وسبعة أشهر الاسبعة أيام .

14 - محمد المهدي بن هارون الواثق . يوم خلع المعتز . وخلع المهدي في منتصف رجب سنة ستّ وخمسين ومائتين . ومات لاثنتي عشرة ليلة بقيت

من الشهر المذكور . ودفن بمقبرة المنتصر ، وعمره ثمان وثلاثين سنة .
وخلافته أحد عشر شهراً ونصف .

15 - أبو العباس أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل . أخرج من الحبس وبويع
له حين خلع المهتدي . وتوفي لأحد عشر ليلة بقين من رجب ببغداد سنة تسع
وسبعين ومائتين . وعمره خمسون سنة وستة أشهر وخلافته ثلاث وعشرون
سنة وستة أيام .

فمات الموفق في خلافة المعتمد في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين .
وبايعوا بالعهد لابنه أبي العباس المعتضد وخلعوا المفوض من /352ب/ العهد ،
وتولى المعتضد ما كان يتولاه أبوه الموفق .

16 - أبو العباس أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل . بويع
له حين مات عمه المعتمد ، وتوفي لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين
ومائتين . ومولده كان في ذي الحجة سنة اثنين وأربعين ومائتين . وخلافته تسع
سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

17 - أبو الحسن علي المكتفي بالله بن أحمد المعتضد . بويع له بالرقّة ،
وأخذت له البيعة ببغداد حين مات أبوه ، وتوفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من
ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، بعد أن مرض عدة شهور وعمره
ثلاث وثلاثون سنة وخلافته ستة سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

18 - أبو الفضل جعفر بن المعتضد الملقب بالمقتدر . بويع له يوم مات
أبوه ، وعمره ثلاث عشرة سنة . وقتل سنة عشرين وثلاثمائة . وتولى بعده
محمد القاهر بالله بن المعتضد .

وعمر المقتدر لما قتل ثمان وثلاثون سنة . وخلافته أربع وعشرون سنة

وأحد عشر شهرًا وستة عشر يومًا .
واستخلف في أيامه في العزلة الأولى عبد الله بن المعتز يومًا واحدًا ، وفي
العزلة الثانية محمد القاهر المذكور يومين . ورجعت الخلافة الى المقتدر الى أن
قتل في السنة المذكورة . وتولى بعده ثانيًا محمد القاهر المذكور .
فكان المقتدر هو آخر الخلفاء من بني العباس بافريقية . ثم صارت الخلافة
لبنى العبيد الفواطم بافريقية .



- 4 -

نسب وخرائط نسب أمراء بني الاغلب

- | | |
|---------------------|--|
| (ابراهيم الاول) | 1 - ابراهيم بن الاغلب |
| (عبد الله الاول) | 2 - ابنه - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم |
| (زيادة الله الأول) | 3 - أخوه - أبو محمد ، زيادة الله بن ابراهيم |
| | 4 - أخوه - أبو عقال ، الاغلب بن ابراهيم |
| (محمد الاول) | 5 - أخوه - أبو العباس ، محمد بن الاغلب |
| | 6 - ابنه - أبو ابراهيم ، أحمد بن محمد |
| (زيادة الله الثاني) | 7 - أخوه - زيادة الله بن محمد |
| (محمد الثاني) | 8 - ابن اخيه - أبو عبد الله ، محمد بن أحمد |
| (ابراهيم الثاني) | 9 - أخوه - أبو اسحاق ، ابراهيم بن أحمد |
| (عبد الله الثاني) | 10 - ابنه - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم |
| (زيادة الله الثالث) | 11 - ابنه - أبو مضر ، زيادة الله بن عبد الله |

سنوات حكم أمراء بني الأغلب

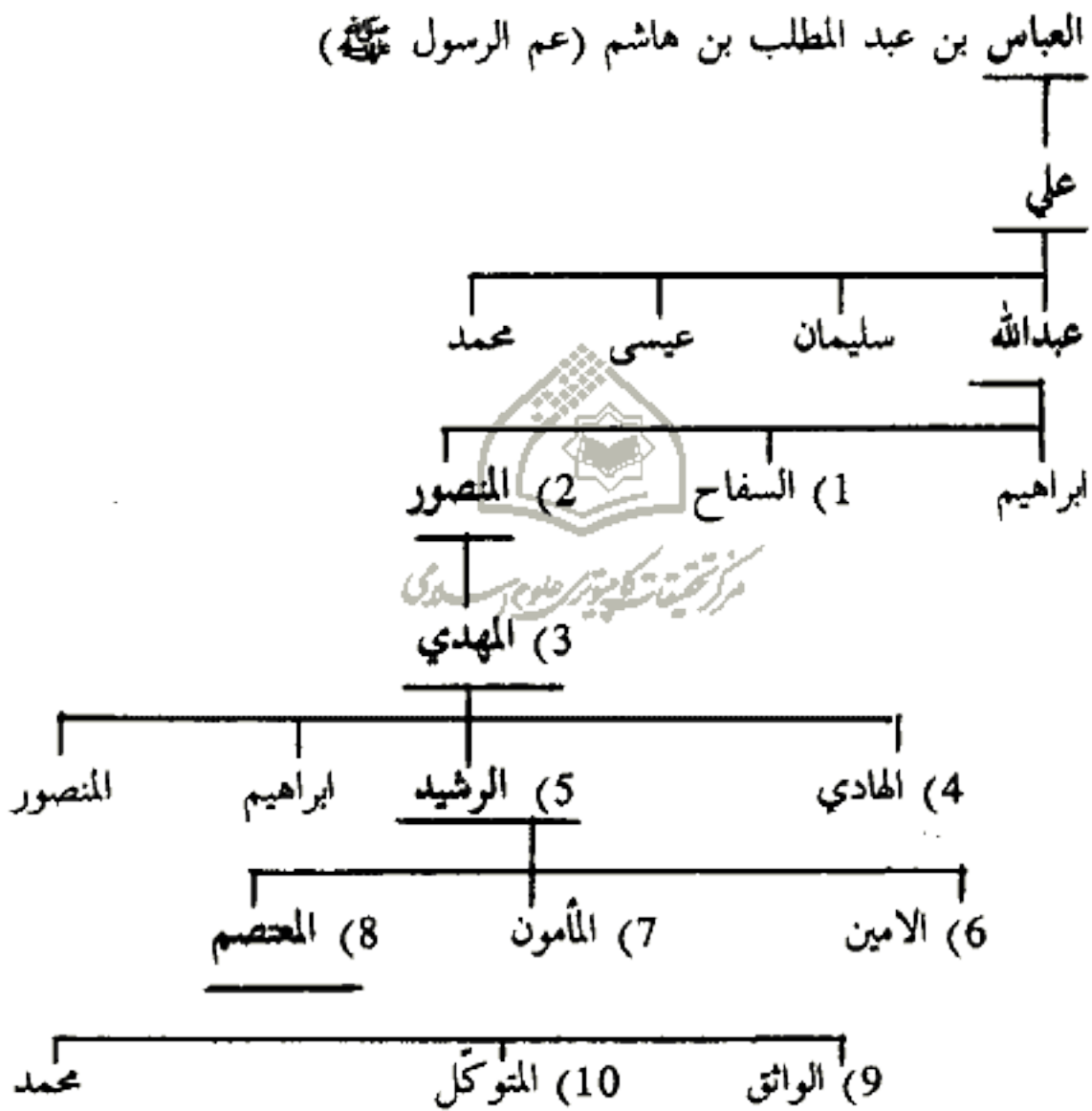
- | | |
|-----------|--|
| (197-184) | 1 - ابراهيم بن الاغلب |
| (201-197) | 2 - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب |
| (223-201) | 3 - أبو محمد ، زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب |
| (226-223) | 4 - أبو عقال ، الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب |
| (242-226) | 5 - أبو العباس ، محمد بن الاغلب |

- 6 - أبو ابراهيم ، أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب (249-242)
- 7 - أبو محمد زيادة الله بن محمد (250-249)
- 8 - أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابراهيم بن الاغلب (261-250)
- 9 - أبو اسحاق ، ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم ابن الاغلب (289-261)
- 10 - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن ابراهيم بن الاغلب (290-289)
- 11 - أبو مضر ، زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد ابن محمد بن عبد الله ابن ابراهيم بن الاغلب (296-290)

مدة ولاية أمراء الاغالية وتداول الامارة في أسرهم

- 1 - رأس - ابراهيم بن الاغلب (ابراهيم الاول) 13 سنة
- 2 - ابن - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم (عبد الله الاول) 4 سنوات
- 3 - أخ - أبو محمد ، زيادة الله بن ابراهيم (زيادة الله الاول) 22 سنة
- 4 - أخ - أبو عقاب ، الاغلب بن ابراهيم 3 سنوات
- 5 - أخ - أبو العباس ، محمد بن الاغلب (محمد الاول) 16 سنة
- 6 - ابن - أبو ابراهيم ، أحمد بن محمد 7 سنوات
- 7 - أخ - زيادة الله بن محمد (زيادة الله الثاني) سنة واحدة
- 8 - ابن اخ - أبو عبد الله ، محمد بن أحمد (محمد الثاني) 11 سنة
- 9 - أخ - أبو اسحاق ، ابراهيم بن أحمد (ابراهيم الثاني) 28 سنة
- 10 - ابن - أبو العباس ، عبد الله بن ابراهيم (عبد الله الثاني) سنة واحدة
- 11 - ابن - أبو مضر ، زيادة الله بن عبد الله (زيادة الله الثالث) 6 سنوات
- مدة حكمهم 112 سنة تقريباً .

نسب العباسيين والخلفاء الاوائل بالتسلسل



بدء خلافته وانتهاءها

الرشيد 786/هـ 170م

الامين 890/هـ 193م

المأمون 813/هـ 198م

المعتصم 833/هـ 218م

الواثق 842/هـ 227م

المتوكل 861/هـ 247م - 847/هـ 232م



مركز بحوث تاريخ وعلوم إسلامي

الفهارس

ملاحظة : الآيات القرآنية تطلب تحت «آيات» أو «القرآن» في الفهرس العام والسنة تحت اسم «محمد» ﷺ أو أحد الصحابة رضي الله عنهم .

فهرس الفهارس : 1 - المؤلفون والكتب

2 - الشعر

3 - الأسماء والمعاني

4 - مراجع

مركز تحقيقات کتب ویراث علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

- 1 -

فهرس الكتب والمؤلفين

في

كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

، 84أ ، 183أ ، 140أ ، 158ب ،

، 200أ ، 237ب ، 256ب ،

340أ. وانظر الأجوبة المسكتة

والأذكياء وكتاب الألقاب ، وسبط

ابن الجوزي .

ابن حجة ، 175أ ، وانظر ثمرات

الاوراق .

ابن خلكان ، 35ب ، 37أ ، 61أ ،

70أ ، 80أ ، 82ب ، 83أ ،

102ب ، 131ب ، 132ب ،

136ب ، 141ب ، 167ب ،

168أ ، 171أ ، 175ب ،

176ب ، 184أ ، 190أ ، 199أ ،

200أ ، 200ب ، 238ب ،

254أ ، 262أ ، 262ب ، 283أ ،

285أ ، 295ب ، 296أ ،

296ب ، 298أ ، 298ب ،

301ب ، 308ب ، 334ب ،

335ب ، 341أ ، 343ب ،

347ب ، 356أ . وانظر وفيات

الاعيان .

ابن رشيقي (كذا ، ويظهر أنه خطأ ،

والمقصود هو الرقيق) ، 92أ ،

ابتلاء الاخيار بالنساء والاشرار ،

241ب .

ابراهيم الاشعري (السيد الجليل -) ،

41أ ، 44ب ، 45ب ، 80ب ،

82ب ، 96ب ، 138ب ،

193ب . انظر كتاب لب اللبيب .

الابهيشي ، انظر المستطرف .

ابن أبي طيفور ، انظر أحمد بن أبي

طاهر .

ابن ابي عون ، 33ب . وانظر كتاب

الاجوبة المسكتة .

ابن الاثير ، 141أ ، 145أ ، 156ب ،

157أ ، 167ب ، 169أ ، 256أ ،

268أ . انظر تاريخ .

ابن بدرون ، 112أ ، 113ب ، 114أ ،

196ب ، 251ب . وانظر ابن

عبدون وشرح قصيدة - .

ابن بشكوال ، 250ب .

ابن بطلال ، 16ب . انظر شرح الجامع

الصحيح . .

ابن الجوزي ، 45أ ، 76أ ، 96أ ،

المضمار والمؤيد .
ابن الفلاس ، 144 ب .
ابن قتيبة ، 37 أ ، 215 أ ، 250 أ . انظر
أدب الكتاب .
ابن كثير ، 132 ب ، 133 أ ، 169 أ ،
172 ب ، 207 ب ، 236 أ ،
236 ب ، 242 أ ، 242 ب ،
245 ب ، 252 أ ، 253 ب ،
296 ب ، 297 ب ، 298 أ ،
302 أ ، 302 ب ، 303 أ ، 307 أ ،
308 ب ، 314 أ ، 315 ب ،
316 ب . انظر البداية .
ابن المتوج ، 246 أ . انظر كتاب من
عجائب مصر .
ابن المغربي ، الوزير ، 343 أ . انظر
كتاب أدب الخواص .
ابن النطاح ، 261 أ .
ابن هارون ، 290 ب . انظر تاريخ .
ابو بكر البغدادي ، 282 ب . انظر المتفق
والمفترق .
ابو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي ،
250 ب .
ابو عمرو ، انظر البيهجة .
ابو الفداء ، انظر المؤيد .
ابو الفرج ابن الجوزي ، انظر ابن
الجوزي ، والاذكياء .
ابو الفرج معافر ابن زكريا النهرواني ،
178 أ . انظر كتاب المجلس

92 ب ، 93 ب ، 101 أ ، 104 ب ،
119 أ ، 344 ب ، 346 ب ، انظر
كتاب قطب السرور .
(ابن الرقيق القيرواني) . انظر الرقيق
وكتاب قطب السرور .
ابن الشباط ، 356 أ ، 364 أ . انظر صلة
السمط .
ابن الشماع ، 364 أ . انظر الادلة
البيئة .
ابن عبد البر ، 15 ب ، 241 أ . وانظر
التمهيد .
ابن عيادوس ، 88 ب ، 90 ب ،
120 ب ، 135 ب . انظر كتاب
الوزارة .
ابن عبدون ، 112 أ ، 113 ب ، 114 أ ،
196 ب ، 251 ب . انظر شرح
منظومة .
ابن عساكر ، الحافظ ، 6 أ ، 166 ب ،
137 ب ، 143 ب ، 144 أ ،
219 أ ، 236 أ ، 241 ب ، 243 أ ،
244 ب ، 296 أ ، 298 أ ، انظر
تاريخ .
ابن ظفر ، 67 أ ، 84 ب ، 88 أ ،
112 أ ، 114 أ ، 123 أ ، 127 أ ،
144 ب ، 163 أ ، 163 ب ،
164 ب ، 233 أ . انظر كتاب خير
البشر وكتاب سلوان المطاع وكتاب
النصائح .
ابن المظفر ، 91 ب ، 116 أ . انظر

والأنيس .
الافتاء في اخبار الخلفاء ، 89 ب ،
1119 أ . انظر السيوطي .

امالي ابي بكر الانباري ، 177 ب .
الانباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ،
انظر الامالي .

الاوائل ، 19 ب .
البدري ، 136 ب ، 138 أ ، 146 ب ،
237 أ ، 245 أ ، 250 ب ، 265 أ .
(انظر تاريخ)

البداية والنهاية في التاريخ ، انظر ابن
كثير .

بدر الدين الحنفي ، انظر تاريخ .
بستان الآداب ، 73 ب ، 139 ب ،
159 ، 177 ب ، 214 ب .

البسطامي 19 أ ، 147 أ ، (انظر مناهج
التوسل في مباحج الترمس) .
بعض الادبيات ، 27 أ .

بعضهم ، 6 أ ، 14 أ ، 102 ب ، 133 أ ،
155 أ ، 180 ب ، 219 ب ،
223 ب ، 268 أ ، 292 أ .

البكري ، 5 ب .
البهجة لابي عمر ، 242 أ .
البيهقي ، 136 أ .

تاريخ ابن الاثير ، 141 أ ، 145 أ .
تاريخ (ابن حجر العسقلاني) ، انظر
تاريخ العسقلاني .

تاريخ ابن عساكر ، 6 أ ، 16 ب ،
137 ب ، 143 ب ، 144 أ ،

ابو حيان التوحيدي ، 228 ب .

ابو مهدي عيسى الثعالبي الجزيري
المالكي ، 18 أ .

ابو نعيم ، انظر الحلية .
الاجوبة المسكنة لابن الجوزي ، انظر ابن
الجوزي .

احمد بن ابي طاهر ، 200 ب ،
318 ب .

الاحياء ، 5 ب ، 76 أ .

الاخبار ، 14 ب . انظر ابو حنيفة .

اخبار الوزراء للجهشياري ، 136 أ .

أدب الكتاب لابن قتيبة ، 37 أ . انظر ابن
قتيبة .

(الادلة البينة النورانية عن مفاخر الدولة
الحفصية) ، انظر ابن الشماخ .

الاذكياء لابن الجوزي ، انظر ابن
الجوزي 200 أ .

الاصفهاني ، انظر الاغاني .

الاغاني ، مختار الاغاني ، 12 ب ، 31 أ ،

34 أ ، 37 ب ، 44 أ ، 53 أ ، 94 أ ،

105 ب ، 107 أ ، 107 ب ،

155 أ ، 161 ب ، 162 ب ،

166 أ ، 177 ب ، 184 ب ،

209 أ ، 219 أ ، 220 أ ، 222 ب ،

284 ب ، 285 ب ، 287 أ ،

288 أ ، 291 أ ، 293 ب ،

294 ب ، 352 أ .

تاريخ القضاء ، 252 ب ،
 تاريخ النويري ، 132 أ ، 140 أ ،
 145 ب ، 169 أ ، 201 ب ،
 245 ب ، 251 أ ، 271 ب ،
 273 ب ، 276 ب ، 284 أ ،
 289 ب ، 292 أ ، 304 ب ،
 305 أ ، 321 أ ، 322 ب .
 تاريخ الهمداني (ابن عبد الملك) ،
 302 ب ، 315 ب ، 316 أ .
 تاريخ اليافعي ، 5 أ ، 88 ب ، 153 ب ،
 157 ب ، 189 أ . انظر تاريخ
 الخميس .
 تحفة الالباب ، 299 أ .
 الترمذي ، 122 أ ، 249 ب ، 250 أ ،
 263 أ . انظر محاسن البلاغة .
 التمهيد لابن عبد البر ، 15 ب ، 241 أ .
 التنوخي ، 11 أ ، 18 أ ، 20 ب ، 22 أ ، 3 أ ،
 47 ب ، 51 ب ، 64 أ ، 87 أ ، 120 ب ،
 133 ب ، 137 ب ، 147 أ ، 148 أ ،
 149 أ ، 150 أ ، 209 أ ، 258 أ ،
 313 أ ، 317 أ ، 319 أ ، 320 ب ،
 321 أ ، 372 أ ، 331 أ ، 339 أ ،
 353 أ . انظر كتاب الفرج بعد الشدة .
 الثعالبي ، 92 ب ، 253 أ . انظر لطائف
 المعارف .
 ثمرات الاوراق لابن حجة ، 175 أ .
 الجاحظ ، 181 ب ، 231 أ ، 231 ب ،
 233 ب ، 234 أ .

219 أ ، 236 أ ، 241 ب ،
 243 ب ، 243 أ ، 244 ب ،
 296 أ ، 298 أ .
 تاريخ ابن هارون ، 290 ب .
 تاريخ ابي الفداء ، انظر المؤيد .
 تاريخ بدر الدين الحنفي ، 267 أ .
 تاريخ البدري ، 136 ب ، 138 أ ،
 146 ب ، 237 أ ، 245 أ ،
 250 ب ، 265 أ .
 تاريخ بغداد ، انظر الخطيب البغدادي .
 تاريخ الخميس ، 5 أ .
 تاريخ دمشق ، انظر تاريخ مدينة دمشق .
 تاريخ الذهبي ، انظر الذهبي .
 تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، 6 أ ،
 116 ب ، 137 ب ، 143 ب ،
 144 أ ، 236 أ ، 241 ب ، 243 أ ،
 244 ب ، 285 أ ، 287 أ ،
 287 ب .
 تاريخ الطبري ، 23 أ ، 108 أ ،
 199 ب ، 237 ب ، 264 ب ،
 314 أ ، 243 أ .
 تاريخ المسقلاني 104 ب ، 106 أ ،
 107 أ ، 108 أ ، 252 ب ،
 253 ب ، 266 ب ، 273 ب ،
 289 أ ، 290 ب ، 291 أ ،
 304 ب .
 تاريخ العظيمي ، 161 أ ، 176 أ ،
 189 ب ، 242 ب ، 245 أ .

جحظة البرمكي ، 339أ . انظر كتاب
الوزارة

جذوة المقتبس ، 322أ . انظر الحميدي .
الجهشياري ، 136أ . انظر أخبار
الوزراء .

حسن المحاضرة للسيوطي ، 245ب .
انظر السيوطي .

الحصري ، انظر زهر الآداب .

الحلية ، 14ب ، 18أ . انظر أبو نعيم .

الحميدي ، 322أ . انظر جذوة المقتبس .

حياة الحيوان للدميري ، 6أ ، 67أ ،

93ب ، 95أ ، 174ب ، 314ب .

الخطيب البغدادي ، 22ب ، 26ب .

51أ ، 92أ ، 100ب ، 104ب ،

118ب ، 154أ ، 165ب ، 174أ ،

176أ ، 176ب ، 178أ ، 190أ ،

190ب ، 217أ ، 235ب ، 237أ ،

237ب ، 242ب ، 254أ ، 283أ ،

285أ ، 286ب ، 291أ ، 292ب ،

301ب ، 311أ ، 349ب .

الخولاني ، 5ب .

دلائل النبوة ، انظر البيهقي .

الدميري ، 6أ ، 67أ ، 93ب ، 95أ ،

174ب ، 314ب ، انظر حياة

الحيوان .

الذهبي (الحافظ) ، 71أ ، 24أ ، 70أ ،

105ب ، 107أ ، 143ب ،

164ب ، 246ب ، 283ب . انظر

الزمخشري .

الريق القيرواني ، 92أ ، 92ب ،

93ب ، 101أ ، 104ب ، 111أ ،

211أ ، 217أ ، 218ب ،

355ب ، 357ب . انظر ابن الرشيقي

وانظر كتاب قطب السرور .

روض الرياحين لليافعي ، 71ب ،

73ب ، 74أ .

الزمخشري ، 24أ ، 70أ ، 105ب ،

107أ ، 143ب ، 164أ ،

214ب ، 246ب ، 283ب . انظر

ربيع البرار .

زهر الآداب ، 220أ .

سبط ابن الجوزي ، 339ب . انظر ابن

الجوزي .

السراج ، 28أ . انظر سراج الملوك .

سراج الملوك ، 78أ ، 173ب ،

300ب . انظر الطرطوشي .

سلوان المطاع ، 112أ . انظر ابن ظفر .

السمعاني ، 215أ .

السيرة لابن اسحاق ، 215أ .

السيوطي ، 89ب ، 95أ ، 114ب ،

115أ ، 111أ ، 119أ ، 132ب ،

245ب . انظر كتاب الاكتفاء في

أخبار الخلفاء وحسن المحاضرة وفاهة

الخلفاء .

شرح الجامع الصحيح للامام البخاري

لابن بطال ، 16ب

الغزالي ، 5ب ، 76أ . انظر الإحياء .
فاكهة الخلفاء للسيوطي ، 95أ ،
114ب ، 115أ ، 118أ ، 119أ .
القاضي ، انظر السيوطي .
القاضي ، 14أ (في بعض رسائله) .
القالبي ، أبو علي ، 340أ .
(القضاعي ، محمد بن سلامة) ، انظر
عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف
(خ 1491 باريس) . .
قطب السرور ، انظر كتاب .
لطائف المعارف للشعالبي ، 92ب ،
253أ .
الكامل ، انظر ابن الاثير .
كتاب الاجوبة المسكنة ، 33ب . انظر
ابن أبي عون .
كتاب الاخبار على ما في المقامات من
الاشعار ، 85أ ،
كتاب أدب الخواص للوزير ابن المغربي ،
343أ .
كتاب الالقاب لابن الجوزي ،
237ب ، 340أ . انظر ابن الجوزي
كتاب الامالي لابن علي القالي ، 340أ .
كتاب المجلس والانيس ، 178أ ،
212أ .
كتاب خير البشر ، 163ب ، 164ب .
كتاب سيرة الملوك ، 348أ .
كتاب الفرائض لعبد العزيز : 174أ .
كتاب الفرج بعد الشدة ، 11أ ، 18أ ،

شرح رسالة ابن زيدون ، 43أ ،
226ب ، 233ب ،
شرح منظومة ابن عبدون ، 112أ ،
113ب ، 114أ ، 196ب ،
251ب . انظر شرح قصيدة لابن
عبدون .
الشهب الامة في السياسة الجامعة ،
129أ ، 130أ
الصايبي ، هلال بن يحيى ، 23أ .
صحيح مسلم ، 249أ .
الصفدي 212أ ، 219أ
صلة السمط ، انظر ابن الشباط .
الصولي ، 89أ ، 90أ ، 59أ ، 298ب .
الطبري ، 23أ ، 108أ ، 136ب ،
199ب ، 237ب ، 264ب ،
314أ ، 343أ ، انظر تاريخ
الطرطوشي ، 118أ ، 173ب ،
300ب . انظر سراج الملوك .
العسكري ، 119ب . انظر الأوائل .
العظمي ، 161أ ، 176أ ، 189ب ،
242ب ، 245أ . انظر تاريخ .
عيون التواريخ ، 96أ .
عيون المعارف للقضاعي ، 241ب ،
252ب ، 254أ ، 289أ ، 294أ ،
314أ . انظر القضاعي .
غرس النعمة ، محمد بن المحسن ،
139ب ، 165ب . انظر كتاب
الحفوات .

عبدوس .

الكشاف ، 214 ب .

الكندي ، 225 أ . انظر كتاب الحيوان .

المؤيد ، الملك ، 3 أ ، 6 ب ، 11 ب ،

16 أ ، 24 ب ، 25 ب ، 28 ب ،

33 ب ، 39 ب ، 69 ب ، 71 أ ،

83 أ ، 88 ب ، 89 ب ، 99 أ ،

91 ب ، 104 أ ، 104 ب ، 11 أ ،

112 أ ، 113 أ ، 116 أ ، 118 أ ،

118 ب ، 119 أ ، 130 ب ،

131 ب ، 141 أ ، 141 ب ،

145 أ ، 146 أ ، 167 ب ،

178 ب ، 179 ب ، 171 أ ،

174 ب ، 175 ب ، 183 ب ،

190 ب ، 237 ب ، 240 ب ،

243 أ ، 250 ب ، 254 أ ، 257 أ ،

262 ب ، 267 أ ، 300 ب ،

308 ب ، 316 ب ، 317 أ ،

318 ب ، 331 أ ، 332 أ ،

335 ب ، 337 ب ، 360 ب .

وانظر ابو الفداء . (جاء في 116 أ :

الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر

تقي الدين شاهنشاه صاحب حماة في

تاريخه المسمى بالمضمار ، وفي

مواضع اخرى يقول : قال المؤيد في

المختصر) .

المتفق والمفترق لابي بكر البغدادي ،

282 ب .

محاسن البلاغة للترمذي ، 122 أ ،

20 ب ، 22 أ ، 23 ب ، 47 أ ، 51 ب ،

64 أ ، 87 أ ، 120 ب ، 133 ب ،

137 ب ، 147 أ ، 148 أ ، 149 أ ،

150 أ ، 209 ب ، 258 أ ، 313 أ ،

317 ب ، 319 أ ، 320 ب ، 321 أ ،

327 أ ، 331 أ ، 339 أ ، 353 أ .

وانظر التوخي .

كتاب الفرس ، 258 أ .

كتاب قطب السرور ، 92 أ ، 92 ب ،

93 ب ، 101 أ ، 104 ب ، 11 أ ،

211 أ ، 217 أ ، 217 ب ، 218 ب ،

355 ب ، 357 ب . انظر ابن رشيق .

كتاب الكامل للمبرد ، 182 أ ،

306 ب ، 332 أ ، 339 أ .

كتاب لبّ اللبيب في كلام الشعراء مع

الامراء والكبراء ، 41 أ ، 44 ب ،

80 ب ، 82 ب ، 92 ب ، 138 ب ،

193 ب . انظر ابراهيم الاشعري .

كتاب مرآة الزمان ، 174 أ ، 246 ب .

كتاب المستطرف للابشيهي ، 173 أ .

كتاب من عجائب مصر ، 246 أ . انظر

ابن المتوج .

كتاب النصائح لابن ظفر ، 84 ب ،

88 أ ، 233 أ .

كتاب الهفوات ، 165 ب . انظر غرس

النعمة .

كتاب الوزارة لجحظة البرمكي ،

88 ب ، 90 ب ، 120 ب ،

135 ب ، 339 أ . انظر ابن

249ب ، 250أ ، 263أ . انظر

الترمذي .

محمد بن اسحق 250أ . انظر السيرة .

محمد بن الحسن ، 24أ ، 25ب .

عبي الدين النووي ، انظر النووي .

المرادي النيسابوري ، 336ب .

مرآة الزمان ، 174أ ، 246ب .

مروح الذهب ، 45أ ، 55ب ، 344أ ،

346ب . انظر المسعودي .

المستطرف (للابشيهي) ، 173أ .

مسعد ، 24أ .

المسعودي ، 45أ ، 55ب ، 92ب ،

246ب ، 309أ ، 344أ ،

346ب . انظر مروح الذهب .

المضمار 91ب ، 116أ . انظر المؤيد .

المعري ، 32ب .

مناهج الترسل ومباهج التوسل ، 19أ ،

147أ . انظر البسطامي (عبد الرحمن

بن محمد الحنفي البسطامي ، المتوفى

850 هـ / 1446م)

مناهج الفكر ، 246ب ، 247ب ،

248ب .

منظومة ابن عبدون ، 113ب . انظر ابن

عبدون .

نزهة البصار في أخبار ملوك الامصار ،

162ب .

نزهة النفوس وسلوة المنفوس ،

116ب ، 118أ ، 122أ ، 129أ .

نقطويه ، 6أ ، 158أ . انظر تاريخ .

النهرواني ، 21أ ، 23أ ، 178أ ،

212أ . انظر كتاب المجلس

والانيس .

النووي ، 81ب ، 83أ (في اذكاره) .

التويري ، 132أ ، 140أ ، 145ب ،

169أ ، 245ب ، 283ب ،

284ب ، 303أ ، 316أ ، 332أ ،

333ب . انظر تاريخ .

الهمذاني ، 250ب . انظر تاريخ .

الواقدي ، 17ب .

الوزير المغربي ، 34أ . انظر كتاب ادب

الخواص .

وفيات الاعيان لابن خلكان ، 131ب .

انظر ابن خلكان .

اليافعي ، 5أ ، 88ب ، 146ب ،

153ب ، 157ب ، 199أ . انظر

تاريخ .

فهرس عام لمختلف الأسماء والمعاني
في
كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

| | |
|---|--|
| أسماء مدن ومواضع | 320 ب . |
| • معان عامة . | ابراهيم بن صالح بن علي : 12أ ، 20أ ، 19أ ، 20أ . |
| - أ - | ابراهيم بن عباس : 40أ ، 161أ ، 161ب ، 162أ ، 162ب ، 285ب . |
| الإباضية : 347ب . | ابراهيم بن عبد العزيز : 234ب . |
| آدم : 102ب ، 188أ . | ابراهيم بن عبد الله بن حسن : 107ب . |
| أبان بن سميان : 298أ . | ابراهيم بن عبد الله الهبيري : 310أ ، 310ب ، 311أ . |
| أبان بن عثمان : 62ب . | ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام (ابن عائشة) : 207أ . |
| ابراهيم بن أبي العنيس : 202أ . | ابراهيم بن محمد الهاشمي : 290ب . |
| ابراهيم بن اسحاق المصمعي : 265ب . | ابراهيم بن المنبر : 341ب ، 342أ . |
| ابراهيم الاشعري : 82ب ، 95ب ، 138أ . | ابراهيم بن المنذر : 325ب . |
| ابراهيم الامام : 107ب ، 207أ ، 343ب . | ابراهيم بن المهدي : 94ب ، 104ب-108أ ، 117ب ، 137أ ، 137ب ، 140أ ، 140ب ، 141أ ، 145أ ، 145ب ، 158ب ، 206ب- 213أ ، 240أ ، 251ب ، |
| ابراهيم بن الاغلب : 345ب ، 346أ ، 349ب ، 350أ . | |
| ابراهيم بن جعفر البلخي : 117ب . | |
| ابراهيم بن ذكوان الحراني : 3ب . | |
| ابراهيم بن سيار (النظام) : 233أ ، 234أ ، 234ب ، 235أ ، | |

272ب-273ب ، 284أ .

ابراهيم بن الواثق : 305ب .

ابراهيم بن الوليد : 92ب ، 107ب .

ابراهيم بن اليزيدي 205أ .

ابراهيم الجزار : 131أ .

ابراهيم بن الخليل : 238أ ، 241أ .

ابراهيم الموصللي ، (مغني الرشيد) : 6أ ،

37ب ، 39أ ، 183أ ، 211أ .

ابراهيم النظام : 103ب .

• إبرة : 19ب .

أبقراط : 224أ ، 228ب-230ب .

إبليس : 269ب .

ابنا مسعدة : 177أ .

ابن أبي حاتم : 169ب .

ابن أبي خالد العيار : 210أ .

ابن أبي داود (انظر أحمد) .

ابن أبي الدنيا : 252ب .

ابن أبي ذئب : 214ب .

ابن أبي الصلت : 186ب .

ابن أبي طاهر : (انظر أحمد) .

ابن أبي الليث الحنفي : 297أ .

ابن أبي يوسف القاضي : 241ب .

ابن أبي الاعرابي ك 282ب ، 284ب .

ابن الاغر : 40ب .

ابن أيوب التميمي : 137أ .

ابن بشكوال : 250ب .

ابن بطلال : 16ب .

ابن بلبان : 78أ .

ابن البواب : 160أ ، 160ب .

ابن ثعلبة : 51أ .

ابن ثوبة : 341أ .

ابن جامع : 10أ ، 10ب ، 11أ .

ابن جريح : 15أ ، 167أ ، 214ب .

ابن جرير : 108أ ، 264ب .

ابن جعفر : 29أ ، 36أ (عبد الله بن

جعفر بن أبي طالب) .

ابن جليس : 155أ .

ابن الجهم : 321ب .

ابن الجوزي : 70ب ، 71أ ، 84أ ،

140أ ، 158أ ، 173ب ، 200أ ،

214ب ، 237ب ، 256ب ،

329أ .

ابن حجة : 175ب .

ابن حازم (انظر محمد) .

ابن حزم : 240ب .

ابن الحكم : 172ب .

ابن حمدون 201ب ، 337ب ،

338أ .

ابن دريد : 71أ ، 332ب ، 333أ ،

333ب .

ابن دينار : 15ب .

ابن راهويه : 170أ .

ابن رشيقي القيرواني : 92أ ، 92ب ،

93ب ، 101أ ، 104ب ، 119أ ،

341ب ، 346ب .

ابن الرومي : 118أ .
 ابن زيات : (انظر محمد بن عبد الملك) .
 ابن زيدون : 226ب .
 ابن سعدون القيرواني (في الهامش ، في
 ترجمة الامير ابراهيم بن أحمد بن
 محمد من أمراء الأغالبة ، الدرر
 204ب) .
 ابن السكيت : (انظر يعقوب) .
 ابن سماعة التميمي : 215أ .
 ابن السماك : 83ب .
 ابن سناء الملك : 289ب .
 ابن شاهين : 334أ .
 ابن الشباط : 345أ ، 353أ .
 ابن شبّة : 167ب .
 ابن شريح البقال : 169ب .
 ابن الشماع : 353أ .
 ابن شهاب : 17أ .
 ابن صفوان : 163ب .
 ابن الصيف : 322أ .
 ابن ضبارة : 63أ ، 63ب .
 ابن ظفر : 84ب ، 88أ ، 91ب ،
 112أ ، 114أ ، 123ز ، 163ب ،
 164ب ، 233أ .
 ابن طباطبا العلوي : 130ب ،
 131ب .
 ابن عباس : 90أ ، 165ب ، 166أ ،
 240ب ، 241أ .

ابن عبد الاعلى : 172أ .
 ابن عبد البر : 15ب ، 28ب ، 241أ .
 ابن عبد ربه : 330أ .
 ابن عبد الملك الهمداني 304ب .
 ابن عبدوس : 88ب ، 90ب ،
 120ب ، 135ب .
 ابن عبدون : 112أ ، 113ب ، 114أ ،
 128ب ، 196ب .
 ابن عتبة : 56ب .
 ابن عجلان : 241ب .
 ابن عروبة المدني : 166ب .
 ابن عساكر : 116ب ، 137ب ،
 143ب ، 144أ ، 219أ ، 231أ ،
 236أ ، 241ب ، 242أ ،
 242ب ، 243أ ، 244ب ،
 285أ ، 287أ ، 287ب .
 ابن عطية : 270أ .
 ابن عليّة : 83ب .
 ابن عمر : 164أ .
 ابن فارس : 164ب .
 ابن الفلاس : 144ب .
 ابن القاسم : 167ب .
 ابن قتيبة : 215أ ، 250أ .
 ابن كثير : 132ب ، 133أ ، 142أ ،
 169أ ، 172ب ، 207ب ،
 236أ ، 236ب ، 241ب ،
 242أ ، 242ب ، 245ب ،
 253ب ، 262ب ، 263أ ،

ابن هلال : 295 ب .
 ابن الوزير ابن بدرون : 251 ب .
 ابن يونس : 254 ب .
 ابنة الحسن بن علي : 142 أ .
 • الأبنه : 177 ب .
 أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن عبد الله بن
 الأغلب : 347 ب ، 348 أ .
 أبو ابراهيم المزني : 169 أ .
 أبو أحمد العسكري : 235 ب .
 أبو أحمد محمد بن الرشيد : 90 أ .
 أبو اسحاق : 170 أ ، 259 أ .
 أبو اسحاق الصايي : 165 ب ،
 176 ب .
 أبو أيوب (انظر سليمان بن وهب) .
 أبو البخري بن وهب : 29 ب ، 30 أ .
 أبو بدر : 196 أ .
 أبو بشر : 186 أ .
 أبو بشر الزولامي : 169 ب .
 أبو البقاء (الشاعر) : 153 أ .
 أبو بكر : 12 أ ، 62 أ ، 106 أ ،
 174 ب ، 236 ب .
 أبو بكر بن أبي الازهري : 328 ب .
 أبو بكر بن عبد الرحمان : 144 ب ،
 172 ب .
 أبو بكر بن محمد بن دريد : 172 ب .
 أبو بكر الحافظ البغدادي : 271 ب .
 أبو بكر الحسن بن علي : 329 ب .

286 ب ، 287 أ ، 291 أ ، 292 أ ،
 297 ب ، 303 أ ، 304 ب ،
 335 ب .
 ابن ماسويه (بحي) : 251 ب ، 290 أ
 ابن المبارك : 15 ب ، 237 أ .
 ابن المتوج : 246 أ .
 ابن مجمع : 40 ب .
 ابن المجير (المجبر ؟) : 252 أ .
 ابن المنبر : 205 أ ، 206 ب ، 336 أ ،
 341 ب ، 342 أ .
 ابن المرزيان : 201 ب ، 204 ب ،
 218 أ .
 ابن المعتز : (انظر عبد الله) .
 ابن المعين : 167 أ .
 ابن المغربي : 332 أ .
 ابن المغيرة بن نوفل : 63 أ .
 ابن مكبر : 228 ب .
 ابن مكرم : 326 ب .
 ابن منادر (الشاعر) : 58 ب ، 59 أ .
 ابن المنجم : 336 ب .
 ابن مهاجر : 298 ب .
 ابن مهدي : 167 ب ، 182 أ .
 ابن ميمون الموصلی : 196 ب .
 ابن نباتة : 343 أ .
 ابن النطاح : 161 أ ، 186 أ .
 ابن هارون : 279 ب .
 ابن هشام : 170 أ ، 170 ب .

أبو الحسن علي بن يحيى : 336 ب .
أبو الحسن علي الهادي : 323 ب ،
324 أ .

أبو الحسن القاضي : 88 أ .
أبو حليلة الكاتب : 45 ب ، 281 ب .
أبو حنيفة : 16 ب ، 22 أ ، 23 أ ، 24 أ ،
25 أ ، 26 ب ، 30 أ ، 69 ب ،
167 أ ، 168 ب ، 169 أ ،
175 ب ، 186 ب ، 187 أ .

أبو حيان التوحيدي : 228 ب .
أبو خديجة اسحاق بن بشر : 241 ب .
أبو الخطاب الخارجي : 343 أ ،
343 ب .

أبو الخطاب عبد الحميد : 70 ب ،
184 أ .

أبو خليل : 55 ب .
أبو داود : 320 أ .
أبو داود سليمان بن داود بن الجارود
الطرابلسي : 167 ب ، 181 أ .

أبو دريد : 47 أ .
أبو دلف ، القاسم بن علي : 188 ب ،
258 ب - 263 ب .

أبو دهمان : 186 ب ، 188 ب .
أبو الرازي : 218 أ .
أبو الزبير : 15 أ .

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : 190 أ ،
190 ب .

أبو زيد الانصاري : 326 ب .

أبو بكر العلاف الضرير النهرواني :
110 ب .

أبو بور : 169 ب .
أبو تمام : 34 ب ، 261 ب ، 265 ب ،
269 ب ، 285 أ - 288 أ .

أبو جعفر البلخي : 70 أ .
أبو جعفر الطحاوي الحنفي : 295 ب .
أبو جعفر الكرماني : 172 ب .
أبو جعفر المنصور : 25 أ ، 45 ب ،
91 أ ، 120 أ ، 237 ب ، 343 أ .

أبو الجهم أحمد بن سيف : 161 ب ،
162 أ ، 326 ب .

أبو حاتم السجستاني : 235 أ ،
328 ب ، 329 أ ، 329 ب ،
333 ب ، 335 أ .

أبو حازم : 17 أ .
أبو حامد الغزالي : 176 أ .
أبو حرب المبرقع اليماني : 289 أ ،
289 ب .

أبو الحسن الأحمر : 95 أ .
أبو الحسن البطال : 240 ب .
أبو الحسن بن عبد الله الحزمي : 170 أ .
أبو الحسن بن الفرات : 111 أ ،
202 ب .

أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الأخفش) :
183 ب ، 184 أ .

أبو الحسن العسكري : 323 ب ،
324 أ ، 324 ب .

أبو عبد الله الأزدي : 329 ب .
 أبو عبد الله الحسين بن علي : 329 ب .
 أبو عبد الله الدينوري : 329 أ .
 أبو عبد الله الشيعي : 349 ب ، 350 أ .
 أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي
 (القاضي) : 250 ب .
 أبو عبيدة : 45 ب ، 51 أ ، 235 أ ،
 235 ب ، 286 أ ، 286 ب ،
 295 ب .
 أبو عبيد الثقفي : 61 أ .
 أبو عبيد القاسم بن سلام : 183 ب .
 أبو العتاهية : 44 أ ، 45 ب ، 58 ب ،
 88 أ ، 101 أ ، 180 ب ، 181 أ ،
 182 ب ، 183 أ-184 أ ، 281 ب ،
 319 ب .
 أبو عثمان المازني النحوي : 142 أ ،
 171 أ ، 277 ب ، 295 ب ،
 328 ب ، 329 ب .
 أبو العرف : 54 .
 أبو عقاب بن إبراهيم بن الاغلب :
 347 أ .
 أبو عمرو بن العلاء : 53 ب ، 56 أ .
 أبو علي : 281 ب .
 أبو علي بن مقلة : 111 أ .
 أبو علي بن يحيى الخاقاني : 111 أ .
 أبو علي القالي : 329 أ ، 334 ب .
 أبو علي محمد بن الرشيد : 90 أ .
 أبو عمرو الخولاني : 76 أ .

أبو سبرة النخعي : 163 أ .
 أبو السرايا بن منصور : 130 ب ،
 131 أ ، 140 ب .
 أبو سعيد المخزومي : 253 أ .
 أبو سفيان : 322 أ .
 أبو سفيان بن حرب : 43 ب .
 أبو سليمان بن الرشيد : 90 أ .
 أبو السمط مروان : 307 ب ،
 321 ب ، 323 أ ، 323 ب ،
 366 ب ، 366 أ ، 337 أ ،
 337 ب ، 338 ب ، 339 أ .
 أبو شعيب : 181 أ .
 أبو الشمقمق : 33 ب ، 51 أ .
 أبو صالح : 15 أ .
 أبو الصلت : 142 أ .
 أبو طالب : 255 أ ، 255 ب .
 أبو طاهر بن عوف : 14 أ .
 أبو الطفل عامر بن وائلة : 25 أ .
 أبو عامر البصري : 74 ب ، 75 أ ،
 75 ب ، 76 ب .
 أبو عباد : 149 أ ، 150 أ .
 أبو عبادة الوليد بن البحتري : 339 ب .
 أبو العباس بن إبراهيم بن الاغلب :
 346 أ ، 347 أ ، 347 ب .
 أبو العباس بن ثوبة : 282 ب .
 أبو العباس محمد بن الرشيد : 90 أ .
 أبو العباس بن الفرات : 202 ب .

- أبو عمرو : 168أ .
أبو عمرو القاضي : 111ب .
أبو عمرو الشيباني النحوي : 183أ .
أبو العمثيل : 331ب ، 332ب ، 333أ .
أبو عنبس الصميري : 339 ، 339ب .
أبو عيسى بن الرشيد : 90أ ، 146ب ، 206أ ، 206ب .
أبو العيلاء الضرير : 92ب ، 93أ ، 162أ ، 170ب ، 234ب ، 325أ ، 326أ ، 326ب ، 327أ .
أبو الغوث ابن أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري : 340أ .
أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله (المقتدر) : 109ب ، 110أ ، 110ب ، 111ب .
أبو محلم : 205ب ، 206أ .
أبو محمد عبد الله السيد البطليوسي : 189أ .
أبو محمد يحيى بن المبارك : 331أ .
أبو محمد اليزيدي : 70أ ، 220ب .
أبو مسلم الإصفهاني : 340ب .
أبو سلم الخراساني : 63أ ، 116أ ، 132 ، 241أ .
أبو معاوية الضرير : 120أ ، 241ب ، 284ب .
أبو معن : 181أ .
أبو منصور الأزهري : 334أ .
- أبو منصور المنجم : 336ب .
أبو مهدي عيسى الثعالبي الجزيري المالكي : 18أ .
أبو موسى الأشعري : 325ب .
أبو موسى الخراساني : 49ب .
أبو ناجية : 335ب .
أبو نهشل بن حميد الطوسي : 287ب .
أبو نواس : 34ب ، 41أ ، 45أ ، 46أ ، 46ب ، 59ب ، 60أ ، 90ب ، 91ب ، 96ب ، 97ب ، 98ب ، 99أ ، 100ب-104ب ، 120أ ، 141ب ، 182ب ، 184أ ، 189أ ، 199ب ، 217أ ، 217ب ، 281ب ، 330أ ، 330ب ، 335ب .
أبو هاشم الحباني : 323أ .
أبو الهذيل العلاف : 231ب ، 233ب .
أبو هريرة : 15أ ، 29ب ، 71أ ، 164أ .
أبو هشام الباهلي : 187ب .
أبو الهول : 247أ .
أبو الوليد بن أبي الحارث : 170أ .
أبو الوليد بن أحمد بن أبي داود القاضي : 319ب .
أبو يحيى الزهري : 15ب .
أبو يعقوب البويطي : 170أ ، 172أ ، 297أ ، 297ب .

349 ب ، 320 أ .
 أحمد بن سالم : 117 أ .
 أحمد بن سعيد بن حزم : 311 أ .
 أحمد بن طاهر : 200 ب .
 أحمد بن طولون : 248 أ ، 248 ب .
 أحمد بن عروة : 147 ب ، 148 أ .
 أحمد بن علي الاسكاني : 341 أ .
 أحمد بن عمار : 270 ب ، 291 ب .
 أحمد بن المأمون : 253 ب ، 286 ب ،
 287 أ .
 أحمد بن محرز : 347 أ .
 أحمد بن مرزوق المكي (الملقب بطنين) :
 283 ب .
 أحمد بن المعتصم : 286 ب ، 287 أ .
 أحمد بن المعتز : 351 ب .
 أحمد بن المفضل : 338 أ .
 أحمد بن نصر مالك بن الهيثم : 300 أ ،
 300 ب .
 أحمد بن نعيم : 176 ب ، 177 أ .
 أحمد بن هشام : 211 أ ، 212 أ .
 أحمد بن الوائق : 305 ب .
 أحمد بن يحيى : 280 أ .
 أحمد بن يوسف : 149 أ ، 165 ب ،
 200 أ ، 209 ب ، 210 ب .
 أحمد المنبّر : 306 ب .
 أحمد المكي (المكي ، الملقب بطنين ؟) :
 211 أ .

أبو اليمن الكندي : 71 أ .
 أبو يوسف القاضي : 6 أ ، 21 أ ، 22 أ ،
 23 أ ، 25 أ ، 26 أ ، 27 أ ، 30 أ ،
 69 ب ، 169 ب .
 أترجة بنت أشناس : 256 ب .
 • الأحداث (صغار السن) : 227 ب .
 أحد : 23 ب .
 أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي : 175 ب ،
 253 ب ، 256 أ ، 258 ب ،
 259 أ ، 260 ب ، 269 ب ،
 271 أ ، 272 أ ، 278 أ ، 288 أ ،
 289 ب ، 292 أ ، 297 ب -
 298 ب ، 300 ب ، 302 أ -
 303 أ ، 304 أ ، 305 أ - 306 أ ،
 307 ب ، 319 أ ، 320 أ ،
 320 ب .
 أحمد بن أبي داود : 25 أ .
 أحمد بن أبي طاهر : 285 ب ،
 307 ب ، 337 أ .
 أحمد بن اسحاق : 273 أ .
 أحمد بن إسرائيل : 306 ب ، 307 أ ،
 310 أ ، 311 أ ، 316 ب .
 أحمد بن الحارث السبعي : 120 أ ،
 181 أ ، 241 ب .
 أحمد بن حنبل : 23 أ ، 119 أ ، 169 أ ،
 169 ب ، 170 أ ، 183 ب ،
 239 أ ، 239 ب ، 240 أ ،
 240 ب ، 299 ب ، 319 أ ،

225 ب ، 226 ب ، 230 ب .
 * الاردن : 55 أ ، 133 ب ، 205 أ .
 أرسطس الالهي (ابن) : 226 ب .
 * أرض السواد : 140 ب .
 * أرمينية : 30 ب ، 286 أ ، 312 ب .
 أروى بنت الحارث بن عبد المطلب :
 28 ب .
 الازد : 168 ب ، 329 أ .
 * اسبدان : 351 أ .
 * استهلاك : 302 أ .
 * الاستسقاء : 303 أ ، 304 أ .
 اسحاق : 238 أ .
 اسحاق بن ابراهيم المصعبي : 209 أ ،
 239 أ ، 239 ب ، 240 أ ،
 244 ب ، 256 أ ، 269 ب ،
 313 ب ، 314 أ ، 316 ب ،
 317 أ ، 317 ب ، 318 أ .
 اسحاق بن ابراهيم الموصلی : 40 أ ،
 93 أ ، 93 ب ، 95 أ ، 107 أ ،
 161 أ ، 197 ب ، 198 أ ،
 198 ب ، 199 أ ، 204 أ ،
 206 ب ، 207 أ ، 209 ب ،
 211 أ ، 212 أ ، 215 ب ، 216 أ ،
 217 ب ، 241 ب ، 252 ب ،
 252 ب ، 253 ب ، 275 أ ،
 284 أ ، 284 ب ، 285 أ ،
 290 ب ، 337 أ .
 اسحاق بن الرشيد : 155 أ .

الاحمر : 190 أ .
 الاحنف : 294 أ .
 * أخشيدوكان : 229 أ .
 الاخطل : 244 ب .
 الاخفش الاكبر (انظر أبو الخطاب) .
 الاخفش الاصغر (انظر علي بن
 سليمان) .
 الاخفش الاوسط (انظر أبو الحسن
 سعيد) .
 * الاخوة : 258 أ .
 الأدارة : 345 أ .
 * إداوة : 55 ب .
 * الادب : 95 ب ، 104 ب ، 165 ب ،
 193 ب ، 206 ب ، 222 أ ،
 268 ب ، 282 أ ، 288 أ ، 292 أ ،
 295 ب ، 312 ب ، 328 ب ،
 340 ب .
 * الأدباء : 328 ب .
 * ادران (إران) : 34 أ .
 إدريس (عليه السلام) : 247 ب .
 إدريس بن العباس بن عثمان شافع :
 168 أ .
 * أذربيجان : 30 ب ، 263 أ ،
 311 ب ، 312 ب .
 * الإذن (في الدخول) : 159 ب ،
 232 ب ، 332 ب .
 * أذنة : 252 أ .
 أرسطاطاليس : 179 أ ، 225 أ ،

12ب ، 24ب
 اسماعيل بن جامع : 10ب ، 11أ
 اسماعيل بن صالح : 87أ
 اسماعيل بن صبيح : 89أ
 اسماعيل بن عليّة 83ب ، 119أ ،
 120أ ، 169أ ، 241ب
 اسماعيل بن يحيى المزني : 171ب
 الاسود : 59أ .
 الاشعث بن عقبة الخزاعي : 343أ ،
 343ب .
 اشناس : 255أ ، 266أ ، 336ب .
 اشهب بن عبد العزيز بن داود :
 167ب ، 168أ .
 اصفهان : 114ب ، 167ب ،
 262أ .
 الاصطربلاب : 121ب .
 الاصمعي : 51ب ، 171أ ، 179أ ،
 179ب ، 233أ ، 235أ ،
 235ب ، 284ب ، 295ب ،
 335أ .
 الاعتزال : . . 318ب .
 اعتلال الاوتار : 221ب .
 الاعشى : 210ب ، 217أ ، 295أ .
 الاعمش : 23أ ، 59أ .
 الاغالبة : 345ب ، 349ب .
 اغسطس : 228أ .
 افريريون بن مرحب : 247ب .

اسحاق بن الفرات التجيبي : 167ب .
 اسحاق بن المأمون : 253ب .
 اسحاق بن موسى العباسي : 131أ ،
 140ب .
 اسحاق الهاشمي : 57ب .
 أسد بن الفرات : 346ب .
 أسد بن يزيد : 31أ .
 • الاسرى (تبادل -) : 296ب .
 • الاسطربلاب (الاصطربلاب) :
 121ب ، 227ب ، 228أ .
 أسعد بن زرارة الخزرجي ، أبو أمانة :
 35أ .
 اسقيلينوس : 224أ ، 224ب ،
 225أ ، 228ب .
 الاسكندر : 226أ ، 228أ .
 • الاسكندرية : 14أ ، 228أ ،
 246ب ، 330أ .
 أسماء : 57أ .
 أسماء بنت عميس : 62أ .
 أسماء بنت المهدي : 105أ .
 • إسماع : 309أ ، 334ب .
 اسماعيل بن ابراهيم الخليل : 211أ .
 اسماعيل بن أبي خالد : 167أ .
 اسماعيل بن بويحب : 303ب .
 اسماعيل بن الحسين (خال المأمون) :
 202ب .
 اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان :

• إفريقية : 253أ ، 343أ-341ب ،
 346أ-345ب ، 347ب ،
 350ب ، 353أ .
 الافشين بن حيدر بن كاووس : 255أ ،
 256أ ، 258ب ، 259أ ،
 260ب ، 263ب ، 264أ ،
 264ب ، 266أ ، 266ب ،
 269ب ، 279أ ، 288ب ،
 289أ .
 افلاطون : 179ب ، 225ب ،
 228ب ، 230ب .
 اقليدس : 228ب .
 اكثم بن صيفي التميمي : 175أ .
 الامامية : 141ب .
 امرؤ القيس : 42ب ، 102أ ،
 179ب ، 217أ .
 أم جعفر : 72ب ، 274أ ، 274ب ،
 أم حبيب (بنت المأمون) : 145أ .
 أم حكيم : 40ب ، 41أ .
 أم زيد بنت علي بن الحسين : 40ب .
 أم عبد الله بن يحيى بن خالد : 64أ .
 أم الفضل بن سهل : 62أ ، 136ب ،
 139أ .
 أم الفضل بنت المأمون : 245أ .
 • الامارة : 79ب .
 • الإمامية : 323ب .
 • أمرد : 45أ .
 • أمان : 11ب .

• إملاء : 334ب .
 الأمين : 6ب ، 14أ ، 18أ ، 70ب ،
 87أ ، 88ب ، 90أ-120أ ،
 346أ .
 الانبار : 91ب ، 181ب ، 350ب .
 • أنجيل ، أنجيل : 223أ .
 • الاندلس : 219أ .
 • الاندلسية (الطلسمات -) : 225أ .
 • الأنس : 290ب .
 انس بن مالك : 25أ ، 90أ ، 242أ .
 أنساب النساء : 170ب .
 • إنشاد : 339ب .
 • انطاكية : 83ب ، 245أ .
 انطيوخس : 228أ .
 انطيوخس : 228أ .
 • أنفاس : 329ب .
 • الاهرام : 224ب ، 246أ-248ب .
 • أهل الذمة : انظر ، الذمة .
 • الاهواز : 42ب ، 147ب ،
 150ب ، 153أ ، 161ب ،
 234أ .
 • الازواع : 83أ .
 الازواعي : 14ب ، 82ب ، 83أ ،
 170أ ، 299ب .
 اوس (/ تدرس) أبو اي تمام : 287ب ،
 288أ .
 • آيات قرآنية : 35ب ، 72ب ،

• البخل : انظر سهل بن هارون ،
أ340 .

• البخور : 65أ ، 165ب ، 242أ ،
247ب . (انظر : المجرمة) .

• بثر ميمونة : 351أ .

• البخاري : 15أ ، 16ب ، 214ب ،
320أ .

• البحري : 287ب ، 339ب ، 340أ ،
340ب ، 341أ .

• بلبدات : 146أ .

• بدر : 23ب ، 168أ .

• بدر الدين الحنفي : 266أ .

• البدري : 146ب ، 245أ ، 249ب ،
250ب .

• بئل (الجارية) : 94أ ، 207أ .

• بئل ، التبئل : 221أ .

• بئندون : 250ب ، 251أ-252أ .

• البرامكة : 6أ ، 38أ ، 59أ ، 59ب ،

60ب ، 68أ ، 158أ ، 202ب ،

203أ ، 302أ ، 325ب .

• برابة أخيم : 224ب .

• البرد : 256ب .

• بردعة : 34أ .

• برذون : 163ب ، 193ب ، 194أ .

• بدعة : 202أ .

• برقة : 346أ .

• بركان : 53ب .

80ب ، 108ب ، 175أ ، 200أ ،

200ب ، 238أ ، 240أ ، 250أ ،

251أ ، 270أ ، 276أ ، 291أ ،

292أ ، 298أ ، 298ب ، 299أ ،

299ب ، 327ب ، 328ب ،

341أ .

• إمر : 20ب .

• ايمن بن نائل : 72أ .

• ايتاخ التركي : 291ب ، 313أ ،

313ب ، 314أ ، 316أ ،

316ب .

• أيتام : 328أ .

• الايوان : 273ب ، 273ب .

— ب —

• بابل الخرمي : 257أ .

• بابل : 225أ ، 265أ ، 288ب .

• باب أبي الربيع : 347أ .

• باب الانبار : 203أ .

• باب المحول : 8ب .

• باب المعل : 69أ .

• بيان : 198ب .

• باز : . . ؟

• الباقول : 173أ .

• الباءة : 303ب .

• بحيرة : 219أ . وانظر بركة ،

سروات .

326ب ، 332ب ، 334أ ، 335أ .
 بطافروس : 225ب .
 بطريق : 265أ ، 312ب .
 بطليموس : 227ب ، 228أ .
 * البطيخة : 187ب .
 البطيخ (العبدلاوي) : 332أ ، 337أ .
 * البطيخة : 228أ .
 * بعلبك : 83أ .
 بفا السراي : 311ب ، 312أ ،
 312ب ، 313أ .
 بفا الكبير : 255أ ، 256ب ،
 263ب .
 بغال : 251ب .
 * بغداد : 5ب ، 22أ ، 23أ ، 25أ ، 26أ ،
 27أ ، 30أ ، 36أ ، 41أ ، 59ب ،
 60ب ، 61ب ، 70ب ، 75أ ، 87أ ،
 88ب ، 90ب ، 91أ ، 91ب ، 97أ ،
 104أ ، 108أ ، 109أ ، 109ب ،
 112ب ، 114ب ، 115ب ،
 116ب ، 117أ ، 117ب ،
 120ب ، 128ب ، 130ب ،
 133أ ، 137ب ، 140أ ، 140ب ،
 141أ ، 145أ ، 145ب ، 146أ ،
 150ب ، 161أ ، 167أ ، 169ب ،
 171ب ، 176ب ، 181ب ،
 183ب ، 184أ ، 187ب ،
 189ب ، 190ب ، 191ب ،
 192أ ، 193ب ، 195ب ،

* برك ، برك (انظر ، بحيرة ، سروات) :
 219أ .
 * برنية : 182ب .
 برهانية : 228ب .
 البرهمان (برهمي) : 124أ .
 بريح المغني : 29أ .
 * البريد (بغال -) : 251ب ، 309ب .
 وانظر خريطة .
 بزر جمهر : 231أ .
 * بستان : 173ب .
 * بساط : 272أ .
 بشار بن برد : 183أ ، 184أ ،
 184ب ، 185أ ، 187ب ،
 188أ ، 188ب .
 بشر بن عبد الله : 327أ .
 بشر بن الوليد : 23أ ، 239أ ،
 239ب ، 240أ .
 بشر المريسي المعتزلي : 171ب ،
 190ب ، 236ب ، 237أ ،
 297ب ، 298أ .
 * البصرة : 42ب ، 45ب ، 53ب ،
 58ب ، 70ب ، 71ب ، 74ب ،
 75ب ، 94أ ، 95أ ، 146ب ،
 150ب ، 164أ ، 167أ ، 167ب ،
 174ب ، 175أ ، 185أ ، 186أ ،
 187ب ، 203أ ، 230ب ، 235ب ،
 277أ ، 279أ ، 280أ ،
 295ب ، 296أ ، 325ب ، 326أ ،

196ب ، 197أ ، 200أ ، 203ب ،
 206ب ، 207أ ، 210أ ، 217ب ،
 214ب ، 215أ ، 235ب ، 239أ ،
 240أ ، 244ب ، 252ب ، 254أ ،
 266أ ، 270ب ، 272ب ، 280أ ،
 285ب ، 288ب ، 297أ ،
 300ب ، 319ب ، 314أ ،
 316أ ، 319أ ، 319ب ، 320أ ،
 326ب ، 329ب ، 333أ ،
 334ب ، 335أ ، 346أ ،
 351أ ، 352أ ، 352ب .

• البغض : 243ب .

• البغاء : 326ب .

• بغل : 297أ .

• البغوي : 238ب ، 241ب .

• البغي : 309أ .

• بقار : 234أ .

• البقيع : 37أ ، 141ب ، 145ب .

• بكار بن عبد الملك بن مروان : 64أ .

• بكار بن عبد الله الزبيدي : 30أ .

• بكر : 295أ ، 330أ .

• بكر بن المعتمر : 87أ ، 88أ .

• بكر بن النطاح : 261أ .

• البكري : 120أ .

• بلال بن أبي بردة : 55ب ، 57ب .

• بلخ : 145ب .

• بليوس : 224ب .

• بليوس : 225أ .

• البم : 223أ ، 223ب .

• بنان بن عمرو : 283أ .

• بندقة ، بنادق : 199أ .

• بنو أسد : 190أ .

• بنو اسرائيل : 29أ .

• بنو امية : 52ب ، 55أ ، 56أ ، 61أ ،

63أ ، 64أ ، 85أ ، 119أ ، 219أ ،

290ب ، 298أ ، 311أ ، 321ب ،

343أ .

• بنو تميم : 53أ ، 293ب ، 294أ ،

295أ ، 331ب .

• بنو ثور : 76ب .

• بنو الجهيم : 340أ .

• بنو الحارث : 29أ .

• بنو الحكم : 298أ .

• [بنو] راسف : 126أ .

• بنو ربيعة بن نزار : 278ب .

• بنو رياش : 277أ .

• بنو سهم : 214ب .

• بنو شيان : 69ب .

• بنو ضبة : 73أ .

• بنو طالب : 272أ .

• بنو طاهر : 161ب .

• بنو عامر بن صعصعة : 184ب .

• بنو العباس (في مواضع عديدة جدًا)

• بنو عبيد القواطم : 350ب ، 353أ .

• بنو عجل بن لخم : 261أ .

بنو العنبر : 331 ب .

بنو العوام : 204 ب .

بنو فزارة : 96 ب .

بنو مروان : 232 أ .

بنو منقر : 190 أ .

بنو هاشم : 63 ب ، 71 ب ، 82 أ ،

95 أ ، 95 ب ، 108 أ ، 129 أ ،

148 أ ، 168 أ ، 180 ب ، 210 أ ،

214 ب ، 273 أ ، 314 أ .

بهاء الدين بن شداد : 330 ب .

بهلول : 298 أ .

البهلول المجنون : 71 ب ، 72 أ .

بهمن بن اسفنديار : 228 ب .

• بهيمة : 293 أ .

بوران (زوجة المأمون) : 136 ب ،

198 ب .

• البول : 173 أ ، 196 ب ، 206 أ .

بويط : 297 أ .

البويطي : (انظر أبو يعقوب)

البيان : 292 أ ، 292 ب-294 أ ،

320 ب .

• بيت الحكمة : 225 ب ، 227 أ ،

230 ب . وانظر خزائن الحكمة .

• بيت المال : . . 317 أ ، 336 ب .

• البيلق : 89 ب .

• بيروت : 82 ب ، 83 أ .

• بيسان : 191 ب .

بيض : 279 ب ، 280 أ .

• البيضاء : 70 ب

• بيطار : 235 ب ، 288 ب .

• البيعة : 304 ب .

• بیمارستان : 229 أ . انظر مارستان .

• البيهقي : 163 أ ، 163 ب .

• التاتار : 289 أ .

- ت -

تبادل الاسرى : 296 ب .

التبت : 13 ب ، 136 أ .

• التحلية : 152 أ .

• ترجمان : 122 ب .

• تدريس : 295 ب .

• الترك : 88 ب ، 123 ب ، 254 ب ،

263 أ ، 316 أ .

• الترمذي : 15 أ ، 122 أ ، 175 ب ،

249 ب ، 250 أ .

• التراويح : 202 أ .

• الترنيمة : 223 أ .

• الترياق : 334 ب .

• التشيع ، التشيع : . . 236 ب ،

338 ب .

• التطفيل : 279 أ .

• تعبير : (- رؤيا) 21 ب • تفليش :

312 ب .

• التقطيع : 223 أ .

190 ب ، 231 ب ، 233 ب ،
234 أ ، 292 أ ، 320 أ ، 320 ب ،
321 أ .

* جاشم : 287 ب ، 288 أ .
جالينوس : 224 أ ، 225 أ ، 228 ب ،
229 ب .

* جام : 273 أ .
* جامع القيروان : 344 أ .
جاويد بن جرد : 128 ب ؟ (ند)
الجبائي : 335 أ .
الجبالي : 114 ب .

* جبّة : 193 ب ، 308 ب ، 316 أ .
جيريل بن بختيشوع الحكيم : 18 أ ،
19 أ ، 88 ب ، 120 ب .

جيريل : 142 أ .
* جبل أوراس : 344 أ .
* جبل التلّ : 257 أ .
* جبل لبنان : 257 أ .

جبلة بن مسلم بن عيد الرحمان الخرساني
: 189 ب .
جنوس : 83 أ .
جحظة البرمكي : 339 أ .
* الجدار : 318 ب .

* جرّة : 213 أ .
جرجان : 89 أ ، 145 ب ، 146 أ ،
351 ب .

جردان : 304 أ ، 304 ب .

* تلمسان : 128 أ .

تمائيل ندّ : 22 ب .

تميم بن جميل : 271 أ ، 271 ب .
التنجيم : 303-303 ب . انظر منجم
تهامة : 13 ب .

* التوقيع : 302 أ .
تونس : 348 أ ، 349 أ ، 349 ب .
* التونسيات : 248 أ .
تيم اللات : 51 أ .

- ث -

ثابت بن أنس : 139 ب ، 242 أ .
ثابت أبو أبي حنيفة : 24 ب .
ندي : 5 أ .

الثعالبي : 253 أ .
ثعلب : 110 أ ، 284 ب ، 328 ب ،
329 أ ، 329 ب .

* ثلج : 312 ب .
ثمالة : 329 أ .
ثمامة بن أشرس : 73 أ ، 179 أ ،
180 أ ، 181 أ ، 181 ب .
* الثنيّة : 168 ب .

- ج -

جابر بن عبد الله : 159 أ ، 164 أ .
الجاحظ : 102 أ ، 180 ب ، 189 ب ،

جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي أبي طالب : 36 ب ، 37 أ ، 95 ب ، 142 أ ، 145 أ ، 324 ب .
 * الجعفري (قصر المتوكل) : 325 أ ، 333 أ ، 342 أ ، 342 ب .
 • جغرافيا : 227 ب .
 جلعان خادم الرشيد : 252 أ . انظر : خاقان
 • جلة القواد : 209 ب .
 • الجليد : 245 أ .
 جمال الدين بن واصل : 28 ب .
 • جمار النخيل : 86 أ .
 • الجمازات : 205 أ .
 • جماع (شهوة -) : 179 ب ، 229 ب ، 303 ب ، 309 ب .
 • جمد (الفرات) : 245 أ .
 • الجمال : 312 أ .
 • الجن : 248 ب .
 • الجنابة : 234 ب ، 318 ب .
 • الجند : 302 ب .
 • الجنون : 73 ب . وانظر : بهلول المجنون .
 • الجنّي : 51 أ ، 51 ب .
 • الجهاد : 15 ب .
 • الجهم بن بدر : 338 أ .
 • الجهم بن صفوان : 298 أ ، 299 ب .
 • الجهميّة : 298 أ .

* جرجرا : 150 ب .
 * جرسنا : 62 أ .
 • جريدة : 154 أ .
 جريم : 54 ب ، 55 أ ، 56 أ ، 186 ب .
 * الجريشيّة : 62 أ .
 • الجزانة : 19 ب .
 الجزر : 228 ب .
 جسر بغداد : 269 ب .
 • الجمالة : 213 أ .
 الجعد بن درهم : 298 أ ، 298 ب ، 299 ب .
 الجعر : 331 أ .
 جعفر بن أبي جعفر المنصور : 92 ب ،
 جعفر بن أبي عثمان الطيالسي : 120 أ ، 241 ب .
 جعفر بن سليمان بن علي بن عباس : 16 ب ، 176 أ ، 331 ب .
 جعفر بن قدامة : 327 أ .
 جعفر بن المأمون : 205 ب ، 243 أ ، 253 ب .
 جعفر بن المعتضد (أبو الفضل الملقب بالمقتدر) : 353 أ .
 جعفر بن المنصور : 107 ب .
 جعفر بن موسى الهادي : 94 أ .
 جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي : 10 ب ، 19 أ ، 26 أ ، 59 أ - 61 أ ، 133 ب ، 202 ب ، 203 أ ، 274 ب ، 285 أ ، 292 ب .

313 ب .
 • حجاب : 285 ب ، 286 أ . انظر :
 برقع .
 الحجاج : 120 ب ، 191 أ ، 238 أ ،
 250 ب ، 299 ب .
 حجاج الاعور : 120 أ ، 241 ب .
 الحجاج بن عامر : 32 ب .
 * الحجاز : 131 أ ، 181 أ ، 245 أ ،
 351 أ .
 • حُجف : 134 ب .
 • حجام : 231 أ .
 • الحجامة : 18 ب ، 290 ب .
 • الحرّ : [التعذيب بالحرّ] : 351 ب .
 • حرّ : 13 ب .
 • حُرّاقة : 91 ب ، 93 ب ، 133 أ .
 • حران : 190 ب .
 • الحرب (صناعة -) : 263 ب ،
 266 أ ، انظر الكريهة .
 • حريق : 266 أ .
 • الحزن : 222 أ ، 268 أ .
 • حديث : 30 ب .
 • حديثه النورة : 30 ب .
 • الحساب ، (كاتب الحساب) : 204 أ ،
 248 ب .
 الحسن بن حماد سجادة : 240 أ .
 الحسن بن رجاء (الغلام) : 139 ب .
 الحسن بن زياد اللؤلؤي : 167 أ .

الجهبشاري : 136 أ
 الجواليقي : 329 ب .
 • الجور : . . 257 ب .
 * الجوسق الكبير : 291 أ .
 * الجولان : 288 أ .
 الجوهري : 164 أ ، 164 ب ،
 167 ب .
 جيداً (جارية) : 327 أ ، 327 ب ،
 328 أ .
 * الجيزة : 246 أ ، 246 ب ، 248 أ .
 * جيل : 150 ب ، 151 أ ، 262 أ ،
 345 ب .

- ح -

حاتم بن عدي : 203 أ .
 حاتم الطائي : 285 ب .
 • حاد : 218 أ .
 الحارث بن ابي أمامة : 254 ب .
 الحارث بن عبد المطلب : 28 ب ، 29 أ .
 حازم بن خزيمة : 113 أ .
 الحافظ الذهبي : 71 أ ، 254 ب .
 الحاكم : 15 أ ، 164 أ .
 حبان بن بشر (القاضي) : 319 ب .
 • حبس : 289 أ ، 297 أ ، 306 ب ،
 307 ب ، 316 أ . انظر مطبق .
 حبيب بن أرطاة الطائي : 163 ب .
 • الحج : 6 ب ، 20 ب ، 35 ب ، . .

142ب ، 143ب ، 144ب ،
 237ب ، 238أ ، 321أ ، 321ب
 ، 324ب ، 342ب ، 343ب .
 الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان :
 109
 حسين بن محمد وادران ، انظر : ابن
 وادران .
 الحسين بن يحيى بن خالد : 203أ .
 حسين الخادم : 131ب ، 132ب .
 حشيمة : 160أ .
 • حصير : 212ب .
 الحصين بن سليمان الضبي : 90أ .
 • الحضر : 55ب .
 حفص القرطبي : 171ب ، 172أ .
 • حفظ (القرآن) : 241ب .
 • حكم : 325ب .
 • الحكمة ، الحكماء : 257ب ،
 267أ-268ب ، 292ب-
 294ب . وانظر بيت .
 حكم الوادي : 211أ .
 حكيم الوادي (شاعر) : 9ب .
 • حلب : 330ب .
 • حلوان : 86أ ، 86ب ، 131أ .
 حماد البربري : 345ب .
 حماد بن اسحاق : 160أ ، 205ب .
 حماد الراوية : 184ب .
 حماد بن الامام ابي حنيفة النعمان :

الحسن بن سهل : 130أ-131ب ،
 135ب-137أ ، 140أ ،
 141ب ، 153ب ، 166ب ،
 198ب ، 199ب ، 209ب ،
 231أ ، 231ب ، 281ب ،
 303ب .
 الحسن بن علي بن أبي طالب : 29ب ،
 84أ ، 142أ ، 144ب ، 237ب ،
 238أ ، 321ب ، 322أ .
 الحسن بن علي الكرابيسي : 169أ ،
 169ب ، 172ب ، 299ب .
 الحسن بن عمار : 186ب .
 الحسن بن المأمون : 253ب .
 الحسن بن محمد : 316ب .
 الحسن بن محمد بن الحنفية : 175أ ،
 169أ-170أ .
 الحسن بن محمد الزعفراني : 170أ .
 الحسن بن مخلد : 272ب .
 الحسن بن وهب : 40أ ، 162أ ،
 177أ ، 287ب ، 308أ .
 حسنة : 86ب .
 الحسين بن الافشين : 89أ .
 الحسين بن الضحاك (شاعر) : 95أ ،
 119ب ، 160ب ، 161أ .
 الحسين بن عبد الله بن أبي طالب :
 146ب .
 الحسين بن علي بن أبي طالب : 28ب ،
 57ب ، 84أ ، 92ب ، 142أ ،

12ب .

حماد بن زيد : 300ب .

حماد بن سلمة : 129ب .

حماد عجرد بن يحيى : 184ب ،
185أ-188أ .

• حمار : 43أ ، 163ب وما بعدها
288ب .

• الحمام : 291أ .

• الحمامات : 350أ . انظر ذات الحمام .

• الحمام (اللعب ب) : 29ب ،
(المراسلة) : 339أ .

الحمام : 192ب .

• حمام : 116أ .

حمدة بنت نافع بن عمرو بن عثمان بن

عفان : 168ب ، 290ب ،
166ب .

حمدون بن اسماعيل : 290ب .

حمزة بين بيض : 166ب .

حمزة بن حبيب الزيات : 70أ .

حمزة بن عبد الله بن فيروز : 70أ .

حمزة بن عبد المطلب : 60أ .

• الحمقى : 331أ .

حمويه الوصيف : 39أ .

حميد بن عبد الحميد (الطائي) : 145أ ،

145ب ، 153ب ، 154أ ،

167أ ، 170ب .

الحميدي : 311أ .

حمية : 69أ ، 145أ .

• الحنابلة : 299ب . وانظر أحمد بن
حنبل .

• الحيرة : 85أ ، 292أ ، 335ب .

• حصص بيض : 322أ .

• الحيض : 200أ .

• الحيل : 340أ .

- خ -

• خاتم : 6أ ، 6ب ، 58أ .

• خارج ، خراج : 243أ .

• خاقان الخادم : 296ب .

• خالد . . الكرابيسي ؟ ، 169أ .

• خالد بن درويش : 130ب .

• خالد بن صفوان : 293أ .

• خالد بن عبد الله القسري : 298أ .

• خالد بن يزيد : 283ب ، 286أ .

• خالد بن يزيد بن مزيد : 33ب .

• خالد بن يزيد بن معاوية : 204ب .

• الخان : 193ب ، 234أ .

• خبر ، مخبر : 272أ .

• الخبز : 301ب .

• ختن (غير مختن) : 256ب .

• خديجة : انظر بوران .

• خرائط : 309ب .

• خراج : (مستخرجا) 150ب .

- خلافة : 307 ب .
- خلف الاحمر : 42 ب .
- خلف المصري : 137 ب .
- خلق القرآن : 171 ب ، 172 أ .
- خلوقي : 133 أ .
- الخليل بن أحمد : 54 أ ، 70 ب ، 167 أ .
- الخمر : 325 أ ، 294 ب ، 349 ب .
- الخنافس : 316 أ .
- الخنساء (شاعرة) : 6 ب .
- الخنشوار : 124 ب ، 125 أ ، 125 ب ، 126 أ .
- خوارج : 114 ب .
- الخوارزمية : 114 ب .
- الخولاني : 5 ب .
- خول : 8 ب .
- الخيزران : 3 أ ، 5 ب ، 46 ب ، 159 أ-160 أ ، 273 ب .
- خيش : 150 ب .
- الخيل : 240 ب . انظر البرذون .

— د —

- الدار : 325 أ الحصين بن سليمان الضبي : 90 أ .
- دار المجائين : 73 أ .
- دار الندوة : . . (الدر ، 48 أ) .
- الدارمي : 164 ب ، 157 أ .

- خراسان : 3 أ ، 49 ب ، 63 ب ، 88 ب ، 90 ب ، 112 أ ، 112 ب ، 113 ب ، 114 أ ، 115 أ ، 116 أ ، 118 أ ، 120 ب ، 122 أ ، 122 ب ، 130 أ ، 130 ب ، 132 أ ، 133 أ ، 136 أ ، 138 أ ، 141 أ ، 145 ب ، 146 أ ، 146 ب ، 167 أ ، 176 ب ، 203 أ ، 207 أ ، 209 أ ، 238 أ ، 257 أ ، 262 أ ، 264 ب ، 269 ب ، 316 أ ، 332 أ ، 334 ب .
- الخبرة : 157 أ .
- الخريطة : 193 ب ، 214 أ .
- خزانة الطب : 58 أ .
- الخزر : 256 أ .
- خطة (مالية) : 317 أ .
- الخطيب البغدادي : 51 أ ، 71 أ ، 100 أ ، 104 أ ، 118 ب ، 154 أ ، 165 أ ، 174 أ ، 175 أ-179 أ ، 190 أ ، 190 ب ، 217 أ ، 235 ب ، 237 أ ، 241 ب ، 242 ب ، 254 أ ، 271 أ ، 274 أ ، 275 ب ، 279 أ ، 280 أ ، 281 ب ، 285 أ ، 290 ب ، 300 أ ، 305 أ ، 338 ب .
- خف : 242 أ ، 276 أ .
- خفاجة بن سليمان الضبي : 348 أ .
- الخطيب البغدادي : 42 ب .
- خفاجة بن سفيان : 348 أ .
- خل : 290 أ .

• دائق : 50 ب .
داود : 234 أ .

داود بن ابراهيم العبسي : 167 ب .
داود بن الجارود الطيبالسي : 167 ب .
داود بن الجراح : 316 ب .

داود بن علي : 175 ب .
داود بن عيسي : 292 أ .
داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :
345 ب .
داود الطائي : 285 ب .

• داية : 203 .
• دجلة : 6 ب ، 91 ب ، 108 أ ، 146 أ ، 212 ب ، 266 أ .
• الدرايع : 311 أ .
• الدرداء : 15 أ .

• دستان : 10 أ ، 10 ب ، . . . ، 223 أ .
• دعاء علي الرشيد : 68 أ .
• دعبل الخزامي : 120 أ ، 231 أ ، 241 ب ، 254 ب ، 286 أ .
• دغة المعجلية : 330 أ ، 331 أ .
• دفاتر (غناء) : 206 أ .
• دلف : 262 ب .
• دلوكة الملكة : 247 ب .

ذات الخال (جارية الرشيد) : 38 ب .
• ذات الحمام : 246 ب . وانظر الحمامات .
• الذرب (علة) : 285 أ ، 349 أ .

• الذم : 325أ .
 • الذمة : 295 ب ، 296 ب ،
 318 ب . انظر (أهل -) .
 ذو رعين : 42 ب .
 ذو الفقار : 32 ب .
 ذويان : 128أ
 الذهبي : 138أ .
 ذو عين (لقب طاهر بن الحسين) :
 42 ب .
 ذو الرمة (الشاعر) : 52 ب ، 53 ب ،
 55 ب ، 156أ-158أ ، 97 ب .
 ذو نواس : 42 ب .

- ر -

راشد بن اسحاق (ابن حكيمة)
 175 ب .
 • الرافضة : 338أ .
 • رافضي : 44 ب .
 رافع بن الليث : 87أ ، 87 ب .
 رافع بن المهلب : 122 ب .
 • الراونديّة : 49 ب .
 • الرئاسة : 294أ ، 300أ .
 رؤية : 52 ب ، 53 ب ، 54أ .
 رؤية بن العجاج : 52 ب ، 53 ب ،
 54أ .
 رؤيا : 21 ب ، . .
 ربيعة بنت محمد بن عبد الله : 64أ .

• الربلة : 176أ .
 • الربوية : 289 ب .
 الربيع : 35 ب ، 49أ .
 الربيع بن سليمان المؤذن : 170 ب ،
 171أ ، 171 ب ، 297أ .
 الربيع بن سليمان المراهي : 169أ ،
 235أ .
 الربيع بن يونس : 158أ ، 158 ب ،
 188أ ، 188 ب .
 ربعة : 298 ب .
 ربعة الرقي بن ثابت : 12 ب ، 13أ ،
 13 ب ، 14 ب ، 17أ .
 رجا بن أيوب : 298 ب .
 رجاء بن حيوة : 79أ .
 رجاء الخادم : 90 ب .
 • الرخ : 89 ب .
 الرخجي : 150 ب ، 153أ ، 153 ب ،
 272أ .
 رشا : 276أ .
 • الرشوة : 111أ .
 الرشيد : (مذكور بكثرة ، وانظر الباب
 الخاص به) .
 رزق (أكثر رزق الرجل) : 210أ .
 رزيق بن اسعد بن راوية (انظر أسعد بن
 زادن) : 132 ب .
 • الرشوة ، الرشا : . . 281 ب .
 • رصاص : 6أ .
 • الرصافة :

240 ب ، 244 ب ، 245 أ ،
245 ب ، 250 ب ، 251 أ ،
252 أ ، 253 أ ، 265 أ ، 266 أ ،
266 ب ، 270 ب ، 276 ب ،
296 ب ، 312 ب ، 313 أ .

• الرياحين : 178 أ .

• الرياشي : 333 ب .

• الري : 3 أ ، 69 ب ، 96 أ ، 86 ب ،
113 ب ، 331 ب .

— ز —

• زائدة الشيباني : 345 ب .

• الزاب : 344 أ .

• الزاغ : 178 ب .

• الزبرقان بن بدر : 293 ب .

• زبطرة : 265 ب .

• زبل ، انظر مزيلة .

• زبيدة : 6 أ ، 6 ب ، 37 ب ، 90 أ ،
91 ب ، 92 ب ، 96 أ ، 237 أ ،
237 ب .

• الزبور : 251 ب .

• الزبير بن بكار : 166 أ ، 284 ب .

• الزبير بن العوام : 167 ب .

• زرزور المغني : 284 ب .

• الزعفراني (انظر الحسن)

• الزط : 278 ؟

• الزقاق : 212 ب .

146 أ ، 240 ب .

• رضى (لو علموا رضاك) : 322 ب .

• الرضا (الامام) : 63 أ ، 349 ب .

• رطل : 105 ب ، 198 ب ،

206 ب ، 219 ب ، 282 ب .

• الرقاشي (الشاعر) : 43 أ ، 46 أ ،

163 ب ، 164 أ ، 275 أ .

• الرقة : 18 أ ، 59 أ ، 60 أ ، 60 ب ، 83 أ ،

88 ب ، 91 ب ، 130 أ ، 137 ب ،

150 ب ، 239 أ ، 240 أ ، 244 ب ،

350 أ ، 352 ب .

• الرقص : 322 ب .

• الركي : 11 أ ؟

• رمة (- بالية) : 248 ب .

• الرملة : 350 أ .

• رملة (الجارية) : 204 ب .

• رُميني : 89 ب .

• الرها : 86 ب .

• رهبان : 314 ب .

• الرواية : 334 أ .

• روح بن حاتم بن قبيصة : 344 ب ،
345 أ .

• روحاني : (مولده -) 225 أ ، (موكل)
248 ب .

• روسطاطاليس : 225 ب . وانظر
أرسطاطاليس .

• الروم : 64 أ ، 89 ب ، 90 أ ، 122 ب ،

150 ب ، 163 أ ، 205 أ ، 228 أ ،

• زكرة (- شراب) : 286أ .

• زكرياء : 238أ .

• زكرياء بن قادم : 345أ .

• زلال : 150ب .

• زلزلة : 312أ .

• الزمام : (صاحب-) : 316ب .

• الزمخشري : 105ب ، 161ب .

• زميل : 97أ .

• زبيل : 191أ ، 196ب-198أ .

• زنابير : 318ب .

• زنديق : 282ب ، 298ب ، 339أ .

• الزندقية (مذهب -) : 181أ .

• الزهري : 14أ ، 143ب ، 175أ .

• زهير : 217أ .

• زهير بن المسيب : 131أ .

• زوقت الخبز : 301ب .

• زي الوزراء : 316ب .

• زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب :

346ب ، 347أ ، 349أ ،

349ب ، 350أ .

• الزيج المأموني : 236أ ، 253أ .

• زيدان الكاتب : 177أ .

• زيد بن الخطاب : 297ب .

• زيد : 343ب .

• زيد (الغلام) : 131أ .

• الزيدي : 241ب .

• زينب بنت سليمان بن عبد الله بن

عباس : 159أ ، 187ب .

• الزينبيون : 187ب .

• زين العابدين : (انظر علي بن الحسين) .

- س -

• ساحر : 289ب .

• السافي : 168ب .

• سالم بن عبد الله بن عمر : 79أ ،

143ب .

• سامرا : 254ب ، 263أ ، 264أ ،

264ب ، 266ب ، 285ب ،

129أ ، 300ب ، 304ب ،

312أ ، 313ب ، 316أ ،

317ب ، 320ب ، 323ب-

324ب ، 332ب ، 342أ ،

342ب ، 351ب .

• السايب : 168أ .

• سب (- الملائكة والرسل) : 322ب .

• سبية : 349ب ، 350أ .

• سباط (سباط) : (إبراهيم ، كان له

عليه مجلس) : 211أ .

• السباع : 288ب .

• سبط : 210أ .

• السبي : . . 348أ .

• الستارة : 150أ .

• الستارة : 196أ ، 217ب .

• الستر : 9أ .

* سجستان : ؟

* سجن : انظر حبس ، مطبق .

* السحر : . . . 247 أ ، 293 ب ،

298 ب . وانظر الساحر .

* السحق : 94 ب .

* سحنون : 344 أ ، 347 ب ، 348 أ .

* السذاب : 290 أ .

* سر : . . . 267 أ-268 ب .

* سراج الخادم : 138 أ .

* سراويل : . . . 276 أ .

* سرخس : 136 ب ، 138 أ .

* سرداب : 105 أ .

* السرخان (كور -) : 312 ب .

* سرقة : (- الشعر) 282 أ ، 338 أ .

* سرقوصة : 346 ب ، 137 ب ،

138 أ .

* سر من رأى : انظر سامراء .

* سروات : 219 أ .

* سطیح : 257 ب .

* سعال : 173 ب .

* سعد : 148 ب .

* سعد بن بجير : 25 ب .

* سعدون المجنون : 73 ب .

* سعيد بن جبیر : 90 أ ، 140 ب .

* سعيد بن حميد : 282 أ ، 282 ب ،

283 أ .

* سعيد بن عفیر : 248 أ .

* سعيد بن العلاف : 251 أ .

* سعيد بن المسبّ : 144 ب .

* سعيد بن هارون الاشنانداني : 303 ب .

* السفاح : 92 ب ، 350 ب ، 351 أ .

* السفسطائية : 230 أ ، 234 أ .

* السفط : 58 أ ، 65 ب .

* سفيان بن سعيد الثوري : 6 أ ،

76 ب-77 ب ، 80 ب ، 82 ب ،

83 ب .

* سفيان بن عيينه : 15 أ ، 78 ب ،

80 ب ، 82 أ ، 83 ب ، 169 أ ،

175 ب ، 284 ب ، 300 ب .

* سفينة : 228 أ ، 313 أ . وانظر :

حراقة ، زلال ، مراكمي .

* سفراط : 228 ب .

* السكر (حالات -) : 178 أ ،

313 ب . * السكة : 336 أ .

* سلام الأبرش (مغني الرشيد) : 313 أ .

* سلام بن الفرّج : 136 أ .

* سلامة بيت يزديجرد (أم زين العابدين) :

143 ب .

* سلطان : 99 أ ، 129 ب ، 130 أ ،

130 ب ، 257 ب ، 263 أ ،

268 ب ، 272 أ ، 308 ب ،

310 ب ، 317 أ .

* سليح : 12 أ .

* السلفي : 168 ب .

* سلمان التميمي : 23 أ .

سلمة بن عاصم : 190 ب .
 سلمى بنت عميس (زوجة حمزة بن عبد
 المطلب) : 162 أ .
 سلمى بنت عدي بن الرقاع : 54 ب .
 سليمان بن جعفر : 20 أ .
 سليمان بن داود الهاشمي : 169 أ .
 سليمان بن داود الطيالسي : 167 ب .
 سليمان بن عيسى السعدي : 55 أ .
 سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس :
 159 أ .
 سليمان بن المغيرة : 167 أ .
 سليمان بن منصور : 102 ب .
 سليمان بن وهب : 306 ب ، 307 أ ،
 308 ب ، 309 أ ، 309 ب ،
 310 أ ، 314 أ ، 316 ب ، 318 أ ،
 325 ب .
 • السم : 58 ب .
 • السماط : 254 أ .
 • سمرقند : 81 ب ، 253 أ ، 254 ب .
 السمرقندي : 250 أ .
 • سمع ، إسماع : 30309 أ .
 سمعان بن مصبح التميمي المروزي :
 175 أ .
 السمعاني : 215 أ .
 • سمك ، سمكة : 58 أ ، 93 ب ، 290 أ .
 • السم : 58 ب .
 سمي التميمي : 293 ب .

سنان الأهمم : 293 ب .
 • السنابير : (بيع -) 280 أ .
 • السنة : 318 ب .
 • السند : 264 ب ، 343 ب ، 345 أ ،
 345 ب .
 • سهام الاسحار (سلاح) : 254 ب .
 • السهر : 307 ب .
 سهل بن سعد الساعدي : 25 أ .
 سهل بن سلامة (أبو حاتم) : 130 ب ،
 140 ب ، 141 أ .
 سهل بن سباط : 264 أ .
 سهل بن هارون : 220 أ ، 221 ب ،
 224 أ ، 230 ب - 232 أ ،
 292 ب .
 سوار بن عبد الله : 319 ب .
 السويزي (حدث) : 298 أ .
 سورية بن شهلوق بن شرياق :
 247 ب .
 • سوسة : 346 ب ، 347 أ .
 سوسن : 275 أ .
 سوسن الحاجب : 109 ب ، 110 أ .
 سوققة مصر : 157 أ .
 سيويه : 70 ب ، 183 ب ، 188 ب ،
 295 ب .
 سيد بن محمد أبو الفوارس التميمي :
 322 أ .
 السيف : 304 أ ، 312 أ ، 317 ب ،
 346 ب . انظر الفقار ، الصمصامة .

— ش —

- شريك : 176 ب .
- شريك بن عبد الله بن أبي شريك (انظر الحارث بن أوس النخعي) .
- الشطرنج : 96 أ ، 149 أ ، 202 ب ، 268 ب .
- شعبة بن الحجاج : 235 أ .
- الشعبي : 163 ب ، 165 ب ، 238 أ .
- شعر : 5 أ .
- الشعر : . . 274 أ ، انظر ، نقد ، إنشاد ، سرق .
- الشعوية : 231 أ .
- شفرة : 301 أ .
- شفير (غلام) : 251 ب .
- شقران : 340 ب .
- الشماسة : 241 ب .
- شمر بن ذي الجوشن : 57 أ .
- الشمع : 316 أ .
- الشفا ابنة هاشم بن عبد مناف : 168 ب .
- شكلة : 106 أ .
- الشماسة : 241 ب .
- الشمع : 201 ب ، 316 أ .
- شملة : 234 أ .
- الشنفرى : 171 أ .
- شهاب الدين الأشعري (الإمام) : 45 ب .
- شهرة (ليراهم الناس) : 312 أ .

- شارع الميدان : 8 أ .
- شاعر : . . 237 أ .
- الشافعي : 16 أ ، 18 أ ، 23 أ ، 25 أ ، 36 ب ، 69 ب ، 167 ب ، 168 أ-173 أ ، 175 ب ، 214 ب ، 235 أ ، 297 أ .
- الشاكرية : 306 أ .
- الشام : 55 ب ، 82 ب ، 83 ب ، 90 أ ، 117 ب ، 130 أ ، 131 أ ، 142 ب ، 144 أ ، 155 أ ، 156 أ ، 174 ب ، 245 أ ، 245 ب ، 250 ب ، 253 أ ، 288 أ ، 289 أ ، 332 أ ، 335 ب ، 342 أ .
- شاهين بن عبد الله الثقفي : 54 أ .
- الشباب : 280 ب .
- شيبيل بن عذرة الضبعي : 53 ب .
- شداد بن عاد بن ققطيم بن مصر : 248 أ .
- شداد الحارثي : 232 ب .
- الشراة : 69 أ .
- شراب : 40 ب .
- شرابة : 58 أ .
- شرح ، تشرح : 230 ب .
- شرط : . . 316 ب . انظر العباس صاحب الشرطة .

- صباغ : 290أ .
- صائغ : 297ب .
- الصبر : 276ب ، 309ب-310أ .
- صبي : 308أ-309ب .
- الصَّحور : 217ب .
- صدقة بن هبيرة : 237أ .
- صدقات الوحش : 146ب .
- الصدقة : 15ب .
- الصفدى : 212أ ، 219أ .
- صفر بن البعيث : 312أ . وانظر أخوه محمد وخالد .
- الصفرية : 343ب ، 347ب .
- الصنصاف : 89ب ، 90أ .
- صفوان بن سليم : 17أ .
- الصغير : 219ب .
- الصقالبة : 349أ .
- صقلية : 226أ ، 347أ ، 348أ .
- صلاة : 15ب ، (الجنابة) 298أ ، 282ب .
- الصلح : 296ب .
- صلاح الدين الأيوبي : 14أ .
- الصلح : 322ب .
- الصمصامة : 600ب .
- الصناعة : 228ب ، (- الحرب) 263ب ، 344أ .
- صندوق : 88أ .
- صنع ، يصطنع : 49أ .

- شهوة (للطعام) : 230ب شهوات الصنّاجة : 94أ .
- الشوق (اشتاقت) : 276ب .
- الشيب : 280ب .
- شيبان : 183ب .
- شيت : 247ب .
- الشيخ الفارسي : 124أ .
- شيراز : 70ب ، 71أ .
- الشيعة : 146ب ، 147أ ، 172ب ، 238ب ، 324ب .

- ص -

- صاب بن هرمس : 247ب .
- الصابئة : 224ب .
- صاحب بن عبّاد : 147أ ، 180ب .
- صادر البرامكة : 38أ .
- صاري السفينة : 313أ .
- صاعد بن مخلّد الوزير : 326أ .
- صالح بن أحمد بن حنبل : 170أ ، 319أ .
- صالح بن بشر القارئ : 12أ .
- صالح بن بهلة الهندي : 19أ .
- صالح بن الرّشيد : 38أ ، 89أ ، 146ب ، 206أ .
- صالح بن عبد القدوس : 233ب ، 234أ .
- صالح الخادم : 206أ .

طاهر بن الحسين : 93 ب ، 108 أ-
 109 أ ، 113 ب ، 115 أ-116 أ ،
 117 ب ، 118 ب ، 120 ب ،
 122 أ ، 127 ب ، 128 ب ، 129 أ ،
 130 أ ، 131 أ ، 132 أ ، 132 ب ،
 133 أ ، 134 أ ، 134 ب ، 137 ب ،
 146 أ ، 157 ب ، 315 أ ، 331 ب ،
 332 أ .

الطاهرة : 316 أ .

• الطب : 58 أ ، 224 أ-230 ب ،
 268 ب ، 303 ب .

• الطبائع : 222 ب ، 224 أ ، 230 ب .

• طبرستان : 257 أ ، 269 أ ، 345 ب .

الطبري : 303 أ ، 332 أ .

• طبرية : 288 أ .

• طينة : 344 أ .

طرابلس : 345 أ .

• الطرد (بطرودون خيولهم) : 254 ب .

• طرسوس : 6 ب ، 240 أ ، 244 أ ،

245 أ ، 252 أ ، 253 أ ، 254 أ ،

266 أ ، 266 ب .

الطرشوشي : 78 أ .

• الطشت : 151 أ .

طفيلي المعتصم : 196 أ .

طلّ : 275 ب ، 276 أ .

طلحة الطلحات الخزاعي : 132 ب .

• طلسم : 247 أ .

• الطنبور : 286 أ .

• الصنطير : 223 أ .

• الصنوبر : 312 ب .

• صنينة : 286 أ .

• صهيب : 249 أ .

• الصوّان : 248 ب .

• صورة : 224 أ ، 224 ب ، 227 ب ،

305 ب .

• الصوالج : 268 ب .

الصولي : 89 أ ، 90 أ ، 93 أ ، 95 أ ،

105 ب ، 116 ب ، 129 أ ،

137 أ ، 137 ب ، 138 أ ، 271 أ ،

272 ب ، 287 ب ، 290 ب .

• الصيام : 15 ب ، 23 أ .

• الصيد : (سمك) 93 ب ، 288 ب .

الصيمري : 339 ب .

• الصين : 58 أ ، 69 أ (التعليق) ،

164 ب .

— ض —

الضحاك الخليع : 207 أ .

• ضريبة : 7 ب .

• ضرير : 325 أ ، 325 ب .

ضعف (جارية) : 108 أ .

— ط —

• الطائف : 253 أ .

• الطالقان : 145 ب ، 289 أ .

طالوت بن أعصم اليهودي : 298 أ .

طنين ، انظر أحمد بن يحيى المكي .

• طوانة : 245أ .

• طوبة : 297أ .

طوس : 87أ ، 88أ ، 88ب ، 90أ ،

91أ ، 141أ ، 141ب ، 253أ .

• طويلة : . . 320ب .

طي : 285ب ، 287ب .

• الطيب : 187أ . انظر الغالية .

• الطير ، قلم - : 246أ .

• طيلسان : 92أ .

• الطيرة : 234ب .

- ظ -

ظفيان (جارية) : 276أ .

- ع -

عائشة بنت الواثق : 305ب .

عائكة بنت يزيد بن معاوية : 92ب .

• عارية : 107أ .

• عاشوراء : 181ب .

عاصم بن سميع : 136أ .

العاصي بن نبيه : 32ب .

عامر الشعبي : 59أ .

• عامل : (- في الطين والحجارة)

75ب .

عاملة : 54ب ، 55أ .

• عانة : 30ب .

عباد بن العوام : 241ب .

عبادة المخنث : 321ب ، 322ب .

عباد الطالقاني : 76ب ، 77أ ، 78أ .

العباس : 62أ .

العباس (عم الرشيد) : 20أ ، 79ب ،

139ب ، 210أ .

العباس (صاحب الشرطة) : 190ب ،

191أ ، 191ب ، 193ب .

العباس بن أحمد بن ثوبة : 341أ .

العباس بن أحمد بن الفرات : 205ب .

العباس بن الاحنف : 38ب ، 39أ ،

40أ ، 201ب .

العباس بن الحسن : 109ب .

العباس بن الفضل بن الربيع : 136أ ،

274أ

العباس بن الفضل بن فزارة : 347ب ،

348أ .

العباس بن المأمون : 155أ ، 206ب ،

208أ ، 240ب ، 242أ ، 245أ ،

252أ ، 253أ ، 253ب ، 254أ ،

266ب ، 267أ .

العباس بن محمد (نديم الرشيد) : 6أ .

العباس بن موسى الهادي : 140ب .

العباس بن الهيثم : 138أ .

العباسة أخت الرشيد : 60ب .

العباسة بنت المهدي : 20أ .

العباس بن حماد أبي حنيفة النعمان :

12ب .

العباس بن محمد : 12ب-14أ .

عباد بن العوام : 120أ .

عبد الحميد : 82ب .

عبد الرحمان بن أخ الاصمعي : 47أ ،

235أ ، 333ب .

عبد الرحمان بن اسحق : 300ب .

عبد الرحمان بن مسلم : 27أ .

عبد الرحمان بن عمرو بن محمد
(انظر الاوزاعي) .

عبد الرزاق بن همام : 78ب .

عبد السلام : 155أ .

عبد شمس بن عبد مناف : 168ب .

عبد الصمد بن علي : 12أ ، 19أ ،
20أ .

عبد الصمد بن المعنل : 163ب .

278أ ، 278ب ، 279أ ، 279ب

، 280أ ، 329أ .

عبد العزيز [بن علي] (كتاب

الفرائض) : 174أ .

عبد العزيز بن خلف : 90أ .

عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي :

167ب .

عبد العزيز بن عمران الطائي : 137ب ،

138أ ، 161ب .

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك :

41أ .

عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب :

348ب ، 349أ ، 349ب .

عبد الله بن أبي أوفى : 25أ .

عبد الله بن أبي طالب : 146ب .

عبد الله بن أبي فروة : 158ب .

عبد الله بن أحمد بن حنبل : 319أ .

عبد الله بن اسماعيل : 203أ ، 204أ .

عبد الله بن أيوب التميمي : 92ب .

عبد الله بن النامير : 250أ .

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : 29أ ،
61أ-62ب .

عبد الله بن خلف : 70أ .

عبد الله بن سراقه : 248أ .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح :
325ب .

عبد الله بن صالح الحرمي : 115أ .

عبد الله بن طاهر بن الحسين : 87أ ،

120أ ، 153أ ، 153ب ، 154أ ،

155ب ، 156أ ، 156ب ،

177ب ، 179أ ، 200أ ، 216ب ،

226ب ، 241ب ، 253ب ،

269ب ، 331ب ، 332ب ،

332أ ، 332ب .

عبد الله بن العباس : 162ب ، 253أ ،
348أ .

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع :
274أ .

عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر
بن الخطاب : 15ب .

عبد الله بن يزيد بن هاشم بن المطلب :
168 ب .

عبدوس الفهري : 245 ب .

عبدون : 314 ب .

• العبرانيون : 247 ب .

عبيد بن الأبرحي (شاعر) : 96 ب ،

335 أ ، 335 ب .

عبيدة بن عبد الرحمان : 55 أ .

عبيد الله : 253 أ .

عبيد الله بن أبي أيوب : 308-309 أ .

عبيد الله بن أبي الفتح : 305 أ .

عبيد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبد

الله بن أبي طالب : 146 ب .

عبيد الله بن زياد : 143 ب .

عبيد الله بن سليمان بن وهب :

325 ب .

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : 87 أ .

عبيد الله بن عمر القواريري : 240 أ .

عبيد الله بن يحيى : 316 أ ، 317 ب ،

318 أ .

عتاب بن أسد : 174 ب .

العتابي الشاعر : 42 ب ، 294 أ

عتب (جارية) : 182 أ ، 182 ب .

عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد :

168 أ .

عثمان بن عفان : 14 أ ، 62 ب ،

158 ب ، 168 ب ، 236 ب ،

241 ب ، 298 ب ، 338 أ .

عبد الله بن معاوية : 63 ب .

عبد الله بن عمر بن الخطاب : 143 ب .

عبد الله بن عمر الواسطي السراج :

47 أ .

عبد الله بن عون : 167 أ .

عبد الله بن المأمون : 253 ب .

عبد الله بن المبارك : 83-84 أ ،

175 ب ، 237 أ .

عبد الله بن محمد بن البشير : 278 أ .

عبد الله بن محمد بن الحنفية : 175 أ .

عبد الله بن المعتز : 45 ب ، 109 ب ،

110 أ ، 201 أ ، 202 ب ، 203 أ ،

204 أ ، 205 أ ، 281 ب ، 282 أ ،

314-315 ب ، 353 أ .

عبد الله بن منصور : 326 أ .

عبد الله بن الواثق : 305 ب .

عبد الله بن يحيى بن خالد : 203 أ .

عبد الله الجرمي : 264 أ .

عبد الله العمري : 15 ب .

عبد المجيد الثقفي : 169 أ .

عبد الملك بن صالح بن علي العباسي :

30 ب .

عبد الملك بن مروان : 54 ب ، 62 ب ،

92 ب ، 120 ب ، 292 ب .

عبد الملك الموصلي (المغني) : 207 أ .

عبد مناف : 168 أ ، 168 ب .

عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي :

169 أ .

عثمان بن عفان : 14أ ، 62ب ،
158ب ، 168ب ، 236ب ،
241ب ، 298ب ، 338أ .

عثمان بن قتيبة : 343ب .

العجاج : 52ب ، 54أ .

عجل (امراة من -) : 330أ .

• العجم : 143أ ، 254ب ، 255ب ،
338أ .

عجيف بن عنبسة : 266أ — 267أ ،
289أ .

العجيف العقيلي : 57أ .

• العدل : . . 242أ .

عدي بن الرقاع العاملي : 52ب —
55أ .

عذبان السلمي : 43ب

• العراق : 14أ ، 19أ ، 69ب ، 73ب ،

78ب ، 91أ ، 96أ ، 115أ ،

128أ—130أ ، 132ب ، 133أ ،

137ب ، 138أ ، 141أ ، 146ب ،

156ب ، 169ب ، 175ب ،

176أ ، 212ب ، 214ب ،

251ب ، 253أ ، 298ب ،

341ب ، 342أ ، 344أ .

• العرب : 70ب ، 122ب ، 143أ ،

166ب ، 170ب ، 235ب ،

241أ ، 255أ ، 255ب ،

256ب ، 258ب ، 287ب ،

338أ .

• العرزال : 28أ .

عروة بن الزبير : 144ب .

• العروض : 223أ ، 225أ .

عريب : 200ب—206أ ، 207أ ،

218ب ، 341ب .

عزيزة بنت الفضيل : 81ب .

• عسفان : 143أ .

• عسقلان : 168ب .

العسقلاني : 252ب ، 253ب ،

266ب ، 272ب ، 289أ ،

290ب ، 304ب .

العسكري : انظر أبو الحسن العسكري .

• العسكر : 324أ . انظر سامرا .

• العشق : 178ب ، 179أ ، 179ب ،

182ب ، 204أ ، 205أ .

• عصابة (على جين علية بنت المهدي) :

274أ .

عطاء بن السائب : 29أ .

عطاء بن الخرساني (المقنع) : 289ب

• العطش : 314أ . انظر الحرّ .

• العظيمى : 265أ .

• العفو : 156ب .

• عقبة حلوان : 86أ ، 86ب .

• العقرب : 70أ .

• عقول الرجال : 150أ ، (الحجى)

287أ .

• عقيد : 273ب .

علي بن صالح الحاجب : 129 أ ،
129 ب ، 154 أ ، 207 أ .

علي بن عبد الله بن العباس : 95 ب .
علي بن عيسى بن ماهان : 93 ب ، 96 أ ،
111 أ ، 112 أ ، 113 أ-115 أ ،
120 ب ، 122 أ ، 123 أ ، 124 ب ،
128 أ ، 132 ب .

علي بن عيسى القمي : 154 أ-155 ب .

علي بن الفتح : 109 أ .

علي بن الفضيل : 82 أ .

علي بن القاسم : 276 ب ، 277 أ .

علي بن المأمون : 253 ب .

علي بن محمد الخوارزمي : 334 ب .

علي بن محمد صاحب الزنج : 325 ب .

علي بن مهدي : 185 أ .

علي بن موسى الكاظم (الرضا) : 137 أ ،

137 ب ، 139 ب ، 140 أ ، 141 أ ،

141 ب ، 142 أ ، 145 أ ، 210 ب ،

236 أ ، 323 ب ، 324 ب .

علي بن هشام : 94 أ .

علي بن يحيى : 206 أ .

علي الحضرمي (المترجم) : 128 ب .

علي الرضا : (انظر علي بن موسى) .

عليه بنت المهدي : 273 ب ، 274 أ ،

275 أ ، 276 ب .

عمار بن ياسر : 240 أ .

• العمارة : 263 أ .

عمارة بن عقيل : 285 ب .

العلج : 206 ب .

العلم : 16 ب-17 ب ، . . 234 ب .

علم الكلام : 172 أ .

علوية (المغنى) : 207 أ ، 218 أ ،

218 أ ، 218 ب ، 219 أ ، 273 أ .

• العلويون : 139 ب ، 305 أ ، 321 أ ،

323 ب ، 342 ب .

علي بن أبي سعيد : 137 أ .

علي بن أبي طالب : 12 أ ، 24 ب ، 29 أ ،

32 ب ، 35 ب ، 37 أ ، 92 ب ،

106 أ ، 131 أ ، 139 ب ، 142 أ ،

148 ب ، 169 أ ، 175 أ ، 235 ب ،

236 ب ، 237 ب ، 239 أ ،

253 ب ، 262 أ ، 268 أ ، 289 أ ،

321 أ-322 ب ، 324 ب ،

325 ب ، 327 أ ، 338 أ ، 342 أ ،

342 ب .

علي بن الجعد : 23 أ .

علي بن الجنيد : 272 ب .

علي بن الجهم : 337 أ ، 337 ب ،

338 أ ، 338 ب ، 340 ب .

علي بن حسن الشيباني : 107 أ .

علي بن الحسين (زين العابدين) : 64 أ ،

142 أ ، 143 ب ، 144 أ ،

144 ب ، 324 ب .

علي بن سلسمان الاخفش : 203 ب .

علي بن سليمان بن الفضل : 184 أ ،

203 ب .

• العمالة : 336أ.

• العمامة : 318ب .

• عمان : 13ب ، 334أ ، 340ب .

• عمر بن أبي ربيعة : 9ب ، 10أ .

• عمر بن الخطاب : 12أ ، 106أ ،

174ب ، 175أ ، 236ب ، 250أ ،

293ب ، 338أ .

• عمر بن حبيب : 71أ ، 71ب .

• عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة :

343ب ، 344أ .

• عمر بن شيبه : 15ب .

• عمر بن عبد العزيز : 79أ ، 69ب ،

298ب ، 299أ ، 352أ .

• عمر بن محمد بن عبد الملك : 308أ ،

308ب ، 309أ ، 309ب .

• عمر بن تيم : 57أ .

• عمر بن ثابت (شاعر) : 133أ .

• عمرو بن سعيد بن العاصي : 62ب .

• عمرو بن سنان الأثم : 293ب -

294ب .

• عمرو بن العاصي : 29أ ، 252ب .

• عمرو بن عثمان بن عفان : 62ب ،

168أ .

• عمرو بن عمرو بن عثمان العرجي :

116أ .

• عمرو بن العلاء : 182ب .

• عمرو بن مسعدة : 147ب ، 148ب ،

149ب - 150ب ، 216أ ،

217ب ، 241ب .

• عمرو بن معدى كرب : 10أ ، 32ب ،

300ب .

• عمرو بن هبيرة : 310أ ، 311أ .

• عمرو الشيباني (المغني) : 207أ ،

217أ .

• عمورية : 265أ - 266ب ، 288ب .

• عميان : 328أ .

• العنبر : 199أ .

• عنزة بن أسد بن ربيعة : 181أ .

• العهد (ولاية -) : 236أ ، 336أ .

• العواصم : 6ب .

• العود : 94ب ، 223أ ، 268ب ،

334أ .

• العواليك : 12أ .

• عوف الاعرابي : 166أ ، 167أ .

• العيب : 257ب .

• العيد : 181ب ، 338ب .

• عيسى (عليه السلام) : 238أ .

• عيسى بن ابراهيم : 316ب .

• عيسى بن المأمون : 253ب .

• عيساباد الكبير : 5ب .

• عيسى بن جعفر : 21أ ، 33ب ، 72ب .

• عيسى بن عمر : 70ب .

• عيسى بن محمد بن أبي خالد : 145ب .

• عين : (أدخل في عينه) 290أ .

• عين التمر : 181أ .

- غ -

- غادر (جارية) : 84 ب ، 85 أ .
 غالب السعودي (خال المأمون) :
 136 ب ، 137 أ ، 138 أ .
 * الغالية : 13 ب ، 33 ب ، 187 أ .
 غراوة : . . . ؟ .
 غرس النعمة (محمد بن المحسن) :
 139 ب ، 165 ب .
 غسان بن عباد : 132 أ ، 138 أ ،
 154 أ ، 154 ب ، 155 أ .
 * غسول : 8 ب .
 * غشية : 304 أ .
 * الغصّة : 335 أ .
 * الغضارة ، 23 ب .
 * غلط (الشعراء) : 330 أ . وانظر :
 (نقد) .
 * الغنى : 258 أ .
 * الغناء : . . . 221 أ .
 * الغوطة : 65 ب ، 69 ب .
 * غول : 51 أ .
 * الغيبة : 258 أ .
 غيلان بن يونس الدمشقي : 298 ب ،
 299 أ ، 299 ب .

- ف -

- فارس : 153 أ ، 199 ب ، 334 أ ،
 334 ب ، 335 ب ، 343 ب .
 * الفارياب : 145 ب .
 فاطمة بنت الرسول : 63 أ ، 142 ب ،
 262 أ .
 فاطمة (أم عريب) : 202 ب .
 فاطمة بنت مي : 57 أ .
 * الفالج : 334 ب .
 * الفالودج (أكلة) : ، 24 أ ، 279 أ .
 الفتح بن خاقان : 316 ب ، 342 أ ،
 342 ب .
 * [فتوى] ، مخرج : 21 ب .
 * فحمة : 165 أ .
 فدية (فدى نفسه) : 168 أ .
 الفراء (انظر أبا زكريا) .
 * الفرائض : 174 أ .
 * الفرات : 245 أ ، 271 ب .
 * فراش : 11 أ .
 * الفرج بعد الشدة : 308 أ-311 ب .
 الفرج بن فضالة : 12 أ .
 فرج الخادم التركي : 6 ب .
 الفرزدق : 56 أ ، 142 أ-143 ب ،
 185 ب .
 الفرس : 122 ب ، 124 أ ، 128 ب ،
 229 أ ، 231 أ ، 258 أ ، 343 ب .

• فرسخ : 156 ب .

• الفرش : 173 ب .

• الفُرْضة : 234 أ .

• فرعون : 29 أ ، 246 أ ، 256 ب .

• فرغانة : 254 ب .

• الفسطاط : 246 أ ، 246 ب .

• فضل (الشاعرة) : 283 أ .

• الفضل بن اسحاق : 303 ب .

• الفضل بن الربيع : 6 أ ، 8 ب ، 38 ب ،

40 أ ، 48 أ ، 59 أ ، 71 ب ، 78 ب ،

69 أ ، 87 أ ، 87 ب ، 88 أ ، 90 ب ،

91 أ ، 92 أ ، 93 ب ، 96 ب ، 112 أ ،

113 أ ، 156 ب-158 ب .

• 235 ب ، 270 ب ، 274 أ .

• الفضل بن سهل : 93 أ ، 121 أ -

122 ب ، 128 أ ، 128 ب ،

129 أ ، 130 أ ، 133 ب ، 134 أ ،

135 أ-137 ب ، 161 أ ، 199 أ ،

210 أ ، 230 ب ، 231 أ ، 345 .

• الفضل بن العباس بن المأمون : 206 ب .

• الفضل بن المأمون : 120 أ ، 241 ب .

• الفضل بن مروان : 203 أ ، 270 أ ،

291 ب .

• الفضل بن يحيى البرمكي : 34 ب ،

43 أ ، 52 أ-43 أ ، 59 أ ، 60 أ ،

133 ب ، 136 أ ، 270 ب ،

285 أ .

• الفضيل بن عياض : 78 ب ، 80 أ-82 أ ،

• 83 أ .

• الفعلَة : 74 أ .

• الفقار : 32 ب .

• الفقر : 258 أ .

• فقيه . . : 237 أ .

• الفكرة : 287 أ .

• فلسطين : 20 أ .

• فم الصلح : 199 أ ، 199 ب .

• فيروز بن يزديجرد : 124 ب-127 ب .

• الفيل : 264 ب .

ق -

• قادوس : 345 أ .

• قارورة : 88 أ .

• القاسم بن علي العجلي ، أبو دلف :

188 ب ، 258 ب-263 ب .

• القاسم بن محمد : 289 أ .

• قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق :

143 ب .

• القاسم المؤتمن بن الرشيد : 90 ب ،

113 أ .

• القاسم محمد بن عباد : 241 ب .

• القاضي الفاضل : 246 ب .

• القانون (آلة) : 223 أ .

• قام عليه : 272 ب .

• قباء : 193 ب ، 311 أ .

• قبرص : 70 أ ، 230 ب ، 238 ب .

- قيس : 295 أ .
- القبط : 247 ب .
- قبل (تقبيل) : 206 أ .
- قبيصة بن أبي صفرة : 343 ب ، 344 أ .
- قتيبة بن مسلم : 238 أ ، 238 ب ، 239 ب .
- قحطان : 42 ب .
- قحطية : 338 ب .
- قدامة بن زياد : 314 أ .
- قدامة بن عبد الله العامري : 72 أ .
- قدّم (التقديم في الذكر) : 204 ب .
- القدسي : 78 أ .
- القراني : 269 بالقس : 350 أ .
- قرطاس : 317 أ .
- قراطيس (أم الواثق) : 291 ب .
- القرافة الصغرى : 172 ب .
- القراني : 269 ب .
- القرآن : (انظر حفظ - ، خلق - ، وآيات قرآنية) .
- قرع : (القرعة) 100 أ ، 294 أ . انظر انتخاب .
- قریش : 142 ب ، 167 ب ، 171 أ ، 243 ب ، 255 أ ، 255 ب ، 338 أ .
- القسطنطينية : 266 أ .
- القصارة : 23 ب .
- قصة قط : 112 أ .
- القصر : (مدينة -) 345 ب .
- قصر يانة : 347 ب .
- القضاء (- لله) : 174 أ ، 322 ب .
- قضاة : 111 أ .
- القضاء : 252 ب .
- قط : 111 أ .
- قطرب النحوي : 188 ب ، 189 أ ، 184 أ .
- قلم الطير : 246 أ . انظر الطير .
- قلنسوة : 92 أ ، 242 أ .
- قماشات : 134 ب .
- قمطرة : 213 أ .
- قنطرة باب أبي الربيع : انظر باب أبي الربيع .
- قنطرة الزياتي : 184 أ .
- القنفذ : 332 ب .
- قواعد : 328 أ .
- القولنج : 285 أ .
- القيروان : 343 ب - 347 ب .
- قيس : 12 أ .
- قيمون (راهب) : 250 ب .
- بنو القين : 12 أ .
- ك —
- كاتب (.) : 150 أ ، ب .
- كأس أم حكيم : 40 ب .
- كبشان من

كتاب تاريخ ابن البخاري : 71أ .
 كتاب تاريخ بغداد : 118ب .
 كتاب تاريخ الاعظمي : 241ب .
 كتاب التراضي (بين ولاية العهد) :
 336أ .
 تاريخ القضاء : 252ب .
 كتاب التسوية : 282ب . انظر كتاب
 انتصاف العجم من العرب .
 كتاب تحفة الالباب : 241أ ، 288أ .
 كتاب التعريف : 295أ .
 كتاب التنبيه : 175ب .
 كتاب ثمرات الاوراق : 175أ .
 كتاب الجامع الصغير : 69ب .
 كتاب الجامع في الغناء : 314ب .
 كتاب الجامع الكبير : 69ب .
 كتاب جذوة المقتبس : 311أ .
 كتاب جزيرة العرب : 236أ .
 كتاب الجفر : 37أ .
 كتاب المجلس والانيس : 211أ ،
 212أ .
 كتاب الجمهرة : 334أ .
 كتاب الجوارح والصيد : 314ب .
 كتاب الحدود : 190ب .
 كتاب حياة الحيوان : 174ب .
 كتاب الحيوان : 303ب .
 كتاب الحيوان للجاحظ : 321أ .
 كتاب خلق الابل : 236أ .

عقيق : 58ب .
 كتاب : 296ب .
 كتاب ابتلاء الاخبار بالنساء الاشرار :
 241ب .
 كتاب الابل : 22أ .
 كتاب احياء علوم الدين : 76أ .
 كتاب الخبر على ما في المنامات من
 الاشعار : 85أ .
 كتاب ادب الكتاب : 37أ .
 كتاب ارجوزة في ذم الصيوح : 314ب
 كتاب الاذكياء : 200أ .
 كتاب الاشتقاق : 189أ ، 33ب .
 كتاب اشعار الملوك : 314ب .
 كتاب اصلاح المنطق في اللغة :
 321ب .
 كتاب الالف واللام : 295ب .
 كتاب الالتقاء : 329أ .
 كتاب الامالي : 329أ .
 كتاب انتصاف العجم من العرب :
 282ب .
 كتاب الانوار : 333ب .
 كتاب البديع : 314ب .
 كتاب البراة والصيد : 261أ .
 كتاب بستان الآداب : 73ب ، 159أ ،
 204أ ، 214ب .
 كتاب النبات : 236ب .
 كتاب البيان والتبيين : 321أ .

كتاب خلق الانسان : 183 .
 كتاب خلق الفرس : 236أ .
 كتاب الخيل الصغير : 333ب .
 كتاب الخيل الكبير : 333ب .
 كتاب خبر البشر : 163ب ، 164ب .
 كتاب الخيل : 183ب .
 كتاب الدياج : 296أ .
 كتاب ربيع الابرار وتجلة الاخيار :
 105ب ، 246ب ، 272ب .
 كتاب الرد على الملحدين في نسبة
 القرآن : 189أ .
 كتاب الروضة : 328ب ، 330ب .
 كتاب روض الرياحين : 71ب ،
 73ب ، 74أ .
 كتاب زوار العرب : 333ب .
 كتاب السائرة : 332ب .
 كتاب سراج الملوك : 173ب ،
 289ب .
 كتاب السرج واللجام : 33ب .
 كتاب السلاح : 261أ .
 كتاب سلوان المطاع : 112أ ، 123أ .
 كتاب سياسة الملوك : 261أ .
 كتاب سيرة الملوك : 336أ ، 337أ .
 كتاب شفاء الصدور : 71أ .
 كتاب الشكوك : 233ب ، 234أ .
 كتاب الشهب اللامعة في السياسة
 الجامعة : 129أ .

كتاب صحيح مسلم : 249أ ، 250أ .
 كتاب الصفات : 236أ .
 كتاب طبقات الشعراء : 314ب .
 كتاب عجائب مصر : 246أ .
 كتاب العروض : 296أ .
 كتاب عفرا وثعلب : 231أ ، 232ب .
 كتاب العقد الفريد : 330أ .
 كتاب عيون التواريخ : 96أ .
 كتاب عيون المعارف : 241ب ،
 252ب ، 254أ ، 288أ ،
 291ب ، 304ب ، 305أ .
 كتاب غريب الحديث : 183ب .
 كتاب غريب القرآن : 334أ .
 كتاب الغلمان : 321أ .
 كتاب الفائدة : 334أ .
 كتاب فاكهة الخلفاء : 115أ .
 كتاب الفرج بعد الشدة : 308أ-
 311ب ، 328أ .
 كتاب الفرس : 258أ .
 كتاب فرق الاسلامية : 321أ .
 كتاب الفصيح : 328ب .
 كتاب القراح : 236أ .
 كتاب القوافي : 296أ .
 كتاب فعل وأفعل : 189أ .
 كتاب القرآن (قطرب النحوي) :
 189أ .
 كتاب قطب السرور : 92أ ، 101أ ،

كتاب الترميل ومباهج التوسل : 147أ .

كتاب مناهج الفكر : 246ب ،
247ب .

كتاب المتصف : 328ب .

كتاب منظومة ابن عبدون : 112أ ،
113ب ، 114أ ، 128ب .

كتاب الميسر والقдах : 236أ .

كتاب النحلة : 183ب .

كتاب التزه : 261أ .

كتاب نزهة الابصار في أخبار ملوك
الامصار : 162ب .

كتاب نزهة النفوس وسلوة النفوس :
116ب ، 122أ ، 129أ .

كتاب النصائح : 84ب ، 88أ ،
233أ .

كتاب النهي : 190ب .

كتاب النوادر : 183ب ، 189أ .

كتاب الصفوات : 165ب .

كتاب الوزارة : 135ب ، 339أ .

كتاب الوزراء : 88ب ، 90ب ،
120ب .

كتاب الوشاح : 334أ .

كتاب وفيات الاعيان : 332ب .

الكتاب : 24ب .

• الكتاب : 200ب ، 290ب .

• كتب الشيعة : 323ب .

• كتب اليونان : . . . ، 238ب .

211أ ، 212ب ، 217أ ،
217ب .

كتاب الكامل : 182أ ، 328ب ،
330أ .

كتاب الكشف : 175ب ، 214ب ،
235أ .

كتاب كليلة ودمنة : 231أ ، 256ب
(وقيه الكفر !)

كتاب لبّ اللبيب : 80ب ، 96ب ،
193ب .

كتاب اللحن الثمانية : 227ب .

كتاب اللغات : 183ب ، 334أ .

كتاب ما يلحن فيه العامة : 295ب .

كتاب المتشابه : 332ب .

كتاب المتفق والمفترق : 272أ .

كتاب المجتنى : 334أ .

كتاب محاسن البلاغة : 122أ .

كتاب المحيط الكبير : 227ب .

كتاب مرآة الزمان : 174أ ، 248ب .

كتاب المسالك : 247أ ، 247ب .

كتاب المستطرف : 173أ .

كتاب المشاهدات والاخبار : 271أ .

كتاب المشكل : 190ب .

كتاب المعاني : 190ب ، 333ب .

كتاب معاني الشعر : 332ب .

كتاب المقتبس : 333ب .

كتاب الملاحن : 333ب .

• الكميت : 157 أ .
 • كناسة : 71 ب .
 • كنيسة ، كنائس : 223 ب ، 319 أ .
 • كندة : 73 أ .
 • الكندي : 70 أ ، 239 أ .
 • كندس : 19 ب .
 • كنز : 246 أ ، 257 أ .
 • الكندغوس : 131 أ .
 • كنيف : 316 أ .
 • الكنية : 191 ب .
 • كوثر الخادم : 18 أ ، 93 أ ، 104 ب ، 105 أ .
 • كوز (كيزان) : 173 أ ، 213 أ .
 • الكوفة : 35 أ ، 49 ب ، 55 ب ، 63-64 أ ، 70 ب ، 72 ب ، 76 ب ، 77 ب ، 111 أ ، 130 ب ، 131 أ ، 140 ب ، 141 أ ، 146 ب ، 181 ب ، 184 ب ، 186 ب ، 190 ب ، 193 ب ، 195 ب ، 253 ب ، 292 أ ، 297 ب ، 298 أ ، 329 ب ، 350 ب .
 • كيسان (مولى عثمان بن عفان) : 158 ب .
 • كيلجة : 167 أ .
 • الكيمخت : 27 ب انظر الكبير بيخ
 في : محاضرات الراغب ، ج 2 ص 272 حكاية مشابهة .

• كثير عزة الشاعر : 55 أ ، 55 ب .
 • الكذب : 148 أ ، ب .
 • الكرابيسي (انظر الحسن بن علي) .
 • كراذ : 164 أ .
 • كراويا : 290 أ .
 • الكرة : 91 ب ، 318 ب .
 • الكرج : 188 ب ، 262 أ .
 • الكرخ ، انظر الكرج .
 • كرسي : 218 ب .
 • الكرفس : 290 أ .
 • الكريهة : (يوم -) 269 أ .
 • الكسائي : 69 ب ، 70 ب ، 190 أ ، 331 أ .
 • الكرم : 301 أ .
 • كسيب : 73 ب .
 • كسرى : 128 ب ، 257 ب ، 259 ب .
 • كعب بن سوار : 174 ب .
 • الكعبة : 68 أ ، 90 ب ، 113 أ ، 195 أ ، 338 ب .
 • كفانة : 243 ب .
 • كفل ، استكفل : 112 ب .
 • الكلام (علم -) : 172 أ .
 • كلب : 243 ب .
 • الكلية : 38 أ .
 • كلة : 198 ب .
 • كمون : 290 أ .

- ل -

- اللامس (نهر) : 296 ب .
- اللاحقي : 278 ب .
- اللباس : 23 أ .
- اللين : 301 ب .
- لبنان : 257 أ .
- اللبود : 92 أ ، 207 أ .
- اللحن : 221 ب .
- اللحية : 277 ب .
- اللغة : 284 ب .
- لوح ، لوحات الشمس : 48 ب .
- لوزنجة (أكلة) : 202 أ .
- لواء : 336 أ .
- لوط : 45 ب ، 238 ب ، 281 ب .
- لواط ، لوطي : 37 ب ، 96 أ ، 176 ب ، 282 ب ، 338 أ .
- ليلي أخت الوليد : 31 أ .
- ليلي الاخيلية : 164 ب .

- م -

- الماء : 237 ب .
- الماخورة : 323 أ .
- ماردة (أم المحتصم) : 37 ب ، 253 ب .
- مارستان : 229 أ .
- مارية بنت مروان بن محمد الاموي :

- 159 أ . انظر : مرية .
- المازيار : 256 ب ، 269 أ ، 269 ب ، 289 أ .
- المال : 242 أ ، 242 ب ، 243 أ ، (الدراهم) 287 أ ، 317 أ .
- مالك بن أنس : 14 أ ، 18 أ ، 167 ب ، 168 أ ، 169 أ ، 170 أ ، 175 أ ، 214 ب ، 284 ب ، 300 ب .
- مالك بن دغم الخزاعي : 288 أ .
- مالك بن الهيثم : 300 أ .
- المأمون (الخليفة) : 14 أ ، 18 أ ، 33 ب ، 35 أ ، 70 ب ، 87 أ ، 90 أ ، 90 ب ، 91 أ ، 92 ب ، 93 ب ، 94 ب ، 95 أ ، 102 ب ، 105 ب - 107 أ ، 109 أ ، 122 أ - 253 ب ، 351 أ .
- المأمونية (المسألة -) : 174 أ . . . الدر ؟ .
- مؤنس البصري : 137 أ .
- مؤنس الخادم : 353 أ .
- مؤنسة بنت الرشيد : 47 ب .
- مؤنس الخادم : 11 أ ، 111 ب ، 122 أ .
- المؤيد بن الخليفة المتوكل : 321 ب ، 336 أ .
- المبارك : 27 أ .
- مبارك بن فضالة : 90 أ .
- المبرد : 110 أ ، 182 أ ، 295 ب ، 321 أ ، 328 أ - 330 ب .
- مبطنة : 92 أ .

• متاع : 45أ ، 206أ .
 المتوكل : 92ب ، 95أ ، 162أ ،
 176أ ، 205ب ، 206أ ، 284أ ،
 300أ ، 303أ ، 304أ ، 305ب .
 • المجانيق : 312أ ، 312ب .
 مجاهد : 82ب ، 165ب .
 • المجلس (شرف -) : 174أ .
 • المجرمة : . . . 242أ . وانظر البخور .
 • المجوس ، مجوسي : 124أ ،
 338ب . انظر الفرس .
 • محبرة : 277ب ، 282ب .
 الحسن بن أبي اسحاق الصابي :
 165ب .
 • محفة : 89أ ، 129أ .
 محمد (ص) : 14أ ، 14ب ، 215ب ،
 293ب ، 298أ ، 349ب .
 محمد الاصغر بن المأمون : 253ب .
 محمد بن ابراهيم بن عمر الرومي : 93أ
 محمد بن ابراهيم بن مصعب : 269ب .
 محمد بن ابراهيم السلمي : 241ب .
 محمد بن أبي بكر الصديق : 143ب .
 محمد بن أبي حنيفة ، انظر : محمد بن
 الحسن الشيباني .
 محمد بن أبي سعيد : 134أ .
 محمد بن أبي العباس : 187أ ، 187ب .
 محمد بن ادريس الشافعي : 168ب .
 محمد بن اسحاق بن ابراهيم المصعبي :

23أ ، 250أ ، 336ب .
 محمد بن اسحاق بن خزيمة : 170أ .
 محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي :
 273ب .
 محمد بن بشير : 276ب ، 277أ ،
 278أ .
 محمد بن البعيث بن الجليس (صاحب
 أذربيجان) : 311ب ، 312أ .
 محمد بن الثامر : 250أ .
 محمد بن سليمان : 187ب
 محمد الباقر : 142أ ، 144ب .
 محمد بن بنت الشافعي : 162ب .
 محمد بن تقي الدين شاهنشاه : 116أ ،
 119أ .
 محمد بن جعفر بن يحيى : 274ب .
 محمد بن الجنيد : 40ب .
 محمد بن الحارث بن بسخر : 209أ ،
 273أ .
 محمد بن حازم : 45ب ، 107ب ،
 280أ ، 281ب ، 282أ . انظر
 حازم .
 محمد بن حامد : 200ب ، 201أ ،
 202أ ، 203ب .
 محمد بن حماد : 291ب .
 محمد بن الحسن الشيباني : 16أ ، 23أ ،
 24أ ، 25ب ، 69أ ، 169أ ،
 169ب .
 محمد بن الحجاج الاسدي : 57أ .

محمد بن الحسن الفقيه : 190أ .

محمد بن الحنفية : 175أ .

محمد بن خالد : 186ب .

محمد بن خالد البرمكي : 160أ .

محمد بن خفاجة : 348أ .

محمد بن داود بن الجراح : 109ب ،

110أ ، 243أ .

محمد بن رافع : 104ب .

محمد بن رجاء : 214ب .

محمد بن الرشيد : 90أ .

محمد بن سعيد : 137ب ، 143ب ،

214ب .

محمد بن سلام : 55أ .

محمد بن سماعة القاضي : 167أ ،

214ب .

محمد بن شجاع : 167أ .

محمد بن صالح : 109أ ، 206أ ،

327أ .

محمد بن صالح النطاح : 137ب .

محمد بن طاهر : 338ب .

محمد بن طلحة : 175ب ، 186ب .

محمد بن العباس بن المهلب : 242ب .

محمد بن عبد الله : 64أ .

محمد بن عبد الله بن أبي فروة :

158ب .

محمد بن عبد الله بن الاغلب : 347أ .

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم :

169ب .

محمد بن عبد الملك الزيات : 161ب ،

162أ ، 256أ ، 258أ ، 270ب ،

278ب ، 291ب ، 292ب ،

302أ ، 302ب ، 306ب-311أ ،

316ب ، 320ب ، 320أ .

محمد بن عبد الملك بن صالح : 139ب .

محمد بن عبد الواحد : 202ب .

محمد بن عبدوس : 87أ .

محمد بن عمر الرومي : 93أ .

محمد بن علي (قائد المتوكل) : 340ب .

محمد بن علي والد السفاح : 20أ ، 90أ .

محمد بن علي الخراساني : 116أ .

محمد بن فزارة المرادي : 170أ .

محمد بن كعب : 79أ .

محمد بن الحسن بن أبي اسحق الصايي :

165ب .

محمد بن مخلد : 146ب .

محمد بن المعتضد (القاهر) : 111ب ،

122أ .

محمد بن منادر : 58ب-59ب . انظر

ابن منادر .

محمد بن المنكسر : 17أ .

محمد بن موسى المنجم : 105أ ،

303ب .

محمد بن موسى الكاظم : 139ب .

محمد بن نوح المصروب : 240أ .

محمد بن الوائلي : 305ب .

- محمد بن يزداد : 147أ ، 147ب .
- محمد بن يزيد بن مزيد : 33ب .
- محمد بن يزيد الاموي الحصني الشاعر :
155ب ، 156أ ، 156ب .
- محمد بن يسخر : 220 .
- محمد بن بن يوسف : 312ب ، 341أ .
- محمد بن الجواد بن علي الرضا :
141ب ، 241ب ، 323ب .
- محمد بن الخراساني : 155ب ، 156أ .
- محمد القاهر : 353أ .
- محمد المنصور بن أبي عامر : 311أ ،
311ب .
- محمد المهدي بالله بن الواثق : 300أ ،
305ب .
- الحمرة : 165ب .
- عمود بن فرج النيسابوري : 313أ .
- مخارق المغني : 207أ ، 209أ ،
212ب ، 273أ .
- مخرج : 21ب (فتوى) .
- مدائن التراب : 224ب .
- مخلة : 212ب .
- مخلد بن زردي : 146ب ، 147أ .
- مخلوف المغني : 184أ .
- مخيم : 288أ .
- المدائن : 137ب ، 140ب ، 141أ .
- المدائن (جمع : مدينة) : 224ب ،
225أ .
- المدائني : 54ب .
- مداد : 26أ .
- المدينة : 14أ ، 15أ ، 17أ ، 25أ ،
29أ ، 36أ ، 37أ ، 47ب ، 48أ ،
53ب ، 55أ ، 61ب ، 62ب ،
94أ ، 141ب ، 143ب-144ب ،
181ب ، 245أ ، 253أ ، 305أ ،
313ب ، 323ب ، 324ب .
- مدينة السلام : 153ب .
- مراجل أم المأمون : 37ب ، 90أ ،
95ب ، 96أ ، 120أ .
- المرادي النيسابوري : 336ب .
- المراكبي : 203أ-204أ ، 205أ ،
218ب .
- المراقبة : 150أ .
- مران : 54ب .
- المرید : 57ب .
- المرجعة : 297ب .
- مرحب : 247ب .
- المرزيان : (حاجب) : 323أ .
- المرزباني : 43أ ، 335ب .
- مرسوم : 131ب ، 150ب .
- المرض النفساني : 179ب .
- مرو : 90ب ، 91أ ، 132أ ، 134ب ،
138أ ، 139ب ، 166أ ، 167أ ،
210أ ، 235ب ، 289ب ،
332أ .
- مروان (انظر أبو السمط) .

مروان بن أبي حفصة : 6أ (شاعر
الرشيد) 47أ-51أ ، 321ب ،
323أ ، 344ب .

مروان بن الحكم : 50أ ، 50ب ،
92ب ، 107ب ، 298أ ،

مروان الجعدي الأموي : 350ب .

مروان الحمار : 63أ ، 63ب .

مريّة بنت مروان بن محمد : 159أ-
160أ .

المريس : 297ب .

• المرسيسة (فرقة) : 297ب .

مزة : 245أ .

• المزيلّة : 329أ ، 329ب .

المرزني : (انظر اسماعيل) .

• المسيات التونسية : 348أ

• مستشرف : 156ب .

المستعين بن المعتصم : 342ب ،

343أ ، 348أ ، 348ب ،

351ب .

• مسجد : 319أ .

• مسح : 196ب :

المسرود المغني : 341ب .

مسلم (الامام) : 249أ ، 250أ .

المسمودي : توفي في مصر في 345هـ/

956م . (مناسبة ذكره والصفحة) ؟

مسرور الخادم : 89أ ، 153أ ، 244أ ،

274ب .

مسعدة (انظر لبنا -) .

مسعر بن كدام : 235أ .

• المسك : 199أ .

مسلم (المحدث) : 320أ .

مسلم بن مخالد الرنجي : 169أ .

مسلم بن زياد : 188ب .

مسلم بن عقيل : 28ب .

مسلم بن الوليد (الشاعر الانصاري) :

31ب ، 33أ-35أ ، 137أ .

مسلمة أبو شاعر : 41أ .

مسلمة بن عبد الملك : 155ب .

المسيح : 230أ .

• الشمس : 230ب .

• مصادرة : 316ب ، 319ب .

• مصحف : 313أ .

مصر : 20أ ، 30ب (الديار المصرية) ،

90أ ، 101ب ، 130ب ، 155أ ،

155ب ، 156أ ، 156ب ،

167ب-172ب ، 175ب ،

195ب ، 217ب ، 224ب ،

245أ-246ب ، 248أ ، 255أ ،

257أ ، 285أ ، 295ب ، 297أ ،

297ب ، 317ب ، 332أ ،

344أ ، 350أ ، 353أ .

مصعب بن زريق بن ماهان : 132ب .

مصعب بن طلحة : 132ب

مصعب (الشاعر) : 46أ ، 46ب .

مصعب بن عم طاهر بن الحسين :

118أ .

347 ب .
 المعتصم بن الرشيد (أبو اسحاق) : 90 أ ،
 92 ب ، 105 ب ، 140 ب ،
 193 ب-195 أ ، 201 ب ،
 202 ب ، 206 ب ، 208 أ ،
 219 أ ، 233 ب ، 240 ب ،
 243 أ ، 245 أ ، 245 ب ،
 251 أ-253 ب ، 291 ب .
 المعتضد : 120 ب ، 349 أ ، 352 أ ،
 352 ب .
 المعتمد : 206 أ ، 337 أ ، 349 أ ،
 352 أ ، 352 ب .
 معنوق بن يحيى : 70 أ .
 معجونات : 58 ب .
 معد بن عدنان : 53 ب ، 320 أ .
 معروف الكرخي : 104 أ .
 المعلم (مذهب المعلمين) : 329 أ .
 معلى الطائي : 155 ب .
 معمر بن راشد : 214 ب .
 معمر بن شبيب : 241 ب .
 معمر بن موسى العبدي : 30 ب .
 معن بن زائدة الشيباني : 32 أ ،
 47 ب-49 أ ، 50 أ ، 271 ب .
 • المغاربة : 256 ب ، 306 أ . وانظر :
 المغرب .
 * المغرب : 130 أ ، 255 أ ، 256 أ ،
 345 أ ، 346 أ ، 349 ب ، 350 أ .
 المغيرة بن محمد المهلب : 95 أ .

مصعب بن هيرة : 338 أ .
 مصقلة : 338 أ .
 مهنج : 176 أ .
 مضر بن نزار : 235 ب ، 243 ب .
 • المضرية : 12 أ .
 • مضربة : 234 أ .
 • المطلق (سجن) : 321 أ .
 المطلب بن عبد الله بن مالك : 140 ب ،
 141 أ .
 المطلب بن عبد مناف : 168 أ .
 • مطهرة : 245 ب .
 مطيع بن أياس (شاعر) : 86 ب ،
 186 ب .
 مظفر بن ابتاخ : 314 أ .
 مظلومة (جارية) : 203 ب .
 معاذ بن جبل : 28 أ ، 174 ب .
 • معامل ، معاملوه : 317 ب .
 معاوية بن أبي سفيان : 28 ب ، 29 أ ،
 92 ب ، 183 ب ، 252 ب .
 معاوية بن عبد الله بن جعفر : 63 أ .
 معاوية بن يزيد : 92 ب .
 معبد : 92 ب .
 معبد الجهنني : 298 ب .
 المعتز (الخليفة) : 202 ب ، 205 ب ،
 312 ب ، 321 ب ، 351 ب ،
 352 أ .
 المعتزلة : 172 أ ، 233 أ ، 256 أ ،

• المفادة : 296 ب .
 المفوض بن المعتمد : 352 أ .
 المقندر بالله : 109 ب ، 349 ب-
 350 ب ، 353 أ .
 مقدس الخلوقي : 133 أ .
 • مقصورة : 9 أ ، 191 أ ، 200 أ .
 • مقطعات الحديث : 268 ب .
 المقطم : 172 ب .
 • المكاري : 8 أ ، 199 ب .
 المكتفي بالله بن المعتضد : 349 أ ،
 352 ب .
 مكة : 59 أ ، 69 ب ، 61 أ ، 73 ب ،
 81-82 ب ، 95 أ ، 168 ب-
 171 ب ، 174 ب ، 190 ب ،
 237 ب ، 248 ب ، 304 ب ،
 313 ب ، 345 ب .
 • المكدي : 326 ب .
 مكلونة : 273 ب .
 ملقونية : 90 أ .
 الملك المؤيد (انظر المؤيد في فهرس
 المؤلفين والكتب) :
 • مليخوليا : 179 ب .
 • ملطية : 245 أ ، 265 ب .
 • الممالك : 255 ب ، 256 أ ، 263 أ .
 • منادمة : 217 . . ب ، 325 أ .
 منارة (صاحب الخلفاء) : 64 أ .
 • مناظرة : 233 ب ، 242 أ ، 308 أ ،
 316 ب .
 منبج : 266 ب ، 287 ب .
 المتصر (الخليفة) : 314 أ ، 322 ب-
 323 أ ، 336 أ ، 342 أ ، 342 ب ،
 343 أ ، 348 أ ، 351 أ .
 • منجمون : 265 أ .
 • المنجنيق : 115 أ ، 266 أ .
 • المنستير : 347 أ .
 المنصور ، انظر أبو جعفر المنصور .
 المنصور بن المهدي : 140 أ .
 المنصور : 116 ب ، 129 أ .
 منصور بن ايتاخ : 314 أ .
 منصور الطنيزي : 346 أ .
 • منطق . . : 223 أ .
 • منطقة : 194 أ .
 • منفخة : 19 ب .
 • مهاجر : 298 ب ، 299 أ .
 المهدي بن الواثق : 351 ب ، 352 أ .
 مهدوية الرازي : 345 ب .
 المهدي الخليفة : 3 أ ، 3 ب ، 5 أ ، 12 أ ،
 12 ب ، 23 أ ، 30 أ ، 35 ب ،
 37 ب ، 43 ب ، 44 أ ، 48 أ ،
 48 ب ، 51 أ ، 69 أ ، 86 ب ، 92 ب ،
 106 أ ، 119 ب ، 120 أ ، 136 ب ،
 157 ب-159 أ ، 160 أ ، 182 أ ،
 182 ب ، 183 أ ، 187 ب ، 188 أ ،
 188 ب ، 289 ب ، 301 أ ، 331 أ ،
 344 ب ، 351 أ .
 مهدي بن علوان : 140 ب .

• المهرجان : 182أ ، 338ب .

المهلب بن أبي صفرة : 343ب ،
344أ .

• الموت : 262ب .

موسى الاصفهاني : 326ب .

موسى بن الامين : 112أ ، 112ب ،
113أ .

موسى بن حازم التميمي : 30ب .

موسى بن عبد الملك : 316ب ،
317أ ، 317ب .

موسى بن عمران : 139أ ، 298ب ،
325ب .

موسى بن عيسى بن محمد بن العباس :
273ب .

موسى الخوارزمي : 303ب .

موسى الكاظم : 35ب ، 136أ ،
95ب ، 145أ ، 210ب ،
324ب .

موسى الهادي : 273ب ، 300ب .

• الموسيقى 147ب .

الموصل : 30أ ، 33ب ، 34أ ،
107ب ، 130أ ، 245أ ، 287أ ،
287ب ، 344ب .

الموفق بن المتوكل : 352أ ، 352ب .

• المؤلفون : 184أ .

• المؤلفون : 325ب .

مي صاحبة ذي الرمة : 55ب-57أ .

• ميزاب : 275ب .

ميمون بن هارون : 40أ .

ميمونة بنت عبد الرحمان : 41أ .

ميمونة زوجة النبي : 62أ .

— ن —

• النائب (نائب الخليفة) : 239أ .

النابغة الذبياني : 237أ .

الناطق بالحق : انظر موسى بن الامين .

• ناظر ، مناظرة : 308أ .

نافع بن أبي نعيم : 14ب .

نافع بن عمرو بن عثمان بن عفان :
168ب .

نافع مولى بن عمر : 14ب .

ناقد الخادم : 210أ .

نبالة بن يزيد : 163ب .

• النبوة : 307ب ، 313أ .

• النبي : انظر محمد (ص) .

• النبذ : 12ب ، 18ب ، 278أ ،
334أ .

نجاح بن سلمة : 326ب ، 341ب .

• نجران : 169ب ، 250أ .

• النجوم (علم -) : 136ب ، 172أ ،
انظر منجمون .

• النحو : 180ب ، 225أ .

• النخل (جمار -) : 86أ .

• الندم : 207ب .

• ندماء : 161أ ، 206ب ، 207أ .

• نبطويه : 158 أ ، 328 ب .
 نفيل (ملك الروم) : 244 ب .
 [نقد] : (ما هذا الاستقصاء . .)
 335 ب ، 338 ب .
 نقر ، الانقار : 222 ب .
 • نقش : 325 أ .
 نمرود : 247 ب .
 نهر عيسى : 184 أ .
 نهر اللامس : 296 ب .
 • النهروان : 188 ب ، 131 أ ، 146 أ
 نوار بنت مي : 56 ب .
 • النوبة : 201 ب .
 نوح : 238 ب ، 289 ب ، 313 أ
 النوشري : 350 أ .
 • النوفة : 297 ب .
 نوفل بن عبد مناف النوفلي : 168 ب .
 النوفلي : 119 ب (أبو الحسن علي بن
 محمد بن سليمان النوفلي ، معاصر
 لابن الكلبي المتوفي 204 هـ) .
 نوفيل (ملك الروم) : 265 ب .
 النوري : 170 أ ، 241 ب ، 245 ب ،
 251 أ ، 304 ب ، 305 أ ، 321 أ ،
 322 ب .
 • النوي : 83 أ .
 • النيروز : 182 أ ، 338 ب .
 • نيسابور : 122 أ ، 138 أ ، 164 أ ،
 230 ب ، 332 أ .

• نرجس : 93 أ .
 • النرد : 202 ب .
 نزار بن معد بن عدنان : 261 أ .
 • نزل ، منزلة (ثياب -) : 209 أ .
 • النساء : 241 أ ، 241 ب .
 • النسائي : 15 أ ، 164 أ .
 • النسيئة : 155 أ .
 نسيم غلام البحري : 340 ب .
 • النصيحة : 331 ب .
 نصر : 228 أ .
 • نصراني : 104 أ ، 271 أ ، 287 ب ،
 298 ب ، 314 أ ، 326 أ .
 • النصرانية : 250 ب .
 نصر بن مالك بن الحيثم : 300 أ .
 النضر بن شميل : 165 ب - 167 أ ،
 236 أ .
 النظام : (انظر ابراهيم) .
 • [النظافة] : 90 أ .
 النعمان بن المنذر : 149 أ ، 259 ب ،
 335 أ .
 نعيم بن ميسرة النحوي الكوفي :
 12 ب .
 • نطح الحائط : 275 أ .
 • النفط : 115 أ ، 312 ب .
 نقفور (ملك الروم) : 89 ب ، 90 أ .
 • النفاضات ، النفضة : 134 أ .
 • النفس : 222 ب .

• التليك : 98 ب ، 202 ب ، 205 أ ،
337 ب ، 338 أ .

* نيماء : 256 ب .

— ه —

الهادي (الخليفة) : 3 أ ، 5 ب ، 6 أ ، 6 ب ،
12 أ ، 23 أ ، 37 ب ، 84 ب ،
85 أ ، 105 ب ، 119 ب ، 120 أ ،
157 ب ، 158 أ ، 272 ب ، 301 أ ،
344 ب ، 351 أ .

هارون بن المأمون : 253 ب ، 272 ب .

هارون الرشيد الخليفة : 3 أ ، الباب
الاول 94 أ ، 351 أ .

هاشم : 62 ب .

هاشم بن عبد مناف : 168 ب .

• الهاشمية : 49 ب .

الهبيري : (انظر ابراهيم بن عبد الله) .

هدبة بن خالد : 139 أ .

هدبة : 107 أ .

• هدية : 22 ب .

هذيل : 169 أ .

هرثمة بن أعين : 5 أ ، 93 ب ، 114 أ ،

114 ب ، 115 أ ، 116 أ ، 117 أ ،

118 ب ، 131 أ ، 131 ب ،

137 ب ، 345 أ .

* هرقل : 89 ب .

• هرم : 246 أ .

هرمس : 224 ب ، 225 أ ، 247 ب .

هشام بن السائب : 255 أ .

هشام بن عبد الملك : 42 أ ، 58 أ ،

58 ب ، 142 ب ، 143 ب ،

299 أ ، 299 ب .

هشام بن عروة : 23 أ ، 167 أ ،

292 ب .

هشام بن عمر الثعالبي : 343 ب .

هشام بن قيراط : 203 ب .

هشام الخطيب : 161 أ ، 161 ب .

هشيم بن بشير : 120 أ ، 163 ب ،

166 أ ، 167 أ ، 241 ب ، 284 ب ،

300 ب .

هلال بن أسد بن إدريس : 320 أ .

هلال بن يحيى : 23 أ .

• همدان : 145 ب ، 262 أ ، 343 ب .

• هن : 98 أ .

هنيئة القيسي : 330 أ ، 331 أ .

* الهند : 58 أ ، 122 ب ، 225 أ .

الهياطلة : 124 ب .

الهيثم : 301 أ .

— و —

الوائق : 92 ب ، 94 أ ، 206 ب ،

284 أ ، 291 أ ، 291 ب ، 305 ب

الوائقي : 304 أ .

* واسط : 27 أ ، 69 ب ، 199 أ .

الواسطي : 237أ .

* واصل : 69ب .

* الوضوء : 242أ .

الواقدي : 214ب ، 215أ .

الوحوش (غناء ابراهيم بن المهدي صفت

اليه الوحوش اليه) : 105أ ، في الدر

101أ .

الوراقون : 325ب .

* ورق : 277ب .

وزن (أشعار موزونة) : 224ب .

وزعة : 53ب .

* وشاح : 264ب .

وشاية [سياسية] : 323ب .

* وصية : 257ب .

وصيف التركي : 291ب ، 255أ ،

313ب .

* الوطن : 205ب .

* وعد : 327أ .

* وقف : 336أ .

وكل ، موكل : . . 207أ ، 248ب .

وكيل . . (عائشة) : 237ب .

والبة بن الحباب : 43ب ، 44أ .

الوليد بن طريف الشيباني : 30أ ، 31أ .

الوليد بن عبد الملاك : 54ب ، 55أ ،

92ب .

وهبان : 280أ .

- ي -

ياجوج وماجوج : 72ب .

ياسر : 212ب .

ياروك : 111ب .

* اليأس : 309ب .

اليافعي : 88ب ، 146ب ، 153ب ،

157ب ، 199أ ، 291أ .

* اليتيم : 257ب ، 281ب .

يحيى : 238أ .

يحيى بن أكرم القاضي : 120أ ، 130أ ،

173أ ، 178ب ، 180أ ، 180ب ،

205ب ، 241أ ، 241ب ، 243أ ،

242أ ، 245أ ، 253ب ، 305أ ،

319أ ، 319ب .

يحيى بن الجون العبدي : 185أ .

يحيى الحرشي : 345ب .

يحيى بن خاقان : 153ب ، في الدر :

120أ .

يحيى بن خالد البرمكي : 3ب ، 5أ ، 6أ ،

6ب ، 30ب ، 37ب ، 38أ ، 38أ ،

59أ ، 59ب ، 70أ ، 133ب ،

134ب ، 135ب ، 158أ ، 285أ .

يحيى بن زرياب : 187أ .

يحيى بن زياد : انظر القراء .

يحيى بن سعيد : 14ب ، 17أ .

يحيى بن عبد الله بن الحسن بن حسن بن

علي : 11أ ، 60ب .

يحيى بن يحيى : 16 ب .
 يحيى بن معد بن قطن : 175 أ .
 يحيى بن معين : 22 ب ، 170 أ .
 يحيى بن يزيد التوكلي : 15 ب ، 16 أ .
 يحيى بن يعمر : 238 أ ، 238 ب .
 يزجرد : 143 ب .
 يزيد بن حاتم بن قبيصة : 344 أ ، 344 ب .
 يزيد بن زاد بن فروخ : 136 أ .
 يزيد بن عبد الملك : 92 ب .
 يزيد بن محمد المهلب : 342 أ .
 يزيد بن مزيد الشيباني : 30 ب ، 31 أ ، 34 أ ، 50 أ ، 345 ب .
 يزيد بن معاوية : 20 ب ، 92 ب ، 143 ب .
 يزيد بن الوليد : 92 ب .
 يزيد السلمي : 344 أ .
 اليزيدي : 120 أ ، 209 ب ، 216 أ ، 216 ب ، 295 أ .
 يعرب : 287 ب .
 يعقوب (عليه السلام) : 144 أ ، 238 أ .
 يعقوب بن ابراهيم الدورقي : 301 أ .
 يعقوب بن السكيت : 483 ب ، 321 ب .
 يعقوب بن طهماز : 188 أ .
 يعقوب بن فزارة : 347 ب .
 يعقوب الخريمي : 186 ب .

اليمانية : 12 أ ، 218 أ ، 33 أ .
 * اليمن : 49 أ ، 81 أ ، 83 أ ، 131 أ ، 163 أ ، 168 ب ، 169 ب ، 170 ب ، 174 ب ، 345 ب .
 * يمن : 11 ب ، 22 أ ، . . وانظر أمان .
 * يهودي : 297 ب ، 298 أ .
 يوسف : 247 ب .
 يوسف بن عطية : 120 أ ، 241 ب ، 242 أ .
 يوسف بن محمد المروزي : 241 ب .
 يوسف بن يعقوب : 329 ب .
 يوسف الصديق : 292 ب .
 * اليونان : 224 أ ، 228 أ ، 229 أ ، 238 ب .
 يونس : 53 ب ، 238 ب .
 يونس بن حبيب : 54 ب ، 70 ب .
 يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة : 158 ب .
 * آيات قرآنية : 35 ب ، 72 ب ، 80 ب ، 175 أ ، 177 ب ، 200 أ ، 200 ب ، 238 أ ، 240 أ ، 250 أ ، 251 أ ، 270 أ ، 276 أ ، 291 أ ، 292 أ ، 298 أ ، 298 ب ، 299 أ ، 299 ب ، 328 ب .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

- 3 -

فهرس الشعر
في

كتاب دولة الرشيد من بني العباس وبنيه

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|--------|--------------------------------------|--------|
| أشياء | البسيط | أبو نواس | 103 ب |
| بكاء | البسيط | ضعف | 108 ب |
| وزنأ | البسيط | أبو نواس | 182 ب |
| الدأ | الطويل | أبو نواس | 102 أ |
| الأعداء | الطويل | البحري | 340 ب |
| بالدأ | البسيط | حنس بنص | 322 أ |
| الأحشاء | الكامل | ابن الزيات الوزير | 287 ب |
| الطائي | الكامل | الحسن بن وهب ، وقيل ديك الجن | 287 ب |
| بيضاء | الكامل | عبد الله بن المعتز | 315 أ |
| الحياو | الوافر | أبو نواس | 47 أ |
| للعلماء | الطويل | بعضهم | 26 أ |
| وورائه | الكامل | ابن عروة المدني | 166 ب |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-----------|--------------|--------------------------------------|--------|
| ب - | | | |
| كلِّبًا | الطويل | خالد بن يزيد بن معاوية | 204ب |
| متحبِّبًا | الطويل | يحيى بن أكتم | 177أ |
| عجيبًا | مجزوء الرمل | عيسى بن عبد الله المراكبي | 203أ |
| الأدبًا | المنسرح | ابن عبده الأسدي | 166ب |
| من غلبًا | البسيط | ابراهيم بن المهدي | 209ب |
| ضروبًا | مجزوء الرمل | عيسى بن عبد الله المراكبي | 205أ |
| واله | مجزوء الكامل | علي بن [أبي] ثابت | 44أ |
| نصيبُ | مجزوء البسيط | رجل | 152ب |
| حزبُ | المجتث | ابراهيم بن المهدي | 107ب |
| المتجنبُ | الطويل | مصعب | 46ب |
| يُعذَّبُ | الطويل | اسماعيل بن جامع | 11ب |
| ضربوه | مجزوء الرمل | كثير بن خالد الامين | 93أ |
| غالبه | الطويل | صوت لحكم الوادي | 9أ |
| سكوبُ | المخفيف | الرشيد | 75ب |
| لعازِبُ | الطويل | شاعر | 269أ |
| يتنسبُ | المنسرح | عبد الصمد بن المعذل | 278أ |
| الكتب | الطويل | دعبل | 255ب |
| ويستجيبُ | الوافر | جارية | 244أ |
| ذنوبُ | الطويل | محمد بن مسلم الشعري | 178ب |
| متقربُ | الكامل | عريب | 201أ |
| تعلبُ | الكامل | العلاف | 329ب |
| مُنذِبُ | الطويل | شاعر | 269أ |
| السحابُ | مخلع البسيط | محمد بن حازم | 280أ |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-------------|--------------|--------------------------------------|--------|
| تعجبُ | المتقارب | عبد الله بن معاوية | أ١64 |
| يَعْدُبُ | السريع | محمد بن حازم | أ٢81 |
| الْمُنْبِ | السريع | محمد بن حازم | ب281 |
| نصيبُ | مخلع البسيط | محمد بن حازم | ب281 |
| حَجِبُ | البسيط | أبو تمام | أ٢86 |
| مناهُ | الطويل | ضُعب | أ١08 |
| حُبة | الرجز | الشافعي | أ١71 |
| تعبه | رجز | امراة الشافعي | أ١71 |
| الرُّطْبِ | مجزوء الوافر | أبو العتاهية | أ١44 |
| المخضِبُ | الطويل | مروان بن أبي حفصة | ب48 |
| معذِبُ | الرجز | مسلم بن الوليد | أ١35 |
| المُخْرَابِ | أبو نواس | الخفيف | ب91 |
| كربِ | المنسرح | عبد الله بن أيوب التميمي | ب92 |
| والخربِ | بسيط | بعضهم | ب93 |
| جانبِ | الطويل | الرشيد | أ١89 |
| الأريبِ | الخفيف | ابراهيم بن المهدي | أ٢08 |
| عريبِ | الوافر | بعض الشعراء | ب203 |
| الكلابِ | الوافر | آخر | ب204 |
| صباياتي | البسيط | أبو نواس | ب103 |
| أو ثعلبِ | المتقارب | أبو بكر بن أبي الازهري | ب328 |
| وكاذبها | المنسرح | أبا نواس | ب330 |
| والترِبِ | البسيط | جحظة البرمكي | أ١335 |
| ولا عربِ | المديد | أبو السمط مروان | أ١338 |
| الأحبابِ | الخفيف | بعض أصحاب اسحاق الموصلي | أ٢85 |
| الطَّرِبِ | الطويل | سعيد | أ٢83 |

| الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | البحر | القافية |
|--|---------|------------|
| أ276 | الطويل | الحب |
| أ269 | البسيط | السَّكَب |
| ب199 | البسيط | الذهب |
| ب188 | البسيط | والذَّيْب |
| ب216 | السريع | الباب |
| ب180 | المنسرح | الحَسَب |
| أ182 | السريع | التَّصْلِي |
| ب338 | الرملي | مَغْضَبَه |
| أ321 | الوافر | الشباب |
| ب280 | الكامل | وذياب |
| أ281 | الوافر | للحساب |
| ب281 | الوافر | الشَّباب |
| ب105 | المقارب | منها به |
|  مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اطلاع رسانی | | |
| أ137 | الوافر | أزلت |
| أ57 | الطويل | وظبة |
| أ13 | الوافر | جریت |
| ب271 | الطويل | لا أتلفت |
| أ235 | الرجز | بآفات |
| ب195 | البسيط | واللَّيْت |
| ب101 | البسيط | السموات |
| أ74 | الوافر | النَّائحات |
| أ105 | السريع | مُت |
| ب88 | الكامل | قد أتى |

| الصفحة | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | البحر | القافية |
|--------|--------------------------------------|--------|---------|
| 85ب | والدُّ البنين | الطويل | منيتي |
| 85ب | والد البنات | الطويل | وتعلت |
| 9ب | [الخنساء] | الطويل | اقشعرت |
| 160ب | ابن بواب الحاجب | الطويل | استحلّت |
| 119ب | الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع | الطويل | استحلّت |
| 273أ | صوت | البسيط | اقتربت |
| 315ب | عبد الله بن المعتز | البسيط | ومن آت |

- ج -

| | | | |
|------|--------------|--------|---------|
| 153أ | آت | البسيط | الفرجاء |
| 276ب | منشد | البسيط | فرجاء |
| 276ب | محمد بن بشير | البسيط | اللججاء |
| 333ب | ابن دريد | الرجز | اللججى |
| 268ب | شاعر مجهول | الكامل | المخرج |
| 72ب | بهلول | البسيط | الفرج |
| 231ب | مغنية | الكامل | المهج |

- ح -

| | | | |
|------|-----------------|--------------|---------|
| 212ب | مخارق | مجزوء الرمل | لاحا |
| 100ب | أبو نواس | البسيط | كلحا |
| 333ب | ابن دريد | الرجز | صالح |
| 295ب | جرير | الوافر | بالنجاح |
| 322أ | حنين بن نص | الطويل | نبطع |
| 162ب | الحسن بن وهب | رجز | وأقداح |
| 56ب | ذو الرمة | الطويل | المبرح |
| 43ب | والبة بن الحباب | مجزوء الكامل | الرماح |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|----------|--------|--------------------------------------|--------|
| اللائح | الكامل | بعض الشعراء | 205 ب |
| صالح | الكامل | أبو مُحَلِّم | 206 أ |
| الأقداح | الخفيف | عبد الله بن طاهر | 220 أ |
| برحي | الطويل | أبو نواس | 217 ب |
| بالرَّاح | البسيط | عبيد بن الأبرص | 97 أ |
| الأصلح | السريع | شاعر | 196 أ |

— د —

| | | | |
|----------|--------------|----------------------------------|-------|
| جوادًا | الوافر | عدي بن الرقاع | 55 أ |
| عبدًا | البسيط | عمر بن أبي ربيعة | 9 أ |
| الحديدًا | الخفيف | عبد الله بن طاهر ، وقيل لغيره | 332 أ |
| وزادا | الوافر | مروان بن أبي حفصة | 51 ب |
| جدًا | الرجز | بعض الشعراء | 234 أ |
| قصداً | الطويل | حماد | 218 أ |
| وعديداً | الكامل | أبو تمام | 285 ب |
| واحدة | المتقارب | حماد عجرد | 186 ب |
| رقدوا | البسيط | العباس بن الأخف | 39 ب |
| برد | مجزوء الوافر | حماد عجرد | 184 ب |
| وأجود | الطويل | صوت | 273 ب |
| أحمد | الطويل | عبد الله بن المعتز | 315 أ |
| الفرد | البسيط | سماعيل بن جامع | 9 أ |
| المشيد | الوافر | مسلم بن الوليد | 34 أ |
| الوالد | الكامل | العباس بن الاحنف | 40 أ |
| زائده | رجز | عمرو بن ثابت | 133 أ |
| وأسعدا | الطويل | الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع | 119 ب |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|----------|---------|--------------------------------------|--------|
| الجود | البسيط | مسلم بن الوليد | أ35 |
| واحد | السريع | أبو نواس | ب42 |
| بالمهدود | الخفيف | ابن منذر | ب58 |
| والولد | المنسرح | اسحاق الموصلي | أ94 |
| لم يعد | المنسرح | ذناتير | أ38 |
| الحاشد | السريع | الفضل بن يحيى | أ43 |
| ما تجدي | السريع | المأمون | أ216 |
| المُسند | السريع | ابن منذر | أ59 |
| لا يُجدي | الطويل | بذل | ب94 |
| وحدي | الطويل | بذل | ب94 |
| وسهادي | الكامل | أبو نواس | ب98 |
| يجتدي | الطويل | الرقاشي ، وقيل أبو نواس | أ60 |
| الولد | المنسرح | أبو بكر العلاف الضرير | ب110 |
| بالمهد | الطويل | ابن البواب الحاجب | أ160 |
| الأسد | البسيط | عبد الصمد بن المعذل | ب163 |
| أبو زياد | الوافر | المأمون | ب164 |
| بواحد | الطويل | الشافعي متمثلاً | أ166 |
| ليبد | الوافر | الشافعي | أ171 |
| برد | الطويل | حماد عجرد | ب185 |
| داوود | البسيط | بشار بن برد | أ188 |
| والإبعاد | الكامل | النظام | أ235 |
| عهدي | الطويل | أبو السمط مروان | أ323 |
| بالجدود | الخفيف | أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي | أ331 |
| بعدي | الكامل | شاعر | أ340 |
| تجدد | الطويل | أبو تمام | ب285 |

| الصفحة | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | البحر | القافية |
|--------|--------------------------------------|-------------|-----------|
| أ296 | مكتوب | الكامل | البارد |
| أ296 | مكتوب | الكامل | الحاسد |
| أ335 | جحظة البرمكي | البسيط | والبعدي |
| ب338 | علي بن الجهم | الخفيف | عيد |
| ب283 | طنين | الخفيف | وجود |
| ب305 | الوائق | الوافر | فزده |
| ب201 | الشاعر | الوافر | ولا تعدّي |
| أ217 | أبو نواس | البسيط | كالورد |
| ب279 | أبو تمام | البسيط | في العدد |
| أ276 | عليه | البسيط | الابد |
| أ283 | سعيد | الطويل | عندي |
| أ219 | علوية | الطويل | ويغته |
| ب231 | سهل بن هارون | الكامل | أبدي |
| ب341 | مجزوء الرمل | مجزوء الرمل | وغد |

- ذ -

| | | | |
|------|---------------|--------|------|
| ب215 | اسحاق الموصلي | الكامل | نافذ |
|------|---------------|--------|------|

- ر -

| | | | |
|------|----------------|----------|-----------|
| ب217 | اسحاق الموصلي | الوافر | ساراً |
| أ109 | طاهر بن الحسين | الوافر | إزاراً |
| ب184 | بشار | السريع | العنبراً |
| ب187 | حماد عجرد | السريع | الأشعاراً |
| ب340 | محمد بن علي | المتقارب | المهجرأ |
| أ338 | مروان | الطويل | الشعراً |
| ب115 | طاهر بن الحسين | الوافر | الكياراً |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-------------|--------------|--------------------------------------|--------|
| أذفرًا | السريع | أبو الشمقمق | أ31 |
| ما قَدَرًا | البسيط | أبو نواس | أ44 |
| قد حارًا | المديد | بريح | أ29 |
| القَدَرًا | البسيط | شاعر | أ269 |
| غفورًا | الطويل | أبو نواس | ب102 |
| معتلًا | المنسرح | المأمون | أ236 |
| أُتَجَبَّرَ | الطويل | أبو السمط مروان | أ336 |
| سُرِّي | مجزوء الكامل | قائل | ب84 |
| ناشرٌ | الطويل | الامين | أ104 |
| حُضِرَ | الطويل | أبو نواس | أ103 |
| تناحروا | الطويل | الأحنف بن قيس | أ294 |
| صَقَرٌ | الرجز | شاعر | أ70 |
| السَّهَارُ | الوافر | مصعب | أ46 |
| الوقارُ | الوافر | أبو نواس | أ46 |
| بعيرٌ | الطويل | أعرابي | ب61 |
| طائرُه | الطويل | أعرابي | ب61 |
| المقابرُ | الطويل | أعشى طرود | ب62 |
| قرارُ | الوافر | الرقاشي | أ46 |
| الإقصارُ | الكامل | العباس بن الأحنف | ب39 |
| الأخطارُ | الكامل | مسلم بن الوليد | أ34 |
| يا عمرو | الطويل | عمرو بن معدي | أ10 |
| يتنظَرُ | مجزوء الوافر | أبو العتاهية | أ88 |
| الضررُ | مجزوء الوافر | أبو العتاهية | أ88 |
| ضربُ | الطويل | حماد عجرد | ب188 |
| المسافرُ | الطويل | الشاعر | أ180 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-----------|--------------|--------------------------------------|--------|
| زاجرٌ | السريع | أبو نواس | أ101 |
| السُّرُّ | الكامل | أبو نواس | ب101 |
| نَهَارٌ | المنسرح | أبو نواس | ب216 |
| أحاذرُ | مجزوء الكامل | ابراهيم بن العباس | ب162 |
| غيورٌ | الطويل | الفضل بن الربيع | أ158 |
| كثيرٌ | الطويل | حماد عجرد | أ185 |
| ناشرٌ | الطويل | قال بعضهم | ب119 |
| أطيرُ | الخفيف | أبان اللاحقي | ب278 |
| المطرُ | البسيط | محمد بن بشير الرياشي | أ278 |
| خيرٌ | السريع | حماد عجرد | ب186 |
| يُدارُ | الوافر | عبد الله بن طاهر | ب220 |
| لا تجسُرُ | مقارب | عريب | ب200 |
| الجهنُّ | الطويل | أبو نواس | أ101 |
| مَخدورٌ | البسيط | ابراهيم بن المهدي | ب211 |
| أسيرٌ | الكامل | ابراهيم بن المهدي | ب208 |
| السُّرُّ | الطويل | أبو تمام | ب261 |
| ومحتضره | المديد | العكوك | ب188 |
| بسرُه | المجث | شاعر | ب267 |
| صغرةٌ | السريع | الرشيد | ب75 |
| وقار | الطويل | أبو نواس | ب101 |
| أو شاعرٍ | السريع | رجل | أ26 |
| في نارٍ | السريع | أبو نواس | أ101 |
| الدهرُ | الطويل | الجنبي | ب51 |
| رَجُلٌ | البسيط | الأعشى | ب210 |
| ولا يدري | السريع | أبو يعقوب الخريمي | ب25 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|--------------|--------------------------------------|--------|
| المخبر | الكامل | مسلم بن الوليد | أ35 |
| منظر | الطويل | محمد بن مناذر | أ59 |
| بأطهار | البسيط | الأخطل | ب244 |
| غزير | المتقارب | النظام | أ235 |
| الشّاري | الرجز | الوليد بن يزيد | أ31 |
| أمير | الطويل | أبو نواس | ب103 |
| إن ظهر | المتقارب | شاعر | ب267 |
| القدر | مجزوء السريع | الامين | ب115 |
| عذري | السريع | ابراهيم بن العباس | ب162 |
| النّار | السريع | بشار بن برد | ب187 |
| الكبائر | الطويل | أبو نواس | ب99 |
| الكافر | السريع | حماد عجرد | أ187 |
| دار | السريع | أبو هشام الباهلي | ب187 |
| المشير | المتقارب | قيل | أ113 |
| والخدور | الوافر | هاتف | ب251 |
| فكري | الكامل | أبو العتاهية | ب181 |
| والقفير | الطويل | الشافعي | ب169 |
| الكبير | مجزوء الكامل | ابراهيم بن المديبر | ب341 |
| والبصر | البسيط | العباس بن الأحنف | ب39 |
| الصّخر | الطويل | شاعر | أ267 |
| الدّثر | الكامل | محمد بن حازم | أ282 |
| عسير | الوافر | أبو نواس | ب103 |
| الثغور | الوافر | بعض الشعراء | ب6 |
| بمطهر | الطويل | خزّيمة بن الحسين على لسان زبيدة | أ118 |
| يُسّر | الكامل | حماد عجرد | ب185 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-----------|--------------|--------------------------------------|--------|
| قبري | الطويل | غناء | 215 ب |
| صدرى | الطويل | حماد عجرد | 186 أ |
| ثغري | الوافر | العرجبي الشاعر | 166 أ |
| الناضري | السريع | ابراهيم بن المهدي | 117 ب |
| الشغري | الطويل | أبو نواس | 42 ب |
| على القبر | الطويل | مسلم بن الوليد | 35 أ |
| بحجر | الرمل | حماد عجرد | 186 أ |
| الصغير | مجزوء الرمل | محمد بن بشير الرياشي | 277 ب |
| المطر | البسيط | عبد الله بن المعتز | 314 ب |
| والغدير | الطويل | أبو السماط مروان | 307 ب |
| فاتر | الطويل | عمرو بن الاثم | 294 ب |
| بخمر | مخلع البسيط | محمد بن حازم | 280 أ |
| السكّر | الكامل | عبد الصمد بن المعتز | 278 ب |
| المقابر | مجزوء الكامل | أبي الهادي | 85 أ |

- ص -

| | | | |
|---------|---------|-----------------|-------|
| القلانس | الطويل | أبو نواس | 102 أ |
| والأنفس | الكامل | أبو العميل | 333 أ |
| عُرس | المنسرح | أبو نواس | 90 ب |
| مرفوس | البسيط | جرير | 54 ب |
| وسواسي | المنسرح | أحمد بن نعيم | 176 ب |
| والناس | البسيط | شاعر | 149 أ |
| الذئب | السريع | حماد عجرد | 187 أ |
| رأسي | السريع | والبة بن الحباب | 43 ب |
| إياس | الكامل | أبو تمام | 286 ب |

| القالبة | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|----------|--------------|--------------------------------------|--------|
| بقياس | الكامل | أبو نواس | 101ب |
| والباس | الكامل | أبو تمام | 287أ |
| الأخرس | الكامل | شاعر | 293أ |
| النواقيس | البسيط | اسحاق بن ابراهيم الموصلي | 275أ |
| الياس | الكامل | العباس بن الأحنف | 201ب |
| المأسوس | الخفيف | أبو سعيد المخزومي | 253أ |
| الذنس | مجزوء الكامل | شاعر | 149أ |

- ص -

| | | | |
|---------|--------------|--------------|------|
| بالعصا | السريع | أبو نواس | 103أ |
| وتخرص | الكامل | أبو نواس | 103أ |
| التنقيص | الرمل | أبو العتاهية | 184أ |
| وانتقاص | مجزوء الكامل | حماد عجرد | 187أ |

مركز تحقيق وتطوير نصوص

| | | | |
|---------|----------|----------------------------|------|
| الغصنا | الرجز | سعيد | 283أ |
| مبضي | المتقارب | سعيد | 283أ |
| القريضا | الكامل | أبو تمام | 287ب |
| يبعض | الوافر | أبو عبد الله الحسين النمرى | 329ب |
| والناهض | الكامل | الشافعي | 171ب |

- ط -

| | | | |
|---------|---------|-------------------------|------|
| لا يغلط | الكامل | أبو العميشل | 333أ |
| قنوط | العلويل | آبن حكيمة راشد بن اسحاق | 176ب |

القافية البحر الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر الصفحة

- ع -

| | | | |
|------|-------------------------|-------------|---------|
| ب5 | بعض الشعراء | البسيط | طلعا |
| أ10 | عمرو بن أبي ربيعة | الطويل | تتقنا |
| ب189 | حماد عجرد | الرملي | جزعا |
| أ277 | محمد بن بشير الرياشي | البسيط | قد ترعا |
| أ111 | في المقتدر | الوافر | ساعة |
| ب282 | محمد بن حازم | الكامل | ما يصنع |
| أ267 | آخر | الطويل | الطبائع |
| ب219 | المأمون | الطويل | وتمتع |
| ب186 | حماد | مجزوء الرمل | رقيع |
| أ179 | مكتوب علي حاجر | الطويل | يصنع |
| ب172 | أبو بكر بن محمد بن دريد | الطويل | لوامع |
| أ137 | ابن أيوب التميمي | الطويل | صنائع |
| ب98 | عجوز | الطويل | ينفع |
| ب315 | عبد الله بن المعتز | المتقارب | مطمع |
| ب53 | راجز | الرجز | خرّوع |
| أ54 | رؤبة | الرجز | تقنع |
| أ164 | شاعر | الطويل | لجزوع |
| أ208 | ابراهيم بن المهدي | الكامل | طامع |
| أ97 | أبو نواس | المتقارب | البرقع |
| ب315 | أبو نواس | الخفيف | فضيع |
| ب331 | الكامل | أبو العميل | وآسمع |
| أ283 | سعيد | الطويل | ومسمع |
| أ37 | شاعر | الطويل | جائع |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|-------------|--------------------------------------|--------|
| تدمعُ | مجزوء الرمل | أبو الشيص | أ90 |
| وقعَ | الرجز | شاعر | أ68 |
| مذيعُ | المتقارب | المأمون | أ244 |

- ف -

| | | | |
|------------|---------------------|--------------------------|------|
| أسفاً | البسيط | أبو العالية | أ236 |
| ضعيفُ | الكامل | الشافعي | أ171 |
| لا يُساعفُ | مجزوء الخفيف مكتوبُ | | أ211 |
| التلفُ | الكامل | الحسين بن الضحّاك الخليل | أ161 |
| حفر | المتقارب | أبو نواس | ب104 |
| السُّيوفِ | الكامل | سعدون المجنون | ب73 |
| فأنكشف | المتقارب | جارية | ب106 |
| المنيفة | الرجز | غلام | ب243 |
| وصُفوفٍ | الطويل | ليلي أخت الوليد بن يزيد | ب31 |
| يكفي | السريع | عليه | ب275 |
| يكف | البسيط | سعيد | ب283 |

- ق -

| | | | |
|------------|--------|---------------|------|
| حقاً | الطويل | المعتضد | ب352 |
| إذ خفقاً | المديد | علي بن المنجم | أ337 |
| تصديقُ | السريع | المريسي | ب236 |
| مخلوقُ | البسيط | بعض الشعراء | أ237 |
| أحمقُ | الطويل | شاعر | ب267 |
| ولا يتخرقُ | الطويل | عليه | أ276 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|----------|--------------------------------------|--------|
| أرزاق | البسيط | حنيف بن نص | أ322 |
| لا تغرق | المتقارب | مقدس الخلوفا | أ133 |
| يا مارق | المتقارب | أبو السمط مروان | أ338 |
| توفيق | البسيط | أبو العتاهية | ب319 |
| لأحمق | الطويل | دعبل الخزاعي | أ286 |
| طروق | الطويل | عمرو بن الاثم | أ294 |
| والمابق | السريع | بشار | ب184 |
| الطريق | الوافر | المأمون | ب195 |
| وضيق | الوافر | جارية | أ196 |
| الحناق | الخفيف | آت | ب262 |
| دقيق | الطويل | أبو نواس | ب103 |
| انطلاق | الوافر | يزيد بن محمد المهلب | أ342 |
| يشرق | الكامل | ابن دريد | ب333 |
| عريق | الطويل | أبو نواس | ب102 |
| المتقي | الطويل | أبو نواس | ب102 |
| ضيق | الكامل | الشافعي | أ171 |
| البرق | الرجز | لبراهيم بن اليزيدي | أ205 |
| وشقائق | الطويل | أبو ناجية | ب335 |
| موفق | الكامل | الشافعي | أ171 |
| الأنبي | الوافر | بعضهم | ب115 |
| نفترق | المتقارب | النظام | أ235 |
| الخرق | الوافر | حنيف بن نص | أ322 |

— ك —

| | | | |
|------|--------|--------|-----|
| أراك | الخفيف | الامين | أ93 |
|------|--------|--------|-----|

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|--------------|--------------------------------------|--------|
| يأتينا | معجزو الكامل | سعدون المجنون | 73ب |
| والحركة | المنسرح | عبد الصمد بن المذلل | 278ب |
| ناظريلك | المتقارب | علي بن سليمان الأخفش | 203ب |
| أرك | معجزو رجز | أبو العتاهية | 182ب |
| ملك | البسيط | الوائق | 303ب |
| سوالك | الوافر | العباس بن الاحنف | 40أ |
| الدرك | المنسرح | ضعف | 108ب |
| السالك | الرجز | أبو مهدي الثعالبي الجزيري | 18أ |
| صلتلك | المنسرح | أبو تمام | 286ب |

ح -

| | | | |
|----------|-------------|------------------------------|------|
| يلالا | الوافر | عدي بن الرقاع | 55ب |
| نوالا | الوافر | مروان بن أبي حفصة | 48أ |
| الزوالا | الوافر | مروان بن أبي حفصة | 47ب |
| وطولا | المتقارب | ابراهيم بن العباس | 161ب |
| حالا | الكامل | أبو العتاهية | 182ب |
| والجمالا | الوافر | ابن عباس | 241أ |
| طويلا | الخفيف | محمد بن حازم | 282ب |
| قليل | الخفيف | عبد الله بن طاهر، وقيل لغيره | 332أ |
| مجللا | الكامل | أبو الشمقمق | 33ب |
| قليل | الطويل | حكيم الوادي | 9ب |
| طويل | الطويل | جرير | 54ب |
| تقول | الطويل | عدي بن الرقاع | 54ب |
| النصل | الطويل | مسلم بن الوليد | 34ب |
| مطلول | معجزو الرمل | محمد بن يزيد الحيصني | 155ب |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|----------|----------------|--------------------------------------|--------|
| يزول | الكامل | ابن للرشيد | أ74 |
| قليل | الطويل | العتاهية | أ184 |
| قليل | الطويل | مغنية | ب231 |
| مال | الطويل | ابراهيم بن العباس | ب162 |
| عقل | مجزوء الوافر | بعض الندماء | أ220 |
| الأوَّيل | الطويل | المأمون | أ244 |
| قليل | الطويل | مُنشد | ب219 |
| والفضل | الطويل | مكتوب | ب270 |
| سبيل | البسيط | علية | أ276 |
| متَّصِل | البسيط | محمد بن حازم | ب280 |
| المعدَّل | تُمجزوء الكامل | الجمَّاز | ب279 |
| القلَّل | البسيط | الامام أبو الحسن العسكري | أ324 |
| أَجَمَل | الطويل | محمد بن البعث | أ312 |
| قالوا | الطويل | علوية | ب218 |
| خال | الطويل | العباس بن الاحنف | أ39 |
| الكَيَّل | البسيط | اسماعيل بن جامع | أ9 |
| سبيل | الطويل | إسحاق الموصلي | ب284 |
| قليله | الطويل | غيلان | ب98 |
| قاتله | الطويل | سيبويه | أ71 |
| عاملة | البسيط | عبد الله بن المعتز | ب315 |
| سؤاله | الكامل | أبو تمام | أ286 |
| ساحلة | الطويل | قييل | أ50 |
| مثله | المثقارب | عبد الله بن معاوية | ب63 |
| نؤمله | الطويل | مروان بن أبي حفصة | ب344 |
| حلُّها | الكامل | ابراهيم بن المهدي | ب208 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|-----------|--------------|--------------------------------------|--------|
| البطل | البسيط | مسلم بن الوليد الانصاري | أ32 |
| للمال | البسيط | المعلّى الطائي | أ155 |
| النّصل | الطويل | الكُميت | أ157 |
| ومطل | المديد | عقيد مولى صالح بن الرشيد | أ38 |
| والإرتحال | الخفيف | بعض الشعراء | ب60 |
| المشكامل | الكامل | الامين | ب95 |
| بالنعل | الكامل | أبو السمط مروان | أ323 |
| حال | البسيط | اسحاق الموصلي | أ107 |
| القبل | مجزوء البسيط | أبو نواس | أ103 |
| من الكحل | البسيط | مسلم بن الوليد | أ33 |
| ليالي | الكامل | أبو تمام | ب286 |
| الشمول | المنسرح | عبد الصّمد بن المعذل | أ279 |
| سبيل | الخفيف | عبد الصّمد بن المعذل | أ279 |
| حال | البسيط | الوائق تكملة لعلوم رسيدي | ب304 |
| النيل | الخفيف | البحثري | أ341 |
| شاغل | السريع | امرىء القيس | أ102 |
| الموصيل | الكامل | أبو السمط مروان | أ339 |
| ثمالة | الوافر | عبد الصّمد المعذل وقيل للمبرد | أ329 |
| فمن لها | الكامل | الحسن بن وهب | ب309 |
| لعلها | الكامل | سليمان بن وهب | أ310 |
| بالي | الطويل | عمرو بن الاهتم | ب294 |
| العالي | الكامل | أبو تمام | ب286 |
| الآمال | الكامل | أبو تمام | ب286 |
| مذال | الخفيف | عبد الصّمد بن المعذل | ب279 |
| البوالي | الخفيف | محمد بن بشير الرياشي | ب277 |

| الصفحة | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | البحر | القافية |
|--------|--------------------------------------|-------------|-----------|
| 268ب | شاعر | الكامل | الأعمال |
| 269أ | شاعر | الطويل | عقل |
| 220أ | عبد الله بن طاهر (لابن الرومي) | السريع | بلبل |
| 212أ | ابراهيم بن المهدي | مجزوء الرمل | الشَّمُول |
| 231ب | غناء | الكامل | الطويل |
| 202أ | ابن حمدون | الطويل | بالرُّذْل |
| 204ب | عريب | البسيط | زَلِّي |
| 189ب | حماد عجرد | المديد | حال |
| 185ب | جرير | الكامل | الاخلطل |
| 182أ | أبو العتاهية | السريع | عاجل |
| 162أ | ابراهيم بن العباس | الخفيف | وخيلى |
| 307ب | ابو السماط مروان | الكامل | يَحْطَل |
| 163ب | رجل | الطويل | ومفصل |
| 274ب | جوارير بن عيسى | الرجز | مُفَصِّل |
| 142أ | أبو نواس | الرمل | الأمل |
| 137أ | مجزوء المتقارب ابراهيم الصولي | | المثل |
| 182أ | مجزوء الكامل أبو العتاهية | | مُطَل |
| 44ب | أبو نواس | الخفيف | خَوَل |

- م -

| | | | |
|------|-------------|--------|------------|
| 32ب | معن | الرجز | والإقداما |
| 23أ | أبو يوسف | الطويل | أعلما |
| 9ب | جرير | الطويل | مُقَسِّمًا |
| 57ب | حاتم الطائي | الطويل | ومَطْطَعًا |
| 326أ | شاعر | الكامل | المذَمَّا |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|------------|--------------|--------------------------------------|--------|
| مظلومًا | الكامل | الشامي | 322ب |
| ومطعمًا | الطويل | رجل | 10أ |
| مُتَّهَمًا | الطويل | جارية | 97ب |
| أبا سلمه | البسيط | عبد الصّمد بن المعتل | 279أ |
| الإمامة | مجزوء الكامل | أبو السمط مروان | 323أ |
| متقدّم | الكامل | أبو نواس | 45أ |
| ظالم | الطويل | العباس بن الاحنف | 40أ |
| أعظم | الكامل | أبو نواس | 104ب |
| والحرّم | البسيط | الفرزدق | 142ب |
| البوم | البسيط | غلام | 165أ |
| عديم | مجزوء الرمل | مطيع بن إبّاس | 186ب |
| أم | الوافر | المأمون | 204أ |
| سمكوا | البسيط | سهل بن هارون | 232ب |
| الكلوم | الوافر | أبو العيلاء | 234ب |
| الاعظم | الكامل | بكر بن النطّاح | 261أ |
| إنّم | الطويل | مكي | 284أ |
| مقسوم | البسيط | حيص بنص | 322أ |
| البهائم | الطويل | أبو تمام | 287أ |
| ظلم | الكامل | جارية | 295أ |
| راغم | الطويل | العباس بن الاحنف | 40ب |
| ظلموه | مجزوء الرمل | التميمي | 93ب |
| اللاثام | الوافر | غيلان | 57أ |
| أهضم | الطويل | شاعر | 98أ |
| ولم أتم | المديد | الدلعجي غلام أبي نواس | 44أ |
| تعميم | الرجز | مروان بن أبي حفصة | 53ب |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|----------|--------------------------------------|--------|
| أهم | الكامل | شاعر | أ115 |
| حكيم | الخفيف | العباس بن الاحنف | أ41 |
| جناكُما | الطويل | حسنة | ب86 |
| السقم | المديد | أبو نواس | ب216 |
| بالسلام | المنسرح | يحيى بن أكتف | أ177 |
| الخيام | الوافر | شاعر | أ180 |
| ولم تلم | البسيط | ابراهيم بن المهدي | ب208 |
| دمي | البسيط | ابراهيم بن المهدي | ب208 |
| وفير | المديد | الحكم | ب220 |
| القديم | البسيط | المأمون | ب220 |
| القيم | الوافر | شاعر | ب268 |
| المتندم | البسيط | شاعر | ب268 |
| بقم | البسيط | شاعر | أ269 |
| سهمي | الخفيف | محمد بن بشر الراشي | ب277 |
| كريم | الوافر | محمد بن حازم | ب280 |
| أقم | المنسرح | خمزة بن بيض | ب166 |
| المعتم | الطويل | ابن سناء الملك | ب289 |
| الأجزم | الكامل | عنزة | أ102 |
| دمي | البسيط | أبو تمام | ب285 |
| المُسهم | الطويل | عريب | ب200 |
| سهمي | الكامل | شاعر | أ208 |
| سقي | المديد | عقيد | ب273 |
| حر أمة | المجث | المثوكل | أ323 |
| الظلم | المتدارك | المأمون | أ200 |
| تخلم | البسيط | البحثري | أ339 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|--------------|--------------------------------------|--------|
| مُنهزمٌ | مجزوء الكامل | الصيمري | 339ب |
| هشامٌ | السريع | ابراهيم بن العباس | 161ب |
| الغنمُ | الخفيف | بشار بن برد | 188أ |
| النعمُ | المتقارب | شاعر | 67ب |

— ن —

| | | | |
|-------------|--------------|----------------------------------|------|
| عَوَانَا | المتقارب | ابراهيم بن العباس | 162أ |
| آمينَا | البسيط | أبو نواس | 45ب |
| وأحزانَا | البسيط | أبو نواس | 41 |
| بعندَنَا | الطويل | جارية | 8أ |
| أبانَا | مجزوء الكامل | عبد الصّمد بن المعتز | 278ب |
| فَارَوَانَا | البسيط | جارية | 244ب |
| لا تصحّينا | الوافر | من العوام | 232أ |
| الظنَا | الطويل | المأمون | 244أ |
| المظنّة | مجزوء الكامل | محمد بن بشير الرياشي | 277أ |
| يكونُ | الخفيف | الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع | 119ب |
| حزينُ | الطويل | جرير | 55أ |
| رَضْوَانُ | البسيط | البحثري | 339أ |
| كائنُ | الطويل | محمد البعيث | 316أ |
| امتنانُ | الوافر | المأمون | 216ب |
| الدُّنَانِ | الوافر | عمرو بن شبة | 220ب |
| الحُزْنِ | الطويل | غناء | 231ب |
| ديني | | الامين | 93أ |
| قبضتني | الكامل | محمد بن بشير الرياشي | 277ب |
| والمتن | المنسرح | سهل بن هارون | 232ب |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|----------------|---------|--------------------------------------|--------|
| المأمون | الخفيف | جارية | أ252 |
| مفتون | البسيط | جارية | أ178 |
| الخافقين | الوافر | بعض أصحاب ابن أبي دؤاد | ب319 |
| مكان | الخفيف | الرشيد | أ204 |
| الزمان | الخفيف | مكتوب | ب85 |
| المساكين | السريع | ابن المبارك | ب83 |
| والسنن | المديد | أبو نواس | ب100 |
| الحداث | الطويل | أبو نواس | ب100 |
| الاذقان | الكامل | بعض العلماء | أ15 |
| شيبان | الكامل | مروان بن أبي حفصة | ب49 |
| الرحمان | الكامل | مروان بن أبي حفصة | ب49 |
| بالمجانين | البسيط | امرئ القيس | ب179 |
| الدين | البسيط | الشافعي | ب171 |
| والحزن | السريع | بذل | ب94 |
| مني | الرجز | امراة | أ51 |
| أعطاني | البسيط | مسلم بن الوليد | ب34 |
| لساني | الخفيف | الحرمازي | ب39 |
| السكن | الخفيف | أبو نواس | ب103 |
| ودين | الطويل | مروان | أ338 |
| والطون | المنسرح | ابن الزيات الوزير | ب291 |
| الهيمان ، تدان | الطويل | ابن الرومي | أ180 |
| يسقيني | البسيط | يحيى بن أكرم | أ178 |
| خراسان | السريع | بعضهم | ب264 |
| إذا لاقاني | الكامل | مروان | ب337 |
| الالوان | الكامل | شاعر | أ340 |

| القافية | البحر | الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر | الصفحة |
|---------|--------------|--------------------------------------|--------|
| هيجان | الطويل | عمر بن أبي ربيعة | أ9 |
| الختن | مجزوء الخفيف | محمد بن حازم الباهلي | ب199 |
| لم يكن | المتقارب | الشافعي | ب171 |

- ه -

| | | | |
|----------|--------------|--------------------------|------|
| الملاهي | مجزوء الوافر | أبو نواس | أ101 |
| يكفيها | البسيط | أبو العتاهية | أ182 |
| إدلالها | المتقارب | أبو العتاهية | أ183 |
| أذلالها | المتقارب | أبو العتاهية | أ183 |
| بزوالها | الطويل | شاعر | أ165 |
| دوره | مجزوء الكامل | ضعف | ب108 |
| مقتنيه | مجزوء الرمل | أبو نواس | أ107 |
| تتيه | مجزوء الرمل | عبد الله بن أيوب التميمي | أ93 |
| التيه | السريع | حماد عجرد | أ186 |
| يسميه | السريع | حماد عجرد | أ186 |
| ذكره | السريع | حماد عجرد | أ186 |
| بهجائيه | السريع | حماد عجرد | أ186 |
| ينساها | البسيط | قائل | ب38 |
| أو خالها | الكامل | ربيعة الرقي | 11 |
| ازدادها | الكامل | عدي بن زيد | ب54 |
| ساقبها | مجزوء الرمل | أبو نواس | ب103 |
| هلالها | الكامل | مروان بن أبي حفصة | أ48 |
| تاركه | الطويل | أبو العتاهية | ب181 |
| أمسه | السريع | بشار | ب184 |

القافية البحر الشاعر أو من جرى على لسانه ذلك الشعر الصفحة

- و -

| | | | |
|---------|--------------|------|------|
| واللبوة | مجزوء الوافر | زاغ | 178ب |
| العدو | الوافر | شاعر | 268أ |

- ي -

| | | | |
|-----------|-------------|--------------------|------|
| راضيًا | الطويل | الشاعر | 179ب |
| صافيًا | الطويل | ذو الرمة | 56ب |
| فؤاديًا | الطويل | ذو الرمة | 56ب |
| المساويًا | الطويل | عبد الله بن معاوية | 63ب |
| باديًا | الطويل | عمرو بن الاثم | 294أ |
| باديًا | الطويل | ذو الرمة | 56أ |
| المساويًا | الطويل | شاعر | 268ب |
| باديًا | الطويل | ذو الرمة | 98أ |
| النبي | الخفيف | أبو نواس | 142أ |
| عليه | الطويل | علوية | 218ب |
| يديه | الطويل | أبو العتاهية | 181ب |
| أهواي | البسيط | المأمون | 196أ |
| كل حي | الوافر | آت | 262ب |
| مضنية | المتقارب | عبد الله بن المعتز | 315ب |
| الدني | المتقارب | البحري | 340ب |
| قرشيه | مجزوء الرمل | مروان | 337ب |
| عليه | المعتمد | الوافر | 352أ |

- 4 -

المراجع

- ابن الاثير (-360 هـ) ، الكامل في التاريخ . القاهرة 1303 ، طبع دمشق (د . ت .) .
طبعة أوروبا 1876 ، طبعة القاهرة 1375 هـ .
ابن تغري بردي (-478 هـ) ، انظر النجوم الزاهرة .
ابن خلدون (-808 هـ) ، التاريخ والمقدمة ، دار الكتاب اللبناني .
ابن خلكان (-186 هـ) ، انظر وفيات الاعيان .
ابن طيفور (-280 هـ) ، أحمد بن أبي طاهر ، كتاب بغداد ، وصلنا منه الجزء السادس فقط ، حققه محمد زاهد الكوثري ، القاهرة 1949 .
ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، طبع أوروبا .
ابن العماد ، انظر شذرات .
ابن كثير (-477 هـ) ، البداية والنهاية ، طبع القاهرة 1932 .
أبو الفدا (276-237 هـ) ، عماد الدين بن اسماعيل ، المختصر في أخبار البشر ، المعروف بتاريخ أبي الفدا ، المطبعة الحسينية بمصر 1325 هـ .
ابن الوردي (-947 هـ) ، تكملة المختصر في أخبار البشر ، تاريخ ابن الوردي ط . بغداد 1969 . مجلدان ، دار المعرفة بيروت ، د . ت .
الاعلام للزركلي ، طبعة القاهرة 1954 .
الاغالبية ، انظر محمد اسماعيل . . وتاريخ مملكة الاغالبية .
الاغاني ، لابي الفرج الاصفهاني (-356 هـ) ومختصر الاغاني .
تهذيب ابن عساكر ، طبعة دمشق 1351 .
البلاذري ، فتوح البلدان ، طبع أوروبا 1866 .
تاريخ افريقية والمغرب ، للريق القيرواني (القرن الخامس) ، قطعة . . تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، نشر السقطي ، تونس 1967 .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (-463 هـ) ، طبعة القاهرة 1931 .

تاريخ الخميس في أحوال النفس والنفس للحسين بن محمد الديار بكري (-966هـ) ،
مجلدان ، طبع مصر 1283هـ .

تاريخ الخلفاء ، للسيوطي (-911هـ) ، القاهرة 1351هـ .

تاريخ ابن شداد ، الجمع والبيان في أخبار إفريقية والقيروان ، نقلا عن النويري ، نهاية
الارب ، ج 24 بتحقيق د . حسين نصار ود . عبد العزيز الاهواني ، القاهرة 1983 .

تاريخ الطبري (-310هـ) ، طبعة القاهرة 1939 .

تاريخ مملكة الاغالبية ، ابن وردان (كذا) ، دراسة وتقديم وتعليق د . محمد زينهم محمد
عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1988/1408 ، 87 ص . (هذا الكتاب غير جدير
ب عنوانه لا في الدراسة ولا في التقديم ولا في التعليق) .

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبد البر ، ط . المغرب 1967/1387 .

تهذيب ابن عساكر (-175هـ) ، التاريخ الكبير لابن عساكر ، تهذيب الشيخ بدران ،
دمشق 1346 ، ومختصر من التاريخ الكبير كذلك لابن منظور .

جمهرة المراجع البغدادية ، اعداد كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي ، بغداد
1962 .

الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، [هذا الكتاب نقل
بلفظه من المؤيد . . المجلد الثاني ، ص 7-21] ، دار الغرب الاسلامي 1985 .

حلية الاولياء وطبقات الاصفياء للحافظ أبي نعيم الاصفهاني (-430هـ) دار الكتاب
العربي ، ط 3 بيروت 1400/1985 (?) 1980 .

الخطوط للمقرئزي (548هـ) ، «ظفر بمسودة الاوحدي (-117هـ) فأخذها وزادها زوائد
غير طائلة» .

الخلافة العباسية ، فاروق عمر ، بغداد 1969 .

دول الاسلام ، للذهبي (-748هـ) ، حيدر آباد الدكن 1364هـ .

الدولة العباسية ، انظر شعبان عبد الحفي .

ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي للشلب ، تحقيق د . نوري حمودي القيسي ود . حاتم
صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي 1987/1407 .

ديوان مسلم بن الوليد ، طبع دار المعارف مصر .

ديوان ابي نواس .

الذهبي ، انظر دول الاسلام .

الرقيق ، انظر تاريخ إفريقية .

- سلوان المطاع لابن ظفر ، طبع تونس 1279 .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدسي .
- شعبان ، محمد عبد الحفي ، الدولة العباسية ، بيروت 1981 .
- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية المصرية . والطبعة الأوروبية .
- عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبع دار الكتب ، مصر .
- الفتح لابن أعثم الكوفي (314هـ) ، طبع حيدر آباد الدكن ، الهند .
- المسعودي (345هـ) ، مروج الذهب ومعادن جواهر الأدب ، مطبعة السعادة 1958 .
- الفرج بعد الشدة ، للتوحي ، القاهرة 1357هـ .
- كتاب بغداد ، انظر ابن طيفور .
- عمود اسماعيل عبد الرازق ، الاغالبية ، القاهرة 1366 . وله أيضاً الخوارج في المغرب العربي ، الدار البيضاء ، 1973 .
- المختصر ، انظر أبو الفدا .
- المستجد من فعلات الاجواد للتوحي ، دمشق 1365هـ .
- مصارع العشاق لابي جعفر السراج ، مطبعة الجوائب 1301 .
- معجم الادباء لياقوت الحموي (626هـ) . مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- المكتبة العربية الصقلية ، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم ، جمعها وحققها المستشرق ميخائيل أماري ، ليسك 1857 ، الباب السابع والخمسون ، من تاريخ تونس ، تأليف حسين بن محمد ابن وادران ص 540-544 أورد مقتطعات منه متعلقة بصقلية . وبهامشه هذا التعليق حول مصدر النص ، وهم السنيور هونيقر عن السيد ألفونس روسو نقلا عن ابن أبي الضياف :

[Estratti recatimi dal Sig. Honnegar nel 1847 da Tunis. Ritraggo il titolo da una lettera dell' erudito Mr. Alphonse Rousseau che ha alle mani altri estratti di questa opera. un cenno biografico, scritto nel 1854 da sid Ahmed- ibn Diaf, segretario del Bey di Tunis e favoritomi dallo stesso Mr. Rousseau, ci fa conoscere esattamente il nome dell' autore; e ch'ei vissi nella seconda meta del XVIII secolo. Mr. Cherbonneau ha dato la versione fruncese di alcuni squarcif d'Ibn Wuedran nella Revue de l'Orient, dicemre 1853 p. 417 seg.].

- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ، تحقيق السيد صقر .
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، لابن تغري بردي ، طبع دار الكتب المصرية .

- الورقة لابن الجراح ، دار المعارف 1953 .
 الوزراء والكتاب للجهشياري (331هـ) ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، طبعة القاهرة 1938 .
 وفيات الاعيان لابن خلكان ، طبعة القاهرة 1948 ، وطبعة بيروت بتحقيق د . احسان عباس .
 اليعقوبي ، تاريخه ، دار صادر بيروت 1960 .

مخطوطات

- المختار في الدرّ المكنون المنتظم في أخبار الرشيد وأبنائه الامين والمأمون والمتصم ، دار الكتب الوطنية تحت رقم 4816 أحمدية ، أو 13337 .
 صلة السمط وسممة المرط في شرح سمط الهدي في الفخر المحمدي ، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي المصري ، سمط الهدي أو القصيدة الشقراطيشية ، لأبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي بن زكريا التوزري المشهور بالشقراطيسي ، مخطوط بدار الكتب الوطنية . منه الجزء الاول والثالث 5605 ومخطوط ح ح عبد الوهاب 18564 و18565 الجزء الثاني في مجلدين .
 كتاب الاصطفاء في أخبار الخلفاء لابي مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (مخطوط لـ M. de Gayanges) .
 العمراني ، مختصر تاريخ الخلفاء ، مخطوط ليدن رقم 595 .

مراجع بالاجنبية

- F. Gabrieli, (al-Amin, al-Ma'mun) in *El, et Documenti relativi al califato di al-Amin* . . in *Rev. Lin.* , ser. 6 III (1927), 191-220.
 J. Sauvaget, *Introduction à l'histoire de l'Orient musulman. Eléments de bibliographie*, éd. refondue et complétée par Cl. Cahen, Paris, 1961.
 H. Kennedy, *al-Mahdi*, 1228-1229 b.
 F. Omar, *The Abbasid Caliphate*, Bagdad 1969.
 H. Kennedy, *The Early Abbasid Caliphate*, Londres 1981.
 D. Sourdel, *Le Visirat abbaside*, Damas 1959.

Histoire des Aghlabites, éd. Noël Desvergers, Paris 1841, ce texte a été publié aussi par Amari, p. 464 et suivant.

M. Talbi, *l'Emirat aghlabide*, Paris, Vrin 1968.

M. Kaabi, *Les Tahirides*, Tunis 1979.

E. Daniel, *Khurasan, under 'Abbasid rule*, Minniapolis 1979.

B. Lewis, *'Abbasides*, in *El* 2.

Ency. de l'Islam.

Index Islamicus.

G. A. L.

G. A. S.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

Toutefois cet ouvrage d'histoire événementielle et biographique, attribué abusivement à Husayn b. Muhammad Wadiran, ne manque pas de nous rapporter d'intéressantes relations, notamment celles concernant la chute des Barmékides, l'établissement de l'Etat tahiride et la révolte de Mansur at-Tunbudi en Ifriqya. Enfin, nous devons à ce ms. , gros de 364 folios, une quarantaine de pages inédites sur quelques philosophes, médecins et musicologues grecs, attribuées à Sahl b. Harun al-Katib. Ces pages sont loin d'être identiques avec ce que rapportent Ibn Abi Usaybi'a, al-Qifti et même Ibn Fatik. Elles sont d'une originalité évidente. C'est dire l'intérêt que nous portons à l'édition de ce manuscrit.



PRÉFACE

Le ms. d'Ibn Wadiran sur l'histoire [°]Abbasside et Aghlabide: retrouvé*

L'ouvrage d'Ibn Wadiran mal connu par Cherbonneau, au siècle dernier et dont on a perdu l'original tunisien qui se trouvait à la Bibliothèque de Gâmi[°] az-Zitouna, a été retrouvé récemment à la Bibliothèque nationale de Tunis (sous le n° 1446).

En effet, la traduction que donna A. Cherbonneau de cet ouvrage, sous le titre de *"Précis historique de la dynastie des Aglabites"*, a été faite d'après une copie sur l'original qui n'en reproduit qu'une très mince partie. Or le manuscrit en question traite en gros du *"ta rih dawlat ar-Rachid min bani l-'Abbas wa banih"*. Il est acéphale et anonyme. Ibn Wadiran est un historien mineur beaucoup plus tardif que ne le pensait Cherbonneau dans l'Introduction de sa traduction (*in Revue de l'Orient, de l'Algérie et de ses colonies, Alger 1853, p. 417.*). Le premier examen de l'ouvrage, dont nous avons donné le résultat, confirme qu'il s'agit d'une œuvre postume d'un tunisien, qui écrivait au début du XI^e siècle de l'hégire (XVII^e J.-C.). Le retrouvant en brouillon et se rendant compte de sa grande valeur, Ibn Wadiran, qui vivait encore en 1189/1758-59, s'est appliqué à mettre le ms. au net avec quelques additions. C'est une véritable *Bibliotheca* sur six califes [°]abbasides à partir d'ar-Rachid, suivi d'un précis historique sur les gouverneurs de Kairouan sous domination [°]abbaside jusqu'à la chute des Aghlabides en Ifriqiya.

Les sources auxquelles l'auteur (ou les deux auteurs) fait appel sont très nombreuses et généralement assez tardives. On peut citer à titre d'exemples quelques-unes parmi les moins connues: *Tarih al-Badri* (m. 894/1489), *Qutb as-surur* du chroniqueur kairouanais ar-Raqiq et *Kitab lubb al-labib*.. d'un certain al-as[°]ari. Mais la source la plus en honneur dans cette histoire est celle d'Abu l-Fida' dans son *Muhtasar*.

* Résumé de la communication donnée par moi-même au XXIX Congrès international des Orientalistes, Paris 16-22/7/1973. Voir Actes du C.I.O.I. - Histoire et Civilisation, L'Asiathèque, Paris 1975.



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب المصني

شارع الصوفاة (المعاصري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص. ب. 113 - 5787 - بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 228 - 2000 - 2 - 1993

التنفيذ : دار صادر - بيروت

الطباعة : دار صادر - بيروت

IBN WADIRAN

HISTOIRE DES ABBASIDES

(*Dawlat ar-Rachid min Bani l-Abbas wa banih*)



مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري
TEXTE INTRODUIT, ÉTABLI ET ANNOTÉ
PAR

MONGI KAABI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI